تصحيح وتحشية

على

الحضارة الإسلامية

في القرن الرابع

لآدم متز

تأليف

آية الله الحاج الشيخ محمد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحیم

تصحیح و تحشیة علی الحضارةالاسلامیة فی القرن الرابع

کاتب:

آیت الله محمد رحمتی

نشرت فی الطباعة:

دفتر آیت الله محمد رحمتی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

تصحیح و تحشیه علی الحضارهالاسلامیه فی القرن الرابع

اشاره

سرشناسه : رحمتی، محمد، ۱۳۰۷ -

عنوان قراردادی : الحضارهالاسلامیه فی القرن الرابع الهجری . شرح

عنوان و نام پدیدآور : تصحیح و تحشیه علی الحضارهالاسلامیه فی القرن الرابع/ لآدم متز؛ تالیف محمد الرحمتی.

مشخصات نشر : قم: محمد رحمتی، ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۸۲۴ ص.

شابک : ۱۰۰۰۰۰ ریال ۹۷۸-۹۶۴-۰۴-۷۸۴۳-۱ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه: ص. ۸۱۰- ۸۱۵؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : متس، آدام،۱۸۶۹ - ۱۹۱۷ م. . الحضارهالاسلامیه فی القرن الرابع الهجری-- نقد و تفسیر

موضوع : تمدن اسلامی -- تاریخ

موضوع : فرهنگ اسلامی

موضوع : اسلام -- تاریخ

شناسه افزوده : متس، آدام،۱۸۶۹ - ۱۹۱۷ م. . الحضارهالاسلامیه فی القرن الرابع الهجری. شرح

رده بندی کنگره : DS۳۶/۸۵/م۲ت۸۰۲۱۴ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۹۰۹/۰۹۷۶۷۱

شماره کتابشناسی ملی : ۳۱۵۷۶۳۱

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم

تصحیح و تحشیه

علی

الحضاره الإسلامیه

فی القرن الرابع

لآدم متز

تألیف

آیت الله الحاج الشیخ محمد الرحمتی

سرشناسه: آیه الله الحاج الشیخ محمد الرحمتی، ۱۳۰۷

عنوان و نام پدیدآور: تصحیح و تحشیه علی الحضاره/ تألیف محمد الرحمتی

مشخصات نشر: قم، مؤلف: ۱۴۳۲ ق = ۱۳۹۰

شابک: ۱-۷۸۴۳-۰۴-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی

موضوع: تمدن اسلام - تاریخ

رده بندی کنگره: ۱۳۹۰ ۷ ن ۳ر / ۶۲ / ۳۵ DS

رده بندی دیویی: ۹۰۹/۰۹۷۶۷۱

شماره کتابشناسی ملی: ۲۵۴۵۱۱۳

***

تصحیح و تحشیه علی الحضاره الاسلامیه فی القرن الرابع

المصحح و المحشی: آیه الله الحاج الشیخ محمد الرحمتی

الناشر: المؤلف

المطبعه القدس

الطبعه: الأولی - ۱۴۳۲ ه.ق

العدد: ۷۰۰ نسخه

السعر: ۱۰۰۰۰ تومان

رقم الایداع الدولی: ۱-۷۸۴۳-۰۴-۹۶۴-۹۷۸

***

ایران، قم، فاطمی ۲۶ (دورشهر) نهایه الزقاق - الرقم ۴۵

تصدير

هذا كتاب فى الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى ، وهو العصر الذى بلغت فيه الحضاره والعلوم والفنون الإسلامه ذروتها .

ألفه الأستاذ «متز» باللغه الألمانيه ، وقد لفت نظرى إليه فصول كانت تُنشر فى مجله (الثقافه الإسلاميه) Islamic Culture التى تصدر فى حيدر أباد باللغه الإ نجليزيه ، وكان يقوم بترجمتها من الألمانيه إلى الإ نجليزيه المرحوم خُدابخش ، فأعجبنى منها دقه البحث وحسن الاستقصاء ، والاعتماد على المصادر الكثيره المتنوعه اعتماداً يدعو إلى الدهش ، ويستخرج العجب ، من الصبر على البحث ، والدأب فى العثور على ماده الموضوع .

وقد أحاط الموءلف بنواحى الحضاره الإسلاميه من سكان ومال وإداره وتجاره وعلم وفن وسياسه واجتماع ، وكَشَف ببحثه عن نواحٍ غامضه أخذ يعالجها فى صبر وأناه حتى جلّاها ، وكانت طريقه معالجته تكاد تقتصر على جمع النصوص الكثيره المتعلقه بالموضوع من مصادر متعدده ، والا كتفاء بها ، من غير أن يدخل شخصيته وآراءه فى المسائل إلا فى القليل النادر .

وقد يوءخذ عليه أنه أحياناً يعسر عليه النص ، فيفهمه على غير وجهه ، وأحياناً يبتر النص ، وقد كان الإتيان به كاملا يوضح رأيه أو يخالف وجهه نظره ؛ كما

يوءخـذ عليه أنه يسـتدل فى بعض المسائـل على رأى بنص واحـد ، ولو عرضت النصوص كلها لخرج الباحث منها برأى يخالف رأيه ؛ وأحيانـاً نراه يحكم عقيـدته ونشأته واعتمـاده على النصـوص فقـط ، دون الروح والـذوق الفنى والجوّ الإسـلامى والوسـط العربى ، يشرد فى رأيه ، ويخطئ فى نظره .

ولكن هـذا كله لا يذهب بعظم قيمه الكتاب وفائدته للباحثين الإسـلاميين ؛ فالكتاب يعلمنا طرق البحث العلمى ، ويقدّم لنا درسـاً قيماً فى صبر العلماء على معاناه البحث ، والاسـتناد إلى أكبر عدد من المصادر وغربلتها وأخذ خير ما فيها ، ويكشف لنا عن نواحٍ من الحضاره مجهوله .

ولعل كثيراً من المآخـذ التى عـددناها يرجع إلى أن الموءلف قـد عاجلته منيتهُ والكتاب فى مسوداته لم يبيضـها، ولم يضـعها فى شكلها الأخير

رأيت الكتـاب قـد ترجم من الألمـانيه إلى الإنجليزيه ثم ترجم إلى الإسـبانيه ، فقلت إن الأولى أن يترجم إلى العربيه ، فأهلها هم وارثوا الحضاره الإسلاميه ، وهم أولى أن يطلعوا على كل ما كتب فيها .

فلما سـنحت لى الفرصه لترجمته برغبه بيت المغرب فى نشـر كتب قيمه فى هذا الموضوع وأمثاله ، انتدبت له الأسـتاذ محمد عبد الهادى أباريده ، كما انتدبته من قبل لترجمه كتاب الفلسفه الإسلاميه للأستاذ دى بور ، فأبلى فيه بلاء حسناً .

وعرفت أن كتابنا هـذا يتطلب من مترجمه صبراً من جنس صبر الموءلف ، فكل صـفحه منه تتضـمن عـده مصادر ، واشترطت أن تنقل عبارات هذه المصادر بنص موءلفها لا بمعناها .

وبعض هذه المصادر مخطوط بألمانيا وبعضها مخطوط بهولندا ، وبعضها

مخطوط بفرنسا إلى غير ذلك ، فتقبل الأستاذ أبو ريده القيام بهذا الجهد كله بنفس طيبه تحب العلم وتصبر على الجهد ، وتستلذ العناء فى سبيل علم تنشره أو خير تقدمه ؛ وليس يعلم مقدار ما عانى فى ذلك إلا اللّه ومن شاهده أثناء ترجمته وبحثه.

وكـان من حسن حظه وحظ الفراءأن أرسل إلى بعثه فى فرنسا ، فأتـاحت له هـذه البعثه فرصه طيبه للاطلاـع على المصـادر فى المكـاتب الفرنسيه ، ومكنت له من أن يسافر إلى برلين ، ويتصل بهولنـدا ليقوم بترجمه هـذه المصادر كلها ؛ فله الشـكر الجزيل على ما عانى ، وعلى ما قدم لقراء العربيه من خير ، ولبيت المغرب الشكر على ما أنفق ، وعلى ما اتجه إليه من خدمه العلم .

أحمد أمين

كلمه الترجم

للطبعه الثانيه

الحمد للّه والصلاه والسلام على رسول اللّه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين ، وبعد:

فهـذه هى الطبعه الثانيه لكتاب « الحضاره الإسـلاميه فى القرن الرابع الهجرى »، يسـرنى أن أُقـدِّمها للقرّاء والباحثين ، بعد أن لقى الكتاب من التقدير له والإنتفاع به فى مختلف ميادين البحث ما شجّع على نشره من جديد .

وإنى لتعود بى الـذاكره ، عند مراجعتى للكتاب من جديد والإشـراف بنفسـى على طبعه ، إلى سـنه ۱۹۳۹م حين أعددتُ أصوله ونصوصه وترجمت هـذا الجزء الأول ، والعالم يتأهب للحرب ، وخصوصاً إلى عام ۱۹۴۰م حيث أتممتُ ترجمه الجزء الثانى فى باريس ومدريـد ، والحرب قائمه تُـذيق أوروبا الويلات وتبلبل قلبَ الغريب بها ، وتقلق روحه ، فلا يسـتطيع أن يتسـلى عن ذلك إلّا بالعمل .

وقد اسـتطعت أن أرسل ترجمه الجزء الثانى ، رغم وقوف المواصـلات البريديه ، مفرّقةً مع أحد زملائى الأفاضل فى البعثه ، وهو الدكتور يحيى

الخشاب ومع (صاحب السعاده) كامل البنداری (باشا) ، وزیرنا المفوض فی بروکسل آنذاک ، فلهما الیوم الشکرُ الذی لم أستطع أن أبلّغه إلیهما فی تلک الأیام .

وقد شاء القدر العجیب ، فی أثناء الحرب وتقلباتها ومفاجآتها أن أُتمَّ دراستی ، بعد انقطاعها بباریس ، فی جامعه بازل بسویسره ، حیث کان موءلف الکتاب أستاذا قبل عشرین عاما ، وأن أتتلمذ علی تلمیذه وخلیفته فی منصبه ، وهو أستاذی الکریم الفاضل العلّامه المتواضع الأستاذ الدکتور رودلف تشودی (Rudolf Tschudi) .

وکان الکتاب أحیاناً موضع حدیثنا ؛ فأُحب أن أُنبّه القارئ إلی أن الموءلف کان یقصد من کتابه أن یسجّل حضاره الإسلام فی القرنین الثالث والرابع مع العنایه الخاصه بالقرن الرابع ، لیکون کتابه مُقابلا ومُشابها لما کتب عن حضاره عصر النهضه فی أوروبا، خصوصاً ما کتبه یاکوب بورکهارت Burckhardt Jacob السویسری البازلی عن عصر النهضه فی أوروبا وفی إیطالیا .

ولعل هذا هو السبب فی تسمیه الموءلف لکتابه باسم Die Renaissance Islams Des ، أی « نهضه الإسلام » ، وهی عباره مختصره للدلاله علی حضاره عصر النهضه فی الإسلام .

وکما أن حضاره عصر النهضه فی أوروبا کانت قائمه علی إحیاء الحاضره القدیمه فی نواح کثیره ومُقترنه بمیلاد القومیات وتجزّوء الدوله الواحده التی قام علیها بناء العصر الوسیط فی أوروبا إلی دول صغیره ، فکذلک کانت حضاره الإسلام بوجه عام متصله بإحیاء ثقافات وحضارات متقدمه علیها ، وزاد علی ذلک فی العصر الذی یتکلم عنه الموءلف ، وهو القرن الرابع الهجری، انحلالُ دوله

الخلافه الكبرى إلى دول صغرى .

فلا غرابه أن يوءخذ الموءلف بهذا التشابه وأن يجعل له شأناً فى وضعه اسم كتابه ، بل كأنه يوءكد ذلك بأن يشير فى كثير من الأحيان وفى مواضع متفرقه(١) إلى أنه فى القرن الثالث ، وخصوصا فى القرن الرابع ، ظهرت بين المسلمين أفكارٌ ونظم ومذاهب وأساليب فى الحياه وعادات كانت موجوده قبل الإسلام عند أمم أخرى ، ثم عادت إلى الظهور من جديد؛ ولعل هذا هو الدعامه الكبرى التى تستند إليها هذه التسميه التى لم يجد الموءلف ما يرضيه غيرُها .

وثم نقط أُخرى أحب أن أنبّه على بعضها ؛ فمن ذلك ما لاحظته فى مواضع كثيره جداً من عداله هذا الموءلف فى حكمه؛ فهو لا يعرف التعصب ، ويذكر الأمثله من الحضاره العربيه ومن غيرها ؛ بل يبين أن بعض ما نجده فى تاريخ العرب أحياناً من قسوه ننفر منها قد أخذه العرب عن غيرهم كالبوزنطيين .

وهو يوءكد ، فى مواضع شتى ، خصائص الطبيعه العربيه مبرّناً إياها أحياناً ممّا يظهر فى تاريخها من مساوئ دخيله عيلها ، وهو منصفٌ أيضاً فى تصوره للنظم الإسلاميه وفى مقارنته معامله العرب لغيرهم بمعامله غيرهم لهم .

وإن مقارناته المتنوعه واتزانه وعدم مبالغته فى تقدير الوقائع الجزئيه لمن الصفات التى يجب أن يربى الباحثُ نفسَه عليها .

هذا إلى أنى توخّياً للدقه قد صححتُ الترجمه فى مواضع متفرقه ، وذلك بفضل ما تيسر لى أثناء دراستى فى جامعه بازل من إتقان اللغه التى كتب بها

١- انظر مثلا أول الفصل الرابع عشر وأول الفصل الثامن عشر ، وخصوصا الفصل التاسع عشر فى مواضع كثيره وغير ذلك .

الكتاب ، كما أنى زدت تعليقات جديده دون الإكثار منها .

والنصوص التى فى الكتاب هى كما فى مصادرها ؛ فإن كان فيها شىء غير واضح ، خصوصاً فيما هو مأخوذ من مصادر مخطوطه ، فلاـ حيله لى فى ذلـك ، لأـن المصـادر ليست كلها تحت يـدى، فالنصوص التى جمعتها لاتزال فى أوروبا، وأيضاً لأن الأصول الأولى التى كتبتُها بيدى تلفت بعد طبع الكتاب فى غيبتى .

ولكن هكذا كله لا شىء إلى جانب المصادر والماده القيّمه التى يضعها الكتاب بين يدى الباحث .

ويحتاج هذا الكتاب ، نظراً لكثره ما فيه من موضوعات فى الفصل الواحد ولكثره أسماء الأعلام ، إلى فهرس كبير، أرجو إن شاء اللّه أن أُلحقه بالجزء الثانى الذى قد بدأنا طبعته الثانيه .

وأخيراً فإن قراءتى للكتاب من جديـد بعد سـبع سـنين قد أتاحت لى اللذه التى ذقتها مره فى ترجمته ، كما ذكرتنى بظروف هذه الترجمه وما كان فيها من عناء .

وإنى لأرجو أن ينال القارئ ثمره ما بُذل من جهد ، وأن تكون هذه الثمره له نافعه ، وما التوفيق إلا باللّه

القاهره فى ٦ذى القعده ١٣٦٦ ٢١ سبتمبر ١٩٤٧ محمد عبدالهادى أبو ريده

مدرس بكليه الآداب بجامعه القاهره

كلمه المترجم

للطبعه الأولى

الحمـدللّه حمـداً يكافئ مزيـدَ نعمه وجزيل إحسانه ؛ والصـلاه والسـلام على سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه ومن والاه إلى يوم الدين ، وبعد :

فهـذا كتاب يتناول الحضاره الإسـلاميه فى القرن الرابع الهجرى ، من حيث أصـلُها وتطوّرُها ، اختاره أسـتاذنا الجليل أحمـد أمين بك ، وشرّفنى بإسناد ترجمته إلىّ ، ليكون جزءاً من النشاط العلمى الحمود الذى يبعثه بيت المغرب .

ولقد قبلت هذه المهمه متهيبّاً مُشفقاً ، بعد أن بَلَوتُ الترجمه مراراً، ولقيت منها ما لقيت .

غير أن الذى حبّب إلىّ القيام بهذا العمل ، أنه ليس فى كتب المستشـرقين على كثره تآليفهم إلاّ كتب قليله جداً تبحث فى تاريخ الحضاره الإسلاميه(١) على هذا النحو الذى سلكه موءلف هذا الكتاب ، «آدم متز» المتوفى عام ١٩١٧ ميلاديه .

١- مثـل الكتـاب القـديم الـذى ألفـه فـون كريمر (A.Von Kremer) بعنـوان : Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen, Wien, ١٨٧٥-٩

كان هذا العالم أستأذاً للغات الشرقيه بجامعه بازل (Basel) فى سويسره ويدل هذا الكتاب الذى أقدمه لقراء العربيه على سعه اطّلاع موءلفه وتعمّقه فى موضوع البحث ؛ فقد تناول الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى من جميع نواحيها العقليه والماديه بعد أن راجع المصادر العربيه وغير العربيه مراجعه واسعه النطاق ، حتى لُتَعدّ مراجعُه بالمئات ؛ وقد بلغ عدد المرات التى أشار إليها فى الباب الواحد مئاتٍ أيضاً فى بعض الأحيان؛ ومن جمله مصادره مخطوطاتٌ أرْبت على الأربعين موجوده فى مكاتب برلين وباريس وليدن وليبتزج وميونخ وفينَّا ولندن ؛ وبعض هذه المخطوطات لم ينشر حتى الآن ، مع عظم قيمته ؛ كما أن الموءلف رجع إلى عدد كبير جداً من المجلات العلميه الأوربيه التى تبحث فى شئون الشرق .

غير أن الأجل أدركه ، وكتابه مكتوب بالآله الكاتبه ، دون أن يتمكن من مراجعته مراجعه أخيره تُهيّئه للطبع ومن غير أن يضع له مقدمه .

إلّا أن قيمه هذا الكتاب كانت سبباً فى إظهار للباحثين ؛ فنشره الأستاذ ريكندورف (Reckendort) عام ١٩٢٢ م باسمه الذى اختاره الموءلف له ، وهو : «عصر النهضه فى الإسلام»(١) ؛ ثم ترجمه إلى اللغه الأسبانيه سلفادور فيلا (Salvador Vila) ونشره عام ١٩٣٦ م ؛ وترجمه كذلك إلى اللغه الإنجليزيه المرحوم صلاح الدين خُدابخش الهندى الذى كان أستاذاً بجامعه كلكتا ؛ ومات

---

١ - Die Renaissance des Islam, Heidelberg ١٩٢٢, Carl Winteraniversitaetsbuchhandlung.

قبل أن يتم الترجمه ، فأنمها الأستاذ مرجوليوث بجامعه أكسفورد ، ونشرت كامله سنه ١٩٣٦م .

هـذه الظروف فى مجموعها جعلت الترجمه شاقه كل المشقه ، لأن المراجع تُذكر بحث لا يسهل الرجوع إليها ؛ فقد يُذكر الكتاب أحياناً من غير ذكر موءلفه ولا ذكر المكان الذى يرجع الباحث إليه للمقارنه ، أوقد يذكر الموءلف دون ذكر كتابه ؛ وفى كلتا الحالتين كان يندر أن يذكر زمان الطبع أو مكانه أو رقم الكتاب فى المكتبه التى هو فيها ، إن كان مخطوطاً .

لذلك كان لابد من البحث عن هذه المصادر فى فهارس المكاتب الأوروبيه للمطبوعات والخطوطات ومراجعه ذلك .

وقد استطعت أن أحصل على المواضع التى أشار إليها الموءلف فى المخطوطات ، وذلك بطلب تصويرها من مختلف مكاتب إوربا ، كما راجعت بعضها بنفسى فى باريس وبرلين أثناء العام الماضى .

كما استطعت بعد مراجعه الأصول العربيه أن أُصحّح أخطاء كثيره فى النصوص أحياناً وفى المراجع فى أغلب الأحيان ؛ كما أنى زدت المراجع إيضاحا يسهّل الرجوع إليها ، وبقيت أشياء يسيره جدا وضعت علامه استفهام إلى جانبها ليحاول معالجتها من شاء .

وكذلك وسَعت بعض النصوص وبينتّ مناسبتها ، لتكون مفهومه للقارئ العربى ومشبعه لحاجته ، وذكرت أسماء الأعلام كامله ، وعلّقت تعليقات قليله جدا يتطلبها المقام .

على أنى راجعت كـل شـىء تقريبـاً على الأـصول التى ذكرهـا الموءلف مراجعه دقيقه طلبـاً للـدقه والضـبط ، وراعيت فيما يتعلق بالمراجع العربيه أن يكون الأسـلوب متمشـياً مع الأصل العربى الـذى أشار إليه الموءلف ، لتكون بين يـدى القارئ حضاره القرن الرابع بلغه القرن الرابع ولغه رجاله وموءلفيه .

وإذا كـان القـارئ يرى فى بعض الأحيـان ما يشبه التفكك فى العرض ، فمرجع ذلك إلى أن الكتاب كتابٌ علمى يعنى بضـبط الوقائع وإحصائها والاستنباط منها .

وقد ترجمت القسم الأول من هذا الكتاب وعرضـته على الأستاذ أحمد أمين بك ؛ فتفضل بقراءته من أوله إلى آخره قراءه دقيقه استنفدت كثيراً من وقته الثمين ، وأبدى ملاحظات قيمه كان لها أكبر الفضل فى إخراج الكتاب على هذا النمط .

ولا يفوتنى أن أعبر عن شـكرى العظيم للأستاذ بول كراوس المدرس بكليه الآداب لمعاونتى فى فهم كثير من النقط الغامضه فى الأصل الألمانى .

لقـد كـان أسـتاذنا الجليـل أحمـد أمين موفقـاً كـل التوفيق فى اختيـار هـذا الكتاب للترجمه ، لكى ينشـره بيت المغرب فى جمله النشرات القيمه التى يخدم بها الثقافه العربيه .

وأرجو أن أكون قـد وُفقت أنا أيضاً فى القيام بهذا العمل على الوجه الذى يحقق النفع ، مع علمى بأن كل جهد فهو دون الكمال .

وإنى لأرجو أن أتمكن من ترجمه القسم الثانى وإكماله بالفهارس اللازمه للكتاب ، وإضافه ثَبتٍ للمراجع خدمةً للقارئ .

كما أرجو أن يسدَّ هذا الكتاب فراغاً كبيراً فى تاريخ الحضاره الإسلاميه وأن يحرك هِمَمَ الباحثين إلى العنايه بتاريخ هذه الحضاره وبذل ما تستحقه من جهود .

واللّه ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير ؟

باريس فى أول المحرم سنه ١٣٥٩

٩ فبراير سنه ١٩٤٠

محمد عبد الهادى أبوريده

بكليه الآداب وعضو بعثه جامعه فوءاد الأول بباريس

الفصل الأوّل: المملكه الإسلاميه

اشاره

فی القرن الرابع الهجری (العاشر المیلادی) عـادت المملکه الإسـلامیه إلی مـا کـانت علیه قبـل الفتـح العربی ؛ ونشأت فیها دولٌ صغیره منفصل بعضها عن بعض ، کما کان الحال دائماً فی تاریخ الشرق ، إذا استثنینا فترات قصیره .

وقد تمّ هذا الانقسام حوالی سنه ۳۲۴ه ۹۳۵م.

وشـرع الموءرخون یبیّنون الأـجزاء التی آلت إلیهـا المملکه ، کأنهم یصـفّون حسابها ؛ وهم یعتمـدون فی إحصائهم علی مصـدرٍ واحـد ، کما یـدلّ علی ذلک ترتیبهم لهذه الأجزاء : تغلّب کل رئیس علی ناحیته ، وانفرد بها ، فصارت فارس و الریّ وأصـبهان والجبـل فی أیـدی بنی بویه ، وکرمـان فی یـد محمـد بن إلیـاس ، والموصـل ودیـار ربیعه ودیار بکر ودیار مُضـر فی أیـدی بنی حمـدان ، وأصـبحت مصـر والشام فی یـد محمد بن طغج الأّخشـید ، والمغرب وإفریقیه فی ید الفاطمیین ، والأندلس فی ید عبد الرحمن الناصـر الأـموی ، وخراسـان فی یـد نصـر بن أحمـد السامـانی ، والأـهواز وواسـط والبصـره فی یـد البریـدیین ، والیمامه والبحرین فی ید أبی طاهر القرمطی ، وطبرستان وجرجان فی ید الدیلم ؛ ولم یبق

فى يـد الخليفه إلاّ بغدادُ وأعمالها(١). ويشبِّه المسعودى فى عام ٣٣٢ ه ٩٤٤م فِعلَ أصـحاب الأطراف ، وتغلُّبَ كل واحـد منهم على الصقع الذى هو فيه بفعل ملوك الطوائف بعد موت الإسكندر(٢) .

على أن شبحاً لسيادة الخليفه ببغداد ظلّ وَهماً ماثلا فى الأذهان ؛ والمسعودى نفسه يتكلم عن «عمل» أميرالموءمنين ، وينقل عن الفزارى أنه «من فرغانه وأقصـى خراسان إلى طنجه بالمغرب ثلاثه آلاف وسبعمائه فرسخ ، ومن باب الأبواب إلى جدّه ستمائه فرسخ ، ومن الباب إلى بغداد ثلاثمائه فرسخ ومن مكه إلى جدّه اثنان وثلاثون ميلا»(٣) .

على أن أصـحاب الأطراف أو ملوك الطوائف كـانوا يعترفون بالسياده العليا الـدوله ، ويقـدّمون للخليفه الـدعاء فى المساجـد ، ويشترون منه ألقابهم ، ويرسلون إليه الهدايا فى كل عام ؛ فمن ذلك أنه لما تمّ لعضد الدوله ابن بُوَيه فتحُ كرمان فى سنه ٣٥٧ه ، أُنفِذ إليه من الحضره ببغداد عهدُ الخليفه وخِلَعُهُ والعقدُ على أعمال كرمان كلها(٤) .

وكـان مظهرُ سلطان الخليفه منصبَه الجليل فحسب ، وهو يشـبه فى ذلك قيصـراً من قياصـره الإمبراطوريه الرومانيه المقـدسه فى ألمانيا ، يحكم الأمه الألمانيه

١- تجارب الأُمم لابن مسكويه ج ٥ص ٥٥٣ ٥٥٤ ؛ تاريخ ابن الأثير ، الطبعه الأوروبيه ج٨، ص٢٤١ ٢٤٢ ؛ تاريخ أبى الفداء تحت سنه ٣٢٤ ه [ج٢ص ٣٩٨ من الطبعه الأروبيه] ؛ المنتظم فى تاريخ الأمم لابن الجوزى مخطوط رقم ٩٤٣٦ بالمكتبه الأهليه ببرلين ص ٥٨ ؛ الجزء الرابع من كتاب العيون والحدائق مخطوط برلين أيضاً رقم ٩٤٩١ ص١٥٤ ب ١٥٥ .

٢- مروج الذهب المسعودى ، الطبعه الأوروبيه ج١ ص٣٠٦ ، ج٢ ص٧٣ والصفحات التاليه .

٣- مروج الذهب ج٤، ص٣٧ ٣٨ .

٤- مسكويه ج٦، ص٣٢٣ .

وليس له عليها إلاّ سلطان قليل. ولكن فكره الدوله لم تَفقِد، رغم هذا، ما كان له من القوه والسلطان ، حتى إن بنى أميه فى الأندلس لم يتخذوا لأنفسهم لقب الخليفه أوالتسميه باسم «أميرالموءمنين» ، بل كانوا يسمون أنفسهم « بنى الخلائف » .

ثم جاء الفاطميون فكانوا أول من خرج على هذه القاعده ، فلم يكتفوا بأن يكونوا أمراء ذوى سلطه دنيويه فقط ، بل أرادوا أن يكونوا الخلفاء الحقيقيين للنبىّ صلى الله عليه و آله ، فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافه بعد فتح القيروان فى سنه ٢٩٧ ه ٩٠٩م(١) .

ثم أسرعت قيمه هذا اللقب إلى الهبوط حتى نجد حاكم سجلماسه ، جنوبى جبال أطلس ، وكان حاكما سُنِّيًّا صغيراً ، يسمِّى نفسه بأميرالموءمنين فى سنه ٣٤٢ ه ٩٥٣م وهو اللقب الذى كان من قبل يبعث فى النفس رهبةً عظيمه(٢) .

ولما علم عبدالرحمان بالأندلس أن العلويين بإفريقيه تلقبّوا بأميرالموءمنين اتخذ لنفسه أيضاً لقب الخلافه ، وتسمَّى بأميرالموءمنين فى سنه ٣٥٠ه ٩٦١م(٣) .

ولكن لم يكن من شأن هذا الانقسام وتعدّد أمراء الموءمنين أن يوءدى إلى ضيق فى معنى الإسلام أو فى الوطن الإسلامى ، بل صارت كل هذه الأقاليم توءلف مملكه واحده ، سميت مملكه الإسلام وهو الاصطلاح الذى لم يستعمله

١- كتاب العيون ص ٧٠ نقلا عن ابن الجزار الموءرخ المغربى المتوفى عام ٣٩٥ ه ١٠٠٤م .
٢- كتاب المُغرب فى ذكر بلاد إفريقيه والمغرب لأبى عبيد عبداللّه بن عبد العزيز البكرى ، طبعه الجزائر عام ١٨٥٧ ص ١٥١ .
٣- أبوالفداء تحت عام ٣٥٠ ه، نفح الطيب المقرى ج١ ص٢١٢ ٢١٣ .

المسعودى تمييزاً لها عن مملكه الكفر، وقامت وحدةٌ إسلاميه لا تتقيد بالحدود السياسيه الجديده .

وهذا عكس ما نشأ عن اتحاد الإمبراطوريه الألمانيه فى القرن التاسع عشر(١) .

يعتبر المقدسى أن مملكه الإسلام تمتد من كاشغر فى أقصى المشرق إلى السوس الأقصى فى المغرب ، وأنها تُقطَع فى نحو عشره أشهر(٢) .

أما عند ابن حوقل فحدود مملكه الإسلام هى : شرقيها أرض الهند وبحر فارس ، وغربيها مملكه السودان الذين يسكنون على المحيط الأطلسى ، وشماليها بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللّان والران والخزز والبُلغار والصقالبه والترك والصين ، وجنوبيها بحر فارس(٣) .

وكان المسلم يستطيع أن يرتحل فى داخل حدود هذه المملكه فى ظل دينه وتحت رايته ، وفيها يجد الناس يعبدون الإله الواحد الذى يعبده ، ويصلّون كما يصلّى ، وكذلك يجد شريعه واحده وعُرفاً واحداً ، وعاداتٍ واحده .

١- ربما يقصد المؤلف أن حركه الوحده الألمانيه فى القرن التاسع عشر كان غرضها الوحده ، ولكنها اقتصرت على بعض الألمان ، فلم تشمل النمسا وغيرها : وتُرك أهل هذه البلاد كأنهم أجانب ، وكانوا يعاملون فى ألمانيا معامله الأجانب . وهذا خلاف ما نشأ عن انقسام الدوله الإسلاميه كما سيأتى على أن كلام المؤلف ينطبق على الوحده الألمانيه فى القرن التاسع عشر ؛ أما فى عهد هتلر فقد اتجهت فكره الوحده الألمانيه إلى إنشاء ما يسمى ألمانيا الكبرى على أساس الجنس واللغه ، وقد ضمت النمسا وغيرها وبقيت أقليات صغيره كان ضمها من أسباب الحرب الماضيه . (المترجم) .

٢- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفه الأقاليم ، طبعه ليدن ١٨٧٧ ص٦٤ .

٣- المسالك والممالك ، طبعه ليدن ١٨٧٢ ص١٠ ١١ .

وكان يوجد فى هذه المملكه الإسلاميه قانون عملى يضمن للمسلم حقَّ المواطِن ، بحيث يكون آمناً على حريّته الشخصيه أن يمسَّها أحدٌ، وبحيث لا يستطيع أحد أن يسترقّه على أى صوره من الصور(١) . [*١]

وقد طوَّف ناصر خِسرو فى هذه البلاد كلها فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) دون أن يلاقى من المضايقات ما كان يلاقيه الألمانى الذى كان ينتقل فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر بعد المسيح عليه السلام .

وكان الخليفه الفاطمى على أشد ما يكون من المنافسه لبنى العباس ، فكان يخطَب له فى اليمن والشام زياده على إفريقيه ومصر ، وكان لمذهب الفاطميين «دعاه منبثون فى كل صقع وناحيه»(٢) ؛ وتدلنا هذه الحكايه الصغيره على أن الخليفه الفاطمى كان ينسب له فعل كل شيء : كان على صدر زبزب للسلطان عضد الدوله صورةٌ لسبع ذمن الفضه ، فسُرق ؛ وعجب الناس كيف كان هذا مع هيبه عضد الدوله المفرطه ، وكونه شديدَ المعاقبه على أقلّ جنايه ؛ ثم قُلبت الأرض فى البحث عن السارق ، فلم يوقَف له على خبر ؛ فقيل عند ذلك إن صاحب مصر ، يعنى الخليفه الفاطمى ، دسَّ من فعل هذا(٣) .

وفى عام ٤٠١ه بلغ من جراءه قرواش بن المقلّد ، أمير بنى عقيل ، أنه خطب للحاكم بأمر اللّه فى أعماله كلها ، وهى الموصل والأنبار والمدائن والكوفه ، وذلك تحت سمع العباسيين وبصرهم ، حتى أرسل الخليفه القادر إلى بهاء الدوله فسيَّر

١- لايقول بغير هذا القول إلّا بعض شرار الفرق كالقرامطه[*] .
٢- كتاب الفهرست لابن النديم ، الطبعه الأوروبيه ص ١٨٩ .
٣- المنتظم ص١١٨ .

إليه جيشاً ؛ فبعث قراوشُ يعتذر ، وقطع الخطبه للعلويين ، وأعادها للقادر(١) .

وكان الخليفه فى بغداد يجد بعض العزاء عما ضاع من سلطانه حين يرى مثلًا أن السلطان محموداً صاحب غزنه ، وهو الأمير الذى أخذ نجمه فى الصعود ، يظهر له احتراماً عظيماً ، ويوقفه على انتصاراته ، ويشكو إليه ما يجد ؛ وفى سنه ٤٠٣ ه (١٠١٢م) مثلاً ـ أرسل الحاكم بأمر اللّه إلى السلطان محمود كتاباً يدعوه فيه إلى طاعته ، فبعث محمود بالكتاب إلى الخليفه القادر بعد أن خرَّقه وبصق فى وسطه(٢) .

وكان النزاع على أشد ما يكون فيما يتعلق بمكه والمدينه من بين الأراضى المقدسه ، لأن امتلاكهما أصبح له شأنٌ أكبر من ذى قبل ؛ فلم تكن توجد من قبل مناسبةٌ للبحث فى علامه الخليفه الحقيقى ؛ أما الآن فقد ظهرت من ثنايا النزاع حول هذا المنصب نظريةٌ جديده ، هى أن أميرالموءمنين الحقيقى هو من كان مَلِكا للحرمين(٣). وهذه هى النظريه التى يستند إليها اليوم فى إثبات حق العثمانيين فى الخلافه(۴) .

وكان العلويون فى هذا النزاع على الأراضى المقدّسه هم الخصم الثالث الذى يأتى آخراً فيفوز بالغنيمه ، وكان الحسنيّون منهم يتمتّعون دائما حول المدينه بمال وجاه عظيم ، ولذلك استطاعوا أن يفتحوا مكه حوالى منتصف القرن الرابع

١- ابن الأثير ج٩ ص١٥۶ ١٥٧ ؛ النجوم الزاهره لابن تغرى بردى ، نشره W.Popper بكلفورنيا ص١٠٧ .

٢- نفس المصدر ص١١۴ .

٣- مروج الذهب ج١ ص٣۶٢ .

۴- والآن قد تغير هذا الموقف بعد إلغاء العثمانيين للخلافه منذ عام ١٩٢۴.(المترجم) .

الهجرى ، دون أن يعترض عليهم الطرفـان الآـخران ، وهما العباسـيّون والفاطميّون ونرى فى أواخر هـذا القرن فى البلاد المقدّسـه الحاله التى نراها اليوم. فالمـدينه هى مركز الحركه السياسـى وقد كانت العاصـمه السياسـيّه قديماً ومنها يسـير التيار السياسـى إلى مكّه ، وكذلك نجد الأشراف ساده الحرمين (١).

وفى هـذا العصـر نجـد مملكه الإسـلام تعود من الناحيه الجغرافيه إلى حـدودها الأولى ، وتفقد مملكاتها فى الغرب ، وكان البحر الأبيض المتوسط بعد عصـر شارلمان قد أصـبح بحراً عربيّاً ؛ واستطاع العباسيّون منذ أوائل القرن الرابع أن يحافظوا على حدودهم الغربيّـه مـن اعتـداء البـوزنطيين ، وكـانت أخبـار الانتصـارت تُقرأ مـن أعلى المنـابر ببغـداد. وفى عـام ٢٩٣ه ٩٠٤م أخـذ قرصان المسـلمين مـدينه سالونيقى ، ثانيه مـدن الـدوله البوزنطيه ، وهى مدينه كبيره محصَّنه بأسوار وحصون وأبراج ، وأسـروا من أهلها اثنين وعشرين ألفاً(٢).

غير أن زحف الروم بدأ سنه ٣١٤ه ٩٢٦م باستيلائهم على بمدينه ملطيّه(٣) .

وفى عام ٣٣١ه ٩٤٢م وافت جيوش الروم إلى ديـار بكر ، وبلغوا قرب نصـيبين ، وطلبوا من أهـل الرُّها أن يـدفعوا إليهم المنـديل الذى كان المسـيح عليه السـلام مسح به وجهه ، وصارت صوره وجهه فيه ، وذلك فى مقابل إطلاق عدد من أسـرى المسلمين ؛ وكوتب الخليفهُ المتَّقى فى ذلك فاستحضر الوجوه من أهل مملكته لأخذ رأيهم ، وقام جدال عظيم بينهم ، فذكر البعض أن هذا المنديل منذ

١- Snouck Hurgroie, Mekka ، وقد تغيّر الموقف اليوم فى الحجاز تغيّراً كبيراً . (المترجم) .

٢ - Joannes Cameniata, Corpus script. historiae byzant, Bonnae, S. ٤٩١, ٥٨٩ وكـان هـذا الموءلف إذ ذاك من بين الأسرى .

٣- مسكويه ج ٥ص ٢٤٩ .

الـدهر الطويـل فى كنيسه الرُّهـا ، لم يلتمسه ملـكٌ من ملوك الروم ، وأن فى دفعه إليهم غضـاضـةً على الأسـلام ، لأن المسـلمين أحق بمنديل عيسى عليه السلام ، وفيه صورته .

فقال على بن عيسـى ، وهو الوزير المُسِنّ إذ ذاك : إن خلاص المسلمين من الأسر، وإخراجهم من دار الكُفر ، مع ما يقاسونه من الضـنك والضرّ أوجب وأحق ، ووافقه جماعةٌ ممن حضر على قوله ، وسُلّم المنديل ألى الروم ، فحملوه إلى القسطنطينيه ، وخرج البطريرك وكبار رجال الدوله لاستقباله ، ومشى أهل الدوله بأجمعهم بين يديه بالشمع الكثير ، وحُمِل إلى الكنيسه العظمى أَجْيا صوفيـا ، ومنها إلى البلاط(١). ويشـكو المسـعودى « من ضـعف الإسـلام فى هذا الوقت وذهابه ، وظهور الروم على المسـلمين ، وفساد الحج ، وعدم الجهاد ، وانقطاع السبيل ، وفساد الطريق ، وانفراد كل رئيس وتغلُّبه على الصـقع الذى هو فيه ، كفعل ملوك الطوائـف بعـد مضـىّ الإسـكندر... ولـم يزل الإسـلام مسـتظهراً إلى هـذا الوقت ، فتـداعت دعـائمه ، وهى أُسُّه ، وهى سـنه اثنـتين وثلاثين وثلاثمائه ، فى خلافه أبى إسحاق إبراهيم المتّقى للّه أميرالموءمنين ، واللّه المستعان على ما نحن فيه »(٢).

١- تاريخ سـعيد بن الطريق ، يليه تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى مخطوط رقم ٢٩١ بالمكتبه الأهليّه بباريس ص ١٨٥ ب ، على أنّ الموءلف يشـير أحياناً إلى نسـخه مطبوعه لعلّها التى ذكرها بروكلمان فى ملحق كتابه : تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ٢٢٨ من طبعه ليـدن ١٩٣٧ ؛ وقـد وحّـدت الإشـاره فجعلتهـا كلهـا بحسـب مخطـوط بـاريس لصـعوبه الحصـول على النسـخه المطبـوعه . (المترجم) .

٢- مروج الذهب ج ٢ ص ٧٣ والتى تليها .

أما الإمبراطوريه البوزنطيه فقد أسعدها الحظ فى هذا القرن بثلاثه قواد ذوى كفايه نادره ، تعاقبوا على عرشها ، وهم نقفور فوكاس (Nikephoros Phokas) وزيمسكيس (Zimiskes) ، وباسيليوس (Basilios) .

وقد مكث آخرهم وأكفوءهم على رأسها خمساً وخمسين سنه . وفى سنه ٣٥٠ه ٩٦١م فتح نقفور جزيره أقريطيش بعد حصار دام ثمانيه أشهر(١) .

وكانت هذه الجزيره أكبر عش للقرصان المسلمين .

وبعد خمس سنين سقطت قبرص فى يد الروم ، فلم تعد للمسلمين السياده المطلقه التى كانت لهم فى البحر الأبيض المتوسط .

وفى سنه ٣٥١ه ٩٦٢م ورد نقفور حلب ، وفى سنه ٣٥٤ه ٩٦٥م فتحت مدينه المصيصه(٢)، وأخيراً وقعت طرسوس ، مع ماسُجِّل لأهلها من شجاعه ، وكانت أكبر حصن للإسلام فى وجه المغيرين عليه ؛ وقد أخذها الروم بعد أن عظُم بها الغلاء والوباء حتى بلغ الأمر بالناس إلى أكل الميته. وفى عام ٣٥٧ه ٩٦٨م فتح نقفور حماه وحمصا ، وأخذ من حمص رأس القديس يوحنا المعمدانى ، وكذلك فتح مدينه اللاذقيه. وفى الشتاء التالى سقطت مدينه أنطاكيه بعد أن كان يُخيّل للناس أنها لن تُغلَب(٣) .

ولما أعاد الروم فى سنه ٣٦٢ه ٩٧٢م على الرُّها ونواحيها وساروا فى ديار الجزيره حتى بلغوا نصيبين ودخلوا ديار بكر ، فغنموا استباحوا وقتلوا وسبوا وخرّبوا البلاد ، قصد بغدادَ من نجا من أهل تلك البلاد مُستَنفِرين ، واجتمع معهم

١- يحيى بن سعيد ص ٩٢ ب .

٢- نفس المصدر ص ٩٤ ب .

٣- نفس المصدر ص ٩٥ ب ؛ Michael Syrus, S. ٥٥١ .

أهلُ بغداد فى الجوامع ، وأصابهم جميعاً غضبُ اليائسين ، فكسّروا المنابر ، ومنعوا الخُطَب ، وقصدوا دار الخليفه ، فحاولوا الهجوم عليه ، واقتلعوا بعض شبابيك دار الخلافه ، وخاطبوا الخليفه بالتعنيف ، فرماهم الغلمان بالنشاب من الرواشن(١).

وقد اجتمع من استنفار العامه للغُزاه جمعٌ عظيم من العامّه والأجلاد يبلغ زهاء ستين ألفاً ؛ فطلب عزُّ الدوله بختيار بن بويه من الخليفه المطيع للّه أن يبعث له مالاً يخرجه للغُزاه ، فامتنع الخليفه بحجه أن الأموال لا تُجبى إليه ، فلا تلزمه النفقةُ على الغزاه ، وهدّد بالاعتزال ، وتردّدت الرسائل بينه وبين بختيار ، حتى بلغ الأمر التهديد ، فبذل المطيع أربعمائه ألف درهم ، واحتاج فى ذلك إلى بيع ثيابه وإنقاض داره من ساج ورصاص ، وشاع بين الحجّاج أن الخليفه قد صودر » .

ثم تحزَّب الغُزاه إلى سنّيين وشيعه ، ووثب بعضهم على بعض ، وأعرضوا عن ذكر الروم جانباً ، ولما قبض بختيار المال صرفه فى مصالحه ، وبطل حديث الغزاه(٢) .

وفى عام ٣٦٤ه ٩٧٤م فتحت بعلبك وبيروت ، واُخذت من بيروت صوره المسيح التى تنسب إليها الخوارق ، ونقلت إلى الكنيسه التى أسّسها زيمسكيس فى قصر البرنز بالقسطنطينيّه .

أما أهل دمشق فقد اضطروا إلى أن يفتدوا أنفسهم بدفع ستين ألف دينار ،

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٠ ب ١٠١، والمنتظم ص ١٠٤، وابن الأثير ج ٨ ص ٤٥٤ ٤٥٥ والنجوم الزاهره لأبى المحاسن بن تغرى بردى ، طبعه ليدن ١٨٥٥ ج ٢ ص ٤٣٥ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٣٨٦، ٣٨٩، ويحيى بن سعيد ص ١٠٠ب ١٠١، وابن الأثير ج ٨ ص ٤٥٦ ٤٥٥، وأبو المحاسن فى نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣٦ .

يحملونها للروم فى كل عام(١) .

أما فى جنوب المملكه الإسلاميه فقد حافظ المسلمون على الحدود التى كانت للرومان قديماً ، وصدّوا هجمات النوبه .

ويحدثنا المسعودى وهو بمصر فى عام ٣٣٢ه ٩٤٣م أن النوبه كانوا قد صولحوا منذ ولايه عبداللّه بن سعد على روءوس من السَبى معلومه ، وأن هذا السبى صار سنّه جاريه فى كل سنه إلى عهده ؛ ويدعى هذا السبى بأرض مصر والنوبه بالبَقط ، ويقبضه نائب أمير مصر المقيم ببلاد أسوان(٢) .

وفى عام ٣٤٥ه ٩٥٦م سار عسكر مصر وفتحوا مدينه أبريم ، وهى آخر حصون النوبه ممّا يلى مصر(٣) .

وفى أقصى الجنوب الغربى دخلت فى الإسلام مدينه أودغشت ، وهى المدينه التجاريه الكبرى فى غرب الصحراء الإفريقيه ، فصارت هذه المدينه أقصى نقطه للإمبراطوريه الإسلاميّه من ناحيه وسط إفريقيه(٤) .

على أنه إدا كان سلطان الإسلام كان ينحسر عن بلاد فى الغرب ، فقد كان يقابل ذلك تقدُّمُه المستمر فى الشرق .

ففى عام ٣١٣ه ٩٢٥م فتحت بلوخستان ، وكانت حتى ذلك الحين على

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٢ ب ، Jean Ebersolt, Le grand palais de Constantinople, Paris, ١٩١٠, p. ٢٢ .

٢- مروج الذهب ج ٣ ص ٤٠ ٣٩ .

٣- يحيى بن سعيد ص ٩١ ب ؛ وكتاب الخطط للمقريزى طبعه بولاق ١٢٧٠ه ج ١ ص ١٩٨ .

٤- وقد ذكر المهلبى الذى كتب فى عام ٣٧٠ه . أن ملك كوكو بالسودان كان يظاهر رعيته بالإسلام وأكثرهم يظاهر به (معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٣٢٩ من الطبعه الأوروبيه) ، ولكن البكرى وابن سعيد قالا فيما بعد إنهم وثنيون (انظر J. Marquart Beninsammlung, S. ×CVII) .

الوثنيه(١) .

وفى سنه ٣٤٩هـ ٩٦٠م أسلم من الأتراك نحوٌ من مائتى ألف خركاه(٢) : وعلى حين أنه فى أواخر القرن الثالث الهجرى كانت أسبيجاب(٣) آخر مدينه للمسلمين مما يلى الترك ، فإن دخول بغراخان فى سلك أمراء المسلمين جعل حدود المملكه الإسلاميّه تنتهى حدودها إلى كاشغر(٤).

وفى عام ٣٩٧هـ ١٠٠٦م كان أهل بلاد خُتَن مسلمين(٥) .

وفى ذلك الوقت شمَّر السلطان محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنه ، وأخضع بلاداً واسعه من بلاد الهند لسلطان الإسلام ، وكانت علامه الثقه عند ملوك الهند أنهم يقطعون أصابعهم ، « وكان عند السلطان محمود من أصابع من هادنه

١- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٩ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٠ ، وكتاب العيون ص ٢٦٩ .

٣- كتاب البلدان لليعقوبى طبعه ليدن ، ١٨٩١ ، ص٢٩٥ . وقد قال أحد الفرس المتأخرين إن أسبيجاب هى مدينه صيرم التى تقع على مسافه سبعه عشر كيلو متراً شرقى كُنكِنت ، وهذا يتفق مع تعيين ابن خرداذبه لمكانها ، وقد وافق على هذا أيضاً ليقى (Levih: Archaeological Journey to Turkestan, p. ٣٥) ، وجرينار : (JA, ١٩٠٠, t.١٥.s.٢٧, Grenard) Anm.٤ ؛ ولكن هذا غير محقق ، لأن السمعانى (المتوفى عام ٥٦٢هـ ١١٦٧م) ، وكان يعرف آسيا الوسطى جيداً ، يتكلّم عن أسبيجاب باعتبارها مدينه كبرى (انظر كتاب تقويم البلدان لأبى الفداء طبعه باريس ١٨٤٠ ص٤٩٤) ؛ ويصرح ياقوت فى معجم البلدان (ج١ ص٢٥٠) بأن أسبيجاب خربها التتر عام ٦١٦هـ ١٢١٩م ، ولكن الرحاله تشا وتشنج (Caucung) يحكى أنه فى نوفمبر سنه ١٢٢١م نزل بمدينه تسمى ساى لان : (انظر Bretschneider, Mediaeval Researches. ١, S. ٧٤) .

٤- المقدسى ص٦٤ .

٥- J. Marquart, Guwainis Beticht Uberdie Bekehrung der Uiguren, SBBA, ١٩١٢, S. ٤٩٦.

الكثير »(١) .

ولا نريـد أن نتعرض هنا للبحث فيما إذا كان انقسام دوله بنى للعباس دليلا من دلائل التـدهور ، إذا نظرنا فى هذه المسأله بمنظار هـذا العصـر الـذى نعيش فيه والـذى يحكم فى مثـل هـذه الأحوال على أساس الكمّ وعلى أساس ما يسـمونه بالوحـده ؛ على أننا نسـتطيع أن نقول إن الإمبراطوريات العالميه الكبرى ترتكز دائماً إما على شـخص زعيم عبقرى وإما بنوع خاص على وجود طائفه من أهل الخشونه والقوه الوحشيه ؛ ووجود هذه الإمبراطوريات على كلتا الحالتين وجود غير طبيعى .

على أننا لا نجـد فى مصـر على عهـد الإخشـيد وكافور والفاطميين ما يـدل على تأخرها ، بل هى قـد كانت منيعه الجانب ، وافره العـده ، عظيمه الخيرات ؛ وكـذلك يشـهد الرحالون بمناقب السامانيين وعـدلهم وشـريف أعمالهم وما كان لمملكتهم من عظمه ومَنَعه(٢) .

أما بغـداد فهى التى قـد تنكَّرت لها الأيام ، وذلك منذ عام ٣١٥ه ٩٢٧م حين أرهَجهـا العيّارون ، وعاثوا فيها فساداً ، وأعملوا فيها النهب(٣) لأول مره .

ثم صار أمرهم يتفاقم كلما ضـعفت الحكومه لأول مره ، وكانت أسوء أيّامها السنوات التى افلت فيها الزمام مين يد الحكومه فيما بين مقتل بحكم ودخول بنى بويه ، أى مابين عامى ٣٢٩ه و ٣٣٤ = ٩٤٠ ٩٤٥م ؛ وكأنما كان سقوط رأس القبه الخضراء التى فى قصر المنصور بمدينه السلام عام ٣٢٩ه ٩٤٠م إرهاصا

١- المنتظم ص ١٨١ ب .

٢- ابن حوقل ص ٣٤١ والصفحات التاليه .

٣- ابن الأثير ج٨ ص١٢٦ .

بأفول نجم بنى العباس ، وكانت تلك القبه «تاج بغداد وعلَم البلد» ؛ وكان ليله سقوطها مطرٌ عظيم ورعد وبرق شديد(١) .

وفى سنه ٣٣١ه ٩٤٢م استطاع ابن حمدى ، وهو لص ظهر ببغداد على رأس جماعه من أصحابه ؛ أن ينتهب أموال أهل بغداد ، وكان قد أعى السلطانَ أمرُه ، وخلع عليه ابنُ شيرزاد ، ووافقه على أن يصحِّح فى كل شهر خمسه عشر ألف دينار مما يسرقه هو وأصحابه ؛ فكان يستوفيها ويأخذ البراءات وروزات الجهبذ بما يوءديه أولاً فأولا.

وكان ابن شيرزاد فى ذلك الوقت كاتباً للقائد التركى المسمى توزون ، فكان أمرُ الحكومه فى يديه ، ومضى على الناس فى أيام ابن حمدى وقتٌ تحارسوا فيه بالبوقات فى الليل ، وامتنع عليهم النوم خوفا من كبسات هذا اللص وأصحابه(٢) .

وخلت المنازل ببغداد من أهلها ، وصاروا يطلبون من يسكن الدار بأجره يعطاها ليحفظها ، وأُغلقت عده حمامات ، وتعطلت أسواق ومساجد(٣) ، وأضيف إلى هذا ما كان بين السنيين والشيعه من نزاع دائم ، فكانوا يلقون النار بعضهم على بعض دائما .

وفى سنه ٣٦١ه ٩٧١م قامت بالكرخ فتنهٌ ، فأرسل الوزير حاجبه لقتال العامه ، وكان شديد العصبيه للسنّه ، فاضطر إلى إلقاء النار فى أماكن كثيره ليقضى على الفتنه ، فاحترق الكرخ حريقاً عظيما ، وكان عده من احترق فيه سبعه عشر ألف إنسان ، وثلاثمائه دكان ، وثلاثه وثلاثين مسجداً ، ومن الأموال مالا يُحصى .

١- المنتظم ص٦٧ ، وكتاب العيون ص١٩١ب .
٢- كتاب العيون ص٢٠٦ب .
٣- المنتظم ص٧٢ .

وبدأ الناس ينتقلون من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى ، ولا يزال هذا الجانب إلى اليوم أعمر وأكثر سكاناً(١) .

وفى عام ٣٣٢هـ ٩٧٢م تولى ابن شيرزاد القياده بعد موت توزون ، فأخذ فى المصادرات ، وقسَّط على العمال والكتاب والتجار وسائر الناس ببغداد مالاً لأرزاق الجند ، وكثرت الضرائب حتى تهارب الناس من بغداد وفسد الأمن ، وكثرت كبسات اللصوص ، حتى انهم دخلوا دار أحد القضاه ، فتسلق حائطاً لينجو منه ، فوقع ومات(٢) .

وفى هذا العصر يصف المقدسى بغداد فيقول إنها «كانت أحسن شىء للمسين ، وأجلّ بلد ، وفوق ما وصفنا ، حتى ضعُف أمر الخلافه ، فاختلّت ، وخفَّ أهلها ؛ فأما المدينه فخراب ، والجامع فيها يُعمر فى الجُمَع ، ثم يتخللَّها بعد ذلك الخراب ... وهى فى كل يوم إلى وراء ، وأخشى أنها تعود كسامرّا ، مع كثره الفساد والجهل والفسق وجور السلطان(٣) .

ويذكر الصابى عن جماعه من الناس أنهم فى عام ٣٩٢هـ ١٠٠١م شاهدوا صينيه الكرخ فيما بين طرفى الحذّائين والبزّازين ، والفواخت والعصافر تمشى فى أرضها انتصاف النهار ، وفى الوقت الذى جرت العاده بازدحام الناس فيه بهذا المكان ؛ وذلك لأن البلد كان قد خربَ ، وانتقلّ أهله عنه(٤) .

١- يحيى بن سعيد ص١٠٠ب ١٠١ ، وابن الأثير ج٨ ص٤٦٢ .
٢- كتاب العيون ص٢٢٩ب ٢٣٠ .
٣- المقدسى ص ١٢٠ .
٤- كتاب تحفه الأمراء فى تاريخ الوزراء لأبى الحسن الهلال بن المحسِّن بن ابراهيم الصابى ، نشره أمد روز ببيروت سنه ١٩٠٤ ، ص٤٣٩ .

ولأجل هذا نجد المقدسى يشيد بذكر مدينه الفسطاط بمصر ، ويقول إنها

«ناسخ بغداد ، ومفخر الإسلام ، ومتجر الأنام ، وأجلّ من مدينه السلام»(١) . ولقد ظلت عاصمه مصر منذ ذلك الحين أكبر مدن الإسلام .

١- المقدسى ص١٩٧ .

تعليقات الفصل الأول

[*۱] بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين والصلاه والسلام على أشرف خلقه وأكرم بريتّه محمد وآله أجمعين

هـذه نظرات وانتقادات وتوضـيحات مفيـده على كتاب الحضاره الاسـلاميه فى القرن الرابع هذا الكتاب على الجزء الأوّل ووجهه النظر فيها على النقاش مع الموءلف ومن يحـذو حـذوه فى عدم تلّقى الشـيعه لاسـيما الاماميّه إلاّ حزباً سياسـياً أو جماعه مشاغبين ليس لهم اصول مبيّنه ولاـ قواعـد محكمه وليس عنـدهم علمـاء متـدرّبون ولاـ يعتنى بـأقوالهم فيما يرتبط بالمسائل الاسـلاميه فى الكلام والفقه والتفسير فتعرضّت لخطأه بقدر ما يستدعيه المقام وأشرت إلى القواعد وبيّنت نظرهم فى كثير من المسائل .

وقـد يعرض طى كلاـم المصّـنف ما يحتاج إلى تنبيه تاريخى أو ترجمه عالم أو موءلف أو صاحب مقاله أو نقل أوثق ممّا اختاره المصنّف ومن اللّه استمد المعونه انّه ولّى التوفيق .

هم فرقه من المباركيّه (نسبه إلى المبارك مولى إسمعيل بن جعفر .

زعموا ان الامام بعد جعفر بن محمّد عليهماالسلام محمد بن اسمعيل بن جعفر) خالفوهم فقالوا لا يكون بعد النبيّ صلى الله عليه و آله الاّ سبعه أئمّه .

على بن أبى طـالب عليه السـلام . قـالوا وهو امام رسول والحسن والحسـين وعلى بن الحسـين ومحمـد بن على وجعفر بن محمّد عليهم السلام ومحّمد بن اسمعيل بن جعفر.

وهو الامام القائم المهدى وهو رسول وزعموا انقطاع الرساله عن النبى صلى الله عليه و آله فى اليوم الذى

أمر فیه بنصب علی بن ابی طالب علیه السلام للناس بغدیر خمّ وصارت فی علّی علیه السلام لقوله من کنت مولاه فعلیّ مولاه ، وهذا خروج من الرساله والنبوه وتسلیم منه لعلی علیه السلام ، وقالوا فی محمّد بن اسمعیل ، انّه حیّ لم یمت ، وانّه القائم ، ومعناه انّه یبعث بالرساله وبشریعه جدیده ینسخ بها شریعه محّمد صلی الله علیه و آله . وزعموا انّ اللّه تبارک وتعالی جعل لمحمّد بن اسماعیل جنّه آدم علیه السلام . ومعناها الاباحه للمحارم . وزعموا انّ لجمیع الأشیاء التّی فرضها اللّه علی عباده وسنّها نبیه صلی الله علیه و آله ظاهر وباطن وانّ النجاه فی العمل علی البطون . واستحلّوا استعراض النّاس بالسیف وقتلهم علی مذهب (بعض فرق الخوارج) فی قتل اهل القبله وأخذ أموالهم . ورأوا سبی النساء وقتل الأطفال وزعموا وجوب البدئه بقتل من قال بالامامه . ولیس علی أقوالهم خاصّه من قال بامامه موسی بن جعفر وولده من بعده (باختصار من فرق الشیعه للنوبختی ص ۷۱ إلی۷۶) .

وعن المفید قدس سره ان القرامطه أخلاف المبارکیه والمبارکیه سلفهم (البحار ۳۷/۱۰) وتعرّض فی تعلیقات بیان الأدیان للقرامطه وأورد بعض ما یشک فی صحته (ص ۴۳۸ ۴۴۴) ویشبه عقیدتهم فی قتال أهل القبله وحلّیه الأموال وسبی النساء والأطفال ما تعتقده الوهابیّه فی سایر المسلمین .

ممّن یستغیث بقبور الأنبیاء والأولیاء فعن الصنعانی (منهم فی تطهیر الاعتقاد) من فعل ذلک (أی الاستغاثه وأمثالها) لمخلوق فهذا شرک فی العباده وصار من تفعل له هذه الامور الهاً لعابدیه وصار الفاعل عابداً لذلک المخلوق وإن اقرّ باللّه وعبده .

وفی موضع آخر فمن رجع و اقّر حقن علیه دمه وماله وذراریه ومن اصرّ فقد أباح اللّه منه ما أباح رسول اللّه صلی الله علیه و آله من المشرکین . انتهی .

ولمّا دخلوا الطائف قتلوا الرّجال وأسروا النساء والأطفال وعن کتاب التوضیح سلیمان بن

عبداللّه بن محّمد ابن عبد الوهّاب انّه قال : واباح لأهل التّوحيد أموالهم ونسائهم وان يتّخذوهم عبيداً .

وعن تاريخ الأمير حيدر انّ الوهابيّين فی بعض حروبهم سبوا النساء وقتلوا الأطفال(۱) .

[*] ولقـد أخبر عن القرامطه(۲) أميرالمؤمنين عليه السـلام فی احـدی خطب الملاـحم (ينتحلون لنا الحبّ والهوی ويضـمرون لنا البغض والقلی وآيه ذلک قتلهم ورّاثنا وهجرهم احداثنا قال ابن أبی الحديد (۳) وصحّ ما اخبر به ، لأنّ القرامطه قلت من آل أبی طـالب عليه السـلام خلقـاً كثيراً وأسـماءهم مـذكوره فی كتـاب مقاتل الطالبيّين لأبی الفرج الاصـفهانی ومرّ أبو طاهر سـليمان بن الحسن الجنابی فی جيشه بالغریّ وبالحاير فلم يعرّج علی واحد منهما ولا وقف وفی هذا الخطبه وهو يشـير إلی الساريه التی كان يسـتند إليها فی مسـجد الكوفه كأنّی بالحجر الأسود منصوباً هاهنا ويحهم انّ فضـيلته ليست فی نفسه بل فی موضعه واسّه يمكث هاهنـا برهه ثمّ هاهنـا برهه (وأشـار إلی البحرين) ثمّ يعود إلی مـأواه وامّ مثواه ووقع الأـمر فی الحجر الأسود بموجب ما اخبر به عليه السلام) .

۱- كشف الارتياب فی أتباع محمّد بن عبدالوهّاب : ص۱۴۱ ۱۴۲ .
۲- بحارالأنوار ج ۴۰ ص ۱۹۱.
۳- بحار الأنوار ج۴ ص ۱۹۱ ، شـرح نهج البلاغه لابن أبی الحديد ج ۱۰ ص۱۳ ۱۴ ، اثبات الهداه ج۲ ص۵۰۵ ، سفينه البحار ، ج۲ ص۴۲۵

الفصل الثانی: الخلفاء

اشاره

لما ثَقُلت العلّه على الخليفه المكتفی فی عام ۲۹۵ه ۹۰۷م كان الوزير أبو أحمد العباس بن الحسن راكباً من داره يوماً ومعه ، كما جرت العاده ، أحد الكُتاب الأربعه الذين يتولّون الدواوين ؛ فشاوره فيمن يرَشَّح للخلافه بعد المكتفی ، وكان الوزير يميل إلى ابن المعتزّ، فأجابه الكاتب ، وهو أبوالحسن على بن محمد بن الفرات الذی صار وزيراً فيما بعد ، أنه يجب ألاّ يولّى فی هذا الأمر من عرف دار هذا ونعمهَ هذا وبستانَ هذا ، ومن لقی الناس ولقوه وعرف الأمور وحنَّكته التجارب ؛ فقال الوزير : صدقتَ واللّه يا أبا الحسن ، فمن نقلَّد ؟ فأشار ابن الفرات بتقليد جعفر بن المعتضد (الخليفه المقتدر) ، «فإنه صبیّ لا يدری أين هو ، وعامه سروره أن يُصرَف من المكتب » ، فمالت نفس الوزير[*] إلى ذلك وعمل على تقليد المقتدر ، وكان صبيا فی الثالثه عشره(۱) .

ونظراً لأن المقتدر كان صغيراً ، فقد كان انتخابه للخلافه انتخاباً غيرَ شرعی ، ولقد ذُبح أحد القضاه ، لأنه أطاع ضميره حين قالوا له : تبايع للمقتدر ، فقال : هو

۱- كتاب العيون ص۵۹ب ، وكتاب الوزراء ص۱۱۶ ۱۱۴ .

صبى ، ولا تجوز المبايعه له[(١)] .

ولكن الجماعه المنآمرين أخطأوا التقـدير ، فإن أمَّ المقتدر ، وهى أمُّ ولد روميه ، قبضت على زمام الأمر هى وأولياوءها بيد القوه والحزم ؛ فكانت تُولّى وتعزِل ، وحالت بين القوم وبين انتهاب ما فى بيت المال . ومما يدل على قوه عزيمتها وبعد نظرها طريقتُها فى العنايه بمراقبه ما كان يقروءه أبناوءها : يحدثنا الصولى أنه كان يوماً عند الراضـى ، يقرأ عليه شـيئاً من شـعر بشّار ، وبين يدى الراضـى كتبُ لغه وكتب أخبار ، أذجاء خدمٌ من خدم السـيده جدته ، وهى شغب أم المقتدر ، فأخذوا جميع ما بين أيديهما من الكتب ، فجعلوه فى منديل أبيض كان معهم ومضوا ؛ فوجم الراضى واغتاظ ، فسكّن منه أستاذُه ، وأفهمه أنهم أرادوا أَن يمتحنوا الكتب ، ولما مضت ساعتان أو نحو ذلك ردّوا الكتب بحالها ، فقال لهم الراضى : قولوا لمن أمركم بهذا : قد رأيت هذه الكتب ، وإنما هى حـديث وفقه وشـعر ولغه وأخبار وكتب العلماء ، ومن كمّله اللّه بالنظر فى مثلها ، وينفعه بها ، وليست من كتبكم التى تبالغون فيها مثل عجائب البحر وحديث سـندباد والسنّور والفأر ؛ فخاف الصولى أن يوءدّى الخدمُ قولَه ، فيقال : من كان عنده ؟ فيـذكرونه ، ويلحقه من ذلك مكروهٌ ، فقام إلى الخـدم ، فسألهم ألا يعيدوا قولَه ، فقالوا : واللّه مانحفظه ، فكيف نعيده[(٢)] ؟ وقد لبث المقتدر على عرش الخلافه زهاء خمسه وعشـرين عاماً ، تحت جناحى أُمِّه ، وقد خلع فى أثناء هذه المده مرتين ، فكان يثور عليه بعض قواده ويزيلونه عن سرير مُلكه يوماً أو يومين ، ثم يعود إليه ؛ ولم يخرج فى

١- صله تاريخ الطبرى لعريب بن سعيد القرطبى ، طبعه دى غوى ، ليدن ١٨٩٧ ص٢٨ .

٢- كتاب الأوراق للصولى ، مخطوط بالمكتبه الأهليه بباريس رقم ٤٨٣٦ ص٩٨ .

جيش ليقاتل إلامره واحده ، وقد قُتل فيها ؛ وذلك أن قوّاده طلبوا منه أن يخرج معهم لمحاربه موءنس ، فأبى ؛ وما زالوا به حتى خرج كارهاً ؛ وقد جَهِدَت به أُمُّه ألا يخرج ، وكشفت عن ثدييها ، وبكت ، ولكن غلب الفضاء ، فخرج وعليه البُرده[*] النبويه التى يتوارثها الخلفاء؛ ووافى أصحابُ موءنس فضربه رجلٌ منهم من خلفه ضربه سقط منها إلى الأرض ، فأضجعه ، وذبحه بالسيف ، وسُلبت ثيابه والبُرده فيها حتى سراويله ؛ وتُرك مكشوف العوره إلى أن مرّ به رجلٌ من الأكَرَه ، فستر عورته بحشيش ، وكان المقتدر رَبع القامه ، إلى القصر أقرب ، دُرّى اللون ، صغير العينين ، أحور ، حسن الوجه واللحيه أصهبهما(١) ؛ وكل ما يحكى عنه يدل على الهدوء وحب الخير وسلامه الصدر : كان الوزير أبوالحسن على بن عيسى يُطلِق فى كل شهر فى جمله نفقات المطبخ لثمن المسك نحو ثلاثمائه دينار ؛ وكان يوماً عند الخليفه فدار بينهما الحديث ؛ وعلم الوزير من سياق الكلام أن الخليفه لاـ يأكل طعاماً فيه مسك ، ولا يُطرح له من المسك إلا اليسير فى الخشكنانج ؛ ثم نهض الوزير ومشى للخروج ، فأمر المقتدر باللّه برده ، وقال له : أظنك تنصرف الساعةَ ، وتفتتح نظرك باحتضار المتولّى للمطبخ وموافقته على ما جرى بيننا فى أمر المسك ، وتُسقِطه ، فقال : كذلك هو يا أمير الموءمنين ! فضحك الخليفه وقال : أحب ألا تفعل ذلك ، فلعل هذه الدنانير تنصرف فى أقوات ونفقات قوم ، ولا أريد قطعَها عنهم(٢) ؛ وكان المقتدر كثير الشراب(٣) .

١– التنبيه والإشراف للمسعودى طبعه دى غوى سنه ١٨٩٤ ، ص ٣٧٦ ٣٧٧ ؛ ومكسويه ج٥ ص٣٧٩ ؛ وعريب ص١٧٦ والصفحات التاليه ؛ وكتاب العيون ص ١٣٠ .

٢– كتاب الوزراء ص٣٥٢ ٣٥٣ .

٣– تاريخ الإسلام للذهبى ؛ انظر المقدمه الإنجليزيه التى كتبها أمد روز لكتاب الوزراء المتقدم ، ص ١١ .

ثم انتُخب أخوه القاهرُ خليفةً بعده ؛ وكان القوم قد اتَّعظوا بحكم المقتدر ، فعيّنوا القاهر ، وقالوا : هو كهل ، ولا أُمَّ له ، فنرجو أن تستقيم أمورُنا معه(١). وكان القاهر أيضاً مربوعاً ، حسن الجسم ، أبيض ، تعلوه حمره ، أعين ، وافر اللحيه ، ألثغ(٢) .

وفى سنه ٣١٧ه‍ ٩٢٩ قامت ثوره قُصِد منها خلعُ المقتدر وتنصيب أخيه القاهر مكانه فأخمدت ، وحُمِل القاهر إلى أخيه فاستدناه ، وجعل يُهدِّى من روعه ، ويلتمس له العذرَ ، ويُبَرِّئه من إثم الموءامره ، وهو يقول : نفسى نفسى ، اللّه اللّه يا أميرالموءمنين ! يرجو أخاه أن يُبقى على حياته(٣) .

وكان القاهر أهوج ، شديد الإقدام على سفك الدماء ، محبا للمال ، قبيح السياسه ، قليل الرغبه فى اصطناع الرجال ، غير مفكر فى عواقب الأمور ؛ وكان مولعاً بالشراب ، لا يكاد يصحو من السكر ، وكان يسمع الغناء ، ومع ذلك حرّم على الناس الخمر والقيان(٤) .

ولكنه وُفّق إلى القضاء على موءنس القائد رغم ما كان لموءنس هذا من سلطان عظيم(٥) .

كما أنه وفّر كثيراً من المال ؛ ولما طُلب منه أن يشهد على نفسه بالخلع أبى أن

١- عريب ص ١٨١ .

٢- التنبيه للمسعودى ص ٣٨٨ ؛ وكتاب العيون ص١٤٢ب .

٣- كتاب العيون ص١٢٤ب .

٤- مكسوبه ، ج٥ ص ٢٤؛ التنبيه ص٣٨٨ ؛ عريب ١٨٥ .

٥- مكسويه ج٤ ص٤١٩ (؟) .

يحِلَّ الطالبين من بيعته ، فخُلع وسُملت عيناه ، ولم يسمَل قبله أحد من الخلفاء وملوك الإسلام(١) .

وسَـمل الأعين هذا عاده أخذها المسـلمون عن البوزنطيين ، ثم عاش القاهر بعد خلعه سبعه عشر عاماً فى دار الخلافه ؛ حتى نقله المستكفى منها ، وكان قد بلغ به الضرّ والفقر إلى أن كان مُلتَفًّا بقطن جُبَّه ، وفى رجله قبقاب خشب(٢) .

وقـد خرج فى يوم جمعه إلى جـامع المنصور وغطى وجهه ، ووقف فعرّف الناسَ نفسه وسألهم أن يتصـدَّقوا عليه ، فقام إليه أحد الهاشميين فأعطاه ألف درهم وردّه إلى داره .

ولما عُيِّنَ الراضى (٣٢٢ ٣٢٩ه = ٩٣٣ ٩٤٠م) ابن أخى القاهر خليفهَ كان له من العمر خمسةٌ وعشرون سنه .

وكان أسمر ، أعين ، دون الأقنى ، مسنون الوجه ، خفيف العارضين واللحيه ، دحداحاً نحيفاً(٣) .

وكان محبا للشـعر والإنشاد ، ومن أحسن الناس علماً بالشـعر ونقداً له ، كما ينقده العلماء ؛ وكان من أطبع ملوك بنى العباس فى الشعر ومن أكثرهم قولا له ؛ وقد ترك لنا من ذلك ديواناً مكتوباً .

وكان مولعاً بجمع البلّور حتى يقول الصولى : وما رأيت البلّور عند ملك أكثر منه عند الراضى ، ولا عمل مَلكٌ منه ما عمل ، ولا بذل فى أنمانه ما بذل ، حتى

١- التنبيه ص٣٨٨ .

٢- ابن الأثير ، ج٨ ص٣٣٢ ٣٣٣ .

٣- كتاب العيون ص١٨٤ب ، والتنبيه للمسعودى ص٣٨٨ .

اجتمع له من آلته ما لم يجتمع لملك قط(۱) .

وقد أُولع بهدم القصور فی دار الخلافه وبناء غيرها أو تصييرها بساتين(۲) .

وكان الراضـی سـمحاً ، عظيم العطاء ، واسع النفس ، ينفق ما وجـد ؛ ويحكی أنه دخل عليه جماعةٌ من الجلساء ، وهو يهدم شـيئاً ويبنی شـيئاً ، وكان جالساً على آجرّه حِيال الصـناع ، فأمرهم بالجلوس فی حضـرته ، فأخـذ كل واحـد منهم آجرّه فجلس عليها ؛ فلما قاموا أمر أن توزن آجُره كل واحد منهم ويدفع إليه وزنُها دراهم أو دنانير(۳) .

وكـان ابن الأنبـاری يتردد إلی أولاـد الراضـی ؛ ويحكی عنه أنه مضـی يومـاً إلى سوق النخاسـين ، وجـاريةٌ تُعرَض حسـنةٌ كاملةُ الوصف ، فوقعت فی قلبه ؛ ثم مضـی إلى دار أميرالموءمنين الراضی ، فقال له : أين كنت فعرّفه ، فأمر بشراء الجاريه له ، وحملها إلى منزله ؛ فلما جاء إليه وجدها هناك(۴) .

ولم يجد أصـحاب الراضـی فيه من العيب إلا أنه كان يوءثر لذته وشـهوته على رأيه ، وأنه كان ، رغم مرضه ، لا يحتمی ، وكان إذا وصف له أطباوءه شيئاً لا يستعمله ، وإذا أكل الشیء الضار لم يُعْلِمهم(۵) .

ومات وهو فی الثانيه والثلاثين من العمر(۶) .

۱- الأوراق للصولی ص۲۷ .

۲- المنتظم ص۵۱ .

۳- نفس المصدر ص۵۱ ب نقلا عن الصولی .

۴- المنتظم ص ۶۵ب .

۵- الأـوراق للصولی ص ۵۵ ، وكتـاب العيون ص ۱۸۲ ، ب ، نقلاـ عن ذُكاء ، مولی الراضـی ، وذلک من طريق الفرغانی الـذی كان ذكاء يحكی له بعض الحكايات . انظر مثلاً ص ۲۱۵ ۲۱۵ب .

۶- كتاب العيون ص ۱۸۴ .

وفی آخر علّته أخـذ فی قضاء دیونه ، وتقدّم بعمل المُغْتَسَل والتابوت ، واختار لنفسه ثیاباً لکفنه ، وعزلها فی سـفط ، وکتب رقعه فیها : هذه جهاز الآخره(۱) .

ولکن عهده لم یسـلَم من سفک الدماء ؛ فقد احتال علی الوزیر ابن مقله بعد ترکه الوزاره ، حتی قبض علیه وسجنه . وقبض علی جماعه من أهله وأقاربه ممن سـعی فی تقلید الأمر لنفسه وبایعه الناس علیه ، فمنهم من قتله ، ومنهم من ضربه وسجنه ، فمات فی سجنه ، ومنهم من استتر طول مدته(۲) .

ثم ارتقی عرشَ الخلافه بعده أخوه المتَّقی ، وهو فی السادسه والعشـرین من العمر ؛ وکان رَبعَهً دُرِّیٌّ اللون ، حسن الوجه ، أبیض ، أشهل ، مستدیر العینین ، مقرون الحاجبین ، قصیر الأنف ، فی شعره شُقْرَهٌ وجَعوده(۳) .

ولم یشـرب النبیـذ قـط ، وکان یتعبَّد ویصوم ، ولم یتخـذ جلساء له ، وکان یقول : المصـحف نـدیمی ولا أریـد جلیساً غیره(۴) ؛ ولکنه کـان رجلا لم یفارقه البوءس ، فلم یزل فیه إلی أن مات ؛ فمن ذلک أنه لما أریـد أن یعـذَر له ، وهو صـغیر ، عُمل له کلُّ شیء حسن ؛ فکـان فیمـا أعِـدَّ له عشـرُ وصائف للمِـذَبَّات وکیزان الماء ، وأُمِر بأن ینظِّفوهن ویزِّینوهن ، فأدخلوا قبل أن یُعْـذَر له بلیله . الحمَّام ، فسـقط علیهن ، فما أفلتت منهن واحده ، فکان هو یختَن وأولئک یدفَنَّ ؛ ویقال إنه منذ نشأ ما جُعل برسـمه خادم لحضانته إلا مات ، فکان الخدم إذا عُرضت خدمته علیهم استـعفوا ؛ وقد رکـب مع ابن رائق یوماً فی رحبه الجسر ، فاجتمع الناس یدعون له

۱– نفس المصدر ص ۱۸۳ .

۲– نفس المصدر ۱۶۱ب ، ۱۸۴ب ۱۸۵، وکتاب الأوراق ص ۱۴۹ ۱۴۸ .

۳– کتاب العیون ص ۲۲۱ ، وکتاب التنبیه ص ۳۹۷ ، والمنتظم ص ۶۶ب .

۴– المنتظم ص ۶۶ب .

وازدحموا للنظر إليه ، فانقطع الكرسى وسقطوا إلى دجله ، وهى زائده ، فهلك فى ذلك اليوم عالمٌ عظيم من الأولياء والنساء والصبيان(١) .

وظل البوءس حليفاً بعد ارتقائه العرش ، فهو أول خليفه ترك «مدينه السلام» خوفا وطلباً للنجاه ، ولحق بالحمدانيين ، وظل ينتقل معهم فى الجزيره ، وهم يهزَمون مره بعد أخرى ؛ وقد أشار عليه الإخشيد محمد بن طُغج ، بعد أن كتب إليه يستقدمه ، بأن يسير معه إلى مصر والشام ، ويكون بين يديه ، فلم يفعل(٢) .

وقد اطمأن إلى مواثيق القائد التركى توزون ، وأَمِن جانبه بعد أن استوثق منه مره بعد أخرى ؛ ولكن توزون غدر به لأجل ستمائه ألف دينار أخذها من أحد طالبى عرش الخلافه ، فقبض عليه وخلعه ، وأمر بإحضار الجاريه الشيرازيه حُسن ، فتولت سَمِلَه بيد غلامها السندى وعاش المتقى بعد خلعه أربعا وعشرين سنه ، ومات بداره(٣) .

ثم خلفه المستكفى بعد أن تآمر عليه مع توزون ، وسفرت بينهما حُسن الجاريه الشيرازيه ، فارتقى المستكفى عرشَ الخلافه بعار هذه الموءامره ، وكانت أمُّه أُمَّ ولدَ روميه تسمى غُصن(٤) .

وكان أبيض اللون ، صغير الفم ، حسن الوجه والجسم ، بديناً ، أعين ، طويل الأنف ، وافر اللحيه ، رَبعَه ، إلى الطول أقرب ، وقد وخطه الشيب(٥) ؛ ونادراً ما

١- كتاب العيون ص ٢٢٢ ب .

٢- ابن الأثير ج٨ ص٣٠٣ ٣٠٤ ، ٣١٢ ٣١٣ .

٣- كتاب العيون ص ٢٢٠ ، ويحيى بن سعيد ص٨٥ب ٨٦ .

٤- كتاب العيون ص ٢٢٣ب ، وكتاب التنبيه ص٣٩٨ .

٥- كتاب العيون ص ٢٣٩ب ، والتنبيه للمسعودى ص٣٩٩ .

كانت تقرّ عينه بمنصبه ، وهو بين امرأه جشعه رفعته بدسائسها إلى منصب الخلافه ، وبين الترك الذين أصبحوا ساده بغداد.

وأخيراً جاء بنو بُوَيه ، فكان أولُ ما طلبه أحمد بن بويه من المستكفى أن يستكتب ابنَ شيرزاد ؛ وكان المستكفى قد حلف ألا يتصرَّف ابنُ شيرزاد فى أيامه ودولته ؛ ولما ألحّ عليه ابنُ بويه أجابه إلى ما طلب على كُره منه ؛ قال ذكاء مولى الراضى : وكنت حاضراً ، فأجابه المستكفى على كُره منه ، ورأيت عينيه وقد تغرغرتا بالدموع ، لِعظم ما ورد عليه من سوءال ابن بويه(١) .

ولما جاءوا إليه ليخلعوه رضى أن يخلع نفسه ؛ ولكنه شرط عليهم أن يقطعوا شيئاً من أعضائه(٢) .

غير أن المطيع أخا المتقى هو الذى خلف المستكفى ، فأمر أن يُسمل انتقاماً لأخيه ؛ وطلب من يسمِله ، فلم يُقدِم على ذلك أحد إلا خادمُ صقلبى كان المستكفى قد استخدمه ، ثم وَجِد عليه فى بعض أوقاته فضربه مائتى سوط وحبسه ؛ فكان هذا الخادم حَنِقا عليه ، فقال للمطيع : أنا أكحله ، وقام بهذه المهمه(٣) .

أما الخلفاء المتأخرون فلم يكن لهم عمل بالفعل فى إداره الدوله ، فطال لذلك حكمهم ؛ فأما المطيع فإنه خلع نفسه غيرَ مُستَكرَهٍ ، وترك ولايه الخلافه لابنه الطائع ؛ وذلك أن المطيع كان قد ناله فالجٌ قديماً ، وكان يستره ؛ فظهر وتعذَّرت عليه الحركهُ .

١- كتاب العيون ص ٢٣٢ب .

٢- نفس المصدر ص ٢٣٨ب .

٣- نفس المصدر ص ٢٣٩ ب .

وثَقُل لسانه ، فترك ولايه الخلافه لابنه(١) .

ثم خُلع الطائع بعد ثمان عشره سنه من حكمه ، وقُبض عليه . واعتُقل عند الخليفه القادر مُكرَّما ، حتى مات بعد اثنتى عشره سنه(٢) ؛ ولا نعرف كثيراً عن هوءلاء الخلفاء ؛ فأما المطيع فكانت أمَّه أمَّ ولد صقلبيه ، وكانت أشهر منه ؛ وتعرف بالصفَّاره ؛ لأنها كانت تأخذ من ورق السوسن وغيره الشىء اليسير ، وتجعله فى فمها ، وتصفر به صفيراً لم يسمع بمثله ، تحكى به كل طائر أو غيره(٣) .

وأما الطائع فكانت عليه ملامحُ الجنس الشمالى ؛ فقد كان أبيض أشقر ، حسن الجسم شديد القوه ؛ ويحكى أنه كان فى دار الخلافه أَيلٌ عظيم يقتل بقرنه الدوابّ ، ولا يتمكن أحد من مقاومته ؛ فاحتمال الطائع حتى أمسك قرنيه بيديه ، فلم يقدر أن يخلِّصهما منه ؛ واستدعى النجار ، فركّب المنشارَ عليهما ، ولما بقيا على يسير قطعهما بيديه(٤) .

وكان القادر من أهل الستر والديانه وإدامه التهجّد بالليل وكثره البرّ والصدقات ؛ وكان يأخذ ثلثى الطعام الذى يُهيَّأُ لإفطاره ويقسمه بين جامعين كبيرين(٥) .

وكان يخضب لحيته الطويله الكثّه ، ويلبس زىّ العوام ، ويقصد الأماكن المعروفه بالبركه مثل قبر معروف الكرخى ، وتربه ابن بشّار ؛ وكان يتخَفَّى ويغيِّر

١- المنتظم ص ١٠٦ .

٢- نفس المصدر ص ١٣٠ ب، ١٤٩ .

٣- كتاب العيون ص ٢٤١ .

٤- كتاب المنتظم ١٠٦ .

٥- نفس المصدر ص ١٣٢ب .

زيّه ، ويخرج ليتعرف أحوال رعيته ؛ وكان صـحيح الاعتقاد ، ويحكى أنه صنَّف كتاباً فى الأصول على مذهب أصحاب الحديث ؛ وكان هذا الكتاب يقرأ كلَّ جمعه فى حلقه أصحاب الحديث بجامع المهدى ، ويحضر الناسُ سماعَه(۱) .

هـذه صوره لبعض خلفـاء بنى العبـاس أيام إدبار دولتهم ؛ وهى تخالف صوره خلفاء الفاطميين الـذين أخـذ نجمهم إذ ذاك فى الارتفاع . يـدّعى الفاطميون أن الإمامه أو الأفضـليه صـفهٌ خاصه تنتقل من الوالد إلى الولد ، فكفاهم ذلك من أول الأمر موءونه التنـازع على عرش الخلافـه ؛ ويضـاف إلى هـذا هـدوء السـياسه الحازمه وطمأنينتُها فى عهـدهم ؛ فمن أمثله ذلك أن والى الشام كتب مره إلى المعزّ لـدين اللّه (۳۴۱ ۳۶۵ ه = ۹۵۲ ۹۷۵م) مباشـره وتخطّى من دونه ، فمنع الخليفهُ من ذلك ، وأعاد الكتاب إلى الوالى من غير أن تُفَضّ أختـامُه . وكان العزيز (۳۶۵ ۳۸۶ ه = ۹۷۵ ۹۷۶م) أعظم هوءلاء الخلفاء ؛ وكان أسـمر ، طويلا ، أصهب الشـعر أزرق العينين كبيرهمـا ، عريض المنكبين ، عارفـاً بالخيـل والجوهر(۲) ، وكـان صـياداً جريئاً ماهراً ؛ وقـد ضـرب أول مثل للفروسـيه العربيه بمـا تنطوى عليه من العفو وكِبَر القلب ، وهى التى أثَّرت فيمـا بعـد تأثيراً كبيراً فى الغرب ؛ فقـد حـدث أن أحد القواد الأـتراك خرج على طـاعه جوهر عام ۳۶۵ه ۹۷۵م وهزم جوهراً ؛ فالتجأ هـذا إلى عسـقلان ، فأدركه التركى وحاصـره مده طويله حتى طلب الصلح ؛ فأجابه وعلّق التركى سيفاً مجرّداً على باب حصن عسقلان ، وخرج جوهر وأصحابه من تحت السيف ، ثم دخلوا إلى مصر ، فلم

۱- نفس المصدر ص ۱۳۲ ، وطبقات السبكى ، طبعه القاهره ، ج۳ ص۲ .

۲- ابن الأثير ج۹ ص۸۱ .

يرضَ العزيزُ بالصلح ، وسار بنفسه لمحاربه التركى ؛ فهزمه وأسره ، واستنقذه من بين يدى آسريه ، بعد أن كاد يموت ضرباً ولكماً ؛ وأمّنه على نفسه ، ودفع إليه خاتمه ؛ واستسقى التركى ماء ، فأمر العزيز بإحضار قدح شراب جلّاب ، فلما أتى بالقدح توقّف التركى على الشرب خوفاً من أن يكون فى القدح سمٌّ قاتل ؛ وتبيَّن العزيز ذلك ، فأخذ القدح وشرب منه ، ثم أعطاه ليشرب ؛ وأفرد له خيمه ، وتقدّم بأن يُحمل إليه جميعُ ما يحتاج إليه ، وحمله على دوابّه ، وأمره بالركوب على مركبه ؛ وسأله عن أناس ممن يأنسَ بهم ، فالتمس إحضار قوم من أصحابه ؛ فأتى إليه بهم من بين الأسارى ، ولما رجع العزيز إلى مصر تقدم إلى وجوه دولته وقواده وأمرائه بإكرام التركى وإجلاله(١) .

وأخيراً جاء الحاكم بأمرالله ، وهو الشخصيه النادره المتناقضه ؛ كان الحاكم رجلاً غريباً فى أطواره ؛ فمن ذلك أنه أقام سنين يجلس فى الشمع ليلاً ونهاراً ، ثم عنّ له أن يجلس فى الظلمه ، فجلس فيها مده(٢) .

وكان أحياناً يواصل الركوب ليلاً ونهاراً من غير فتور ولا سكون ؛ وكان يركب فى نفر من خاصته ليلاً ؛ فتقدّم أصحابُ الأعمال بمصر إلى التجار أن يوقدوا القناديل على حوانيتهم ودورهم ، وأن يبتاعوا بالليل ، فصارت الشوارع والأسواق فى الليل بمنزله النهار فى العماره(٣) .

وتقدّم بقتل سائر ما فى مصر من الكلاب إلاّ كلاب الصيد ، لأنها كانت تنبح

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٤ ب .
٢- ابن تغرى بردى ، طبعه كلفورنيا ص ٦٢ ٦٣ .
٣- يحيى بن سعيد ص ١١٥ .

بالليل إذا عبر الشوارع(۱) ، ولما اعتلّ وضعُف عن الركوب اتخذت له مِحَفَّةٌ يجلس فيها ويستلقى عليها ، ويحملها أربعه من رجاله ، ثم يدور الليل والنهار(۲) ؛ وفى مثل هذه الأحوال كان يأخذ الرقاع والمظالم بشرط ألا يكتب فيها إلا سطرٌ واحد على وجه واحد ، ويأمر صاحبَ الرقعه أن يأتى له من على يمينه ، وكان يأمرهم بالمصير إلى مكان يعينه لهم فى اليوم التالى ، وكان يضع توقيعاته وعطاياه فى كَمِّه ، ويعطيها لهم يداً بيد . وكان الحاكم ينفق ما استطاع ، ويجزل العطاء لرعيته ، «وأظهر من العدل ما لم يُسمع بمثله ، ولعمرى إن أهل مملكته لا يزالون فى أيامه آمنين على أموالهم غير مطمئنين على نقوسهم ، ولم تمتدّ يدُه قط إلى أخذ مال أحد ، بل كان له جود عظيم وعطايا جزيله »(۳) .

أما روءساء دولته فلم يكن أحد منهم آمناً على نفسه ؛ فكان يفاجئ أعز أصحابه ، ويثب عليه وثوبَ المجنون ؛ فمن أمثله ذلك أنه قَرَّب عَيناً الخادمَ الأسودَ ، ثم نَقَم عليه ، فقطع يده اليمنى ؛ ثم اختصّ به بعد ذلک أعظم اختصاص ، ولقّبه «قائد القواد ، وأستاذ الأستاذين» ، وكنّاه وقدّمه على سائر أهل دولته ، وكثر ميله إليه وشغفُه به ، وبعد مده تنكَّر له ، وقطع لسانه ؛ ثم أعقب ذلک بالزياده فى عطاياه بالإنعام عليه(۴) .

وسنتكلم فى غير هذا المقام عن مثل هذا التصرف الذى لا ضابط له فيما يتعلق بمعاملته لليهود وا لنصارى ، وعن زهده ورغبته فى الورع ؛ ذلک أنه فى

۱- نفس المصدر ص ۱۱۶ .
۲- نفس المصدر ص ۱۲۷ ب .
۳- نفس المصدر ص ۱۲۳ .
۴- نفس المصرد ص ۱۲۴ .

آخر الأمر ربّى شعره حتى طال على أكتافه ، وامتنع من تقصيصه ، ومن تقليم أظافره ، وغيّر الثياب الصوف البيضاء بملابس سوداء واستبدل بالعمامه الزرقاء عمامةً سوداء ، وصار يلبس الكسوه الواحده المده الطويله إلى أن تتلبّد بما ينالها ويتداولها من العرق الدائم ، ويعلوها من الغبار المتَّصل ؛ وواصل تدوير الصحارى والفيافى ؛ وقصد جبل المقطم حيث كان ينفرد بنفسه ؛ لذلك نجد العالم المسيحى يحيى بن سعيد ، يقول إن حاله صارت غير بعيده من حال بختنصر ملك بابل الذى صارت البرارى مأوى له كالوحوش ؛ وزادت أظافيره ، فأشبهت مخاليب العقاب ، وطال شعره كالأسد جزعاً على إبادته هيكل الرب الأورشليمى ، ولذلك أصاب يحيى حين شخّص مرض الحاكم بأنه صِنف من سوء المزاج اليابس المُمرِض فى دماغه أحدث له ضرباً من ضروب الماليخوليا وفساد الفكر ، فاحتاج فى مداواته منه إلى جلوسه فى دهن البنفسج وترطيبه به(١) .

١- يحيى بن سعيد ص ١٢٧ ب ١٢٨ .

تعلیقات الفصل الثانی

[*] هذا من الشواهد علی عمل الوزیر وأمثاله حسب رأیهم ومصلحه أنفسهم ولا اعتناء لهم بالخلیفه ولیس لمسحاته طین عندهم .

فقد ذکر المسعودی وصیه المکتفی بالعهد إلی أخیه جعفر واشهاد القاضی محمّد بن یوسف وعبداللّه بن علی بن أبی الشوراب علی ذلک(۱) .

[*] البرده(۲) هی التی خلعها النّبی صلی الله علیه و آله علی کعب بن زهیر بن أبی سلمی الشاعر

المشهور حین تاب وجاء إلی النّبی صلی الله علیه و آله بالمدینه وسلّم نفسه إلیه ومدحه بقصیدته المشهوره التی مطلعها بانت سعاد فقلبی الیوم مبتول . واشتراها من أهل کعب معاویه بن أبی سفیان بأربعین ألف درهم . (فی المجالس ۴۰۰۰) وتوارثها الخلفاء الامویّون والعباسیّون .

وعن أبی الفداء انّها انتقلت من العباسیّین إلی التتر لکنّها الیوم فی جمله المخلّفات النبویّه فی السرای القدیمه فی الآستانه واستنظهر جرجی زیدان أنّ العباسیّین حملوا البرده معهم إلی مصر فأخذها السلطان سلیم مع الخلافه .

ویشکّ المحشّی فی کون البرده الّتی کان سلاطین آل عثمان یحتفظون بها هی برده

۱- مروج الذهب: ج۴، ص ۲۹۱.

۲- تاریخ التمدن الاسلامی: ج ۱، ص۱۳۷.

الرسول صلى الله عليه و آله (۱) وقال المسعودى ولما قتل عامر بن اسماعيل خادم مروان وأراد الكنيسه الّتى فيها بنات مروان ونسائه إذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن فأخذوه فسئل عن أمره فقال : أمرنى مروان إذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلونى ، فانكّم واللّه إن قتلتمونى ليفقدن ميراث رسول اللّه صلى الله عليه و آله الى فأخرجهم من القريه إلى موضع رمل ، فقال اكشفوا هنا ، فكشفوا . فاذا البرد والقضيب ومخصر قد دفنها مروان لئلاّ تصير إلى بنى هاشم فوجّه بها عامر بن اسماعيل إلى عبداللّه بن على . فوجّه بها عبداللّه إلى أبى العباس السّفاح فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس إلى أيام المقتدر .

فيقال : إنّ البرد كان عليه يوم مقتله ، ولست أدرى اكلّ ذلك باقٍ مع المتّقى للّه إلى هذا الوقت (وهو سنه ۳۳۲) فى نزوله الرقّه أم قد ضيع ذلك . وكعب(۲) هذا عدّه القاضى نور اللّه نوّر اللّه مرقده من شيعه أميرالموءمنين عليه السلام وذكر عن السيد المرتضى له فى مدح أميرالموءمنين عليه السلام هذين البيتين أوردهما فى الذريعه :

صهر النّبى وخيرالنّاس كلّهم فكّل من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصلاه مع الامّى أولّهم قبل العباد وربّ الناسّ مكفور(۳)

وللنبى صلى الله عليه و آله برد آخر نازع فيه وفى سيفه وترسه العباس علياً عليه السلام إلى أبى بكر وروى ابوبكر للعبّاس قول النّبى صلى الله عليه و آله : أيكّم يوازرنى فيكون وصيى وخليفتى فى أهلى وينجز موعدى ويقضى دينى .

فقال له العباّس : فما أقعدك مجلسك هذا تقدمّت عليه وتأمرّت عليه .

فقال ابوبكر اغدراً يا بنى عبدالمطلّب .

۱- مروج الذهب : ج ۳، ص ۱۶۱ ۲۶۲ .
۲- مجالس الموءمنين : ج ۲ ، ص ۴۹۱ ۴۹۲ .
۳- بحار الأنوار ج ۳۸ ص ۴۰۳ عن مناقب عن ابن عبد ربّه فى العقد .

الفصل الثالث: الأمراء

اشاره

بهذا الاسم کان یسمَّی وُلاه البلاد وکذلک أبناء بیت الخلافه إلّا کافوراً بمصر ، فإنه امتنع من التسمِّی بالإماره ، ورأی تواضعاً أن یجری علی رسمه فی المخاطبه بالأستاذیه(۱) .

أما لقب «أمیر الأمراء» فی بلاط الخلافه فلا شأن له فی الأصل بولایه الحکم ؛ فهو لا یعدو أن یکون لقباً لأکبر رجل بیده الأمر ، کما أن «وزیر الوزراء» لقبٌ لأکبر الوزراء ؛ وقد کان موءنس القائد صاحب الجیش یحمل لقب أمیر الأمراء ، وإن لم یکن یشعر فی نفسه بأنه یلی حکم ولایه ما .

ولم یکن لأمراء المملکه الإسلامیه علامهٌ تمیّزهم من الجهه الرسمیه ؛ فکان یدعی لهم فی کل جهه مع الدعاء لحاکمها ، وذلک بعد الدعاء للخلیفه .

أما فی العراق فقط حیث کان أمیرالموءمنین هو الذی یدبر أمورها بنفسه من

۱- یحیی بن سعید ص ۹۵ . کان لقب الأستاذ فی المشرق لقباً للوزراء ؛ فکان ابن العمید یلقب بذلکِ (مکسویه ج ۶ ص ۲۱۹ ۲۲۰) ، وکان یلقب به غیر ابن العمید (ابن تغری بردی طبعه کلیفورنیا ص ۳۴) ، والیوم یطلق هذا الاسم فی القاهره علی الحوذی . (ولکن الواقع أن لفظ الأستاذ الیوم یطلق علی المدرس بوجه عام وعلی المثقف أیضاً ، وإن کان العامه لا یزالون یستعملونه فیما یتعلق بالشیخ المتزیی بزی المشایخ) . (المترجم) .

غير والٍ فكان لا يـذكر أحـدٌ مع الخليفه فى الخطبه ، لأن ذلك كان يشـعر بشـىء من الانتقاص لمنصب الخليفه ، وقد حدث أن اسندت الحجبه ورئاسه الجيش لمحمد بن ياقوت فى عام ٣٢٣ه ٩٣٤م فأدخل يده فى تدبير كل شىء ، ونظر فيما ينظر فيه الوزير ، وطالب أصـحاب الـدواوين بحضور مجلسه ، وألا يقبلوا توقيعاً فى سائر الأحوال إلا بعد أن يوقّع فيه بخطه ، واضـطر الوزير إلى أن يحضر مجلسه ، وصار كالمتعطّل ملازماً لمنزله لا يعمل شيئا(١) ؛ ولكن لما دعا الأئمه له فى الجانب الشرقى والغربى ببغداد ، بعد دعائهم للخليفه الراضى ، وقرَظوه أنكر الراضى ذلك ، وأمر أن يقلّد مكان الأئمه جميعا أئمةٌ من بنى العباس(٢) .

غير آن الراضـى اضطر فى العام التالى أن يرضى بذكر ابن رائق بعده فى الخطبه ، ومعنى هذا أنه اعترف بأمير دونه فى العراق(٣) .

وكان بنو حمدان ، من بين سائر أمراء البلاد أسوأ من يمثل خصال البدو ومن

١- مكسويه ج ٥ ص ٤٧٣ ٤٧٤ .

٢- الأوراق للصولى ص ٨٣ .

٣- كان لقب السلطان لا يطلق فى ذلك الوقت إلا على الخليفه ، وكان يقال دار السلطان ببغداد أى دار الخليفه ؛ أما ما يقوله ابن خلـدون (كتاب العبر طبعه بولاق ج ٣ ص ٤٢٠) من أن معز الدوله ملك بغداد واختص باسم السـلطان فهو غير صـحيح . ويقول أبوالمحاسن الموءلف المصـرى المتأخر (النجوم الزاهره ، ليدن ج ٢ ص ٢٥٢) إن فرعون لقب ملك مصر قديما والسلطان لقبهم حديثاً ، وكذلك يرى الظاهرى (من علماء القرن التاسع الهجرى) أن الحاكم الوحيد الذى يسـمى السلطان بحق هو حاكم مصر . وهذا يتفق مع ما جرى عليه الأوروبيون فى العصور الوسـطى من استعمال كلمه سلطان دائماً فيما يتعلق بمصر . ويظهر أن الحكام المتأخرين ببغداد لم تكن تقام لهم الدعوه بعد الخليفه فى الصـلاه ، حتى أكرم عضد الدوله بهذا الشـرف عام ٣٦٨ه ٩٧٩م ، وهو ما اختص به «دون من مضى من الملوك على قديم الأيام وحديثها» (مسكويه ج ٦ ص ٤٩٩ ٥٠٠) .

أمثله طباعهم البدويه أنه لما التقى عليّ بن عبداللّه بن حمدان مع المتقى وابن رائق فى الموصل نزل المتقى دارَ ابن فهد الموصلى ، ونزل ابن رائق فى دار بالقرب منه ؛ أما على بن حمدان ، فإنه نزل بدير الأعلى فى خيمه أقامها .

وكان عليّ هذا قد أنس بابن رائق ، وكان يدعوه للشراب ، فكان إذا عمل الشراب فيه وصف نفسه بالشهامه والرجوله وازدرى بنى حمدان وقال لعلى : وأى شيء تَشْوون أنتم ، وأى يوم كان لكم ، وهل أنتم إلا أعراب ! ؟(۱) .

وسنتكلم فى غير هذا المقام عن سوء سيره الحمدانيين فى الحكم ونهبهم أموال الرعيه وأملاكهم ، وجورهم على الزراع وعداوتهم للعماره وللأشجار ، وتخريبهم ، ونقضهم الدائم للعهود التى يقطعونها ؛ ومن أمثله غدرهم أن الحسين بن حمدان ، وهو رأس أسرتهم ، قتل العباس بن الحسن الوزير فى عام ۲۹۶ه ۹۰۸ م ، وهو راكب يوما إلى بستانه ؛ وذلك أنه أعرضه وعلاه بالسيف ، فقتله(۲) ؛ وكذلك فعل ناصرُ الدوله أبو محمد بن حمدان بابن رائق ، فقتله وهو ضيفٌ عنده فى خيمته قتل غدر وخيانه(۳) .

وكان النزاع وعدم رعايه حقوق الطاعه سائدين فى بيت بنى حمدان ، ولاسيما فى فرعهم بالجزيره(۴) . وكذلك كان الحال فى فرعهم بالشام حيث قتل أبوالمعالى بن سيف الدوله بن حمدان خالَه أبافراس ؛ فقد لحقه وقتله رغم

۱- كتاب العيون ص ۱۹۳ب ۱۹۴ .

۲- نفس المصدر ص ۶۱ ب .

۳- مسكويه ج ۶ ص ۶۰ ۶۱ وكتاب العيون ص ۱۹۸ ب .

۴- انظر مثلا مسكويه ج ۶ ص ۲۲۴ لترى ما كان يقع بين ناصر الدوله وبين أولاده .

استئمانه ، ثم أخذ رأسه وترك جثته فى البريَّه(١) .

ولم يظهر أحدٌ من الحمدانيين بشىء من الفروسيه والأعمال العظيمه إلا سيف الدوله . على أننا نلاحظ أنه كان فى حربه مع الروم يقع دائماً فى نفس الفخّ ، ولذلك يقول أبوالفداء : «وكان سيف الدوله مُعجَبا بنفسه ، يحب أن يستبدّ ، ولا يشاور أحداً ، لئلا يُقال إنه أصاب برأى غير»(٢) .

وكثيراً ما صبّ القائدان التركيان ، توزون ويجكم ، على رأس الهزائم .

وكذلك يرجع أصلُ البريديين إلى الدوله الإسلاميه الأولى ، فقد كانوا حكاماً للعراق زماناً طويلاً ، وكانوا فى أول أمرهم كتاباً أصحاب دراريع(٣) .

أكثرمما كانوا قوَّادا . ومع هذا فقد خاضوا غمار كثير من المواقع وقاتلوا قتال البواسل ؛ ولكنهم من قصر النظر والجشع لم ينزلوا لبنى حمدان عن شىء .

وقد بدأ عهد الفساد الحقيقى ببغداد عام ٣٣٠ه ٩٤١م، وهو العام الذى فتح فيه البريدىُّ بغداد وفرّ فيه الخليفه إلى الموصل ؛ وذلك أن البريدى ظلم الناس ظلمَه المعروف ، وافتتح الخراج فى آزار وخبط أصحاب الأراضى وخبط أهلَ الدمه ووظّف على كل كرّ من الحنطه سبعين درهما ، وأخذ جزءا من مأل التجار غصبا(٤) .

وفرّ آخر البريديين إلى القرامطه فى جنوب جزيره العرب ، ولكنه بعد ذلك

١- ابن الأثير ج ٨ ص ٤٣٤، وانظر ما حكاه ابن خلكان نقلًا عن ثابت بن سنان (الوفيات طبعه ١٢٩٩ ه ، ج١ ص ١٥٩) وانظر Dvorak : Abu Firas, Leiden, ١٨٩٥, S.I١٤ ff.

٢- تاريخ أبى الفداء ج٢ ص٤٦٨ تحت عام ٣٤٩ه .

٣- مسكويه ج ٥ ص ٥٦٥ .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٥٨ ، وكتاب العيون ص ١٩٣ .

كتب إلى معز الدوله يلتمس الأمان ليصير إلى حضرته ، فأعطاه من التوثقه ما أحب ، فوافاه وقَبّل الأرض بين يديه ؛ وأكرمه معزُّ الدوله ، وأقطعه الضياع ، ورسمه بمنادمته(١) .

ولو أننا قارنا بين هوءلاء الأمراء الـذين يقترن حكمهم بالنهب وبين القواد الذين جاءوا من الشـمال وأقاموا ملكهم فى داخل بلاد الإسـلام ، لوجـدنا أن هوءلاء الأخيرين أحسن سـيره فى الحكم وأشـبه بآباء لرعيتهم . ومنهم السامانيون الـذين أرادوا أن ينشـئوا بينهم وبين الفرس نسبا ، وأن يُرجعوا أصلهم لملوك بنى ساسان .

وقـد بلغـوا أوج عزتهم فى أواخر القرن الثـالث الهجرى حيث كـانت بلاـد مـا وراء النهر والجبـل وأيران كلهـا إلى كرمـان تحت سلطانهم ؛ بل كان فى داخل حدود دولتهم الكبيره ولا ياتُ تكاد تكون مسـتقله ، مثل لبلاد سجسـتان التى يحكمها بنو الصفّار ؛ وهوءلاـء وإن كانوا يخطبون لصاحب بخارى فلم يكن له عليهم إلاّ حملُ أموال وهـدايا ؛ بل اضـطر السامانيون نظراً لسـعه أرجاء دولتهم إلى إنشاء ما يشـبه منصب «نائب الملك» ، فكانوا هم مثلاً يقيمون فى بخارى على حين أن صاحب جيشهم كان يقيم فى نيسابور التى جعلها الظاهريون قصبه خراسان .

أما عن حكمهم فالمقدسـى يمتـدح سـيرتهم فى الحكم ، ويقول إنهم من أحسن الملوك سـيره ونظراً وإجلالاً للعلم وأهله ؛ فقد كان من رسومهم مثلاً أنهم لا يكلِّفون أهل العلم تقبيل الأرض بين أيديهم ، ويذكر المقدسى أن فى أمثال الناس : «لو أن شجره خرجت على آل سامان ليبست » ، ويقول : ألا ترى إلى

١– مسكويه ج ٦ ص ١٥٤، وكتاب العيون ص ٢٤٧ب .

عضـد الـدوله وتجبُّره وتمكُّنه ، وكمـال دولته ، وقوه أمره ! قـد فُتِحت له البلاد طوعـا ، ومَلك ما ملك ، فلما تعرَّض لآل سامان وطلب خراسان أهلكه اللّه ، وشتّت جمعه ، وفرّق جيوشه ، ومكّن أعداءه من ممالكه ، فتباً لمن عائد آل سامان(١).

ولعل هـذا الإِطراء من جانب المقدسى كان لأسـباب شخصـيه ؛ فالحقيقه أن الـديلم أخذوا من السامانيين إيران كلها ، وإن كان ذلك لم يتم لهم إلاّ بعـد نضال طويل ، حتى كان سـبكتكين قائد معزّ الدوله ببغداد يضـطر إلى الإسـراع للرى فى كل عام تقريبا لمعاونه أخى معز الدوله فى محاربته للسامانيين ؛ ولم يمض أكثر من عشـرين سنه على مبالغه المقدسى فى مدح آل سامان حتى اجتـاح الترك دولتهم من الشـمال والجنوب ، وقُتـل آخر ملوكهم هاربـاً . على أن ملوك السامـانيين كانوا دائما يظهرون ولاءهم للخليفه فى بغـداد وتعلُّقَهم به ، وكـانوا دائمـا يبعثون إليه الهـدايا ، بل نجـد أحمـد بن إسـماعيل يرسل فى سـنه ٣٠١ه ٩١٣م إلى الخليفه ببغداد شيخاً يستحمد إليه ما فعله من ردّ غاره الترك على المسلمين وقَتلَه كثيراً منهم ، ويخطب إليه شرطه بغداد ، بعد أن خلا منصب صاحب الشرطَه بوفاه من كان يشغله من بنى طاهر(٢) ؛ وكذلك نجد نصراً السامانى يرسل للخليفه عام ٣٣٠ه ٩٤١م هديه كبيره ، ومعها رأس أحد ثوّار الديلم ، فكأن نصراً قد رضى أن يضع نفسه فى موضع والٍ من ولاه الخليفه(٣) .

وكان المستقبل للشعوب التى تسكن جبال الألب الآسيويه فى شمال فارس ،

١- مقدسى ص ٣٣٧ ٣٣٩ .

٢- عريب ص ٤٣ .

٣- كتاب العيون ص ١٩١ب .

والتى كانت حتى ذلك الحين بمثابه قوّاد مدَّخرين لوقت يظهرون فيه . وقد استطاعوا أن يخضعوا لحكمهم بلاداً أوسع كثيراً من البلاد التى أخضعها نظراوءهم السويسريون الذين يسكنون جبال الإلب الأوربيه حين بلغوا ذروه قوّتهم ؛ وكان القائد مرداويج الديلمى أكبر من استرعى نظر الموءرخين من بين قواد الجبل الذين حكموا إيران الغربيه بعد موت يوسف بن أبى الساج .

ولم يكن الإسلام عميقاً فى قلب هذا القائد ، فقد فعل بأبناء المسلمين وبناتهم فعل الكفار ، فأعمل فيهم السَبى ، حتى قيل إنه تملك من الغلمان والجوارى فى قول المقل خمسين ألفاً ، وفى قول المُكثِر مائه ألف ؛ وأعمل السيف والنار فى أهل همدان كأنهم كافرون(١) ؛ حتى إن أهل فارس شغبوا فى سنه ٣٢٠ه ٩٣٢م أمام دار الخليفه ببغداد واعترضوا على فرض الحكومه للضرائب فى حين أنها لا تقف إلى جانب المسلمين لتحميهم .

وبعث مرداويج بقائد من قواده إلى مدينه الدينور ، فدخلها بالسيف ، وقتل من أهلها آلافاً كثيره ؛ «فخرج إليه فى مستورى أهل البلد وصوفيتها وزهادها رجلٌ يقال له ابن مشاده وبيده مصحف قد نشره ، فقال للقائد : اتق اللّه ، وارفع السيف عن هوءلاء المسلمين ، فلا ذنب لهم ولا جنايه يستحقون بها ما قد نزل بهم ، فأمر بأخذ المصحف من يده فضُرب به وجهُه ، ثم أمر به فذُبح»(٢) .

كان مرداويج رجلًا متفائلًا عريض الآمال والمشروعات ؛ فقد زعم أن يردّ

١- مروج الذهب ج ٩ ص ٢٣ وما بعدها .

٢- نفس المصدر ج ٩ ص ٢٤ ٢٥ .

دوله العجم ويبطل دوله العرب(١) ؛ وسأل عن تيجان الفرس وهيئتها ، فمُثلَت له ، فاختار صفه تاج كسرى ، فُعمِل له تاجٌ من الذهب جُمعت فيه أنواع الجواهر ، وضُرب له سريرٌ من الذهب رُصِّع بالجواهر ، فجلس عليه ، وجعل عليه منصَّةً عظيمه ، وجعل أمامه سريراً من الفضه عليه فرش مبسوط ، ودون ذلك كراسى مذهَّبه ليرتِّب أصحاب الأفدار مراتبَهم فى الإجلاس ؛ وكان ينوى قصد بغداد وتشعيث الدوله ؛ وكتب إلى عامل له أن يعِدّ له إيوان كسرى منزلا ، ويعمره كهيئته قبل الإسلام . وقد طاف به بعض شياطين الدهاه فزخرفوا له صوره ملك سيظهر ، وتُجبَى له كنوز الأرض ، فمال إلى ذلك ، وأظهر أنه ذلك الملك الذى يملك الأرض فأراد أن يسير إلى مدينه السلام ويقبض على الخليفه ويولّى أصحابه مدن الإسلام بأسرها فى شرق الأرض وغربها ، مما فى يد ولد العباس وغيرهم ؛ واسترسل فى مثل هذا الخيال(٢) ؛ وكان جنوده يخشون سطوته وغدره وكبرياءه .

ولما حضرت ليله الوقود فى أصفهان (انظر فصل الأعياد) جُمِعت الأحطاب من الجبال والنواحى البعيده ، وأُعدت الشموع العظام ، وعُمِل بمجلسه الخاص تماثيلُ وأساطين كبيره من الشمع ، وحُشِد على رؤوس الجبال واليفاعات ما لم تِجرِ العاده بمثله ؛ فلما خرج وطاف بذلك استحقره كله واستصغره ، «قال وذلك لأجل سعه الصحراء ، ولان البصر إذا امتد فى فضاء واسع ثم انقلب عنه إلى هذه الأشياء المصنوعه استحقرها . وإن كانت عظيمه » ، واغتاظ وسكت ودخل إلى خيمته واضطجع والتف بكسائه ، وحوّل وجهه إلى خلاف الباب لئلا يكلمه أحد ؛

١- الأوراق للصولى ص ٨١، ومسكويه ج ۵ ص ۴۸۸ .
٢- مروج الذهب ج ۹ ص ٢٧ ؛ ومكسويه ج ۵ ص ۴۸۹ ۴۹۰ .

ولم يجسر القواد والأمراء على مخاطبته ؛ ثم أقنعه الوزير بعد كدّ أن يظهر للناس ، فركب كارهاً متحاملاً بعد لجاج وإباء ؛ فطاف مغضبا مغتاظا ، وانصرف إلى موضعه ، ولزم حالته الأولى(١) .

وكان له أربعه آلاف من المماليك الأتراك(٢) إلى جانب خمسين ألفاً من الديلم ، وقد استخلص من هوءلاء الأتراك نفراً اختص بهم ، فَوَجِد الديلم من ذلك(٣) .

ورغم أنه كان يوءثر الغلمان الأتراك فقد اتفق يوما أن شَغَبت دوابُّهم ، وارتفعت أصواتها وأصوات من يزجرها ، فانتبه مرداويج مذعوراً على هذه الأصوات الهائله المنكره ، فأمر أن تُحَطّ السروج عن الدواب ، وتُجعل على ظهور الغلمان الأتراك مع جميع آلتها ، وأن يقودوا الدوابَّ بأنفسهم من أرسانها إلى الإصطبلات ؛ وكانت الصوره قبيحه ، وقد حَقِد عليه الغلمان لذلك ثم اتفقوا على الفتك به ، فهجموا عليه وهو فى الحمّام وقتلوه(٤) . وقد استطاع أخوه وشمكير وابنه قابوس أن يحتفظا بإماره صغيره فى أقصى الشمال من إيران ؛ ثم آل ميراثهم إلى بنى بُوَيه ، وهم قواد مرتزقه من بلاد الجبل بفارس .

وكان بنو بُوَيه بعيدين عن الثقافه العربيه ، حتى إن معز الدوله لما جاء إلى بغداد ومَلَكها احتاج إلى من يترجم له كلام الوزير على بن عيسى(٥) ؛ وقد رفع

١- مسكويه ج ٥ ص ٣٧٩ ٤٨٢ .
٢- مروج الذهب ج ٩ ص ٢٦ ، ٢٨ .
٣- الأوراق للصولى ص ٨٠ ٨١ .
٤- مسكويه ج ٥ ص ٤٨٢ ٤٨٥ .
٥- تاريخ الهمذانى مخطوط رقم ١٤٦٩ بباريس ص ١٠٠ب والمقدمه الإنجليزيه لكتاب الوزراء ص ٧ .

بنو بويه أنفسهم بالدهاء والمكر والمهاره الجنديه ؛ وكانوا لا يترددون ولا يخجلون من ترك خدمه قائد إلى خدمه آخر يدفع لهم أكثر من الأول ؛ فمن ذلك أنه لما هُزم ماكان بن كاكى الديلمى ، وكان معه أبوالحسن على بن بويه وأخوه أبوعلى الحسن ، استأذناه فى الانحياز إلى مرداويج ، وقالا ـ لما كان : «الأصلحُ لك مفارقتُنا إياك ، لتخفّ عنك موءونتُنا ، ويقع كَلّنا على غيرك ، فإذا تمكَّنت عاودناك» فأذن لهما(۱) .

وكان من أكبر الصفات التى ظهرت فيها مقدره بنى بويه أنهم كانوا يستطيعون جمعَ المال من كل وجه ، وأن يدّخروه حتى يكون بين أيديهم المالُ دائماً ؛ وقد ساعدهم الحظ فى ذلك بأمور هى من عجيب الاتفاقات ؛ فيحكى مثلًا أن على بن بويه لما دخل شيراز اجتمع أصحابه وطالبوه بالمال ، ولم يكن معه ما يرضيهم ، فأشرف أمره على الانحلال ، واشتغل قلبه واغتم غما شديداً ، فبينما هو مستلقٍ على ظهره ، وقد خلا للفكر والتدبير ، إذ رأى حيه قد خرجت من سقف المجلس الذى كان فيه من موضع ودخلت موضعاً آخر ؛ وخاف أن تسقط عليه ، وهو نائم ، فأمر الفراشين بإخراجها ، فوجدوا السقف يفضى إلى غرفه بين سقفين ، فأمرهم بفتحها ، فوجدوا فيها عده صناديق من المال وغيره ، فأنفق ذلك فى رجاله بعد أن أشفى أمره على الانحلال(۲) .

وكان السبب فى ارتفاع على بن بويه سماحته وشجاعته وسعه صدره وحسن

۱- مسكويه ج ۵ ص ۴۳۵ .

۲- مسكويه ج ۵ ص ۴۶۳ ۴۶۴ .

سیاسته ؛ فمن ذلک أنه کان فی الری وشمکیر وأبوعبداللّه الحسین بن محمد الملقب بالعمید ، ولم یزل علیّ بن بویه بأبی عبداللّه هذا یلاطفه بالهدایا ، حتی غمره بالبرّ ، فکتم کتابا من مرداویج إلی وشمکیر بمنع علیّ من الخروج ، وأسرّ لعلیّ بالخروج ، ففاز بالولایه ، ولما وصل إلی الکرج أحسن إلی الرجال ، ولا طف عامل البلد ، فکان یکتب بشکره وضبطه الناحیه ؛ واتفق أن افتتح قلاعاً کانت فی أیدی الخُرَّمیّه فی تلک الأطراف ، ووقع بین أصحابها خلاف ، فانحاز بعضهم إلیه ، وأطلعه علی ذخائر جلیله أخذها وصرفها کلها فی استماله الرجال واستعطاف القلوب ؛ ولا طف قواد مرداویج ، وأفضل علیهم ، حتی أوجبوا طاعته ، وکان ذا فضل یتسامع به الناس فیمیلون إلیه(۱) .

فلا عجب إذن أن یسهل علیه الانتصار علی جیش الخلیفه حتی استولی علی جنوب إیران .

وکان بنو بویه إلی جانب هذا یحسنون معامله الأسری ، ویعفون عنهم ، ویوءمّنونهم من جمیع ما یکرهون ، حتی یطمئنوا إلیهم ، علی حین کان أعداوءهم یعدّون للأسری قیوداً وبرانس لیشهروهم بها ؛ ولقد ظفر علی بن بویه بأعداء له معهم هذه الآلات فعدل عن العقاب إلی العفو ، وابتعد عن الطغیان(۲) .

کان رکن الدوله صاحب الری «لا یستجیب إلی عماره نواحیه ، خوفا من إخراج درهم واحد من الخرانه ، ویقنع بارتفاع ما یحصل للوقت»(۳) .

۱- نفس المصدر ج ۵ ص ۴۳۶ ۴۳۹ .
۲- مسکویه ج ۵ ص ۴۴۴۰۴۴۵ .
۳- مسکویه ج ۸ ص ۳۵۷ .

وقد جمع عضد الدوله بما كان فيه من حرص ثروه هائله ، وكذلك ترك فخرُ الدوله (المتوفى عام ٣٨٧ه ٩٩٧م) فى العصور الأخيره ، التى لم تكن عصور الغنى العظيم ، مالاـ كثيراً ؛ فقد ذكر ابن الصابى أنه خلّف ٢,٨٧٥,٢٨٤ ديناراً ومن الورق والنقد والفضه ١٠٠,٨٦٠,٧٩٠ درهما ، ومن الجواهر واليواقيت واللوءلوء والماس والبلّور والسلاح وضروب المتاع شيئاً كثيراً ؛ وكان شحيحاً حتى كانت مفاتيح خزائنه فى الكيس الحديد مسمّراً بالمسامير لايفارقه(١) .

وكذلك يقول ابن الجوزى إن بهاء الدوله جمع من الأموال ما لم يجمعه أحد من بنى بويه ، وكان يبخل بالدرهم الواحد ويوءثر المصادرات(٢) .

والصفه الثانيه الكبرى مما اتصف به بنو بُوَيه التضافر الوثيق والطاعه التامه ، وذلك فى أجيالهم الأولى على الأقل ؛ ويرجع الفضل فى ذلك إلى الصفات العظيمه التى توفرت لعلى بن بويه الذى لقب فيما بعد بعماد الدوله ، وهو الذى يرجع إليه الفضل فيما بلغه بيت بنى بويه من قوه وعزه .

ومن أمثله طاعتهم والتزامهم النظام أن معز الدوله ، وهو أصغر الإخوه الثلاثه ، وكان حاكما على العراق إذ ذاك ، لما لقى أخاه عماد الدوله بأرّجان عام ٣٦٣ ه قبّل الأرض بين يديه ؛ وكان يقف قائما عنده ، فيأمره بالجلوس فلا يفعل(٣) .

ولما مات الأخ الأكبر انتقلت الرياسه إلى أخيه الثانى ركن الدوله فى الريّ ، فكان معز الدوله لا يخالف له أمراً ، وكان ركن الدوله يأمره بإنفاذ الجيوش

١- ابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ٨٢ ٨٣ .
٢- المنتظم ص ١٥٩ب .
٣- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٥٣ .

فيفعل(۱) .

ولما أيقن معز الدوله بالتلف وصَّى ابنه ، وهو على سرير الموت ، بطاعه ركن الدوله ، واستشارته فى كل ما يعرض له من مُهمّ ، وكذلك ابن عمه عضد الدوله لأنه أسنّ منه وأقوم بالسياسه(۲) .

ولما أراد عضد الدوله هذا أن يأخذ العراق من يد ابن عمه معز الدوله بعد ما أظهر من عدم الكفايه ، وسمع أبوه حالَ أولاد أخيه من القبض عليهم ، رمى بنفسه عن سريره ، وأقبل يتمرّغ ويزبد ، ويمتنع من الأكل والشرب أياماً، ومرض من ذلك مرضاً لم يستقلّ منه باقى حياته ؛ وكان يقول : إنى أرى أخى معز الدوله متمثلاً إزائى يعضّ على أنامله ، ويقول : «يا أخى هكذا ضمنت لى أن تخلفنى فى أهلى وولدى !» ، وقد غضب والد عضد الدوله على ابنه ، وأمره أن يخرج من بغداد ويسلمها لأبناء عمه ، فخرج منها طاعه لأبيه ، بعد أن كان قد أقام بها ، واتخذ لنفسه بها داراً(۳) .

أما عماد الدوله فلم يكن رجلاـ يمثل خصال السيد الحاكم ، بل كان أشبه يتاجر مخادع ؛ وكانت له مواهب الأكره الأذكياء العمليّين ؛ فمن ذلك أنه تقلد من الخليفه الراضى أعمالَ فارس على أن يحمل له فى كل سنه بعد جميع المؤن والنفقات مائه ألف ألف درهم ؛ فأرسل إليه الوزير ابن مقله الخِلَع واللواء ، ورسم للرسول ألا يسلم اللواء والخِلَع ؛ إلاّ بعد تسليم المال الذى استقر عليه الاتفاق .

۱- ابن الأثير ج ۸ ص ۳۶۶ .

۲- مسكويه ج ۶ ص ۲۹۸ .

۳- مسكويه ج ۶ ص ۴۴۴ ۴۴۶ .

فلما قرُب الرسول من البلد تلقاه على بن بويه على بُعد ، وسار معه وطالبه أن يسلّم إليه اللواء والخِلَع ؛ فعرَّفه ما رسمه له الوزير ، فخاشنه على بن بويه ، وأرهبه حتى سلّم الخِلَع ، فلبسها ودخل بها شيراز وبين يديه اللواء ، وأقام الرسول مدةً يطالب بالمال ، فلم يدفع علىّ إليه شيئاً ، حتى اعتلّ الرسول ومات بشيراز(١) .

وأما ركن الدوله فقد كان حليما ، واسع الكرم ، حسن السياسه لرعاياه وجُنده ، رءوفاً بهم ، بعيد الهمه ، يتحرّج من الظلم ، ويمنع أصحابه منه ، وقد أثنى المؤرخون على عدله وكرمه(٢) .

ومن أمثله ذلك أن إبراهيم السلّار انهزم من بين يدى عدوّ له ، وورد حضره ركن الدوله «بدابّته وسوطه» ؛ فأكرمه ركن الدوله ، وبالغ فى إعطائه ، وحمل له من كل صنف يكون عند الملوك ؛ وكان المؤرّخ ابن مسكويه حاضراً بالرى ، فركب للنظر إلى الهدايا المحموله إبراهيم ، وكانت كثيره لم يَرَ ابن مسكويه مثلها(٣) ؛ وقد اقترح الأستاذ ابن العميد وزير ركن الدوله ، بعد ما رأى سوء تدبير إبراهيم واشتغاله بالنساء واللعب والسكر الدائم ، وبعد أن شاهد طمع الناس فيه ، أن يدبّر ركنُ الدوله الناحيه لنفسه ، حتى لا يضيع سَعيه فى إرجاعها لصاحبها ، ويعوِّض إبراهيم بشىء آخر حتى يجلس آمناً فارغ البال ، ويشتغل بما يؤثره من صحبه المغنين والمساخر ، «فأبى عليه ركن الدوله وفكّر فى شىء يفكر فيه مثله من أصحاب الهمم الكبار وقال : يتحدث الناس أنى افتتحت البلاد لرجل لجأ إلىَّ ؛

١- كتاب العيون ص ١٤٧ ب .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٤٩٣ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٢٨٠ ٢٨١ ؛ و٣٣٥ Amedroz : Der Islam, III .

ثم طمعتُ فيه !»(۱) .

ولقد قاسى ابنُ العميد الكثيرَ فی خدمته ؛ وكان ابن العميد وزيراً جيِّد التدبير عليما بصناعه الملك وإصلاح ما فسد من أموره ، ولكن ركن الدوله كان مغلوباً على أمره لا يرى النظر فی العواقب ، ولا يستمع إلى آراء ابن العميد مع جودتها ، حتى إن ابن مسكويه يذكر ضعف ركن الدوله وفساد الأحوال فی حكومته ، ويذكر كفايه ابن العميد وحسن تدبيره ثم يقول : «فما حيله وزيره ومدبّره» ، وكان ركن الدوله مع فضله على أقرانه من الديلم على طريقه الجند المتغلّبين ، ينعم بما يتعجّل له ، ولا يرى النظر فی عواقب أمره وعواقب أمور رعيته» ، وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ، وكان يوسِّع عليهم فی الإقطاعات ؛ وكانوا يتواعدون من الليل إلى مواضع غامضه يجتمعون فيها ؛ وربما خرجوا إلى الصحراء ، واجتمعوا على ظهور دوابِّهم ، «وثنوا إرجلهم على أعناقها بقدر ما يدبِّرون الرأی فی وجه الحيله ، فإذا تمّ لهم تدبير يومهم فهو عيدُهم ونشاطهم» .

وكان ركن الدوله يرى أن دولته مقرونه بدوله الأكراد ، فكان لذلك لا يمنعهم من العبث ولا يطلق يدَ حُماه الأطراف فی قصدهم ، «ويرضى أن يقال له قُطعت القافله ، وسِيقت المواشی ، فيقول : لأن هوءلاء أيضاً ، يعنی الأكراد ، يحتاجون إلى القوت(۲) .

وكان الأمير معز الدوله ، أمير العراق ، حديداً سريع الغضب بذیء اللسان ، يكثر سَبَّ وزرائه والمحتشمين من حشمه ، وكان يلحق المهلبی من فحشه

۱- مسكويه ج ۶ ص ۲۹۲ ۲۹۳ ؛ و Amedroz : Der Islam, III ۳۳۶ .

۲- مسكويه ج ۶ص ۳۵۴ ۳۵۷ .

وشتمه مالا صبر لأحد عليه ؛ بل كان يضربه بالمقرعه(١) .

ولكن معز الدوله كان خوَّاراً فى أمراضه ، فكان كلما اشتدت عليه العلّه ، وأيقن بالتلف (كان مريضاً بامتناع البول وبرمل فى مثانته) بكى وندب على نفسه على عاده الديلم(٢) .

وكان أيضاً «سريعَ الدمعه » ، وكاد ينهزم فى إحدى المواقع ، فبكى بين أيدى غلمانه ، ثم سألهم أن يجتمعوا ، ويحملوا على العدوّ ، وهو فى أولهم ، فإما أن يظفر وإما أن يكون أوّل من يقتل(٣) .

وكان لا يعرف للخليفه قدرَه ، فقد وثب عليه ، وهو تحت سلطانه ، وثبه الجندى المرتزق الغليظ القلب ؛ ولما مات وزيره أبو محمد المهلبى بعد أن ولى الوزاره له ثلاث عشره سنه قبض معز الدوله أموالهَ وذخائرَه ، وأخذ المالَ من أهله وأصحابه وحواشيه ، حتى مِن ملّاحه ومَن خدمه يوماً واحداً ؛ فاشتعظم الناس ذلك واستقبحوه(٤) .

وبنى لنفسه داراً جديده فى شمال بغداد ، فكان جمله ما خرج عليها ثلاثه عشر أَلف ألف درهم ، ولم يتردد فى أن يصادر بسبب ذلك جماعه من أصحابه(٥) .

وكان لا يأبه كثيراً لحقوق رعيته ، فاضطر إلى خبط الناس واستخراج الأموال

١- نفس المصدر ج ٦ ص ١٩٢ ١٩٣، ١٩٤ .

٢- نفس المصدر ج ٦ص ٢١٠ ، ٢٤١ .

٣- نفس المصدر ج ٦ ص ٢١٧. .

٤- ابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٥ .

٥- ابن الأثير ج ٨ ص ٣٩٨ ، ومسكويه ج ٦ ص ١٩٣ ، ويقول ابن الجوزى (المنتظم ص ٩٠) إن معز الدوله أنفق على البناء إلى أن مات مائه ألف ألف دينار .

من غير وجوهها ، وأقطع قوّاده وخواصه وأتراكه ضياع السلطان وغيرها ، وكان يسامح الوزراء المقطعين ، ويقبل منهم الرشى ؛ واتسع الخرق حتى صار الرسم جارياً بأن يخرب الجندُ إقطاعاتهم ، ثم يردُّوها ، ويعتاضوا عنها بما يختارون ، ويتوصلوا إلى حصول الفضل والفوز بالربح .

ورقّت أَحوال الرعيه ، فمن هارب جالٍ ، إلى مظلومٍ صابر ، إلى مستريخ لتسليم ضيعته إلى المُقطَع ليأمن شرّه وبوائقَه ؛ وقلَّ حَفلُ الناظرين فى الأعمال تعويلا على أخذ ما صفا ، وترك ما كَدُرَ ، والرجوع على السلطان بالمطالبه .

وفوضّ معز الدوله تدبير كل ناحيه إلى بعض الوجوه من خواص الديلم ، فاتخذوها مسكناَ وطُعمَه ، والتحف عليهم المتصرّفون الخوّنه ، فبطلت العماره ، وخربت البلادُ ، واعتاض العمال عما يذهب من أموالهم بالمصادره والحيف على الرعيه ، وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الأعمال عن يد السلطان(١) .

ولكن معز الدوله كان يُعنى بسدّ البثوق فى سدود الأنهار ، حتى خرج بنفسه مره لسد بثق بادوريا ، وحمل التراب فى طرف قبائه ، ففعل جميع العسكر مثل فعله ، وكذلك خرج إلى النهر وانات فسدَّ بثقَها ، فعَمِرت هذه الأجزاء بعد خرابها ، وعم الرخاء ، حتى مالت العامه ببغداد إلى أيام معز الدوله وأحبوه(٢) .

أما ابنه بُختيار الملقب بعزّالدوله فقد وُهب قوةً جسديه عظيمه ، وكان شجاعاً ، وبلغ من قوته أنه كان يمسك الثور العظيم من قرنيه فلا يتحرك(٣) .

١- مسكويه ج ٦ ص ١٣٥ ١٣٨ .

٢- مسكويه ج ٦ ص ٢١٨ ٢١٩ب .

٣- ابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ١٩ .

ولكنه فيما عدا ذلك فشل فشلا يرثى له ؛ «وكان يحب أن يقضى أوقاته فى الصيد والأكل والشرب والسماع واللهو واللعب بالنرد وتحريش الكلاب والديكه والفتاخ ؛ فإذا وقفت أمورهُ قبض على وزيره واستبدل به»(۱) .

ويقول بعض أصحابه إنه كان من ملذاته دفاترُ عزيزه يضن بها ، وجوارٍ صوانع لا يسمح بهنّ ، وخيلٌ عِراَبٌ كان يستأثر بها ويحب أن يشتريها من الباديه(۲) ؛ وقد انفق مره أن أُسِرَ له فى موقعه بالأهواز غلام تركى ، فجُنَّ عليه جنوناً ، وتسلّى عن كل شيء خرج عن يده إلا عنه ، «وامتنع عن الطعام والشراب وانقطع إلى النحيب والشهيق والعويل .

وتضجّر بالجيش ، وتبرّم بحضورهم ، واطّرح التدبير . ثم إذا وصل إليه وزيره وقوّاده وكتّابُه وخواصُّه فى المهمّ قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حلّ به والبَوح بما فى نفسه ، وتقضّت أوقاته ومجالسه بهذا الخطب الجليل عنده . فخف ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم»(۳) .

وكان عضد الدوله (المتوفى عام ۳۷۲ه ۹۸۲م) ، دون سائر أعضاء أسرته ، هو الذى يمثل السيدَ الحاكم تمثيلاً حقيقياً ؛ وقد خضعت لسلطانه ، فى آخر أمره ، البلادُ الممتده من بحر الخزر إلى كرمان وعمان ؛ فلا بدع أن يلقّب بشاهنشاه (ملك الملوك) لأول مره فى الإسلام(۴) .

۱- مسكويه ج ۶ ص ۳۸۶ ۳۸۹ .

۲- نفس المصدر ج ۶ص ۴۱۹ .

۳- مكسويه ج ۶ ص ۴۵۹ ۴۷۰ .

۴- المنتظم ص ۱۱۹ ب .

بعد أن كان هذا اللقب يشعِر من قبل بالتجروءعلى مقام الألوهيه ؛ وقد ظل هذا اللقب لمن جاء بعده من ملوك بنى بُوَيه(١) . فكان أيضاً إحياء لرسوم الشرق القديمه.

كان عضد الدوله يحمل طابَع أهل الشمال ، فكان أزرق العينين ، أشقر ، أصهب الشعر(٢) .

وكان الوزير ابن بقيه يسميه أبابكر الغُددى تشبيهاً له برجل أشقر أزرق أعمش أئمش يسمى أبابكر كان يبيع الغدد برسم السنانير ببغداد(٣) .

وكان عضد الدوله رجلا قاسياً ، وقد بلغه عن الوزير ابن بقيه أمورٌ ساءته فطلب من بختيار بن معز الدوله يسلِّمه إليه ، فسلمه إليه مسمولا ؛ فطرحه عضدُ الدوله إلى الفِيله ، وأُضرِيَت عليه ، فقتلته شر قتله ؛ وهذه العقوبه هى الأولى من نوعها فى الإسلام(٤) .

وقد بلغ من هيبته وخوف عماله منه أن الوزير المطهَّر بن عبداللّه خرج من مدينه السلام لطلب أحد الخارجين على عضد الدوله ، فالتاث على المطهَّر الأمر وخاف تغيُّر عضد الدوله عليه ، فقتل نفسه(٥) .

١- كتاب الوزراء ص ٣٨٨ ؛ وكتاب إرشاد الأريب إلى معرفه الأديب (وهو معجم الأدباء) لياقوت طبعه مرجليوث ج ٢ ص ١٢٠ .

٢- الإرشاد ج ٥ ص ٣٤٩ .

٣- وفيات الأعيان لابن خلكان طبعه أوربا ١٨٣٩ ، ترجمه ابن بقيه رقم ٧٢٠ ، نقلاً عن عيون السير للهمذانى .

٤- مسكويه ج ۶ ص ٤٧٧ و ٤٨١ .

٥- نفس المصدر ص ٥١١ ٥١۴: على أنه قد نُسب إلى عضد الدوله أشياء كثيره من الظلم لم يفعلها حقيقه ؛ فيحكى ابن تغرى بردى (طبعه كليفورنيا ص ١۵ ١۶) أنه خطب الأميره جميله بنت ناصر الدوله بن حمدان ، فامتنعت عليه ، فاغتاظ من ذلك ؛ وحين وقعت فى يده استولى على أموالها ، ولم يدع لها شيئاً إلى أن احتاجت وافتقرت. وفى روايه أحدث عهداً أنه ما زال يعسف بها فى المطالبه حتى عرّاها وهتكها ، ثم ألزمها ، إما أن تصحّح ما عليها من المال ، وإما أن تختلف إلى دار القحاب ، فتكسب فيها ما توءديه من المال المفروض عليها ؛ ولما ضاق بها الأمر ، وأشرفت على الفضيحه انتهزت غفله الموكلين بها وغرّقت نفسها فى نهر الدجله (مطالع البدور للغزولى ، طبعه مصر ١٣٠٠ ه ج ٢ ص ٤٨) . والحقيقه أن جميله فرت مع أخيها أبى تغلب عدو عضد الدوله ؛ فلما مات اعتقلها عضد الدوله فى بعض الحجر فى داره مع جواريه ونسائه (مسكويه ج ۶ ص ٥٠٧) .

ولكن عضد الدوله كان إيضاً قاسياً على نفسه ، فيحكى أن جاريه كانت له شَغَلَت قَلبَهُ بميله إليها عن تدبير المملكه ، فأمر بتغريقها(۱) .[*]

وكان يعنى بمعرفه الأخبار وسرعه وصولها ، شأن كل من يريد أن يحكم دوله كبيره حكما صحيحاً ؛ فكان يسأل عن الأخبار الوارده ، فإن تأخرت عن وقتها قامت قيامته ، وسأل عن سبب التعويق ؛ فإن كان من غير عذر أنزل البلايا على أصحاب الأخبار ؛ وكانت الأخبار تصل من شيراز إلى بغداد فى سبعه أيام ؛ أى أنها تقطع كل يوم ما يزيد على مائه وخمسين كيلومتراً(۲) .

وقد أحكم نظام الجاسوسيه ؛ «وكان يبحث عن أشراف الملوك ؛ وينقب عن سرائرهم ؛ وكانت أخبار الدنيا عنده ، حتى لو تكلم إنسان بمصر رقى إليه ذلك ؛ حتى إن رجلا بمصر ذكره بكلمه ، فاحتال حتى جاء به ووبَّخه عليها ، ثم ردّه ؛ فكان الناس يحترزون فى كلامهم وأفعالهم من نسائهم وغلمانهم»(۳) .

۱- المنتظم ص ۱۲۰ .

۲- نفس المصدر .

۳- نفس المصدر ص ۱۱۹ ب ۱۲۰ .

وقد طهَّر السبل من الصوص فى إحدى القوافل بغلاـ يحمل حاوى شِيِّبَت بالسمّ ، فأكلوا منها فهلكوا ؛ وكانت هذه مكيده عجيبه(١) .

وأعاد النظام إلى صحراء جزيره العرب وإلى صحراء كرمان ، وكانت أشهر بمخاوفها ، حتى رُفعت الحبايه عن قوافل الحج ، وزال ما كان يجرى عليها من القبائح وضروب العسف ؛ وأقام للحجاج السواقى فى الطريق واحتفر لهم الآبار ، واستفاض الينابيع وأدار السور على مدينه الرسول(٢) ؛ وأمر بعماره منازل بغداد وأسواقها ، وكانت مختلّه قد أُحرق بعضها ، وخرب البعض ؛ وابتدأ بالمساجد الجامعه ، وكانت فى نهايه الخراب ؛ وهدم ما كان مستهدما من بنيانها ، وأعاد بناءها ؛ وألزم أرباب العقارات بالعماره ، فمن قصرت يدُه عن ذلك اقترض من بيت المال ؛ وأمر من كانت له دار على الشط من الأولياء والحاشيه أن يجتهد فى عمارتها وتحسينها .

وكان الناس قد استطابوا هدم المنازل وبيع أنقاضها ، فأبطل هذه السنه وأعاد عماره بستان عرصه دار العباس بن الحسين وغيره ، فامتلأت الخرابات بالزهر والخضره والعماره ، «بعد أن كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقذار» ؛ وجُلبت إليها الغروسُ من فارس وسائر البلاد ؛ وكانت الأنهار ببغداد قد دُفنت مجاريها وعَفَت رسومُها ، ونشأ جيلٌ من الناس لا يعرفها ؛ فأمر بحفر عمداتها ورواضعها ؛ وقد كانت على الأنهار قناطر قد تهدَّمت وأُهمل أمرها ، «فلم تكن

١- كتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ٣٨ الباب الحادى عشر نقلاً عن تاريخ الهمذانى .

٢- المنتظم ص ١١٩ ج ب .

تخلو من أن يجتاز عليها البهائم والنساء والأطفال والضعفاء فيسقطون ، فُبنيت كلها جديده وثيقه ، وعُملت عملاً محكما ؛ وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد ، فإنه كان لا يجتاز عليه إلا المخاطر بنفسه ، لا سيما الراكب لشده ضيقه وضعفه وتزاحُم الناس عليه ؛ فاختيرت له السفن الكبار المتقنه ، وعُرِّض حتى صار كالشوارع الفسيحه وحُصِّن بالدار ابزينات ..وأعيد كثير من قناطر أفواه الأنهار»(١) ؛ وحول من الباديه قوما فأسكنهم فارس وكرمان فزرعوا وعمروا البريه(٢) .

ومع هذا فلم تكن العراق مركز الدوله ، بل كان مركز الدوله فى فارس حيث كان يفين قاضى القضاه أيضاً ، ويستخلف له أربعه خلفاء على أرباع بغداد(٣) .

وكان عضد الدوله كثير الغضّ من أهل بغداد والازدراء لهم ، حتى قال : ما وقعت عينى فى هذا البلد على أحد يستحق اسم الفضل أو أن يسمى برجل غير نفسين ؛ فلما تأملت وجدتهما ليسا من أهل بغداد ، وأصلهما من الكوفه(٤) ؛ وعمل سوقا للبزازين ، ووقف عليه وقوفا كثيره(٥) .

وكان ينقل إلى بلاده ما لا يوجد بها من الأصناف ؛ فما نقله إلى كرمان حب النيل(٦) ؛ وبنى بشيراز داراً عظيمه تشتمل على ثلاثمائه وستين حجره(٧) . ووسّع

١- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٧، ٥١٠ .

٢- المنتظم ص ١١٩ ب .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٢ .

٤- ملحق أخبار القضاه طبعه (Guest) ، ليدن ١٩١٢ ص ٥٧٤ .

٥- المنتظم ص ١١٩ ب .

٦- نفس المصدر ، ومسكويه ص ٥٠٨ .

٧- المقدسى ٤٤٩ .

الدار الكبيره التى كانت للقائد سبكتكين ببغداد ، والتى تركها بعد وفاته ، وأجرى إلى بستانه الماء فى مجرى عالٍ يخترق الصحراء والأرباض ؛ واستخدم الفيله فى نقض هذه الدور ، ورَمى حيطانها ، وفى دَك الأرض ، وكان أول من استعمل الفيول فى القتال(١) ؛ وكان عازما على القيام بمشروعات بناء غير ما تقدم فمات قبل ذلك(٢) .

وكانت عادته أن يباكر دخول الحمام ، فإذا خرج وصلى الفجر دخل إليه خواصُّه ، فإذا ترجل النهار سأل عن الأخبار الوارده ؛ ثم يتغدَّى ، والطبيب قائم ، وهو يسأله عن منافع الأطعمه ومضارّها . ثم ينام إلى الظهر ؛ فإذا انتبه صلى الظهر وخرج إلى مجلس النّدما ، والراحه وسماع الغناء إلى أن يمضى من الليل صدر ثم يأوى إلى فراشه(٣) .

وكان قد تعلّم على أحسن المعلمين ، وكان يفتخر بمعلميه(٤) ؛ وكان يحب العلم والعلماء ؛ ويجرى الجرايات على الفقهاء والمحدِّثين والمتكلمين والمفسرين والنحاه والشعراء والنسابين والأطباء والحُسّاب والمهندسين(٥) .

وسنتكلم عن مكتبته وترتيبها وإعدادها فى غير هذا المكان ، (انظر الفصل الخاص بالعلماء) . على أن عضد الدوله كان يتشاغل بالعلم ويتفرَّغ للأدب فى

١- مسكويه ص ٥٠٨ .
٢- تارخ بغداد للخطيب البغدادى طبعه سلمون (Saimon) ص ٥٦ ومايليها .
٣- المنتظم ص ١٢٠ .
٤- إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى طبعه ليبرج سنه ١٣٢٠ه‍ ١٩٠٣م ص ٢٢٦ .
٥- المنتظم ص ١٢ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٥١٨ .

أيام دولته ؛ وقد وُجد له فى تذكره : إذا فرغنا من حل إقليدس كله تصدقت بعشرين ألف درهم ، وإذا فرغنا من كتاب أبى على النحوى تصدقت بخمسين ألف درهم ؛ وكان يحب الشعر ويعطى الشعراء ، ويؤثر مجالسه الأدباء على منادمه الأمراء(١) ؛ وكان يقول الشعر وينشده ، ويحكم على معانيه بعد التقدير له(٢) .

وقد ذكر له الثعالبى شعراً عربيا ينسب إليه ، وهو لا يعدو أن يكون كلاماً موزوناً رديئاً(٣) .

ولكن هذا كله لم يمنع عضد الدوله من إساءه معامله الصابى ، مع أنه كان سيد الكتّاب فى ذلك العصر . وقد أفرد عضد الدوله فى داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفه موضعاً يقترب من مجلسه ، فكانوا يجتمعون فيه للمفاوضه آمنين من السفهاء ورعاع العامه .

وأمر بإدرار الأرزاق على قُوّام المساجد والموءذنين والأئمه والقرّاء فيها ، وإقامه الجرايات لمن يأوى إليها من الغرباء والضعفاء(٤) .

وبنى مارستاناً كبيراً ببغداد. وقد وُجد فى تذكره له : وكل ابن يولد لنا كما نحب نتصدق بعشره آلالف درهم ، فإن كان من فلانه فبخمسين ألف درهم ؛ وكل بنت فبخمسه آلاف ، فإن كان منها فبثلاثين ألفاً(٥) ؛ وتجاوزت صدقاته أهل الملّه إلى أهل الذمَّه ، فأذن للوزير نصر بن هارون فى عماره البيع والديره ، وإطلاق الأموال

لفقراء أهل الذمَّه(٦) .

غير أن عضد الدوله لم يكن أباً لرعيته ، بل ظل الحاكم الأجنبى عنهم ؛ وهو كالراعى الذى يحسن العنايه بغنمه لينتفع منها بأكبر نصيب ؛ وفى آخر أيامه أحدث رسوماً جائره ، وزاد الرسوم القديمه ؛ وكان يتوصل إلى أخذ المال بكل طريق(٧) .

وفى آخر عمره كان دخله فى السنه ثلاثمائه ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم ، فأراد ان يبلغ به ثلاثمائه وستين ألف ألف ، ليكون دخله كل يوم ألف ألف درهم ، «وكان مع صدقاته وإيصاله ينظر فى الدينار ويناقش فى القيراط(٨) .

والحكم الأخير الذى انتهى إليه مسكويه فى كلامه عن عضد الدوله أنه قال : «فلولا خِلالٌ كانت فى عضد الدوله يسيره ، لا أستحسن ذكرها ، مع كثره فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوتُ له من الآخره رضاه ، واللّه ينفعه بما قدَّمه من العمل الصالح ، ويغفر له ما رواء ذلك»(٩) .

وتتجلى مواهب عضد الدوله السياسيه فى اختياره لولاته : فقد ولَّى على الجبل وهمذان والدينور ونهاوند وأسد آباد وغيرها بدرَ بن حسنويه الكردى (المتوفى عام ٤٠٥ه ١٠١٤م) ؛ وقد قامت هيبته بالشجاعه والعدل والسياسه وكثره الصدقه .. وكانت جراياته وصدقاته متصله على الفقهاء والأشراف والقضاه

١- يتيمه الدهر فى شعراء أهل العصر للثعالبى طبعه دمشق ج ٢ ص ٢ ، والمنتظم ص ١٢١ .

٢- الإرشاد ج ٨ ص ٢٨٦ وكتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ٣٨ .

٣- يتيمه الدهر ج ٢ ص ٣ وما بعدها .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٥٠٧ ، ٥١٠ ٥١١ .

٥- المنتظم ص ١٢٠ .

٦- مسكويه ج ٦ ص ٥١١ ، وابن الأهير ج ٨ ص ٥١٨ .

٧- ابن الأثير ج ٩ ص ١٦ .

٨- المنتظم ص ١٢٠ ب .

٩- مسكويه ج ٦ ص ٥١١ ، وهذا المورخ كان ممن عرف عضد الدوله وخدمه بنفسه .

والشـهود والأيتام والضـعفاء ؛ وكان يصـرف كل سنه ألف دينار إلى عشرين رجلا يحجون عن والدته وعن عضد الدوله . وكان يتصـدق كـل جمعـه بعشـره آلالـف درهم على الضـعفاء والأرامـل ، ويصـرف كـل سـنه ثلاـثه آلاـف دينـار إلى إلى الأسـاكفه والحذّائين بين همذان وبغداد ليقيموا المنقطعين من الحاج بالأحذيه .

وكان يصـرف إلى تكفين الموتى كل شـهر عشرين ألف درهم ؛ وعمَّر القناطر ؛ واستحدث فى أعماله ثلاثه آلاف مسجد وخان للغرباء ؛ ولم يمرَّ بماء جارٍ إلا بنى عنده قريه ؛ وكان ينفذ كل سنه فى الصدقات على أهل الحرمين وحفظ الطرق ومصالحها مائه ألف دينـار ؛ وكـان ينفق على عمـاره المصـانع وتنقيه الآبـار وجمع العلوفه فى الطريق ، ويعطى سـكان المنـازل رسوماً لقيامهم ، وعمل إلى الحرمين والكوفه وبغداد ما يفرق على الأشراف والفقهاء والقراء والفقراء وأهل البيوتات(١) .

وقـد تَخَرّج على يـدى عضـد الدوله القائدُ أمير الجيوش (المتوفى عام ٤٠١هـ ١٠١٠م) ، وهو الـذى ولّاه بهاء الـدوله تدبير العراق لإعاده النظام إليها ، فقـدم بغداد عام ٣٩٢هـ ١٠٠٢م ، والفتن قـائمه ؛ فقتـل وصـلب وغرَّق ، حتى بلغ من هيبته أنه أعطى غلاماً له صينيه فضه فيها دنانير ؛ وأمره أن يأخـذها على رأسه ويسـير من أول بغداد إلى آخرها علَّ أحداً يعترضه ، فعاد وقد انتصف الليل دون أن يعترضه أحد(٢) .

ولم يخرج بيت بنى بويه بعد عضد الدوله جيلاً يصلح للحكم ؛ واضمحلّت فى

١- المنتظم ص ١٦١ب .

٢- المنتظم ص ١٥٦ ب وابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ١١١ .

أواخر الأمر مواردهم الماليه ، واختلت المملكه أيام جلال الدوله ، وقُطعت عنه الماده حتى أخرج ثيابه وآلاته وباعها فى الأسواق ، وخلت داره من حاجب وفراش وبواب ، وصار أكثر الأبواب مغلقاً ، وانقطع ضَربُ الطبل له فى أكثر الأيام لانقطاع الطبَّالين(١) .

وأما أمراء الترك فيمثلهم بحكم والإخشيد، وكلٌ منهما جندى ماهر وحاكم قدير ، وإن كان مظهرهما الخارجى لم يكن بشيء .

أما بحكم الفقيه خصال قائد الجند المرتزقه كلها ؛ فقد انتقل من خدمه ما كان الديلمى إلى خدمه مرداويج ؛ وبعد قتل مرداويج ويقال إنه كانت لبحكم يدٌ فى قتله ذهب مع مئات قليله من الترك والفرس إلى ابن رائق ؛ وظل غلمان مرداويج تحت إمره بحكم(٢) .

ولم يكن عددهم عظيما ؛ فيقول مسكويه إنهم كانوا ثلاثمائه غلام استأمنوا إليه(٣) ؛ ثم تقدم ابن رائق إلى بحكم بأن يكاتب كل من بالجبل من الأتراك والديلم بالمصير إليه ، فكاتبهم وصار إليه عدّةٌ وافره منهم(٤) .

ثم استقلَّ بحكم بدوره السياسى الخاص ؛ فأزال اسم ابن رائق عن أعلامه ، وترك الانتساب إليه(٥) .

وحاربه حتى أخرجه من بغداد ، وصار هو أميراً على العراق ؛ وكان معه فى

١- المنتظم ص ١٨٤ ب .
٢- كتاب العيون ص ١٤٨ ج ب .
٣- مسكويه ج ۶ ص ٥٠٧ ، وفى كتاب العيون ص ١٥٥ب أنهم كأنهم كانوا مائتين وتسعين غلاما .
۴- مسكويه ج ۶ ص ٥٠٨ ، وكتاب العيون ص ١٤٨ ب .
٥- كتاب العيون ص ١۶٣ .

ذلك الوقت سبعمائه من الترك وخمسمائه من العجم(١) .

وكان الخليفه الراضى يحب بحكم أكثر من حبه لابن رائق ، وقد خلع عليه خِلَع المنادمه ، وجعله أمير الأمراء(٢) .

وبعد موت الراضى طمع بحكم فى جماعه من ندمائه ، وظن أنه ينتفع مع عجمته بآدابهم ؛ فلما نظر لم يجد منهم من يفهِّمه ما ينتفع به إلّا الطبيب سنان بن ثابت ، فوصله وأكرمه ، وطلب منه أن بداويه من غلبه الغضب والغيظ ، وإذا عرف له عيباً ألا يحتشم من ذكره له ، ثم يرشده إلى علاجه ليزول عنه(٣) .

وكان بحكم ذا شجاعه نادره ، فقد لقى عشره آلاف من عسكر البريدى بأتمّ عده وأكمل سلاح ، ولم يكن معه إلا مائتان وتسعون من الأتراك ، فهزم عسكر البريدى ؛ وفى إحدى المواقع طرح بحكم نفسه مع جماعه من الأتراك فى ديالى ، وسبحوا وعبروا إلى الأرض التى عليها العدو ، وذلك أمام عينه ، وعبر الديلم فى الطيارات وبعضهم عبر سباحه ؛ وقاتل العدو ، وهو يظن أنه منه فى أمان ، حتى هُزموا وانصرفوا بين يديه(٤) ؛ وخرج ابن رائق من بغداد ، ولم يَتَشَفَّ بحكم منه ، فلما كان مع الراضى فى سُرّ من رأى ، وورد الخبر بخروج ابن رائق إلى باب الأنبار استأذن بحكم الخليفه فى أن يعبر من سُرّ من رأى إلى هيت مجتازاً الصحراء ليأخذ على ابن رائق الطريق فلا يفوته ، فلم يأذن له الراضى

١- كتاب العيون ص ١٦٤ .

٢- الأوراق للصولى ص ٥٣ ٥٥ ، وكتاب العيون ص ١٦٧ .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٢٦ والصفحات التاليه .

٤- كتاب العيون ص ١٥٥ ب .

وقال : هذا لا يصح ، لأنه رجل قد أمّنته ، وإذا فعلنا ذلك بعد الأمان كان قبيحاً(١) .

وقد غلب بحكم هذا سيفَ الدوله صاحب الانتصارات المشهوره على الروم كلما نزل سيف الدوله لمحاربته .

ولما جاء بحكم إلى بغداد حمل معه كثيراً من ضروب الغلظه التى اقترنت بحياته الجنديه ؛ وعند ما دخل واسط طالب أهلها بالمال واشتدّ فى تعذيبهم حتى كان يضع على بطن الرجل منهم طستاً فيه جمر ؛ فنبّهه البعض إلى أنه يفعل ما كان يفعله مرداويج بأهل الجبل ، ود كَّره بأنه فى بغداد ودار الخلافه لا الرى وإصبهان ، ولا تحتمل بغداد هذه الأخلاق(٢) .

وقد أبغض أهلُ بغداد بحكم لقبح سيرته ، فلما ظهر ابن رائق سُرُّوا به ، وأظهروا ما فى أنفسهم من بغض بحكم ، فكان العيّارون والصبيان يهزأون ببجكم ورجاله ويقولون : بجكم حلقوا نصف سباله ؛ فإذا رأوا تركيا عليه قلنسوه صاحوا به : قلنسوه طيرى ! ليس أميرنا بجكم(٣) .

على أن بجكم كان أميراً محبا لعماره البلاد ، حتى إنه رأى قصور الأكاسره الخربه فى المدائن ، فعمَّر مواضع كبيره فى تَلك الناحيه وأنشأها ، وأجرى إليها الأنهار ، وغرس بها غروساً(٤) .

وكان يدفن أمواله فى الصحراء ويأخذ معه رجالا ليعاونوه ، فيطبق عليهم

١- نفس المصدر ص ١٧٦ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٥٧٠ ؛ وانظر أواخر الفصل الخاص بالماليه فيما يأتى .

٣- كتاب العيون ص ١٧٥ب .

٤- نفس المصدر ص ١٨٠ .

الصناديق ، ويحملهم على بغال إلى جوف الصحراء ؛ وبعد أن يدفن المال يطبق عليهم الصناديق ويعود بهم فلا يدرون إلى أين ذهبوا من أرض اللّه ولا من أين جاءوا .

وكان هو يتخذ لنفسه علامات يهتدى بها(١) . وأصل هذا التصرف راجع إلى بساطه بجكم وتخبُّطه فيما يجهله من الأمور غير العسكريه .

أما محمد بن طفج فأصله من أولاد ملوك فرغانه ، وكان جده قد جاء من التركستان فى عهد الخليفه المعتصم ؛ وكان هذا الخليفه أول من جلب الكثير من الجنود الأتراك واستخدمهم ، أما أبوه فقد ارتقى حتى صاروا ليا على دمشق ، ولكنه عُزل وسُجن هو وابنه محمد ، فذاق هذا الأخير من الحياه حلوها ومرّها ؛ وخدم ابنُ طغج قواداً كثيرين ، حتى إنه كان مرّه بازياراً لعامل الشام يخرج معه للصيد ويحمل معه الجوارح ؛ وقد أتيحت له فرصه لإظهار شجاعته عند حاكم مصر مما رفعه إن منصب والى مصر ؛ ثم صار أميرها المستقل ، وامتد حكمه أخيراً على بلاد تساوى فى المساحه أكبر رقعه حكمها ملوك الفراعنه ، فكانت له مصر والشام واليمن ومكه والمدينه وغيرها(٢) ؛ فلا عجب إذاً أن نرى الخليفه المستكفى يكتب إلى الإخشيد ويعرض عليه إماره بغداد بعد موت توزون ، ويضمن له القيام بالأمر ، فلا ينشط لذلك ؛ وكان الإخشيد أزرق

١- مسكويه ج ٦ ص ٣٩ ٤١ ؛ وانظر أيضاً الفصل الخاص بالماليه فيما يأتى .

٢- انظر ترجمه محمد بن طغج فى كتاب وفيات الأعيان ج ٣ ص ٥٥ ٦٤، وكتاب المُغرب فى حلى المغرب لابن سعيد طبعه ليدن ١٨٩٨ من ص ٤ إلى ص ٢٠ .

بطيناً(١) .

وكـان شديـد القوه لاـ يقـدر على أن يجرَّ قوسَه غيرُه ؛ ولكنه كان قـد ثار به طرف من سوداء مرّه ، فكان يعتاده فيخلط(٢) ؛ وقد حَسُنَ حالُ مصـر على يديه ، وعنى بالنظام فيها ، وأمر بضـرب الدينار الإخشيدى على عيار كامل ، وصلحت النقود فى عهده بعد فسادها(٣) .

وكـان جيشه أعظم جيـوش عصـره ، فلمـا اسـتدعاه المتقى فى عـام ٣٣٣ﻫ ٩٤٤م، واقـترب من الرقّه والرافقه أشـرف أهلهمـا على السواحل والأسوار ونظروا من عظم العسكر وحسن عدّنه مالم يشاهدوا مثله(٤) .

وقـد التقت فى الإخشـيد خصـلتان : السـذاجه وحب التملك ، فكان اجتماعهما طريفاً ؛ وقد بدأ بمصادره جميع العمال الأغنياء ، أصدقاءً كانوا أم أعداءً ، وأَخذ أموالهم فى هدوء من جانبه وبرود ؛ وكثير منهم كان يسـتحق هذا . وقد اشتهرت عنه محبته للعنبر ، فكـان أكثر مـا يُهـدى إليه ؛ وكـان إذا جـاءت الأوقـات التى يهـدى إليه فيها أخرج من خزائنه العنبر وباعه إلى التجار ، فيشتريه الذين يهدونه إليه ، فيحصل له الثمنُ الوافر ، ثم يعود العنبر إليه(٥) .

وتحكى عنه حكايات تدل على أنه كان لا يأنف أن يأخذ ما يعجبه إذا وجده

١- كتاب المغرب لابن سعيد ص ٣٩ .

٢- نفس المصدر ص ١٦ ١٧ .

٣- كتاب العيون ص ٢٠٩ ب .

٤- نفس المصدر ص ٢١٣ب .

٥- المغرب لابن سعيد ص ٣٥ ٣٦ .

عند أحد من أصحابه(١) .

ولكن كان الغالب على الإخشيد الحياء ورقّه الوجه ، وكان إذا صادر أَحداً لم يعذبّه ولم يضربه ، ولم يضيق عليه ، ولم يرَه حتى تنتهى المصادره ، وكان رسمه ألا يتعرّض للحُرَم(٢) .

وكان يحب الصالحين ويكرمهم ويركب إليهم ويطلب دعاءهم . يقول ابن سعيد(٣) : «وحدثنى مسلم بن عبداللّه الحسينى قال : وصفت للأخشيد رجلاً صالحا بالقرافه يعرف بابن المسبّب ، فركب معى إليه ، وسأله الدعاء ، ثم انصرف .

فقال لى : تعالَ أُريك أنا أَيضاً رجلاً صالحا ؛ فمضيت معه إلى أبى سليمان بن يونس ، فرأيت شيخاً أَديباً جالساً على حصر سامان مُبَطَّن ، فقام فتلقَّى الإخشيد وأَقعده على الحصير ؛ فأدخل يده تحت الحصير فأخرج منه منديلا نظيفاً مطويا فغطاه على يده وقراء عليه» . وكان الإخشيد يحب قراءه القرآن ويبكى عند سماعها(۴) .

وقد وقع له مره أمرٌ عجيب ؛ وذلك أن رجلاـ من أهل العراق صعد فوق زمزم بمكه وصاح : معاشر الناس ! أنا رجل غريب ، ورأيت البارحه رسول اللّه صلى الله عليه و آله ، وهو يقول لى : سِرْ إلى مصر ، والقَ محمد بن طغج ، وقل له عنّى يطلق محمد بن على المادراى ، فقدأضرّ بولدى . ثم سارت القافله إلى مصر ، وسار الرجل

١- انظر الفصل الخاص بالأخلاق والعادات .

٢- المغرب لابن سعيد ص ١۵، ٣٧ .

٣- المغرب ص ٣۴ ٣۵ ، ص ٣٩ .

۴- نفس المصدر ص ٣٧ .

ووصل إلى مصر وبلغ الإخشيدَ خَبرُه ، فأحضره ، وقال إيش رأيت ؟ فأخبره ، فقال : كم أنفقت فى مسيرك إلى مصر ؟ قال : مائه دينار ، فقال : هذه مائه دينار من عندى ، وعُد إلى مكه ، ونَم فى الموضع الذى رَأَيتَ فيه رسولَ اللّه صلى الله عليه و آله ، فإذا رأيتَهُ فقل لرسول اللّه : قد بلّغتُ رسالتک إلى محمد بن طغج ، فقال : بقى لى عنده كذا وكذا ، وذكر شيئاً كثيراً ، فإذا دفعه إلى أطلقته ، فقال له الرجل : ليس فى ذكر رسول اللّه صلى الله عليه و آله هَزلٌ ، وأنا أخرج إلى المدينه ، وأنفق من مالى وأسير إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأقف بين يديه يقظان بغير منام ، وأقول : يا رسول اللّه أدَّيتُ رسالتك إلى محمد بن طغج ، فقال لى كذا وكذا ، وقام الرجل ؛ فأمسكه ، وقال : حصلنا فى الجد ؛ إنما ظَنَنّا بك ظناً ، والآن فما تَبرَحُ حتى أطلقه ، فأرسل إليه الإخشيد من توسّط فى أمره وأطلقه(۱) .

وفى سنه ۳۳۱ه ۹۴۲م ورد الخبر من دمياط إلى مصر بأن رجلا أقطع اليد قديماً ، ممن قد أُخذ مع قوم اتهموا بقطع الطريق ، غاب عن البلد زمانا ثم عاد ويده صحيحه ، وقد إدّعى أنها كانت مقطوعه وأنها كانت عند أهله ؛ وقال إنه كان فى مسجد يتعبّد فيه وأن يده عادت صحيحه ؛ فافتتن الناس به وكثر القول فيه ، فوجّه الإخشيد من أحضره إلى داره ، وسأله عن قصّيته فقال : رأيت فى النوم كأن سقف المسجد قد انفتح ونزل إلىَّ منه ثلاثه أنفس : النبى وجبريل وعلى عليهم السلام ؛ فسألتُ النبى رَدَّ يدى ، فَرَدّها إلىَّ ، وانتبهتُ ، وقد عادت . وورد من دمياط كتاب بأن جماعه من المستورين رأوه مقطوع اليد ؛ فأوصله الإخشيد إليه وأكبره ،

۱- المغرب لابن سعيد ص ۳۵ .

واستعظم قدره اللّه تعالى فيه ، ثم قيل إن هذا الرجل دلّس وكذب ، وزالت الفتنه واللّه أعلم(١) .

١- كتاب العيون ص ٢٠٩ ب ٢١٠ .

تعلیقات الفصل الثالث

[*۱] اظّن ان السبب الأصیل لجعل هـذه الحکایه وأمثالها کون عضد الدّوله من اُسره شیعیّه حکمت کثیراً من البلاد الاسلامیه ومنها بغداد وهم الـذین عطّل فی أیامّهم یوم عاشورا الاشتغال والتجاره وقام الناس لمراسم العزاء علی أبی عبداللّه الحسین بن علی علیهماالسلام کما تعرّض له المصنف ص ۱۱۴ ۱۱۸ .

وقد ذکر(۱) ابن ابی الحدید تصویر لملوک الروم والدیلم صوره أمیرالموءمنین علیه السلام علی أسیافهم وکان علی سیف عضد الدوله بن بویه وسیف أبیه رکن الدوله صورته(۲) ولعضد الدوله(۳) قصّه مع عمران بن شاهین ومسجده إلی الآن عامر فی طریق الصحن العلوی المطّهر إلی خارج باب الطوسی فی النجف الأشرف تذکر فی معجزات مولانا أمیرالموءمنین علیه السلام .

۱- شح النهج الحدیدی ج۱ ص۲۹.

۲- و یذکر المترجم ذیل ص ۴۷۹ ابن الحجاج أصر أن یکتب علی قبره و کلبهم باسط ذراعیه بالوصید.

۳- سفینه البجار ج۲ ص۲۷۴ بحارالأنوار ج۴۲ ص۳۱۹-۳۲۰.

الفصل الرابع: اليهود والنصارى

اشاره

إن أكبر فرق بين الإمبراطوريه الإسلاميه وبين أوروبا التى كانت كلها على المسيحيه فى العصور الوسطى وجودُ عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين ، وأولئك هم «أهل الذمه» الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلا بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحده سياسيه . وقد ظلت كنائس اليهود والنصارى وأديرتهم أجزاء غريبه ، واستند أهل الذمه إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود وما مُنحوه من حقوق فلم يرضوا بالاندماج فى المسلمين ؛ وقد حرص اليهود والنصارى على أن تظل «دار الإسلام» دائماً غير تامه التكوين ، حتى إن المسلمين ظلوا دائماً يشعرون أنهم أجانب منتصرون لا أهل وطن ، وحتى إن الفكره الإقطاعيه لم تمت ؛ بل كان وجود النصارى بين المسلمين سبباً لظهور مبادئ التسامح التى ينادى بها المصلحون المحدثون . وكانت الحاجه إلى المعيشه المشتركه وما ينبغى أن يكون فيها من وفاق مما أوجد من أول الأمر نوعاً من التسامح الذى لم يكن معروفا فى أوروبا فى العصور الوسطى ؛ ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنه الأديان ، أى دراسه الملل والنحل على اختلافها ، والإقبالُ على هذا العلم بشغف عظيم .

وكان تغيير[١] الدين لا يجوز إلّا إذا كان دخولاً فى الإسلام ؛ فكانت الطوائف الدينيه منفصله بعضها عن بعض تمام الانفصال ، وكان المسلم[١] إذا ارتد عن الإسلام عوقب بالقتل ، كما أن قانون الدوله البوزنطيه كان يقضى بقتل المسيحى إذا هو غيَّر دينه(١) .

١- ولا بد أن يكون قد سبق هذا التشريع محاولاتٌ إلى الارتداد عن الإسلام ، وقد حدث فى أوائل عهد الفاطميين أنه : «رفع إلى محمد بن النعمان القاضى (٣٤٥ه ٣٨٩ه) أن نصرانيا أسلم ، ثم ارتد ، وقد جاوز الثمانين ، فاستتيب فأبى ، فأنهى أمره إلى العزيز ، فسلمه لوالى الشرطه ، وأرسل إلى القاضى أن يرسل أربعه من الشهود ليستتيبوه ، فإن تاب ضمن له عنه مائه دينار ، وإن أصر فليقتل ؛ فعرض عليه الإسلام فأبى ، فقتل ، ثم أمر بتغريقه فى النيل» (ملحق أخبار القضاه للكندى طبعه Guest، ليدن ١٩١٢ ص٥٩٣) ؛ وقد حدث فى بلده سروج بالعراق فى القرن الثالث الهجرى أن رجلا من المتشددين فى الإسلام عذب نصارى ارتدوا بعد إسلامهم بصروف العذاب ليعيدهم إلى الإسلام ، فأمر به القاضى فضُرب وسجن (Michael Syrus, S. ٥٣٥)، ويقول أبوالعلاء المعرى (المتوفى عام ٤٤٩ه ١٠٥٧م) : . وقد أسلم الرجلُ النصران مرتغباً وليس ذلك من حب لإسلام أو شائ تزويج مثل الظبى ملعمه للناظرين بأسوار وعلّام (اللزوميات طبعه بمباى ص ٢٥٠) . ومن كبار رجال الدين المسيحيين من دخل الإسلام ، فصبّ عليه موءرخو الكنيسه لعنتهم ؛ ففى أواخر القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) اتهم رئيس الأساقفه النسطوريين بمدينه مرو باللواط اتهاما عليا ، فاعتنق الإسلام ؛ وكان يحط من شأن المسيحيين لدى البلاط (,Barhebraeus Chron. Eccles. III, ١٧١ ff) ؛ وحوالى عام ٣٦٠ه ٩٨٠م اعتنق أسقف أذربايجان الإسلام بعد أن قُبض عليه يزنى بامرأه مسلمه (نفس المصدر ص ٢٤٧) ، وفى سنه ٤٠٧ه ١٠١٦م هدد رئيس أساقفه مدينه تكريت بالخلع بسبب ارتكابه للزنا ، فدخل الإسلام وتسمى بأبى مسلم ، وتزوج كثيراً من النساء ؛ ويحكى الموءرخون المسيحيون مسرورين أنه لم ينل من التشريف عند الخلفاء ماكان يناله وهو رئيس لأبناء دينه ، وأنه فى آخر حياته كان يعيش من التكفف (,Elias Nisibenus. S. ٢٢٦ Barhebr. Chron. Eccles. III, ٢٨٧ ff) ؛ وكذلك فى الأندلس خُلع أحد الأساقفه الكبار ، وهو صموئيل أسقف مدينه البيرا Elvira لسوء سيرته ، فاعتنق الإسلام (Graf Baudissin, Eulogius Und alvar, ١٨٧٢, S. ١٦٢) . ولقد تمثل أبو العيناء بمثل فريد فى بابه فى القرن الثالث الهجرى ، وذلك أنه استأذن يوماً على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول ، فانتظر ؛ فلما أبطأ إذنه قال للحاجب : ما صنع الوزير ؟ قال : يصلى ، قال : صدقت ، لكل جديد لذه ؛ يعيّره بأنه حديث عهد بالإسلام (مروج الذهب للمسعودى ج٨ ص ١٢٢ ١٢٣) .

ولم يكن ثمَّ تزاوجٌ بين المسـمين ، وذلـك لأـن القـانون المسـيحى لم يكن يجيز للمرأه النصـرانيه أن تـتزوج بغير نصـرانى ، لئلا تنتقل هى وأولادها إلى غير المـذهب ، ولا كان يجوز للنصـرانى بحسب قانون الكنيسه أن يتزوج بغير نصـرانيه إلا رجاء إدخالها هى وأولادها فى النصرانيه(١) .

أما زواج المسـيحى من مسـلمه فكان مسـتحيلا . على أنه كان فى الـدوله الإسـلاميه ما يضـمن لكل ديانه من ديانات أهل الـذمه كيانها الخاص ، فكان لا يجوز للمسيحى[١] أن يتهوَّد ، ولا لليهودى أن يتنصـر ؛ ولا يكون تغيير الدين إلا إذا كان ذلك دخولاً فى الإسـلام ؛ ولم يكن النصرانى[٢] يرث اليهودى ولاـ العكس ، كما لم يكن اليهودى[٣] أو النصـرانى يرث المسلمَ ولا المسلمُ غيرَ المسلم يهودياً كان أو نصرانياً(٢) .

وقد أصدر الخليفه المقتدر فى سـنه ٣١١ه ٩٢٣م كتاباً فى المواريث أمر فيه بأن « تُرَدَّ تركه من مات من أهل الـذمه ، ولم يخلف وارثاً ، على أهل ملّته » ، على

١- ١٩٢، ١٧٠، ٧٥ Sachau: SvricheRechtsbuche. ١١، S.

٢- كتاب الخراج وصـنعه الكتاب لقدامه بن جعفر ، مخطوط رقم ٥٩٠٧ بالمكتبه الأهليه بباريس ص ١٣ب ، حيث ورد فى عهد لقاضٍ بولايه الحكم ألا يورّث أهلَ ملتين .

حین أن ترکه المسلم کانت ترَدّ إلی بیت المال(۱) .[۱]

وفی النصف الثانی من القرن الرابع الهجری صدر منشور کُتب للصابئین عن أمیرالموءمنین ، أمَرَ فیه ، إلی جانب صیانتهم وحراستهم والذبّ عن حریمهم ورفع الظلم عنهم ونحو ذلک ، بالتخلیه بینهم وبین مواریثهم ، وتَرک مداخلتهم ومشارکتهم فیها ، لأن أمیرالموءمنین یری فی مواریث الصابئین وغیرهم من المخالفین رَأْی رسول اللّه صلی الله علیه و آله ، إذ یقول فی الأثر الثابت عنه : «لا یتوارث أهلُ ملَّتین»(۲) .[۱]

وفی أثناء القرن الرابع الهجری اعتُرف للمجوس بأنهم أهل ذمّه ، إلی جانب الیهود والنصاری ؛ وکان لهم ، کالیهود والنصاری ، رئیسٌ یمثلهم فی قصر الخلافه وعند الحکومه ؛ ولکن کان بین هذه الطوائف الثلاث فروق ؛ فأما الیهود فإنهم استطاعوا أن یستنقذوا مرکزهم السیاسی من خلال الاتحاد المفکک الذی کان للامبراطوریه البابلیه رغم ما تعرضوا له من مخاطر وتقلُّبات ؛ وأما المجوس فهم بقیه لعدو باسل مستقل لم یتمَّ التغلب علیه فی مواطنه البعیده المنال ؛ أما

۱- کتاب الوزراء ص ۲۴۸ ؛ [وبظهر أن الحال کانت قبل عهد المقتدر فیما یتعلق بالمسلمین أن توءخذ ترکه من لا وارث له إلی بیت المال ، وکذلک ما یفضل عن السهام المفروضه فی القرآن ، إن لم یکن المتوفی عصبه تحوز باقی میراثه ؛ وکان لذلک عمال یسمون عمال المواریث ، وقد اشتطوا حتی شکی منهم الناس . والمفهوم من نص کتاب المقتدر أنه أمر بصرف عمال المواریث ، وقد اشتطوا حتی شکی منهم الناس . والمفهوم من نص کتاب المقتدر أنه أمر بصرف عمال المواریث فی سائر النواحی ، وأمر برد ما یفضل من السهام المفروضه علی أصحاب السهام من القریه ویجعل ترکه من یتوفی ، ولا عصبه له ، لذوی رحمه ، إن لم یکن له وارث سواهم ؛ وهذا رأی عمر وعلی وابن عباس وابن مسعود رضی اللّه عنهم . علی أن الکتاب لم یتعرض لترکه المسلم الذی یموت ولا یکون له وارث ولا رحم المترجم] .

۲- رسائل الصابی مخطوط رقم ۷۶۶ بمکتبه لیدن بهولنده ص ۲۱۱ ب .

النصارى فقد كانوا من قبل يخضعون لحكم الساسانيين على ما يشبه حال أهل الذمه ، وكانت الظروف التى عاشوا فيها أقسى عليهم من غيرهم وأقل حفظاً لمصالحهم من اليهود أو من شعوب الولايات التى أُخذت من الروم(١) ؛ «وكانت الرياسه فى المجوس واليهود وراثيه ، وكان يلقب روءساؤهم ، بلقب المُلك ، وكانوا يدفعون الضرائب لرؤسائهم ، خلافا لما كان الحال عليه بالنسبه للنصارى»(٢) ؛ وقد قال بطريرك اليعاقبه فى مجلس له مع الخليفه : إن روءساء المجوس واليهود حكام دنيويون ، وإنه هو رئيس روحى ، ولا يستطيع إلا فرض العقوبه الروحيه ، كان يحكم بإزاله القسس والأساقفه عن مناصبهم أو بمنع العلمانيين من حضور البيعه(٣) .

وصار الجاثليق النسطورى ، رئيس المسيحيين الشرقيين ، بعد أن انتقل مركز الدوله الإسلاميه إلى الشرق ، هو الرئيس الأكبر للنصرانيه ، وكانت تنتخبه الكنيسه ويصادق الخليفه على انتخابه ، ويكتب له عهداً كما يكتب لكبار العمال والمتصرّفين ، وقد وَرَدَ فى نسخه عهد الجاثليق عام ٥٣٣هـ ١١٣٩م(٤) .

«ولما أَنهَيتُ حالك إلى أميرالموءمنين ، وأنك أمثَلُ أهل ملّتك طريقةً ، وأقربهم إلى الصلاح مذهباً... وحضر جماعةَ من النصارى الذين يُرجع إليهم فى استعلام

١- Noldeke : Taburfubersetzung, S. ۶٨. Anm.

٢- Michael Syrus. ed. Chabot, S. ٥١٩ ؛ وكان أهل الذمه فى الموصل يدفع كل واحد منهم ديناراً ؛ وكان نصف ما يحصل من اليهود يعطى لرئيسهم ونصفه الآخر الحكومه (R. Petachja, S. ٢٧٥) .

٣- Dionys. von Telimachre, ed. Chabot, ١۴٨, Barhebraeuse, Chronicon ecclesiasticum,ed. Abbelocs et Lamy ١,٣٧٢

۴- نقلا عن تذكره ابن حمدون التى نشرها أمد روز Amedroz JRAS, ١٩٠٨, ۴۶٧ ff .

سيره أمثالـك ... فـاتفقوا باجتمـاع من آرائهم وأهوائهم على اختيارك لرياسـتهم ومراعاه شوءونهم وتـدبير وقوفهم والتسويه فى عدل الوساطه بينهم ، قوّيهم وضـعيفهم ، وسألوا أيضاً نَصبَك عليهم بالإذن الذى به تثبت قواعده ... وبرز الإذن الإمامى الأشرف لازالت أوامرُه معضوده بالتوفيق بترتيبك جاثليقاً لنسـطوريى النصارى بمدينه السـلام ومن تضمنته ديار الإسلام وزعيما لهم ومن عـداهم من الروم واليعاقبه والمَلَكِيه فى جميع البلاد وكل حاضـر فى هـذه الطوائف وبادٍ وانفرادك عن كافه أهل ملتك بتقمص أهبه الجثلقه المتعـارفه فى أماكن صـلواتكم ومجامع عباداتكم غيرَ مشارك فى هـذا الإنسان ولا مفسـح فى التحلّى به لمطران أو لمطران أو أسقف أو شماس(١) . حطّاً لهم عن رتبتك ووقوفاً بهم دون محلك ؛ وإن ولج أحد فى باب المجادله .. وأبى النزول على حكمك .. كانت العقوبه به حائقه حتى تعتـدل قناتُه .. وأمر بحملك على مقتضـى الأمثله الإماميه فى حق من تقـدمك من الجثالقه .. والحياطه لك ولأهل ملتك فى الأنفس والأموال والحراسه للكافظ بصـلاح الأحوال واتباع العاده المسـتمره فى مواراه أمواتكم وحمـايه بِيعكُم وديـاراتكم .. وأن يقتَصِـر فى استيفاء الجزيه على تناولها من العقلاء والواجـدين من رجالكم(٢) ، دون النساء ومن لم يبلغ الحُلُم من أطفالكم ، ويكون استيفاوءها

١- كـانت علامـه الجـاثليق ، كمـا يقول الجاحظ ، برطّله وعصا (ولعل البرطله آتيه من الكلمه اليونانيه hyperbÞle انظر البيان والنبيين طبعه مصر ١٣١١ه ج ٢ ص ٧٦) على أنه يحكى عن أحد أصـحاب الضـياع المسلمين فى القرن الثالث الهجرى أنه كان يطوف على ضـياعه وعلى رأسه برطله خوص ، انظر كتـاب المحاسن والمساوى للبيهقى ؛ الطبعه الأوروبيه نشـرها (Friedrich Schwally) عام ١٩٠٠ ١٩٠١ص ٥٦٦ .

٢- أن تخمين أمد روز لا ضروره له ، فإن الجاثليق لم يكن يقبض الجزيه بل الذى كان يقبضها عامل الخراج .

نوبةً واحده فى كل سنه من غير عدول فى قبضـها عن قبضه الشـرع المستحسنه ، وفَسِّح (هكذا فى النص) فى أن تتوسط طوائف النصارى فى محاكماتها فتأخذ النصفَ من القويّ للمستضعف» .

وكذلك كان يُكتب لبطريق اليعاقبه عهدً ، فكان لا بد له أن يذهب إلى قصر الخلافه عند تنصيب كل خليفه جديد(١) .

ولكن الخليفه منعه حوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢م من أن يتخذ ببغداد مقرّاً له(٢) .

وكان للنصارى النوبيين دون سائر النصارى مركزٌ خاص ممتاز فى المملكه الإسـلاميه ، فكانوا يدفعون الضـرائب لملكهم ، وكان للضـرائب عامل من قِبَله فى بلاد الإسـلام ، وقـد حـدث أن واحداً منهم اعتنق الإسـلام ، وكان ابن ملك النوبه ببغداد زائراً ، فأمر باعتقاله وغلَّه بالقيود(٣) .

ولا ـ يتكلم الموءرخون المسـلمون كثيراً عن رئيس اليهود ؛ ويقول موءرخون اليهود إنه عـانى فى القرن الرابع أيامـا شديـده(٤) ؛ وقـد تكلم عنه بنيـامين (Benjamin von Tudela) وبتاحيـا (Petachja von Regensburg) فى القرن السـادس الهجرى .

١- Michael Syrus, S. ٥١٩.

٢- Barhebraeus, Chron. Eccles. III, ٢٧٥, Aum.١.

٣- نفس المصدر ج ١ ص ٣٨٤، و Michael Syrus, S. ٥٣٢ .

٤ - H. Graetz, Geschichte der juden, V, ٤. Aufl. S. ٢٧٦ ff.وفيمـا يتعلق بـالمراجع العربيه التى تكلمت عن رأس الجـالوت انظر Goldziher: Revue des : etudes juives, VIII, ١٢١ff. ؛ وقـد نقل جولـدزيهر عن موءلف عربى مجهول : الجالوت رئيسهم ، ويزعم عامتهم أنه لا يرأس [حتى يكون طويل الباع] حتى تكون أنامل يديه تبلغ ركبتيه ، انظر أيضاً مفاتيح العلوم لأبى عبد اللّه الخوارزمى طبعه ليدن ١٨٩٥ ص ٣٥ . انظر فصل «الأشراف » .

وقـد كـان انقسـام الإسـلام إلى خلافه ببغـداد وأخرى بالقاهره مما أثر فى تنظيم المجتمع اليهودى ، ولـذلك نجـد ببغـداد رأس الجالوت الذى لقبه المسلمون بسيدنا ، ولكن كلمته كانت لا تسرى إلا شرقى الفرات(١) ؛ ونجد فى القاهره رئيسا آخر يلقَّب سر هسّاريم (أى أمير الأمراء) ، وكان يعين أحبار اليهود فى الشام ومصر ، أى فى حدود مملكه الفاطميين(٢) .

ولا بـد أن يكون الفاطمييون قد تكلَّفوا إيجاد هذه الطائفه الخاصه من الأمراء (ناجيد أمير) بالقاهره رغبه منهم فى معارضه كل ما هو بغدادى ؛ فعندنا من القرن الثانى عشر الميلادى ، أى بعد سقوط دوله الفاطميين مباشره ، كتابٌ لرئيس الطائفه اليهوديه بمصر موجَّه إلى بغـداد يشـكو فيه من إمام غير مقبول أُرسل من بغـداد(٣) ؛ ويقـدّر ربَّى بنيـامين (وهو رحاله سافر عام ١١٦٥م) اليهود الـذين فى المملكه الإسـلاميه بعـد صـرف النظر عن المغرب بنحو ثلاثمائه ألف يهودى ، على حين أن ربَّى بتاحيا وقد سافر بعد صاحبه بعشرين عاما يقدر أن عدد اليهود فى العراق وحدها يبلغ ستمائه ألف(٤).

ولاـ تنطبق هـذه الأرقـام على اشـام فى القرن الرابع الهجرى لأـن السـياسه التى جرى عليها قواد الصـليبيين إزاء اليهود كادت تفنى الطائفه الإسرائيليه ؛ ويقدِّر بنيامين عددَ سكان الحى الخاص باليهود فى القدس بأربعه أنفس(٥) ؛ ولم يجد

١- ٦١ .Benjamin, S . وعند بتاحيا أن أمره نافذ فى دمشق وعكا .

٢- ٩٨ .Benjamin, S .

٣- ١٣٠ .Mitteil. Samml. Erzh. Rainer, V,

٤- ٢٨٩ .Petachja, S.

٥- ويذكر أن عددهم مائتان ، وذلك فى مخطوط واحد .

بتاحيا هناك إلاّ شخصاً واحداً . ويقول بايلومارسيليوس جورجيوس (Bailo Marsilius Georgius) فى خبر يرجع تاريخه إلى اكتوبر ١٢٤٣م إنه لم يكن فى الحى الخاص بالبندقيين فى صور إلا تسعه من شبان اليهود(١) .

أما بنيامين فيقول إنه كان يسكن دمشق ثلاثه آلاف يهودى تحت حكم المسلمين وعند بتاحيا عشره آلاف وفى حلب خمسه آلاف يهودى . أما على نهرى دجله والفرات فكان اليهود مجتمعين بكثره كما كانوا بألمانيا فى ذلك الوقت على نهرى الرين والموزل . وقد كانوا كثيرين على نهر دجله بنوع خاص ، يقول ربَّى بتاحيا(٢) : «وثَمَّ يهود فى جميع المدن والقرى التى بين نينوى ودجله» . وكان فى جزيره ابن عمر أربعه آلاف ، وفى الموصل سبعه آلاف (وعند بتاحيا سته آلاف) ، وفى مدينه حربه بأقصى الشمال فى العراق خمسه عشر ألفا ، وفى عكبرى وواسط عشره آلاف ، ولكن من العجيب أنه لم يكن يوجد ببغداد إلاّ ألف يهودى(٣) ؛ وكانت المدن التى بها يهود كثيرون على الفرات هى مدينه الحلّه ، وكان بها عشره آلاف ، والكوفه ، وكان بها سبعه آلاف ، والبصره وكان بها ألفان ، وفى أوائل القرن الرابع الهجرى كان اليهودهم أكثر أهل مدينتى سورا ونهر ملك

١- Tafel und Thomas, Urkunden zar alteren Handels Staafsgws chichte der Republik Venedig Wien, ١٨٥٦,II,S.٣٥٩.

٢- ص ٢٧٩ .

٣- Benjamin S. ١٩ وكذلك Petachja, S. ٢٨٠ . ويقال إن بها اليوم أكثر من أربعين ألف يهودى ، لهم إحدى وعشرون بيعه ؛ انظر كتاب Ohermeyer, Modernes Judentum, Wien, ١٩٠٧. S.٢٣ ، وفى الطبعه الأخيره لكتاب بنيامين أربعون ألفاً ، وهذا لايتفق مع ما يقوله بتاحيا ، ولا مع ما كان يتحصل من الجزيه (انظر ص ١١) .

من بين أجزاء العراق الأخرى(١) .

وكلما تقدمنا شرقا زاد عدد اليهود ، فكان بهذان ثلاثون ألفاً ، وبأصفهان خمسه عشر ألفاً ، وبشيراز عشره آلاف ، وبغزنه ثمانون ألفاً ، وبسمرقند ثلاثون ألفاً(٢) .

ويقول المقدسى فى القرن الرابع ما يوءيد هذا فيذكر أن بخراسان يهوداً كثيرين ونصارى قليلين(٣) ، وأن بالجبل يهوداً أكثر من النصارى(٤) .

وكان بالمشرق أيضاً المدينتان الوحيدتان اللتان أطلق عليهما اسم اليهوديه : إحداهما قرب أصفهان والأخرى شرقى مرو . وكذلك وجد المقدسى إقليم خوزستان «قليل النصارى غير كثير اليهود أو المجوس» (ص ٤١٤) ، وكذلك فى فارس وجد «المجوس أكثر من اليهود ، وبه نصارى قليل»(٥) (ص٤٣٩) .

وكذلك الحال فى جزيره العرب ، فاليهود أكثر من النصارى (مقدسى ص ٩٥) ، وهم الغالب على مدينه قرح ، ثانيه مدن الحجاز عمارةً وتجاره (مقدسى ص ٨٣ ٨٤) . أما مصر فالأرقام التى ذكرها بنيامين أقل مما تقدم بكثير(٦) :

١- أخبار الحكماء للنفطى الطبعه الأوربيه ص ١٩٤ .

٢- هذه الأرقام تقريبيه لأن بنيامين لم يزر المشرق ، ويقال إنه كان فى مدينه خيبر ، وهى مدينه صغيره بجزيره العرب ، خمسون ألفاً من اليهود ، وهذا عجيب .

٣- المقدسى ص ٣٢٣ .

٤- نفس المصدر ص ٣٩٤ .

٥- ويقول أحد موءلفى القرن الرابع عشر الميلادى إن مدينه أبرقوه بفارس تمتاز بأن أبناء اليهود فيها لا يعيشون أكثر من أربعين يوما ، انظر Hamdallah Mustawfi von G. Le Strange, ١٩٠٣ S. ٦٥.

٦- وهو يتفق مع المقدسى حيث يقول (ص ٢٠٢) : «ويهود قليل» . ويقال : إن اليهود كانوا فى العصور القديمه يوءلفون أكثر من ثمن السكان) Caro, Wirtschaft segeschichichte der Juden, ١,٢٧

فكان بالقاهره سبعه آلاف وبالإسكندريه ثلاثه آلاف ، وبمدن الدلتا نحو ثلاثه آلاف ، وثَمّ ستمائه فى المدن التجاريه بالصعيد .

أما عـدد النصاى فلا يمكن تعيينه إلا تعيينا تقريبا ناقصا جـدا ؛ وفى عهـد عمر ابن الخطاب رضـى الله عنه كان عـدد الذين دفعوا الجزيه خمسمائه ألف إنسان(١) ، وامعنى هذا أن أهل الذمه بلغوا خمسمائه ألف منهم اليهود(٢) ؛ ويدل إحصاء سكان مصر فى القرن الثانى الهجرى على أنه كان بها خمسه ملايين من القبط يدفعون الجزيه(٣) .

وهذا يدل على أنه كان بمصـر زهاء خمسه عشر مليوناً من النصارى الأقباط(٤) ؛ وبلغ مقـدار الجزيه ببغداد فى أول القرن الثالث الهجرى مائه ألف وثلاثين ألف درهم(٥) ، وفى أوائل القرن الرابع بلغت مائه وستين ألف درهم(٦) .

وبـدل هـذان الرقمان على أنه كان ببغـداد نحوٌ من خمسه عشـر ألفا من أهل الذمه يدفعون الجزيه ، ويجب أن نسـقط منهم ألف يهودى . ونستطيع أن نقول

١- كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ، طبعه ليدن ص ١٤ .
٢- ولكن يجب أن يراعى أن الجزيه لم تكن توءخذ من جميع أهل الذمه [المترجم] .
٣- Fuhrer durch die Samml. Rainer, S. ١٥٢.
٤- يبلغ سكان مصر بحسب إحصاء ١٩٠٧ اثنى عشر مليوناً ، [والآن (١٩٥٦) يزيدون على اثنين وعشرين مليوناً المترجم] .
٥- ابن خرداذبه ص ١٢٠ ؛ ويقول قدامه بن جعفر فى كتاب الخراج (طبعه ليدن ص ٢٥١) إن جزيه أهل الذمه بلغت مائتى ألف درهم عام ٢٠٤ ه .
٦- Kremer: Einnahembudget der Abbasiden, DWA. ٣٦, S. ٨١٣.

بشيء من اليقين إنه كان ببغداد ما بين أربعين وخمسين ألف نصرانى ، والمدينتان الوحيدتان فيما بين الفرات ودجله اللتان يقول ابن حوقل إن أكثر أهلهمه نصارى هما الرُّها وتكريت ؛ ويقول عن تكريت إنها مـدينه قديمه البناء ، وتجمع سائر فرق النصارى ، وبها من البيع والأديره القديمه التى تقارب عهد عيسى عليه السلام والحواريين ، لم تتغير أبنيتها وثاقةً وجّلّداً(١) .

أمـا المجوس فكانوا كثيرين بالعراق(٢) ، وأكثر مـا كـانوا فى جنوب فارس وفى سـنه ٣٦٩ه ٩٧٩م وقعـت فتنه عظيمه بينهم وبين عامه شـيراز من المسـلمين ؛ ونُهبت فى هـذه الفتنه دور المجوس ، وضُـربوا ، فسـمع عضـد الدوله الخبر وجمع كل من له أَثَرٌ فى ذلـك وبالغ فى تأديبهم وزجرهم(٣) ؛ ولكن شـيراز كانت مـدينه هادئه فى العاده ، وقـد عجب المقدسـى من أنه لم يرَ فيها على مجوسى غياراً يميّزه ومن أن الأسواق تُزيَّن فى أعياد الكفار .

وفى عام ٣٧١ه ٩٨١م مات أحد كبار الصوفيه ، فمشى فى جنازته المسلمون واليهود والنصارى .

وكـانت تقع فى المفـازه التى بشـرق فـارس مـدينه القرينين ، وأهلهـا مجوس ، وكسـبهم من كرى حميرهم ، يضـربون عليها إلى الآفاق(٤) .

أمـا الصـابئه فكـان آخر عهـد ازدهر أمرهم فيه أواخر القرن الثانى ، فى عهـد الخليفه الأمين ؛ ففى ذلك العصـر «عاد شأنُ الوثنيه بحرّان إلى الظهور ، وَقِيدَتْ

١- ابن حوقل ص ١٥٦ .

٢- المقدسى ص ١٢٦ .

٣- ابن الأثير ج ٨ ص ٥٢٢ .

٤- كتاب الخراج وصنعه الكتاب لقدامه بن جعفر طبعه ليدن ١٨٨٩ ص ٢٠٩ .

الثيران فى جميع الشوارع مزيَنَنَةً بغالى الثياب والورود والرياحين وبالأجراس على قرونها ، وسار خلفها الرجال بالمزامير»(١) .

وفى حوالى عام ٣٢٠ه استفتى الخليفةُ القاهرُ أبا سعيد الأصطخرى محتسبَ بغداد فى الصابئين ، فأفتاه بقتلهم ، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى ويعبدون الكواكب ؛ فعزم الخليفه على ذلك حتى جمعوا من بينهم مالاً كثيراً فكفّ عنهم(٢) .

وقد صدر حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى منشورٌ كُتب للصابئين المقيمين بحرّان والرقّه وديار مضر أَمَرَ فيه الخليفةُ بصيانتهم وحراستهم(٣) ؛ ولكنهم انقرضوا حوالى عام ٤٠٠ه ١٠٠٩م ، حتى إن ابن حزم يقول إنهم فى جميع الأرض لا يبلغون أربعين نفساً(٤) .

ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمَّه أى باب من أبواب الأعمال ؛ وكان قدمهُم راسخاً فى الصنائع التى تُدِرّ الأرباح الوافره ، فكانوا صيارفه وتجاراً وأصحاب ضياع وأطبّاء(٥) ؛ بل إن أهل الذمه نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفه والجهابذه فى الشام مثلاً يهوداً ، على حين كان أكثر الأطباء والكتبه نصارى(٦) .

١- Michael Syrus S. ٤٩٧. .

٢- طبقات السبكى ج ٢ ص ١٩٣ .

٣- رسائل الصابى مخطوط رقم ٧٦٦ بمكتبه ليدن ص ٢١١ ب .

٤- كتاب الفصل لابن حزم ج ١ ص ١١٥ طبعه مصر عام ١١١٧ ه .

٥- كتاب الخراج لأبى يوسف القاضى ، طبعه بولاق ص ٦٩ .

٦- المقدسى ص ١٨٣ .

وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفه ، وكان روءساء اليهود جهابذَتهم عنده(١) .

وكان أصغر دافعى الضرائب هم اليهود الخيّاطون والصبّاغون والأساكفه والخرّازون ومن إليهم(٢) .

وقد وجد بنيامين (ص٣٥) فى القدس فى القرن الثانى عشر الميلادى أن اليهود يحتكرون صنعه الصباغه ، وكذلك الاثنى عشر يهوديا الذين وجدهم فى

١- وفى عام ٢١٠ه‍ ٨٢٥م مثلاـ ، قام الطبيب جبريل ورميله ميخائيل باختيار الجاثليق النسطورى (Barhebraeus, Chron. Eccles, III. ١٨٧) ، ويقول أبو نواس (ديوانه طبعه القاهره سنه ١٨٩٨ ص ٣٥٦): سألتُ أخى أبا عيسى وجبرييل ، له عقل فقلت : الراح تعجبى فقال : كثيرها قتل فقلت له : فقدّر لى فقال ، وقوله فصل رأيت طبائع الإنسان أربعه ، هى الأصل فأربعه لأربعه لكل طبيعه رطل ويقول شاعر نيسابورى فى الفصد : لما رأيت الجسم ذا اعتلال ودّبت الآلام فى أوصال دعوت شيخاً من بنى الجوالى بطريق عم جاثليق خال فسلّ سيفاً ليس للقتال ومرهفاً ليس من الصوالى إلى آخر القصيده ، انظر يتيمه الدهر ج ٤ ص ٣٠٦ .

٢- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٦٩ ؛ والمقدسى ص ١٧٣ ؛ وقد جاء فى كتاب حكايه أبى القاسم البغدادى تأليف محمد بن على المطهر الأردى ، طبعه متز بهيدلبرج سنه ١٩٠٢ ص٤٢ : «كأنها نعل كنباتى تصّير من دكان ابن عذره اليهودى» ، وفى كتاب ذكر أخبار أصفهان لأبى نعيم (مخطوط رقم ٥٦٨ بمكتبه ليدن ص ١١) ، [ولهذا الكتاب نسخه مطبوعه نشرها الدكتور سفين ديدرنج Dr. Sven Dedering بليدن سنه ١٩٣١] : وسكنتها اليهود مقبلين على صناعتهم القدره كالحجامه والقصاره والقصابه .

بيت لحم ؛ فقد كانوا جميعاً صبّاغين (ص ٤٠) ، لأن اليهودى ولو كان واحداً فى بلد فإنه يشتغل بهذه الصناعه (بنيامين ص ٣٢ و٤٣ و٤٤ و٤٩) .

أما حياه الذمّى فإنها عند أبى حنيفه وابن حنبل تكافئ[١] حياةَ المسلم ، ودِيَتُه دِيَهُ المسلم ؛ وهى مسأله مهمه جداً من حيث المبدأ .

أما عند مالك فَدِيهُ اليهودى أو النصرانى نصف ديه المسلم ، وعند الشافعى ثلثها ؛ أما المجوسى فَدِيَتُهُ جزء من خمسه عشر جزءاً من ديه المسلم[١] . ومما كان يستحق التأديب ، لا الحدّ ، عند فقهاء المسلمين أن يقال للمسلم : يا يهودى أو يانصرانى أو ما جرى هذا المجرى(١) .

ولم تكن الحكومه الإسلاميه تتدخل فى الشعائر الدينيه لأهل الذمّه ، بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصيانتهم(٢) ؛ وفى حاله انقطاع المطر كانت الحكومه تأمر بعمل مواكب «يسير فيها النصارى ، وعلى رأسهم الأسقف ، واليهود ومعهم النافخون فى الأبواق»(٣) ؛ وكذلك ازدهرت الأديره فى هدوء ؛ فمن ذلك الدير المسمى دير قُنّى ، وهذا الدير كان «يقع على

١- كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى ، طبعه ليدن ١٨٩٥ ص ٥٥ : حكى أن رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهل الكتاب فرفع إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال : أنا أحق من وفى بذمه ، ثم أمر به فقتل ؛ وعن عبداللّه بن مسعود قال : من كان له عهد أو ذمّه فديته ديه المسلم : انظر أيضاً كتاب الخراج لقدامه مخطوط باريس رقم ٥٩٠٧ ص ٢٩ب ، وانظر :Sachau Muhammedanisches Recht, ١٨٩٧, S. ٧٨٧. ، وفى بلاد الغال بفرنسا مثلا كانت ديه الفرنجى الحرّ ديه الرومانى مرتين .

٢- لم يكن يجوز للنصارى من حيث المبدأ أن يحملوا فى مواكبهم رايات أو صلباناً أو مشاعل ، أو يخرجوا بسلاح (كتاب الخراج لأبى يوسف طبعه بولاق سنه ١٣٠٢ ه ص ٨٠ وما بعدها) ؛ ولكن هذا لم يكن ينفذ عمليا . راجع أيضاً الفصل الخامس بالأعياد .

٣- Dionys. von Tellmachre, S. ١٧۶.

مسافه سته عشر فرسخاً من بغداد ، منحدراً فى الجانب الشرقى ، بينه وبين دجله ميل ونصف ، وهو دير حسن نزِهٌ عامر ، وفيه مائهُ قَلاّيه لرهبانه والمتبتّلين فيه ، لكل راهب قلاّيه ؛ وهم يبتاعون هذه القلالى بينهم من ألف دينار إلى مائتى دينار إلى خمسين ديناراً(١) .

وحول كل قلايه بستان فيه من جميع الثمار والنخل والزيتون ، وتُباع غلّته من مائتى دينار إلى خمسين دينارً ، وعليه سور عظيم يحيط به ، وفى وسطه ، نهرٌ جارٍ ؛ وعيده الذى تجتمع الناس إليه عيد الصليب»(٢) .

وكان أكبر الأديره بمصر الدير المعروف بدير أنطانيوس ، وبينه وبين النيل ثلاثه أيام فى البريه ؛ وهو يقع شرقى إطفيح من قبلى مصر ، وهو على جبل عالٍ ، وله بمصر وقوفات وأملاك عده ، وعليه حصن دائر ، وداخل الحصن بستان كبير ، وفيه نخيل مثمر ، وأشجار تفاح وكمثرى رمان وغيرُ ذلك ، وأرضه مزورعه بالبقول ، وله ثلاثه عيون ماء تجرى دائماً ويسقى منها البستان ؛ ومن جمله البستان فدان وسدس كرم عنب ، وقيل إن عِدَّه نخيله ألف رأس نخل ، وبه جوسق كبير وقلالٍ للرهبان مطله على البستان ، وله بإطفيح أيضاً أملاك وبساتين ، وليس مثله فى سائر الديارات التى يسكنها رهبان المصريين(٣) .

١- وحوالى عام ٣٠٠هـ ٩١٢م كان الرجل يبتاع لابنه قلايه فى الدير إذا أحب الرهبه ومال إليها (الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٤) .

٢- كتاب الديارات للشابشتى مخطوط رقم ٨٣٢١ بمكتبه برلين ص ١١٥ ب ١١٦ ، [ولهذا المخطوط سوره شمسيه بدار الكتب المصريه] ، أنظر أيضاً Streck, S. ٢٨٤ : ومن أراد معرفه حياه الرهبان فى العراق حتى القرن الثالث الهجرى فلينظر : Badge Book of Governors I. S. C×LCII ff :. .

٣- تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ، طبعه أكسفورد سنه ١٨٩٤ ص ٥٤ ب ؛ ولما كانت قوانين الرهبنه بمصر تحتم الفقر فى طالبيها فإن أديره مصر كانت تنشأ على نظام يخالف نظام أديره الشام كل المخالفه .

على أن الكنيسه الرسميه فى الدوله الرومانيه الشرقيه قد ذهبت فى معاداتها للمسيحيين الذين يخالفون رجالها فى التفكير أبعد مما ذهب إليه الإسلام بالنسبه لأهل الذمه ؛ فلما أعاد الإمبراطور نقفور افتتاح بلاد الشام فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى كان مما وعد به أهل الشام وأمّنهم به أن يحميهم من مضايقه كنيسه الدوله ، ولكنه رغم هذا الأمان ، لم يألُ جهداً فى مضايقه اليعقوبيين ، فاضطرهم مثلا إلى الخروج من أنطاكيه ، ولذلك بجد موءرخى اليعقوبيين يصفون البطارقه التى عينتهم الدوله فى أنطاكيه بأنهم أضلّ من فرعون وأشد كفراً بالله من بختنصّر ؛ ولما أعيد فتح ملطيه أُخذ بطريرك اليعاقبه وسبعةٌ من كبار أساقفتهم إلى القسطنطينيه وسُجنوا هناك ، ووضع الملكانيون أيديهم على الكنيسه الكبرى بملطيه(١) ؛ فأما البطريرك فإنه مات منفياً على حدود بلغاريا ؛ وكذلك مات أحد أصحابه فى السجن ، ورُجم الثالث أمام قصر الإمبراطور ، ورجع ثلاثه عن المذهب اليعقوبى ، وأعيد تعميدهم ، ولكنهم لم يجدوا السكينه التى يرجونها ، وصاروا موضع السخريه كأنهم شياطين .

وأخيراً لم يستطع روءساء الكنيسه السريانيه أن يقيموا فى مقر بطريقهم بعد دخول المذهب الملكانى ، «وبعد أن أعيدت أنطاكيه إلى المسيحيه» ، كما يقول الملكانيون ، فاضطروا إلى الانتقال إلى آمد طلباً لتسامح أكثر فى بلاد الكفار(٢) .

١- Michael S. ٥٥٦ ff.

٢- Barhebraeus Chron, Eccles, I, ٤٣٢ ff.ولعله يقصد بالكفار هنا المسلمين .

ولقد منعت الكنيسه الرسميه نصارى أرمينيه من استعمال النواقيس(١) .

وكثيراً ما كان رجال الشرطه المسلمون يتدخلون بين الفرق النصرانيه لمنعهم من المشاجرات ، حتى عين حاكم أنطاكيه فى القرن الثالث الهجرى رجلاً يتقاضى ثلاثين ديناراً من النصارى فى الشهر ، وكان مقره قرب المذبح ، وعمله أن يمنع المتخاصمين من قبل بعضهم بعضاً(٢) .

وفى سنه ٣٢٢ ه مات أسقف تّنيس ، وكان بينه وبين البطريك وَحَشهٌ ، فلما مات انقسم أهل مصر وأهل تنيس حزبين ، أحدهم مع البطريك والأخر عليه ، «وقام لكل حزب من الحزبين غرض فى نصره هواه ، حتى كان الأبُ لا يكلم ابنه ولا المرأهُ تخاطب بَعلَها» ؛ وكان كل فريق يستعين بالسلطان على الآخر ، حتى خرج جماعه من النافرين عن البطريرك ، وذهبوا إلى الإخشيد محمد بن طغج ، فوجَّه معهم من ختم الكنيسه الجامعه التى كان الأسقف نازلا بها ومنع الصلاه فيها وقبض على الأسقف والبطريرك(٣) .

وفى سنه ٢٠٠ ه٨١٥م أراد الخليفه المأمون أن يصدر كتابا لأهل الذمّه يضمن لهم حريه الاعتقاد وحريه تدبير كنائسهم ، بحيث يكون لكل فريق منهم مهما كانت عقيدتهم ، ولو كانوا عشره أنفس ، أن يختاروا بطريقهم ، ويعترف له بذلك ، ولكن روءساء الكنائس هاجوا وأحدثوا شغبا ، فعدل المأمون عن إصدار

١- انظر Schlumberger : Epopee Byzantine S. ١٦٨ ، وهكذا فعلت الكنيسه الإنجليزيه مع الكاثوليك حتى القرن التاسع عشر ، و كما لا تزال أسبانيا وصقليه تفعلان حتى اليوم مع البروتستانت .

٢- Michael Syrus, ٥٣٦.

٣- يحيى بن سعيد ص ٨٣ ب .

الكتاب(١) .

أمـا فيمـا يتعلق ببنـاء الكنائس فلم تكن الـدوله الساسانيه من قبل تسير على خطه ثابته فى ذلك ، [فكانت تسمح ببنائها أحياناً] ، على حين أن القانون الرومانى فى العهد الأخير كان يحرّم على اليهود أن ينشئوا كنائس جديده لهم ، ولا يسمح لهم إلاّ بإصلاح ما تهدّم منها(٢) .

أما فى الإسـلام فنجـد سـياسه الـدوله تجمع فى أوقات متتابعه بين تسامح الفرس وتعصب الرومان ، فكان يسـمح للنصارى أحياناً ببناء كنائس جديـده ، وأحياناً كانوا يمنعون حتى من إصـلاح الكنائس القـديمه(٣) ؛ ففيمـا بين عامى ١٦٩ و١٧١هـ ٧٨٥ و٧٨٧م هدم على بن سليمان والى مصر من قبل الرشيد الكنائسَ الُمحدَثه بمصر ، وبُذِل له خمسون ألف دينار ليترك الهدم ، فامتنع ؛ ثم جاء بعده والٍ آخر ، فأذن للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها على بن سـليمان ، فبُنيت كلها بمشوره الليث بن سـعد وعبداللّه بـن لهيعـه ، وقالاـ : هـو مـن عمـاره البلاـد ، واحتجّـا بـأن عـامه الكنـائس الـتى بمصـر لم تُبنَ إلاـ فى الإسـلام فى زمن الصـحابه والتابعين(٤) .

وفى عام ٣٠٠هـ ٩١٢م ثار المسلمون فهدموا كنيسه بناها النصارى فى

١- Micbael Syrus, ٥١٧.

٢- Sachau, Von den rechtifchen Verhaltnissen der Christen im Sasanidenrekhe, Mittell des Sem. fur Orientalische Sprachen, ×, ٢, S. ٧٨ f.

٣- يجد القارئ كثيراً من الآراء فى هذه المسأله عند Gottbell, Dhimmis and Moslems Egypt, S. ٣٥٣ ff.in

٤- كتاب تاريخ مصر وولاتها للكندى طبعه ليدن سنه ١٩١٢ ص ١٣١ .

تِنّيس ، فأعان السلطانُ النصارى حتى بنوا الكنيسه(١) .

وفى سنه ٣٢٦ه ٩٣٨م انهـدمت قطعه من كنيسه أبى شـنوده بمصـر ، فبـذل النصارى للإخشـيد مالا ليطلق عمارتها ، فقال : خذوا فتوى الفقهـاء ؛ فأمـا ابن الحـداد فـأفتى بألا ـ تُعمَّر ، وأفـتى بـذلك أصـحاب مالـك ، وأفـتى محمـد بن على بـأن لهم أن يرمّوها ويعمروهـا ، واشـتهر ذلـك عنـه ، فحملـت الرعيـه إلى داره النـار وأرادوا قتلـه ، فاسـتترونـدم على فتيـاه . وشـغبت الرعيه وأغلقت الدروب وأحاطت بالكنيسه ؛ فأرسل الإخشـيد عسـكراً كبيرا ، فزحفت عليهم الرعيه ورموهم بالحجاره ؛ فدعا الإخشـيد بأبى بكر بن الحـداد الفقيه ، وقـال له : إركـب إلى الكنيسه ، فإن كانت تبقى فاتركها على حالها ، وإن كانت مَخوفةً فاهـدمها إلى لعنه اللّه ... فأخـذ ابنُ الحداد معه مهندساً ، فدخلها وأخذ بيده شـمعه ، فطاف بها وعاد إلى أبى بكر ، وقال له : تبقى هكذا خمس عشـره سنه ، ثم يسـقط منهـا موضع ، ثم تقيم إلى تمـام أربعين ويسـقط جميعهـا ؛ فانصـرف أبوبكر إلى الإخشـيد وعرفّه ، فتركها ، ولم يعمرها ، وكان أمرها كما قال المهندس ؛ فعمرت سنه ست وستين قبل تمام أربعين سنه ، ولو تُركت لسقطت(٢) .

وكان أهل الذمه يعاملون فى مارسـتانات بغداد معامله المسـلمين ، ولكن حدث وباءُ فى أوائل القرن الرابع ، فوقّع الوزير على بن عيسى إلى سنان بن ثابت طبيب الخليفه ، وهو الذى كان يتولى المعالجه وإعطاء الأدويه للمرضى خارج

١- يحيى بن سعيد ص ١٨١ .

٢- كتاب المغرب لأبن سعيد ص ٣٢ ٣٣ ؛ وملحق أخبار الولاه والقضاه للكندى ص ٥٥٤ ٥٥٥ ؛ وراجع Tallquist, ٣٢ f.

بغداد ، بأن يعالج المسلمين قبل أهل الذمه(١) .

وكان موتى المسلمين وأهل الذمه يدفنون كلٌّ على حده ، ولكن يحكى أنه فى عام ٣١٩ه ٩٣١م جاء إلى تكريت سَيلٌ كبير ، فغرّق منها أربعمائه دار وغرّق خلقاً كثيراً من الناس ، ودُفن المسلمون والنصارى مجتمعين لا يعرف بعضهم من بعض(٢) .

ولم يكن يوجد فى المدن الإسلاميه أحياءٌ مختصه لليهود والنصارى بحيث لا يتعدونها ، وإن آثر أهلُ كل دين أن يعيشوا متقاربين . وكانت الأديره المسيحيه منتشره فى كل أجزاء بغداد حتى كادت لا تخلو منها ناحيه .

ولما كان الشرع الإسلامى خاصاً بالمسلمين فقد خلّت الدوله الإسلاميه بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصه بهم ؛ والذى نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كَنَسِيَّه ، وكان روءساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاه أيضاً ؛ وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون .

ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائلَ الميراث وأكثَر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدوله به .

على أنه كان يجوز للذمى أن يلجأ للمحاكم الإسلاميه ؛ ولم تكن الكنائس بطبيعه الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا ، ولذلك ألّف الجاثليق تيموتيوس (Timotheus) حوالى عام ٢٠٠ه ٨٠٠م كتاباً فى الأحكام القضائيه المسيحيه

١- أخبار الحكماء للقفطى ص ١٩٤ من الطبعه الأوروبيه .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ١٧٤ .

«لكى يقطع كل عـذر يتعلل به النصارى الذين يلجأون إلى المحاكم غير النصرانيه بدعوى نقصان القوانين المسيحيه»(١) ؛ وفى الفصلين الثانى عشر والثالث عشر من هـذا الكتاب فرض تيموتيوس على من يـذهب طائعاً إلى المحاكم الإسلاميه أن يتوب ويتصدّق ، ويقوم على المسح والرماد(٢) .

ثم جاء خليفته فقرّر أن النصارى إذا خرجوا إلى الأحكام البرانيه فإنهم يوءدّبون على قدر جرمهم ، ويمنَعون من البيعه إلى حين(٣) .

وفى عام ١٢٠هـ ٧٣٨م ولى قضاء مصر خَيرُ بن نعيم ، فكان يقضى فى المسجد بين المسلمين ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج ، فيقضى بين النصارى(٤) .

ثم خصص القضاةُ للنصارى يوماً يحضرون فيه إلى منازل القضاه ليحكموا بينهم ، حتى جاء القاضى محمد بن مسروق الذى ولى قضاء مصر عام ١٧٧هـ ، فكان أول من أدخل النصارى فى المسجد ليحكم بينهم(٥) .

وعلى أى حال فإن بعض فقهاء الإسلام أجازوا تقليد الذمى القضاء بين أهل دينه ، وهذا ، وإن كان العرف به جارياً ، فهو تقليد زعامه ورياسه وليس بتقليد حكم وقضاء ؛ وإنما يلزمهم حكمه لالتزامهم له ، وإذا امتنعوا من التحاكم إليه لم يجبَروا على ذلك ؛ فإذا رجعوا إلى قاضى الإسلام[١] فإنه يقضى بينهم بحكم

١- Sahau : Syrische Rechtsbucher, II, ٥٧.

٢- نفس المصدر ص ٦٧ ، ١٩١ .

٣- نفس المصدر ص ١٦٩ ، ٢٠٤ .

٤- كتاب الولاه والقضاه للكندى ص ٣٥١ .

٥- نفس المصدر ص ٣٩٠ .

الإسلام ، لأنه يكون عليهم أنفَذَ ولهم ألزم(١) .

ولاـ نجد فيما انتهى إلينا من القوانين التى وضعتها البطارقه سوى عقوبات دينيه كَنَسيه ؛ فمنها التوبيخ أمام الناس ، والقيام على المسح والرماد أمام البيعه ، ودفع كفاره ماليه للبيعه ، والمنع من حضورها ومن التمتع برسوم المباركه الدينيه عند الموت ومن الدفن على الطريقه النصرانيه(٢) ؛ ومن أمثله العقوبه أن النصرانى الذى يضرب آخر يمنَع من البيعه ومن رسوم المباركه من القسيس شهرين ، ويقف كل يومِ أحَدٍ على المسح والرماد ، وعليه أن يتصدّق على الفقراء بحسب قدرته(٣).

أما فى الأندلس فعندنا من مصدر جدير بالثقه أن النصارى كانوا يفصلون فى خصوماتهم بأنفسهم ، وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضى إلاّ فى مسائل القتل ؛ فكانوا يقدمون المتهم إليه ويعرضون أدلتهم ، فإذا قال القاضى : « حسنٌ » ، قُتِل المجرم(٤) .

ويقول ربّى بتاحيا إن روءساء اليهود فى الموصل كانوا هم الذين يعاقبون مرءوسيهم ، حتى ولو كان أحد طرفى الخصومه مسلماً ؛ وكان بالموصل سجن يسجن فيه اليهود(٥) .

١- كتاب الأحكام السلطانيه لأبى الحسن الماوردى طبعه بن (Bonn) بألمانيا ص ١٠٨ ١٠٩ ، وهكذا جاء أيضاً فى نسخه عهد لقاض بولايه القضاء ، كتبت بعد عام ٣١٦ه ٩٢٨م . انظر قدامه ابن جعفر مخطوط باريس ص ١٣ب .

٢- Sachau : Syrische Rechtsbucher II, S. VI.

٣- نفس المصدر ص ٦٨ والتى تليها .

٤- Graf Baudissin : Eulogius und Alvar, S. ١٣Anm, ٦.

٥- Petachja, ٢٧٥.

وأكبر ما كان يُحْرَم منه أهل الذمّه ويوءثر فى نفوسهم تأثيراً عميقاً أنه لم يكن يُسمح لهم بالتقدم للشهاده أمام القضاء ، كأنهم عبيد . وذهب بعض الفقهاء إلى أنه لا تُقبل شهادتُهم على أهل دينهم ، وذهب البعض مذهباً آخر(١) .

أما المحاكم النصرانيه فإنها كانت تقبل شهاده المسلم على النصرانى على كُره منها لذلك بالطبع . وكل ما كانت تطلبه هو أن يكون الشاهد تقيّاً يخاف اللّه غيرَ مطعون فى ذمته ، وهذه هى الشروط التى كان القاضى المسلم يحتّم توفرَها فى الشاهد(٢) .

وكان أهل الذمّه ، بحكم ما كانوا يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ومن حمايتهم لهم ، يدفعون الجزيه ، كل واحد منهم بحسب مقدرته ؛ وكانوا ثلاث طبقات : تدفع الدنيا منها اثنى عشر درهما ، والوسطى أربعه وعشرين ، والعليا ثمانيه وأربعين درهما فى السنه ، أو ديناراً أو دينارين أو ثلاثه فى البلاد التى عُملَتُها الذهب ؛ وكانت هذه الجزيه أشبه بضريبه للدفاع الوطنى ، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح ، ولا يدفعها ذوو العاهات ، ولا المترَهّبون وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم يسارُ(٣) .

١- Sachau, muhammedanisches Recht, S. ٧٣٩ . وكان القاضى محمد ابن مسروق الذى ولى القضاء عام ١٧٧ ه يقبل شهاده النصارى واليهود بعضهم على بعض ، ويسأل عن عدالتهم فى أهل دينهم ؛ وفى عهد لقاض بولايه القضاء أن يقبل شهاده بعض أهل الملل على بعض ، انظر الكندى ص٣٥١ ، وقدامه مخطوط باريس ص١٣ ب.

٢- Sachau : Syrische Rechfsbucher, II,١٠٧ .

٣- يذكر بنيامين (ص ٧٧) ومرسيليوس (انظر مايلى) أنه كان يعفى منها من نقل سنه عن خمس عشره سنه . وفى الدوله الفارسيه كان لا يدفعها إلّا من بلغ العشرين انظر Noldeke, Tabariuberectzung, ٢٤٦, Aum. ٢.

ويحكى ابـن خرداذبه(١) . أن الروم كـانوا يأخـــذون مـن اليهـود والمجـوس دينـاراً فى السـنه ؛ وكـذلك فرض النصـارى على المسلمين الجزيه لما فتحوا بلادهم(٢) .

على أن غالبيه دافعى الجزيه كانوا يـدفعون الحـد الأدنى ، حتى أن بنيامين يقول : «إن اليهود فى كل بلاد الإسـلام يدفعون ديناراً واحداً»(٣) .

وكـذلك يقول بتاحيا : «إن اليهود فى العراق لا يـدفعون شـيئاً للخليفه ، وإنما يـدفع الواحد منهم فى كل عام ديناراً واحداً لرأس الجالوت»(٤) .

ويحكى بَيلو مرسـيليوس جورجيوس (Bailo Marsilius Oeorgius) فى اكتوبر سـنه ١٢٤٣م ، وهـو فى مـدينه صور ، أن «كل يهودى متى بلغ الخامسه عشره يدفع فى كل عام ديناراً بوزنطياً لعاملنا ، وذلك فى عيد القدّيسين(٥) .

وقد ظلت الجزيه بوجه عام عند المقدار الذى فرَضته الشريعه(٦) . وإنما كانت تتغير تغيراً يسيراً بحسب تغير العمله .

وكـانت الحكـومه فى مصـر فى أول القرن الثـالث الهجرى تكتفى بأخـذ نصـف دينـار ؛ ولكـن فى سـنه ٣٩٠ه ١٠٠٠م اضطر البطريرك جورجيوس المصرى أن

١- المسالك والممالك ص ١١١ .

٢- ابن حوقل ص١٢٧ ؛ ولما أخذ باسيل الإمبراطور مدينه حلب عام ٣٥٩ه ٩٧٠م تقرر الأمر بين الروم وبين أهل حلب على أمور منها أن يدفع دينارٌ عن كل رجل حالم يحيى بن سعيد ص ٩٨ بكـ ل ابن حوقل ص ١٢٧ .

٣- Benjamin, ٧٧ ؛ وقارن مـا حكاه الرحاله الصـينى عن الجزيه عنـد الفرس Noldeke : Tabariuberectzung, ٢ Aum, ٢٤٠.

٤- Petachja, ٢٧٥ ,٢٨٨.

٥- Tafel und Thomas : Urknnden...,II,٣٥٩.

٦- هذا اشتباه والشريعه لم تفرض مقداراً معيناً.

يـدفع ديناراً ونصف دينار ، بعـد أن كان يـدفع ديناراً واحداً(١) ؛ وكـذلك يخبرنا البطريرك ديونيسـيوس ، وكان بمصـر زائراً ، حوالى عام ٢٠٠ه ٨١٥م عن مدينه تنِّيس المشـهوره بصناعه النسيج ، فيقول : «ومع أن مدينه تنيس عامره بالسكان كثيره الكنائس ، فإنى لم أرَمن البوءس فى بلـد أكثر من بوءس أهلها ، وقـد سألتهم عن مصـدر هـذا البوءس فأجابونى : إن مدينتنا مُحَاطه بالماء فلا نسـتطيع زرعا ولا تربيه ماشـيهٍ ؛ والماء الذى نشـر به يُجلب لنا من بعيد ، ونشترى الجرّه منه بأربعه دراهم ؛ ولا شـغل لنا سوى نسيج الكتان ، فنساوءنا تغزله ونحن ننسجه ، ونُعطى على ذلك نصف درهم فى اليوم من تجار الأقمشه ؛ ومع أن أجرتنا لا تكفى لإطعـام كلاـ بنا فإن على كل منا أن يـدفع ضـريبه مقـدارها خمسه دنانير ، وفى ذلك نُضـرب ونُسـجن ونُلزم بإعطاء أبنائنا وبناتنا رهائن ، فُيلزمون بالعمل كالعبيـد سـنتين لأجل كل دينار ؛ ولو ولـدت عندهم امرأةٌ طفلاً فإنهم يأخذون قَسَـمَنا بأن لا نطالب به ؛ وقـد يحـدث أن تحل ضـرائب جديده قبل إطلاق هوءلاء النساء» . فأجابهم البطريرك أنه بحسب قانون العراق عليهم متى طلبت منهم الجزيه أن يدفع الغنى منهم ثمانيه وأربعين درهما والمتوسط أربعه وعشرين والفقير اثنى عشر درهما(٢) .

١- Mitteil aus der Sammlungen Rainer III/III, S.١٧٨ f.

٢- . وقـد صار يقرض على الخنازير بالشام فيما بعـد ضـرائب خاصه بالنسـبه للنصارى ، فيحدثنا بايلو البندقى وهو بصور أنه حتى ذلك الحين يجب على كل من أراد أن يذبح خنزيراً أو يشترى خنزيراً أن يدفع للسـلطان أربعه دنانير ، وقد ألغى البندقيون ذلك ؛ انظر : Tafel und Thomas, Urkunden, II, ٣٠٠ .

وكانت الجزيه توءخذ مقسَّطه على سته أجزاء أو خمسه أو أربعه أو ثلاثه(١) أو اثنين(٢) ؛ وقد فرضت فى أول الأمر بالعراق فى كل شهر(٣) ، وذلك لأن عمال المسلمين كانوا يتقاضون منها مرتباتهم فى كل شهر ؛ وكذلك كان الحال فى الأندلس فى القرن الثالث الهجرى(٤) . ولكن فى عام ٣٦٦ه ٩٧٦م صدر أمرُ الخليفه الطائع بأن تُوءخذ الجزيه من أهل الذمه فى المحرم من كل سنه بحسب منازلهم ، وألا توءخذ من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم ، ولا من ذى سنّ عاليه ولا ذى عاهه باديه ، ولا من فقير معدم ، ولا من راهب متبتِّل(٥) .

وكانت العاده جاريه بأعطاء براءه لمن يدفع الجزيه ، وفى العصور السيئه كانت تعلق على رقبه أهل الذمه علامه البراءه ، وتُختم أيديهم(٦) .

وهذه العاده قديمه ترجع إلى عصر الأشوريين الذين كانوا يعلقون فى رقاب

١- كما كان الحال فى الإمبراطوريه الفارسيه (Noldeke, Tabari. S. ٣٤٢) ، وانظر ما قاله كرباجك Karabacek فى Sammrl . Rainer II/III, ١٧٦f. ، وكذلك أيضاً ما حكاه ديونيسيوس Dionysius, ed. Chabot, S.٦١. .

٢- Mittel. II/III, ١٦٥.

٣- كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٥٦.

٤- Leovilgildus, De habitu clericorum (Esp. sagr, ×I) : vectigal, quod omni lunari mense pro Christi nomine solvere. cogimur. Eulogius Memoriaie I, ٢٤٧ : quod lunariter solvimus cum eravi moerore tributum. انظر Graf Baudissin, Eulogius und Alvar S. ١٠.

٥- رسائل الصابى طبعه مدينه بعبدا (بلبنان) سنه ١٨٩٨ ص ١١٢ ، انظر أيضاً عهد الجاثليق الذى تقدمت صورته .

٦- فمثلا فى أواخر العهد الأموى فى مصر وسُِمت أيدى الرهبان بحلقه من حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه ، وجعل على كل نصرانى وسُمٌ ، وصوره أسد على أيديهم ، انظر الخطط للمقريزى طبعه بولاق ج ٢ ص ٤٩٢ ٤٩٣ .

العبيد قطعه من الفخار أسطوانيه مكتوباً عليها اسم العبد واسم سيده(١) . وكان اليهود فى عهد التلمود يعلّون عبيدهم بالختم على الرقبه أو الثوب(٢) . وفى عام ٥٠٠م كان حاكم مدينه الرُّها يعلق إلى رقبه الفقراء الذين يأخذون رطل خبز كل يوم قطعه من الرصاص مختومه(٣) .

على أن الفقهاء القدماء ، مثل أبى يوسف ويحيى بن آدم لم يقولوا شيئاً فى هذا الباب ؛ ويظهر أن هذا الأمر نادراً ما كان يقع .

ويقول ديونيسيوس إنه كان من التجارب الموءلمه لحصر أهل الذمه ومعرفه عددهم «أن يرسل مع عمال الضرائب ختّامون يختمون كل واحد باسم بلده واسم قريته ؛ فكانوا يطبعون على يده اليمنى اسم البلد وعلى اليسرى اسم العراق ، ويعلّقون على رقبه كل رجل حلقتين على إحداهما اسم البلد وعلى الأخرى اسم القسم ، وكانوا يقيدون اسم الشخص وأوصافه الجسميه ومسكنه . وكان ينشأ عن هذا اضطراب كبير ؛ لأنه كان يوءدى إلى القبض على كثير من الغرَباء ، فيذكرون أسماء مساكن لهم ، فتُقيد ، ولا تكون لهم هذه المساكن فى الحقيقه. ولو أن هذا النظام اتّبع إلى آخر ما يوءدى إليه لأحدث من الفساد أكثر من كل ما تقدمه من الأنظمه ؛ وإذا وجد العامل أن ما لديه من عمل لا يكفيه فإنه يذهب إلى أى جهه

١- مجله المشرق المجلد الخامس ص ٦٥١ .

٢- ٨٩ .Krauss : Talmudische Achaeologie, II,S

٣- ٤٢ Josua Stylites, ed. Wright.S، وكذلك فى مدينه استراسبرج فى القرن الرابع عشر الميلادى كان يحمل فقراء البلد علامه ظاهره ٦١ .Brucker, Strassburger Zvnft- und Polizeiverordnungen, S. وفى القرن التاسع كان النساء المثبتات فى ديوان الزوانى بالصين واللابى يدفعن ضريبه البغاء يحملن خانما من النحاس مطبوعا بخاتم الملك ويعلقنه فى أعناقهن . (انظر ٦٩ .Renaud, Relation des Voyages, S) .

تصـادفه ، ويقبض على الغـادين وارائحين ؛ وقـد يطوف بالمكان الواحـد أكثر من عشـرين مره ، ولا يهـدأ له بال حتى يصل إلى تقييـد جميع السـكان بحيث لا ـ يفلت منهم أحـد ؛ وهكـذا وقع مـا قاله النبى دانيال والرسول يوحنا : «كل الناس طُبعوا بطابع هـذا الحيوان على أيديهم وصدورهم وظهورهم»(١) .

ومن الواضح أن البطريرك ديونيسـيوس لا يتكلم هنا عن الختم والعلامات باعتبارها شـيئاً عاديا . على أن شاعراً بصريا من العصر العباسى الأول يقول :

ختم الحبُّ لها فى عنقى موضعَ الخاتم من أهل الذمم(٢)

وقـد حكى الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ ٨٦٩م عن أحـد الثقات الـذين يعتَمدُ عليهم أن من تمام آله الخمَّار أن يكون ذمِّيًا مختوم العنق(٣) .

وقد وُجدت حول مدينه همذان علامه من هذا النوع يرجع تاريخها إلى السنه الأولى من القرن الرابع(٤) .

وعندنا نصٌّ صريح على أنه كانت تكتب لأهل الذمه فى الربع الأول من القرن الرابع براءةٌ مختومه عند أدائهم للجزيه(٥) .

ولم يكن المترهَّبون المسيحيون يعفون من الجزيه إلا إذا كانوا مساكين يتَصَدُّق عليهم كباقى المساكين(٦) ؛ وهذا كان من حيث المبدأ العام والوجهه

١- Dionys v.Tellmachre, ed Chabot, S. ١٤٨ f.

٢- الأغانى ج ٣ ص ٢٦ ؛ وهذا البيت لبشار بن برد .

٣- البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٤١. انظر مايلى .

٤- Mitteil. aus der Samml. Rainer II/III, S. ١٧٦.

٥- المروج للمسعودى ج ٩ ص ١٤ ١٥ .

٦- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٧٠ .

النظريه ؛ ذلك أنه فى مصر عام ٣١٢ه ٩٢٤م «أخذ الرهبانُ والأساقفهُ بأداء الجزيه ، فأُخذت الجزيه منهم ، ومن الضعفاء والمساكين ومن جميع الديارات بأسفل مصر والصعيد ، ومن رهبان طور سيناء،؛ وسافر قوم من الرهبان إلى العراق واستغاثوا بالمقتدر ، فكتب لهم أَلّا تُوءخَذَ الجزيهُ من الرهبان ولا من الأساقفه .. وأن يجرى أمرهم على ما كانوا عليه»(١) .

على أنه فى عام ١٦٦٤م كان يعفى من الجزيه بمصر : «جميعُ الأوربّيين والرهبان المتبتِّلين من المسيحيين والبطريرك وجميع الأتراك (أى المسلمين)»(٢) .

ولم يكن أخذ الجزيه أرحم من غيرها من الضرائب ، وإن كانت الشريعه الإسلاميه قد أمرت بعدم القسوه فى تحصيلها ، فقد نُهى فى الإسلام عن اتباع الأساليب القديمه القاسيه ، من تعذيب ، أو تكليف أصحابها ما لا يطيقون ، أو إقامتهم فى الشمس وصبّ الزيت على روءسهم ونحو ذلك ؛ وإنما أجار الفقهاء حبس أهل الذمه حتى يوءدوها(٣) .

وقد وُجدت فى بلاد الإسلام من أول الأمر تعليماتٌ خاصه باللباس ؛ فقد أمر هارون الرشيد عام ١٩١ه ٨٠٧م بأن يوءخذ أهلُ الذمه فى مدينه السلام بمخالفه هيئنهم هيئه المسلمين فى بلاسهم وركوبهم ، فأخذوا بأن يجعلوا فى أوساطهم الزنّارات مثل الخيط ، وبأن تكون قلانسهم مضرَّبه ، وأن يجعلوا شراك تعالهم مثنيّه ، وأن يتخذوا على سروجهم فى موضع القرابيس مثل الرمانه من خشب

١- يحيى بن سعيد ص ٨١ .

٢- M. Wanslebs : Beschreibung von Aegypten, S.٥٧.

٣- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٧١ .

وتمتّع نساؤهم من ركوب الرحائل ، ولا يركبنّ يهودى ولا نصرانى على سرج ، بل على أكاف(١) . وكان اليهود فى القرن الثانى (الثامن الميلادى) يلبسون براطيل طويله شبّهها بعض الشعراء بالأميال الطوال أو بالمقاعيد على روءوس القرود(٢) .

وكان النصارى فى ذلك الوقت يلبسون البرانس ، ولكن لما صارت القلانس الطوال عند المسلمين لباساً قديماً لبسها النصارى وبقيت خاصه بهم(٣) .

أما اللون فلم يصلنا فى التعليمات القديمه أن أحداً أُلزم باتخاذلون معين ؛ ويظهر أن هذه المسأله تُركت للعادات المحليه ، ويصف الجاحظ (المتوفى عام ٢٥٥ه ٨٦٩م) عاده العراقيين فيقول : «من تمام آله الخمّار أن يكون ذِمَّيا ، ويكون اسمه آذين أو مازبادا أو أزدانقاذا أو ميشا أو شلوما ، ويكون أرقط الثياب مختوم العنق»(٤) .

وقد حدث فى عهد هارون الرشيد أن ولى القضاء محمد بن مسروق ، فتحامل على أهل مصر ، فأساءوا عليه الذكر والثناء ، ودعوا عليه فى المسجد الجامع ، فوقف على باب المقصوره غير خائف ، وقال بأعلى صوته : «أين أصحاب الأكسِيَهِ العسليه ؟ أين بنو البغايا ؟ لم لا يتكلم متكَلمهم بما شاء حتى يرى ويسمع ؟ فما تكلم أحد بكلمه »(٥) .

١- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٧١٣، كتاب الخراج ص ٧٥ .

٢- الكندى ص ٤٢٤ ، وكان لباس الرأس عند اليهود يسمى بمصر بُرطُلّه ، وكانت هذه فى المشرق جزءاً من أهبه الجاثليق . وفى سنه ١٥٣ ه ألزم المنصور رعيته بلبس القلانس الطوال فشبهها أبو دلامه بدنان اليهود . (كتاب الأوائل لعلى ده مخطوط برلين ٩٣٧٢ ص ١٥٨) .

٣- انظر المستطرف ، على هامش مفيد العلوم طبعه مصرل ١٣١٠ ص ٢٠٠ .

٤- البيان والتبيين ج ١ ص ٤١ .

٥- الكندى ص ٣٩٠ .

وقـد صدر أمر المتوكل فى عام ٢٣٥ه ٨٤٩م بأخذ النصارى وأهل الذمّه بلبس هذه الطيالسه العسليه ؛ ومن أراد لبس قلنسوه مثل قلنسوه المسلمين فَليجعَلِ عليها زِرَّين ؛ وكـذلك أُمروا بأن يجعلوا على ما ظهر من لباس مماليكهم رقعتين ، لونهما يخالف لون الثوب الظاهر ، وأن تكون إحـدى الرقعتين بين يديه عند صدره ، والأخرى خلف ظهره ، وأن تكون كل واحده من الرقعتين قدر أربع أصابع ولونها عسليا ، وكذلك أمر بمنع مماليكهم من لبس المناطق وأمرهم بلبس الزنانير ، وبأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين(١) ، وفى عام ٢٣٩ ه ٨٥٣م أمر المتوكل أن يقتصر أهل الذمه فى مراكبهم على البغال والحمر ، دون الخيل والبراذين(٢) .

على أن هذه الأوامر المضـحكه لم تثمر إلا قليلا ؛ وكان أهل الذمّه يأبون الخضوع لها بشـجاعه ، وفى سـنه ٢٧٢ه ٨٨٥م ثار عامه بغـداد على النصارى لأنهم خالفوا وركبوا الخيل ، وهُدمت فى هذا الشـغب كنيسه كليل يشـو(٣) (إكليل يسوع) ؛ وكـذلك نجد الشاعر ابن المعتز يشكو حوالى عام ٢٩٠ ه من مغالاه النصارى فى البغال والسروج ، ومن تحكُّمهم فى المسلمين ؛ ويعتبر هذا من

١- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٣٨٩ وما بعـدها . انظر المقريزى (الخطط) ج ٢ ص ٤٩٤ حيث يقول : على دراريعهم بـدلا من على ذراريهم . (أبو المحـاسن ج ٢ ص ١٧٤ ١٧٥) . وكان للصابئه أيضا لباس ذولون خاص (يتيميه الـدهر ج ٢ ص ٤٥) . وقد حدث لأول مره فى الغرب عام ١٢١٥ م فى موءتمر لاـتيران مـأن طُلب إيجـاد علاـمه خاصه لليهود ، ولعل هـذا أتى من معرفه الغربيين بأنظمه الشرق .

٢- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤١٩ ، ويحكى بنيامين (ص ٢٤) أن اليهود كانوا يمنعون فى القرن الثانى عشر الميلادى من ركوب الخيل بالقسطنطينيه .

٣- Elias Nisibenus, S. ١٨٨ ؛ ويحكى الطبرى تهديم العامه للبيع فى حوادث سنه ٢٧٢ ه .

علامات ظهور المسيخ الدجَّال(١) . وقبل أول القرن الرابع بأربع سنين عادت القوانين الخاصه باللباس إلى الظهور ، وشُدِّدَ فى أمرها ، ثم لم نسمع عَن مثلها شيئا فى القرن الرابع كله ؛ فقد نامت ولم تظهر إلا عند ما قوى أمر أهل السنَّه فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حيث عادت بشكل جدى .

وفى عام ٤٢٩هـ ١٠٣٧م صدر توقيع الخليفه بإلزام أهل الذمه ملابس يعرفون بها عند المشاهده ، واستدعى لذلك جاثليق النصارى ، ورأس جالوت اليهود فى جمع حافل من الأشراف والوجوه ، فقالوا : السمعَ والطاعةَ(٢) .

وظهر فى هذا العصر لأول مره منعُ أهل الذمه من تعليه بيوتهم على أبنيه المسلمين ؛ فإن ملكوا بيوتا عاليه أُقِرُّوا عليها ، ومُنِعوا من الإشراف منها على المسلمين وأهل الذمه(٣) .

وأول من ذكر هذا فيما أعلم هو أبوالحسن الماوردى المتوفى عام ٤٥٠هـ ١٠٥٨م .

وقد سرت هذه الفكره بعد ذلك إلى الغرب ، فنجد البابا إنّوسِنت الثالث يشكو من أن اليهود بنوا فى مدينه سِنس كنيسه لهم تعلو على كنيسه مسيحيه مجاوره لها(٤) .

١- ديوان ابن المعز طبيعه مصر ١٨٩١ ، ج ٢ ص ٩ ، فارن النجوم الزهراه طبعه ليدن ج ٢ ص٢٣٣ ٢٣٤ .
٢- المنتظم ص ١٩٢ب .
٣- الأحكام السلطانيه للماوردى ص ٤٢٨ . وقد بين الماوردى أن الأصل فى ذلك المنع من الإشراف على منازل الناس .
٤- انظر. Caro, I ٢٩٥.

ولم يكن الاستهزاء والبغضاء بين الأديان أقلّ منه بين الأجناس ؛ ومن أمثله ذلك أن اليهود وُصـفوا بأنهم أنتن خلق اللّه فِنَاءً(١) ، وكذلك وُصف النصارى بشده السكر وخصوصاً غداه عيد الفصح(٢) ، وبأن راهباتهم وشمامستهم ضعفاء الفضيله .

وكـذلك يرمى الصـابئه بأن بينهم من المعاداه ما لا يكون بين غيرهم ، وأن بعضـهم يسـعى فى بعض ، ويقَّبـح عليه ما وجـد إلى ذلك سبيلا(٣) .

وكان المسـلمون المثَقَّفون يعلمون حقا أن المسـيحيه قد حثَّت على المحبه ورقّه القلب أكثر مما حثت على ذلك جميعُ الديانات ؛ ولكنهم كانوا يرون أن النصارى قلّما يعملون بـذلك ؛ يقول الجاحظ : «وكلُّ خِصاء فى الـدنيا فإنما أصـلُه من قِبَل الروم ؛ ومن العجب أنهم نصـارى ، وهم يـدَّعون من الرحمه والرأفه ورقه القلب والكبـد مـا لاـ يـدعيه أحـد من جميع الأصـناف ، وحَسْـبُكَ بالخِصاء مُثله وحسـبك بصنيع الخاصى قسوةً»(٤) ؛ وكـذلك تكلّم البيرونى فى صـدد كلامه عن العقوبات والكفّاره عند الهنود عن فلسـفه نبيله بينهم فهو يقول : «مثـال الحال فيهم على شبيه بحال النصـرانيه فإنها مَبنيَّه على الخير وكفّ الشـر ، من تركـ القتل أصلا ، ورمى القميص خلف غاصب الرداء ، وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الأُخرى ، والدعاء للعدو بالخير ، والصلوات عليه ؛ وهى لعمرى سيره فاضله ، ولكن أهل الدنيا ليسوا بفلاسفه كلهم ؛ وإنما أكثرهم جُهَّال ضُلَّال ، لا يقوِّمهم غيرُ السيف

١- انظر مثلا أدب الكاتب لابن قتيبه طبعه مصر ١٣٠٠ ه ص ٢٦ .

٢- يتيميه الدهر ج ٣ ص ٩٧ حيث يتمثل شاعر بسكر النصارى فى هذا اليوم .

٣- أخبار الحكماه للقفطى ص ٣٩٨ من الطبعه الأوروبيه .

٤- كتاب الحيوان طبعه مصر ١٩٠٧ ص ٥٦.

والسوط ، ومنذ تنصبَّر قسطنطينوس المظفَّر لم يسترح كلاهما من الحركه ؛ فبغيرهما لا تَتمُّم السياسه»(١) .

ومن الأمور التى نعجب لها كثرةُ عدد العمال والمتصرّفين غير المسلمين فى الدوله الإسلاميه ؛ فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين فى بلاد الإسلام(٢) ؛ والشكوى من تحكيم أهل الذمه فى أبشار المسلمين وأموالهم شكوى قديمه(٣) ؛ ويحكى عن عُمَرَ بن الخطاب أنه لما عرف أن لأبى موسى الأشعرى كاتباً نصرانيا ضرب فخذه ، وقال : ألا اتخَذْتَ رجلًا حنيفاً ، وكان عُمَرُ أيضاً يأبى أن يتخذ الكتاب من النصارى أو اليهود(٤) .

وقد قُلّد ديوان جيش المسلمين لرجل نصرانى مرّتين فى أثناء القرن الثالث ، فَوُجِّه اللوم للوزير لأنه «جعل أنصار الدين وحُماه البيضه يقبّلون يديه ويمتثلون أمره»(٥) .

وكان المتصرَّفون النصارى واليهود يقسمون اليمين ، شأنُهم شأن المسلمين ؛ وقد جاءت فى كتاب ديوان الإنشاء الذى أُلِّف عام ٨٤٠ ه ١٤٣٦م صيغه اليمين الذى كان يقسمه اليهود فى ذلك العهد ؛ وذكر أيضاً أن أوَّلَ من استحدث هذه الأيمان لأهل اليهوديه الفضلُ بن الربيع وزير الرشيد ، أحدثها له كاتب عنده ،

١- كتاب تحقيق ما للهند من مقوله طبعه سخاو ص ٢٨٠ .

٢- فيما يتعلق بالشام انظر المقدسى ص ١٨٣ ، وفيما يتعلق بمصر انظر يحيى بن سعيد ص ١٢٢ .

٣- عيون الأخبار لابن قتيبه طبعه جوتنجن سنه ١٨٩٩ ص ٩٩ .

٤- نفس المصدر المتقدم ص ٦٢ .

٥- كتاب الوزراء ص ٩٥ .

ومنها استُنبِطَت هذه الألفاظ(١) .

وكانت الحركات التى يقصد بها مقاومه النصارى موجَّهه أولا إلى محاربه تسلُّط أهل الذمه على المسلمين ، وسيطره أهل الذمه شيء لا يحتمله المسلم الحق . وفى عام ٢٣٥ه ٨٤٩م أمر الخليفه المتوكل ألا يُستعان بأهل الذمه فى الدواوين وأعمال السلطان التى تجرى أحكامهم فيها على المسلمين(٢) ؛ فمن ذلك أمر بعزل النصارى عن مقياس النيل(٣) ، ولكن هذا الخليفه نفسه بنى بعد ذلك بعشر سنين ، قَصرهَ المسمى بالجعفرى ، وأجرى إليه نهراً ، وصيّر النفقه عليه إلى دُلَيل بن يعقوب النصرانى(٤) ؛ وفى عام ٢٩٦ه ٩٠٩م كان النصارى قد علا أمرُهم وغلبوا على الكتَّاب ، فأمر المقتدر بما أمر به المتوكل من رفضهم واطّراحهم عن الخدمه(٥) ؛ وفى هذه السنه نفسها أمر المقتدر ألا يستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا فى الطب والجَهبَذه(٦) ، ولكن أمر المقتدر كان ضعيف الأثر إلى درجه مضحكه ؛ فقد كان وزيره أبوالحسن على بن الفرات يدعو أربعه من النصارى إلى طعامه كل يوم ، وكانوا فى جمله الكتّاب التسعه الذين اختص

١- كتاب ديوان الإنشاء مخطوط باريس رقم ٤٤٣٩ ص ٣٠٣ ٣٠٤ ، وانظر Pagnsn, Rev. Et. juives, ١٩١٠S.٢٢٩ . .

٢- تاريخ الطبرى ج٣ ، ص١٣٨٩ ١٣٩٠ .

٣- الولاه للكندى ص ٢٠٣ .

٤- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤٣٨ .

٥- عريب ص ٣٠ .

٦- أبوالمحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ١٧٥ ١٧٤ ؛ وكان النصارى فى مصر مثلا يستخدمون كثيراً فى أعمال الجهبذه ، كما تدل على ذلك أوراق البردى ، وفى عام ٣٤٩ه ٩٦٠م كان أحدهم يطبع البراءات بختمه الذى عليه الصليب . (انظر Karsbacek, Mitteilungen II/III S. ١٦٨) .

بهم(١) .

وكان الكتاب المسيحيون منتشرين فى كل مكان حتى إن محمد بن عبداللّه بن طاهر فى القرن الثالث اتخذ له قهرماناً نصرانيا(٢) ، ولما أراد المقتدر أن يستوزر الحسين بن القاسم عام ٣١٩ه ٩٣١م راسله فى أن يجتهد فى إصلاح أعدائه ، فابتدأ ببنى رائق ، فكان يمضى إلى كاتبهم النصرانى ويضمن له الضمانات ؛ ثم فعل ذلك بأصطفن بن يعقوب كاتب موءنس ، وقال له : إن تقَلَّدتُ الوزاره فأنت قَلَّدتَنيها» ، وكذلك فعل بغير هوءلاء من كتَّاب النصارى(٣) .

وكان الحسين بن القاسم يسعى دهره فى طلب الوزاره ، وكان يتقرب إلى النصارى الكتّاب بأن يقول لهم : «إن أهلى منكم ، وأجدادى من كباركم ، وإن صليباً سقط من يد عبيداللّه بن سليمان ، جدَّى ، فى أيام المعتضد ، فلما رآه الناس قال : هذا شيء تتبرك به عجائزنا ، فتجعله فى ثيابنا من حيث لا نعلم» تَقَرُّباً إليهم بهذا وشِبهه(۴) .

ولقد كان تقدير هذا الوزير صحيحاً ، ففى عهد امقتدر نفسه ، وهو الذى أراد اطّراح النصارى عن المناصب العامه ، تقلد هذا الرجل الذى كان يتقرَّب إلى النصارى ويتملّقهم منصب الوزاره . وإلى جانب ما ذكرنا نجد أن رئيس المتآمرين على موءنس المظفر كان مفلحاً الأسود الخادم ، وكان الأمر كله ، كما يقول عريب ، لهذا الخادم ولكاتبه النصرانى بشر بن عبد اللّه ، وكان بشر هذا

١- كتاب الوزراء ص ٢۴٠ .
٢- كتاب الديارات مخطوط برلين المتقدم ص ۵١ .
٣- مسكويه ج ۵ ص ٣۵٢ .
۴- عريب ص ١۶٢ .

مجبوباً(١) .

وفى عام ٣٢٤ ه ٩٣٥م مات أصطفن بن يعقوب النصرانى صاحب بيت مال الخاصه(٢) .

وكذلك ابتدأ على بن بويه بأن اتخذ له كاتباً نصرانيا من أهل الرى(٣) .

ولما خرج الوزير عز الدوله إلى البصره عام ٣٥٧ ه ٩٦٧م استخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النصرانى بالحضره(٤) . وكذلك كان للخليفه الطائع (٣٦٣ ٣٨١ ه = ٩٧٣ ٩٩١م كاتبٌ نصرانى(٥) .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع اتخذ كل من عضد الدوله (المتوفى عام ٣٧٢ه ٩٨٢م) فى بغداد والخليفه العزيز فى القاهره وزيراً نصرانيا .

وقد استأذن نصر بن هارون وزير عضد الدوله سيدَه فى عماره البيع والديره وفى إطلاق المال لفقراء النصارى ، فأذن له(٦) .

وقد أفتى بعض فقهاء الإسلام الكبار بأنه يجوز أن يكون وزير التنفيذ لا وزير التقويض من أهل الذمه(٧) .

١- عريب ص ١١٢ ١١١ .
٢- الأوراق للصولى ص ٩٦ .
٣- مسكويه ج ٥ ص ٤٦٤ ٤٦٥ .
٤- مسكويه ج ٦ ص ٣١٠ .
٥- ديوان ابن الحجاج ج ١٠ ص ١٨ .
٦- مسكويه ج ٦ ص ٥١١؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٥١٨ .
٧- وزير التنفيذ لا يباشر الحكم ولا يقلد العمال ولا يدبّ الجيش ؛ أما وزير التفويض فهو الذى يفوض السلطانُ إليه تدبيرَ المملكه برأيه ، وهو يشارك السلطان فى حكمه ، وليس وزير التنفيذ إلا سفيراً بين السلطان والرعيه . انظر كتاب العقد الفريد لأبى سالم محمد بن طلحه المتوفى عام ٦٥٢ ه ص ١٤٧ من طبعه مصر . (المترجم) .

وقد ولّى المأمون على مدينه بوره بمصر عاملا مسيحيا ، فكان إذا جاء يوم الجمعه لبس السواد وتقلد بالسيف والمنطقه ، وركب بزذوناً وقدّامه أصحابُه ، فإذا وافى باب المسجد وقف ، ودخل خليفته، وكان مسلماً يصلى بالناس ويخطب للخليفه ، ثم يخرج إليه(١) .

وكان لخمارويه وزيرٌ نصرانى فاجتاز يوماً راكباً فتعرض له بَنَان الحمّال الصوفى وأنزله عن دابته ، وقال له : لا تركب الخيل ، فأمر خمارويه أن يوءخذ بغان ويطرح بين يدى سبع ، فطرح وبقى ليلته ، فلما جاء الصباح وجدوا بُناناً قاعداً مستقبلًا للقبله ، والسبُع بين يديه(٢) .

وفى عام ٣٨٩ه ٩٩٩م توفى القاضى محمدبن النعمان ، فوُجد عليه مالٌ من أموال اليتامى وغيرهم ، فأرسل كاتب نصرانى يسمى فهداً ، فاحتاط على القاضى وشرع فى تغريم الشهود الذين كان القاضى أودع عندهم الأموال ، وألزم ابن القاضى ببيع ما خلفه أبوه للوفاء بالودائع(٣) .

ومن العجيب أنه على الرغم من هذا الوضع الذى لم يكن طبيعياً لانجد الموءرِّخين ، حتى المسيحيين منهم ، يذكرون إلا قليلا من المشاغبات بين المسلمين وأهل الذمه فى القرن الرابع الهجرى ، وسأقصّها كما ذكروها : فى سنه ٣١٢ه ٩٢٤م ثار المسلمون بدمشق هدموا كنيسه كبيره ، وأخذوا منها زهاء

١- يحيى بن سعيد ص ٧٤ب .
٢- أبوالمحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٢٣٤ ٢٣٣ .
٣- القضاه للكندى ص ٥٩٥ ، ٥٩٧ .

مائتى ألف دينار من صلبان ذهب وفضه وكوءوس وصَوَانٍ ونحوها ، ونهبوا دياراتٍ كثيره ؛ وكذلك ثاروا بالرمله فهدموا كنيستين للملكيه وهدموا كنيسه قيساريه ؛ فرفع النصارى الأمر إلى المقتدر فوقّع لهم ببنيان هذه الكنائس(١) .

وكذلك ثار المسلمون بعسقلان ، فهدموا كنيسه كبيره ، ونهبوا مافيها ، وأحرقوها ؛ وعاضد اليهود المسلمين فى هدمها ، وكان اليهود يشعلون النار فى الحطب ويجرونه بالبكر إلى أعلى السقوف حتى يحرقوها وينحل رصاصها تقع العمد ، وقد خرج أسقف عسقلان إلى مدينه السلام متوسِّلا لردِّها ، فلم ينجح له سعى(٢) .

وفى سنه ٣٨١ه‍ ٩٣٧م ثار المسلمون فى بيت المقدس ونهبوا بعض الكنائس(٣) . وفى سنه ٣٨١ه‍ ٩٩١م استهزأ رجلان من المسلمين بمنجم مسيحى لأنه لم يكن يحمل علامات النصارى .

فشكا ذلك إلى رئيسه ، فسجنهما فشعثت بعد ذلك كنيستان ؛ وقد هدأ الجاثليق هذه القصه بعد هدايا كثيره(٤) .

ثم هاج المسلمون بعد ذلك ، لأنهم وجدوا رأس خنزير فى أحد المساجد ، وظنوا أن النصارى هم الذين رموه(٥) وفى عام ٣٩٢ه‍ ١٠٠٢م ثار العامه بالنصارى فى مدينه السلام لمقتل أحد المسلمين ، ونهبوا بيعه وأحرقوها ،

١- يحيى بن سعيد ص ٨١، والخطط للمقريزى ج ١ ص ٤٩١ .

٢- يحيى بن سعيد ص ٨٤ ج ب .

٣- نفس المصدر ص ٨٢ .

٤- Barhebraeus Chron. eccles. III,٢٥٩.

٥- نفس المصدر .

فسقطت على جماعه من المسلمين رجالا وصبيانا ونساءً ، وكان الأمر عظيما(١) .

وفى عام ٤٠٣هـ ١٠١٢م توفيت بنت أبى الهيجاء ؛ فأخرجت جنازتها نهاراً ، ومعها الطبول والنوائح والزمور والرهبان والصلبان والشموع ؛ فقام رجل من الهاشميين فأنكر ذلك ، ورجم الجنازه ، فوثب أحد الغلمان بالهاشمى ، فضربه بدبوس على رأسه فشجّه فسال دمه ؛ وهرب النصارى بالجنازه إلى بيعه باب الروم ؛ فتبعهم المسلمون ، ونهبوا البيعه وأكثر دور النصارى المجاوره لها ؛ وثارت الفتنه بين غلمان أبى الهيجاء وبين العامه ، ورُفعت المصاحف فى الأسواق ، وغُلقت أبواب الجوامع ؛ وقصد الناس إلى دار الخليفه على سبيل الاستنفار ، فطلب الخليفهُ الكاتبَ من المناصح ، فامتنع فغاظ الخليفه امتناعُه ، وتقدّم بإصلاح الطيار للخروج عن البلد ، وجمع الهاشميين إلى داره ، واجتمعت العوامُّ فى يوم الجمعَه ؛ وقصدوا دار المناصح فدفع غلمانُه رجلًا ذُكر أنه علوى ، فزادت الشناعه ؛ وامتنع الناس من صلاه الجمعه وظفرت العامه يقوم من النصارى ، فقتلوهم وتردّدت الرسائل بين الخليفه وبين المناصح إلى أن بذلَ الكاتب النصرانى إلى دار الخلافه ، فكفّ العامه عن ذلك ، ثم أُفرج عن الكاتب بعد قليل(٢) .

وهذه الحوادث قليله جداً بالقياس إلى بلاد المشرق كلها على سعتها . أما فى مصر فكانت العلاقات بين المسلمين والنصارى متوتِّره ؛ فقد كان فى مصر كنيسةٌ

١- نفس المصدر ص ٢٦٢ ، وما يليها ، كتاب الوزراء ص ٤٤٣ ، والمنتظم لابن الجوزى ص ١٤٧ب .
٢- المنتظم ص ١٥٩ .

متحده أمام الإسلام ، وكان بها شعبٌ له لغته الخاصه وشخصيته أمام العرب ، ولم يبدأ القبط فى ترك لغتهم القبطيه إلا حوالى أواخر القرن الرابع(١) .

وفى القرنين الأوّلين للهجره لم تنقطع ثورات القبط ؛ بل تتابعت حتى أخمدت آخر ها عام ٢١٦ه ٨٣١م . وفى ذلك الوقت كان كل أهل الطبقه الوسطى بمصر نصارى ؛ وكان بين العرب والقبط من قله التفاهم ماكان بين اليونان والمصريين من قبل ، وذلك على الرغم من أن الأقباط قد أدخلوا منذ أول الأمر فى الحديث يوصى فيها به الكتاب النصارى فى الدوله الإ سلاميه ، ففى حديث ذكروه : وهم (القبط) أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم ، قالوا : كيف يكونون أعوانا على ديننا يا رسول للّه ؟ قال : يكفونكم أعمال الدنيا ، وتتفرّغون للعباده»(٢) ؛ ولقد قام الأقباط بهذا الدور خير قيام حتى إن أكثر الفتن التى وقعت بين النصارى والمسلمين بمصر نشأت عن تجبُّر المتصرفين الأقباط ؛ ولما

١- ولعل أحسن ما يشهد بهذا أن المقدسى ، وقد كان بمصر فى أواخر القرن الرابع ؛ يقول عن أهل مصر : إن ذمّتهم يتحدثون بالقبطيه (ص ٢٠٣) ، على حين أن أسقف أشمون بمصر يقول فى كتابه سير البطاركه الذى ألفه بعد عام ٤٠٠ه ١٠١٠ م بقليل : إنه استعان ببعض المسيحيين الأكفاء على نقل ما وجده من أخبار البطاركه بالقلم القبطى واليونانى إلى القلم العربى «الذى هو الآن معروف عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطى واليونانى من أكثرهم» . (كتاب سير البطاركه لساويرس بن المقفع طبعه بيروت سنه ١٩٠٤ ص ٦) . على أن الشعر القبطى الشعبى الذى عرفناه من القرن العاشر الميلادى هو شعر دينى خالص كما رأيت ذلك من ترجمه العالمين H. Junker, A. Erman لهذا الشعر .

٢- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٢٥ ٢٤ ، وكتاب تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ص ٢٨ ب نقلا عن كتاب فضائل مصر .

جاءت انتصارات الروم على المسلمين حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى كان لها صداها فى مصر ؛ فلما ورد الخبر بأن الروم دخلوا الشام عام ٣٤٩هـ ٩٦٠م وقتلوا وخرّبوا ، هاج المسلمون على النصارى ، ووقعت صيحةٌ فى الجامع العتيق بعد صلاه الجمعه فهاج الرعاع ونهبوا كنيستين(١) .

ولما غزا الإمبراطور نقفور جزيره أفريطيش فى العام التالى ووصل خبرُ ذلك إلى مصر ثار المسلمون وقصدوا كنيسه ميخائيل التى للملكيه بقصر الشمع فشعثوها وخربوها ، وظلت مغلقه مده طويله وأبوابُها مطمورةٌ بالتراب(٢) .

وقد أظهر خلفاء الفاطميين الأولون لأهل الذمه تسامحاً نَعجَب له ؛ إذ لا يُنتظر ذلك من قوم مثلهم ، لهم مذهبٌ خاص انفردوا به ، وخالفوا به جمهور المسلمين ؛ فقد كان للخلفاء الفاطميين أطباء من اليهود ، ولم يَحتَجْ هؤلاء الأطباء إلى تغيير دينهم(٣) ؛ وعظم نفوذُهم حتى صار لايعمل شيء فى بلاط المعز إلا بمعونه اليهود ؛ عرف ذلك الوزيرُ الداهيةُ ابن كلّس الذى كان يهوديا ، فأسلم وصار يتحيز إلى إخوانه فى الدين من قبل(٤) .

وكانت النزعه العقليه فى مذهب الإسماعليه واعتقادهم بإمكان إقامه الدليل النظرى عليه مما مهّد للمناقشه العلنيه بين المسلمين والنصارى لأول مره فى تاريخ الإسلام(٥).

١- يحيى بن سعيد ص ٩٢ .

٢- نفس المصدر ص ٩٢ب .

٣- Graetz : Gesch. der Juden V, ٤. Aufl. S. ٢٦٦.

٤- De Goeje : ZDMG, ٥٢,s. ٧٧ نقلا عن ابن الجوزى مخطوط ٣٨٠ jahr Bodl. Uri. ٦٧٩.

٥- Guyard: Grand Maitre des Assassins, S. ١٤ .

وفى عهـدالعزيز باللّه زاد بلاط الخليفه فى إكرام النصارى ؛ وذلك أنه كان للغزيز أصـهارٌ مسـيحيون منهم أرسـتس خال السـيده ابنه العزيز بـاللّه ، وقـد صُيِّر بطريركـا على بيت المقـدس ، وصُيِّر أخوه أرمانيوس مطراناً على القاهره ومصـر ، وكان لهما جميعاً محلٌّ لطيف عند العزيز وتقدّمٌ فى مملكته(١) .

فلا عجب بعد هذا أن نجد الشاعر الحسن بن بشر الدمشقى يقول تعريضاً بهذه الحاله :

تنصّر ، فالتنصرُ دين حق عليه زمانتا هذا يدلُّ

وقُل بثلاثه عزُّوا وجلّوا وعَطِّل ما سواهم فهو عطل

فيعقوب الوزير أبٌ وهذا الع زيز ابن وروح القدس فضل

ولمـا شـكا الفضل إلى العزيز أمرَ هـذا الشاعر وطلب معاقبته امتعض منه ، إلاّ أنه قال : أعف عنه ، فعفا عنه ؛ ثم دخل الوزير على العزيز وشكا إليه أيضاً ، فقبض على الشاعر ثم أطلقه(٢).

ثم إن هـذا الخليفه نفسه استوزر بعـد ذلـك عيسـى بن نسـطورس النصـرانى ، واسـتناب بالشـام يهوديـاً اسـمه منشـا ؛ فاعتزّ بهما النصارى واليهود ، وآذوا المسلمين ، فكتب أهل مصر رقعه وجعلوها فى يد صوره عملوها من الورق ، وأقعدوا الصوره فى طريق العزيز والرقعه بيدها ، وفيها : بالذى أعزَّ اليهود بمنشا والنصارى بعيسـى بن نسـطورس، وأذلَّ المسلمين بك إلاّ كشفتَ ظلامتى ! فلما رآها العزيز علم ما أُريد ، فقبض على الرجُلين وصادرهما(٣).

١- يحيى بن سعيد ص ١٠٨ .
٢- ابن الأثير ج ٩ ص ٨٢ .
٣- نفس المصدر ص ٨٢ ٨١ .

وفى عهد هذا الوزير النصرانى وقعت فتنه بين المسيحيين والمسلمين وذلك أنه لما خرج الإمبراطور باسيليوس إلى الشام لفتحها فى عام ٣٨٦ه ٩٩٦م برز العزيز فى سائر جيوشه وأظهر العزم على غزو بلاد الروم ، وأمر عيسى بن نسطورس بإنشاء أسطول يسير معه ؛ فلما تم إعداده وقعت فيه نار فى اليوم الذى عزم فيه العزيز على السير ، واتهم الرعيه تجّار الروم الواردين بالبضائع إلى مصر بإحراقه ، فثار العامه وقتلوا منهم مائه وستين رجلاـ، ثم تحوّلوا عن الروم إلى نهب كنائس النصارى ، وجرح فى هذا الشغب أسقفُ النسطوريين جراحات مات فيها .

وقد أعاد الوزير النظام إلى نصابه واعتقل ثلاثه وستين من النهّابه ، وأمر العزيز بإطلاق ثلثهم وضرب ثلثهم وقتل ثلثهم وذلك بأن كتب رقاعاً على بعضها : تُضرَب ، وعلى بعضها تُقتل ، وعلى بعضها تُطلق ؛ وأمر كل واحد من النهَّابه أن يأخذ رقعه منها بعد أن وُضعت تحت إزار ، فكان يُعمل به بحسب ما يخرج فى يده(١) .

وفى عام ٣٩٣ه ١٠٠٣م بدأت علامات العاصفه التى أثارها تعصب الخليفه الحاكم بأمر اللّه(٢) .

١- يحيى بن سعيد ص ١١٢ ب ١١٣ ، ويحكى المقريزى (الخطط ج ٢ ص ١٩٦ ١٩٥) هذا باختصار ، ولكنه يزيد على ذلك أنه طيف بمن أُطلق ، وفى عنق كل واحد رأسُ رجل ممن قتل من الروم . ولا نجد مثلا آخر لهذه العقوبه فى القرن الرابع .

٢- أوسع تاريخ للحاكم هو ما حكاه دى ساسى : (Druses des religion CCL××VIII la Expose de Sacy: DE ed ycas ff.) ولكن دى ساسى لم يرجع إلى تاريخ يحيى بن سعيد معاصر الحاكم ، وهو الذى أكمل تاريخ يحيى بن البطريق ، وهو مؤرخ ثقه معتدل . ومن هذا الكتاب خاصه نستطيع معرفه الحوادث بحسب ترتيبها التاريخى لأول مره ، أما ما كتبه الموءرخون المعاصرون الآخرون مثل الأسقف سيفروس (Severus) فهو أشبه بقصص الأتقياء .

ولما رأى العامه أن العنان قد أُرسل لهم ، بدأوا يهدمون الكنائس ، وبنى الخليفه مكانها مساجد ، منها الجامع الأزهر المشهور ؛ ثم أعاد الحاكم قوانين اللباس القديمه على أشد صورها ، فألزم النصارى أن يعلّقوا فى أعناقهم صُلبانا من الخشب ؛ ومُنعت مواكبهم العامه ؛ وحُظِر عليهم ضرب النواقيس ، وأمر ألا يظهر صليبٌ ولا تقع عليه عين ؛ فنُزِعت الصُّلبان من الكنائس وطُمست آثارُها من ظاهر البيع والكنائس .

وأُتلفت الكنائس الكبرى مثل كنيسه القبر بالقدس ودير القصير الكبير المبنى على سفح جبال المقطم ، وقد انتهك المسلمون حرمه المقبره الكبرى فى هذا الدير ؛ ولكن الحاكم لم يرِد ذلك ، وقد أمر بمنعه بمجرد علمه به .

ورغم هذا كله استوزر الحاكم منصور بن سعدون النصرانى ، واتخذ لنفسه أطباء نصارى طول هذه المده .

وقد نقدم بإثبات أسماء سائر المسلين المتعطّلين والمتصرّفين من الكتّاب الذين يصلحون للخدمه فى دواوينه ليستعيض بهم عن النصارى .

وكان سائر كتابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى إلا نفراً يسيراً من الكتّاب ؛ ثم كثرت الشناعات السيئه فى النصارى ، فاجتمع سائر من بمصر من الكتّاب والعمال والإطباء وغيرهم من أساقفتهم وكهنتهم وتوجهوا إلى قصره فى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الأول سنه ٤٠٣ه (١٠١٢م) ، وكشفوا عن روءوسهم من باب القاهره ، ومشوا حُفاه باكين مستغيثين إليه يسألونه العفو والصفح ، ولم

يزالوا فى طريقهم يقبّلون التراب إلى أن وصلوا إلى قصره ، وهم على تلك الحال ؛ فأنفذ إليهم أحدَ أصحابه، وأخذ منهم رقعه كانوا قد كتبوها يلتمسون فيها عفوه عنهم ؛ ثم عاد الرسول إليهم وردّ عليهم ردًّا جميلا، ووعدهم بما اطمأنت له قلوبهم ، فلما كان يوم الأحد النصف من شهر ربيع الأخر أُمروا بتعظيم الصلبان التى فى رقابهم ، وأن يجعلوا طولها ذراعاً ملكياً فى عرض مثلها ، وأن يكون سُمكها إصبعاً ، وأمر اليهود أن يعلّقوا فى أعناقهم أيضاً أُكرَ خشب من خمسه أرطال إشارةً إلى رأس العجل الذى عبدوه سالفاً ؛ وتهدد النصارى ، وكثر الإرجاف بهم ، فأسلم كثير كم شيوخ الكتاب والمتصرّفين ، وتبعهم خلقٌ من عوام النصارى ؛ وتلاحقوا فلم يبق منهم إلا نفر يسير ؛ ولم تزل الطرقات إياماً عده لا يرى فيها نصرانى .

على أن كثيراً ممن أسلموا إنما تظاهروا بالإسلام تظاهُراً ، ومنهم محسن بن بدوس الذى قتل عام ٤١٥ه ١٠٢٤م وهو يلى بيت المال إذ ذاك ، فقد قيل إنه لما قُتل قيل إنه لما قُتل وجد أغلف لأنه كان نصرانياً ، وكان قد ظاهر عند إسلامه أنه أحضر الخاتن وختنه ، ولم يكن من ذلك شيء(١) .

أما اليهود فإنهم تمسكوا بدينهم ولم يُسلِم منهم إلا نفرٌ يسير ، وكذلك النصارى الذين فى بقيه البلاد ، فلم يُسلِم منهم فى بقيه أعمال المملكه إلا قليل ، وهُدمت ألوف كثيره من الكنائس والأديره واستُخرج من المتولّين أمرها من النصارى فى كل بلده ما دُفع إلى الفَعَله الذين قاموا بهدمها ؛ وأُتى على جميع أديره المملكه إلا

١- انظر حكايه المسبّحى (المتوفى عام ٤٢٠ ه ١٠٢٩م) التى ذكرها بكّر : C. H. Becker, Beitrage Zur. Geschichte, I, S. ٦١

الدير القديم المجاور للإسكندريه والدويره القربيه منه ، لأن بعض قبائل العرب دافعوا عنها لمنافع لهم فيها .

وأُوعز بهدم دير طور سيناء ، وأقطعه الحاكم لرجل توجه إليه ، فكان من حكمه المترهَّب فيه أنه أحسن لقاء الرجل وسلّمه جميع آلات الدير ، وتلطَّف فى إفهامه أن هدمه يصعب عليه وعلى غيره لحصانته ووثاقه بنيانه ، وأنه يحتاج فى هدمه إلى نفقات تفوق ما يحصل له منه ، فترك الرجل التعرُّض له .

ولكن الحاكم لم يستمر على هذا الاضطهاد ، فلما وصلت إلى أنفه رائحه المذهب الدرزى الذى كان قد ظهر حديثاً ومال إليه وأراد أن يقوّيه على رغم معارضه المتمسكين بأصول الإسلام الأولى لم يعد لديانات أهل الذمه ما كان لها من أثر فى نفسه ؛ ففى عام ٤١٠هـ ١٠١٩م رُفع إليه عده مرات أن النصارى يجتمعون فى بيوتهم ويقدَّسون ويصلون ويحضر معهم جماعه من الذين أسلموا فيشاركونهم فى أخذ القربان ، فلم ينكر ذلك وأعرض عن كلام الساعين .

وفى هذا العام نفسه أعاد جميع الأوقاف المقبوضه التى كانت برسم دير طور سيناء كما أذن بعماره دير القصير وأطلق ما كان برسمه من الأوقاف(١).

وفى عهد الخليفه الظاهر الذى جاء بعد الحاكم عاد كل شىء إلى ما كان عليه ، فعاد النصارى إلى التظاهر بأعيادهم وخروج الباغوث إلى كنائسهم التى فى ظاهر المدينه والقاهره ، والخليفه بمصر يحضر لمشاهده اجتماعاتهم ويتقدم بصيانتهم(٢) .

١- يحيى بن سعيد ص ١٢١ب ١٢٣ ، ص ١٣١ ١٣١ب .
٢- انظر الفصل الخاص بالأعياد .

وخفّفوا الغيار الذى كان عليهم ، ولم يبق من ذكر عهد الخليفه المجنون إلا لباسُ زِنار أو عمامه سوداء ، وهى التى يلبسها المسيحيون منذ ذلك الحين(١).

وقد ولى الوزاره بالقاهره منذ عام ٤٣٦ه إلى ٤٣٩ه = ١٠٤٤ إلى ١٠٤٧م أبونصر صدقه بن يوسف الفلاحى ، وكان يهوديا فأسلم ؛ وكان يدبر الدوله معه أبو سعد التسترى اليهودى ولذلك قال الشاعر المصرى الحسن بن خاقان :

يهودُ هذا الزمان قد بلغوا غايه آمالهم وقد ملكوا

العزُّ فيهم والمال عندهمو ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إنى نصحت لكم تهوّدوا ، قد تهوّد الفلك(٢) .

١- يحيى بن سعيد ص ١٣٣ب ، كانت الأوامر الخاصه باللباس لا تزال تتكرر بين حين وآخر ، فمن ذلك أن السلطان الناصر بن قلاوون فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) أمر أن يلبس النصارى العمائم الزرق ، واليهودُ العمائم الصفر ، والسامره العمائم الحمر (كتاب الأوائل لعلى دده ، مخطوط برلين المتقدم الذكر ص ٥٩) ، ولا يزال السامره بفلسطين يلبسون العمائم الحمر إلى اليوم .

٢- حسن المحاضره للسيوطى ج ٢ ص ١١٧ .

تعليقات الفصل الرابع

[۱] هذا استنباط من المصنف وأمّا معاشر الإماميّه فيقول الشيخ الطوّسى قدس سره من أعاظم العلماء فى القرن الخامس الهجرى فى كتاب الخلاف(۱) : اذا انتقل الذمّى من دينه إلى دين يقر أهله عليه مثل يهودى صار (يصير) نصرانياً أو نصرانى صار يهوديّاً أو مجوسياً أقرّ عليه وذكر أنّه مذهب أبى حنيفه وأحد مولى الشافعى نعم القول الأصح عندهم أنه لا يقرّ ويستدل شيخنا قدس سره باجماع الفرقه على أن الكفر كالملّه الواحده يرث بعضهم من بعضهم . ويظهر(۲) بعض ما ذكره من كتاب النكاح...

[۱] الرجل(۳) المسلم اذا ارتدّ وكانت ولادته أو انعقاد نطفته حال اسلام أبويه او أحدهما وبلغ مسلماً يقتل لكونه عن فطره وغيره فمن جمع الشرطين أو عند كثير الشرط الأوّل منهما ويسمّى طياً يستتاب ثلاثه أيام فان أبى يقتل وأما المرأه فلا تقتل بالارتداد ملّيه كانت أو فطريّه ...

[۱] قد تقّدم الكلام عليه :

[۲] هذا(۴) عند قوم منهم شريح والزهرى وربيعه وابن أبى ليلى وأحمد واسحق وعند

۱- الخلاف ج۲ مسئله ۲۰ كتاب الجزيه.

۲- الخلاف ۲ كتاب النكاح مسئله ۱۰۳ -۱۰۴.

۳- جواهر الكلام ج۴۱ ص ۶۰۰ الى ۶۱۳.

۴- كتاب النكاح مسئله ۱۰۳-۱۰۴.

أبی حنیفه وأصحابه ومالک والشافعی والّثوری ارث الذمّی من الذمّی کما هو عندنا .

[۳] هذا(۱) بالنسته إلی الشّق الاّول صحیح لا خلاف فیه بین أهل الاسلام ولکن المسلّم عندنا معاشر الشیعه بل غیر واحد من الصحابه انّ المسلم یرث الکافر ویمنع الکافر من الارث حتّی اذا کان أقرب منه إلی المیّت وعند الشافعی وغیره من الفقهاء انّ المسلم لا یرث الکافر .

[۱] هذا علی اصول غیرنا وعندنا ارث القرابه علی طبقات ثلاث یقارنهم الزوجان سواء ما نسمّیه فرضاً وهو مقدار السهم الوارد فی الکتاب العزیز أو ما اصطلح علیه بالرّد أو بسبب القرابه ویرشد إلیه آیه « وَأُولُوا الْاَءَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلی بِبَعْضٍ »(۲) واذا عدموا أو منعوا من الارث شرعاً یرث وارث السبب غیر الزوجین وآخرهم الامام علی تفصیل مذکور فی الکتب الفقهیه ولا أصل عندنا للعول ولا للتعصیب .

[۱] هذا روایتهم (أهل السنه) عن النبی صلی الله علیه و آله وعلی فرض ورودها وصحّتها فسّرها(۳) الامام الصادق علیه السلام بقوله نرثهم ولا یرثونا ان الاسلام لم یزده فی حقّه الا شدّه : أو لم یزده إلاّ غراً فی حقّه :

[۱] ذکر(۴) شیخ الطائفه قدس سره اجماعنا علی أنّه لا یقتل مسلم بکافر مطلقا قال وبه قال غیر علی علیه السلام عمر وعثمان وزید بن ثابت ومن الفقهاء مالک والاوزاعی والثوری والشافعی وأحمد بن حنبل واسحق وذکر أن طائفه منهم الشعبی والنخعی وأبو حنیفه وأصحابه ذهبوا إلی قتله بالذمّی لا بالمستأمن والحربی .

۱- الخلاف ۲ کتاب الفرائض مسئله ۱۶-۱۷.

۲- الانفال: ۷۵.

۳- وسائل الشیعه ج۱۷-۱۴/۱ من أبواب موانع الارث.

۴- الخلاف ج۲ کتاب الجنایات مسئله ۲.

وتعرّض الشیخ قدس سره فی(۱) الحکایه لطیفه فی قتل الموءمن بالکافر عن الساجی أنّه تقّدم إلی أبی یوسف فی مسلم قتل کافراً فأراد أن یقیده به وکان علی رأس أبی یوسف رجل فی یده رقاع فناوله الرّقاع وحبس منها رقعه .

فقال : ما تلک الرقعه .

فقال : فیها شعر .

فقال هاتها فأعطا فاذا فیها شعر شاعر بغدادی کان یکنی أبا المصرخی بقول :

یا قاتل المسلم بالکافر جُرت وما العادل کالجائر

یا من ببغداد وأطرافها من فقهاء النّاس أو شاعر

جار علی الدّین ابو یوسف بقبله المسلم بالکافر

فاسترجعوا وابکوا علی دینکم واصطبروا فالأجر للصابر

فأخذ أبو یوسف الرقعه ودخل علی الرشید فأخبره ، فقال له احتل فیها .

فلمّا کان المجلس الثانی قال أبو یوسف لأولیاء القتیل ایتونی بشاهدین عدلین یشهدان عندی انّه کان یوءدّی الجزیه عن ید فتعذّر ذلک فاهدر دمه وأخذوا الدیه .

[۱] دیه(۲) الیهودی والنصرانی عند معظم الشیعه الامامیه کدیه المجوسی ۸۰۰/ درهم ونصفها للمرأه ولمخالفینا أقوال : ۱ دیتهما ثلث دیه المسلم ۳۱۳۳ من الابل أو قیمتها وعن القدیم الثلث من ألف دینار أو اثنی عشر ألف درهم وهذا الشافعی وبعض الصحابه والتابعین والفقهاء . ۲ نصف دیه المسلم ذهب إلیه عمر بن عبد العزیز وعروه بن الزبیر ومالک بن انس . ۳ انّها مثل دیه المسلم وهو قول ابن مسعود وبعض الصحابه و التابعین

۱- البسوط ج۷ ص۶ والاشعار فی الجواهر ج۴۲ ص ۱۵۰ .

۲- الخلاف ۲ کتاب الدیات مسئله ۷۷-۷۸، المبسوط جلد ۷ ص ۱۵۶، جواهر الکلام ج۴۳ ص ۳۸-۴۱، الانتصار ۲۷۴.

وقول الثورى وأبى حنيفه وأصحابه . ۴ انّها ديه المسلم فى القتل عمداً ونصفها فى القتل خطأ ذهب إليه أحمد بن حنبل ولم يفرّق بين الذّمى والمعاهد والمستأمن .

وامّا المجوسى فقول مالك والشّافعى ۸۰۰/ درهم وهو اجماع الصحابه وجعل عمر بن عبد العزيز ديته كديه اليهودى عنده نصف ديه المسلم وأبو حنيفه جعلها كديه المسلم. . .

[۱] وفى(۱) القرآن الكريم قوله : « سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » . فالقاضى مخيّر فى الحكم بينهم والاعراض عنه واذا حكم فيحكم بحكم الاسلام...

۱- سوره المائده: ۴۱ والآيه وردت فى اليهود.

الفصل الخامس: الشیعه

اشاره

لما جاء القرن الرابع الهجری کان حزب الخوارج قـد فقـد ما کان له من شأن ، بعد أن کان أقدم حزب یناوئ الخلافه الرسـمیه ؛ وأصبح الخوارج مفرّقین فی وسط المملکه الإسلامیه ، یوءلّفون جماعات صغیره لها مذهبها الخاص ؛ وکان لهم خروج وحروب بـدیار ربیعه وعمـان وغیرهـا فی أوائـل القرن الرابع(۱)؛ ولم تکن لهم قـوهٌ وصَـولهٌ إلاـ فی الأـطراف فی بلاـد سجسـتان ونواحی هراه(۲) ، وکذلک فی الغرب ، حیث دخل فیهم البربر المقیمون علی شاطئ مضیق جبل طارق(۳).

وقد واصل الشیعه المهدیه ، القرامطه والفاطمیون ، ما کان قد بدأه الخوارج من مکافحه الخلافه ؛ وکان هذا علامه من العلامات التی تنذر بنهایه الأصول

۱- مروج الذهب للمسعودی ج ۵ ص ۳۲۰ .

۲- مقدسی ص ۳۲۳ .

۳- Goldziher, ZDMG, ۴۱ S. ۳۱ ff، وکانوا إباضـیه نکاریه ؛ أما فی المشـرق فکانوا علی مـذهب الصـفریه المتطرفین . ویقول ابن حزم (الفصل ج ۴ ص ۱۹۰) : إن فرق الخوارج کلها قد بادت ولم یبق علی عهده إلا الإباضیه والصفریه . وفی أیامنا هذه لم یبق من الخوراج جماعهٌ مهمه إلا عرب عُمان ومن تأثر بهم فی إفریقیه الشمالیه .

الإسلاميه الأولى[۱].

ذلـك أنه من أكبر مـا تمتاز به الحركه الفكريه فى القرن الرابع الهجرى ظهور مـذهب الشـيعه يحمل بين ثناياه الكثير من الأفكار الشرقيه القديمه ، ويجعلها مكان بعض الأفكار الإسلاميه .

ولقـد أبـانت لنـا مبـاحث فلهـاوزن بصوره أدنى إلى الصواب أن مـذهب الشـيعه ليس كما كان يعتقـد البعض ردّ فعل من جانب الروح الأيرانيه يخالف الإسلام(۱) .

ومما يوءيـد أبحاث فلهاوزن التوزيعُ الجغرافى للشيعه فى القرن الرابع ؛ وقد ألمع الخوارزمى فى أواخر القرن الرابع إلى أن الراق هو الموطن الأول للتشيع(۲).

وكانت الكوفه ، وبها قبر على (رضى الله عنه)[۱] أكبر مر كز للشيعه حتى ذلك العهد ، وكان يقال : «من أراد الشهاده فليد خل دار البطيخ (بالكوفه) وليقل : رحم اللّه عثمانَ بنَ عفان »(۳).

وفى غضون القرن الرابع امتـدَّ مـذهب الشـيعه إلى البصـره ، وهى المنافس القديـم للكوفه والتى كان يقال عنها فى القرن الثالث : أما البصره وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا إلاالقليل ، « وأماالكوفه

۱- راجع كتـاب ۹۱. ؛ Julius Wellhausen, Die religios-politischen Oppositions parteien im alten, Berlin, ۱۹۰۱, S. ۹۱.

۲- رسائل ابى بكر الخوارزمى طبعه القسطنطينيه عام ۱۲۹۷ص ۴۹ .

۳- تاريخ بغداد مخطوط رقم ۲۱۲۸ بمكتبه باريس الأهليه ص ۱۴ب . ، ويقول المقدسى (ص ۱۲۶) : إن أهل الكوفه شيعه إلا الكناسه فإنها سنيه .

وسوادها فقد غلب عليها على وشيعته »(۱) .

وفى البصره اضطر أبوبكر الصولى (المتوفى عام ۳۳۰ه ۹۴۲م) أن يستتر حتى مات لأنه روى خبراً فى عليب (رضى الله عنه)، فطلبته الخاصه والعامه لتقتله(۲).

وفى القرن الخامس الهجرى كان فى البصره مالا يقلّ عن ثلاثه عشر مكاناً تتصل بذكرى على(۳).

وكان يقدسها الشيعه ، بل كان يوجد فى المسجد الكبير فى ذلك الوقت أثرٌ من آثار على يعرض للناس ، وهو قطعه من الخشب طولها ثلاثون ذراعاً وعرضها خمسه أشبار وسمكها أربعه أصابع ، يقال إن علیّاً جاء بها من الهند(۴) .

وكانت الشام منذ أول الأمر تربَهً غير صالحه لدعوه العلويين ؛ ويحكى أن أبا عبدالرحمن النسائى (۳۰۳ ۲۱۵ه) دخل دمشق ، وكان يتشيَّع ، فسُئل عن معاويه وما رُوى من فضائله فقال : أما يرضى معاويه أن يخرج رأساً برأس حتى يفضَّل ؟ وفى روايه أنه قال : ما أعرف له فضيله إلا «لا أشبع اللّه له بَطناً» ، فما زالوا يدفعونه حتى أخرجوه من المسجد ، وداسوه ثم داسوه ، ثم حُمل إلى الرمله ، فمات وهو منقول بسبب ذلك الدَوس(۵) .

وكان أهل طبريه ونصف نابلس وقَدَس وأكثر عمان شيعه(۶) . ولا أدرى كيف

۱- ثلاث رسائل لأبى عثمان الجاحظ طبعه فان فلوتن بليدن ۱۹۰۳ ص ۹ .

۲- الفهرست لابن النديم ص ۱۵۰ .

۳- ناصر خسرو ص ۸۷ .

۴- نفس المصدر .

۵- الوفيات لابن خلكان طبعه فستنفلد ۱۸۳۵ ج ۱ ص ۳۷ ، انظر أيضاً طبقات السبكى ج ۲ ص ۸۴ .

۶- المقدسى ص ۱۷۹ .

كان ذلك . ورغم قيام الدوله الفاطميه نلاحظ أن حزب الشيعه لم يتقدم إلا قليلا ؛ وإذا كان ناصر خسرو قد وجد أهل طرابلس في عام ٤٢٨ه ١٠٣٧م شيعه(١) .

فقد جاء ذلك من أن بني عمّار ، وهم إحدى الأسرات الصغيره الكثيره على الأطراف ، كانوا هناك على مذهب الشيعه ؛ ويظهر أنهم عملوا بمقتضى القاعده السيئه التي تجعل للأمير الحق في فرض المذهب الذي يريده(٢) .

وهي قاعده لم ينادِ بها أحدٌ في الإسلام فضلاً عن أن تُطبَّق تطبيقاً شرعيا .

وكانت جزيره العرب شيعه كلها عدا المدن الكبرى مثل مكه وتهامه وصنعاء وقُرح ، وكان للشيعه غلبهٌ في بعض المدن أيضا مثل عمان وهجر وصعده(٣) .

وفي بلاد خوزستان التي تلي العراق كان نصف الأهواز ، وهي القصبه ، على مذهب الشيعه(٤) ؛ أما في فارس فكان الشيعه كثيرين على السواحل التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالعراق وخصوصا بالعرب المتشيعين(٥) ؛ أما في جميع المشرق فكانت الغلبه لأهل السنّه إلا أهل قُمّ[١] .

فإنهم كانوا «شيعه غاليه ، قد تركوا الجماعات ، وعطلوا الجامع إلى أن ألزمهم ركن الدوله عمارته ولزومه»(٦) .

١- ناصر خسرو ص ٤٢ .
٢- Cujus regio, ejus religto ، وهذا ما تم الاتفاق عليه بين الأمراء الألمان والإمبراطور في آخر القرن السادس عشر ، وهو أن يكون لكل أمير الحق في أن يقرض على أهل إمارته المذهب الذي يراه. [المترجم] .
٣- مقدسي ص ٩٦ .
٤- نفس المصدر ص ٤١٥ .
٥- نفس المصدر ص ٤٣٩ .
٦- المقدسي ص ٣٩٥ ، وقد تمثل أحد الشعراء بذكر نساء قم الشيعيات :فكأنها شيعيه قمّيه وكأن سيدنا الوزير إمامي (يتيمه الدهر ج ٤ ص ١٣٥) ، وكان للشيعه إلى جانب ذلك غلبه في مدينه الرقّه إحدى المدن الصغرى بقوهستان (مقدسي ص ٣٢٣) ؛ وقد كان عند رجل جبه وهبها له أحد كبار الشيعه فاشتراها أهل قمّ بثلاثين ألف درهم (الأغاني ج ١٨ ص ٤٣) .

والسبب[۱] . فی تفرّد أهل قم بـذلک أن هذه المدینه قد احتلها من قبل أصـحاب ابن الأشـعث ، وکان رئیسـهم قد أدّب ابنه فی الکوفه ؛ وکـان غلوّ أهـل قمّ موضع کثیر من النوادر « . . . ومن ظریف ما یحکی أنه ولّی علیهم والٍ ، وکان سـنیا متشـدّداً ، فبلغه عنهم أنهم لبغضـهم الصـحابه الکرام لاـ یوجـد فیهم مَن اسـمه أبوبکر قـط ولا عمر ، فجمعهم یوما وقال لروءسائهم : بلغنی أنکم تبغضون صحابه رسول اللّه صلی الله علیه و آله ، وأنکم لبغضکم إیاهم لا تسمون أولادکم بأسمائهم ، وأنا أُقسم باللّه العظیم لئن لم تجیئونی برجـل منکم اسـمه أبوبکر أو عمر ، ویثبت عنـدی أنه اسـمه ، لأ فعلنَّ بکم ولأصـنعن ؛ فاسـتمهلوه ثلاثه أیام وفتشوا مـدینتهم ، واجتهـدوا ، فلم یروا إلاـ رجلاًـ صـعلوکاً حافیـا عاریـا أحوَل أقبـح خَلق اللّه منظراً ، اسـمه أبوبکر ، لأن أباه کان غریبا استوطنها فسمّاه بذلک فجاءوا به ، فشتمهم وقال : جئتومنی بأفبح خلق اللّه تتنادورن علیّ ! وأمر بصفعهم فقال له بعض ظرفائهم : أیها الأمیر اصنع ما شئت ، فإن هواء قمّ لا یجیء منه من اسمه أبوبکر أحسن صوره من هذا ؛ فغلبه الضحک وعفا عنهم . . . »(۱)
.

وکان فی قمّ فرقهٌ من الغُلاه وهم الغرابیه[۱] .

ومذهبهم أن المال کله للبنت، فلما ولی علیهم قاضٍ حکم للبنت بالنصف

۱- کتاب معجم البلدان لیاقوت الرومی طبع لیبتزج سنه ۱۸۶۹ ج۴ ص۱۷۸ .

هدّدوه بالقتل ؛ « وهم قوم من شرار الروافض يذهبون ذلی هذه المقاله لأجل فاطمه رضی اللّه عنها »(۱).

وفی عام ۲۰۱ ه۸۱۶م دفنت فی قمّ السیده فاطمه ابنه الإمام الثامن ، الرضا ، لأن قمّ کانت فی ذلک الوقت أحب مکان یدفن الفرس فیه موتاهم ، بعد مشهد .

أما أصفهان فقد کان فی أهلها بَلَه وغُلوّ فی معاویه علی عهد المقدسی ؛ ویحکی المقدسی أنه وُصف له رجلٌ بالزهد واالتعبُّد ، فقصده لیسائله ، فرآه یقول إن معاویه نبیٌّ مُرسَل ، فلما أنکر المقدسی علیه ذلک أصبح یشنِّع علیه ، ولولا أن القافله أدرکته لبطشوا به(۲) .

وکانت أصفهان تخالف قُمّ کل المخالفه ؛ ففی عام ۳۴۵ ه۹۵۶م وقعت بها فتنه کبیره نشأت عن اختلاف المذاهب ؛ وکان سبب ذلک أنه قیل عن رجل قمّی إنه سبَّ بعض الصحابه ، فثار أهل أصفهان ، واجتمع خلق لا یحصون کثره ووقع بینهم قتلی ، ونهب أهل أصفهان أموال التجار من أهل قمّ(۳).

وفی أواخر القرن الرابع الهجری نجد الهمذانی یقول إن خراب نیسابور واضطرابها وما نزل بأهلها من بلاء ، وکذلک ما نزل بقهستان حتی صارت مأکله الغُصَص ونَجعَه الأکدار ، کل ذلک لفشوّ مقاله الشیعه فیهما .

ویحکی الهمذانی عن صاحب له رجع من هراه ذکر أنه سمع فی السوق صبیا

۱- طبقات السبکی ج ۲ ص ۱۹۴ .

۲- المقدسی ص ۳۹۹ .

۳- ابن الأثیر ج ۸ ص ۳۸۸ .

يُنشِد : أن محمداً وعليّا لعنا تيما (منها أبوبكر) وعدى (منها عمر)(۱) ، وفى ذلك العصر لم يكن قد تم لمذهب الشيعه افتتاح البلاد التى يملكها اليوم ، ولكنه كان سائراً فى أحسن طريق يوصله إلى ذلك ؛ بل كان الاضطهاد مما يساعد هذا المذهب على الانتشار .

أما من حيث العقيده والمذهب فإن الشيعه هم وَرَثَه المعتزله[۱] .

ولابد أن تكون قلّه اعتداد المعتزله بالأخبار المأثوره مما لائم أغراض الشيعه .

ولم يكن للشيعه فى القرن الرابع مذهبٌ كلامى خاص بهم[۱] .

[۱] ولم يكن للشيعه مذهب كلامى إلى يعمل على حسب مذهب المعتزله .

فنجد مثلا أن عضد الدوله وهو من الأمراء المتشيّعين ، يعمل على حسب مذهب المعزله(۲).

ولم يكن هناك مذهب شيعى إلا للفاطميين ؛ ويصرِّح المقدسى بأنهم يوافقون المعزله فى أكثر الأصول(۳).

وعلى العكس من هذا نجد الشيعه الزيديه يرتقون بسند مذهب المعزله حتى ينتهى إلى على بن أبى طالب (رضى الله عنه)، ويقولون إن واصلًا أخذ عن محمد بن على بن أبى طالب ، وإن محمداً أخذ عن أبيه(۴).

۱- رسائل الهمذانى ص ۴۲۴ ۴۲۵، وابن حوقل ص ۲۶۸ .

۲- مقدسى ۴۳۹ .

۳- نفس المصدر ۲۳۸ .

۴- ذكر المعتزله من كتاب المنيه والأمل لأحمد بن يحيى المرتضى طبعه أرنُلد بحيدرآباد ۱۳۱۶ه ص ۵ .

« والزيديه يوافقون المعتزله فى أصولهم كلها إلا فى مسأله الإمامه »(١) .

ويدل على العلاقه الوثيقه بين المعتزله والشيعه أن الخليفه القادر جمع بينهما حينما نهى فى عام ٤٠٨هـ ١٠١٧م عن الكلام والمناظره فى الاعتزال والرفض (أى مذهب الشيعه) والمقالات المخالفه للإسلام(٢) .

ثم إن الطريقه التى سار عليها ابن بابويه القمّى، أكبر علماء الشيعه فى القرن الرابع الهجرى ، فى كتابه المسمى كتاب العلل تذكّرنا بطريقه علماء المعتزله الذين كانوا يبحثون عن علل كل شيء .

وكان فى مذهب الشيعه ، كما كان فى مذهب المعتزله ، مكانٌ لكل ألوان الزندقه [*٨] .

فنجد ابن معاويه منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) ، يجمع حوله الزنادقه ؛ وقتل أحد هوءلاء لأنه أنكر البعث ، وكان يقول إن الناس تفنى كالنباتات(٣).

وفى عام ٣٤١هـ ٩٥٢م ظفر الوزيرالمهلّبى بقوم من التناسُخيه ، فيهم شاب يزعم أن روح على بن أبى طالب (رضى الله عنه) انتقلت إليه ؛ وفيهم امرأه تزعم أن روح فاطمه (رضى اللّه عنها) انتقلت إليها ؛ ؛ وفيهم آخر يزعم أنه جبريل ؛ فَضُربُوا ، فالتجأوا لأهل البيت ، فأمر معزّ الدوله بإطلاقهم لتشيُّع كان فيه(٤).

ومثل هذه المقالات ، وخصوصاً القول بالرجعه وبالتناسخ، يوجد فى مذاهب

١- خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٥٢ .

٢- المنتظم ص ١٦٥ب .

٣- Wellhausen, Oppositionparteien, S. ٩٩.

٤- أبوالمحاسن ، طبعه ليدن ج ٢ ص ٣٣٣ .

الغنوسطيين المسيحيين(۱).

وكثيراً ما نجد فى العراق حوالى عام ۳۰۰ه ۹۱۲م من يقول إن اللاهوتيه اجتمعت فى على (رضى الله عنه) ، كما اجتمعت فى عيسى عليه السلام من قبل (انظر الفصل الخاص بالدين) .

وكان أحد خطباء الشيعه ببغداد فى عام ۴۲۰ه ۱۰۲۹م يدعو فى خطبه الجمعه بعد الصلاه على النبى صلى الله عليه و آله ، فيقول : وعلى أخيه أميرالموءمنين على بن أّبى طالب مُكلّم الجمجمه ، ومحيى الأموات ، البشرى الإلهى ، مُكلَّم فتيه أصحاب الكهف ، وغير ذلك من الغلو(۲) .[۱۰]

ومن هذا ما يحكى عن المسيح عليه السلام ؛وقد ظلت هذه الصفات عند المسلمين مما اختص به المسيح عليه السلام مده طويله ، وسرى كثير مما كان يقال لإثاره العواطف فى يوم جمعه الآلام عند المسيحيين إلى يوم عاشوراء .

يقول القمى (المتوفى عام ۳۵۵ه ۹۶۶م : « إذا نَظَرتِ السماء حمراء ، كأنها دمٌ عبيطٌ ، ورأيتِ الشمس على الحيطان ، كأنها الملاحف المُعَصفَرَه ، فاعلمى أن سيد الشهداء الحسين قد قتل »(۳).[۱]

وكذلك ذهب الشيعه فى السيده فاطمه (رضى الله عنه) إلى ما يشبه صفات السيده مريم عليهاالسلام ، فهى قد سُمّيت البتول مثل مريم ؛ ويروى الشيعه عن النبى صلى الله عليه و آله أنه

۱- فليس من الضرورى أن نردّ الآراء المتعلقه بظهور المسيح إلى اليهود بجنوب جزيره العرب ، وهم الذين يعتبرون آباء هذه المقاله (انظر مقاله Friedlander, ZA,۲۳,S.۲۴) .

۲- المنتظم ص ۱۷۸ ب .

۳- كتاب العلل لابن بابويه القمى مخطوط برلين رقم ۸۳۲۶ ص ۱۰۰، وكان القمى يقول : عند موت الحسين تقطر السماء دما .

أجاب من سأله:[۱]

ما البتول ؟ فقال : البتول التى لم تَرَ حُمرَةً قط ، أى لم تَحِض ، فإن الحيض مكروهه فى بنات الأنبياء(۱).

وكذلك زعم الشيعه أن الحسين (عليه السلام) لم يُقتَل ، وأنه شُبِّه للناس ، كعيسى بن مريم عليه السلام (۲) ؛ وربما تكون هناك علاقه بين لباس الشيعه وبين اللباس الأبيض الذى اتخذته الفرق الغنوسطيه .

وكان الشيعه أيضاً فى أول الأمر يلبسون البياض ؛ ويقول الشاعر ابن سكره(۳) :

إن عيد أهل قُم وقاشان والكرج

يتلافى بياضهم بقلوبٍ من السبج

وقال بعض روءساء الشيعه المخالفين لما عليه جمهورهم ، وقد لبس سواداً : بيِّض قلبك ، والبَس ما شئت(۴) .

وكانت أعلام القرامطه بيضاء ، وكذلك كانت ملابس خلفاء الفاطميين وخطبائهم(۵) .

۱- كتاب العلل ص ۷۷ب .

۲- كتاب العلل ص ۹۹ب .

۳- يتيمه الدهر ج ۲ ص ۲۰۶ .

۴- كتاب العلل مخطوط برلين رقم ۸۳۲۶ ص ۱۳۵ .

۵- يشير الموءلف هنا إلى صفحات من كتاب العلل ومن كتاب الأوائل والأواخر لعلى دده (لهذا الكتاب ثلاث نسخ بمكتبه برلين) ، ولم أجد فى هذه الصفحات ما يقابل كلامه [المترجم] . وقد دخل المأمون بغداد من خراسان عام ۲۰۴ه، فكان لباسه هو وأصحابه وأعلامهم الخضره (كتاب بغداد لطيفور طبعه كلر Keller ص ۲) ، وكان ينصب على أعلى النوبهار ببلخ الرماح عليها شقاق الحرير الخضر ، (مروج الذهب ج ۴ ص ۴۸)، وربما كان هذا اللون شعار خراسان .

أما اللون الأخضر الذى يتميز به العلويون اليوم فإن أول من أمر باتخاذه سلطان مصر شعبان بن حسين (المتوفى عام ٧٧٨ه ١٣٧٦م)(١).

وربما يكون الشيء الوحيد الجديد فى مذهب الشيعه فى هذا العصر أنهم يردّون كل الأخبار والآثار إلى عليّ وأهل بيته[١] .

وقد صادف هذا الصنيع أشد استنكار من علماء أهل السنه(٢) ؛ وفى سنه ٣٠٠ه ٩١٢م روى رجلٌ حديثاً وسنده بالسبط والصادق حتى انتهى إلى على بن أبى طالب ، ونُقل ذلك إلى مجلس فيه ابن راهويه الفقيه ، وكان متّهما بالنّصب ، فقال : ما هذا الإسناد؟(٣) .

وكان وضعُ الأخبار من جانب الشيعه وخصومهم فى هذا الباب من الأمور التى جروا عليها من قديم ، وكانوا لا يجدون فى ذلك حرجاً[١] .

ويذكر أن ابن إسحاق صاحب السيره النبويه كان يتشيَّع ويقدّم عليا على عثمان ، وكان يدخل فى كتابه أشعاراً للشيعه .

ويروى أيضاً أن عوانه بن الحكم (المتوفى عام ١٤٧ه ٧٦٤م) كان يضع أخباراً لبنى أميه ، وعامه أخبار المدائنى مأخوذه عنه(٤) .

وإذا كان أحد الشعراء حوالى عام ٣٠٠ه ٩١٢م يعزو أساطير الشيعه إلى قله

١- ابن الجوزى مخطوط برلين ص ٣٥ ، ولكن لا مقابل لذلك فى هذه الصفحه فى مخطوط رقم ٩٤٣٦ بمكتبه برلين المترجم .

٢- انظر مثلا ناصر خسرو ص ٤٨ ، وأبا المحاسن طبعه ليدن ج ٢ ص ٤٠٨ .

٣- كتاب الوزراء ص ١٧٠ ١٧١ .

٤- الإرشاد (معجم الأدباء) ج ٦ ص ٩٤، ٤٠٠ و Kulture: Goldziher der Gegenwart (؟).

معرفتهم بالأخبار(١) .

فإن المقدسى يحكى لنا أنه كان يوما بجامع واسط ، وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنا منه ، فإذا هو يروى حديثاً بسنده عن النبى عليه السلام : إن اللّه يُدنى معاويه يوم القيامه ، فيجلِسه إلى جنبه ، ويغلّفه [؟] بيده ، ثم يجلوه على الناس كالعروس ، فقال له المقدسى : بماذا؟ قال: بمحاربته علياً ، فقال له المقدسى : كذبت يا ضالّ ! فقال : خذوا هذا الرافضى ؛ فأقبل الناس عليه ، فعرفه بعض الكبته ودفهم عنه(٢) .

وكذلك حكى المقدسى أنه كاد يبطش به لأنه أنكر على رجل من عُبّاد أصفهان قوله إن معاويه نبى مرسل(٣) .

على أن عليا لم يصبح موضع النزاع ، ومضى الوقت الذى نجد فيه خليفه عباسياً مثل المتوكل (٢٢٣ ٢٤٧ه ٨٤٧ ٨٦١م) شديد البغض لعلى ولأهل بيته ، حتى كان من جمله ندمائه رجل يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخده ، ويكشف رأسه وهو أصلع ، ويرقص ، ويقول : قد أقبل الأصلع البطين أميرالموءمنين ، يعنى علياً رضى الله عنه ، والمتوكل يشرب ويضحك(٤) .

١- هو الشاعر الملقب بالخبز أرزى حيث يقول : من غابت الأخبار عنه ، ودينه دين الإمامه ، قال بالأوهام انظر مروج الذهب ج ٨ ص ٣٧٤ .

٢- المقدسى ص ١٢٦ ، وكان من أثر هذا النزاع فى أمر على ومعاويه أن معاويه صار له شأن دينى ؛ ويحكى المسعودى (المروج ج ٥ ص ١٤) أن قبر معاويه بالباب الصغير بدمشق ، وهو يزار إلى هذا الوقت « وهو سنه اثنين وثلاثين وثلاثمائه ، وعليه بيت مبنى يفتح كل يوم الثنين وخميس » .

٣- المقدسى ص ٣٩٩؛ والمنتظم ص ٦٠ ب .

٤- أبوالفدا تحت عام ٢٣٦ (ج٢ ص ١٨٨) .

وكان أهل السنه فى الجمله يذكرون عليا بالإجلال ، ولم يكونوا قط أعداء له(١) .

فالهمذانى (المتوفى عام ٣٩٨ه ١٠٠٨م) مثلا قد شنَّع على الشيعه ، ورد على طعن الخوارزمى فى عمر(٢) .

وقد ألّف مرثيه للحسين ، وتحدّث عن مقتله وصُنع بنى أميه بأبناء النبى(٣) .

وكان أشد ما يوءلم نقوس أهل السنه ما أولع به الشيعه من سبّ الصحابه الأولين ، وفى سنه ٤٠٢ه ١٠١١م توفى ببغداد أحد علماء أهل السنه الأكابر ، وكان ديّنا حسن الاعتقاد ، واجتاز يوما بالكرخ، فسمع سبّ بعض الصحابه ، فجعل على نفسه ألا يمشى فى الكرخ ؛ وكان يسكن باب الشام ، فلم يعبر قنطره الصراه حتى مات(٤) .

وكانت الحكومه إذا أرادت أن تعاقب شيعيا لمذهبه لم تذكر اسم على ، بل يُجعل سببُ العقوبه أنه شتم أبابكر وعمر(٥).

وفى عام ٣٥١ه ٩٦٢م كتب عامه الشيعه بأمر معز الدوله على المساجد ماهذه صورته : لعن اللّه معاويه بن أبى سفيان ، ولعن من غَصَبَ فاطمه فدكاً ، ومن منع الحسن أن يُدفنَ عند قبر جَدِّه ، ومن نفى أباذر . . فلمّا جاء الصباح محاه بعض الناس ؛ فأشار الوزير المهلبى على معز الدوله أن يكتب موضع المحو : لعن اللّه

١- W. Sarasin: Das Bild Alis bei Historikern der Sunnah. ned sila hannre usd

٢- الديوان : باريس ص ٩٠ ومايليها .

٣- رسائل الهمذانى طبعه بيروت ١٨٩٠ص ٥٨ ومايليها .

٤- المنتظم ص ١٥٨ .

٥- المنتظم مثلا ص ٢٩ب .

الظالمين لآل رسول اللّه ، ولا يذكر أحداً إلا معاويه ، ففعل ذلک(۱).

وقد لجأ كثير من العلويين إلى مصر التى لم تكن تربطها بعرش الخلافه ببغداد رابطهُ الطاعه التامه .

وفى سنه ۲۳۶ه ۸۵۰م كان المتوكل قد حبس الطالبيين فى سُرّ من رأى(۲) .

وورد كتابه إلى والى مصر بإخراج الأشراف العلويين وإعطاء الرجل منهم ثلاثين ديناراً والمرأه خمسه عشر دينارً ؛ فقدموا العراق ، ثم أُمروا بالخروج إلى المدينه(۳) ؛ ولكن كثيراً من العلويين استطاعوا أن يفلتوا من هذا النظام ، وسرعان ما ثاروا وبايعوا واحداً منهم ، فورد كتاب المنتصر إلى والى مصر بألاّ يُقبّل علوى ضيعه ، ولا يركب فرساً ، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها ، وأن يُمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، وإن كانت بين أحد الطالبيين وبين أحد من سائر الناس خصومه فليقبَل قول خصم الطالبى فيه ، ولا يطالب ذلک الخصم ببيّنه(۴).

فلا عجب إذن أن نرى مصر تشهد حوالى عام ۲۵۰ه ثوره للعلويين بعد أخرى ؛ وفى القرن الرابع الهجرى بدأت فتن المغرب تستولى على مصر ، فوحّد ذلک بين أغراض العلويين السياسيه وبين أغراض الشيعه .

وقد بلغت الفتنه فى يوم عاشوراء سنه ۳۵۰ه ۹۶۱م مبلغاً شديداً فى العاصمه ، فنشب الفتالُ بين الجند السنّيين من السودان والترک وبين الشيعه ؛

۱- أبوالفدا ج ۲ ص ۴۷۸ تحت عام ۳۵۱ ه .

۲- الأغانى ج ۱۹ ص ۱۴۱ .

۳- كتاب الولاه والقضاه للكندى طبعه Guest ، ليدن ص ۱۹۸ .

۴- نفس المصدر ص ۲۰۳ ۲۰۴ .

وكان الجنود يسألون من يجدونه : من خالك؟ فإن لم يقل : معاويه ضربوه(۱) .

وطاف أحد السودان المتهيجين بالطرقات ، وهو يصيح : معاويه خال على ؛ فتابعه العامه ، وأصبحت هذه هى صيحه أهل السنه بمصر حين يريدون قتال الشيعه .

وقد حافظت الحكومه على النظام بقدر استطاعتها ؛ وفى عام ۳۵۳ه ۹۶۴م ضُرب أحد كبار الشيعه ، وحُبس حتى مات فى السجن .

وقام على قبره قتالٌ بين الجند وبين أصحابه .

ولما دخل جوهرٌ مصر وصارت الحكومه شيعيه كانت العامه عند أقل إشاره لهم يصيحون صيحه السنه على الشيعه من نحو : معاويه خال على .

ففى سنه ۳۶۱ه ۹۷۲م قُبض على عجوز عمياء تنشد فى الطريق ، وحُبست ؛ ففزع جماعه من الرعيه ، نادوا بذكر الصحابه ، وصاحوا : «معاويه خال الموءمنين وخال على» فبعث جوهرٌ ونادى فى الجامع العتيق : « أقلّوا القول ودعوا الفُصول ، فإننا حبسنا العجوز صيانه لها ، فلا ينطقن أحد إلا حلت به العقوبه الموجعه » ، ثم أُطلقت العجوز(۲) .

بل يحكى أيضا أنه فى عام ۳۶۲ه ۹۷۳م شغب جماعه من الصيارفه السنيين وصاحوا : معاويه خال على بن أبى طالب(۳)، هذا مع أن الصيارفه أهدأ

۱- يظهر أن هذه العباره أصبحت العلامه التى يعرف بها السنّى ، ومن النوادر أن نفطويه (المتوفى عام ۳۲۳ه) حكى عن بعض الشيعه أنه قيل له : معاويه خالك ؟ فقال : لا أدرى ، أمى نصرانيه ، والأمر إليه (الإرشاد لياقوت ج ۱ ص ۳۱۳) .

۲- كتاب اتعاظ الحناء بأخبار الخلفاء للمقريزى طبعه القدس ۱۹۰۸ ص ۸۷ .

۳- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۳۳۹ ج ۳۴۰ .

العناصر السياسيه .

على أن حكومه الفاطميين كانت تتوخّى جانب الحكمه فى الجمله ، ولم تكن حكومه متعصّبه ؛ ولكنها جعلت أحسن المناصب فى القضاء والإفتاء للشيعه وحدهم .

وقد بلغ من تسامحها أنها لم تمنع العامه فى عام ٣٦٢ه ٩٧٣م من الاحتفال بعيد اتخذه أهل السنّه ، بعد عيد الغدير عند الشيعه ، مضاهاةً للشيعه ونكايه لهم ، وهو اليوم الذى دخل فيه رسول اللّه عليه السلام الغارَ هو وأبوبكر الصديق ؛ وبالغوا فى هذا اليوم فى السرور وإظهار الزينه ونصب القباب وإيقاد النيران(١).

وقد شذ الخليفه الحاكم فى هذا أيضاً؛ ففى عام ٣٩٣ه ١٠٠٢م أمر نائبُ دمشق من قِبَل الحاكم برجل مغربى ، فضُرب وطيف به على حمار ، ونودى عليه : هذا جزاء مَن أحبَّ أبابكر وعمر ؛ ثم أمر به فضربت عنقه(٢) .

وفى عام ٣٩٥ه ١٠٠٥م بلغ تعصب الحاكم المذهب أقصى حد ، فكان من الأشياء الكثيره التى أمر بها أن يكتب على الجوامع والمساجد والحيطان والدروب لعنُ أبى بكر وعثمان ومعاويه وغيرهم من الصحابه ، وكذلك سائر خلفاء بنى العباس ؛ وعَظم ذلك على أهل السنّه(٣) .

وفى عام ٣٩٦ه ١٠٠٥م أمر بمنع الناس فى يوم عاشورا من الخروج للنوح

١- نفس المصدر ج ١ ص ٣٨٩ ٣٩٠ .
٢- أبوالمحاسن طبعه كلفورنيا ص ٩١ (عام ٣٩٣ه) ، وابن الأثير ج ٩ ص ١٢٦ . ويقول ابن الأثير إنه أخرج عن المدينه فقط ، ولم يقتل .
٣- يحيى بن سعيد ص ١١٦ ،؛ وفى هذه السنه نفسها وصلت قافله الحج فأراد العامه حملهم على سب السلف ، فأبوا، فحل بهم مكروه شديد (خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٤٢) .

والبكاء على الحسين فى الشوراع ، لبأن العامه كانوا يمدون أيديهم إلى أمتعه الباعه ؛ فرفعوا ذلك إلى الحاكم ، فمر بمنعهم من المرور فى الشوارع ، وأن يختص النوح والنشيد بالصحراء(۱) .

وفى عام ۳۹۹ه ۱۰۰۹م عاد الحاكم إلى الأمر بأن لا يسبّ أحدٌ من السلف الذين كان أمر بسبهم ، وهذه هى عادته من الأمر بالشيء ثم الأمر بتركه(۲) .

على أن مذهب الشيعه لم يستطع أن يجذب إليه الناس ؛ فيحدثنا المقدسى أنه لم يجد الشيعه ذلا فى أعلى القصبه ، وكذلك أهل صندفا(۳) .

وكانت فى الغرب على الحدود بين الجزائر وتونس توجد أيضاً مدينه نفطه ، وجميع أهلها شيعه ؛ وكانت تسمى الكوفه الصغرى(۴) .

على أنه بعد التدهور السياسى للفاطميين سرعان ما رجعت موجه هذا التيار الشيعى ، حتى لم يبق له أثر .

وكانت بغداد هى العاصمه بمعنى الكلمه الحقيقى ؛ وآيه ذلك أن جميع الحركات الروحيه فى مملكه الإسلام كانت تتلاطم أمواجها فى بغداد؛ وكان بها لجميع المذاهب أنصار .

ولكن أكبر حزبين كانا بها فى القرن الرابع الهجرى هما الحزبان المتشدّدان فى التمسك بمذهبهما ، وهما الحنابله والشيعه(۵) .

۱- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۴۳۲، وملحق استيفاء أخبار الولاه والقضاه للكندى ص ۶۰۰ .

۲- يحيى بن سعيد ص ۱۱۹ .

۳- المقدسى ص ۲۰۲ .

۴- المغرب فى ذكر بلاد إفريقيه فى المغرب للبكرى طبعه الجزائر ۱۸۵۷ ص ۷۵ .

۵- المقدسى ص ۱۲۶. ويقول المقدسى (ص ۳۷) إن الحنابله ينكرون النصب (يعنى تنصيب على ، وهذا ما يجعل الشيعه يكرهونهم . المترجم) .

وكـان أنصار الشـيعه يسـكنون بنوع خاص حول سوق الكرخ ، ولم يتعـدّوا الجسـر الكبير ويحتلّوا باب الطاق إلا فى أواخر القرن الرابع الهجرى(١) .

ولم يستطيعوا التعدى إلى القسم الغربى ، لأن الهاشميين كانوا يكوّنون عصبه قويه هناك ، ولا سيما حول باب البصره وكانوا من أشد أعداء الشيعه(٢) .

على أن ياقوتا وجد أن أهل محله باب البصره بين كرخ بغداد والقبله كلهم سنّيه حنابله ، وأن عن يسار الكرخ وفى جنوبها سنّيه .

أما الكرخ فأهلها كلهم شيعه إماميه لا يوجد فيهم سنّى ألبته(٣) .

وإلى جانب ما تقدم كان باب الشعير غربى شاطئ دجله من أكبر مراكز أهل السنه(۴).

ورغم مـا قـام به المتوكـل من تشديـد فى اضـطهاد الشـيعه فى القرن الثـالث الهجرى ، تلاحـظ أن قوتهم كـانت عظيمه حتى إن الخليفه المعتضد عزم فى عام ٢٨۴ه ٨٩٧م على لعن معاويه على المنابر ؛ وأمر بإنشاء كتاب فى ذلك وصلت إلينا صورتُه ، فخوفه الوزير من اضـطراب العامه ، فقال المعتضد : إن اضـطربت العامّهُ وضعتُ فيها السيف ؛ فقال له الوزير : فما تصنع بالطالبيين الذين هم فى كـل نـاحيه يخرجون ويميـل إليهم كثير من النـاس لقرابتهم من الرسول ، وفى هـذا الكتـاب إطراوءهم ؛ وإذا سـمع الناس كانوا إليهم أميل(۵) ؟

١- كتاب الوزراء ص ٣٧١ .

٢- ابن الأثير ج ٩ ص ١۴۶ .

٣- ياقوت : معجم البلدان تحت كلمه كرخ بغداد (ج ۴ ص ٢۵۵) .

۴- كتاب الوزراء ص ۴٨٣ .

۵- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٢٧٨ ٢١۶۴ .

ويذكر الموءرخون لأول مره عام ۳۱۳ه ۹۲۵م أن الشيعه البغداديين كانوا يجتمعون فى مسجد براثا[۱] .

فعلم الخليفه بأن قوماً منهم يجتمعون فيه لسبّ الصحابه ؛ فأمر بكبسه فى يوم جمعه وقت الصلاه فوجد فيه ثلاثون إنسانا يصلّون ؛ فقبض عليهم وفُتِّشوا ، فوجد معهم خواتم من طين أبيض عليها اسم الإمام ، كما كان يفعل دعاه الفاطمين مع من ينتسب إليهم .

وقد استصدر الخليفه فتوى بهدم المسجد حتى سُوَّى بالأرض ، وعفى رسمه ، ووُصل بالمقبره التى تليه(۱).

وفى سنه ۳۲۱ه ۹۳۳م همّ على بن يلبَق ، وهو من القواد الترك ، مره أخرى بأن يلعن معاويه وابنه يزيد على المنابر ؛ فاضطربت العامه ، وكان البربهارى رئيس الحنابله يثير الفتن هو وأصحابه(۲).

وفى عام ۳۲۳ه ۹۳۵م نودى فى جانبى بغداد بأن لا يجتمع من الحنابله نفسان فى موضع واحد ، وكان لكثره تشرطهم على الناس وإيقاعهم الفتن المّتصله ؛ وخرج توقيع الخليفه الراضى بكتاب بيّن فيه أخطاء الحنابله وتوعّدهم بالعقاب ، وقد وصلت إلينا صوره هذا الكتاب(۳).

۱- المنتظم ص ۲۹ ب ، ۶۷. وكان ببغداد طائفه من المكدّين يدّعون أنهم شيعه ويحملون السبح والألواح من الطين ، ويزعمون أنها من قبر الحسين بن على رضى اللّه عنهما فيتعفون بها الشيعه . ولا تزال أطباق الطين تباع إلى اليوم ، يشتريها الشيعه ليضعوها أمامهم عند الصلاه لكى تقع عليها جباههم كلما سجدوا .

۲- تجد هذا مفصلا عن مسكويه ج ۵ ص ۴۱۳، ومختصراً عند ابن الأثير ج ۸ ص ۲۰۳ ۲۰۴ ، وعند أبى المحاسن طبعه ليدن ج ۲ ص ۲۵۳ ۲۵۴ .

۳- مسكويه ج ۶ ص ۴۹۵ ۴۹۷ .

فهو يتهمهم بـالطعن على خيار الأمه وبنسـبه شـيعه أهل بيت رسول اللّه صـلى الله عليه و آله إلى الكفر ، وإرصادهم بالمكاره فى الطرقات والمحالّ وإنكار زياره قبور الأئمه صـلوات اللّه عليهم ، والتشنيع على زُوّارها بالابتداع ، وأن الحنابله مع إنكارهم لذلك ، يلفقون ويجتمعون لقصد رجل من العوام ليس بذى شرف ولا نسب ولا سبب برسول اللّه صلى الله عليه و آله ، ويأمرون بزياره قبره والخشوع لـدى تربته ، وفى آخر الكتـاب يقسم أميرالموءمنين باللّه لئن لم ينصـرف الحنابله عن مـذموم مـذهبهم ليوسـعنّهم ضرباً وتشريداً وليستعملنّ السيفَ فى رقابهم والنار فى محالّهم ومنازلهم(۱) .

ثم أن يحكم أمر بإعاده بناء مسجد براثا فى عام ۳۲۸ه ۹۴۰م وبتوسيعه ليكون مسجداً لأهل السنه ، وكتب فى صدره اسم الراضى باللّه ؛ ثم جاء المتّقى باللّه فأمر بنصب منبر فيه ، كان فى مدينه المنصور معطّلاً مخبوّا فى خزانه المسـجد عليه اسم هارون الرشيد ؛ ونُصب هذا المنبر فى قبلظ المسجد ، وافتُتح هذا المسجد للصلاه فى عام ۳۲۹ه ۹۴۱م(۲).

وكان الحمـدانيون أول أسـره شـيعيه تـدخلت فى أمور بغـداد ، وكان هذا التدخل مثيراً للعجب ؛ ذلك أن ابن حمدان على شده تشيعه وميله إلى على وأهل بيته

۱- وقـد أضـيف لهـذا الكتاب فيما بعـد صـبغه اعتقاديه كلاميه ، فذكر أبوالفداء فى تاريخه أنه قد جاء فيه توبيخ الحنابله باعتقاد التشبيه :« وأنكم تزعمون أن صوره وجوهكم القبيحه السـمجه على مثـال رب العـالمين وهيئتكم على هيئته وهكـذا » تاريـخ أبى الفداء تحت عام ۳۲۳ه ج ۲ ص ۳۹۲ من الطعبه الأوروبيه .

۲- المنتظم لابـن الجوزى ص ۶۸ ؛، وابن الأثير ج ۹ ص ۲۷۸؛ ومسكويه ج ۶ ص ۳۷ ؛ وهو يذكر الفراغ من المسجد والتجميع فيه من غير زياده فى البيان .

سعی فی البیعه لا بن المعتز علی انحرافه عن علی وَ غُلُوِّه فی النّصب(۱).

ولکن الأحوال تغیرت لما استولی الدیلم علی بغداد ، وکانوا قد دخلوا فی الأسلام حدیثاً علی ید أحد العلویین ؛ فلم یکد معز الدوله یدخل بغداد حتی قبض علی الخلیفه المستکفی وأنزله عن عرشه علی صوره مهمینه .

وکان من الأسباب الظاهره فی ذلک أن المستکفی کان قد قبض علی الشافعی رئیس الشیعه(۲).

وفی سنه ۳۴۹ه ۹۶۰م قامت فتنه بین العامه ببغداد ، وتعطلت الجمعه بمساجد أهل السنه لا تصال الفتن ، ولم تُقَم الجمعه إلا فی مسجد براثا الشیعی(۳) .

وفی عام ۳۵۱ه کتب معز الدوله علی المساجد لَعنَ الصحابه ، فمحاه الناس أثناء اللیل(۴) .

وفی العام التالی أمر الناس أن یحتفلوا بیوم عاشوراء ، وهو أکبر عید للشیعه ، وأن یظهروا الحزن .

فأُغلقت الأسواق وعطل البیع والشراء ، ولم یذبح القصّابون ، ولا طبخ الهراسون ، ولا تُرک الناس أن یستقوا الماء ، ونصبت القبابُ فی الأسواق ، وعُلقَّت علیها المسوح ، وخَرَجَت النساء مُنَشّرات الشعور مسودّات الوجوه ، قد شققن

۱- ابن الأثیر ج ۸ ص ۱۳ .

۲- مسکویه ج ۶ ص ۱۲۳ .

۳- المنتظم لابن الجوزی ص ۸۹؛ وأبوالمحاسن طبعه لیدن ج ۲ ص ۳۵۱؛ وابن الأثیر ج ۸ ص ۳۹۷ .

۴- انظر ما تقدم .

ثيابهن يدُرن فى البلد وينُحن ويلطُمن وجوههن على الحسين (رضى الله عنه).

وفى هذا اليوم كان يزار قبر الحسن بكربلاء(۱).[۱]

ويصف البيرونى ما جرى عليه بنو أميه من إظهار الفرح فى يوم عاشوراء ، وما كان يظهره الشيعه من حزن ، ثم يقول : «ولـذلك كره فيه العامه تجديد الأوانى والثياب»(۲) .

وفى اليوم الثامن عشر من ذى الحجه فى هذا العام جاء عيد الغدير (غدير خمّ) ، فاحتفل به الشيعه ببغداد ، وزعموا إنه اليوم الذى عهد فيه الرسول عليه السلام إلى على بن أبى طالب واستخلفه(۳) .

وفيه أظهروا السرور بأمر معزّ الدوله ، على خلاف صنيعهم فى يوم عاشوراء ، فنصبوا القباب وعلّقوا الثياب ، وأظهروا الزينه .

وفى ليلته أُشعلت النيران بمجلس الشرطه ، وضربت الدبادب والبوقات ؛ وفى صبيحته نحروا جملاً وبكّروا إلى مقابر قريش(۴) .

أما بنو أميه فكانوا قد اتخذوا يوم عاشوراء من قبل يوم سرور ، «فلبسوا فيه ما

۱- المنتظم ص ۹۳ ب ؛ وكتـاب الوزراء ص ۳۷۱؛ وابن الأثير ج ۸ ص ۴۰۳، ۴۰۷ ؛ وأبوالمحاسن ج ۲ ص ۳۶۴ . ولا نجد قط ذكراً لروايـات ألفت لتمجيـد الشـهداء كالتى نراها اليوم عاده . على أنه من العبارات التى تشـبه أن يكون أصـلها من قصه تمثيليه قـول السـيده سـكينه بنـت الحسـين رضـى اللّه عنهـا « كنـت أحسـن من السـماء وأعـذب من المـاء » (رسائـل الخـوازرمى طبعه القسطنطينيه ۱۲۹۷ص ۳۷ ، (وليس فى هذا دليل مقبول . المترجم) .

۲- الآثار الباقيه للبيرونى طبعه أوروبا ص ۳۲۹ .

۳- المنتظم ص ۹۳ ب ؛ وابن الأـثير ج ۸ ص ۴۰۷ ؛ وكتاب الوزراء ص ۳۷۱؛ وقد أخطأ أبوالمحاسن (۲ص ۴۲۷) بجعله ذلك عام ۳۶۰ ه .

۴- كتاب الوزراء ص ۳۷۱؛ والمنتظم ص ۹۳ب ؛ وابن الأثير ج ۸ ص ۴۰۷ .

تجـدد وتزينوا واكتحلوا وعيـدوا وأقاموا الولائم والضـيافات وطعموا الحلاوات والطيبات، وجرى الرسم فى العامه على ذلك أيام ملكهم ، وبقى فيهم بعد زواله عنهم » .

وقد حاول أهل الحديث أن يظهروا فضل يوم عاشوراء فذكروا ما روى عن النبى عليه السلام من الحضّ على فعل الخير فيه(۱) .

وكانوا يزعمون أن «الا كتحال فيه مانع من الرمد فى تلك السنه »(۲).

ولذلك يقول القمّى (المتوفى عام ۳۵۵ه ۹۶۶م) مشدِّداً فيمن يفرح بيوم عاشوراء :[۱]

«من ترك السـعى فى حـوائجه يوم عـاشوراء قضـى اللّه له حوائـج الـدنيا والآـخره ، ومن كـان يومُ عـاشوراء يومَ مصـيبته وحزنه وبكـاءه يجعل اللّه عزوجل يومَ القيامه فرحَه وسـروره ... ومن سـمى يوم عاشوراء يوم بركه وادّخر بمنزله شـيئا لم يبارَك له فيما ادّخر، وحُشر يوم القيامه مع يزيد وعبيد اللّه بن زياد وعمر بن سعد لعنهم اللّه إلى أسفل درك من النار »(۳).

ولمـا زالت الـدوله الفـاطميه وجاء ملوك بنى أيوب اتخـذوا يوم عاشوراء ، بعـد أن كان يوم حزن ، يوم سـرور ، جَرياً على عاده أهل الشام(۴) .

ثم إن أهل السنّه أرادوا أن يعملوا لأنفسهم ما يكون بإزاء يوم عاشوراء، فجعلوا بعده بثمانيه أيام يوما نسبوه إلى مقتل مُصعَب بن الزبير ، وزاروا قبره فى

۱- الآثر الباقيه للبيرونى ص ۳۲۹ .

۲- عجائب المخلوقات للقزوينى ، طبعه أوروبا عام ۱۸۴۹ص ۶۸ .

۳- كتاب العلل للقمى مخطوط برلين رقم ۸۳۲۶ ص ۹۹ب .

۴- الخطط للمقريزى ج ۱ ص ۴۹۰ .

مسکن ، کما یزار قبرس الحسین بکربلاء(۱).

وکذلک عملوا بأزاء یوم الغدیر بعده بثمانیه أیام یوما ادعوا أنه الیوم الذی دخل فیه النبی علیه السلام وأبوبکر فی الغار ، وعملوا فی هذا الیوم ما یعمله الشیعه فی یوم الغدیر .

وکان أول ما عمل أهل السنه ذلک فی یوم الجمعه لأربع بقین من ذی الحجه عام ۳۸۹ه ۹۹۹م(۲).

وفی هذه الأعیاد لم یکن الأمر یخلو من شغب وفتن بین الفریقین ، حتی کان الحکام الأقویاء یمنعون من عملها أحیاناً(۳).

وقد حدث مره فی فتنه بین أهل السنه والشیعه أن الشیعه صاحوا : حاکم یا منصور ، إشاره إلی العدو المقیم بالقاهره ؛ وقد بلغ الخلیفه ذلک ، فأحفظه ، وأنفذ الحراس الذین علی بابه لمعاونه أهل السنه ؛ فهزموا الشیعه ؛ ثم اجتمع الأشراف إلی دار الخلیفه، فسألوه العفو عما فعله السفهاء ، فعفا عنهم(۴) وفی عام ۴۲۰ه ۱۰۲۹م کان خطیب مسجد براثا ، وکان شیعیا ، یذکر مذاهب فاحشه من مذاهب الشیعه ویغلو فی علی[۱] .

فأمر الخلیفه بالقبض علیه ، وعین محله خطیباً آخر ؛ فلما صعد المنبر دقه بِعَقَب سیفه علی ما جرت به العاده ، والشیعه ینکرون هذا ، وقصر فی الخطبه عما

۱- کتاب الوزراء ص ۳۷۱؛ وکذلک عرف یاقوت هذه الأماکن .

۲- المنتظم ص ۱۴۳ ۱۴۴ب ؛ وکتاب الوزراء ص ۳۷۱ .

۳- فعل ذلک أبو الحسن المعلم عام ۳۸۲ ه (المنتم ص ۱۳۴) وعمید الجیوش عامی ۳۹۲ه ، ۴۰۶ه (کتاب الوزراء ص ۴۸۲ ج ۴۸۳ ، والمنتظم ص ۱۴۷ ب؛ وابن الاثیر ج۹ ص ۱۸۴) .

۴- المنتظم ص ۱۵۲ب .

كـان يفعله مَن تقـدمه فى ذكر على ابن أبى طـالب ، وقـال: اللهم اغفر للمسـلمين ، ومن زعم أن عليـا مولاـه ، فرماه العامّهِ حينئذ بالآجُرّ ، فوافاه كالمطر ، وخُلع كِتفُه ، وكُسِر أنفهُ، وأدمى وجهُه؛ وعرف الخليفه ذلك ، فغاظه وأحفظه ؛ وكتب فى الشـيعه كتاباً شديـداً للوزير؛ وفى آخر الأمر اجتمع قوم من مشايـخ أهل الكرخ ، وتوجّهوا مع الشـريف المرتضـى إلى دار الخلافه ، فأحالوا ما جرى على سـفهاء الأحداث ، وسألوا الصفح عن هذه الجنايه، وطلبوا إقامه خطيب عملت له نسخهٌ يعتمدها فيما يخطب ، وتجنّب ما يحفِظ الشيعه(۱) .

ومما كان له شأن فى توارث الشيعه المفاجئه فى القرن الرابع الهجرى أن مشهديهم الكبيرين المقدّسين عندهم كانا بالعراق .

على أن موضع قبر على[۱] .

كان موضع شك؛ وقد بيّن المسعودى ذلك فى عام ۳۳۲ه ۹۴۴م ، حيث يقول إنه قد تُنوزع فى موضع القبر؛ فذهب قوم إلى أنه دُفن فى مسـجد الكوفه(۲)؛ وقـال آخرون إنه دفن فى القصـر بالكوفه ؛ وذهب جماعه إلى أنه حُمل إلى المـدينه فـدُفن عنـد قبر فـاطمه؛ وقـال قوم إنه حُمِـلَ فى تـابوت على جمـل وإن الجمـل تـاه ووقع فى بلاد طيء(۳)؛ ثم يقـال إن أبـا الهيجاء عبـداللّه بن حمدان (المتوفى عام ۳۱۷ه ۹۲۹م) شَـهَر مكاناً بمشـهد على ، كان يقال إنه قبر على بن أبى طالب ؛ وذلك بأن جعل عليه حصناً منيعا ، وابتنى على القبر قُبّه عظيمه مربعه الأركان لها

۱- نفس المصدر ص ۱۷۹ ۱۷۸ .

۲- انظر أيضاً ابن حوقل ص ۱۶۳ .

۳- مروج الذهب ج ۴س ۲۸۸ ۲۸۹، ج ۵ص ۶۸ .

باب من كل جانب ، وسترها بفاخر الستور ، وفرشها بثمين الحصر السامانيه(۱) .

ولما مرض الوزير أبومحمد بن سهلان واشتد عليه المرض نذر، إن عُوفى ، بنا سورٍ على مشهد أميرالموءمنين على ؛ فعوفى ، فأمر ببنـاء سور عليه عام ۴۰۰ه‍ ۱۰۱۰م(۲) وأول من دُفن فى هـذا المشـهد من العظمـاء فيمـا أعلم ، رجـلٌ من أهل البصـره عام ۳۴۲ه‍ ۹۵۳م(۳) وأول من دفن فيه من الأمراء عضـدُ الـدوله (المتوفى عام ۳۷۲ه‍ ۹۸۲م) ، فحُمِل إليه بعـد أن كان قد دُفن بدار الملك ببغداد(۴) .

وعضد الدوله هذا هو الذى أمر بإعاده بناء مشـهد الحسن بن على(۵)، بعـد أن كان الخليفه المتوكل قد أمر فى عام ۲۳۶ه‍ ۸۵۰م بهدم قبره وهدم ما حوله من المنازل وبأن يُحرَث ويُبذَر ويسقى(۶) .

وكـان يزعم البعض أن رأس الحسـين ، « سيدالشـهداء » ، يوجـد فى ربـاط صـغير قريبـا من مـدينه مرو ، وذلـك فى القرن الرابع الهجرى(۷) .

۱- ابن حوقل ص ۱۶۳ .

۲- ابن الأثير ج ۹ص ۱۵۴ .

۳- نفس المصدر ج ۸ص ۳۸۰ل .

۴- نفس المصدر ج ۹ ص ۱۳ .

۵- وكذلك بنى قبر فاطمه بقُم (رسائل الهمذانى ص ۴۲۵؟) .

۶- تاريخ الطبرى ج ۳ص ۱۴۰۷، ولا بن بسّام فى المتوگل شـعر قاله ، لما أمر بهـدم القبر : تاللّه إن كانت أميه قـد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما فلقـد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما أسـفو على أن لم يكونا شاركوا فى قتله ، فتتبعوه رميما (تاريخ أبى الفداء تحت عام ۳۰۳ ه) .

۷- المقدسى ص ۴۶، ۳۳۳ .

ويقول المقريزى إن رأس الحسين حُمل من عسقلان إلى القاهره ووصل إليها فى عام ٥٤٨ه ١١٥٣م(١) .

ويرى ابن تيميه أن هذا باطل باتفاق أهل العلم ، وأن أحداً من أهل العلم لم يقل إن رأس الحسين كان بعسقلان(٢) .

وفى عام ٣٩٩ه ١٠٠٩م توفى أبوالعباس الكافى الوزير بالرى ، وكان قد وصّى قبل موته أن يُدفن فى مشهد الحسين؛ فكتب ابنه إلى العلويين أن يبيعوه تربه بخمسمائه دينار ، فقال الشريف اذ ذاك : هذا رجل التجأ إلى جوار جدّى ، ولا آخذ لتربته ثمناً ؛ وأُعطيت للرجل تربه من غير أن يدفع شيئا(٣) .

ولم يصل إلينا وصف لداخل مشهد الحسين بكربلاء قبل وصف ابن بطوطه له فى القرن الثامن الهجرى ؛ أما قبل ذلك فيذكر أن القبر كان يُغَطّى بقماش تاريز، وحوله شموع مضاءه(٤) ثم إن عميد الدوله بن بويه بنى على قبر على الرضا بطويس حصناً ومسجداً لم يكن بخراسان أحسن منه(٥) .

١- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٤٢٧ .

٢- نشر شرينر . (Schreiner. ZDMG, ٥٣, S. ٨١)

٣- الإرشاد لياقوت ج ١ص ٦٨ .

٤- ابن الأثير ج ٩ ص ٢٠٩؛ وابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ١٢٣ .

٥- المقدسى ص٣٣٣ .

تعلیقات الفصل الخامس

[۱] تحامل علی الشیعه ولکن الذی یسهل الخطب ان مراده بالشیعه مطلق من تسمّی أو سمّوه بهذا الاسم من الفرق المشیمه إلیهم ولا یقبلها اصول التشیع الصّحیح ..

[۲] کلّ الناس یدرون أن قبره علیه الصلاه والسلام بعید عن الکوفه (بعشر کیلومترات) واقع فی النجف الاشرف...

[۳] لا یخلو من تحامل .

[۴] ذکره(۱) فی المجالس عن معجم البلدان وغیره والرئیس هو مقدّم الاشعریّین الاخوه أبناء سعد بن مالک بن عامر عبداللّه ، ولکن هذا المذکور ربما لا یوافق ما صرّح به النجاشی والشیخ الطوسی قدس سرهما (۲) من علمائنا فی رسجالهم (وهما الصادقان الثقتان من أعاظم علمائنا الأبرار) عند ترجمه أحمد بن محمد بن عیسی بن عبداللّه بن سعد بن مالک بن الأحوص بن السائب بن مالک بن عامر الأشعری (واوّل من سکن قم من آبائه سعد بن مالک بن الأحوص وکان السائب بن مالک وفد إلی النبی صلی الله علیه و آله وهاجر إلی الکوفه واقام بها) .

۱- مجالس المؤمنین ج۱ ص۸۳.

۲- الفهرست للشیخ الطوسی ص ۲۵ ...۶۵، تنقیح المقال ج۱ ص۹۰، معجم رجال الحدیث ج۲ ص ۸۹۸.

[۱] يقولون(۱) على بن ابى طالب عليه السلام كالزاغ : والمعلّق يزيد على(۲) المتن قوله ان عقيدتهم ان شبه محمد بعلى عليهماالسلام اشّد من شبه الغراب بالغراب ويخطؤون جبرئيل فى ابلاغه الرساله إلى محّمد صلى الله عليه و آله بل كان عليه ان يبلغه عليّاً عليه السلام ويقتعدون فى على وابنائه النبوّه ويلعنون جبرائيل وربما يطلق عليهم الذبابيّه الخ .

التحامل فى هذا المقام أشدّ لكن الحقّ كما أشار إليه أحمد أمين (فى مقدّمه الكتاب) (كما يوءخذ عليه انه يستدلّ فى بعض المسائل على رأى بنّص واحد إلى آخر) وكلّ من له المام بمسائل الفقه يدرى ان الاماميه أعلى اللّه كلمتهم اتّحدت كلمتهم تبعاً لأئمّتهم أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله والعتره المقرونه بالكتاب فى الحديث المشهور بل المتواتر بين الفريقين(۳) انى تارك أو مخلّف فيكم الثقلين ، أو الخليفتين ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى كتاب اللّه وعترتى أهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض على انّ المال الموروث يرثه الاقرب للميّت فالأقرب بنتاً واحده كانت أو بنتين أو أزيد وكذا الأخت سواء سمّى له فى الكتاب العزيز أم لم يسم لآيه اُولى الارحام(۴) (قال تعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فى كِتابِ اللّه إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ») وقد أخطأ السبكى فى طبقاته حيث عزى هذا القول إلى قوم من شراد الروافض كخطأ الموءلّف خطأ تبعاً فى قوله دفنت فى قم السيده فاطمه ابنه الامام الثامن الرضا عليه السلام والحال انّ السيده فاطمه هى اُخت الرضا بنت الامام موسى الكاظم عليهماالسلام .

[۱] هذا أيضاً خطأ بل الشيعه لهم اصول وقواعد رصينه متينه لا يرثون العلم إلاّ من أهل

۱- بيان الاديان ۳۶.

۲- تعليق ۵۳/۵۳۰ بيان الاديان.

۳- الغدير ج۳ ص ۸۰.

۴- الانفال: ۷۵.

البيت آل رسول اللّه صلى الله عليه و آله فراجع نهج الحق للعلامه الحلى قدس سره فى ما يتعلق بالأبحاث الكلاميه فانه قدس سره صرح بمتابعه المعتزله للاماميه. وتأسيس(۱) الشيعه للسيّد حسن الصدر الكاظمى اعلى اللّه مقامه.

حتى تعرف ان للشيعه الاماميه التقدم والسبق فى علوم الاسلام وتدوين كتبها وفتح باب العلوم على كلّ فرق الاسلام ومنها علم الكلام فأوّل من تكلّم فى هذا العلم منهم واول من ناظر فى التشيّع منهم وأوّل من كتب وألّف منهم وانظر إلى نص ابن أبى الحديد بألفاظه(۲) (ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ فان المعتزله الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلّم الناس هذا الفنّ . تلامذته وأصحابه لأنّ كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبى هاشم عبداللّه بن محمّد بن الحنفيّه وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام وامّا الأشعريه فانهم ينتمون إلى أبى الحسن على بن (اسماعيل بن) أبى بشر الأشعرى وهو تلميذ أبى على الجبائى وأبو على أحد مشايخ المعتزله فالأشعريّه ينتهون بالاخره إلى استاذ المعتزله ومعلّمهم وهو علىّ بن ابى طالب عليه السلام وأمّا الاماميه والزيديه فانتماوءهم إليه ظاهر . انتهى .

وقد بيّن الفرق الشيخ المفيد بين الشيعه وبين المعتزله وغيرهم فى ما يرجع إلى العقايد الكلاميه فى كتاب اواﺋﻞ المقلات(۳) وأوضح المطلب على نحو لا يبقى مجال لما زعمه المصنف فراجع .

۱- تأسيس الشيعه ۳۵۰-۳۵۳.

۲- شرح النهج الحديدى ج۱ ص۱۷.

۳- أوائل المقالات ج۱ ص۳۴ الى ۵۰. تعليقات الجرندانى على أوائل المقالات نقلاً عن أعيان الشيعه ص۳۹.

استشهاد مضحک وقول بلا دلیل فالسلطان(۱) عضد الدّوله اتّصال وثیق بالشیخ المفید احد أعلام الشیعه فی القرن الرابع ورئیسها المشهور المتضلع فی فنون کثیره المتکلّم الکبیر وکان عضد الدوله یعظّمه غایه التعظیم ویزوره فی داره وعده المسیر سید شریف من مروّجی مذهب الاسلام فی المأه الرابعه وأوصی أن یحمل جنازته إلی النجف الأشرف ودفن فی جوار الروضه المتبرّکه العلویه وکتب علی قبره هذا قبر عضد الدّوله وتاج الملّه أبی شجاع بن رکن الدوله احبّ مجاوره هذا الامام المعصوم لطمعه فی الخلاص یوم تأتی کلّ نفس تجادل عن نفسها وصلواته علی محمّد وعترته الطّاهره : فلهذا وذاک لامجال لتصدیق کلام المصنف فیما ذکر فالشیعه مذهب کلامی ولا یعمل عضد الدوله حسب مذهب الاعتزال بل نقول تأییداً لعظمه الشیعه فی ذاک العصران القرن الرابع من اجلی القرون الّتی تجلّت الشیعه فیها باظهر وأبرز وأنفع الموءلّفات فی العلوم الاسلامیّه ومنها علم الکلام وهو عصر الشیخ الصدوق والشیخ المفید والسیدین المرتضی والرضی قدسّ اللّه أسرارهم وقد قضی شیخ الطائفه الامامیه الطوسی قدس سره شطراً من صیانه العلمیه فی ذاک القرن وله(۲) کتاب تلخیص الشافی ومقدمه فی المدخل إلی علم الکلام وشرحها والمسائل الرازیه فی الوعید وبامکانک مراجعه الشافی(۳) للسید المرتضی والفصول(۴) المختاره واوائل المقالات وشرح عقائد الصدوق وکتب کلامیه اخری للشیخ المفید قدس سره وله

۱- سفینه البحار ج۲ ص ۲۲۰-۲۰۳، روضات الجنات ج۶ ص۱۵۳، مجالس المؤمنین ج۲ ص ۳۲۸.

۲- فهرست الطوسی ۱۶۰-۱۶۱، مجالس المؤمنین ج۱ ص ۴۸۱.

۳- فهرست الطوسی ۹۹، مجالس المؤمنین ج۱ ص ۵۰۳.

۴- فهرست الطوسی ۱۵۸، مجالس المؤمنین ج۱ ص۴۷۸-۴۷۹.

قریب من مأتی مصنف کبار وصغار ولمن عاصره أو تقدم أو تاخر عن عصره بقلیل تألیفات ممتّعه مذکوره فی محلّها من کتب الرجال والسیر والتاریخ وفهارس کتب الصنّفین من الشیعه الامامیه لاسیّما الذّریته وأشار الیهم وترجم لهم فی تأسیس الشیعه فی الطبقه الخامسه کابن(۱) اعین ذوبی وعن ابن شهر آشوب انه من غلمان السید المرتضی قدس سره له کتاب عیون الأدلّة اثنی عشر جزءاً فی الکلام (قال الموءلف(۲) التأسیس ولا أعرف کتاباً ابسط منه فی کلام علم الکلام) وکالعلّامه أبی(۳) الفتح الکراجکی شیخ الفقهاء والمتکلمین وحید عصره وفرید دهره ومنهم الشیخ(۴) أبا علی بن مسکویه احمد بن محمّد بن یعقوب بن مسکویه الرازی الأصل واحبا نصر(۵) الفارابی محمد بن أحمد بن طرخان ابن اوزلغ وکآل(۶) نوبخت وفیهم جماعته متکلمون وذکر من کلمات العلماء ما یدل علی تشیّعهم وإن کان فی بعضهم تأمل وبامکانک تعرّف تألیفاتهم وکتبهم فی الکلام وسائر أنواع العلوم وعمّا یریبنی وکلّ عالم منصف وبحّاث منقّب ان الشیخ المفید والسید المرتضی والشیخ الصدوق والشیخ الطوسی ونظرائهم لیسوا من المهملین والمغمورین فی ذاك النصر فکیف لم یذکرهم المصنف فی أی فصل من کتابه ولا أشار إلی مصنفاتهم فی الکلام وآرائهم فی الامامه فما ذکره المصنّف فی حقّ الشیعه لیس الاّ رجماً بالغیب او تحاملاً أو قولاً بلا دلیل

۱- تأسیس الشیعه ۳۹۳.

۲- تأسیس الشیعه ۳۹۳.

۳- تأسیس الشیعه ۳۸۶-۳۸۷، روضات الجنات ج۶ ص ۲۰۹-۲۱۵.

۴- تأسیس الشیعه ۳۸۵-۳۸۶، روضات الجنات ج ۱ ص۲۵۴-۲۵۷.

۵- تأسیس الشیعه ۳۸۲-۳۸۴، روضات الجنات ج۷ ص۳۲۱-۳۲۷.

۶- تأسیس الشیعه ۳۶۲-۳۷۵.

و ینبغی لفت نظر إلی ما کتبه فی ذیل اصل الشیعه و اصولها (۱) للعلامه المصلح الکبیر المرحوم الشیخ محمد حسین آل کاشف الغطاء قال مانصه: التشیع بالمعنی الخاص ینافی الاعتزال و یکفی فی تحقیق المباینه ان الشیعه تقول بالنص والمعتزله لا تقول به، و لکن کثیراً من الشیعه کانوا یتظاهرون بالاعتزال لمصلحه کانت یقتضیها ذلک الوقت و منهم یحیی بن زید العلوی الذی ینقل عنه ابن ابی الحدید جمله من التحقیقات العالیه فلیفهم هذا.

و کذا إلی ما ذکره (۲) الدکتور حامد حفنی داود استاذ الأدب العربی بکلیه الالسن (فی القاهره) فی مقدمه لکتاب عقائد الامامیه للعلامه المجاهد الشیخ محمد رضا المظفر تغمده الله برحمته. قال طی کلام له و یبقی هنا سؤال واحد یستلزم منا ان نجیبک علیه هو: هل تأثر الشیعه بالمعتزله أم تأثر المعتزله بالشیعه؟ فاما جمهور الباحثین فیرون ان الشیعه تأثروا بالمعتزله فی الاخذ بالمنهج العقلی و لکنی ازعم لک ان المعتزله هم الذین تأثروا بالشیعه و ان التشیع کعقیده سابق علی الاعتزال کعقیده و ان الاعتزال ولد و درج فی احضان التشیع و ان رؤوس الشیعه کانوا اسبق فی الوجود من جهابذه المعتزله، الی و من هنا استطیع ان اجلی للقارئ المتدبر ان التشیع لیس کما یزعمه المحرفون والسسفیانیون من الباحثین مذهباً نقلیاً محضاً أو قائماً علی الآثار الدینیه المحشونه بالخرافات والأوهام والاسرائیلیات أو مستنداً فی مبادئه من عبدالله بن سبأ و غیره من الشخصیات الخیالیه فی التاریخ إلی آخر کلامه.

[*۸] کذبه واضح لو أراد أن المذهب یفسح لهم المجال کما یرشد الیه ما أورده فی قوم من

۱- اصل الشیعه و اصولها ۳۳ الطبعه الرابعه ۱۴۰۲ بیروت.

۲- عقائد الامامیه ۱۹-۲۰، الطبعه الثالثه أو الرابعه.

التناسخيه: و لقد أجاد صاحب الرياض (۱) حيث قال لدفع تهمه الاعتزال عن الصاحب بن عباد. والسر فی نسبه الاعتزال إليه و إلی أمثاله أن العامه من الأشعريه لم يفرقوا فی الاصول بين المعتزله و الشيعه، بل اعتقادهم انها علی طريقه واحده و لهذا تری ان الاشاعره إنما يحاجون (مع) المعتزله و حدها فی كتبهم الكلاميه، و من ذلك ان الأشاعره لما اعتقدوا الجبر حقيقه و ان أنكروه لفظاً و كتابه (ليس كلهم هكذا) ظنوا ان كل من أنكر هذه العقيده الفاسده فهو معتزلی من غير تحقيق الحال فی عقيده الشيعه و برائتها من كلا الاعتقادين.

[*۹] اشتشهاد غلط لا ربط له بما تقدم ولا يثبت دعواه.

[*۱۰] هذه وارده فی زيارات (۲) أميرالمؤمنين عليه السلام و مذكوره فی حالاته و تواريخه و لا غلو فيه لكونه نفس النبی صلی الله عليه و آله. بحكم آيه المباهله فليذكر معجزه المسيح عليه السلام فی احيائه الموتی كما هو وارد فی القرآن الكريم و وارد فی أناجيلهم، و أخبار تكليم (۳) الامام عليه السلام الجماجم كاحياء الموتی و تكليم الفتيه أصحاب الكهف وارده فی البحار عن كتب كثيره فراجع.

و يقال للمصنف (قل للذی يدعی فی العلم فلسفه حفظت شيئاً و غابت عنك أشياء نسيت أيها المصنف عقيدتكم فی المسيح و انه ابن الله أو حل فيه روح الله و قولهم بالتثليث (الاقانيم الثلاثه).

[*۱۰] ذكره الصدوق (۴) مسنداً له إلی ميثم التمّار باختلاف يسير .

۱- رياض العلماء ج۱ ص۸۸.

۲- البحار ج ۱۰۰ ص۳۰۲، ج۴۱ ص۱۶۶-۱۹۶-۱۹۷-۲۰۱-۲۱۱-۲۱۲-۲۱۴-۲۱۹-۲۲۲.

۳- البحار ج ۱۰۰ ص۳۰۲، ج۴۱ ص ۱۶۶-۱۹۶-۲۰۱-۲۱۱-۲۱۲-۲۱۴-۱۹۴-۲۲۲.

۴- البحار ج۴۵ ص۲۰۳.

والرّوایات(۱) فی بکاء السماء وهی حمرتها واسطارها دماً عبیطاً بلغت حدّ التّواتر وقد ذکر(۲) المفسر الکبیر العلّامه الطباطبائی قدس سره ان البکاء فی الآیه الشریفه « فَما بَکَتْ عَلَیْهِمُ السَّماءُ وَالْاٴَرْضُ وَما کانُوا مُنْظَرِینَ »(۳) . ان بکائهما علی شیء فائت کنایه تخییلیه عن تأثرهما عن فوته وفقده فعدم بکائهما علیهم بعد اهلاکهم (قوم فرعون) کنایه عن هوان امرهم علی اللّه وعدم تأثیرها راکهم فی شیء من اجزاء الکون .

واشار(۴) إلی عدم الحاجه إلی حمل البکاء علی الکنایه التخییلیه لو بنی فی فعناه علی ما یظهر من الروایات: بعد ان اورد نبذاً منها وفیها روایه عن الدر المنثور للّسیوطی کما تعّرض(۵) صدیقنا المفسر الفاضل الشیخ محمّد الصادقی لهذا الآیه والکلام علیها وعلی الروایات ومنها عده روایات عامّه نصبوده مبسوطه ینبغی مراجعه تفسیره .

[۱] رواها المجلسی(۶) عن الصدوق قدس سرهما .

هذا لیس قولاً الشیعه الامامّیه ولاغیرهم ولا اعتقد من یوجد فی زماننا یقول به ثم هو قول بعض المتسمّین بالشیعه من الذین انقرضوا ولیسوا بشیعه وما یذکر فی ذیل الکتاب ملاکاً لهذا القول (کتاب العلل ص ۹۹ ب) یکون حجه علیه حیث یسأل(۷) عبداللّه بن الفضل فقلت له یابن رسول اللّه فما تقول فی قوم من شیعتک یقولون به فقال (ابو عبداللّه الصادق علیه السلام) ما هؤلاء من شیعتی وانا بریء منهم وقال علیه السلام للرّاوی

۱- البحار جلد ۴۵: ۲۰۱-۲۱۹.

۲- تفسیر المیزان ج۱۸ ص۱۵۲-۱۵۰.

۳- سوره الدخان: ۲۹.

۴- تفسیر الفرقان ج۲۴-۲۵ ص۴۰۶ إلی ۴۱۰.

۵- تفسیر الفرقان ج۲۴-۲۵ ص۴۰۶ إلی ۴۱۰.

۶- البحار ج۴۳ ص۱۲-۱۵-۱۶.

۷- البحار ج۴۴ ص ۲۷۰.

یـابن عمّ وانّ ذلـک (أی شـیعته العـامیّه یوم عـاشوراء یوم برکه) لأقلّ ضـرراً علی الاسـلام وأهله ممّا وضـعه قوم انتحلوا مودّتنا وزعموا انّهم یدینون بموالاتنا ویقولون بامامتنا زعموا ان الحسـین علیه السـلام لم یقتل وانّه شـبّه للنّاس أمره کعیسی بن مریم الی قوله علیه السـلام یابن عم من زعم ان الحسـین لم یقتل فقد کذب رسول اللّه وعلیّاً وکذّب من بعده من الأئمّه فی أخبارهم بقتله ومن کذبهم فهو کافر باللّه العظیم ودمه مباح لکّل من سـمع ذلک منه وفی التوقیع(۱) الوارد عن مولانا صاحب الزمان عجل اللّه فرجه امّا قول من زعم ان الحسـین لم یقتل فکفر وتکذیب وضلال وفی روایه العیون(۲) یقول الهروی قلت للرضا علیه السلام ان فی سواد الکوفه قومـا إلی قوله قلت یـا بن رسول اللّه وفیهم قوم یزعمون ان الحسـین بن علی لم یقتل فقال کـذبوا علیهم غضـب اللّه ولعنته وکفروا بتکذیبهم لنبیّ اللّه فی أخباره بانّ الحسین بن علی علیهماالسلام سیقتل . ص ۱۰۹

[۱] الشـیعه الامـامیّه لا یرون فرقاً بین امام وامام من أئمّتهم من الائمه المعصومین الاثنی عشـر علیهم السـلام ویرون قولهم واحـداً ومـا قـاله أحـدهم هو قول کلّهم وقول کـلّ واحـد منهم قول النبی صـلی الله علیه و آله ودلاـئلهم مـذکوره فی محلّهـا من الکتب الکلامیه والاعتقادیه ولا یوءاخـذ المـذهب وأهله وأکابره وعلمائه بفعل بعض السّـفهاء لو وضع حدیثاً کرامه أو تقرباً إلی أمیر أو وزیر وهـذه کتب رجـالهم تری فیهـا وانهم ینقّبون عن حال کل راوٍ للاخبار فضـیله أو کرامه أو ما یتعلق بالـدین والتفسـیر اصولاً وفروعـاً ولاـیقبلون الاّـ ممّن صـحّ دینه وسـلمت عقیـدته أو ثبت صـدقه ووثاقته وربما یکون الراوی صاحب تألیفات وکتب وهو امامی المذهب لایقبلون حدیثه لفسق فی العمل أو انحراف فی العقیده أو

۱- بحارالأنوار ج۴۴ ص ۲۷۱.

۲- عیون أخبار الرضا ج۲ ص۲۰۳، بحارالأنوار ج۴۴ ص ۲۷۱.

وضع للحديث فراجع ما كتبوا فى الرجال (ككتاب النجاشى وخلاصه الأقوال للعلّامه الحلى ورجال الاسترآبادى ورياض العلماء وتنقيح المقال ومعجم رجال الحديث وأمثالها كثير) .

[۱] هذا يدعيه ابن(۱) ابى الحديد فى شرح نهج البلاغه ويذكر أمثله انكار كثير منها وليد التعصّب ويمسّ قبول بعضها عقيدته فى الصحابه ولا يمكنه قبوله والبقاء عليها وقبله وبعده اتهموا الشيعه بالكذب ووضع الأحاديث حتّى انّ بعضهم (عبداللّه القصيمى) كاد أن يحصر الوضاعين والكذّابين بين الآّمه الاسلاميّه بالشيعه فقال الكذابه(۲) حقّاً كثيره فى رجال الشيعه واصحاب الاهواء طمعاً فى الدنيا وتزلّفاً أى أصحاب أو كيداً للحديث والسنّه وحنقاً على أهلها إلى وليس فى رجال الحديث من اهل السنّه من هو متهم بالوضع والكذابه طمعاً فى الدنيا وازدلافاً إلى اهلها وانتصاراً للاهواء والقصائد المدخوله الباطله نعم : قد يوجد بينهم من ساء حفظه او من كثر نسيانه او من انخدع بالمدلسين الضعفاء.

لكنّه غفل عن عيوب نفسه فرمى الشيعه بانانين من الأكاذيب فقال(۳) ان الأئمه من آل البيت عند الشيعه أنبياء وانّهم يوحى اليهم وان الملائكه تأتى اليهم بالوحى وانّهم يزعمون لفاطمه وللأئمّه من ولدها ما يزعمون للانبياء . ولقد ردّ عليه العلامه الأمينى قدس سره أكاذيبه وافترائاته لا على الشيعه فحسب بل على ساير علماء الاسلام وذكر سبعمأه(۴) من اصحاب الروايات نصوا على كذبهم أو وضعهم وفيهم علماء فقهاء زهاد عباد نسّاك

۱- شرح النهج الحديدى ج۱۱ ص۴۹.

۲- الغدير ج۵ ص۲۰۸.

۳- الغدير ج۵ ص ۵۰.

۴- الغدير ج۵ ص ۲۰۹ الى ۲۷۵-۲۹۰.

ثقات نعم فیهم قلیل لا یصح ما قیل فیهم وفی بعضهم توقّف وذکر قائمه(۱) الموضوعات .

والمقلوبات عن رجال قلیلین بما یبلغ ۴۰۸۶۸۴ فجزاه عن الاسلام واهله خیر الجزاء وهدی اللّه اولئک الکذابین والمفترین وجزاهم ما یستحقونه) .

نعم لاـ نقول ولاـ یقول أحد من الامامیه ان کل ما ورد من الأحادیث فی فضل علی وأهل بیته الکرام علیهم السلام صحاح والشیعه یعتقدون بها بل نکذب بعضها ونتوقف فی بعض آخر ونقول بمقتضی شطر وافر منها لا شتهارها وصحه اسنادها وتلّقی العلماء جیلاًـ بعد جیل بالقبول وقد ورد کثیر من أخبار الفضائل فی أهل البیت فی کتب العامه وصحاحهم وقد جمع العلّامه الموفق السید الفیروزآبادی ما أمکنه فی ذلک من الصحاح السّته ونشره فی کتاب اسماه فضائل الخمسه فی الصحاح السته جزاه اللّه عن أهل بیت نبیّه خیر الجزاء .

[۱] مسجد معروف بین مشهد الکاظمین علیهماالسلام وبغداد وکان دیراً فأمر امیرالموءمنین علیه السلام فی(۲) رجوعه من قتال الخوارج الراهب الساکن هناک بعد اسلامه علی یده علیه السلام ان یبنیه مسجداً واخبر ببناء بغداد واخرج عیناً لمریم علیهاالسلام ودلّ علی صخره بیضاء وضعت عیسی علی نبینا وآله وعلیه السلام من عاتقها علیها واخبر ان هناک قبر نبی من الأنبیاء أمر الشّمس أن ترجع فرجعت وکان معه ۱۳ رجلاًـ من أصحابه وعن ابی جعفر علیه السلام انه صلّی فیه ابراهیم قبل عیسی علیه السلام صفحه ۴ دفتر دوم .

[۱] هذا اشتباه بل القبر لاخیه الحسین سید الشهداء علیه السلام .

۱- الغدیر ج۵ ص۲۷۵-۲۹۰.

۲- البحار ج۳۸ ص ۵۰، ج۱۰۲ ص ۲۶ إلی ۳۰.

قوله (ذیله الصفحه) ولا تجد قط ذکراً . هذا من جهل القائل لو أراد روایات غیرتاریخیّه ولیس الجهل غدراً فلیراجع الکتب التی ألّفت للزیارات من اقدم العصور ککامل الزیارات والمصباح وغیرهما...

قوله من قول السیده سکینه : لم یثبت من قولها ولایناسب شأنها وما ورد عنها مع انه لا ربط قوی بین هذا وما افتتح به کلامه :

[۱] لیس لأولّ مرّه یسند ما یرویه الصدوق القمی قدس سره فی کتاب العلل إلی نفسه ورأیه وکانّه یتعمّد فی فرض جدال وقتال بین ما ینقله عن اهل الحدیث (من العامّه) ومایذکره عن القمی اشعاراً باستمرار الجدال والمغالبه بین الفریقین وما اسنده الیه إنّما هو(۱) روایته بطریقه إلی الرضا علیه السلام .

ما افحش هذا الموءلف وقد تکرر منه التعبیر عن بعض معجزات امیرالموءمنین علیه السلام وکراماته بالغلو .

[۱] هذا تعبیر من لا تحقیق له وانّما یقف متحیرّاً عند أول شبهه ترد علیه من معاندا وجاهل مثله والاّ فایه شبهته فی موضع قبر علی علیه السلام وابنه سید الشهداء سلام اللّه علیه وقد زارهما اولادهما واحفادهما من اقدم العصور کالامام زین العابدین والامامین الباقر والصادّق علیهم السلام ودلّوا أصحابهم وعلی مواضع القبر حتّی صار الیوم من أوضح الواضحات کموضع مکّه والمدینه وما رواه المسعودی قد ورد فی کتبنا ووجهه معلوم لانّه المتقیمه علی المعاندین وخصوم اهل البیت لا سیّما بنی امّیه والخوارج وأعظم به من جهل حیث یقول الموءلف ص ۱۲۲ (ثم یقال ان ابا الهیجاء عبداللّه بن حمدون الخ) .

وعبّر عنه المسعودی(۲) بابن ابی الهیجاء فراجع فرحه الغری(۳) وما أورده فی ذلک للدلاله علی قبر مولانا علی علیه السلام من الشواهد والروایات ولا کرامات قبل ان یخلق ابو الهیجاء

۱- بحارالأنوار ج۴۴ ص۲۸۴.

۲- مروج الذهب ج۴ ص۳۱۱.

۳- البحار ج۴۲ ص۳۳۷ إلی ۳۳۹، ج۱۰۰ ص ۲۳۵ الی ۲۵۷.

وکذا شرح[1] ابن ابی الحدید فقد صرح بالحق المحقق .

۱- شرح النهج الحدیدی ج۶ ص۱۲۱-۱۲۳.

تعليقات

(١)

من أراد كلاماً موجزاً عن الشيعه فليرجع إلى كتاب : Johannes Hauri Islam, p. ٨٩ ffومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب جولد تزيهر :

Goldziher, Vorlesungen uber den Islam ؛ وهـذا الكتـاب مـترجم إلى الإـنجليزيه بعنـوان : Muhammed and Islam وإلى الفرنسيه بعنوان :

Dogme et la loi de Í Islam وإلى العربيه بمصر حديثاً .

يقول جولدتزيهر فى صفحه ٢٢٢من الترجمه الإنجليزيه : إن من الحقائق الأوليه أن مسأله الخلافه قسمت المسلمين إلى فرقتين .

أهـل السـنه ،والشـيعه وكان لأهل البيت فريقٌ يعترف سـراً بحقوقهم ، حتى فى عهـد الخلفاء الثالثه الإولين ؛ ولكن هـذا الفريق لم يكن يجاهر بالخصمام .

وبعـد عصـر هوءلاء الخلفاء صار يعارض كل من حكم من غير أبناء على؛ وكانت هذه المعارضه موجهه أول الأمر إلى الأمويين ،ثم إلى من بعـدهم ممن لم تتـوافر فيهم الشـروط الـتى يوجبهـا الشـيعه فى الإمـام ؛ وهم حين يـبينون ونجـوه النقص فى هوءلاـء الحكام يقررون الحقوق الشرعيه لأبناء النبى عليه السلام ممثَّله فى

١- هـذه التعليقـات الملحقه بـالفصول هى تلخيص لتعليقـات المرحوم العلاـمه خـدابخش الهنـدى على الترجمه الأـنجليزيه لهـذا الكتاب.

ذريه على وفاطمه؛ وكما أنهم اتهموا الخلافاء الثلاثه الأولين سرىًا بأنهم معتصبون ظالمون ، فكذلك عارضوا النظام السياسى فى الدوله الإسلاميه سراً وجهراً فى كل العصور .

فإنهم يقولون إن الرئيس الشرعى الوحيد من الناحيه الروحيه والزمنيه هو الذمام المعصوم الذى يعين تعييناً ، ويكون من أبناء النبى عليه السلام .

وفى صفحه ٢٣٠تكلم جولدتزيهر عن الفرق الاساسى بين الخليفه عند أهل السنه والإمام عند الشيعه .

أوجب أهلُ السنّه تنصيب خليفه مهمته تنفيذ أكام الشريعه وفروضها ، وحمايه حدود بلاد الاسلام والدفاعُ عنها ، والإشرافُ على تعبئه الجيوش ، وأَخذُ ما فُرض على المسلمين فى أموالهم ، وتقسيم غنائم الحرب بينهم بالعدل ، وغير ذلك من المهام ؛ وبالاختصار فالخليفه هو ممثل السلطه القضائيه والإداريه والحربيظ ، وهو مجرد خليفه لمن تقدمه ، ويختاره المسلمون بالطرق العاديه (بالانتخاب أو بتعيين سلفه له) لسياستهم ؛ ولا يشترط فيه أن يكون أعلم المسلمين.

أما الإمام عند الشيعه فهو رئيس المسلمين ومعلمهم ، بفضل ما وهبه اللّه من الصفات؛ وبحكم وراثه للنبى عليه السلام ؛ وهو يحكم ويعلّم متلقيا ذلك عن اللّه على نحو ما كان موسى يسمع كلام اللّه من الشجره[١] .

فكأنه يتلقى عن اللّه رساله مستمره ؛ وهو يجمع إلى هذه المزيه صفات خاصه

من طور فوق طور الإنسان.

ويزعم الشيعه أن وراثه الإمامه تنقلت من آدم ، حتى انتهت إلى عبد المطلب جدّ النبى عليه السلام وجدّ على رضى الله عنه ؛ ومن عبدالمطلب انقسم النور قسمين ، أحداهما انتقل ذلى عبد اللّه والد النبى ، والآخر إلى أخيه عبد المطلب[١] .

والد على ثم سار النور من على إلى ذريته ، وهذا النور الذى فى روح الإمام يجعله إمام عصره ، ويجعل له قوى روحانه تجاوز حدود القدره الإنسانيه ؛ وروح الإمام أنقى من أرواح سائر الناس ، لأنه مبرّأ من بواعث الشر مُتحلٍ بالفضائل الإلهيه وهذه هى صفات الإمام عند المعتدلين من الشيعه ؛ أما الغلاه منهم فهم يرفعون الإمام ذلى الأفق الإلهى .

وفى ص ٢٥۴وما بعدها ينبه جولدتزيهر على أخطاء شائعه فيما يتعلق بالشيعه ١ يذهب البعض إلى أن الفرق بين مذهب أهل السنه ومذهب الشيعه أن الأولين يعترفون بأن السنَّه أصل من أصول العقائد والأحكام الدينيه بعد القرّآن، وأن الشيعه يرقضون السنّه .

يقول جولد تزيهر :إن هذا خطأ جوهرى فى فهم مذهب الشيعه ؛ ومنشوءه اختلاف التسميه بين الفريقين؛ فليس بين الشيعه من ينكر السنّه ؛ بل هم يقرون بالسنه التى حَمَلَها أهلُ البيت ، ويذهبون إلى أن خصوم الشيعه يعتمدون فى بأخذ السنه على الصحابه الغاصبين .

وثم الأحاديث التى رواها أهل السنّه لا تختلف إلا فى السند ؛ والشيعه يقبلون الأحاديث التى رواها أهل السنه[١] .

والتى توءيد الشيعه أو على الأقل لا تعارض مذهبهم ؛ ومن أمثله ذلک أن من

الشيعه المتشدّدين[۱] .

من يعتمـدون على أحاديث البخارى ومسـلم ، ويقروءونها أيام الجَمع ؛ ونسـتطيع معرفه شأن السـنَّه عنـدهم من أن كثيراً من قول على فى القرآن والسّـِنه يوءخذمما رواه الشيعه عن على فاحترام السنه من مستلزمات مذهب أهل السنه والشيعه على السواء ؛ ومما يدل أيضاً على اعتداد الشيعه بالسنه النبويه أنهم كتبوا الكثير فى السنَّه وما يتعلق بها ، وأنهم وضعوا أحاديث كثيره وأذاعوها[۱] .

فالشـيعه لا يعارضون أهل السـنَّه بصـفتهم منكرين للسنه ، بل بصفظ أنهم أولياء أهل البيت أو الخاصه الذين يمتازون على العامه الغارقين فى بحار العمى والضلال.

۲ ومن الآراء الخاطئه القولُ بأن منشأ التشـيع يرجع إلى مذاهب الفرس وتأثيرها فى الإسلام ؛ وهدا ناشىء عن خطأ تاريخى ، وقد رفضه فلها وزن فى بحث له (هو:

Wellhausen, Die Religios – politischen Oppositionsparteien. im Alten Islam

وذلك أن حركه التشيع نشأت على تربه عربيه خالصه ، ولم بين الساميين إلا بعد ظهور المختار .

هـذا إلى أن أصـول النظريه الإمـاميه تنتشـر بمـا تتضـمنه من النظر إلى الـدوله نظره دينيه لا ـ دنيويه ، ومن القول بالمهـدى ونحوه يكمن أن نرده إلى الأثر اليهودى والمسيحى[۱] .

بل إن ما ذهب إليه الشيعه الغاليه من تأليه على كان أول من أتى به عبدُاللّه بن

سبأ[١] .

قبل تأثير المـذاهب الآريه ؛ وكـذلك التجسـيم عنـد الشـيعه ، يرجع بعضه إلى أصل عربى وقد ذهب إلى قول الشـيعه أهل النظر العقلى بين العرب ، وكـذلك الفرس ، وقـد رحّب الفرسُ بمعارضه الشـيعه ؛ ثم تأثر هـذا المـذهب فيما بعد بما هو موروث عند الفرس من تأليه الملوك[١] .

ولكن الأصول الأولى للتشيع لا ترجع إلى أثر أجنبى ، بل هى عربيه فى صميمها[١].

٣ أن الشيعه هم أصحاب الفكر الحّر ، خلافاً لأهل السنه الجامدين ، وهو ما ذهب إليه أخيراً البارون كرادفوا .

وهذا الرأى لا يقبله من له علم بمذهب الشيعه[١].

فمن الموءكـد أن تقـديس على هو محور الاعتقـادات الـدينيه عنـد الشـيعه؛ وكـل مـا عـدا هـذا فهو ثانوى المرتبه ، ودن الشـيعه بتفضيلهم الإمام المعصوم من غير اعتماد على قوه الرأى العام قد نبذوا ما تراه فى مذهب أهل السنّه من عناصر التفكير الحر .

وعلى هذا فإن خصوع الشيعه لمذهب يتلقونه عن سلطه معصومه لا تقبل معارضه هو ما تتميز به الحياه الدينيه عندهم .

أما علاقه الشيعه بالمعتزله فيقول جولدتزيهر إن الصله بينهم أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، لما ذهب إليه أحد علماء الشيعه[١] .

من أن القول بالأمام الغائب جزء من قول أصحاب التوحيد والعدل ، وهم المعتزله ومن الشيعه فرعُ الزيديه ، وهم أكثر من غيرهم ميلا إلى مذهب المعتزله .

وقد أثّر مذهبُ المعتزله فى التشييع إلى عصرنا[۱] .

ومن الخطأ قولُ من قال : إن مذهب المعزله لم يلعب دوراً كبيراً فى الدين والأدب بعد انتصار الأشاعره .

ومما يثبت بطلان هذا الرأى ما انتهى ذلينا من كتب كثيره للشيعه يتجلى فيها تأثير المعتزله ؛ فمن ذلك أن الشيعه يقسمون كتبهم إلى باب العـدل والتوحيـد ؛ بل نجـد من كبار المعتزله كالنظّام من قررّ من قبل أن الحجه فى قول الإمام المعصوم ، وقول الشـيعه بضـروره وجود إمام معصوم له اتصال بما اختص به المعتزله من القول بوجوب هـدايه أساسـها الحكمه والعـدل الإلهيان ؛ فلا بد عند بعض المعزله من أن يجعل اللّه لكل عصر إماماً معصوماً.

وقد نقل جولدتزيهر فى آخر الفصل الخاص بالزهد والتصوف من كتابه المتقدم ما ذكره الغزالى فى فيصل التفرقه من أن أساس الإيمـان الاعتقـاد بالأصول ؛ أ«ا الخلاف فى فروع العقائـد والعبادات ، ولو كان فيه إنكار الخلافه التى يقول بها أهل السـنه ، كما فعل الشيعه ، فلا يكفى لاعتبار صاحبه زنديقاً .

وقد أوصى الغزالى بإمساك اللسان عن تمزيق أعراض أهل القبله .

تعليقات هذا الفصل

[۱] هـذا ليس عقيـده الشـيعه الاماميه ولا الزيديه بل نقول انّ الامام ورث العلم عن من تقدّمه من الائمّه واحداً بعد واحد إلى أن يصـل إلى أولّهم على اميرالوءمنين عليه السـلام وهو تلقّى العلم من النّبى صـلى الله عليه و آله وهو عن اللّه فهم قـائلون بالوسـائط بين اللّه و الائمه ولا يعتقـدون انّ الشـريعه يتلقّاها الامام عن اللّه بلا وساطه النبى او الامام الـذى تقدّمه فراجع الكتب(۱) الكلاميه حتّى ان خصومهم انّمـا ينـازعونهم فى الاعتقـاد بعصـمه الامـام وانّه منصوب من قبـل الرسول أو الامام الـذّى تقـدمه ونهايه الامر يسندون نصب الامام إلى اللّه بتبليغ النّبى صلى الله عليه و آله .

[۱] اشتباه والصحيح ابى طالب

[۱] هذا ليس بصـحيح فالشيعه الاماميه كما سبق يشترطون فى الاخذ بالحديث شروطاً منها الاطمينان بصدوره عن المعصوم وهذا الشـرط مفقود غالباً فى ما يرويه اهل السـنّه عموماً نعم فى موارد ومتفرّقه توفّرت القرائن على الصـدور والصـدق فى مايرويه عدّه منهم فيقبل الحديث ويصطلح عليه ، بالموثق قبال الصحيح الذى رواته كلّهم فى كلّ طبقه اماميّون عدول .

[۱] هذا لو صّح ففى بعض البلاد الزاماً وافحاماً للخصم .

۱- دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۹ الى ۲۱ الى ۲۵ ، كشف المراد ج ۱ ص ۳۹۲ الى ۳۹۸ .

[۱] هـذا افتراء لو عمّ كلامه الشيعه الاماميه فلا موجب لـذلک لفنائهم وتوفّر المصادر الحديثيه الوارده عن أئمتهم عليهم السلام فی اكثر الموارد لو لا كلّها وتحرجهم عن الكذب والوضع ومن نسب اليه لا يقبلون حديثه لو صحّت النسبه مضلاً عن من عرف بالكذب والوضع .

[۱] هذا ايضاً غلط فی الاستنتاج واشتباه فی البحث والتّنقيب اذ كلّ باحث له ادنی معرفه باصول العقائد الشيعيه يعرف يقيناً بان لا منشأ ولا مرجع لعقائدهم فی الامامه وما يتعلّق بها إلّا اتكّاءهم علی كونها وراثه عن النّبوه وكما ان النبی ليس من شأن آحاد النّاس ولا جماعاتهم نصبه وبعثه كذلک الامام فلابد من النصب من قبل اللّه والنّص من النّبی أو الامام السابق طريق إلی معرفه النصب الإلهی .

[۱] لقد حقّق العلّامه الفاضل الشيخ الامينی قدس سره فی مواضع من كتابه القيّم الغدير كذب نسبه الشيعه والتشيع إلی عبداللّه بن سبا(۱) ،وقبله المحققون تعرّضوا الذكره فی كتب الرجال الحديث(۲) بيّنوا وحقّقوا خروجه عن الاسلام وانه عليه السلام قتله بعد استتابته منها (۳/۹۴ ج ۳/۲۶۶ ۲۶۷) وابان الستر عن وجوه الاساطير المختلفه حول عبد اللّه بن سبا التی طالما تداولتها اقلام المورخين والباحثين وحول جماعه كثيره خرقها واختلقها سيف بن عمر التميمی النافذ البصير والباحث المتتبع اسلاميه السيد مرتضی العسكری ويجدر بالمباحث مراجعه ما(۳) نشر حتی يتبين المخالفی الشيعه والمتحاملين عليهم من بضاعه كاسده ومستندات واهيه وقصص ضاليه ولقد

۱- عبداللّه بن سبأ الأول والثانی و ۱۵۰ صحابی محقق .

۲- جامع الرواه ج ۱ ص ۴۸۵ رجال الشيخ ص ۵۱ ذيل ۷۶

۳- معجم رجال الحديث ج ۱۰ ص۶۸ ، تنقيح المقال ج۲ ص۱۸۳ الی ۱۸۴ ، وسائل ۱۸ الباب ۵ من أبواب المرتد ح۴ الی ۶ .

أنصف بعض علماء السنه وهو الاستاذ محمّد كرد على فيما ذكره فى كتابه(۱) خطط الشام قال اما ما ذهب اليه بعض الكتاب من أن مذهب التشيع من بدعه عبداللّه بن سبا المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلّه علم بتحقيق مذهبهم ومن علم منزله هذا الرجل عند الشيعه و برائتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم فى الطعن فيه بلا خلاف بينهم فى ذلك قوله بما علم مبلغ هذا القول من الصواب :

[۱] لوكان غرضه تأليه الامام عند الفرس فهذا غلط واشتباه

[۱] الصحيح ان عربيه كعربيه القرآن لا تعنى الاّ لغه الدين لا شيئاً آخر .

[۱] هذا أيضاً جهل أو تجاهل بمذهبهم اذ تقديس على عليه السلام ليس يقصد به إلاّ العصمه والاّ فهو عليه السلام اوّل من فتح باب التفكير الحر وهذه نماذج من كلماته وخطبه وكتبه عليه السلام إلى امرائه وعمّاله وغيرهم مجموعه فى نهج البلاغه فانظر فى قوله عليه السلام (۲) وصيه لابنه الحسن عليه السلام لاتكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حرّاً :

وأبد رأيك قوله من غير اعتماد : جهل عبادهم وأصولهم فاهل السنه لايرون باب الاجتهاد مفتوحاً (وان تزلزل هذا الاصل اخيراً) بل انسد عندهم من زمن العباسيين(۳) .

والشيعه مفتوح بابه عندهم حتّى انّهم فى الأغلب لا يرون تقليد المجتهد الميت ابتداءً بل وكثير منهم جتى بقاءً ولو كان لأهل السنّه طريق إلى التفكير الحر لما ذهبوا إلى تقديس كلّ صحابى حتّى امثال خالد بن الوليد والمغيره بن شعبه وسمره بن جندب ومعاويه بن ابى سفيان وعمروبن العاص وأبى هريره فتراهم يحجّون باحاديثهم ويوردونها فى

۱- الغدير ج ۳ ص ۹۵ تقلد عن خطط الشام ج ۶ ص ۲۵۱ .
۲- نهج البلاغه ج ۳ ص۵۷ .
۳- يأتى تفضيله ص ۴۳ ۴۲ .

مجاهم التی سمیت بالصّحاح . بل البخاری منهم احتج(۱) بعمران بن حطان الخارجی .

[۱] استشهاد ضعیف وسبق الکلام علی المدعّی هم یشترکون فی کثیر من مباحث العدل والتوحید ویختلفون فی کثیر والکل متفقون علی مسئله التحسین والتقبیح العقلیین . فراجع الکتب الکلامیه ومنها التجرید وشرحه للعلامه الحلّی والاخر للقوشجی ودلائل الصدق وغیرها .

[۱] المناقشه فیه واضحه لامکان ان اما یشابه عقیده الشیعه فی المعتزله لتأثیر الشیعه فی المعتزله فالشیعه اثّروا فیهم لاتأثروا بهم وذلک لوجود الأئمه المعصومین وحضورهم بین الناس فی أغلب الایّام والأحیان فی القرنین الاولین وإلی أزید من نصف القرن الثالث والشیعه وربما غیرهم بامکانهم استعلام المسائل الکلامیه إلی واستفهام الاحکام إلی منهم اؤتمن اخذ منهم وتعلّم من أصحابهم ورفع التحیّر عنهم تجاه الشبهات الالحادیه وغیرها التی کانت ترد علی الاسلام عموماً وعلی الشیعه خصوصاً لاسیما فی أیام عظمه العباسیین وانتشار الاراء والکتب المختلفه وترجمتها إلی العربیه وظهور الزنادقه والدهرّیه وأمثالهم وبامکانک تعرّف ذلک من الاحتجاجات التی وردت عن المعصومین علیهم السلام قبال اولئک خصوصاً عن الرضا علیه السلام فالأئمّه الشیعه حق عظیم علی کیان الاسلام والمسلمین فی حفظه وابقائه والحمایه عنه ودفع غبار الشبهات عنه راجع الاحتجاج(۲) والبحار(۳) .

۱- الغدیر ج۵ ص۲۹۴ ، دلائل الصدق ج۱ ص۵۳ ۵۲ .

۲- الاحتجاج للطبرسی .

۳- البحار ۱۰ .

الفصل السادس: الاداره

اشاره

كـانت دوله الخلفـاء أَشبَهَ باتحـاد يتـألف من ولايـات كثيره ، ويختلف وناقهً وتماسـكا ؛ ولم تكن علاقه السـلطه المركزيه بهـذه الولايات تشرف عليها دواوين إقليميه ؛ وإنما كان لكل ولايظ ديوان ببغداد يدير شوءونها .

وكـان كـل من هـذه الـدواوين يتـألف من قسـمين :أولهمـا الأصـل ، وهو يختص بوضع الضـرائب وحملهـا إلى بيت المال(١) ، وبمراقبه الضرائب وتقويه مواردها ، أى أن هذا القسم يختص بالإداره ؛ وثانيهما الزمام(٢) أو ديوان المال .

ولما جاء الخليفه المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ه ٩٠٢ ٨٩٢م) ، وهو أقدر حكام القرن الثالث(٣) ،ضمّ دواوين الولايات كلّها و ألّف ديواناً سمّاه ديوان

١- كتاب الخراج لقدامه بن جعفر (المتوفى عام ٣٣٧ه ٩٤٨م)، مخطوط رقم ٥٩٠٧ بمكتبه باريس ص ٩ب ١٠. وكلمه أصل التى وردت فى كتاب الوزراء (ص١١) لها هذا المعنى .

٢- انظر فى هـذا Amedroz, JRAS. ١٩١٣, S. ٨٢٩ ff . وأيضاً مسـكويه ج ٦ص ٣٣٨، وكـان يعين على الزمام عاده رجلٌ من أصحاب المال . وكذلك كانت الدواوين الصغيره التى تتولى إداره ضياع نساء الخلفاء تنقسم إلى الفرعين المتقدمين ، وكان يتقلد كلٌّ واحد منهما رئيسٌ .

٣- جـاء فى كتاب الوزراء للصابى (ص ١٨٩) أنه لم يجتمـع فى زمن من الأـزمنه خليفه ووزيرٌ وصـاحبُ ديوان وأميرُ جيش مثل المعتضد وأبى القاسم عبيد اللّه بن سليمان وأبى العباس بن الفرات وبدر .

الدار (۱)، له ثلاثه فروع : دیوان المشـرق ؛ ودیوان المغرب ؛ ودیوان السواد (أی العراق) وکـذلک وضع هـذا الخلیفه أزمّه هذه الـدواوین کلها فی یـد رئیس واحد(۲) ، ثم جعـل الأصول کلها فی یـد رئیس واحـد فی سـنه ۳۰۰ه ۹۱۲م(۳) بحیث جاء القرن الرابع الهجری ، وإداره الدوله تنقسم إلی ما یشبه وزارتین إحداهما للداخلیه ، وهی دیوان الأصول ، والأخری للمالیه وهی دیوان الأزمّه .

وکان کل دیوان کبیر ینقسم أقساماً کثیراً تسمی دواوین أیضاً ؛ لأنه کان لکل ناحیه دیوانُها .

ولکن لما کان الوزیر ، وهو رئیس السـلطه المرکزیه ، هو الـذی یتولی إداره دیوان السواد بنفسه ، فإن کثیراً من دواوین الولایات ببغداد کانت تقوم مقام دواوین للدوله .

ولم تصل الأداره فی الدوله الإسلامه إلی تعیین الحدود الفاصله بین الدواوین بدقه ، وأستطیع أن أذکر منها :

(۱) دیوان الجیش ، وله مجلسان : أحدهما مجلس التقریر، والثانی مجلس المقابله .

ویجری فی الأول أمرُ اسـتحقاقات الرجال ، ومعرفه أوقات أَعطیاتهم ، وتقدیرُ أرزاقهم ؛ فأما الثانی فیختص بالنظر فی السجلات ، وتصفُّح الأسماء ، ونحو ذلک .

وینقسم کل من المجلسین إلی أقسام خاصه بالعساکر ، مثل العسکر المنسوب

۱- کتاب الوزراء ص۱۳۱ و یسمی أیضاً دیوان الدار الکبیر، نفس المصدر.

۲- کتاب الوزراء ص ۷۷ .

۳- نفس المصدر ص ۲۷۱ ، ۱۲۴ .

إلى الخاصه ، والعسكر المنسوب إلى الخدمه ، وما فى النواحى من البعوث(١) .

(٢) ديوان النفقات فى بغداد؛ وأكبر مهامّه حاجات دار الخلافه وكان أكثر أرض العراق مضمَّناً ، فكان على المتضمَّنين أن يقوموا بالوفاء بالنفقات .

وهذا الديوان ينقسم إلى المجالس الآتيه :

(أ) مجلس الجارى ويختص بأمر استحقاقات الحَشَم .

(ب) مجلس الأنزالِ، وهو الذى يقوم بمحاسبه التجار الذين يقيمون الوظائف من الخبز واللحم والحيوان والحلوى والفاكهه ، وغير ذلك من سائر صنوف الإقامات والأنزال .

(ج) مجلس الكراع ، ويجرى فيه أمرُ علوفه الكراع وغيره ، مثل الخيل والشهارى والبراذين والبغال والحمير والإبل وغيره مما يعتلف من الطير والوحش ؛ ويجرى فيه أمرُ سياسه الكراع وعلاجه ، وأرزاق القوام والراضه ونحو ذلك.

(د) مجلس البناء والمرمّه ، وهو مجلس يكبُر ويصغُر على حسب الخلفاء فى الأغراق فى البناء أو الا كتفاء بيسيره ؛ ويجرى فيه محاسبه الزرّاع والمهندسين وباعه الجصّ والآجرّ والنَورَه والأسفيداج وأصحاب الساج والنجارين والمزوّقين والمذهَّبين وسائر الصناع .

(ه) مجلس الحوادث ؛ ويجرى فيه أمر النفقات الحادثه (أى غير العاديه) فى كل وجه من وجوهها .

(و) مجلس الإنشاء والتحرير.

١- كتاب الخراج لقدامه بن جعفر مخطوط باريس رقم ٥٩٠٧ ص ٢ ب .

(ز) مجلس النسخ(١) .

(٣) ديوان بيت المـال ، وهو فى بغـداد يشـرف على مـا يرِد على بيت المـال من الأـموال ومـا يخرج من ذلك من وجوه النفقات والإطلاقات .

ويجب أن تَمُرّ به الكتب التى فيهـا حَمـلُ مال ، قبل انتهائها إلى دواوينها ، لتُثبتَ فيه ، وكـذلك سائرُ الكتب النافـذه إلى صاحب بيت المال من جميع الدواوين بالمطالبه بالأموال .

ويكون لصاحب هذا الديوان علامه على الكتب والصكاك والإطلاقات ، يتفقدها الوزير وخلفاوءه ويراعونها ويطالبون بها(٢) .

وفى عام ٣١٤ه ٩٢٦م صدر أمرٌ بمطالبه صاحب بيت المال ببغداد بتقديم الروزنامجات فى كل أسـبوع للوزير ، ليستطيع معرفه ما حلّ وما قبض وما بقى ؛ وكان الرسم إذا عُملت الختمَه لم ترفع إلى الديوان عن الشهر الأول إلا فى النصف من الثانى(٣) .

(٤) ديوان المصادَرين(٤) ، وكانت الوثائق التى يدفع بمقتضاها فى هذا الديوان تُكتب على نسختين ، إحداهما للديوان والأخرى للوزير(٥) .

(٥) ديوان الرسائل ، وكان يسمى فى مصر على عهد الفاطميين ديوان

١– قدامه : نفس المصدر ص ٩٨ ب .

٢– نفس المصدر ص٩ ب ١٠ .

٣– مسكويه ج٥ ص٢٥٦ ٢٥٧ .

٤– كتاب الوزراء ص٣٠٣ ، ٣٠٦ .

٥– مسكويه ج٥ ص ٢٦١ مثلا .

الإنشاء[(١)]، وكان صاحب هذا الديوان بمصر فى أوائل القرن الخامس الهجرى يتقاضى فى كل شهر ثلاثه آلاف دينار ، عدا ما كان يكتبه من السجلات والعهودات وكتب التقليدات ، فقد كان له على ذلك رسوم يستوفيها[(٢)] .

(۶) ديوان البريد؛ وتأتى لصاحبه الكتب من جميع النواحى ، وهو المُنفذُ لها إلى مواضعها ؛ وهو يتولى عرض كتب أصحاب البريد والأخبار فى جميع النواحى على الخليفه ، أو يعمل جوامعَ لها ؛ وله النظرُ فى أمر المرتّبين فى السكك ، وتنجيز أرزاقهم ، وتقليد أصحاب الخرائط فى سائر الأمصار ، ولا غنى له ، بعد أن يكون ثقه عند الخليفه ، عن معرفه الطرق والمسالك إلى جميع النواحى ، بحيث يجد عنده الخليفه من المعرفه ما يحتاج إليه عند إنفاذ جيش أو غيره[(٣)] .

وكانت معرفه الأخبار وإبلاغُها قد بلغت درجه عظيمه من الرقى فى الدوله الإسلاميه ؛ فقد حُكى أن الخليفه الموفَّق أراد أن يشغل قلب أحمد بن طولون ، فدسّ من سرق نَعلَه من بيت حظيه له لا يدخله إلا ثقاته ؛ ثم بعثها إليه ؛ فقال له الرسول :

من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذى تعرفه أليس هو بقادر على أخذ

١- كانت لفظه الإنشاء فى المشرق من الألفاظ المستعمله فى ديوان الرسائل ، وهو عمل نسخه يعملها الكاتب ، فتعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص منها أو ينفذها على حالها (انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى طبعه فان فلوتن ص ٧٨، وكتاب الوزراء ص ١٥١) .

٢- الارشاد لياقوت ج١ ص٢٤٢ .

٣- كتاب الخراج لقدامه طبعه دى غوى ص ١٨٤ ١٨٥ ، وقد كتب قدامه حوالى عام ٣١٥ ه ٩٢٧م .

روحك ؟(١) وكان صاحب البريد هو صاحب الأخبار الرسمى ، وكان له «عيون» يوافونه بكل جديد؛ وهذا ميراث أخذه العرب عن البيزنطيين ، ففى عهد قسطنطين الأكبر كان لصاحب البريد أعوانٌ يسمَّون باسم Veredarii (وهم نقله الأخبار الذين يركبون الخيل) ، وكانوا يمدّونه بالأخبار(٢) .

وكان بعض المتعلمين فى ذلك الوقت يعيشون من نقل الأخبار ، كما هو الحال اليوم بالنسبه لمراسلى الصحف ومندوبيها(٣) وجاء فى عهد بولايه بريد ما يوجب على صاحب البريد «أن يعرف حال عمال الخراج والضياع فيما يجرى عليه أمرهم ، ويتتبع ذلك تتبعاً شافياً ، ويستشفه استشفافاً بليغاً ، وينهيه على حقه وصدقه .. . وأن يعرف حال عماره البلاد وماهى عليه من الكمال والاختلال ، وما يجرى فى دمور الرعيه ، فيما يعامَلون به ، من الإنصاف والجور والرفق ، والعسف ؛ فيكتب به مشروحا .. . وأن يعرف ما عليه الحكام فى حكمهم وسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم... وأن يعرف حال دار الضرب وما يضرب فيها من

١- الخطط للمقريزى ج٢ ص ١٨٠ .

٢- J.Burckhardf: Die Zeit Constantins des Grossen, ٣ Auf. s, ٧٠ و كان أحد أصحاب البريد بمصرفى القرن الأول من الحكم الاسلامى يقوم رسمياً بتبليغ أحوال رجال الشرطه (انظر ZA.XX.s.١٩٦).

٣- فى القرن الثالث الهجرى قطع لسان ابن بسام الشاعر بأن وُلّى البريد بجند قنسرين (مروج الذهب ج ص ٢٧١ والإرشاد لياقوت ج ٥ص ٣٢٢وما يليها ؛ وكذلك كوفئ أحد الشعرا المجيدين بأن خير فى أعمال البريد ببلاد خراسان (يتيمه الدهر ج ٤ص ٦٢)؛ وكان أبومحمد الواثقى ببخارى يرجو أن يقلد أحد أعمال البريد (يتيمه ج ٤ ص ١١٢)؛ وكان صاحب بريد نيسابور يملك من الكتب ما لا يملكه أحد فى هذه المدينه مع كثره علمائها . ويعتبر ابن خلدون المغربى أن صاحب البريد من بين أرباب صناعه السيف (المقدمه ج ١ ص ١٩٨؟) .

العين والوَرِق ، وما يلزمه الموردون من الكلف والموءن ؛ ويكتب بذلك على حقه وصدقه ... وأن يوكَّل بمجلس عرض الأولياء وأعصياتهم من يراعيه ويطالع ما يجرى فيه ، ويكتب بما تقف عليه الحال من وقته ، وان يكون ما ينهيه من الأخبار شيئاً يثق بصحته ... وأن يعرض المرتَّبين لحمل الخرائط فى عمله ، ويكتب بعددهم وأسمائهم ومبالغ أرزاقهم ، وعدد السكك فى جميع عمله وأميالها ومواضعها ، ويوعز إلى هوءلاء المرتَّبين بتعجيل الخرائط المُنفذَه على أيديهم ، وإلى الموقِّعين بإثبات المواقيت وظبطها حتى لا يتأخر أحد منهم عن الأوقات التى سبيله أن يرد السكّه فيها ، وأن يفرد لكل ما يكتب فيه من أصناف الأخبار كُتُباً بأعيانها ، فيفرد لأخبار القضاه وعمال المعاون (؟) والأحداث .. . والخراج والضياع وأرزاق الأولياء ونحو ذلك كتباً ، ليجرى كل كتاب فى موضعه »(١) ولم يكن صاحب البريد يعنى فقط بالأخبار التى تتعلق بمهام سياسه الدوله ، بل كان عليه أن يبلغ كل ما عدا ذلك من طرائف الأخبار .

فقد حدث فى عام ٣٠٠ه ٩١٢م أن ورد كتاب من صاحب البريد من بلده الدينور يذكر فيه أن الموكَّل بخبر التطواف رفع إليه يذكر أن بغله لرجل وضعت فَلوَةً ويصف اجتماعَ الناس لذلك وتعجبهم لما عاينوا منه ، ويقول : «فوجهت من أحصر لى البغله والفلوه ، فوجدت البغله كَمتَاء خلوقيه ، والفلوه سويه الخَلق ، تامّه الأعضاء ؛ مُنسَدله الذنب ، سبحان الملك القدوس ، لا معقَّب لحكمه ، وهو سريع الحساب »(٢) .

١- كتاب الخراج لقدامه بن جعفر مخطوط باريس ص ١٧ ب ١٩ . ويرجع تاريخ هذا العهد إلى عام ٣١٥ ه .

٢- عريب ص٣٩ ٤٠ .

(٧) ديوان التوقيع ، وإليه تنتهى رقاع من يسأل شيئاً عند الخليفه ، بعد أن يراها صاحب ديوان الدار ، ويقتصّ المسأله والرقعه ويشرح حالّها ، وما لعله يكون جرى فيها ؛ وبعد أن يستطلع صاحب ديوان التوقيع رأى الخليفه فيها ، ويوقّع عليها بخطه فى ديوان التوقيع يرسل إلى صاحب ديوان الدار بنسختها أو اقتصاص ما تضمّنت ؛ ومن ديوان الدار تسرسل إلى صاحب الديوان الذى تجرى فيه المسأله (كالخراج أو الضياع أوالمال أو النفقات ..الخ)(١) .

وكان الفصل فى أمر الرقعه يكتب على الرقعه نفسها توقيعاً من الخليفه أو كاتبه .

وقد بلغت هذه التوقيعات أقصى ما يمكن أن تبلغه من الاختصار ، والبلاغه ، وإظهار ذكاء موقّعها وقدرته على حسن الفصل وإصابه الغرض .

وكان البلغاء يتنافسون فى تحصيل توقيعات جعفر بن يحيى البرمكى ، الذى كان يلى ديوان التوقيع للرشيد ، ليقفوا منها على أساليب البلاغه وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل توقيع بدينار(٢) .

(٨) ديوان الخاتم ، وبه تمرُّ وتُثبت فيه الكتبُ التى يحتاج إلى ختمها بخاتم أميرالموءمنين ؛ وذلك بعد أن يمرَّ الكتاب على دواوين عده وبعد المقابله(٣) .

(٩) ديوان الفضّ ، ومنزله هذا الديوان من الخليفه منزله مجلس الاسكدار فى ديوان الخراج من المتولى له ، أن سبيل الكتب التى ترد من العمال فى النواحى إلى أميرالموءمنين أن يكون ابتداوءها به وخروجها إلى الدواوين منه ، بعد فضّها

١- كتاب الخراج لقدامه ص١٩ ب ٢٠ .

٢- كتاب العبر ج١ ص٢٠٦ من طبعه بولاق .

٣- قدامه ص٢٠ ب .

وأخذ جوامعها ليقرأها الخليفه ويوقع فيها بما يراه .

وكـان هـذا الرسم جارياً فى أول الأمر ، لما كان الخلفاء هم الـذين يتولون النظر فى الكتب بأنفسـهم ؛ ثم آل ذلك إلى الوزير ، فصـار هو المتولّى لفض الكتب وإخراجهـا إلى الـدواوين ، وانتقل عملُ ديوان الفض إلى حضـره الوزير ، وصار المتولّى له كاتباً برسمه فى دارالوزير(١) .

وفى حوالى عام ٣٠٠ه‍ ٩١٢م قُلّد ديوان الفض وديوان الخاتم لرجل واحد ، وكان جاريهما أربعمائه دينار ودينار(٢) .

(١٠) ديوان الجهبِّذه ، ويجرى فيه من الأمـوال مـالُ الكسور والكفـايه والوقايه وما يجرى مجرى ذلك من توابع أصول الأموال ، ثم مـا يزيـده شـرارُ الجهابـذه من الفضول على هـذه التوابع بسـبب إعنـات من عليه مال من أهل الخراج ومن يجرى مجراهم فى النقود والصـروف ، وما يرتفقون به من التقـديم والتأخيير عمن يتعذّر عليه الأداء فى وقت المطالبه .. فإن بعضـهم لما وجد ذلك فى بعض النواحى زاد فى ضـمان البجهبـذه بتلك الناحيه على من هو ضامن لها ، ووقع النزايـد فى هـذه الوجوه بالظلم والعدوان على الرعيه وسائر من يقام لهم الجارى ، وتُطلَق لهم النفقه ، حتى توافى مال الجهبذه إلى جمله وافره أصل أكثرها عدوان(٣) .

(١١) ديوان البر والصدقات(٤) .

١- نفس المصدر ص٢١ ب ٢٢ .

٢- كتاب الوزراء ص١٧٨ .

٣- قدامه ص٢٣ ب .

٤- مسكويه ج٥ ص٢٥٧ .

وكان أصحاب الدواوين فى أوائل القرن الرابع الهجرى على ثلاث طبقات(١) .

وكان صاحب ديوان السواد يقبض أعلى مرتّب بين أصحاب الدواوين ، وهو خمسمائه دينار فى كل شهر .

وكان صاحب ديوان المشرق أو ديوان الخاصه مثلاً يقبض مائه دينار فى كل شهر(٢) .

وفى عهد الخليفه المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ه ٩٠٢ ٨٩٢م) بلغت أرزاق أصحاب الدواوين كلها من أكابر الكتّاب إلى الخُزّان والبوّابين والأعوان ، وثمن الصحف والقراطيس والكاغد أربعه آلاف وسبعمائه دينار فى الشهر ، وذلك عدا ما كان يقبضه الوزراء ، وعدا أرزاق كتّاب دواوين الإعطاء وخلفائهم على مجلس التفرقه وأصحابهم وأعوانهم وخُزّان بيت المال؛ فإن هوءلاء يأخذون أرزاقهم مما يوفّرونه من أموال الساقطين وغُرَم المخلّين بدوابّهم(٣) .

فكانت المرتَّبات التى يتقاصاها هوءلاء تتوقف على مقدار يقظتهم وعنايتهم .

على أن الأرزاق كانت تطلق فى الأسبوع الأول من الشهر(٤) .

وفى أوائل القرن الرابع ظهر رسمٌ جديد ، ثم صار رسماً كثيرا ما لجأ إليه الحكام ، وهو ألا يعطى أصحاب الأرزاق أعطياتهم عن السنه كامله ؛ ففى عام ٣١٤ه ٩٢٦م اقتُصر فى أرزاق معظم العمال على عشره أشهر فى كل سنه ؛ وكان صغار أصحاب الأرزاق أكثرهم عرضه للغبن ؛ فمثلا اقتُصر فى أرزاق

١- كتاب الوزراء ص١٥٦ .

٢- نفس المصدر ص٣١٤ .

٣- كتاب الوزراء ص٢٠ ٢١ .

٤- نفس المصدر ص٨١ .

أصحاب البُرُد والمنفقين على جارى ثمانيه أشهر(١) .

وكان يستعاض عما يفقده بعض أصحاب الدواوين بتقليده دواوين أخرى ؛ فمثلا فى حوالى عام ٣٠٠ه ٩١٢م كان يتولى ديوان الأزمَّه والتوقيع وبيت المال رجل واحد(٢) .

وكان على رأس كل ولايه رجلان :الأمير (وهو قائد الجيش) ، والعامل؛ ويسمى هذا الأخير صاحب الخراج ، لأن أكبر واجباته حملُ خراج الولايه إلى خزانه الدوله ؛ وهو الذى يتولى الإنفاق على الولايه مما يحصل لديه من الأموال ، لأن خزانه الدوله العامه كانت لا تتولى إلا أمر نفقات دار الخلافه والدواوين وما يتعلق ببغداد(٣) .

وكان الأمير يخاطب فى المراسله بما يخاطب به العامل ؛ وكانت منشورات الوزير ترسل لكل منهما فى وقت واحد(٤) .

ولكن الأمير كان يمتاز على صاحبه لأن له الصلاه بالناس ، هذا يجعله رئيس المسلمين جميعاً فى ولايته(٥) ؛ وإذا تضافر الأمير والعامل استطاعا أن يفعلا بالولايه ما شاءا، كما حدث فى عام ٣١٩ ٩٣١م من أن العامل والأمير تضافرا بفارس وكرمان على قَطع حَمل الأموال إلى الخليفه المقتدر ببغداد مده

١- نفس المصدر ص٣١٤ ، ومسكويه ج٥ ص٢٥٧ .

٢- كتاب الوزراء ص٧٧ .

٣- نفس المصدر ص١١ والصفحات التاليه .

٤- نفس المصدر ص١٥٦ .

٥- المغرب لابن سعيد ص١٥ .

طويله(١) .

ولو أن رجلا واحداً قُلّد المنصبين معاً لأصبح كالحاكم المستقل بولايته.

ونظراً لما فى اجتماع هـذين المنصبين من المزيه امتنع بجكم ، القائد التركى الطموح ، من المسـير إلى الأهواز لتولى أمورها عام ٣٢٥ه ٩٣٧ م إلا أن يكون له الحربُ والخراجُ ، فأُجيب إلى ذلك (٢).

وقـد كـانت ولاـيه مصر على قسـمين : والٍ للحرب والصـلاظ ، واخر للخراج وتـدبير الأـموال ، حتى جـاء ابن طولون فجمع بين الولايتين ، وكذلك فعل الأخشيد ، وكان كل منهما فى الواقع حاكما مستقلا فى مصر (٣).

ويشكو ديونيسيوس nov suisynoid erhcamllet المتوفى عام ٢٢٩ه ٨٤٣م فى آخر كتـابه فى التاريـخ ، من كثره عـدد العمال ؛ لأنهم بهذه الكثرظ يغتصبون عيش الفقير بكل الوسائل (٤) ؛ ففى مدينه الرقه مثلا ، وهى مدينه صغيره على نهر الفرات كان يوجد :(١) قاض ، (٢) وكاتب سلعه يعرف بالبندار ، يطالب بالخراج ووجوه المال ، (٣) وصاحب جند ، (٤) وصاحب بريد ينهى أخبـار الولايه للخليفه ، (٥) ومتولٍّ للضـياع السلطانيه (الصوافى) ، (٦) وصاحب معونه (٥) و كان يوجـد مثل هوءلاء الولاه فى كل « عَمَل » من اعمال الدوله

١- ابن الأثير ج٨ ص١٦٥ ١٦٦ .

٢- نفس المصدر ص ٢٥٢ .

٣- المغرب ص ١٥ .

٤- ٨٣٥ s ،seahcim suryl .

٥- نفس المصدر ص ٥٤١ ، وكلام ميخائيل غير واضـح لأن منصب صاحب المعونه كان يضم عاده إلى صاحب الجند والحرب ، ونجد عند قدامه (مخطوط باريس ص ١٤ ب ج ١٦) نسخه عهد بولايه المعونه والحرب .

السامانيه (١) وكان أكثر هذا العدد الكبير من العمال يخرجون بخروج الوزير الذى عينهم ، وعند ذلك يطلون متعطّلين فى شوارع بغداد ، يثيرن الفتن حتى يعود حزبهم إلى ولايه الحكم ج كما كان الحال فى أسبانيا وفى الولايات المتحده منذ عهد غير بعيد ج وإلاب شغبوا فعكّروا هدوء البلاد.

ويحكى أنه قدم مره على صاحب أصفهان شيخ من الكتّاب يطلب التصرُّفَ، ويحمل كتباً من إخوان لصاحب أصفهان ببغداد يوصونه به ، فقرأ الحاكم أول كتاب ، ولم يقرأ باقى الكتب ، وضجر ، وتغيظ ، وقال :« قد واللّه بُلينا بكم معاشرَ المتعطّلين ! كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرُّفاً أو برّاً ، ولو كانت خزائن الأرض لى لكانت قد نفدت » (٢).

وكان من دهاء عضد الدوله أنه كان يوصل إلى العمال المتعطّلين ما يقوم بهم ويحاسبهم به إذا عملوا (٣).

وكان الإخشيد أول من ربّب الرواتب (٤) ؛ وقد أقرّ الفاطميون نظامه فى جملته؛ وكانوا ينوون ، فيما يلوح ، أن يقسَّموا حكم البلاد بين أوليائهم ؛ والدليل على ذلك أن جوهراً وإن كان قد ترك العمال فى مناصبهم ، فإنه لم يدَع عملا إلا جعل فيه مغربيا شريكا لمن فيه (٥). ولكن لما ظهر أن هوءلاء المغاربه أكثر إتعاباً

١- ابن حوقل ص ٣٠٧٣٠٩ وكذلك كانت العراق مقسمه إلى أربعه وعشرين طسّوجا . وكل طسّوج اثنا عشر رستاقا ، والرستاق اثنتا عشره قريه .(كتاب الوزراء ص ٢٥٨) .

٢- الفرج بعد الشده للتنوخى طبعه مصر ١٩٠٤ج ٢ ص ١٠ ٩ .

٣- ابن الأثر ج ٩ ص ١٦ .

٤- المغرب لابن سعيد ص ٣٩ ، والخطط للمقريزى ج ١ص ٩٩ .

٥- الاتعاظ للمقريزى ص ٧٨ .

للدوله من غيرهم لم يتمّ ما كان مُزمَعاً من إخراج العمال القدماء ، وهم نصارى فى الغالب .أما الأرزاق فلدينا من أخبار الإداره الفاطميه أن الوزير كان يتقاضى خمسه آلاف دينار فى كل شهر ، وهو مثل مرتب صاحبه ببغداد ؛ أما رواتب أصحاب الدواوين فكانت أقل بكثير مما فى بغداد ؛ فكان صاحب ديوان الإنشاء يأخذ مائه وعشرين ديناراً ، وصاحب بيت المال مائه دينار ، وأصحاب الدواوين الأخرى ما بين سبعين وثلاثين ديناراً فى كل شهر . وفى القرن الثالث الهجرى عيشن أحدُ أصحاب دويان الرسائل رجلا أتاه يطلب الكتابه ، وكان يعطيه فى كل شهر أربعين ديناراً ليقوم بالإجابه على الرسائل التى ترد إلى الديوان (١)

وعلى حين أننا لا نجد بين قواد الجيش إلا أسماء قوم من الموالى فإن وظائف الدواوين كانت وقفاً على الأحرار، « وكان الفرس هم شُحنه دواوين الخلافه ..

فمنهم البرامكه ،وآل ذى الرياستين ، وإلى يومنا هذا منهم المادرائيون والفريابيون (٢).

ولما كانت الصبغه الغالبه على عمال الدواوين هى الصبغه الاقتصاديه الماليه ، فقد كان لابد للواحد منهم من أن تتوفر لديه بعض خصال التاجر ، وكان الفارسى أمهر تاجر فى المملكه الذسلاميه . ولاتزال الكفايه الإداريه موروثةً فى الفرس إلى يومنا هذا ، فيحدثنا الخبير النمساوى الذى قام بتنظيم البريد فى فارس « أن

١- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٣٨ .

٢- الإصطخرى ص ١٤٦، وذكر بعض الموءلفين أن الكتّاب خمسه : كاتب رسائل ، وكاتب خراج ، وكاتب قضاء ، وكاتب جند ، وكاتب شرطه ؛ ولكل منهم أشياء ينبغى آن يعرفها . انظر المحاسن والمساوى للبيهقى ص ٤٤٨، وتجد التفصيل فى جمهره الإسلام للشيرازى مخطوط رقم ٢٨٧ بمكتبه ليدن ص ١٩٩ وما يليها .

كل فارسى يحسى من نفسه الصلاحيه لكل عمل ، وهو لا يتردّد فى أن يدخل اليوم عملا إداريا مدنيابً ، ويقوم به ؛ ثم يكون غداً فى منصب حربى »(١) .

وهذه من خصال الفرس القديمه ؛ ويحكى أنه كان لبختيار بن معز الدوله كاتبٌ فارسى ، وكان مستولياً عليه ؛ ثم تحقَّق بالجندّيه ، وادَّعى الشجاعه ، وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده ، تقرُّباً إليه ، ثم عزم أخيراً على تقلد الجيش والنسميه بالاسفهسلار ؛ ولكنه اضطر إلى الفرار من بغداد عام ٣٥٨ه ٩٦٩م(٢) .

وكان الاشتغال فى الدواوين يختلف عن عمل الفقهاء والعلماء كل الاختلاف ؛ فكان المشتغل بإداره الدواوين هو ممثل الثقافه الأدبيه، وكان لا يعالج العلوم الشرعيه إلابمقدار ما يتطبه عمله وثقافته .

أما التمايز الظاهرى بينهم فكان يتجلى فى أن الكتابت يلبس درباعه ، على حين أن العالم يلبس الطيلسان (٣) ويحكى أن الوزير العتبى أراد أن يلزم أباعبداللّه بن أبى ذُهل (المتوفى عام ٣٧٨ه ٩٨٨م) تَقشلبُد ديوان الرسائل ، فقال له : هذا قضاء القضاه بكور خراسان ، ولا ـ يخرج عن حد العلم ؛ ولكن ابن أبى ذهل بكى وهدّد بترك البلد ، حتى أعفاه الوزير من ذلك (٤). على أن الخلفاء كانوا يأبون أن يستوزروا العلماء وأصحاب الطيالس ؛ وقد أشير على الخليفه المقتدر أن يستوزر محمد بن يوسف القاضى فقال : لعمرى إنه عالم ثقه ، ذلا أننى لو فعلتُ ذلك لا فتضحت عند ملوك الإسلام

١- ولم يذكر اسم مإلف هذا الكتاب ، المترجم١٨٤،neisrep sya ١٨٨٢ .S، .

٢- مسكويه ج٦ص ٣٢٩ ٣٢٦ .

٣- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٢٣٤ ، والمقدسى ص ٤٤٠ .

٤- طبقات السبكى ج ٢ ص ١٦٦ .

والكفر؛ لأننى أكون بين أمرين : إما أن تُتَصَورّ مملكتى بأنها خاليه من كاتب يصلح للوزاره ، فيصغُر الأمر فى نفوصهم ، أو أننى عدلت عن الوزراء إلى أصحاب الطيالس ، فأُنسب إلى سوء الاختيار (١)

وهذه الطائفه من الكتّياب أكبر ما يميز الدوله الإسلاميه عن أوروبا فى أوائل العصور الوسطى ، حيث كان لاـ يتولى العمل بالدواوين إلا أهل الثقافه الدينيه ؛ ولم يكن ذلك من الخير للإسلام ، لأن العمل فى الدواوين بما ينقصه من تعمق وما يوءدى إليه من ركود عقلى كان يندر أن ينشئ عقولاـ تأخذ بحظ فى الحركه العقليه ؛ وكان العمل فى الدواوين ملجأ ملائما للأدباء الذين لم ينشأوا فى الأوساط الدينيه ، وهم المتعلمون الذين صاروا بعملهم فى الدواوين مجردين من البواعصث الداخليه والخارجيه التى تدفع العقل إلى العمل ؛ ولا يزال « الأفندى » الراضى عن نفسه ، بثقافته السطحيه وقله دوافعه إلى التفكير، عقبه فى طريق التقدم حتى يومنا هذا ، وهو أخطر على التقدم من رجل الدين اليق الأفق والمحدود النظر(٢).

وقد جاء فى خبر يرُوى عن عُمشرَبن الخطاب رضى الله عنه ، ما يضع القواعد الأساسيه لما ينبغى أن يكون عليه العامل .

فيحكى عن عمر أنه كان إذا استعمل رجلا اشترط عليه إربعاً : ألا يركب برذونا ، ولا يلبس ثوبا رقيقاً ، ولا يأكل نقيا (؟) ولا

١- كتاب الوزراء ص ٣٢٢ .

٢- وبما يقصد المإلف أن دهل الدين بحكم ما كانوا عليه من بحث وتعمق وجدال ، أقدر على التفكير وبالتالى على الثوره والإصلاح الإدارى ، وكان هذا الإصلاح ألزم ما يكون للاداره الإسلاميه (المترجم) .

يغلق بابه دون حوائج الناس ولا يتخذ جاجباً (١).

ولكن المال لعب فى القرن الثالث الهجرى دوراً سيئاً فى حياه عمال الـدواوين ، وكان لكل شـئ ثمن يبذل وخصوصاً لمناصب الدواوين (٢) وكـان العامل متى تقلّد المنصب حاول أن يسترد ما خسره مستعيناً على ذلك بالخيانه ؛ فكان العمال مثلا يعينون أرزاقا لقوم لا ـ يحضرون إلى العمل ، وأرزاقا بأسماء قوم لم يخلقوا ، وكـانوا يقَّيدون برسم الفقهاء والكتاب مرتباتٍ بأسماء الغلمان والوكلاء فى الحاشيه ؛ وكانوا يصرفون الورق الوقراطيس ، ثم يبيعونه فيحصل لهم منه مال (٣).

وكان عامل مصر يقبض ثلاثه آلاف دينار فى كل شهر ، وهو مبلغ كبير ؛ ولكن كان على العامل أن يسدد نفقات ديوانه ، وكان يعلم أن رزقه لا يكفى نظراً لكثره الهـدايا التى يبعث بها إلى الأمير والوزير والخليفه . وقـد شـكت إحـدى خظايا الخليفه مره من مماطله بعض أصحاب الـدواوين فى تسليم إقطاع وهبه لهـا الخليفه ، فقـال لهـا : كان الطواب أن تبعثى إليه بثياب وألطاف ف فتستغنى عن خطابى ، ففعلت ما نصحها به ،وتمّلها ما أرادات (۴). ويصف ابن المعتز الولاه فى بعض شعره ، حيث يقول:

أفما ترى بلداً أقمتُ به أعلى مساكن أهله خُصٌّ

١- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ۶۶ .

٢- كتاب الوزراء ص ۲۶۳ .

٣- مسكويه ج ۵ص ۳۴۴ .

۴- كتاب الوزراء ص ۱۸۴ ۱۸۲ .

ووُلاتُه نَبَطٌ زنادقه *** ملأى البطون ، وأهله خُمصُ (١).

وكان أهل التُّقى فى ذلك الوقت يعتبرون عمال السلطان والفُسّاق فريقاً واحداً ؛ كما جمع العهد الجديد بين المذنبين واخذى الظرائب الجمركيه .

ويحكى أنه بلغ من دِين بعض أهل الورع إنه امتنع من نقش فص للأمير ، فزاد فى الأجره حتى بلغت مائه دينار ، فأبى الرجل ؛ ثم جاء إليه بعد ذلك تاجر فأعطاه على نقش بعض الفصوص عشره دراهم ، فأخذها ، وذلك اجتهاداً منه فى ألا يأخذ الحرام (٢).

وقد كان يضرب المثل بزهد جعفر بن مبشّر ، وقد أضرَّت به الحاجه ، حتى كان يقبل القليل من زكاه إخوانه . وقد أُعجب أحدالتجار بحسن كلامه مره ، وعرف مسكنته ، فأرسل إليه خمسمائه دينار ، فردّها فقيل به : قد عذر ناك فى ردّمال السلطان للشبهه ، وهذا تاجر مالُه من كسبه ، فلا وجه لردّك له (٣).

وحكى أن بعض المتصرَّفين احتبس أبا على اُلجبَّائى للطعام ، فأجابه ؛ فأنكر رجلٌ ذلك عليه ، فقال له : ألَستَ تعلم أن طعامه الذى يقدمه إلينا مما يستريه ، وأن الغالب أنهم يشترونه لا بعين المال ، أفما تعلم أن ذلك ملكه ، وأنه مما يحلّ له تناوُله (٤).

١- ديوان ابن المعتز ج ٢ص ١٤ . لم تكن حوائج ابن المعز تقضى ، ولا معاملاته تمضى عند الوزراء ، لأنه لم يكن محبوبا فى قصر الخلافه، وقد ظل ثلاثين سنه يكابت الوزراء فى جاجاته نظما ونثراً، فلا يجيبونه ، وكان يحاول الوصول إليهم فلا يأذنون له (انظر كتاب الوزراء ص ١١٥) .

٢- ابن المرتضى : ذكر المعتزله ص ٦١ .

٣- نفس المصدر ص ٤٤ ٤٣ .

٤- نفس المصدر ص ٦٠ ٥٦ .

« وكان أحمـد بن حرب بن حرب يوما على طعام مع قوم وفدوا عليه من كبار نيسابور ووجوهها ، إذ دخل ابنه فى الغرفه سـكران يغنِّى ويلغب ، ولم يسـلّم على القوم ؛ ولما رأى أحمد دهشـتهم سألهم : ما بكم ؟ فقالوا خجلنا من أن يدخل عليك ولدك على هـذه الصوره ، فقال لهم أحمـد :ذنه مغـذور ، فقـد أكلت أما وزوجتى ليله من طعام بعثه إلينا جارٌ لنا ، وفى هذه الليله حُمل بهذا الغلاـم ، فنمنـا ، ولم نصـلّ ، فلمـا كـان من اليوم التـالى سألنا جارنا : من أين هـذا الطعام الـذى بعث به إلينا ، فعلمنا أنه من طعام وليمه عرس فى دار أسعد عمال السلطان»(١).

وكان بعض الناس لا يسلم على عامل السلطان بما تجرى به العاده من قول: السلام عليكم، بل كان البعض يقول جاداً أو مستهزئاً: تب من عمل السـلطان و قد تاب رجل مره من عمل السلطان ؛ ثم طُلب لتقليده عملاً جليلاً ، فكسر الثوبه ، فسماه الناسس المرتدّ .(٢)

ونادراً ما كان الرأى العام يعتبر قله الأمانه فى إداره الـدواوين شـيئاً يخلّ بالشـرف . ويعجب الموءرخون حين يجـدون أحد كبار العمـال من أهل الأمانه . ومما يحكيأنه توفى فى عام ٣١٤ه ٩٢٦م صاحبُ بيت مال العامه ؛ فأراد الوزير أن يقبض أمواله ، واشـتد فى المطالبه؛ ولكنه لم يجد شيئاً ، لأن ذلك الرجل كان « صحيح الأمانه » (٣).

وكثيراً مـا كـان يترك العمـال فى مناصـبهم أو يعـاودن إليها بعـد تركها مع الشـبهه فى أمانتهم ؛ وذلك بعـد أن يـدفعوا ما يقرُّر عليهم. على أن هذا لم يكن يقع دائماً.

١- كشف المحجوب للحجويرى (بالفرسه) ص ٣٦۶ .

٢- مسكويه ج ۵ ص ٢۴۴ .

٣- عريب ص ١٢٨ .

أما مصادره العمال فإننا نعرف من مصـدر جـدير بالثقه أن الأخشـيد ، صاحب مصـر ، وكان رجلا ماليا ماهراً ، هو أول من نكب عماله وكتَّابه مراراً (١).

فهو موءسّـِس نظام مصادره العمال وفرض الأموال عليهم . وكان العامل إذا صو در وثُقل عليه عب ءُ المصادره تبرّع له أصحابه ، وجمعوا مالاً للتخفيف عنه (٢) .

وقد صادر الحاكم بأمر اللّه أحد أصحاب الدواوين ، وقطع يديه عام ٤٠٤ه ١٠١٣م، ثم أكمل بقيه تصرفاته الغريبظ ، فقلّده ديوان النفقات عام ٤٠٩ه ١٠١٨م ، بل قلده الوزراه عام ٤١٨ه ١٠٢٧م(٣).

على أن السنَّه الفاسده التى جرى عليها حال الدواوين فى دوله الخلفاء تجلّى أثرها السـئ فى ظهور مرض لحق بحرفظ الاشـتغال فى الـدواوين ، كما أن لكل حرفه مرضاً ؛ وذلك هو التهافت الشديـد على الألقاب ، والتكاف فى أساليب المكاتبات . وقـد بدأ هـذا فى القرن الرابع ، وبقى إلى اليوم . وفى المكاتبـات الرسـميه كانت تُوجَّه عنايهٌ كبيره إلى العنوانات وتعضـيم شأن المخاطَب وإلى الإسـهاب فى ذلـك ، على حين كـان يختم الخطاب ويوقع عليه فى إيجاز على خلاف عاده الأوربيين . وقـد بـدأ هـذا منذ القرن الثـالث الهجرى ، وذلـك أن العاده كانت جاريه فى المكاتبه بين الناس بأن يقال : من فلان إلى فلان أو من أبى فلان إلى أبى فلان ؛ ولم يكن على شئ من العنوانات دعاء ، حتى جاء الفضل بن سهل

١- المغرب لابن سعيد ص ٣٩ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٠٨ ٣٠٧ ٣٠٦ .

٣- نقلا عن المسبّحى المتوفى عام ٤٢٠ه ١؛ ٤٣ ١,٣٤ Becker Beitrage zur Oeschichte Aegypteus .

فى خلافه المأمون ، فكتب كتاباً عنوانه: لأبى فلان أبقاه اللّه من أبى فلان (١) .

ثم استعمل الناس بعد ذلك الدعاء على عنوانات الكتب . وقد انتهت إلينا المخاطبات المختلفه التى كان الوزيرس يخاطب بها العمال على اختلاف درجاتهم فى القرن الرابع الهجرى .

فكان يكتب إلى أمير الشام وأجنادها: أعزَّك اللّه ومدَّ فى عمرك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك ؛ وإلى الزُّرّاع والمهندسين : حفظك اللّه وعافاك؛ وإلى أصحاب البُردُ ممن يتقلد الأعمال الجليله : أكرمك اللّه ومدَّ فى عمرك ؛ وأتم نعمته عليك وأحسانه إيك ؛ وإلى التجار والمبتاعين للغلّات إذا جُمعت للواحد منهم أعمالس : عافانا اللّه وإياك من السوء (٢) .

وكان الوزراء والكبراء فى أول القرن الرابع يخاطبون بسيدنا أو مولانا ، ويستعمل فى ذلك ضمير المخاطب المفرد. وفى عام ٣٧٤ه ٩٨٤م كان ابنُ سعدان الوزيرُ يخاطب الوزيرَ ابن عباد بالصاحب الجليل. والصاحبُ ابنُ عباد يخاطب ابن سعدان بالأستاذ مولاى ورئيسى(٣).

ويقول أبوبكر محمد بن العباس الخوارزمى (٤) (المتوفى عام ٣٨٣ه ٩٩٣م) فى هذه الألقاب :

مالى رأيت بنى العباس قد فتحوا *** من الكُنُنى ومن الألقاب أبوابا

١- تاريخ سعيد بن البطريق (المتوفى عام ٣١٨ه ٩٣٠) ص ٧٣ب من مخطوط باريس رقم ٢٩١ .
٢- كتاب الوزراء ص ١٥٣والصفحات التاليه .
٣- النجوم الزاهره لابن تغرى بردى ، طبعه كلفورنيا ص ٣٤، وكان عيسى ابن نسطورس وزير العزيز باللّه فى مصر يخاطب بسيدنا الأجل (يحيى بن سعيد ص ١١٢) .
٤- يتيمه الدهر ج ٤ ص ١٤٥ .

ولقّشبوا رجلًا لو عاش أوّلُهم *** ماكان يرضى به للحش بوَّابا

قلَّ الدراهم فی كفّی خليفتنا *** هذا فأنفق فی الأقوام ألقابا

وفی عام ۴۲۹ه ۱۰۳۷م لُقَّب قاضـی القضاه الماوردی بلقب أقضی القضاه ؛ وجری من بعض الفقهاء إنكارٌ لهذه التسميه ، وقالوا : لاـيجوز أن يسـمّی به أحـدٌ ، هـذا بعـد أن كتبوا خطوطهم بجوار تلقيب جلال الـدوله بملك الملوک الأعظم ، فلم يلتفت إليهم الماوردی ، واستمر له هذا اللقب ذی أن مات ، ثم تلقَّب به القضاه بعده (۱).

وقـد حاول الخليفه الحاكم بأمر اللّه أن يلغی الألقاب ؛ فبعـد أن سـخا فی منـح الألقاب علی اختلاف أنواعها؛ أسـقطها عام ۴۰۸ه ۱۰۱۷م مـا عـدا ألقـاب تسـعه نفر ، هم أكبر حمله الألقـاب ، ولكنه أعاد الألقاب ، ولكنه أعاد الألقاب بعد قليل (۲).

علی عـادته الجـاريه من نقض وإبرام . ويقال إن أبا الحسن كاتب الخليفه القادر باللّه (۴۲۲ ۳۸۱ه ۱۰۳۱ ۹۹۱م) هو مخترع لفظ « الحضـره » فی المخاطبه ؛ وفی هذه المسأله الصـغيره أيضاً نجدنا حتی الآن نسـير علی رسم القرن الرابع . وهذا الكاتب هو مخترع عباره : الحضـره العاليه الوزاريه ؛ وهو أول من أخرج عباره : الحضره الممقدسه النبويه فی الكلام عن الخليفظ ، وأشرک بذلک عباره : السُدَّه النبويه ، ثم كتب عن الخليفه بلفظه غريبه غير مسـتقيمه الدلاله وهی :«الخدمه» وتصـرف فی ذلک حتی قال : قالت الخدمه فوفعلت الخدمه ، وسُئلت الخدمه ، حتی رأيت بخط أبی الحسن بن أبی الشوارب فی ترجمه رقعه :

۱- الإرشاد لياقوت ج ۵ ص ۴۰۷ .

۲- يحيی بن سعيد ص ۱۲۹ ب .

« خادم الخدمه الشريفه فلان بن فلان »(۱).

وقد لقَّب الخليفه القائم وزيرَه (قتل عام ۴۵۰ه ۱۰۵۸م) بألقاب هی :رئيس الروءساء ، وشرف الوزراء ، وجمال الوری (۲).

أما بين القضاه فقد بقی الرسم القديم جارياً ، فكان قاضی القضاه يوقع للقضاه بما يقول فيه :«أبو فلان ، فلان بن فلان القاضی أيده اللّه يفعل كذا »، وإلی قضاه النواحی :« فلان بن فلان الحاكم »، بغير كنيه ولا دعاء ولا ذكر قضاء(۳).

وفی عهد المقتدر كانت تغلق الدواوين فی دار الخلافه يومی الجمعه والثلاثاء ، وقد أمر المقتدر (۲۸۹ ۲۷۹ه ۹۰۲ ۸۹۲م) بذلك «لأن يوم الجمعه يوم صلاه ، وكان يحبه ، لأن موءدّبه كان يصرفه فيه عن مكتبه؛ ولأن الناس يحتاجون فی وسط الأسبوع إلی الراحه والنظر فی أمورهم ، والتشاغل بما يخصُّهم »(۴).

۱- كتاب الوزراء ص ۱۴۸والصفحات التاليه .

۲- .۶۷؛JRAS ۱۹۱۲S.؛تاريخ بغداد .

۳- كتاب الوزراء ص ۱۵۱ .

۴- نفس المصدر ص ۲۲ .

تعلیقات الفصل السادس

[*۱] یحکی ذلک عن عمر بن الخطاب: شاطر (۱) عم جماعه من عماله اموالهم قیل ان فیهم سعید بن ابی وقاص عامله علی الکوفه، و عمرو بن العاص عامله علی مصر، و ابا هریره عامله علی البحرین، و النعمان بن عدی بن حرثان عامله علی میسان، و نافع بن عمرو الخزاعی عامله علی مکّه، و یعلی بن مثبه (مثبه) عاملیه علی الیمن، و امتنع ابوبکره من المشاطره.

کان (۲) العمّال اوّل من وقعت علیهم المصادرات فکانوا اذا اکتسبوا مالاً من تجاره أو سبیل آخر غیر مرتّاتهم المفروضه أخذ الخلفاء نصفه و اضافوه إلی بیت المالی و کذلک فعل عمر بن الخطاب بعمّاله علی الکوفه و البصره و البحرین و کانوا یسمون ذلک مقاسمه أو مشاطره و صادر أبا موسی الاشعری و صادر ابا هریره و صادر الحارث بن وهب.

قال ابن ابی الحدید و کان (۳) عمر یصادر خونه العمّال، فصادر ابا موسی الاشعری و کان عامله علی البصره إلی و صادر اباهریره و اغلظ علیه و کان عامله علی البحرین، فقال له ألا تعلم انی استعملتک علی البحرین و انت حافٍ لا نعل فی رجلک، و قد بلغنی انّک بعث افراساً بألف و ستمأه دینار إلی، ثم ماله الیه بالدرّه فضرب ظهره حتّی ادماه الی و صادر

۱- تاریخ الیعقوبی ج۲ ص ۱۴۷.

۲- تاریخ التمدن الاسلامی ج۲ ص ۱۶۱ نقلاً عن الیعقوبی و البلاذری.

۳- شرح النهج الحدیدی ج۱۲ ص۴۲ إلی ۴۴.

الحارث بن وهب احد بنی لیث بکر بن کنانه، و قال له ما قلاصٌ و اعبدٌ بعتها بمأه دینار؟

قال خرجت بنفقه لی فاتّجرت فیها، قال و انا و الله ما بعثناک للتجاره ادّها.

ووجّه إلی عمرو بن العاص محمّد بن مسلمه لیشاطره علی ما یدیه فلما کان الغد واحضر ماله جعل محمّد یأخذ شطراً و یعطی عمراً شطراً الی آخره.

و یقول [(۱)] سلیم بن قیس الهلالی فاغرم عمر بن الخطّاب تلک السنه جمیع عمّاله انصاف اموالهم لشعر أبی المختار (ذکره قبل ذلک) و لم یغرم قنفذ العدوی شیئاً و قد کان من عمّاله و ردّ علیه ما اخذ منه و هو عشرون ألف درهم و لم یأخذ منه عشره و لا نصف عشره و کان من عمّاله الذین اغرموا، أبو هریره و کان علی البحرین فاحصی ماله مبلغ ۲۴۰۰۰ فاغرمه ۱۲۰۰۰ إلی آخره.

۱- کتاب سلیم بن قیس ۱۳۴.

الفصل السابع: الوزاره والوزراء

اشاره

لما انتهی عهدُ الإداره الإقطاعیه ، وجاء عهدُ التنظیم البیروقراطی ظهر منصبُ الوزیر فی عهد الخلفاء الأولین من بنی العباس .

أما فی عهد بنی أمیه فلم تکن الوزاره «مقَنَّنه القواعد ، ولا مقرَّره القوانین »؛ وکان ذوو الآراء من مستشاری الملک یقومون مقام الوزراء ، وکان الواحد منهم یسمی کاتباً أو مُشیراً(۱).

وفی أول القرن الرابع الهجری انتُقِص اختصاصُ الوزیر ؛ فأخذ الخلیفه منهه الضیاع العباسیه التی کانت إقطاعاً یدیره الوزراء ، ویحصُل منه مائهٌ وسبعون ألف دینار ؛ وأُجری للوزیررزق ثابت قدره خمسه آلاف دینار ، ثم صارت سبعه آلاف فی کل شهر(۲).

علی أنه کان للوزیر مکانٌ ممتازٌ بین سائر رجال الدواوین ؛ فکان یعطی لکل ولد من أولاده خمسمائه دینار فی کل شهر ، وهو مبلغ یساوی مرتب وزیر(۳).

وأکبر تغییر یسترعی النظر فی إداره الدوله أننا نجد الوزیر قد صار مُقدَّماً علی

۱- کتاب الفخری فی الآداب السلطانیه والدول الإسلامیه لمحمد بن علی بن طباطبا المعروف بابن الطقطقی ، الطبعه الأوربیه ص ۱۸۰ .

۲- کتاب الوزراء ص ۲۸۲، ۳۵۱؛ ومسکویه ج ۵ ص ۲۶۸ ۲۶۷ .

۳- کتاب الوزراء ص ۲۳.أما فی مصر علی عهد الفاطمیین ، فکان یعطی إخوه الوزیر أیضاً من مائتی دینار إلی ثلاثمائه ج الخطط للمقریزی ج ۱ ص ۴۰۱ .

جميع القواد ، مع أنه ليس إلاـ رئيس الكتـاب ، ومع أن الـدوله قـامت فى الأصل على أساس حربى ؛ وكان هـذا الوضع الجـديد إحياءً لنظام التدرُّج فى المناصب ذلى أن تنتهى برئيس أعلى ، وهو النظام القوى الذى كان موجوداً فى تاريخ الشرق القديم .

على أنه لما عاد القائـد موءنس المظفّر إلى بغـداد فى عام ٣١٢ه ٩٤٢م، ركب الوزير طَيارَةُ للسـلام عليه ، ولتهنئيته بمقدمه ،وهذا مـا لم تَجرِ به عـاده الوزير ، ومـالم يفعل مثلَه وزيرٌ من قبل؛ حتى إن الوزير لما خرج لينصـرف خرج معه موءنس إلى أن نزل فى طياره ، وقبّل يدَه (١).

وفى أول القرن الرابع كـان رسم الوزير فى لبـاسه هو رسم سـائر العمـال ، فكـان يلبس دَرّاعةً وقميصـاً ومُبَطّنه وخُفّـاً (٢) ؛ وكان السواد هو اللباس الرسـمى (٣) أما فى أيام الاحتفالات الرسـميه فكان يرتـدى ثياب الموكـب ، وهى قبيشاء وسـيفٌ بمنطقه ، ومع هذا عمامه سوداء ، وهى الجزء الذى لا ينزعه الوزير من لباسه الذى يلبسه عاده (٤).

١- كتاب الوزراء ص ٥٠؛ ومسكويه ج ٥ ص ٢١٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٢٥ .

٣- انظر ما قاله الأصفهانى شعراً بذم به أبا عبداللّه البريدى ، فى تاريخ الفخرى ، ص ٣٢٤ ٣٢٣ .

٤- كتاب الـديارات للشابشتى ص ٦٦. ومسكويه ج ٦ص ٤٤، ٤٥، ٤٦؛ والإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٦ . وفى عام ٣١٩ه ٩٣١م خرج الوزير للصـلاه وعليه شاشـيه وسـيف بحمائل ، فعجب الناس من ذلك (عريب ص ١٦٥) . وقـد انتهى إلينا البرنامج اليومى للوزير صاعـد بن مخلـد حوالى عام ٢٧٥ه ٨٨٨م: كـان يقوم فى آخر الليـل ، فلاـ يزال يصـلى إلى طلوع الفجر ، ثم يـأذن للناس فيسـلمون عليه ، ثم يركـب إلى دار الخليفه الموفق ، فيقسم بحضـرته أربع ساعات ، ثم ينصـرف إلى منزله فينظر فى حوائج الناس وأمور الحاضـر والغـائب إلى الظهر ، ثم يتغـذى وينـام ، ثم يجلس بالعشـى ، فينظر فى الأعمال السـلطانيه إلى العشاء الآخرظ ، لا يبرح أو يحصل جميع الأموال ما حُمل منها ، وما أنفق ، وما بقى . ثم ينظر فى أمر ضـياعه وأسـبابه ، ويتقدم إلى وكلائه وخاصته بمـا يحتـاج إليه ، ثم يتشاغل بعـد ذلك مع نـديم يتشاغل بحـديثه ويأنس به ، ثم ينام (الشابشتى ص ١١٨ب) .وكان ابن العميد وزير بنى بويه بالرى حوالى منتصف القرن الرابع يبكّر إلى دار الإماره ، وكان الرسم أن يحضرها بالمشاعل والشموع قبل الصباح (الإرشـاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٧) . وكان الرسم أن يحضـرها بالمشاعل والشـموع قبل الصبـاح (الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٧). وكـان الوزير نظام الملك فى أواخر القرن الخامس يباكر دار السـلطان ، ويعود من الـديوان إذا أضـحى النهار، فيخلوا بنفسه إلى وقت الظهر ، ثم يصلى ويجلس للناس ويحضر عنده الفقهاء والمحدثون (طبقات السبكى ج ٣ ص ١٤١) .

وكان الخليفه يخلع على الوزير هـذه الثياب ، التى هى رسم الوزاره ، عند تقليده ؛ فيركب الوزير من داره إلى دار الخلافه ، وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ، ثم يعود إلى داره ، وهم معه . ويصف المؤرخون ذلك ، ولا يهلمون أن يذكروا بعض ما كان يقع من الأـمور النـادره ، فُيـذكر مثلا أن بعض الوزراء دخـذه البول ، وهو فى طريقه إلى منزله ، فنزل وهو فى خِلشع الخليفه إلى دار أحد عمال الدواوين ، فبال عنده وأمر له بزياده فى رزقه (١).

وإذا وصـل الوزير إلى داره حضـر النـاس على طبقـاتهم للسـلام والتهنئه . وكان الخليفه يرسل له مالا وثيابا وطيباً وطعاماً وأشـربه وثلجاً(٢).

وكـذلك انتهى إلينا العمل اليومى لأحـد الوزراء حوالى عام ٣٠٠ه ٩١٢م ، مع الإشـاره ذلى أن أخلاـقه ، وهو وزير، كانت مثلها وهو صاحب ديوان؛ « فكان من رسم الوزير (ابن الفرات) أن يغـدو إليه الكتاب ، فيواقفهم على الأعمال ، ويسـلّم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه ، ويوصيه بما يريد وصاته به ، ثم يروحون إليه بما

١- عريب ص ١٦٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣١ .

يعملـونه من أعمـالهم ، فيواقفهم عليهـا ، وعلى مـا أخرجوه من الخروج وقضوه من الأـمور ، ويقيمون إلى بعض من الليـل ؛ وإذا خفّ العمل ، وقد عُرضت عليه فى أثناء الكتبُ بالنفقات والتسبيبات والحسبانات، نهض من مجلسه ، وانصرف الجماعه بعد قيامه (١)؛ وفى مثل هذا المجلس كان الكتاب يجلسون أمام الوزير ، كلٌّ فى مكانه ، ومعه دواته ، وكان رئيس هوءلاّء الكتاب يجلس متقدماً عليهم (٢).

وكان الوزير يحتفظ بصوره من الواثائق المهمه ، ويضـعها فى جمله سـجلاته ، وكانت هـذه ، متى عُزل ، تنقل إلى دار من يخلفه فى الوزاره . ولما تقلد ابن الفرات الوزاره بعد على بن عيسـى عام ٣٠٤ه ٩١٦م كادت هذه السجلات أن تبلغ سقف الخزانه التى كانت فيها (٣).

ويـذكر أن بعض الرقاع الهامه السـرّيه كانت تُحفظ فى سـفط خيزران يكتب عليه بخط الوزير: ما يحتفظ به من المهمات : وكان السقط يسختم بختم الوزير(٤).

وكـانت دار الوزير حتى عام ٣٢٠ه ٩٣٢م هى الدار التى كانت قديماً لسـليمان بن وهب على الشاطئ الشـرقى لنهر دجلظ ، والتى كانت تسـمى دار المحرَّم ؛ وكان ذرعها يربو على ثلثمائه ألف ذذاع . وقـد أُريد تحصـيل مال من هذه الدار الواسعه التى كانت تقع فى حى من أغلى أحياء بغداد ثمناً ، « فقُطَّعت وبيعت من جماعه من الناس بمال عظيم ..

وصُرف ثمنها فى مال الصله لبيعه القاهر

١- كتاب الوزراء ص ٢٣٨ .

٢- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٣٤٢ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٠٨ .

٤- كتاب الوزراء ص ٥٩، ومسكويه ج ٢٣٣ .

باللّه (١)» ؛َ وأعدت للوزير دار أحد ءبناء الخلفاء (٢).

وكان يقف على باب دار الوزير كثيرٌ من الرجال لحراستها ؛ وقد بلغ من كثرتهم أنه كان ربما أُ خذ منهم ثلاثون رجلا فى وقت واحد ، وأُنفذوا فى أمر مهم (٣).

وكان فى مجلس الوزير غلمان مسلَّحُون يسيرون بين يدى الوجوه من الناس ، ويخرجون بين يدى الوزير دائما، يجرُّون سيوفهم ، والناس يشاهدونهم(٤).

وكان رسم الوزير ألا يـذهب ذلى دار الخلافه إلا فى أيام الموكب ، وكان ذلك فى يوم الاثنين والخميس فى أوائل القرن الرابع (٥) ؛ وقد جرى الرسم أن يساير الوزيرَ إذا ركب ذلى دار الخلافه واحدٌ من كتّابه الّأربعه الذين يتولون الديوان (٦)

وكانت للوزير فى دار الخلافه دار مفرده يجلس فيها ، والخواص والحواشـى بين يـديه ،حتى يسـتدعيه الخليفه . ومنـذ عام ٣١٢هـ ٩٢٤م صار يجلس فى دار الحاجب متقرَّباً إليه ومداراً له ، فكان هذا دليلا على تناقص منزلته (٧).

وكـان الوزير يجلس فى مجلس الخليفـظ مواليـاً له بوجهه ، وهى عـاده المرءوس بالنسـبه إلى رئيسه . وأذا أراد الوزير أن يكتب شيئاً فى حضره الخليفه ،

١- مسكويه ج٥ ص ٤١٠ ؛ وفى كتاب الوزراء أن مساحتها ٣٤٦، ١٧٣ذراعا .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٣٩١ .

٣- كتاب الوزراء ص ١٢١ .

٤- نفس المصدر ص ١١٢ .

٥- نفس المصدر ص ٤٢١، ٣٥٢ .

٦- ابن الأثير ج ٨ ص ٧ ٦؛ وكتاب العيون ص ٥٩ب .

٧- كتاب الوزراء ص ٢٦٨ .

فقـد كان الرسم أن تُخضشـر له دواه لطيفه بسلسـله فيمسـكها بيـده اليسـرى ، ويكتب بيده اليمنى ؛ وقد رأى الخليفه المقتدر مره مشقه ذلك على وزيره على بن عيسى ، وهو يكتب كتاباً هاما بحصرته ، فأمر بأن يقف بعض الخدم فيمسك الدواه إلى أن يفرغ من الكتابه ، وكان على بن عيسى أول وزيرأُكرم بهذا ،ثم صار رسماً للوزراء بعده (١).

وكـان للوزير فى الأوقـات التى يكون فيها بـدار الخلافه نائب يقوم فى الـدار لمهمّ عساه يعرض (٢)، وكان للوزير من بين خـدم الخليفه قوم يعوّل عليهم فى مراعاه أخباره (٣).

وكـان الخليفه هو الـذى يعين وزيره ، وكـان فى العـاده يقرّ وزير الخليفه السـابق فى منصب الوزاره ؛ وفى عـام ٣٠٠ه ٩١٢م أراد الخليفه أن يختـار لنفسه وزيراً ، وطلب من أحـد ثقـاته قبول الوزاره ، فامتنع لكبر سنّه ، فأرسل إليه الخليفه أسـماء رجال كثيرين ليرشـح منهم من يراه أهلا للوزاره ، فكتب تحت اسم كل واحـد منهم بما رآه ، وأشار بتعيين رجل كان قاضـياً ، فظن الخليفه أن وزيره غشّه ولم يخلص فى النصح ؛ ولما سُئل الخليفه فى ذلك.

قال لعمرى إنه (القاضـى) عالم ثقه ، إلا أننى لو فعلت ذلك لا فتضـحت عنـد ملوك الإسـلام والكفر ، لأننى أكون بين أمرين : أما أن تُتَصَوَّر مملكتى بأنها خاليه من كابت يصلح للوزاره ، فيصغر البأمر فى نفوسهم ، أو أننى عدلت عن الوزراء

١- كتاب الوزراء ص ٣٤٢ .

٢- الفخرى لابن الطقطقى ص ٢٩٢ ، والخطط للمقريزى ج ١ ص ١٥٦ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٦٧ ، وفيما يتعلق بمصر انظر ابن الأثيرج ٩ ص ٨٣ ٨٢ .

إلى أصحاب الطيالس ، فأنسَب إلى سوء الاختيار (١) على أنه حوالى هذا الوقت تقلد القاضى المروزى (المتوفى عام ٣٣٤هـ ٩٤٦م) ببخارى وزاره الأمير السامانى صاحب خراسان (٢).

وكان الزمان زمان أرستو قراطيه ، حتى أدى الحال إلى نشوء جيل لكل طائفه من أصحاب المناصب ؛ فكان هناك وجوه الحضره من أولاد الوزراء والكتّاب والأمراء والأشراف ، وكان أولاد الزراء هم الطبقه العليا بين أبناء العمال (٣).

وكانت المناصب أحياناً وراثيه ؛ فقد ذكر أن الوزير ابن مقله خلفه ابنُه ، وهو فى الثامنه عشره (٤) ؛ وكذلك تولى أبوالفتح بن العميد الوزاره بعد أبيه ، وله من العمر إحدى وعشرون سنه (٥) ،وقد ولى الوزاره من آل خاقان أربعه وزراء فى سبعين عاماً ، وكذلك تقلد أربعه من بنى الفرات الوزاره فى خمسين سنه ؛ وكان ابن العميد وزيراً لعماد الدوله رأس أسره بنى بويه وموءسس مملكتهم ، وكان ابنه وحفيده وزيرين لركن الدوله .

أما بنو هوهب ، وأصلهم من نصارى العراق ، فقد توارث عشره منهم أرقى مناصب الدوله ؛ وكان أربعه منهم وزراء (٦)

وقد ولى الوزاره واحد من بنى هوب عام ٣١٩هـ ٩٣١م ، وكان فى شبابه

١- كتاب الوزراء ص ٣٢٢ .

٢- ٢٩٦ .Fluget: Die Klassen der hanefitischen Rechtsgelebrten, S

٣- المنتظم ص ٦٦ .

٤- حسن المحاضره للسيوطى ج ٢ ص ١٢٧ .

٥- الإشاد لياقوت ج ٥ ص ٣٥٦ .

٦- واليتيمه ج ٣ ص.٤١٨؛ S؛ ١٩٠٨ ؛ Amedroz, JRAS؛ ٣٣ .

مبـذراً مسـرفاً ، وقـد ضـيق عليه أصـحاب المطالبـات حتى أمر القاضـى بالحجر عليه ، ووسـضع تحت الوكاله ؛ ولـذلك كان من صدق فراسه موءنس القائد أنه خشـى أن هذا الوزير سـيكون سـيئ التصرف فى أمور الدوله ، كما كان سيئ التصرف فى أمواله (١)

ومما يزيد الأمر خطوره أن أهم عمل للوزير هو إداره ماليه البلاد ، فهو الذى يعمل الدخل والخرج، ويقرض الضرائب أو يسقطها (٢)، ويحصّل الأموال من النواحى (٣)

وفى عام ٣٠٣هـ ٩١٥م شـغب الغلمـان والرجـاله على الوزير يطلبون الزيـاده ، فمضوا إلى داره وأحرقوا بـابه ، وذبحوا فى إصـطبله دوابَّه (٤) .

وجميع الوزراء الـذين اسـتعفوا أو عُزلوا فى القرن الرابع إنمـا فشـلوا أمـام الصـعوبات المـاليه وفى عـام ٣٣٤هـ ٩٤٦م سـمع الوزير أبوالفضـل السـلمى وهو فى داره ليله جَلَبَه الخيـل ، وعلم أن غوغـاء العسـكر قـد اجتمعوا يوءلّبون ويلقون عليه الـذنب فى تـأخير أرزاقهم ، فدعا بالحلاق ، فحلق له رأسه ، واغتسل بماء ساخن ، ولبس الكفن ، ولم يزل ليلته يصـلى ؛ ثم دخل الجند عليه وقتلوه ، وهو ساجـد؛ وكن هذا الوزير فقيهاً مناظراً ومحدثاً حافظاً ، وكان يصوم الاثنين والخميس ، ولا يدع صـلاه الليل ، وولى الوزاره للسلطان وهو على ذلك ، وكان

١- Amedroz, JRAS, S. ٤٣١

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٥١ .

٣- نفس المصدر ص ٧٣؛ وكتاب الوزراء ص ٢٣٩ .

٤- عريب ٥٨ .

يسأل اللّه الشهاده ، حتى وقع له ما وقع (١)

وكانت سنه ٣٣٤ه ٩٤٦م أهم سنه فى تاريخ الوزراء ؛ ففى هذا الوقت دخل بنو بويه بغداد ، وقام كاتبُ الأمير الذى غلب على تدبير الأمرو مقام الوزير ، وبطل رسم الوزاره (٢).

وقد تكلم هلال الصابى فى كتابه تاريخ الوزراء عن أهم وزراء القرن الرابع الهجرى ، وهو يقسمهم إلى وزراء الدوله العباسيه « وكتّاب » الأيام الديلميه (٣).

ولذلك يحكى أن جوهراً أيام فتحه لمصر توقّف فى مخاطبه أبّى الفضل جعفر ابن الفرات فى كتابه بالوزير ، ولم يخاطبه بذلك إلا بعد مراجعه ، وقال : ماكان وزير خليفه (٤) أما عند الفاطميين فكان اسم الوزير غير مقبول فى أول الأمر ، وكان قاضى القضاه أجلّ أرباب الوظائف عندهم ، ولم يتخذ خلفاوءهم وزراء إلاّ فى عهد الخليفه الفاطمى الثانى ، العزيزباللّه(٥).

وهو الوزير ابن كلّس الذى كان يهوديا فأسلم (وتوفى عام ٣٨٠ه ٩٩٠م) . وقد حدثنا القلقشندى فى العصور المتأخره عن منصب قاضى القضاه فقال :«وإذا كان ثُمّش وزير لا يخاطب بقاضى القضاه لأن ذلك من نعوت الوزير (٦) .

ويقول المقريزى إنه بعد موت ابن كلّس لم يستوزر العزيز باللّه أحداً ، وإنما

١- المنتظم ص ٧٥ .

٢- مسكويه ج ۶ ص ١٢٥ ؛ والتنبيه للمسعودى ص ٣٩٩، ۴٠٠ .

٣- كتاب الوزراء ص ٣ .

۴- الاتعاظ للمقريزى ص ٧٠ .

۵- حسن المحاظره للسيوطى ، ، ج ٢ ص ١٢٩، نقلا عن ابن زولاق المتوفى سنه ٣٨٧ه ٩٩٨م .

۶- وصبح الأعشى طبعه دار الكتب ج ٣ ص.١٨۵؛S؛١٨٧٩. AOOW؛۴٨٧ : ترجمه فستنفلد لمختصر صبح الأعشى .

كان ثَمَّ رجلٌ يلى الوساطه والسفاره ، واستقر ذلك فى جماعه كثيره بقيه أيام العزيز وسائر أيام الحاكم ، ثم ولى الوزاره أحمد بن على الجرجرائى فى أيام الظاهر ، ومال زال الوزراء من بعده واحداً بعد واحد (١). ولم يكن جمهور الناس يفطن لهذا التمييز بين الوزير والوسيط أوالسفير؛ وكذلك نجد يحيى بن سعيد مثلا حوالى عام ٤٠٠ه ١٠١٠م يستعمل فى كلامه لفظ الوزراء من غير تفرقه بين الوزير والسفير أوالوسيط .

ولم تكن مهمه الوزير إذا كان وزيراً لأحد أمراء الأطراف هى بعينها مهمه وزير الخلافه ؛ وقد لُقّب الوزير الفضل بن سهل ، وزير المأمون ، من بين وزراء الدوله الأولين بلقب ذى الرياستين ؛ وربما كان ذلك لأنه كان خبيراً بشوءون السيف والقلم(٢).

ولكن الصفه الحربيظ للوزير لم تكن بارزه فى ذلك العهد، ولم يلِ الوزاره قائدٌ خبير إلاالحسن بن مخلد الذى تقلد وزاره المعتضد ، وخُلع عام ٢٧٢ه ٨٨٥م (٣).

أما عند آل بُوَيه ، فقد كان الوزير يقوم بمهام الوزاره وبقياده

١- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٤٣٩ .

٢- عريب ص ١٦٥(؟) .

٣- أغفل صاحب الفخرى (ص ٢٩٨)، ذكر ابن مخلد الذى تقلد الوزاره بين سليمان بن وهب وإسماعيل بن بلبل (مروج الذهب ج ٨ ص ٣٩، وفهرس تاريخ الطبرى) ، أما ما يقوله صاحب الفخرى من أن ابن بلبل « جُمع له السيف والقلم » ، فربما كان ذلك خاصه بابن مخلد الذى سقط اسمه ، وذلك لأننا لم نسمع شيئاً عن أعمال ابن بلبل الحربيه ، هذا إلى أن الطبرى يصرى ح (ج ٣ ص ٢١١٠) بأن الموفق « استكتب إسماعيل بن بلبل واقتصر به على الكتابه دون غيرها .

الجيوش فی المعارک (١) ، بل نجد أديباً مُبرَّزاً كالصاحب بن عباد يقوم الجيوش فی أيام وزارته(٢).

ومما يدل على سقوط هيبه الوزراء ، ويدل أُيضاً على فظاظه الطبع أن الأمير معز الدوله ببغداد، وكان أَميراً حديداً سريع الغضب ، ضرب وزيره أَبا محمد المهلَّبی ، وهو من المهالبه الذين كانوا حكاماً من قديم على عهد بنی أميه مائه وخمسين مقرعه ، ووكّل به فی داره ؛ ولكنه لم يعزله من وزارته؛ وشاور معز الدوله مَن حضره، وقال : هل يجوز أن أستنيم إلى هذا الرجل ، وقد لحقه منی هذا المكروه العظيم ؟ فقال له أحد من استشاره إن مرداويج قد ضرب وزيره أعظم من هذا الضرب ، حتى كان لا يطيق المشی ، ولا يقدر على الجلوس لما حلّ به ، ثم خلع عليه وردّه إلى أمره (٣).

ثم جاء بختيار بن معز الدوله ، وكان غير كف ء للملك ، فاستوزر صاحب مطبخه (٤) فی سنه ٣۶٢ه ٩٧٣م، وهو الوزير ابن بَقيه الذی كان « يقدِّم الطعام

١- فيما يتعلق بالسامانيين انظر مثلا- كتاب: Mirchond, hist. Samanid, ed Wiliken, S. ٧٢,٨۴ و فيما يتعلق بالصيمری والمهلبی وزيری معز الدوله، انظر مسكويه ج۶ ص٢١۴؛ و فيما يتعلق بوزراء ركن الدوله انظر نفس المصدر ج۶ ص٢١١، ٣۴٣ و ما يليها، ۴٢١؛ و فيما يختص بوزراء عضد الدوله انظر نفس المصدر ج۶ ص۴۵١-۴٨٢،۴۵٢؛ و فيما يتعلق بوزير بهاء الدوله انظر ابن الأثير ج٩ ص١٣٧-١٣٨.

٢- ابن الآثير ج ٩ ص ٣٩ .

٣- مسكويه ج ۶ ص ١٩٠ ومايليها ؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٣٧۵ .

۴- جاء فی كتاب معاهد التنصيص مخطوط رقم ۴۴١۶ بمكتبه باريس ص ٣٣٧: « وكان الرئيس أبوالفضل والوزير أبو الفرج دخلا الديوان لعقوبه أصحاب الوزير المهلبی عقب موته ، وأمرا أن تلوث ثياب الناس بالنفط أن قربوا الباب ، وكان المهلبی قد فعل مثل هذا » .

إليه ، ويحمل الفضاير بيـده ويتّشـح بمناديل الغمر ، ويـذوق الألوان عند تقديمه إياها (١) ؛» ولكن ابن عمه وهو السـلطان عضد الدوله ، قبض على أبى الفتح بن العميد وزير أبيه ، وكان ابن العميد قد أسرف فى الاتصال بالعدو ، فسمل عينيه وقطع أنفه (٢).

وطلب من ابن عمه ، عز الدوله بن معز الدوله ، أن يسـلّم له ابن بقيه لأمور ساءته منه ، فسُـلّم إليه مسـمولا ؛ فأمر عضد الدوله بأن يشهر فى العسكر على جمل ، ثم طُرح إلى الفيشله ، وأُضريت عليه ، فقتلته شر قتله ؛ وصُلب على شاطئ دجله (٣)

وقد اجتاز أحد أصدقاء هذا الوزير المنكود ، الذى ارتكب كثيراً من ضروب القسوه (٤) فرثاه بقصيدظ طويله جيده منها:

ولما ضاق بطنُ عن أن *** يضمَّ عُلاك من بعد الوفاه

أصاروا الجوَّ قبرك واستعاضوا *** عن الأكفان ثوب السافيات(٥).

وقد أحدث عضد الدوله فى منصب الوزاره شـيئين لم يكونا قبله ؛ أولهما أنه اتخذ وزيرين معاً ؛ والثانى أن أحد هذين الوزيرين ، وهو ابن منصور نصر بن

١- مسكويه ج ٦ ص ٣٦٢ ٣٦١، ٣٩٦؛ وابن الأثير ج ٨ ص ٤٦٢، وكـان النـاس يهزءون من ابن بقيه ويقولون : من الغضاره إلى الوزاره ج المنتظم ص ١٠٤ ب .
٢- مسكويه ج ٦ ص ٤٧٧، ٤٨١، ويحيى بن سعيد ص ١٠٥ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٥٠٧ .
٣- مسكويه ج ٦ ص ٤٧٧ ، ٤٨١، ويحيى بن سعيد ص ١٠٥ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٥٠٧ .
٤- انظر مثلا مسكويه ج ٦ ص ٤٥٢ ، .
٥- ابن الأثير ج ٨ ص ٥٠٧ ، وأرى أنها السافيات لا السافيات وهو ما جاء أيضاً فى نديم الأديب لأحمد سعيد البغدادى ص ١٤٣ ؛ وعند ابن تغرى بردى (طبعه كلفورنيا ص ٢٠) السائحات .

هارون ، كان نصـرانيا ؛ وقد أبقى عضدُ الدوله نصراً على بلاد فارس وطنه ، وأحذ الوزير الثانى ، وهو المطهّر هذا معروفاً بشراسه وخبث فى أخلاقه ؛ وكان سـيئ الفكر ، فلما وجّهه عضد الدوله إلى البطيحه لاستئصال اللصوص منها ، والتاث عليه الأمر ، خشى النخفاض منزلته عنـد عضـد الـدوله وتغيرَه له ، وأشـفق من تـذرُّع أعـدائه بذلك للطعن عليه وإظهار معايبه ، فاختار الموت على ذلـك ، وأخـذ سـكيناً فقطع بهـا شـرايين ذراعيه جميعاً ، وسال دمه حتى مات (١). وكان الوزير الـذى جاء بعده خليفه لنصـربن هارون الذى كان مقيما بفارس يدبّر أعمالها ، ولم يكن الوزيران على وفاق ، بل كان كل واحد يدبّر المكايد لصاحبه(٢).

ولما جاء بهاء الـدوله جرى على رسم أبيه فعين ، وهو بشـيراز ، وزيرين عام ٣٨٢ ٩٩٢م ، وجعل أحدهما مدبَّراً لأمور العراق (٣) ولما مات الصاحب ابن عباد سـنه ٣٨٤ه ٩٩٤م ، بعـد أن دبّر أمور الوزاره بفـارس أحسن تـدبير ، وقعت مساومه شائنه حول هـذا المنصب ، وذلك أن أحـد الولاه أرسل يخطب والوزاره ويضـمن ثمانه آلاف ألف درهم ، فبـذل الوزير الذى كان فى الوزاره ، إذا ذاك سـيه آلاـف ألف درهم على إَقراره فى الوزاره ، فأشـرك السـلطان فخر الـدوله بينهمـا فى الوزراه ، وسامـح كلاـ منهما بألفى ألف درهم من جمله ما بـذل ، وجمع بينهما فى النظر ، ورتّب أمرهما على أن يجلسا فى دَست واحد ، ويكون التوقيع لهذا يوماً والعلامه للآخر؛ وكانا يتقارعان على من يخرج لقياده الجيوش ، ثم سعت بنهما

١- مسكويه ج ۶ ص ۵۱۴ ۵۱۱، ويحيى بن سعيد ص ١٠٧ ؛ وابن الأثير ج ٨ص ۵۱۵ .
٢- مسكويه ج ۶ ص ۵۱۵؛ وابن الأثير ج ٩ ص ۶۶ .
٣- ابن الأثير ج ٩ ص ۶٧ .

السعاه ،ودبر أحدهما للآخر فقتله (١).

وأخيراً صار للوزير النهصرانى بالمشرق نظير فى مصر ، ففى سنه ٣٨٠ه ٩٩٠م قلّد الخليفه الفاطمى العزيزُ باللّه وزارتَه لعيسى بن نسطورس (٢).

على أن الوزراء لم يبرء وا من الرغبه فى الألقاب التى عظم أمرها حوالى عام ٤٠٠ه ، والتى تدل دلاله واضحه على تدهور المجتمع فى ذلك العصر.

وفى عام ٤١١ه ١٠٢٠م أكرم أميرُ بغداد وزيرهَ ، فأمر بأن تَضرب الدبادب أمام داره فى أوقات الصلاه ، وهو ما كان ينفرد به السلطان وحده ، وكذلك لقّبه بلقب وزير الوزراء (٣) ، وسرعان ما استعمل الخليفه الحاكم (المتوفى عام ٤١١ه ١٠٢٠م) هذا اللقب الجديدى الذى كان له أثر عظيم ، فلقّب قطبَ الدوله على بن جعفر بن فلاح وزيرَ الوزراء ذا الرياستين الأمير المظفر قطب الدوله (٤).

أما الهلال الصابى الموءرخ (المتوفى عام ٤٤٧ه ١٠٥٥م) ، فيعتبر أن مخاطبه الملوك المدبَّرين لوزرائهم بأمثال هذا اللقب هى من انقلاب الرسوم وتغير حقائق الّأشياء (٥).

وفى سنه ٤١٦ه ١٠٢٥م خلع جلال الدوله ببغداد على وزيره ولقبّه عَلَم الدين سَعد الدوله ، أمين الملَّه ، شرف الملك ؛ فكان هذا الوزير أول من لقّب

١- الإرشاد لياقوت ج ١ ص ٧١ومايليها .

٢- يحيى بن سعيد ص ١١٢، وكان عيسى بن نسطورس يخاطب بسيدنا الأجل .

٣- المنتظم ص ١٦٨ ب (؟) .

٤- يحيى بن سعيد ص ١٢٨ .

٥- كتاب الوزراء ص ٥٠ .

بالألقاب الكثيره (١) وهذه الحاله تشبه ما عليه الشرق اليوم ، وإذا قارنّا بين الوزير فى ذلك العصر بما صار يمله من ألقاب وبن سلفه ممن لم تكن فهم ألقاب لوجدنا أنه بالنسبه لهم لم يكن له شئ من القوه والسلطان.

الوزراء فى القرن الرابع الهجرى

سنبدأ بالكلام عن على بن الفرات ، وهو الذى خلف أخاه العباس فى منصب الوزراه عام ٢٩٦ه ٩٠٩م .

وكان على حين تقلّد الوزاره فى الخامسه والخمسين من العمر . وكان وزيراً واسع الثروه حتى يقول الطولى :« وما سمعنا بوزير جلس فى الوزراه ، وهو يملك من العين والورق والضياع والأثاث ما يحيط بعشره آلاف غير ابن الفرات» (٢) . وقد ظهر فى منصبه بمظهر الفخامه التامه ،فكان يجرى على خمسه آلاف إنسان ما بين مائه دينار فى الشهر إلى خمسه دراهم ، وكان يطلق للشعراء فى كل سنه من سنى وزارته عشرين ألف درهم رَسماً لهم ، سوى ما يصلهم به متفرَّقاً ، وعند مديحهم إياه ، وكان فيمن يدعى إلى طعامه كلَّ يوم تسعه كُتّاب ، هم خاصه كُتّابه ، وكان منهم أربعه نصارى .

وكانت ألوان الطعام توضع وترفع على مائدته أكثر من ساعتين ، وكان له فى داره مطبخان : مطبخ الخاصه ، ولا يمكن أن يحصى ما كان يدخله من الحيوان لكثرته ، ومطبخ العامه الذى يختص بما يقدّم إلى الحجّاب المقيمين بالدار ويفرَّق

١- المنتظم ص ١٧٣ .

٢- عريب ص ٣٧ .

منه للرجّاله والبوابين وأصاغر الكتّاب وغلمان أصحاب الدواوين ، وكان يقدَّم إلى هذا المطبخ كل يوم تسعون رأساً من الغنم ، وثلاثون جديا ، ومائتا قطعه دجاجدا سماناً ، وفراريج مصدَّره ، ومائه قطعه درَّاجا، ومائتا قطعه فراخا ، وهناك خبازون يخبزون الخبز ليلاـ ونهاراً، وقوم يعملون الحلواء عملاـ متصلا، ودار كبيره للشراب ، وفيها ماذيان يجعل فيها الماء المبرّد ، ويسقى منه جميع من يريد الشرب من الرجّاله والفرسان والأعوان والخُزّان ، ومن يجرى مجراهم من الأتباع والغلمان ؛ وكان بالدار مزمّلات فيها الماء الشديد البرد . وبرسم خزانه الشراب خدمٌ نظاف عليهم الثياب الدبيقيه السريه ، وفى يدكل واحد منهم قدح فيه سكنجبين أو جُلاّـب ومخوض وكوز ماء، ومنديل من مناديل الشراب نظيف ، فلا يتركون أحداً ممن يحضر الدار من القواد الخدم السلطانيين والكتاب والعمال إلا عرضوا ذلك عليه (١) . وكانت داره مدينه بذاتها ، حتى كان بها فوجان من الخياطين (٢) .وكان فى جانب الدار أدراج كثيره لأصحاب الحوائج والمتظلّمين ، حتى لا يلتزم أحد منهم موءونه لما يبتاعه من ذلك (٣) ؛ ولما خُلع على هذا الوزير خِلعَ الوزاره زاد فى ذلك اليوم ثمن الشمع قيراطاً فى كل مَنٍّ ، وزاد سعر القراطيس لكثره استعماله لهما ، ولأنه كان من رسمه ألا يخرج أحد من داره وقت العشاء إلا ومعه شمعه منويه ودرج منصورى . وقد سُقى فى داره فى ذلك اليوم والليله إربعون ألف رطل ثلجاً(٤) ، وجرى رسمه مده وزارته أن يعطى

١- كتاب الوزراء ص ١٤٢، ٢٠١، ٢٤٠، ١٩٥ ١٩٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٧٦ .

٣- نفس المصدر ص١٩٥.

٤- نفس المصدر ص ٦٣ .

كلٌّ من يخرج من داره عند اصفرار الشمس شمعه (١) .

وفى عام ٣١١ه ٩٢٣م اتخذ ابن الفرات مارستانا ببغداد ، وكان ينفق عليه مائتى دينار من ماله فى كل شهر (٢) . وكان هذا الوزير يحمل بين جنبيه نفسه كبيره ، فلقد قُدِّمت إليه جرائد بأسماء من يعاديه ، ويدبّر فى زوال أمره ، فلم يفتح الصناديق التى كانت فيها ، وأحرقها وقال لمن كان حاضراً: واللّه لو فتحتُها وقرأت ما فيها لفسدت نياتُ الناس كلَّهم علينا ، واستضعروا الخوف منا ومع فعلنا ما فعلناه طوينا الّأمور بهذا ، فهدأت القلوب واطمأنت النوفس (٣).

ولما فسد أمره عند المقتدر وتألب عليه الجميع أشار عليه بعض المشيرين أن يقسِّط على نفسه وكتّابه وعُماله ما يحمله للخليفه ، فيرضى عنه ، فقال :« فأى شئ أقبح بى ، مع علوّ همتى ، وكثره نعمتى ، من أن أسنشئ أصحاباً وعمّالا ، يلون بولايتى ، وينكبون بنكبتى ، وبتصرّ فى ، ويتعطلون بعطلتى ، ثم أزيل نعمهم وأحوالهم بيدى وفى أيامى : القتل واللّه أهون من ذلك » (٤).

وحُكى أن رجلا۔ اتصلت عُطلَتُه ، وانقطعت مادته ؛ فحمل نفسه على أن زوَّر كتاباً من أبى الحسن بن الفرات إلى عامل مصر للوصايه به والإحسان إليه ، فارتاب العامل بالخطاب وارتبط الرجل عنده على وعد ، وأنفذ الكتاب إلى ابن

١- نفس المصدر ص ١٤٢؛ وقد أساء مترجم كتاب عمد المنسوب للثعالبى فهم بعض هذه النصوص، انظر ٥٠, ZDMG VI؛ وانظر أيضاً كتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للنعالى طبعه القاهره ١٣٢٦ه ١٩٠٨م ص ١٦٩(المترجم) .

٢- المنتظم ص٢٣ب.

٣- كتاب الوزراء ص ١١٩، ويحكى مثل هذا عن المأمون (الطبرى ج ٣ ص ١٠٧٤) .

٤- كتاب الوزراء ص ٩٨ ٩٧ .

الفرات ؛ ورأى ابن الفرات أن يستشير كُتّابه ، فأشار بعضهم بالتأديب أو بقطع إبهامه أو بكشف قصته للعامل حتى يطرده ويحرمه ، فقال ابن الفرات :« ما أبعدكم من الخيريه ! رجل توسبل بنا ، وتحمل المشقه إلى مصر فى تأميل الصلاح بجاهنا ، واستمداد صنع اللّه ورزقظ بالانتساب إلينا ، تكون أحسن أحواله عند أجملكم محضراً تكذيبُ طنه وتخيبُ سعيه ! واللّه لا كان هذا أبداً » ؛ ثم أخذ القلم ووقع بخطه على ظهر الكتاب المزورَّ يوصى به ، ويقول إن الكتاب كتابه (١).

ولما نُكتب الوزير على بن عيسى وتذلّل لا بن الفرات لا بن الفرات حتى قبّل يده وقام لابنه المحسَّن ، وكان ابن عشر سنين ، قال ابن الفرات بعد انصراف على : رأيتم تَظامُنَ على بن عيسى للنكبه واستعانته عليها بالاستعطاف والتذلُّل ، وهذه طريقه لا أحسانها ، لأن كبدى فى المحن كإكباد الإبل ، لا جرم أنها نزداد وتتضاعف (٢).

وقد أكسبته الخدمه الطويله خبره بشوءون الوزاره و إداره الدوله ؛ وقد استطاع أن يسيطر على حياه الدوله الاقتصاديه المتشعبه سيطره كامله ، حتى استحق من وجوه كثيره أن يقول على بن عيسى لما كُذِب عليه بموت ابن الفرات: اليوم ماتت الكتابه (٣) ومن حِكَمه السياسيه القاسيه قوله : أصل أمور السلطان مَخرَقهٌ، فإذا تمّت واستحكمت صارت سياسه ، وقوله :تَمشِيَهُ أمور السلطان على الخطأ خير من وقوفها عند الصواب ؛ وكان يقول : إذا كانت لك حاجه ذلى الوزير . فاستطعت أن تقضيها بخازن الديوان أو كاتب سرّه فافعل ولا تبلغ إليه فيها (٤).

١- نفس المصدر ص ١١٣؛ والمنتظم ص ٢٨ب. .

٢- الوزراء ص ٣٠٦، ٣٠٧ .

٣- نفس المصدر ص ٢٨٣ .

٤- كتاب الوزراء ص ٦٤، ١١٩ .

على أنه لم يتحرّج ولم يتهيب من مدّيده إلى خزانةّ الدوله ؛ بل أضاف هو وأخوه كثيراً من ضياع السلطان إلى أملاـ كهما ، وعظم دَخلُهما ؛ وقد وجد أعداوءه من الطعن فيه أنه لما صودر وُجد فى ودائعه ما هو مختوم بختم أبى خراسان خازن المعتضد على بيت مال القلعه ، ووُجد عنده مالٌ أكثره محمول من بيت مال الخاصه (١) قال أبوعلى بن مقله كاتب ابن الفرات ، وقد جرى ذكر هذا الوزير : « يا قوم ! هل سمعتم بمن سرق فى عشر خطوات سبعمائه ألف دينار ؟ قلنا :كيف ذلكك ؟ قال كنت بين يدى ابن الفرات فى وزارته الّأولى ، نحن فى دار الخلافه نقَرّر أرزاق الجيش ، ونقيم وجوه مال البيعه ونرتّب إطلاقه، وذلكك عقيب فتنه ابن المعتز ، فلما فرغ مما أوءاده خرج وركب طيارَه ، وبلغ نهر المعلَّى ، فقال: إننا للّه إنا للّه ! قفوا ! فوقف الملّاحون ؛ فقال لى : وقَّع إلى إبى خراسان صاحب بيت المال بحمل سبعمائه ألف دينار تُضاف إلى مال البيعه ، وتُفَرَّق على الرجال ، فقلت فى نفسى : أليس قد وجّهنا وجوه المال كله ؟ ما هذه الزياده ووقّعت بما رسمه ، وعلَّم فيه بخطه ، ودفعه إلى غلام ، وقال :لا تنزح من بيت المال حتى تحمل هذا المال الساعه إى دارى ، ثم ذكر أنه باب لا يبفق مثلُه سريعاً ، ويحتمل ما احتمله من هذا الاقتطاع الكثير ، فاستدركك من رأيه ما استدركك ».(٢).

وكان الوزير على بن عيسى زميل ابن الفرات من قبل ومنافسه من بعد يخالفه مخالفه تامه . وينتمى على بن عيسى إلى أسره قديمه من الكُتَّاب (٣) ؛ قال

١- نفس المصدر ص ١٣٤ ١٣٣، ١٣٩ .

٢- نفس المصدر ص ١١٧ .

٣- المنتظم ص ٧٦ب .

معاطره الصولی : ولا أعلم أنه وزر لبنی العباس وزیر یشبهه فی زهده وتعبُّده ؛ فقد کان یصوم نهازه ویقوم لیله (۱).

وکان یخرج نصف ما یرتفع له فی السنه فی أبواب البز وسبل الخیر (۲) وکان متهاونا قلیل المبالاه حتی إنه لم یستطع أ ن یغیر طبعه فی کلامه عند مخاطبه الخلیفه ، وذلک علی عکس ابن الفرات، مما أحفظ الخلیفه علیه (۳).

وقد طلب الأخفش اللغوی (المتوفی عام ۳۱۵ه) من علی بن عیسی أن یجری علیه زرقا ، ووسّط فی ذلک أبا علی بن مقله ، فانتهره علی بن عیسی انتهاراً شدیداً فی مجلس حافل ، فشق ذلک علی ابن مقله ، وقام من مجلسه « وقد اسودّت الدنیا فی عینیه »؛ ووقف الأخفش علی الصوره فاغتم وقیل إنه قبض علی قلبه فمات (۴).

وکان علی بن عیسی متمسکا بالوقار ، ولا رُوءی قط متبذلّا ، ولا کان یفارق الخفّ فی أکثر أوقاته إلا إذا أوی إلی فراشه أو قعد مع حُرَمه (۵).

وکان یستغل بالنظر فی أمور الدوله لیله ونهاره (۶).

وکان یجعل وراءه کل باب مسورَّره ، ویسبِل علیها ستراً طویلاً یغطّیها ، فإذا جلس بعد عمله الکثیر فی أخریات النهار مجلساً حافلا ألصق بها ظهره لئلا

۱- حسن المحاضره للسیوطی ج ۲ص ۱۲۶ .

۲- کتاب الوزراء ص ۳۲۳ ۳۲۲ .

۳- نفس المصدر ص ۳۳۴ ۳۳۳ .

۴- الإرشاد لیاقوت ج ۵ ص ۲۲۵ ۲۲۴ .

۵- کتاب الوزراء ص ۳۲۵ .

۶- عریب ص ۱۳۰ .

يشاهد مستنداً تمسُّكا بالوقار (١)

وقـد رأينا فيما تقدم ما أصابه من الذله والاستكانه بعد عزله من الوزاره ، وكان لتدينه وورعه يلوم ابن الفرات على تقليده ديوان جيش المسلمين لرجل نصرانى (٢): وقد تحرّج من تقليد أبنائه الأعمالَ مده وزارته (٣) وحاول أن يتدارك العجز فى بيت المال بالاقتصـاد فى الأـمور الصـغيره فـأنقص أرزاق العمـال والجنـد ، وأسـقط ما كان يفَرَّق على القواد والفرسان فى كل عيـد ؛ وكان ذلـك من شـاه إلى عـده بعران ؛ وحاول أن يمنع من امتـداد الأيـدى إلى الأموال العامه . ولكن ابن الفرات شـنَّع عليه بقوله:يا أبا الحسـن على بن عيسـى ! شـغلت نفسـك بأخلاـق المملكه والنظر فى علـوفه البـط والحطيطه من أرزاق النـاس ، ومـا يجرى هـذا المجرى من الصغار المتهجنات؛ لَعِمارَه بيدرٍ واحد أصلح للسلطان وأَعوَدس عليه من توفيرك ما توتقرّبت به إليه . وكان يوفرمن الأشـياء الصـغيره ويحكى أنه قضى مره ساعه يناظر فى علوفه البط حتى إن المتولى لكيل العلوفه سأل كاتبه عن رزقه فى الشهر ، ووجد أنه يتقاضى عن الساعه عشرين ديناراً، فقال :« قد نظر الوزير فى أكثر من ساعه لتوفير مالايبلغ ما استحقه من الرزق ».

ولكن على بن عيسـى مع تقواه هـذه وتدقيقه فى الأمور الصـغيره لم يصدُق الخليفه حينما راسـله ليقرّ بما عنده من أموال ؛ فكتب يذكر أنه لا يقدر على أكثر

١- الوزراء ص٩٥، ولكن يقال إنه كان له مشيرون من النصارى ٢٤١ ,Barhebr. Chron. Eccles. III.

٢- الوزراء ص٩٥، ولكن يقال إنه كان له مشيرون من النصارى ٢٤١ ,Barhebr. Chron. Eccles. III.

٣- كتاب الوزراء ص ٢٦٦(؟) .

من ثالثه آلاف دينار ، هذا وقد وُجد له بعد ذلك عند رجل سبعه عشر ألف دينار .

ولما ضيبقوا عليه استجاب أخيراً إلى دفع ثالثمائه ألف دينار ، يعجُّل منها الثلث فى ثالثين يوما ، ويوءدى الباقى على رسم المصادرات(١) .

وكان على بن عيسى يوبخ أبا عبد اللّه البريدى لأنه حلف للسلطان أن استغلال ضيعته عشره آلاف دينار، وهو فى الحقيقه ثلاثون ألفاً ، فقال البريدى إنه اقتدى بعلى ابن عيسى حيث حلف لا بن الفرات أن ارتفاع ضيعته عشرون ألفاً ، فوُجد بعد ذلك خمسين ألفاً ، فكأنه ألقم على بن عيسى حجراً (٢).

فلم يكن هذا الوزير نقى اليد تماما ، وقد فرَّط فى تضمين الشام ومصر ، وترك مالا معجَّلا إلى مال موءجَّل لا يدرى ما يجرى فيه ، وقد واجهه خصومه بذلك ، فلم يستطع أن يبرز هذا التصرف (٣).

وقد ولى أبوعلى محمد بن عبيد اللّه الخاقانى الوزراه مده سنتين ، وذلك بين وزاره ابن الفرات وعلى بن عيسى. وكان الخاقانى هذا ابن وزير ، وهو ينتمى إلى أسره من الأشراف المتصلين بالخلافه . ويذكّرنا ما سجله التاريخ من أمره بكثير من الديمقراطيين الذين يفتحون صدورهم للعامه : كان الخاقانى متخلقا عاميا ، إلا أنه كان خبيثاً داهيا (٤) ؛ فقد كان يوقّع بكل سوءال ، ويعِدُ بإنفاذ كل محال ، وكان من عادته إذا سُئِل حاجه أن يدق صدره بيده ، ويقول : نعم وكرامه ، حتى لُقّبَ «دقّ صدره » وبلغ من لين العريكه وقله البصيره وعدم تصور عواقب الأمور ،

١- كتاب الوزراء ص ٢٦٠، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٥١ .

٢- مسكويه ج ٥ ص ١٩٨ ١٩٧ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٩٠ .

٤- نفس المصدر ص ٢٨٠ .

وعدم المنع من شئ يخاطب فيه أن انبسطت العامه عليه فضلا عن الخاصه (١).

وقد صُوّرت شخصيته وأحيطت بحكايات مصحكه قيلت عن غيره ، وهى تدل على قله الأذى أحيانا وعلى سوء السريره أحيانا أخرى ، وكانت طريقته كثره التوليه والعزل ، فكان يعين فى المنصب الواحد رجالا كثيرين واحداً بعد واحد ، ولم يكن ذلك عن قله تقدير المسئوليه ، بل ليأخذ من كل منهم رشوه (٢).

ويحكى أنه اجتمع فى خان واحد بمدينه خلوان (بالعراق) سبعةُ أنفس ، وقد قلّد الخاقانى كلَّ واحد منهم ماه الكوفه فى عشرين يوما ؛ واجتمع بالموصل خمسه آخرون قد قلّدهم منصباً آخر ، وهناك تشاكوا ما بذلوه عن تقليدهم (٣) ويذكر أن الخاقانى قلّد عمالةَ بادور يا فى أحد عشر شهرا أحد عشر عاملا (٤).

وإذن فقد تقلّد منصبَ الوزاره فى أوائل القرن الرابع وزراء ثلاثه يختلف أحدهم عن صاحبه كل الاختلاف ، ولا يجمع بنهم إلا خصله واحده هى الخيانه التى بها انتهبوا خزانه الدوله .

أما حامد بن العباس (٥) الذى ولى الوزاره عام ٣٠٦ه ٩١٨م فقد كان على خلاف غيره من الوزراء ؛ لأنه لم يتخرّج فى الدواوين ، بل بدأ حياته بالاشتغال فى أمور التجاره والمال وضمان الخراج ، حتى عظم شأنه ؛ ولما ولى الوزاره

١- نفس المصدر ص ٢٦٣، ٢٧٦ .

٢- ذكر صاحب الفخرى (ص ٣١٣) ما قاله الشعراء المعاصرون هجاءً للخاقانى .

٣- الفخرى ص ٣١٤ ٣١٣، وكتاب الوزراء ص ٢٦٣ . ويذكر صاحب الفخرى أن التوليظ كانت للكوفه ، وهى الناحيه التى كانت تسمى عند الفرس ماه الكوفه .

٤- عريب ص ٣٩ .

٥- يجد القارئ ترجمه مختصره له فى المقدمه الإنجليزيه لكتاب الوزراء ص ١٨هامش رقم ١ .

وكان فى الثمانين من عمره ، واحتفظ بما كان بيده من ضمانات ؛ ولم يكن يعرف شيئاً من أمور الكتابه ، ولم يكن نصيبه من الوزاره إلاـ اللقب والخلعه ، وكان المدّبر للأمور على بن عيسى الذى كان وزيرا من قبل ، وقد قال ابن بسَّام الشاعر مستهزئاً بحامد بن العباس (١):

ياابن الفرات تعزّء *** قد صار أمرك آيه

لمّا عُزلت حصلنا *** على وزير بدايه

وقد قيل فيهما :« هذا وزير بلاد سواد ؛ وذا سواد بلا وزير». ولما سأل حامد بن العباس الخليفه المقتدر إطلاق ش على بن عيسى والإذن له فى استخلافه فى الدواوين لقله خبره حامد بالوزاره ، قال المقتدر : ما أحسب أن على بن عيسى يجيب إلى ذلك ، ويرضى بأن يكون تابعاً بعد أن كان رئيسا ، فقال حامد بحضره الناس : إنما مثل الكاتب كمثل الخياط ، يخيط ثوبا بعشر دراهم ، ويحيط ثوبا قيمته ألف دينار ، فضحك الناس منه واستنقصوه (٢) ولما ناظر حامدُ بن العباس ابنَ الفرات بعد عزله أفحش له فى القول فقال له ابن الفرات : ليس ما أنت فيه بَيدَراً تقسمه ، وأَكَّارا تشتمه وتحلق لحيته وتضربه ، وعاملا تذبح دابّته وتعلق رأسها فى عنقه ، فإنما هذا الدار دار خليفه(٣).

وقد أظهر من الأبّهه ما يظهره ذوو المجد الحديث لاـ الموءثَّل ؛ فكان له ألف وسبعمائه حاجب وأربعمائه مملوك يحملون السلاح ، لكل واحد منهم مماليك ؛

١- الإرشاد لياقوت ج ٥ص ٣٢٥ .

٢- كتاب العيون ص ٩٤، ب .

٣- كتاب الوزراء ص ٩٢، كتاب العيون ص ٩٥ .

وكان الملاحون فى حرّاقته من الخصيان البيض ، وهم أغلى الخصيان ثمناً(١) .

وقد جرى بينه وبين مفلح الأسود كلام مره ، فقال له حامد :« لقد همت أن أشترى مائه خادم أسود وأسميهم مفلحا وأهبهم لغلمانى »(٢).

وكان ظاهر المروء ه كثير العطاء ؛ فيحكى أن أحد خدم المقتدر شكا إليه فناء شعيره ، فكتب له بمائه كرّمن الشعير ؛ وكان ينفق على الطعام كل يوم مائتى دينار ، ولا يسمح بأن يخرج من الدار أحد من الجلَّه والحاشيه والعامه وغيرهم ، إذا حضر الطعام ، إلا يأكل ، حتى غلمان الناس ؛ ورما نُصب فى داره فى اليوم الواحد أربعون مائده . وقد أهدى إلى المقتدر بستانا أنفق على بنائه مائه ألف دينارف ويحكى أنه ركب يوما إلى بستان له ، فرأى فى طريقه داراً محترفه وشيخاً يبكى ، وحوله صبيان ونساء على مثل حاله؛ فلما عرف أن داره قد احترقت وأنه افتقر بألّم قلبه، وتنغَّصت عليه النزهه بسبب ذلك ، ولم تسمح له نفسه بالتوجه إلى بستانه إلا بعد أن أمر أن تُبنى الدار كما كانت ، وتوضع فيها الفراش وكل ما كان فيها ، حتى إذا عاد العشيه من النزهه وجد الشيخ وعياله كما كانوا ، وقد بُنيت الدارُ على أحسن مما كانت ، وأُنفق فى ذلك مال كثير (٣).

ولكن حامد بن العباس لم يتورّع من خزن الحبوب فى العراق وخوزستان وأصفهان ، بعد أن كان قد ضمن هذه البلاد بمال يدفعه للخليفه ، حتى ارتفعت الأسعار ، وأدَّى ذلك إلى اضطراب العامه وثورتهم عليه حتى فُسخ الضمان (٤).

١- المنتظم ص ٢٥، ب .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ١٠٢ .

٣- المنتظم ص ١٩ ؛ ٢٥، ب؛ ٢٦ .

٤- نفس المصدر ص ١٨ .

أما الوزير ابن مقله (ولـد فى بغداد عام ٢٧٢ه ٨٨٥م) فقـد نشأ من بيت متواضع (١)؛ وتقلّد الوزارّه ، وهو فى الستين من العمر ، وكان ممن استغل بين يدى ابن الفرات وارتفع بسببه (٢) .

وقد تعلم منه الشى الكثير ، ومن ذلك أنه استطاع أن يجمع كثيراً من المال فى سنين قليله ؛ ووزرر لثاثه خلفاء فى أوائل القرن الرابع ، وبنى لنفسه داراً عظيمه فى بقعه من أحسن بقاع مدينه السلام .

وكـان يعتقـد بالنجوم ، فجمع المنجمين ، حتى اختاروا له وقت البنايه ، فوضع أساس الـدار بين المغرب والعشاء وكان له بستان كبير أنشأه بلا نخل ، وعمل له شبكه ابريسم ، وكانت تفرخ فيه الطيور التى لا تفرخ إلا فى الشجر كالقمارى والدباسى والهزار والببَّغ والبلابل الطواويس ؛ وكان فيه من الغزال والبقر البدويه والنعام والإبل وحمير الوحش .

وكـان يحاول أن يجرب التزاوج بين الحيوان ، وبُشّر مره بأن طائراً بحريا وقع على طائر برّى، فأزوجا وباضا وأقفسا ، فأعطى من بشّر بذلك مائه دينار (٣).

وكـان ابن مقله صاحب موءامرات ، جريئاً فى ذلك ؛ ويتهمه الموءرخون بالأيقاع بين القاهر (٣٢٢ه ٩٣٤م) وجنده وبأنه شحذ نياتهم ، و جمع كلمتهم على قصد

١- كان بين جحظه الشاعر وبين ابن مقاله صداقه قبل الوزاره فلما استوزر استأذن عليه جحظه ؛ فلم يوءذن له ؛ فقال : قل للوزير أدام اللّه دولته *** أذكر منادمتى والخبز خشكار أذ ليس بالباب برذون لنوبتكم *** ولا حمار ولا فى الشط طيار (المنتظم ص ٦٤ ب).

٢- كتاب العيون ص ٧٣ ، والمنتظم ص ٦٤ .

٣- المنتظم ص ٦٤ ب .

القاهر والفتك به (۱).

وقد سعى عند بحكم وعند الخليفه الراضى على ابن رائق الذى كان فى ذلك الحين قابضاً على زمام الامور ببغداد و ذلك لأن ابن رائق لما صار إليه تدبير المملكه قبض على ضياع ابن مقله (۲).

ولكن الخليفه احتال حتى قبض عليه وسلّمه لا ـ بن رائق ، وذلك على الرغم من أنه استشار المنجمين فى اختيار وقت للقاء الخليفه (۳) واستقر الأمر على معاقبته بقطع يده اليمنى (۴) ؛ ومن نكدا الدنيا ، كما يقول الثعالبى ، أن مثل هذه اليد النفيسه تُقطع ؛ لأن خط ابن مقله كان من أحسن خطوط الدنيا ، وهو أكبر موءسس للكتابه العربيه الجديده التى ظلت مستعمله طول القرن الرابع الهجرى (۵) . على أن ابن مقله بدلاً من أن يكتب بيده اليسرى كان يشدّ القلم على ساعده الأيمن ويكتب (۶) ؛ غير أنه ، رغم ما حلّ به ، واصل سعاياته ودسائسه غير راجع عن ذلك ، فقطع لسانه بعد ثلاث سنين ، وبقى فى الحبس مده طويله ، حتى مات .

وقد وصف الموءرخون حال هذا الرجل فى آخر أيامه ، بعد القوه وحياه الأشبه ؛ فيقال إنه كان لا يجد من يخدمه ، حتى كان يستقى الماء بنفسه من البئر ،

۱- مسكويه ج ۵ ص ۴۴۸ ۴۴۷ .

۲- كتاب العيون ص ۱۵۷ب .

۳- نفس المصدر ص ۱۵۹ب .

۴- نفس المصدر ص ۱۶۱ب ، ۱۶۲ب ، وقد وصف الطبيب ثابت بن سنان حال الذراع بعد قطعها ، انظر مسكويه ج ۵ ص ۵۸۲ ۵۸۱ .

۵- كان فى خزانه كتب عضد الدوله بشيراز مصحف بخط أبى على بن مقله فى ثلاثين جزءاً مجلداً ج الإرشاد لياقوت ج ۵ ص ۴۴۶، وانظ ثمار القلوب للثعالى ص ۱۶۷ .

۶- كتاب العيون ص ۱۶۳ب ج ۱۶۳ .

فيجذب حبل الدلو بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه (١).

ومن وزراء القرن الرابع أبوالعباس الخصيبى ؛ وكان يواصل شربش النبيذ بالليل والنوم بالنهار فى أيام وزارته كلها ؛ وكان ينتبه مخموراً لا فضل فيه للعمل ، فيترك فضب الكتب الوارده من عمال الخراج وقرائتها والتوقيع عليها وإخراجها ، ذلى الدواوين .

وكانت تُعمل له جوامع مختصره لما يرد من الكتب المهمه ، فتُعرض عليه إذا انتبه ، فربما قرأها ، ، وربما لم يقرأها . فيقروءها أبوالفرج إسرائيل النصرانى ، ويوقّع فيها بحسب ما يرى (٢) وكان الخصيبى مشغولا بالشراب واللعب ، ولا يحسن شيئاً غير المصادرات (٣).

وقد تولى الوزاره حوالى منتصف القرن الرابع أبو محمد الحسن للهلبى ، فكان وزيراً ذا كفايه عظيمه ؛ وأصله من آل المهلّب بن أبى صفره (٤) ، فهو إذن من ساده الإسلام الأولين ، وكان وطن المهالبه بالبصره ، حيث اتخذوا فى القرن الثالث الهجرى دوراً عظيمه عرُفت بحسنها(٥).

وكان أبو محمد المهلّبى ، قبل الوزاره ، فى شده عظيمه ؛ وسافر مره وهو على تلك الحاله ، فلقى فى سفره عنتاً شديداً ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، وأنشد فى ذلك الوقت شعراً تبرّم فيه بالحياه وتمنى أن يجد أحداً يبيع له الموت فيشتريه ؛

١- نفس المصدر ص ١٦٣ .

٢- مسكويه ج ٥ ٢٤٤ ٢٤٥. وكان اسم إسرائيل من أسماء النصارى التى اختصوا بها .

٣- نفس المصدر ص ٢٤٧ .

٤- يتيمه الدهر ج ٢ص ٨٨ .

٥- كتاب المرواه للثعالى مخطوط برلين رقم ٥٤٠٩ص ١٢٩ب .

وسمعه رفيق له ، فاشترى له لحماً بدرهم ، وأطعمه ، وتفارقا .

ثم تنقّلت الأحوال بالمهلّبى وتولى الوزاره ، وضاق الحال برفيقه الذى اشترى له اللحم ، وبلغه أنه تقلّد الوزاره ، فقصده ، وأنشده شعراً ذكّره فيه بعهده به ؛ فهزّت المهلبى أريحيه الكرم ، وأمر له بسبعمائه درهم وقلّده عملا يرتفق منه (١).

وفى عام ٣٣٤ه ٩٤٦م ، وهو العام التاريخى المشهور ، استولى المهلّبى على بغداد إلى أن وردها معز بُ الدوله (٢).

ونجد المهلبى قبل ذلك أى فى عام ٣٢٦ه ٩٣٨م وكيلا لأبى زكريا السوسى ، وكان السوسى هذا من كبار رجال المال(٣).

ثم استخلفه الوزير أبو جعفر الصيمرى على الأمور بمدينه السلام ؛ وأنا به بعد ذلك بحضره معز الدوله ، فحسُن موقعه عند معز الدوله ومال إليه وقرّبه ؛ فاشتد ذلك على الصيمرى ، فتطّلب للمهلبى الذنوب ، وأطلق فيه لسانه بالوقيعه (٤) ولما مات الوزير فى سنه ٣٣٩ ه ٩٥٠م استكتبه معز الدوله وآثره على جميع الكتّاب (٥) ؛ ولم يخاطب بالوزاره إلا فى سنه ٣٤٥ه. (٦) وكان الأصفهانى صاحب الآغانى منقطعاً إلى الوزير المهلّبى ، كثير المدح له ؛ وهو يصفه بأن له نظما كالدرّ ونثراً رقيقاً وقدره على التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل (٧) ؛

١- ثمره الأوراق للحموى ، على هامش محاضرات الأدباء ج ١ص ٨٢ .

٢- مسكويه ج ٦ص ١٢١ .

٣- نفس المصدر ج ٥ ص ٥٧٥ .

٤- الإرشاد لياقوت ج ٣ ص ١٨٠ .

٥- مسكويه ج ٦ ص ١٢١ .

٦- نفس المصدر ص ٢١٤ .

٧- اليتيمه ج ٢ ص ٢٧٩ ٢٧٨ .

ولكن المهلبى كان إلى جانب هذا قائداً محنّكا ، فمن ذلك أنه هزم صاحب عمان حينما غزا البصره وغنم منه وأسر(۱).

ولقد مات عام ۳۲۵ه ۹۶۳م وهو خارجٌ لفتح عمان ، وذلك بعد أَن لبث فى الوزاره أكثر من ثلاث عشره سنه كان فيها يدبر أمور أكبر ديوان فى الـدوله (۲) ؛ وكـان مخلصاً فى المحافظه على النظام ، فردَّ رسوم الضـرائب إلى ما كانت عليه قبل ظلم البريـديين (۳) ؛ وكان يوءدّب العابثين ، فمن ذلك أنه قبض على حاجب قاضى القضاه وضربه ضربَ التلف ، وكان يبلغه أن هـذا الرجل عاهر « يتعرض لحُرَم الناس ممن لهنَّ خصومه أو حاجه عنـد قاضـى القضاه» (۴) ؛ولكن المهلبى كـان يفعل فى بعض الأحيان ما يثير سـخطنا ، ومن أمثله ذلـك أنه تعقّب أحـد العمال ، وأخـذ فى التنقير عن أمواله وفى إرهاب غلمانه حتى ظفر بالمال الكثير ، واسـتعمل الـدهاء والمكر والبطش فى بلوغ ذلك ، وإن كان ليس فى هـذا ما يشـين عند خلفاء ذلك ذلك العهد وأمرائه ، حتى إن مسـكويه يذكر صنيع المهلبى معجباً بذكائه وصدق تخمينه ورضاء معز الدوله عنه (۵)؛بل نجد أن المهلّبى نفسه لم يسلم من مثل هذا المصير؛ فلما مات قبض معز الدوله على عياله وولده ومن دخل إليه يوما واحداً ، حتى الملاّحين والمُكارين الذين كانوا يخدمون حاشيته ، وصادرهم جميعا ، وفعل بهم مالا يفعل إلا بعدّ مكاشف ، حتى استطع الناس

۱- مسكويه ج ۶ ص ۱۹۰ .

۲- نفس المصدر ج ۶ ص ۲۵۸ ۲۵۷ .

۳- نفس المصدر ص ۱۶۹ .

۴- مسكويه ج ۶ ص ۲۴۴ ۲۴۳ .

۵- نفس المصدر ص ۲۴۸ ۲۴۷ .

ذلك واستقبحوه (١) ؛ وكان المهلبى يجد من سيده أميراً قاسيا ، فكان يلحقه منه أذى كثير ، حتى لقد ضربه بالمقارع مره مائه وخمسين مقرعه (٢).

ولم يكن على وفاق مع سبكتكين القائد التركى الذى كان أكبر ثقات معز الدوله (٣) ؛ ولكن المهلبى كان له على معز الدوله سلطانٌفى الأمور الهامه ، فلما أراد الأمير أن يترك بغداد لم يزل المهلبى به حتى صرفه عن رأيه ، فابتنى قصره العظيم ببغداد وبقى بها (٤) .

وكان ندماء المهلبى أعيان الفضل وساده ذوى العقل (٥)، من أهل الأّدب والعلوم ؛ وكانوا يجتمعون على كثير من الشراب والطرب . وقد تكلم مسكويه من المتحمسين للمهلبى (٦)؛ وقد حدث مره أنه صاغ دواه وَ مرقعاً ، وحّلاهما حليه ثقيله ، وكان بعض الكّتاب فى ديواه يتذاكرون سرَّ حسن الدواه ، وذلك على مسمع منه وغفله منهم ، فقال أحدهم : ما كان أحوجنى إليها لأبيعها وأنتفع بثمنها ، فقال له آخر : وأى شئ يعمل الوزير ؟ فأجابه :يدخل فى حر أُمِّه ؛ فلم يكن من المهلبى إلا أن أهدى الدواه ، ومعها عطايا أخرى للرجل الذى تمنها (٧).

ويحدثنا القاضى أبوعلى التنوخى ، معترفاً بفضل الوزير المهلبى ؛ فيقول إنه

١- نفس المصدر ص ٢٥٨ .

٢- انظر ما تقدم عند الكلام عن معز الدوله فى الفصل اخاص بالأمراء .

٣- مسكويه ج ٦ ص ٢٤٢ ٢٤١ .

٤- نفس المصدر ص ٢٤٢ ٢٤١.

٥- رساله فى الصداقه للتوحيدى ؛ طبعه الفسطنطينيه ص ٣٣ .

٦- مسكويه ج ٦ ص ١٦٦ .

٧- المنتظم ص ٩١ب .

استدعاه لطداقظ كانت بينه وبين أبيه وقلده عملا ، وكان أبوعلى يلازم الوزير ،فدخل عليه يوما قاضى القضاه أبوالسايب ، وكان أبوالسايب يبغض أبا على بزياده عداوه كانت لأبيه ؛ وأراد الوزير أن يلقى فى نفس القاضى رهبه أبى على ، حتى يرهبه ويكرمَه ؛ وعلم من خلق القاضى أنه لا ـ يجئ إلا ـ بالرهبه ؛ فأخذ الوزير يكلم الفتى ، ويوهم قاضى القضاه أنه يسارّه فى أمر من أمور الدوله ، وأمور الدوله وأفهم أباعلى غرضه من هذه المسارَّه ، وأنها شديده على نفس القاضى ، وقال له أن يمضى إليه فى الغد ليرى ما يعامله به ، فلما جاء إلى القاضى كاد يحمله على رأسه (١).

وكان أشهر الوزراء أواخر القرن الرابع ابن عباد الملقب بالصاحب (٢) الذى ولد عام ٣٢٦ وتوفى عام ٣٨٥ه ٩٩٥ ٩٣٨م، وزير بنى بويه بالرّى .

وكان فى بدء أمره معلماً فى قريه ، ثم ترقت به الحال ، بعد أن كان من صغار الكتاب ، إلى أن بلغ منصب الوزير المدبَّر لأمور الملك ؛ وكن الأمير الشاب الذى استوزره والذى أنشأ له ابن عباد مملكته لا يخالفه فى دمر من الأمور ، بل حَكّمه فى كل شئ، وكان يجلّه بكل ضروب الإجلال(٣)؛ ولما مات الصاحب عُمل له ما يعمل للملوك، فحضر جنازته مخدومهُ فخر الدوله وجميع أعيان المملكه ،

١- الإرشاد لياقوت ج ٦ ص ٢٥٤ ٢٥٣ .

٢- كان ابن عبّاد أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، ثم سمى بهذا الاسم عميد الجيوش حوالى عام ٤٠٠ه (ديوان الشريف الرضى طبعه بيروت ١٣٠٧ه ص ٣٢١) وبعد ذلك لقب به « كل من ولى الوزاره حتى خرافيش زماننا ، حمله اللحم وأخذه المكوس »(ابن تغرى بردى طبعه كليوفورنيا ص ٥٦) .

٣- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٧٣ والصفحات التاليه .

وقد غيروا لباسهم ؛ فلما خرج نعشه صاح الناس صيحه واحده ، وقبّلوا الأرض لنعشه ، ومشى فخر الدوله أمامه ، وقعد للعزاء أياما(١).

وكان ابن عبّاد من الأدباء ومن المعنّيين بأهل الأدب ؛ وقد شبّهه مادحوه بهارون الرشيد ، وذلك لأنه أشبه الرشيد بأن جمع حوله أحسن أهل اللّسن ، وكانت له مراسلات مع روءساء الأدباء بالشام وبغداد أمثال الرضى والصابى وابن الحجاج وابن سكّره وابن نباته (٢)، وكان فهرس كتبه عشره مجلدات، وملك من كتب العلم خاصه ما يحمل على أربعمائه جمل وذلك رغم أنه لم يكن خبيراً بالعلوم الإلهيه ، وأنه كان شديدى التعصب على أهل الحكمه والناظرين فى أجزائها كالهندسه والطب والتنجيم والموسيقى والنمنطق والعدد (٣). وتُذكر له رساله حسنه فى الطب (۴)؛ ولم يكن الصاحب يقدر على عطايا الأدباء عن سعه كما يحكى عمن تقدمه من إجزال العطاء لهم ، فقد « كان لا يزيد على مائه درهم وثوب إلى خمسمائه ، وما يبلغ إلى الألف نادر ، وما يوفى على الألف بديع »(۵).

وكان الصاحب يعجبه الخزُّ خاصه وكان يكثر من إهدائه ، فنظر أبوالقاسم الزعفرانى الشاعر يوما إلى من فى دار الصاحب من الخدم والحاشيه ، فوجد عليهم الخزوز الفاخره الملونه ، فكتب قصيده يطلب فيها كسوه من الخزّ قال

١- ابن تغرى بردى طبعه كليفورنيا ص ٥٧ .

٢- يتيمه الدهر ج ٣ ص ٣٢ .

٣- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٧۶، ٣١۵ .

۴- اليتيمه ج ٣ ص ۴٢ وما يليها .

۵- الإرشاد ج ٢ ص ٣٠۴، ج ۶ ص ٢٧۶. طلب الشاعر المغربى منه خمسمائه دينار فقال له : أنقصنا واجعلها دراهم .

فيها :

وحاشيه الدار يمشون فى *** ضروب من الخزّ إلا أنا

« فقـال الصـاحب . قرأت فى أخبار معن بن زائـده أن رجلا قال له : احملنى أيها الأمير ! فأمر له بناقه وفرسوبغله وحمار وجاريه ، ثم قـال: لو علمت أن اللّه تعـالى خلق مركوبـا غير هـذا لحملتـک عليه ؛ وقـد أمرنا لک من الخزّ بجبّه وقميص ودرّاعه وسـراويل وعمامه ومنديل ومطرف ورداء وجورب، ولو علمنا لباساً آخر يتّخذ من الخز لأعطينا كه »(۱).

غير أنه كـان من عـدم توفيق الصـاحب أنه أغضب التوحيـدى ، فأثار على نفسه الـذمّ من أقـذع الإلسـنه فى عصـره ؛ على د»ه قد وصلت إلينا رساله من أبى حيان كتبها للصاحب ومـدحه بها فى أول اتصاله به (۲) ثم انتهت العلاقـات بينهما بأن كتب أبوحيان رسـالته فى ذمّ الصاحب ، وكان فيها من الإقـذاع فى الثلب ما جعلها تعتبر جالبه للنحس والشوءم على من يقتنيها ؛ ومع هـذا فإنها من أروع آيات النثر العربى ، ومن أحسن ما كُتب فى تصوير شخصيات الناس فى القرن الرابع الهجرى .

فمن ذلـک أن أبـا حيان يقول : وكان أبوالفضل بن العميـد إذرآه قال : أحسب أن عينيه رسـكّبتا من زئبق ، وعنقه عُمل بلَولَب ؛ وصَدَقَ ، فإنه كان ظريف التشثّنى والتلَوّى ، شديد التفكك والتفتل ، كثير التعوّج والنموّج ، فى شكل المرأه الموسسه

۱- يتيمه الدهر ج ۳ ص ۳۴ ۳۳، والإرشاد لياقوت ج ۲ص ۳۲۰ .
۲- تجد الرساله فى الإرشاد ج ۲ ص ۲۹۸ والصفحات التاليه ، والموءلف قد فات عليه أن هذه الرساله من ابن العميد لابن عباد (المترجم) .

والفاجره الماجنه (١).

وعن أبى حيان أنه وصف الصاحب بأنه لا يرجع إلى التأله والرحمه والرقه والرأفه والرحمه ؛ والناس كلهم يحجمون عنه لجراءته وسلاطته واقتداره وبطشه ، شديد العقاب ، ضعيف الثواب .. مغلوب بحراره الرأس ، سريع الغضب ، قريب الطيره ، حسود حقود، وحسده وَقفٌ عيل أهل الفضل ، وحقده سار إلى أهل الكفايه .. وقد قتل خلقاً ، وأهلك ناساً ، ونفى أمه ، نخوه وبغياً ، تجبُّرا وزهوا ؛ ومع هذا يخدعه الصبى ويخلبه الغبى ، لأن المدخل عليه واسع ، والمأتى إليه سهل ، وذلك بأن يقال له :« مولاى يتقدم بأن أُعارشيئا من كلامه ورسائله منظومه ومنثورظ ، فما جُبتُ الأرض إليه من فرغانه ومصر وتفليس إلا لأستفيد من كلامه ، وأفصح به وأتعلم به البلاغه ؛ لكأنما رسائل مولانا سُور قرآن ، وفِقُرُه آيات فرقان ، واحتجاجه من أثنائها برهان ، فسبحان من جمع العالم فى واحد ،وأبرز جميع قدرته فى شخص ! »؛ فيلين عند ذلك ويذوب ، وليهى عن كل مهم ، وينسى كل فريضه عليه ، ويتقدم إلى الخازن بأن يخرج إليه رسائله مع الورق ، ويسهل الإذن عليه ، والوصول إليه والتمكن من مجلسه .. ثم يعمل فى أوقات كالعيد والفصل شعراً ، ويدفعه إلى أبى عيسى بن المنجم ، ويقول له : قد نحلتك هذه القصيده ؛ امد حنى بها فى جمله الشعراء وكن الثالث من المنشدين، فيفعل ذلك إبو عيسى ، وهو بغدادى محكّك ، قد شاخ على الخدائع وتحنّك ؛ وينشد فيقول الصاحب عند سماعه شعرَه فى نفسه وَوَصفشه بلسانه ، ومدحشه من تحبيره :

أُعِد يا أبا عيسى: فإنك واللّه مُجيد ، زه يا أبا عيسى ! قد صفا ذهنك، وزادت

١- الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٢٨٩ ٢٨٨ .

قريحتك وتنقبحت وقوافيك ، ليس هـذا من الطراز الأول ، حين أنشـدتنا فى العيد الماضـى ، مجالس تخرّج الناس ، وتهب لهم الذكاء وتزيدهم الفطنه ، وتحول الكودن عتيقاً .

والمحمّر جواداً ؛ ثم لا يصـرفه عن مجلسه إلا بجائزه سـنيه وعطيه هنيئه ، ويغايظ به الجماعه من الشـعراء وغيرهم ، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مصراعا ولا يزن بيتا ، ولا يذوق عروضا .. والذى غلطه فى نفسه ، وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه أنه لم يجَبَّه قط بَتخطئه ، ولا قوبل بتسوئه ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيدنا ، وصدق مولانا ، وللّه درّه ما رأينا مثله! من ابن عبد كان مضافا إليه ؟

ومن ابن ثوابه نقيسه عليه ؟ ومن ابراهيم بن العباس الصولى ؟ ومن صـريع الغوانى ؟ من أشـجع السلمى ، إذا سلك طريقهم ؟ قد اسـتدرك مولانا على الخليل فى العروض ، وعلى أبى عمرو ابن العلاء فى اللغه ، وعلى أبى يوسف فى القضاء ، وعلى الإسكافى فى المـوازنه ، وعلى ابـن نـوبخت فى الآـراء والـديانات ، وعلى ابـن مجاهـد فى القراءات ؛ وعلى ابـن جرير فى التفســير ، وعلى إرسـطاطليس فى المنطق ، وعلى الكنـدى فى الحذق ، وعلى ابن سـيرين فى العباره ف وعلى أبى العيناء فى البديهظ ، وعلى ابن كعب فى الفردوس(؟) وعلى عيسـى بن كعب فى الروايه ، وعلى الواقـدى فى الحفـظ ، وعلى النجار فى البـدل ، وعلى ابن ثوابه فى التقفيه ...

فتراه عند هذا الهذر وأشـباهه يتلوى ويبتسم ، ويطير فرحا به وينقسم ، ويقول : ولا كذى ، ثمره السـبق لهم ، وقصـرنا أن نلحقهم أو نقفو أثرهم ؛ وهو فى ذلك

يتشاجى ويتحايك ، ويلوى شدقه ويبتلع ريقه ، ويردّ كالاأخذ ، ويأخذ كالمتنع ، ويغضب فى عرض الرضى ، ويرضى فى لبوس الغضب ، ويتهالك ويتمالك ، ويتفاتك ويتمايل ، ويحاكى المومسات ، ويخرج فى أصحاب السماجات ؛ وهو ، مع هذا ، يظن أنه خافٍ على نقاد الأخلاق ، وجهابذه الأحوال ؛ وقد أفسده أيضاً ثقه صاحبه به ، وتعويله عليه ، وقله سماعه من الناصح فيه ، دلا لا ونزقا وعجبا ، واندراء على الناس ، وازدراء للصغار والكبار ، وجبهاً للصادر والوارد ، وفى الجمله آقانه كثيره وذنوبه جمَّه ، ولكن الغنى ربٌ غفور:

ذرينى للغنى أسعى فإنى *** رأيت الناس شرُّ هم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم *** وإن أمسى له حسب وخير

ويقصيه الندى وتزدريه *** خليلته وينهره الصغير

وتلقى ذالغنى ، وله جلال *** يكاد فوءاد صاحبه يطير

قليلٌ ذنبه ، والذنب جمّ *** ولكن الغنى رب غفور

قال : فكيف تتم له الأمور مع هذه الصفات ؟ قلت : واللّه لو أن عجوزاً بلهاء أو أمَةً ورهاء أُقيمت مقامه لكانت الأمور ، على هذا السياق ؛ لأنه قد أَمِن أن يقال: لِمَ فعلتَ؟ ولِمَ لَم تفعل ؟ وهذا باب لا يبفق لأحد ممن خدم الملوك إلا بجدٍّ سعيد .

ولقد نصح صاحبَه الهروى فى أموال تاويه وأمور من النظر عاريه ؛ فقذف بالرقعه إليه حتى عرف ما فيها ، ثم قتل الرافع حَنَقاً ، هذا وهو يدين بالوعيد ، وقال لى الثقه من أصحابه: ربما شرع فى أمر يحكم فيه بالخطأ ، فيقلبه جدُّه صواباً ، حتى كأنه عن وحى ؛ وأسرارُ اللّه فى خلفه عند الارتفاع والانحطاط خفيه ؛ ولو

جرت الأمور على موضع الرأى وقضيه العقل لكان معلماً فى مصطبه على شارع أو فى دارٍ لتانٍ ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفقيهه وتشادقه ، واستحقاره واستكباره ، وإعادته وإبدائه ؛ وهذه أشكال تعجب الصبيان ولا ولا تنفرَّهم عن المعلمين ؛ ويكون مرحهم به سبباً للملازمه والحرص على التعلم والحفظ والروايه والدراسه .. قال (أبوحيان) : وكان ابن عباد يقول للإنسان إذا قدم عليه من أهل العلم : يا أخى تكلّم واستأنس وانبسط ولا تُرَع .. ولا يروعك هذا الحشم والخدم .. فإن سلطان العلم فوق سلطان الولايه .. فقُل ماشئت .. فلست تجد عندنا إلا الإنصاف ،حتى إذا استوفى ما عند ذلك الإنسان بهذه الرخارف والحيل ، وسار الرجل معه فى حدوره على مذهب الثقه فحاجّه وضايقه ، ووضع يده على النكته الفاصله والأمر القاطع ، تنمَّر له ، وتغّير عليه ، ثم قال يا غلام : خذ بيد هذا الكلب إلى الحبس ، وضعه فيه بعد أن تصُبُّ على كاهله وظهره وجنبيه خمسمائه سوط وعصا ، فإنه معاند ضدّ ..؛ وليس الخبر كالعيان ؛ من لم يحضر ذلك المجلس لم ير منظراً رفيعاً ورجلا رقيعاً ..وهل عند ابن عباد ه إلا أصحاب الجدر يشغبون ويحمقون ويتصايحون ، وهو فيما بينهم يصيح (١) ..كان ابن عباد لا يسكت عما لا يعرف ؛ قال لكاتبه فى بعض الأيام بعد أن وبخه وأطال :« بادر إلى عمل حساب بتفصيل باب يبين فيه أمر دارى وما دخل عليه أمر دخلى وخرجى ؛ فتفرّد الكاتب أياماً وحّرر الحساب على قاعدته وأصله والرسم الذى هو معروف بين أهله ، وحمله إليه ؛ فأخذه من يده وأمرّ عينه فيه من غير تثبت أو فحص أو مسأله ، فحذف به إليه ، وقال : أهذا حساب؟ أهذا كتاب ؟ أهذا تحرير؟ أهذا

١- رساله فى الصداقه لأبى حيان ص ٣٣ طبعه القسطنطينيه عام ١٣٠١ه .

تقرير؟ أهـذا تفصـيل؟ أهـذا تحصـيل؟ واللّه لولاـ أبى ربيتك فى دارى ، وشُـغلت بتخريجك ليلى ونهارى ، ولك حرمه الصبى ورعـايه الآبـاء لأطعمتـك هـذا الطومـار ، وأحرقتك بالنفط والقار ، وأدّبت بك كلَّ كاتب وحاسب ، وجعلتك مُثله لكل شاهد وغائب ، أمِثلى يموِّه عليه ويطمع فيما لديه ، وأنا خُلقت للحسابه والكتابه ؟ واللّه ما أنام ليله إلا وأُحصل فى نفسـى ارتفاعَ العراق ، ودَخل الآفاق ؛ أغرَّك منى أنى أجررت رسـنك ، وأخفيت قبيحك ، وأبـديت حسـنك؟ غير هـذا الـذى رفعت ، وأعرف قبل وبعـد ما صـنعت ، واعلم أنك من الآخره قـد رجعت ، فزد فى صـلاتك وصـدقك ، ولا تعوّل على قحتك وصـلابه حـدقتك»؛ يقول الكتابت :«فواللّه ما هالنى كلامُه ولا دحاك فى بهذيانُه ؛ لأنى كنت أعلم جهله فى الحسابه ونقصه فى هذا الباب ؛ فذهبت وأفسـدت ، وأخرت وقـدمت ، وكابرت وتعمـدت ؛ ثم رددته إليه فنظر فيه ، وضـحك فى وجهى ؛ وقال : أحسـنت ، بارك اللّه عليـك ! هكـذا أردت ، وهـذ ا بعينه طلبت ، لو تغـافلت عنـك فى أول الأمر لما تيقظت فى الثانى ؛ فهـذا كما ترى ، أعجب منه كيف شئت »(١)

أما ابن العميـد (المتوفى عام ٣٦٠ه ٩٧١م) فقـد صوّره لنا ابنُ مسـكويه فى تارخه ، وكان خازنا لـدار كتبه مده طويله ، وبقى فى نفسه لا بن العميد صوره ودثر قويان ، حتى إن التوحيدى يهزأ بابن مسـكويه ويعيبه بأنه يفسد قوله بكثره ذكره : قال الهلبى ، قال ابن العميد ، فعل ابن العميد (٢).

وقد ابتدأ مسكويه بمدح بطله بالقدره على الحفظ ؛ وكان لهذه المزيه فى ذلك

١– الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٣٨١ ،٢٧٦ ٢٩٠ ٢٨٩ ٢٨٨ .

٢– رساله فى الصداقه للتوحيدى طبعه القسطنطينيه ص ٣٢ .

العصر قيمه ًأكبر مما لها اليوم ؛ يقول الموءرخ :« وحدثني غير مره أنه كان فى حداثته يخاطر رفقاءه والأدباء الذين يعاشرهم على حفظ ألف بيت فى يوم واحـد ؛ وكان رحمه اللّه أثقل وزنا وأكبر قـدراً من أن يتزيد ..وكذلك شـعره الذى جد فيه وهزل ، فإنه فى أعلى درجات الشـعر ..فأما المنطق وعلوم الفلسـفه والإلهيات منها خاصه فما جسـر أحدٌ فى زمانه أن يدَّعيها بحضرته ، إلا أن يكون مستفيداً أو قاصداً قصد التعلّم دون المذاكره .

ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضه التى لا يـدعيها أحـدٌ كعلوم الحيل التى يحتاج فيها إى أواخر علوم الهندسه والطبيعه ، والحركات الغريبه وجرّالثقيل ومعرفه مركز الأثقال وإخراج كثير مما امتنع على القـدساء من القوه إلى الفعل ، وعمل آلات غريبه لفتـح القلاـع والحيـل على الحصون، وحيل فى الحروب مثل ذلك ، واتخاذ أسـلحه عجيبه بسـهام تنفـذ أمـداً بعيـداً ونوءثر آثاراً عظيمه ، ومرايا محرقه على مسافه بعيده جدا ، ولُطف كفٍّ لم يسمع بمثله ومعرفه بدقائق علم التصاوير ، وقد رأيته يتناول التفاحه أو ما يجرى مجراها ؛ فيبعث بها ساعه ، ثم يـدحرجها ، وعليها صوره وجه قـد خطها بظفره ، لو تعمد لها غيره بالآلات المعده فى الأيام الكثيره ما تأتى له مثلُها ؛ فـدا اظطلاعه بأمور الملك فقـد دلت عله رسائله . ولا سـيما رسالته التى يخبر فيها باضـطراب أمر فارس وسوأ سـياسه من تقـدمه لها ، وما يجب أن تُتلافى به ، حتى تعود إلى باحسن أحوالها؛ « فإن هذه رساله تُتَعلّم منها صـناعُه الوزاره » ..ولما حصل بفارس علّم عضدَ الدوله وجوه التدابير السديده وصناعةَ الملك التى هى « سناعه الصناعات »، ولقّنه ذلك تلقيناً ، فصادف متعلما لُقنا ؛ حتى قال عضد الدوله مراراً : إن أبا الفضل بن العميد

كان أستاذنا ؛ وكان لايذكره فى حياته إلا الأستاذ الرئيس .

وكـان ابن العميـد يقود الجيوش ويحضـر المعـارك ، وكـان أسـداً فى الشـجاعه لا يسـطلى بناره ، ولا يـدخل فى غباره ؛ وكا ن يركب العمّاريات ، ولا يستل ظهور الدوابّ لإفراط عله النقرس وغيرها عليه .وكان قليل الكلام نزر الحديث ذلا أذا سُئل ووجد من يقهم عنه ؛ وكان لحسن عشـرته وطهاره أخلاقه أذا دخل إليه أديبٌ أو عالم متفرّدٌ بفنّ سـكت له ،وأصـغى إليه ، واستحسـن كـل مـا يسـمعه منه استحسان من لا يعرف منه إلا قـدر ما يقهم به ما يورده عليه ؛ حتى إذا طاوله ، وأتت الشـهور والسـنون على محاضرته ، واتفق له أن يسأله عن شئ تدفّق حينئذ بحرُه ، وجاس خاطرُه وبُهت من كان عند نفسه أنه بارع فى ذلك الفن ؛ « وما أكـثر من خجـل عنـده من المعجـبين بأنفسـهم !»؛ وكـان مركزه فى غـايه الصـعوبه ، وهـو بين أمير لم تكن له بين جنـده هيبه إلا بالمـداراه والمسـامحه فى أشـياء كثيره وإطلاـق الأيـدى بـالبعث ، ولم يكن يسـتجيب إلى عمـاره البلاد « خوفاً من إخراج درهم واحـد من الخزانه ، ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت » ، وبين جند الديلم الذين كانوا يطالبون بالمحالات ، ويثقلون موءونتهم على الرعيه ، ويتواعـدون بالليل إلى مواضع غامضه يجتمعون فيها ؛ وربما خرجوا إلى الصـحراء بقـدر ما يدبرون الرأى فى وجه الحيله وترتيب ما يريـدون ؛ ولكن ابن العميـد اسـتطاع على الرغم من هـذا أن يعيـد النظام حتى اسـتقام الأمر ، وقامت الهيبه فى صدور الجنـد والرعيه ويحكى ابن مسـكويه أنه كان يكفى ابن العميـد أن يرفع الطرف إلى أحدهم على طريق الإنكار ، فترتعد الأعضاء وتضطرب ، وتسترخى المفاصل، وأنه شاهد ذلك فى مواقف كثيره . وقد استطاع

أن يعرف طبائع الـديلم ومـا فيهم من حسـد وجشع ، وأنه لا ـيملكهم أحـد إلا ـ بترك الزينه، وبـذل مالا يبطهم ولا يخرجهم إلى التحاسد، وبترك التكبر عليهم ، وبالظهور فى مرتبه أوسطهم حالا. ولما رأى ابن العميد أن ابنه يحب أن يسير فى خواص الديلم، ويستميل قولبَهم بالخِلَع والهدايا، ويدعوهم إلى اللعب والصيد، ويستضيفهم فى الصحراء، نهاه عن ذلك ووعظه ألايسير معهم هـذه السيره، ولكن النصحَ لم ينفع؛ فتجرّع ابن العميد غيظه، وزاد ذلك فى مرضه، حتى مات فى همذان، وهو يقول فى مجلس خلواته: مـا يهلـك آلَ العميـد، ولا يمحو آثارهم من الأرض إلا هـذا الصبى، يعنى ابنه؛ وكان يقول فى مرضه: ما قتلنى إَلا جُرَع الغيظ التى تجرّعتها منه(۱).

۱- مسكويه ج ۶ ص ۳۵۸ ۳۵۱ ۳۴۷ ۳۴۵ .

تعلیقات الفصل السابع

[*۱] ذکر السید (۱) الخوانساری له تألیف کتاب فی علم الکلام و عده (۲) الشیخ الحر فی الامل من المتکلمین و کذا صاحب الریاض (۳) و عده الامینی قدس سره (۴) والسید الصدر قدس سره فیلسوفاً متکلماً فقیها محدثاً مورخاً لغویاً نحویاً أدبیاً کاتباً شاعراً من کتبه کتاب اسماء الله و صفاته و کتاب نهج السبیل فی الاصول و کتاب الامامه فی تفضیل امیر المؤمنین و کتاب ابانه (۵) عن الامامه (أو عن مذهب اهل العدل) و عد من آثاره کتاب القضاء والقدر و رساله فی الهدایه و الضلاله.

و ما ذکره المصنف بقوله و کان لا یزید علی مأه درهم.

لا یناسب التفاف (۶) الادباء لا سیما الشعراء حوله، و جاء فی احواله (۷)انه لا یدخل علیه فی شهر رمضان بعد العصر احد کاینا من کان فیخرج من داره إلا بعد الافطار عنده و کانت داره لا تخلو فی کل لیله من لیالی شهر رمضان من الف نفس مفطره فیها و کانت صلاته و صدقاته و قرباته فی هذا الشهر تبلغ مبلغ ما یطلق منها فی جمیع شهور السنه. و یحکی

۱- روضات الجنات ج۲، ص ۱۹-۴۳

۲- تأسیس الشیعه ۱۶۰-۱۶۱.

۳- الریاض ج۱ ص ۸۴.

۴- الغدیر ج۴ ص ۴۵.

۵- تأسیس الشیعه ۱۶۱ الغدیر ج ۴ ص ۴۶.

۶- روضات الجنات ج۲ ص ۱۹.

۷- سفینه البحار ج۲ ص ۱۴-۱۳، مجالس المؤمنین ج۲، ص ۴۴۶-۴۵۱.

انه کان ینفذ إلی بغداد فی السنه خمسه آلاف دینار تفرق علی الفقهاء و الأدباء، و قیل عنه لم یرفی احد من أهل العالم مثل ما رأی فیه من الکرم و السماحه، و مما یریبنا لصدق المؤلف و ان کان الذنب علی من نقل عنهم. توجد هم من تشیعه.

فقد کتب فی رقعه الاموی الذی جاءه مستعطیاً مادحاً لنفسه و للصاحب بابیات.

انا رجل یرموننی الناس بالرفض *** فلا عاش حربی لدی علی خفض

ذرونی و آل المصطفی خیره الوری *** و ان لهم حبی کما لهم بغض

و لو ان عضواً ما عن آل احمد *** لشاهدت بعضی قد تبرأ من بعضی

و أورد (۱) الأمینی انه مرض بالاهواز باسهال فکان اذا قام عن الطلست ترک إلی جانبه عشره دنانیر حتی لا یتبرم به الخدم، فکانوا یودون دوام علت، و لما عوفی تصدق بنحو من خمسین ألف دینار، و رثاه الرضی (۲) بعد موته بقصیه غراء لم یسمع بمثلها اذن الزمان مطلعها:

اکذا المنون تقنطر الابطالا *** اکذا الزمان یضعضع الا جبالا

و ذکر القاضی نورالله الشهید قدس سره حکایه لطیفه فی اشتهار تشیعه، و لقد سرد العلامه الأمینی (۳) الشواهد علی تشیعه بحیث لا یبقی مجال للتردید فیه.

وسبق فیما تقدم وجه نسبه الاعتزال إلی الشیعه.

و عن المجلسی الاول انه من أفقه فقهاء أصحابنا المتقدمین و المتأخرین.

و فی مقام آخر من رؤساء المحدثین و المتکلمین.

۱- الغدیر ج ۴ ص ۷۱.

۲- روضات الجنات ج۲ ص ۴۳، سفینه البحار ج۲ ص ۱۳-۱۴، مجالس المؤمنین ج۲، ص ۴۴۶-۴۵۱.

۳- ج۴ ص ۶۳ الی ۶۹.

و عن الشیخ البهائی عده من علماء الشیعه فی عداد ثقه الاسلام الکلینی و الصدوق و الشیخ المفید و الشیخ الطوسی و الشیخ الشهید و نظرائهم.(۱)

[*۲] الجواب عن هذه الرساله الآیه المبارکه القرآنیه «یا أیها الذین آمنوا إن جاءکم فاسق بنبإ فتبینوا».

۱- الغدیر ج۴، ص ۴۶.

الفصل الثامن: المسائل الماليه

اشاره

مهما بدا التشريع الإسلامی فی أمر الضرائب واضحاً بسیطاً فی کتب الفقه ، منذ عهد أبی یوسف القاضی إلی أیام الماوردی ، وفیما جُمع من کتب الحدیث، فإنه فی الواقع متشعَّب مع غزاره وصعوبه . ولو أراد الباحث أن یعرف الفورق بین النظم الماله عند المسلمین وعند غیرهم لما استطاع أن یکتفی بدراسه هذه النظم فی البلاد التی کانت تابعه للدوله الرومانیه البوزنطیظ وللدوله الفارسیه ؛ وذلک لأنه کانت هناک نظم أخری فی الظرائب یختلف بعضها عن بعض فی الشام ومصر وشمال أفریقیظ قبل ظهور الإسلام ، کما کانت ثم فروقٌ بین النظم المالیه فی العراق وخراسان وجنوب فارس.

ولم تکن فی الدوله الإسلامیه کلها ضرائب ثابته ونافذه علی نحو واحد إلاّ الضرائب الإسلامیه الخالصه وهی : ضریبه رءوس أهل الذمه من الیهود والنصاری ، والزکاه المفروضه علی المسلمین .وکانت هذه تحسب علی أساس الشهور، شأنها شأن أجور الإرحاء والمستغلّات والإرض المُقطَعه وسائر ما یجری علی الشاهرات . وکانت هذه الظرائب الشهریه تجری بحسب السنه الهلالیه ، وکان التقویم الهلالی یعمل به فی الواقع فی المدن الکبیره التی یقّل

اعتمادها على الزراعه ؟ أما فى الأرض الزراعيه فلم يكن بدٌّ من أن يتمشى نظام الضرائب مع حال الزرَّاع وأوقات الغرس والحصاد ، أى أنه لم يكن بدٌّمن السير طبقاً للسنه الشمسيه (١).

وكانت هذه السنه الشمسيه هى القبطيه والشاميه فى البلاد التى ، كانت تحت حكم الروم ؛ أما فى المشرق فكانت هى السنه الفارسيه ؛ وفى فارس كان يفتتح الخراج فى إبان النيروز (٢) ؛ وإنما آثر الفرس ذلك من قديم الزمان ، لأنه وقت الانقلاب الصيفى الذى هو وقت إدراك الغلّات ، فكان أصوب لافتتاح الخراج فيه من غيره(٣) .

ثم جاء ملوك العرب فاقتدوا بملوك الفرس فى المطالبه بالخراج أبان النيروز . ولكن الفرس كانوا يكبسون السنين فى كل أربع سنين بيوم فأبطل الإسلام ذلك ، ونشأ عن عدم الكبس أن الخراج كان يفتتح قبل نضج الزرع .

وبينما كان المتوكل يطوف يوماً فى مُتصيدٍ له إذ رأى زرعاً اخضر لم يدرك بعد ، ولم يستحصد ؛ وكان المتوكل قد استوءذن فى فتح الخراج ، فقال : من أين يعطى الناسُ الخراجَ ؟ فقيل له إن الأمر جارٍ على ما أسّسه ملوك الفرس من المطالبه بالخراج فى أثناء النيروز ؛ فوقع عزم المتوكل على تأخير النيروز سبعه عشر يوماً من حزيران ، تدارُكاً لما فات من عدم الكبس ، ونفذت الكتب بذلك

١- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٢٧٣ حيث ينقل المقريزى عن كتاب أخبار أميرالموءمنين المعتضد باللّه لأبى الحسين عبداللّه بن أبى طاهر .

٢- وفى أقصى المشرق أعنى فى الأفغان وما وراء النهركان الخراج بدفع على دليلين (انظر ابن حوقل ص ٣٠٨، ٣٤١) .

٣- الآثار الباقيه للبيروتى ص ٢١٧ ٢١٦ من الطبعه الأوروبيه .

إلى الآفاق ؛ ثم تستل المتوكل ، ولم يتم له ما دبّر ، فلما قام المعتضد احتذى ما فعله المتوكل فى تأخير النيروز ، غير أنه نظر من جهه غير التى نظر إليها المتوكل فأخر النيروز إلى الحادى عشر من حزيران ، ثم وضع النيروز على شهور الروم لُتكبس شهورُه إذا كبست الرومُ شهورَها ، لا على سنين الفرس من الكبيس بشهر فى كل مائه وعشرين سنه .

ولما كان لا يمكن ترك السنه الهلاليه لأسباب دينيه فقد سارت السنتان الهلاليه والخراجيه مع اختلافهما فى الطول جنباً لجنب ، وحدث اضطراب كبير بسبب تفاضل السنين ؛ حتى صارت الجبايه الخراجيه فى السنه التى تنتهى إليها تيسب فى التسميه إلى ما قبلها ، ولما يكن من الجائز كبس سنه الهلال بشهر ثالث عشر ، « لأنهم لو فعلوا ذلك لتزحزحت الأشهرُ الحرم عن موقعها ، وانحرفت المناسكُ عن حقائقها ، ونقصت الجبايه عن سنى الأهله بقسط ما استرقه الكبسُ منها ، فانتظروا بذلك الفضل أن تتم سنه أوجب الحساب المقرّب أن تكون كل اثنتين وثالثين سنه شمسيه ثلاثاً وثالثين سنه هلاليه ، فنقلوا المتقدمه إلى المتأخره نقلا لا يتجاوز الشمسيه ..وقد رأى أمير الموءمنين نقل سنه خمسين وثلثمائه الخراجيه إلى إحدى وخمسين وثلثمائه الهلاليه ، جمعاً بينهما ، ولزوماً لتلك السنّه فيهما »

وهذا جزء من الكتاب الذى أنشأه أبو أسحاق الصابى فى هذا الصدد(۱)

ومما اختص به نظام المسلمين الإدارى فيما يتعلق بالمال أن دواوين الخراج

۱- الخطط للمقريزى ج ۱ص ۲۷۷ ۲۷۵، والآثار الباقيه للبيرتى ص ۳۳ ۳۱، وتاريخ الطبرى ج ۳ص ۲۱۴۳، ورسائل الصابى طبعه لبنان ص ۲۱۵ ۲۱۳ .

فى الولايات كانت تقوم مقام حزائن للدوله ، فكانت تُستوفى من مال الخراج النفقاتُ الراتبه وأعطياتُ الجند، ثم يحمل ما يتبقى إلى بيت المال العام بمدينه السلام (١) ؛ ولذلك فإن خزانه بغداد كانت لا تُعنى إلا بدرار الخلافه وحاجاتها وبشوءون الدواوين وبالجزء الشرقى من بغداد ، لأنه كان بحسب رسم خاص تابعاً لدار الخلافه ؛ أما الجانب الغربى ، وهو بغداد الحقيقه ،فكان جزءاً من عماله بادوريا(٢).

وقد بين لنا الخوارزمى أسماء الدفاتر والمواضعات المستعمله فى الدواوين بخراسان فى القرن الرابع الهجرى (٣) فمنها:

قانون الخراج ، وهو أصله الذى يرجع إليه ، وتبنى الجبايه عليه (٤)

الأوراج ، ويسنقل إليه ما على إنسان إنسان ، ويثبت فيه ما يوءيديه دفعةً بعد

١- مسكويه ج ٥ ص ١٩٤ ١٩٣، وكتاب الفرج بعد الشده للتنوخى ج ١ ص ٥١، وابن حوقل ص ١٢٨، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٥٤ وكذلك كا ن ولاه النواحى فى الدوله البوزنطيه يسقطون النفقات من جمله دخل ولاياتهم . وكانت العاده فى أيام الأمويين أن الخلفاء « إذا جاءتهم جبايات الأمصار والآفاق يأتيهم مع كل جبايه عشره رجال من وجوه الناس وأجنادها ، فلا يدخل بيت المال من الجبايه دينارٌ ولا درهم حتى يحلف الوفد باللّه الذى لا إله إلا هو ما فيها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه ، وأنه فضل عن أعطيات أهل الأندلس ، وذكر أمرائها طبعه بجريط ١٨٦٧ص ٢٢ . ٢٣،وانضر أيضاً ما حكى عن ابن أبى الفياض فى كتاب سيمونيت, Simonet Historia de Los mosarabes de Espans Madrid, ١٨٩٧ - ١٩٠٣, S. ١٥٨.

٢- كتاب الوزراء ص ١١والصفحات التاليه .

٣- مفاتيح العلوم ص ٥٦ ٥٤ .

٤- كانت لفظه Kanon فى العصر التالى لعصر الإمبراطور ديوقلسيان هى الاصطلاح العام للضرائب العاديه .انظر Wilken Oriech Ostraka, S. ٣٧٨.

أخرى ، إلى أن يستوفى ما عليه .

الروزنامج ،ومعناه كتاب اليوم ؛ لأنه يكتب فيه ما يجرى كل يوم من استخراج أو نفقه أو غير ذلك .

الختمه ،وهى كتاب يرفعه الجهبذ فى كل شهر بالاستخراج والجمل والنفقات والحاصل ، كأنه يختم الشهر به .

الختمه الجامعه ، تُعمل كل سنه كذلك .

التأريج ، لفظه فارسيه ، معناها النظام ، لأنه كسواد يعمل للعقد لعده أبواب يحتاج لعلم جملها

العريضه ، وهى شبيهه بالتأريج ، إلاـ أنها تُعمل لأبواب يحتاج إلى أن يعلم فضلُ ما بينها ، فينقص الأقل من الأكثر من بابين ، ويوضع ما يقضل فى باب ثالث هو الذى تعلم العريضه لأجله ، « مثل أن تعمل عريضظ للأصل والاستخراج ،ففى أكثر الأحوال ينقص الاستخراج عن الأصل ، فيوضع فى السطر الأول من سطور العريضه ثلاثه أبواب ، أحدها للأصل ، والثانى للاستخراج ، والثالث لفضل ما بينهما ».

البرا .حجه يبذلها الجهبذ أو الخازن للموءدِّى بما يوءديه ذليه .

المروافقه والجماعه ، حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ، ولا يسمى موافقه مالم يرفع باتفاق بين الرافع والمرفوع إليه؛ فإن انفرد به أحدُهما دون ان يوافق الآخر على تفصيلاته سمّى محاسبه .

وعندنا كذلك أبواب ميزانيه الدوله لسنه ٣٠٦ه ٩١٨م، وهى تقوم على ميزانيه عام ٣٠٣ه؛ فكانت تقسم الميزانيه العامه ، على نحو ما كانت تقسم

الـدفاتر فى دواوين الخراج ، إلى بـاب الاسـتخراج أو الـدخل وبـاب النفقـات ، وكـذلك يقسم باب النفقات إلى النفقات الراتبه والحادثه ؛ وكانت الميزانيه تنتهى بعجز كما هو الحال عندنا . وكانت مقادير خراج العراق وخوزستان وفارس وإيران تذكر عيناً ؛ على حين أنه حتى عـام ٢٦٠ه ٨٧٣ م، وهى تقوم على ميزانيه عـام ٣٠٣ه؛ فكانت تقسم الميزانيه العامه ، على نحو ما كانت تقسـم الـدفاتر فى دواوين الخراج ، إلى بـاب الاسـتخراج أو الـدخل وبـاب النفقـات ؛ وكـذلك يقسم باب النفقات إلى النفقات الراتبه والحادثه ؛ وكانت الميزانيه تنتهى بعجز كما هو الحال

عندنا .وكانت مقادرير خراج العراق وخوزسـتان وفارس وإيران تذكر عيناً ؛ على حين أنه حتى عام ٢٦٠ه ٨٧٣م كان يذكر النوع إلى جـانب القيمه بالـذهب؛ وهـذا يـدل على تقـدم فى النظام المالى فى شـرق المملكه الإسـلاميه . أما فيما يتعلق بالشام والعراق فكان الخراج يحسب بالعين وبالنوع (١) (السكر من الشعير أو الحنطه).

وكانت سـيطره العمله ،وهى السـيطره التى من شأنها القضاء على سائر القسم الأخرى المتدرّجه ، وجعَل قيمه الأشياء متوقفظ على قيمتها النقديه ، سبباً فى زوال كثير من الضرائب الرمزيه الشكليه التى تفرض لمجرد تقرير الحق فى الضريبه ؛ وهذه الضرائب هى التى جعلت دفاتر الضـرائب فى العصور الوسطى الأوربيه كثيره الأبواب ؛ ولا نجـد من أمثله هذه الضـرائب إلا ما ذكر عن مدينه اسبيجـاب على أقصـى حـدود المملكـه الإسـلاميه شـرقاً من أن خراجهـا أربعه دوانيـق ومكنسه تُبعث إلى السـلطان كـل عـام مع الهدايا(٢)

وقد جرت العاده حوالى عام ٣٠٠ه ٩١٢م أن ترسل مع الخرائج أو الهديه

---

١ - ٣٢٣ ,Kremer, Einnahmebudget der Abbasiden, S. ٨٠٩ ff وكتـاب الخراج لقـدامه ط .دى غوى ص ٢٣٩، وكتاب الوزراء ص ١٨٩ ١٨٨ .

٢- المقدسـى ص ٣٤٠، ويوءيـد ياقوت (معجم البلـدان ج ١ص ٢٤٩من الطبعه الإوربيه) هـذا الكلاـم حيث يقول إنه لم يكن بخراسـان ولاـ بمـا رواء النهر بلـده لاخراج عليها إلا اسـبيجاب ، لأنها كانت ثغراً عظيما ، فكانت تعفى من الخراج ليصـرف أهلها خراجها فى ثمن السلاح والمعونه على المقام بتلك الأرض .

أشياء طريفه غريبه عن المألوف؛ ففى عام ٢٩٩ ه _٩١١م أُرسل مع مال مصر تيسٌ له ضرع يحلب اللبن ، وفى سنه ٣٠١ه ٩١٣م وصلت هدايا صاحب عُمان إلى السلطان ، وفيها ببّغه بيضاء وعزال أسود ، وفى سنه ٣٠٥ه وردت من عمان أيضاً هدّايا جليله ،فيها طائر أسود يتكلم بالفارسيه والهنديه أفص من الببغاء وفيها ظباء سود (١).

وكان الإقطاع فى المملكه الإسلاميه كلها ضرباًهاماً من ضروب تملك الأرض ؛ والإفطاع فى المشرق والمغرب على السواء ميراث قديم . ويقول أبويوسف : فأما القطائع من أرض العراق ، فكل ما كان لكسرى ومرازّبته وأهل بيته مما لم يكن فى يد أحد (٢) ؛ أما فى المغرب فكان الإقطاع نظاماً رومانيا ، وكانت أرض الحكومه والأرض التى لا يملكها أحد تنتقل بحسب نظام الإقطاع إلى أفراد الشعب(٣)

أما الخراج الذى يجب أن يدفعه صاحب الأرض المقطعظ فكان يحدّد فكان يحدّد باتفاق خاص بينه وبين الحكومه ،وهو عند الفقهاء العُشر (٤).

١- المنتظم لابن الجوزى ص ٦ف ٩، ١٥، ب .

٢- كتاب الخراج ص ٣٢،وكان ثم إلى جانب القطيعه ما يسمى الطُعمه ، وهى الإرض التى تدفع إلى رجل ليعمرها ويوءدى عشرها ؛ وتكون له مده حياته ، فإذا مات ارتجعت من ورثته ؛ والقطيعه تبقى لعقبه من بعده ج انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٦٠ .

٣- Becker, ZA, ١٩٠٥, S, ٣٠١ ff

٤- كتاب الخراج لقدامه مخطوط باريس رقم ٥٩٠٧ص ٩٠ب ج ٩١: وأرضوُ العشر سته أضرب : ١ الأرضون التى إسلم عليها أهلها ، وهى فى أيديهم مثل اليمن والمدينه ولاطائف . ٢ ما يستحييه المسلمون من الإرض الموات التى لا ملك لأحد فيها . ٣ ما يقطعه الأئمه .المسلمين . ٤ ما يحصل ملكا للمسلمين مما يقسمه الإمام من أرض العنوه بين من أوجف عليها من المسلمين . ٥ ما صار فى يد المسلمين من الصفايا التى أصفاها عمر بن الخطاب من أرض السواد ، وهى ما كان لكسرى وآله وخاصته . ٦ ما جلاـ عنه العدو من أرضيهم فحصل فى يد من قطنه وأقام به من المسلمين مثل الثغور . وكان إلى جانب ديوان الخراج ديوان آخر قائم بذاته يسمى ديوان الضياع ، انظر ،Kremer S ٣٩٢..ولا نجد ذلك بين أسماء الدواوين فى خراسان .

ولم يكن أصحاب الإقطاعات أحسن حالا من غيرهم من أصحاب الضياع العاديين ؛ وقد حكى التنوخى فى القرن الرابع الهجرى أن الرشيد اعتل ، فداواه طبيبه ، فأمر بإقطاعه ما قيمته ألف ألف درهم ، فقال له : مالى حاجه إلى الإقطاع ؛ ولكن تهب لى ما أشترى الضياع به ، فأجاب الخليفه طلبه وأمر بمعاونته حتى ابتاع ضياعاً غلتها ألف ألف درهم ، موءثر أن يكون جميع ما يمتلكه ضياعاً لا إقطاع فيها(١).

وكان يقع فى كثير من الأحيان خلاف بين الملاك والعمال فى بعض الأراضى ؛ فيذكر صاحب الأرض أنهاقطيعه ، على حين أن عامل الخراج يذهب إلى أنها أرض خراج عاديه(٢) .

وكانت الأرض لامقطعه تعود دائما إلى الحكومه ، وذلك بسبب مصادره أصحابها أو نظراً لخرابها ، وكثيراً ما يكون هذا الحراب بسبب الظرائب الباهظه . وفى القرن الثالث الهجرى غلب بنو الصفار على فارس ، فجلا قوم من أرباب

١- الفرج بعد الشده ج ٢ص ١٠٣ ١٠٢ .

٢- كتاب الوزراء ص ٢٢٠ .

الخراج عنها لسوء المعامله ؛ فقررت الحكومه خراجها على من بقى ، وسُمى ذلك بالتكمله ، لأنه كمل بها قانون فارس القديم ، ولم نزل هـذه التكمله تستوفى حتى أُعيـد افتتـاح فارس عام ٢٩٨ه فتظّلم أُهـل فـارس ، وورد قوم من أَجلاـدهم إلى بغـداد لرفع ظلامتهم ، فجمع المقتـدر مجلسـا من القضـاه والفقهـاء والكتـاب والعمال والقوّاد ، فأفتى الفقهاء ببطلان التكمه ، وصـدر كتاب الخليفه بذلك عام ٣٠٣ه ٩١٥م(١).

والظاهر أن أَمر التكمله كان شاذّا فى ذلك العهد فى المشـرق ؛ أما فى مصـر فقد كانت القاعده أن تضـمن المدينه الأفراد الذين يجلون عن الأرض ؛ وفى العراق كان لابد من هذا الضمان فيما يتعلق بالجريه الواجبه على أهل الذمه (٢).

ولم يلغَ نظام ضمان المدينه هذا فى فرنا إلا قبل الثوره الفرنسيه بقليل ، وفى الروسيا إلاّ منذ عام ١٩٠٦م .

وكـانت الحكومه تملك أراضـى أخرى تسـميها الضـياع السـلطانيه ، وكـانت هـذه الضـياع نزداد فى أيـام الرخـاء بابتيـاع أراض جديده(٣).

أما فى أوقات الشده فكان يباع بعضـها . وقد حدث فى سنظ ٣٢٣ه ٩٣٥م أن باع الوزير على النجار ضياعا سلطانيه ليفى بسداد ما كان قد استسلفه من مالهم (٤).

وكانت هذه الضياع تتعرض دائما للخطر إذا ضعفت الحكومه ؛ فعند ذلك

١- كتاب الوزراء ص ٣٤٢ ٣٤٠، وكتاب العيون ص ٨٢ .

٢- انظر الكلام عن الجزيه فى الفصل الخاص باليهود والنصارى .

٣- قدامه طبعه دى غوى ص ٢٤١ .

٤- مسكويه ج٥ ص٥٠٥ .

يقتطع كبار الملاك الأقوياء والوزراء بعضها ، ويضيفون ذلك إلى أملاكهم (١).

وكان يحدث أن يرغب صغار أرباب الضياع فى الإفلات من عب ء الخراج العادى ، فاعتادوا أن يلجئوا ضياعهم إلى الكبراء الأقوياء ، فكانت تجرى بأسمائهم ، ويخفّف عن أهلها الخراج ، فيدفعون العشر فقط ، كما هو الحال فى الإقطاعات ؛ ولكنها تبقى فى أيدى أهلها يتبايعونها ويتوارثونها ، وإن كانت بأسماء من الجلوها إليهم . وهذه التلجئه نظام قديم ، وقد أوجدها فى مصر على عهدالرومان البوزنطيين كبارُ أصحاب الضياع ، ويحكى أنها كانت موجوده فى عهد الأمويين (٢).

ثم صارت الصصطلاحات قائما بذاته بين مواضعات الكتاب فى دواوين الخراج بخراسان (٣).

وأصبح لها قسم خاص بها فى القرن الرابع الهجرى ، وكانت شائعه فى فارس بنوع خاص لنقل الخراج فيها (٤).

وفى عام ٤١٥م اعتُبر الم ..فى مصر بحكم القانون موالى تابعين للأفوياء الذين احتموا بهم (٥)، ولكنهم لم يصيروا إلى هذه الحاله قط فى فارس .

ومن وجوه الأموال التى ترد إلى بيت المال أخماس المعادن والركاز ، ولامال المدفون[*٦] من دفائن الجاهليه ، وخُمس سيب البخر مما يقذف به

١- كتاب الوزراء ص ١٣٤، وكتاب الفرج بعد الشده للتنوخى ج ١ص ٥٠ .

٢- كتاب الخراج لقدامه طبعه دى غوى ص ٢٤١ .

٣- مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٦٢ .

٤- الاصطخرى ص ١٥٨ .

٥- Matthias Geizer, Studieur byzaatinischen Verwaltung Aegy pten, S. ٧٥.

ويستخرج منه ، مثل العنبر والحليه ، ومنها أثمان الأُبّاق من العبيد ، وما يوءخذ من الصوص من الأموال والأمتعه ، أذا لم يأت لذلك طالب يستحقه ، منها ما يوءخذ من مواريث من يموت ولا يخلّف وارثا له (١)

وكان لا يوءخذ لبت المال إلامن ميراث المسلمين ، فمثلا كتب الخطيب البغدادى (٤٦٣ ٣٩٢) إلى الخليفه : إنى إذا مت كان مالى لبيت المال (وكان مقدار ذلك مائتى دينار) (٢) ؛ وفى عام ٣١١ه ٩٢٣م أصدر الخليفه المقتدر كتاباً فى أمر المواريث نص فيه على أن تُرَدّ تركه من يموت من أهل الذمه ، ولا ـ يخلف وارثا؛ ، على أهل ملته لا ـ على بيت المال ، وذلك عملا بما روى عن النبى صلى الله عليه و آله من أن المسلم لا يرث الكافر ، وأن الكافر لا يرث المسلم ، وأنه لا يتوارث أهل ملّتين(٣).

وقد تجادل كثير من الفقهاء فى مسأله كبرى من المسائل التى تُبحث حديثاً ، وهى مسأله رد التركه إلى بيت المال بدلا من ردها إلى الأباعد من ذوى الأرحام ؛ وقد زادشأن هذه المسإله عند المسلمين ، لأن كثيراً من الفقهاء ذهبوا إلى أن بعض الأقارب الأدنين لا يجوز أن يحوزوا أكثر من الأسهم المفترضه لهم فى القرآن ؛ أما ما يفضل عن ذلك فهو نصيب بيت المال (٤) وفى القرن الثالث الهجرى أنشئ ديوان خاص يسمى ديوان المورايث ،

١- كتاب الخراج لقدامه مخطوط باريس ص ٩١ - ب. و انظر أيضا Schmidt, Die Occupatio im islamischen Rech, DER Islam, I, ٣٠٠ ff.

٢- الإرشاد لياقوت ج ١ص ٢٤٨ .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٤٨ .

٤- يذهب الشافعيه إلى جعل ما يفضل عن السهام المفروضه إلى بيت المال لا إلى ذوى الأرحام الأباعد ، إن لم يوجد للمتوفى عصبه تحوز باقى ميراثه (انظر٧٤٢؛١١٢ uahcas thre ceshcsinad emmahum؛ s.)؛ وفى عام ٢٨٣ه ٨٩٦م أمر الخليفه المعتضد بردّ الفاضل من سهام المواريث على ذوى الأرحام وإبطال ديوان المواريث ، وصرف عماله (تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٥١)؛ ويقول أبو الفدا (ج٢ ص ٢٧٨تحت عام ٢٨٣ه) ما يوءيد ذلك نقلا عن القاضى شهاب الدين فى تاريخه (توفى القاضى عام ٦٤٢ه ١٢٤٤م) ؛ ثم حذا المكتفى حذو المعتضد وجدد هذا الأمر فى عام ٣٠٠ه ٩١٢م .وفى عام ٣١١ه ٩٢٣م أصدر الخليفه المقتدر أمره بأن يردّ ما يفضل عن السهام المفترضه إلى ذوى الرحم الذين لا ـ فرض لهم فى القرآن ، إذا لم يكن للمتوفى من يحوز ميراثه من ذوى السهام ، وفى عام ٣٥٥ه ٩٦٦م أمر معز الدوله برفع المواريث الحشريه ، وفى عام ٣٥٦ه ٩٦٧م رد المواريث الحشريه إلى ذوى الأرحام ج انظر المنتظم لابن الجوزى ص ٩٨ب . ١٠٠ .

وذلك فى عهد الخليفه المعتمد (٢٧٩ ٢٥٤ه ٨٩٢ ٨٦٩م) .

وكان هذا الديوان مجالا واسعاً لظلم الناس والإعنات فى مواريثهم وأخذ مالم تشجربه السنه (١) ويقول ابن المعتز قرب أواخر القرن الثالث يشكو ما يجرى على أصحاب المواريث (٢):

وويل من مات أبوه موسرا *** أليس هذا محكما مشهرّا

وطال فى دار البلاء سجنه *** وقيل من يدرى بانك ابنه

فقال : جيرانى ومن يعرفنى *** فنتفوا سباله حتى فنى

وأسرفوا فى لكمه ودفعه *** وانطلقت أكفُّهم فى صفعه

ولم يزل فى أضيق الحبوس *** حتى رمى لهم بالكيس

وقد استطاع الخليفه الراضى أن يكبح شهوه الأمراء للاستيلاء على مواريث

١- انظر كتاب الوزراء ص ٢٤٩ ٢٤٦، عريب ص ١١٨ ١١٧ .

٢- ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٣١ .

الناس ؛ فقد حدث أن رجلا مات وخلف مالا عظيما ، فوجَّه ابنُ رائق من حمل من داره وحوانيته مالا ومتاعا ؛ فلما عرف الراضى ذلك أنكره ، وأنفذ إلى ابن رائق بما أقلقه ؛ فأمر برد جيمع ما أُخذ من المال إلى موضعه (١).

على أن سيف الدوله المعروف بشجاعته والمشهور بشعرائه وسوء حكمه كان يأخذ المواريث أخذاً رسميا؛ ففى عام ٣٣٣ه ٩٤٤م عين أبا حسين على بن عبد الملك الرقى قاضياًعلى حلب؛ فكان هذا القاضى يصادر التركات ويقول : التركه لسيف الدوله وليس لأبى الحسين إلا أخذ الجعاله (٢)

وقد تكلم المقدسى عن ركن الدوله وأهل بيته من الأمراء ،فعدد بعض مساوئهم ، ولكنه أكد من فضائلهم بنوع خاص أنهم «لهم سياسه عجيبه ورسوم رديه ؛ غير أنهم لا يتعرضون للتركات »(٣).

وكان كثير من الحكام يحاولون أن يعتبروا التركه من غير وارث ، ليستولوا عليها ؛ ولكن لم يوجد فى الإسلام قانون طبق على المسلمين يشبه مثلا القانون الذى كان فى إنجلترا فى القرن الثالث عشر الميلادى(٤)

وكان من محاسن أعمال عميد الجيوش حاكم بغداد المتوفى عام ٤٠١ه ١٠١٠م أنه حُمل إليه مرةً مالٌ كثير قد خلفه بعض التجار المصريين ، وقيل له : ليس للميت وارث ؛ فقال : لايدخل خزانه السلطان ماليس لها ؛ يترك إلى أن يصح خبره؛ فلما كان بعد مده جاء أخ للميت بكتاب من مصر بأنه مستحق

١- الأوراق للصولى مخطوط باريس ص ١٤٨ ١٤٧ .

٢- ٨٥ .Wusteafeld, Die Statihalter von Aegypten, IV, S

٣- المقدسى ص ٤٠٠ .

٤- ٨١٧ .Garo, Soziate und Wirtschaftsgeschichte der Juden, I,

للتركه ، فقصد باب عميد الجيوش وأوصل إليه الكتاب ، فقضى حاجته . ولما وصل التاجر إلى مصر أظهر الدعاء له ، فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه ، وبلغ عميد الجيوش الخبرُ فسُرَّبه (١).

ولكن الأمر لم يكن يجرى هذا المجرى بالنسبه لغير المسلمين ؛ ففى القرن الثانى عشر الميلادى اعتل ربى بتاحيا ، وهو بالموصلف وقال الأطباء إنها عله الموت ؛ « ولما كان الرسم هناك فى ذلك الوقت أن تستولى الحكومه على نصف ما يخلفه كل يهودى غريب يموت هناك ، وكان الربى بتاحيا حسن اللباس ، فقد قيل إنه غنى ؛ وجاء عمال الحكومه لقبض تركته ، كأنه قد مات ».

وكثيرًا ما كان يوءخذ جزء من مال الأغنياء فى حياتهم ، وقد نشأ هذا الرسم من أن بعض العمال كانوا يستولون على الأموال بغير حق ، ثم يضطرون إلى إرجاعها ؛ وهذا شبيه بما فعله نابليون الأول حين ألزم قواده من ذوى اليسار العظيم أن يدفعوا للخزانه مبالغ كبيره . على أن جميع التجار الذين كانت تُبتزُّ دموالهم كانت لهم معاملات مع الدوله أصابوا منها مالا وفيراً ، أو على الأقل ظُن بهم ذلك .يقول ابن المعتز فى وصفه لجور الحكومه فى عهد المعتمد(٢):

وتاجر ذى جوهر ومال *** كان من اللّه بحسن حال

قيل له: عندك للسلطان *** ودائع غاليه الأثمان

فقال :لا واللّه ما عندى له *** صغيره من ذا ولا جليله

وإنما أُربحت فى التجاره *** ولم أكن فى المال ذا خساره

١- ابن الأثير ج ٩ص ١٥٨ .

٢- ديوان ابن المعتز ج ١ص ١٣٢ ١٣١ .

فدخنوه بدخان التبن *** وأوقد وه بثقال اللبن

حتى أذا مل الحياه وضجر *** وقال : ليت المال جمعاً فی سقر

أعط همو ما طلبوا ، فأُطلقا *** يستعمل المشى ويمشى العنقا

ونرى من الثبت الذى يحوى أسماء المصادرين أنهم كانوا عمالاً من عمال الدوله أو جهابذه كانوا يعلمونها (۱).

وليس فيما انتهى إلينا من حكايات تتعلق بالمصادرات مثلٌ واحد لأخذ الحكومه أموال العمال الخاصه ظلماً وجوراً من غير طريقه قانونيه ؛ فيحكى لنا ابن مسكويه « أن الوزير أبا على بن مقله كان يعادى أبا الخطاب بن أبى العباس بن الفرات ، ولم يكن يجد إلى القبض عليه طريقاً ديوانيا ، لأنه كان ترك التصرُّف عشرين سنه ؛ ولزم منزله ، وقنع بدخل ضيعته)(۲)على أن نظام المصادره قد تقلّب فى أطوار ، فكان فى أوائل القرن الرابع ضرباً من ضروب العقاب ، وبعد ذلك صار كل من كانت له صله بالحكومه مشتبهاً فى نقاوه يده ، فكان يصادر بين حين وآخر.

۱- كتاب الوزراء ص ۲۲۷ ۲۲۳ .

۲- مسكويه ج ۵ ص ۳۹۸ ، والمصادره اصطلاح ، والصدر هو الرجوع بعد الامثلاء بالماء ويقبله الورد وهو عند اللغويين مثل الرجع ، انظر فهرس الطبرى مثلا ؛ وكلمه صدر هى المال الذى يوءخذ من الصادر . (هذا ما يقوله الموءلف) ، وهو يذكر أملثله منها ما عرض فى كلام مسكويه وهو : قد أمر بضرب عنقه إن لم يوءد صدراً من المال ؛ وصح منها إلى يوم هربه صدرٌ كثير (مسكويه ج ۵ ص ۵۷۲ ۴۰۱) ؛ وفى كتاب الوزراء (ص ۳۱۰) ولم يزل الكلوذانى يدبر الأمور حتى مشى كثيراً واستخرج صدراً كبيراً . وفى رسائل الهمذانى (ص ۳۳۲) : وقد كان الشيخ كتب خطأ عن فلان بصدر من الحنطه إلى بعض وكلائه (وهذا غير موجود فى كتب اللغه) ، ومن هذا صادره على قدر من المال .

وكا ن الأخشيد صاحب مصر وأدرى الحكام بأمور المال بين عامى ٣٠٠ه (٩١٢م)و ٣٥٠ه(٩٦١م) ،يقوم بالمصادرات الكثيره فى هدوء من جانبه وبرود ، فكان يقبض على عماله وخاصته وثقاته ، ويصادرهم على المبالغ الكبيره هم وأهلهم ومن يكون فى دورهم يوم المصارده . وكان أحب أليه أن يأخذ غلمانهم بسلاحهم ودوابّهم وثيابهم فيجعلهم بين يديه (١) ؛ وكان إذا أفلت أحد من المصادره حياًّ لم يسلم من أخذ أمواله بعد وقاته . وكانت طريقه الأخشيد أنه « إذا توفى قائد من قوّاده أو كاتب تعرّض ورثته ، وأخذ منهم وصادرهم ، وكذلك كان يفعل مع التجار المياسير (٢)» .

ففى عام ٣٢٣ه ٩٣٤م توفى عفان بن سليمان البزاز أجل تاجر كان بمصر ؛ فأخذ الأخشيد من ميراثه نحو مائه ألف دينار (٣) ،ولما مات الوزير أبو محمد الملهلّبى (عام ٣٥٢ه ٩٦٣م) ، بعد أن لبث فى الوزاره ثلاث عشره سنه ، قبض معز الدوله تركته وصادر عياله ومن دخل إليه يوماً حتى الملاّحين والمُكارين الذين كانوا يخدمون حاشيته ؛ وقد استقبح الناس ذلك من معز الدوله واستفظعوه (۴).

وكذلك لما مات الصاحب بن عباد بعد أن كان وزير فخر الدوله ، المتحكم فى تدبير الملك له ، حتى كان لا يعصى له أمراً ، أرسل هذا الأمير من أحاط على دار الصاحب وخزائنه ، ووُجد له كيسٌ فيه رقاع أقوام بمائه ألف وخمسين ألف دينار

١- المغرب لابن سعيد ص ١٧ ١۶ .

٢- نفس المصدرص ٣۶ .

٣- نفس المصدر ص ١٧ .

۴- مسكويه ج ۶ ص ٢٥٨ .

مودعه عندهم ؛ فطولبوا بذلک ، ونُقل ما کان فی الدار والخزائن إلی دار فخر الدوله (١).

وکان أهل المال یستعملون جمیع الوسائل لأفساد خطه المصادرین وخداعهم ، فمن ذلک أنهم کانوا یودعون أموالهم عند ناس کثیرین (٢)؛ ویلحنون أسماءهم ویکنّون عن ألقابهم (٣)

ولما اعتُقل ابن العمید عام ٣۶۶ه ٩٧٨م وأیقن أن القوم قاتلوه وأنه لا ینجو منهم ، وإن بـذل ماله ، أخرج من جیبه رقعه فیها ثبت مالاـ یحصـی من ودائعه وکنوز أبیه وذخـائره ، فألقاهـا فی کانون ناربین یـدیه ، وقال للموکّل به : اصـنع ما أنت صانع ، فواللّه لا یصـل من أموالی المسـتوره إلی صاحبک دینار واحـد ، فما زال یعرضه علی العـذاب إلی أَن تلف من غیر أن یخبرهم بشـئ (۴) ولما صـح عند الخلیفه المتقی قتل بحکم المتقی إی داره ، وحفر أما کن فیها ، فحصل له من مال بجکم ما یزید علی ألفَی ألف عینا وورقاً ، ثم أمر بغسل التراب ، فأُخرج منه سته وثالثون ألف درهم(۵).

ولکن بجکم کان قد دفن أمواله فی الصـحراء ولم یقتصـر علی ما دفنه فی البیوت ؛فکان الناس یتحدثون بأنه یفتل من یعاونه فی ذلک ، لئلا یدل علیه فی وقت أخر ؛ وبلغ بحکم ما یقوله الناس ، فأنکر ذلک ؛ وحکی لسنان بن ثابت ما

١- الإرشاد لیاقوت ج ١ص ٧٠ .

٢- کتاب الوزراء ص ١٧۴ .

٣- المنتظم ص ١٩٣ب .

۴- الإرشاد ج ۵ ص ٣۵٠ .

۵- المنتظم ص ۶٨ب .

كان يفعله إذا أراد دفن مال فى الصـحراء: كان يحضر إلى داره بغالا عليها صناديق فارغه ، فيجعل المال فى بعضها ، ويدخل من يريـد أن يكون معه من المساعدين فى البعض الآخر ، ويطبق عليهم ؛ ثم يأخذ مقود قطار البغال بنفسه ، ويسـير إلى حيث يريد ، ثم يفتح عن الرجال ، فيحفرون ، ويدفن المال؛ وبعد ذلك يردّ الرجال إلى الصـناديق ويطبقها عليهم ، ويعود ، فلا يدرى الرجال إلى أين ذهبوا من أرض اللّه ولا ـ من أين أتوا ، وكـان هو يجعـل لنفسه علامات يهتـدى بها ؛ وبهـذه الطريقه اسـتغنى عن القتل ، وأقسم لثابت أنه لم يقتل أحداً من أجل دفن المال ، وأن ذلك من تشنيع الناس(١).

وفى عام ٣٥٠ ه ٩٦١م ، توفى أبوعلى خـازن معز الـدوله وكان رجلا كثير التمويه متفاقراً ، يظهر الفقر والاقتصاد ، حتى كان معز الدوله يعتقد أنه بائس لا يملك شيئا ؛ فاستأذن الوزيرُ المهلّبى معزَّ الدوله فى البحث عن أمواله ، واستعمل طريقه رجال الشرطه ؛ فقبض على غلمانه . وكان يخلو ببعضهم ويرهبه ويرغبه ، حتى استطاع أن يعرف أن أبا على الخازن طرد غلاماً له مزينا حبشيا من حجره موسومه به ، وجلس فى هـذه الحجره للخلوه أياما ؛ فعبر الوزير المهلبى دار أبى على والنمس حجره المزين ، فحفر فيها ، فظعر بمـال ؛ وكان فى جمله المـدفون آله شبيه الميزان من خشب الساج ، لا شـئ فيها ، فعجب منها ؛ ثم قلبها فوجـد عليها كتابه بخط ودى ، فإذا هى أسـماء قوم ورموز لا يفهم منها شـئ؛ فلم يشكّ الوزير أنها أسـماء قوم مودّعين وأن الرموز مبلغ ما عنـدهم من المال ؛ ولم يزل يستعمل الدهاء وال .فى فك الرموز ومعرفه المعاملين حتى صحّ له ذلك ، وبطش بمن

١- مسكويه ج ٦ ص ٤١ ٣٩ .

اهتدى إليه حتى حصل منهم على المال (١) .

وكان أحد الأغنياء إذا مات جرَّ موتُه ال . لأهله ولكل من يتصل به من الكتاب ولاجهابذه والأصدقاء ؛ فكاوا ى .ويستترون ويمتنعون من تسليم الوصيه للحكومه ، حتى لا تهتدى إلى مكان التركه ووجوهها ؛ وقد حدث مثل هذا عند وفاه أحد العلويين إلى أن ت ..أمر التركه أخيراً على خمسين ألف دينار تحمل إلى الخزانه صلحاً على التركه(٢).

والرسوم الجمركيه غير جائزه فى الشريعه الإسلاميه ، إذا دققنا النظر فى أحكامها . ورغم هذا ..مراصد المكوس كانت منتشره فى كل مكان . وقد حاول الفقهاء أن يحلوا هذه المسأله بأن اعتبروا الضرائب الجمركيه داخله ضمن الزكاه ، وهذا بالنسبه للمسلمين على الأقل ؛ ومن هذا نشأت فكره أن التاجر يستطيع أن يطوف عاما كاملاـ أينما شاء من حدود البلاد معفى من المكوس متى رفع المكس مره واحده ،وهو العُشر ، وأنه لابد له أيضا أن يدفع ضريبه ما معه عين المال على معدّل رُبع العُشر(٣).

١- مسكويه ج ٦ص ٢٤٩ ٢٤٤ .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٧٨ ٣٧٧ .

٣- ترجمه فستنقلد لمختصر صبح الأعشى ص ١٦٢، وصبح الآعشى ج ٣ ص ٤٦١، ٤٦٢، يجب على غير المسلمين من التجار من حيث الحكم النظرى أن يدفعوا عن بضائعهم عند الحدود من الضرائب ما يدفعه المسلمون فى تكل البلاد ، وهو العشر عاده ،ويعطى التاجرُ بذلك براءه .من الرور دون أن يدفع شيئا مده عام ؛ انظر شرح السرخسى (المتوفى عام ٤٩٥ه ١١٠٢) على الشيبانى ، مخطوط ليدن ، كما ذكر ذلك دى غزى.٢٦٥؛ ijeog enatiionha alendelsverkeei rn de ١٩٠٩.s mideeieu dewen؛ wetensnchepen v.akad.k der verlagmededeelin engen؛)على أن العلماء ليسوا متفقين فى أمر المكوس ، فبعضهم يقضى بدفع نصف العشر إلا الخمر فيوءخذ عنه العشر (كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٥١) ويذهب البعض الآخر إلى وجوب دفع العشر عموماً (كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٨٠ ٧٦)؛ والمفتى به عند الشافعيه أن للأمام أن يزيد عن العشر أو ينقص عنه إلى نصفه للحاجه إلى زياده الاستراد وأن يرفع المكس رأسا إذا رأى فى ذلك مصلحه ، وعلى أى حال فإن الضريبه كانت شخصيه .وإذا عاد التاجر الذى دفعها فى اثناء السنه ومعه بضائع لا يلزم بدفع شئ إلا إذا كان قد وقع التراضى معه على ذلك (مختصر صبح الأعشى للقلشقندى ترجمه فستنفلد ص ١٦٤، وصبح الأعشى نفسه ج ٣ ص ٤٦٣ من طبعه القاهره (دار الكتب) ؛ وليس عندنا معرفه دقيقه نستطيع استخلاصها مما ذكر من أن التاجر أبا دلف الذى سافر إلى الصين عام ٣٣٣ه ٩٤٤م دفع العشر عن بضائعه فى الصين (ياقوت فى معجم البلدان تحت كلمه صين)، ومن أن مراكب الروم والأسبان والمغاربه كانت تلزم بأن تدفع العشر للسلطان فى طرابلس (ناصر خسرو ص ١١٢)، لأن كلمه عشر يمكن أن توءخذ بمعنى الضريبه وبمعنى إخذ الضريبه . على ألمعاهدات التجاريظ التى أبرمت مع البيريين سنه ١١٥٤ه ١١٧٣م تنص على أن تكون الضريبه هى العشر انظرschaude ١٤٩ .ff؛s volker .hendelsgeschichcroma der ten .

وكانت التعريفه الجمركيه فى الواقع مختلفه ، فكان يوءخذفى جدّه عن كل حمل من الحنطه نصف دينار وكيل من فرد الزامله ، وعلى سفط ثياب الشطوى ثلاثه دنانير ، وعلى سفط الدبيقى ديناران ، وعن حمل الصوف ديناران . وكان يوءخذ بالقلزم (السويس) عن كل حمل درهم ؛ وكانت تفرض رسوم فى الموانى العربيه الأخرى . ولكن المكوس كانت أقلّ مما تقدم ، وكانت الضرائب توءخذ بالإسكندريه على المراكب الآتيه من الغرب وبالفرما على مراكب الشام(١).

وكان لصغار ملوك العرب على اختلافهم مراصد برّيه تدفع إليها الظرائب على

١- المقدسى ص ٢١٣والصفحات التاليه ؛ وكانت الضرائب فى عدن ثقيله ؛ وقد قُدّر أنه يعمل إلى خزانه السلطان ثلث أموال التجار . ويظهر أن هذا كان يختص بعمان أيضاً كما فى بعض النسخ (انظر ص ١٠٥فى الهامش) .

تفاوت فى القيمه ؛ فكان بعضهم يأخذ نصف دينار عن كل حمل ، وأكثرهم كان لا يأخذ عن الحمل إلا درهما (۱).

أما العراق فكانت كثيره المراصد فى البر والبحر والنهر ؛ وكانت البصره مشهوره بتفتيش صعب وشوكات منكره . وفى عهد المقدسى كان على باب البصره عند حدود مملكه الخليفه من حدود بلاد القرامطه ديوان للقرامطه وديوان آخر للديلم ، حتى لقد كان يوءخذ على الغنمه الواحده أربعه دراهم (أى ضعف ثمنها) .وكان الديوان لا يفتح إلا ساعه من النهار(۲)

وكان يوءخذ من كل حمل دخل اليهوديه ، وهى القسم التجارى فى أصفهان ، ثلاثون درهما (۳)

وكان الخراج فى طوران يوءخذ عن الحمل ستظ دراهم إذا دخل وكذلك إذا خرج ، ومن الرقيق اثنا عشر إذا دخل حسب ،وإن كان من نحو الهند فعشرون من الحمل ، وإن كان من قبل السند فعلى حسب القيم (۴).

وكانت توءخذ فى المملكه الإسلاميه ضرائب على المصادرات ، كما كان الحال فى كل العصور القديمه . وقد نص الفقهاء على أنه ينبغى أن يكون للإمام مسالح على المواضع التى تنفذ إلى بلاد أهل الشرك ، فيفتشون من يمّر بهم من التجار ؛ فمن كان معه سلاحٌ أُخذ منه ورُدّ ، ومن كان معه رقيق رُدّ ، ومن كان معه كتب قرئت كتبه ؛ فإن كان فيها خبر من أخبار المسلمين قد كتب به أُخذ الذى

۱- مقدسى ص ۱۰۵ .
۲- نفس المصدر ص ۱۳۴ ۱۳۳ .
۳- نفس المصدر ص ۴۰۰ .
۴- نفس المصدر ص ۴۸۵ .

أصيب معه الكتاب وبُعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه(١).

وفيما وراء النهر كان لا يعبر الرقيق نهر جيحون إلا بجواز من السلطان ، ويأخذ مع الجواز من سبعين إلى مائه درهم ، وكذلك على الجوارى بلا جواز إذا كانوا أتراكاً ، ويوءخذ على المرأه عشرون إلى ثلاثين درهما ، وعلى الجمل درهمان ، وعلى قماش الراكب درهم(٢).

أما فى بلاد طوران فكان يوءخذ الخراج من كل ما خرج إلاّ الرقيق، فكان لايوءخذ عنه إلا إذا دخل (٣)

وفي جنوب جزيره العرب كان لا يوءخذ بمدينه عثّر إلا عمّا يخرج (٤).

وكان يعطى للمصدّرين جوائز بكرمان ، وذلك لكثره التمر ، حتى إن الجمالين كانوا يحملون التمر مناصفه إلى خراسان ، ويقصدها كل سنه نحو مائه ألف جمل، ويعطى السلطان كل جمل ديناراً (٥).

وقد وصف الراحلون صعوبه التفتيش فى عدن بنوع خاص(٦).

وشكا ابن جبير الرحاله الأندلسى فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) مما عومل به فى الإسكندرى، قال :« فمن أول ما شاهدنا فيها يوم كزولا أن طلع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بها لنقييد جميع ما جُلب فيه ،

١- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١١٧ .

٢- المقدسى ص ٣٤٠ .

٣- نفس المصدر ص ٤٨٥ .

٤- نفس المصدر ص ٤٨٥ .

٥- نفيس المصدر ص ٤٦٩ .

٦- نفس المصدر ص ١٠٥، فى الهامش .

فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحداً واحداً ، وكتبت أسماوءهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ، وسُئل كل واحد منهم عما لديه من سِلَعِ أو ناضّ ليوءدى زكاه ذلك كله ، دون أن يبحث عما حال عيه الحول من ذلك أومالم يحُل ؛ وكان أكثرهم مشخّصين لأداء الفريضه ، لم يستصحبوا سوى زاد لطريقهم (١)، فألزموا أداء زكاه ذلك دون أن يسأل هل حال عليه الحول أم لا؛ واستُزل أحمد بن حسان منا ليسأل عن أبناء المغرب وسلع المركب ، فطيف به مرقباً على السلطان أولا ، ثم على القاضى ، ثم على أهل الديوان ، ثم على جماعه من حاشيه السلطان ؛ وفى كلّ يستفهم ثم يقّيد قوله فخلًى سبيله ، وأمر المسلمون بتنزيل أسبابهم ، وما فضل من أزودتهم . وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم ، وحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان فاستدعوا واحداً بعد واحد ، وأحضر مالكل واحد من الأسباب ، والديوان قد غص بالزحام ، فوقع التفتيش لجميع الأسباب ؛ ما دقّ منها وما جلّ ، واختلط بعضهم ببعض ، وأُدخلت الأيدى إلى أوساطهم بحثاً عما عسى أن يكون فيها ؛ ثم استحلفوه بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا ؛ وفى أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لا ختلاط الأيدى وتكاثر الزحام ، ثم أُطلقوا بعد موقف من الذل والخزى عظيم ، نسأل اللّه أن يعظم الأجر بذلك »(٢).

ولما كان من الأمور المقرَّرَه أن الدوله الإسلاميه ملك للمسلمين ، فقد قُضى منذ أول عهد الإسلام بالفصل بين بيت المال العام وبين خزانه الخليفه ، وهى المسماه بيت مال الخاصه ؛ ولكن لما كان الذى يتولى الإنفاق من هاتين

١- يقضى الفقهاء بإعفاء الزاد من الضرائب ج ترجمه فستنفلد لمختصر صبح الأعشى ص ١٦٢ .

٢- رحله أبى الحسن محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى ، طبعه ليدن سنه ١٨٥٢ ص ٣٦ ٣٥ .

الخزانتين رجلا واحداً لا يقدم حساباً لأحد، فقد كان مدى النفصالهما مسأله تتعلق بضميره(١).

ولـذلك ترددت حكايات موءثّره فيما بعـد تبين مقـدار عنايه كل من أبى بكر وعمر بالفصل بين مال امسـلمين ومالهم الخاص . وكان هناك توازن بين بيتى المال ، فكان إذا نقـد ما فى بيت المال العام يجب على بيت مال الخاصه أن يمديـد المعونه حتى لا تفلس الدوله (٢)؛ وعنـدنا دليل من رقعه للوزير على بن عيسـى ، على أن الخليفه المعتضـد (٢٨٩ ٢٧٩ه ٩٠١ ٨٩٢م) ، وكذلك الخليفه المكتفى (٢٩٥ ٢٨٩ه ٩٠٧ ٩٠١م) ؛ على ما عرف به من النظر فى القليل اليسـير ، كانا ينفقان من بيت مال الخاصه الجمله بعد الجمله (٣).

ولم يكن اللجوء إلى بيت مال الخاصه فى عهـد المعتضد قد صار رسـماً جارياً ، ومما يحكى أن أحد الوزراء اسـتخلف ابنه على الوزاره لما خرج من بغداد ، فضاقت الأموال على الولد ،و اشـتدت المطالبه بالاسـتحقاقات ، فدعته الضـروره إلى طلب قرض من الخليفـظ ، فكتب الوزير لابنه موبّخاً معنّفاً ، وأعلمه أنه قـد أخطأ وأساء ، وجنى على نفسه ، وعلى أبيه جنايه لا يمكن تلافيها ، وأنه كان يجب أن يستسلف المال من التجار ، ويلتزم من ماله ومال أبيه قدر الربح فيه ، ولا يفعل ما فعله(٤).

١- كـان للوزير ، وهو رئيس بيت المـال العـام ، شـئ من الإشـراف على بيت مـال الخـاصه أيضـاً ، لأنه كـان يوقع فى أخر رقاع الصرف بعد توقيع كبار روءسا ء الحاشيه (كتاب الوزراء ص ١٤٠) .

٢- وفى عصرنا هذا كثيراً ما رأينا السلطان عبد الحميد يمد بيت المال من ثروته .

٣- كتاب الوزراء ص ٢٨٤ .

٤- كتاب الوزراء ص ١٨٨ ١٨٧ .

وفى عهـد الخليفه المقتـدر (٣٢٠ ٢٩٥ه ٩٣٢ ٩٠٧) استُنزف بيت مـال الخـاصه ، وذلـك لأن الميل أُخـذ منه بزعم إعادته متى تحسّن الحـال ، وفى عام ٣١٩ه ٩٣١م عرض الوزير على المقتـدر مـا كان من العجز وهو سـبعمائه ألف دينار ، وقال له : ليس لى معول إلاـ على مـا يطلقه أميرالموءمنين لأـنفقه، فعظم ذلـك على المقتـدر ، وكتب أحـد المتطلِّعين للوزاره إليه رقعه يضـمن فيها القيام بجميع النفقات من غير أن يطلب منه شيئاً ، وأن يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار تذهب إلى بيت مال الخاصه ، فقلَّده الخليفهُ الـوزاره ، ولكنه عُزل فى العـام التـالى ، ووُجـد أنه احتـال بـأن أضـاف إلى مـا يقـدّر حصولُه من النواحى أموالَ نواح قد خرجت عن يـد السـلطان بتغلّب من تعلب عليها ، وأسـقط من النفقات زيادات الند والحاشـيه ، ولم يسـقط من الأموال التى يقَدَّرُ حصولُها من النواحى ارتفاع ما باع من الضـياع . وإنما أراد بهـذا كله أن يجعل تقـدير النفقات مقاراً لارتفاع الأموال من النواحى ليسكن بذلك قلب المقتدر ، فكانت الحسبه التى قدمها مموهته (١).

وفى عـام ٣٢٩ه ٩٤٠م طلـب الـوزير مـن الخليفـه خمسـمائه ألـف دينـار ليفرقهـا فى الجنـد ، فـامتنع عليـه ، ثـم أنفـذها إليه بعد التهديد(٢).

وكان يجب على الخليفه بحكم أنه الرئيس الروحى للمسـليمن أن يقوم بنفقات موسم الحـج ، ونفقات الغزوات الصـئفظ ، وفداء أسرى المسلمين ، والقيام بنفقات الرسل الواردين، وذلك من بيت المال الخاصه (٣).

١- مسكويه ج ۵ص ٣٥٢ ٣٥١، وابن الأثير ج ٨ ص ١٧۶ .

٢- ابن الأثير ج ٨ ص ٢٧٩ .

٣- كتـاب الوزراء ص ٢٢، ولـذلك تجـد الوزير ابن الفرات يطلب من المقتـدر أ ن يعطيه من بيت مـال الخـاصه مـا يصـرفه فى نفقات عيد النحر ، فيمنعه الخليفه ويلزمه القيام به من جهته ؛ كتاب الوزراء ص ٢٨ .

أما العطايا وكل ما يتعلق بنفقات دار الخلافه ، فكان يوءخذ من بيت المال العام (١).

وعندنا بيان يرجع إلى أول القرن الرابع مشتمل عى وجوه الأموال التى تُحمل إلى بيت مال الخاصه (٢)

(١) الأموال المخّلفظ التى يتركها الآباء لأبنائهم فى بيت المال . ويقال إن الرشيد خلّف اكبر مقدار من المال ، وهو ثمانيه وأربعون ألف ألف دينار ؛ وكان المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ه) يستفضل فى كل سنه من سنى خلافته ، بعد النفقات ، مما كان يحصله بيت مال الخاصه ألف ألف دينار ، حتى اجتمع فى بيت المال تسعه آلاف ألف دينار ، وكان يريد أن يتمها عشره ألاف ألف دينار ، ثم يسبكها ويجعلها نقره واحده ؛ونذر عند بلوغ ذلك أن يترك عن أهل البلاد ثلث الخراج فى تلك السنه . وأراد أن يطرح السبيكه على باب العامه ليبلغ أصحاب الأطراف أن له عشره آلاف ألف دينار ، وهو مستغن عنها ؛ فاخترمنه المنيه قبل بلوغ الأمنيه(٣).

١- كتبا الوزراء ، ص ١٠ والصفحات التاليه .

٢- مسكويه ج ٥ص ٣٨٥ ٣٨١ وهو بيان الأموال التى أتلفها المقتدر .

٣- كتاب الوزراء ص ١٨٩ ، وكان بيت مال الخاصه الذى بناء المعتضد قلعه قد سبب فى أثقالها الرصاص ؛ وكانت الأكياى التى يوضع فيها المال تختم بخاتم خازن بيت المال ، وكان بعض الملوك فى القرن الرابع يجعلون المال فى الصناديق إلا الأخشيد صاحب مصر فإنه لبعد نظره كان يقول: لا تجعلوا المال فى الصناديق فإن الصناديق مطلوبه ، بل اجعلوها فى خزائن السلطان فكانت توضع فى أعدال الجواشن التى لا يتنبه إليها أحدا (المغرب لا بن سعيد ص ٤۴.) .

ثم جاء المكتفى بعد المعتضد (٢٨٩ه ٢٩٥ه) ، فأبلغ المدّخر إلى إربعه عشر ألف ألف دينار (١).

(٢) مال الخراج والضياع العامه الذى يرتفع من أعمال فارس وكرما ن (بعد إسقاط النفقات) ؛ وبلغ مقدارذلك فى كل سنه منذ عام ٢٩٩ه إلى ٣٢٠ه (٩٣٢ ٩١١م) ثلاثه وعشرين ألف ألف درهم ، منها أربعه آلاف آلف درهم كانت تحمل إلى بيت مال العامه ، والباقى ،وهو تسعه عشر ألف ألف درهم ، إلى بيت مال الخاصه .

ويجب أن نسقط من ذلك النفقات الحادثه التى تتطلبها هذه البلاد، ففى عام ٣٠٣ه ٩١٥م أنفق الخليفه لفتحها ما يزيد على سبعه آلاف ألف درهم (٢).

(٣)أموال مصر والشام ،وكانت جزيه أهل الذمّه مثلا تحمل إلى بيت مال اخليفه باعتباره أميرالموءمنين ، لا إلى بيت مال العامه (٣)؛ وهذا ما يجب للخليفه نظريا .

(٤) المال الذى يوءخذ من المصادره لأموال الوزراء المعزولين والكتاب والعمال وما يحصل من ارتفاع ضيعاتهم ، والمال الذى يوءخذ من التركات (٤).

١- انظر عدا مسكويه كتاب الوزراء ص ٢٩٠ وما بعدها ؛ (ويحكى ال .فى كتاب الوزراء ص ١٣٩ غير هذا) انظر sunebisin saile (الذى ولد عام ٣٦٤ه ٩٧٤م) ص ٢٠٠نقلا عن محمد بن يحيى .

٢- هذا المبلغ يعرف من مقارنه النصوص ومن أن مال البيعه والفتح بلغ بضعه عشر ألف ألف دينار (مسكويه) ، على حين أن مال البيعه وحده بلغ فى الدفعه الواحده ثلاثه آلاف ألف دينار (كتاب الوزراء ص ٢٩٢) .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١٩٦ب .

٤- كان الخليفه يرث مال الخدم ومال من لا ولد له من موالى أسره الخلافه. ولما كان هوءلاء فى الغالب سادظ ذوى مناصب تدر الرزق الكثير فإن مالا كثيراً كان يجرى إلى خزانه الخليفه ، وفى عام ٣١١ه ٩٢٣م توفى القائد المسن يأنس الموفّقى ،وكان ذا غلمان وسلاح ، فكان ينزل عند سورداره من خيار الفرسان والغلمان والخدم ألف مقاتل ، وقد خلف ، فيما خلف ، ضياعا تغل ثلاثين ألف دينار(عريب ص ١١٦ ١١٥)؛ وفى عا ٣٠٢ه ٩١٤م ماتت بدعه المغنيه جاريه عريب ، (هكذا تسمى فى الأغانى ج ١٨ ص ١٧٩ ١٧٥، وفى كتاب بغداد لطيفور طبعه rellekص ٣٨٠ ، ليست عُريب كما يريد دى غوى فى كتاب عريب بن سعيد ص ٥٤) التى لم يكن بين جوارى المأمون امرأه « أضرب منها ، ولا أحسن صنعه ، ولا أحسن وجهاً ولا أخف روحا، ولا أحسن خطابا، ولا أسرع جوابا» وقد خلفت مالا كثيراً وجوهراً وضياعا وعقارات ؛ فأمر المقتدر بقبض ذلك كله (عريب ص ٥٤) .

(٥) ماكان يحمل إلى بيت مال الخاصه من أموال الضياع والخراج بالسواد ولاأهواز والمشرق والمغرب .

(٦) ما كان يستفضله الخلفاء ،فكان كل من الخليفتين الأخيرين فى القرن الثالث الهجرى (وهما المعتضد والمكتفى) يستفضل فى السنه ألف ألف دينار ؛ وكان سبيل المقتدر أن يستفضل مثلها فيكون مبلغه فى خمس وعشرين سنه خمسه وعشرين ألف ألف دينار أعنى نحواً من نصف ما خلفه الرشيد(١) . ولكن المقتدر أتلف كل هذه الأموال الطائله حتى لم يبق فى بيت مال الخاصه بعد ما أُنفق فى محاربه القرمطى عام ٣١٥ه ٩٢٧م إلا خمسمائه ألف دينار (٢)

ولم يكن فى سائر دواوين الإسلام ديوان أصعب عملا وأكثر أنواعا من ديوان فارس ، لاختلاف ربوعها وتقارب الأخرجه على أصناف زروعها واختلاف أبواب أموالها وتشعُّب الأعمال على المتقلّدين لها (٣).

١- هنا خطأ فى كلام الموءلف أصلحته بالرجوع إلى الأصول العربيه (المترجم) .
٢- انظر مسكويه ج ٥ ص ٣٠١، ٣٨٥ ٣٨١ .
٣- الاصطخرى ص ١٤۶ .

وقد نبغ فى دواوينها الكثير من العمال .أما ضرائبها فيقول المقدسى : ولا تسأل عن ثقل الضرائب وكثرتها ، ويقول : فرأت فى كتاب بخزانه عضد الدولظ . أهل فارس أنجع الناس بطاعه السلطان ، وأصبرهم على الظلم ، وأثقلهم خراجا ، وأذلهم نفوسا ، وهم لم يعرفوا عدلا قط (١).

وكانت فارس فى عام ٣٠٣ه ٩١٥ تدفع ضرائب تفوق غيرها بكثير (٢) فليس غريباً أن نجد البلخى يخصص لفارس أطول مقاله من مقالاته السياسيه (٣).

وربما كان تنظيم هذه البلاد الجبليه متنوعا منذ عهد الساسانيين ، فكان فيها قلاع صخريه بعيدظ المنال ، وغابات ؛ وأشراف يملكون أرضاً واسعه ، فكان هذا من دواعى تكوين نظام إقطاعى كامل منذ ذلك الحين ، حتى أن المقدسى يقول إن أكثر الضياع بها مقتطعه (٤).

ومع هذا كان النظام المالى من النمو بحيث أن الأكره الذين كانوا يزرعون الضياع السلطانيه بالمقاسمه أو المقاطعه كان عليهم ضرائب يوءدونها دراهم(٥).

وكان يفرض الخراج على أساس ما إذا كانت الأرض تسقى أولا تسقى ؛ وإذا كانت تسقى فهو على أساس ما إذا كانت تسقى ب آله أم بغير آله ؛ فإن كانت لا تسقى بالآلات دُفع عنها مقدار هو المعيار ، ويوءخذ ثلثا ذلك عما يسقى بآله

١- المقدسى ص ٤٥١، ٤٤٨ .

٢- ٣٠٨ .Kermer. Einnahmebudget S

٣- الاصطخرى ص ١٥٦وما بعدها ، وابن حوقل ص ٢١٦ وما بعدها .

٤- المقدسى ص ٤٢١ .

٥- الاصطخرى ص ٥٨ .

ونصفه عما لا يسقى قط (١).

وأما خراج الشجر والغروس المثمره ، ومنها الكرم ، فقد كان الخليفه قد أسقط عنه الخراج ؛ ولكن أصحاب خراج الزرع شكوا إلى الخليفه المقتدر ثقل الخراج عليهم بسبب ما أُلزموه من التكمله ، فحُرم أهل الشجر مما كانوا يتمتعون به من الإعفاء وفُرضت عليهم الضرائب ؛ فكان يدفع عن الجريب الكبير من الكرم ألف وأربعمائه وخمسه وعشرون درهما (٢)، وعلى كل نخله ربع درهم (٣).

وكانت الطواحين احتكاراً للسلطان ، وكذلك أجره الدور التى يعمل فيها ماء الورد (٤).

وفى مدن فارس كانت أراضى الأسواق وشوارعها ملكا للحكومه تأخذ عنها أجراً ؛ أما الدور فكانت ملكاً لأصحابها .

(٧) وكان فقهاء المسلمين يعتبرون كل مازاد عن الضرائب الشرعيه (وهى عشر الإرض والزكاه وجزيه أهل الذمه) ضرائب غير قانونيه .

ولذلك أبطل الوزير التقّى على بن عيس المكس بمكه وجبايه الحمور بديار ربيعه (٥).

ولهذا السبب أيضاً نجد الخليفه الحاكم بأمر اللّه فى مصر حينما أراد أن يرجع إلى أصول الإسلام الأولى ، يسقط جيمع الرسوم والمكوس التى جرت العاده بها ،

١- الاصطخرى ص ١٥٨ ١٥٧ .

٢- نفس المصدر ص ١٥٧،وكتاب الوزراء ص ٣٤٢ ٣٤١ .

٣- مقدسى ص ٤٥٣ ٤٥٢ .

٤- الاصطخرى ص ١٥٨ .

٥- كتاب العيون ص ٨٢، وهذه ما يسميها ابن حوقل (ص ١٤٢) صرائب الخمر .

و سرعان ما أعيدت فى عهد خلفه إلى ما كانت عليه (١)

وكما أن فارس كانت هى البلاد المعروفه بخراجها ، فقد كانت مصر أرض المكوس؛ ويدل بيان وجوه المال فى عهد الفاطميين على أن كل شئ كانت تفرض عليه المكوس ، ولم يسلم من ذلك إلا الهواء (٢)؛ وكان لابد أن يدفع فى جمله مبلغ الضرائب جزء من اثنى عشر منها « وضيعه » وعُشر « للصرف » وجزء من مائه للبراءه (٣)

والمؤرخون الإسلاميون الذين يعتبرون أن الإداره الإسلاميه الأولى هى التى تتمشى مع الشريعه يصفون ابن المدبّر الذى ولى خراج مصر بعد سنه خمسين ومائتين بأنه من «شياطين الكتاب »؛ لأنه أول من أحدث مالا سوى مال الخراج بمصر (٤).

ولكن هذه المكوس لم تكن حديثه بل كانت موجوده على عهد البطالسه والرومان والبوزنطيين ، « وكان الإنسان لا يتمالك أن يسأل نفسه : هل بقى بمصر

١- يحيى بن سعيد ص ١٢٣، ١٣٣ب .

٢- انظر الخطط للمقريزى مثلا ج ١ص ١٠٣ ومايليها و .

٣- Hofmeier, Islam, Iv, S. ١٠٠ ff.

٤- الخطط للمقريزى ج ١ص ١٠٢. قال أبوالحسن بن المدبر إنه كان يتقلد الديوانسين بالعراق يريد ديوان المشرق وديوان المغرب ؛ فلا يبيت ليله من الليالى وعليه عمل أو بقيه منه ، ثم تقلد عمل مصر فكان ربما بات وقد بقى عليه شئ من العمل فيتمه إذا أصبح (ابن حوقل ص ٨٨) ، كذلك يخبرنا يحيى بن سعيد أن عيسى بن نسطورس الذى تقلد الوزاره بمصر قرب أواخر القرن الرابع الهجرى أحدث رس.ا مكوسا جائره ويحيى بن سعيد مواطن معاصر لعيسى ، وهو نصرانى مثله (يحيى بن سعيد ص ١١٣ب.) .

اليوم شئ مما يمكن أن تفرض عليه المكوس بدون مكوس؟)(١)

ويظهر أن الإسلام فى العهد الأول من لم يقض على الكثير من الوسائل الاقتصاديظ القديمه التى جرت العاده باللجوء إليها لا متصاص ثروه الناس (٢). وقد ذكر المقدسى أن الظرائب بمصر ثقيله وبخاصه فى تنيس وهى مدينه بمصر تحيط بها المياه مشهوده بمنسوجاتها (٣)

وقد بلغ من شده وطأه الضرائب بها وكثره الرسوم أن اهلها شكوا إلى البطريق وهو مارٌّ بمصر حوالى عام ٢٠٠ه‍ ٨١٥م أن الواحد منهم يلزم بدفع خمسه دنانير فى كل عام ، وهو مبلغ لا يقدرون عليه ؛ وتستعمل القسوه فى تحصيله منهم (٤) ،وقد بقى النظام القديم قائما بتفاصيله . وظلت الإسكندريه محافظه على مكانتها الخاصه التى كانت لها فى عهد البطالسه (٥) حتى أوائل القرن الرابع الهجرى ، حيث نجد فى إحصاء أموال الدوله إفرادَ باب خاص عنوانه : مصر والإسكندريه (٦) فقد حافظت الإسكندريه على مكانها باعتبارها .مستقلا بجبايته ، كما كان الحال على عهد البطالسه ؛ بل نجد القلقشندى ، بعد القرن الرابع

١- انظر ٤١٠ ,Wilken, Griech, Ostraka .

٢- انظر أوراق البردى (التى نشرها بكر Becker؟) ،وكان المهدى ١٦٩ ١٥٨ه‍ أول من فرض جبايه على الأسواق وجعل عليها أجره وذلك فى بغداد (تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٨١، طبعه ليدن ١٨٨٣) وفى مصر (الولاه للكندى ص ١٢٥) .

٣- المقدسى ص ٢١٣ .

٤- انظر الفصل الخاص باليهود والنصارى .

٥- Wilken, Griech. Ostraka, S.٤٣٣.

٦- Kermer, Einnabmebudget, S. ٣٠٩.

بكثير ، يقول إن الإسكندريه توءدى خراجها إلى خزانه السلطان راساً (١).

هـذا إلى أن حق الملكيه المطلقه عنـد الفراعنه ،وهو الـذى ورثـظ البطـالسه والرومان والبوزنطيون ، كان له شأن كبير فى تشـريع العرب المتعلق بالضرائب (٢).

(٨) وكـذلك بقى بمصـر نظام الاحتكار فى الاقتصاد قوّته. ويحكى لنا القدسـى الـذى زار مصـر فى أوائل عهـد الفاطميين :« أما الضرائب فثقيله بخاصه تنيس ودياط وعلى ساحل انيل ، وأما ثياب الشطويه فلا يمكن القبطى أن ينسج شيئا منها إلا بعد ما يختم عليها بختم السـلطان ، ولا تُباع ذلا على يـد سماسـره عُقدت عليهم ؛ وصاحب السـلطان يثبت ما يباع فى جريدته ، ثم تُحمل إلى من يطويها ، ثم إلى من يشدها بالقشر ،ثم إلى من يشدها فى السفط وإلى من يحزمها ؛ وكل واحد منهم له رسم يأخذه ،ثم على باب الفرضه يوءخذ أيضاً شئ ، وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند إقلاعها . ويوجد بتنيس على زقّ الزيت دينار ، ومثل هـذا وأشـباهه ، ثم على شط النيل بالفسـطاط ضـرائب ثقال . رأيت بساحل تنيس ضـرائبياً جالسا ، قيل : قباله هذا الموضع فى كل يوم ألف دينار ، ومثله عده على ساحل البحر بالصعيد وساحل الإسكندريه .»(٣)

أمـا فى المشـرق فلم تفرض الضـرائب على البضـائع إلا ـ فى النصف الثـانى من القرن الرابع الهجرى ، وقـد فرض عضـد الـدوله (المتوفى عام ٣٧٤ه) فى آخر أيام

١- ترجمه مختصر صبح الأعشى ص ١٥٨ .

٢- القدسى ص ٢١٣ ٢١٢ .

٣- المقدسى ص ٢١٣ .

دولته رسوماً على بيع الدواب وغيرها من الأمتحه وزاد على ما تقدم ومنع من عمل الثلج والقز وجعلها متجراً للخاص (١) ولذلك قال الشاعر :

أَفى كل أسواق العراق إتاوه وفى كل ما باع امروء مكس درهم (٢)

ولما عزم صمصام الدوله بن عضد الدوله ببغداد فى عام ٣٧٥ه ٩٨٥م أن يضع على الثياب الإبريسم والقطن المبيعه ضريبه مقدارها عُشر النمن اجتمع الناس فى جامع المنصور ، وعزموا على قطع الصلاه ، وكاد البلد يفتتن ، فأعفوا من ذلك (٣).

وفى عام ٣٨٩ه ٩٩٨م أُريد مره أخرى وضعُ العُشر على ما يعمل من الثياب الأبريسيات والقطنيات بمدينه السلام ، فثار الناس وقصدوا المسجد الجامع بالمدينه ومنعوا الخطبه والصلاه ، وأحرقوا دار الحمولى ، فلم يبق فيها جدار قائم ، واحترق ما كان فيها من حسبانات الدواوين ، وقبض على جماعه من ال .اتهموا بما جرى وعوقبوا ؛ واستقرَّ الأمر على أخذ العُشر من قيم الثياب الآبريسيات خاصه ، ووضعت الختوم على كل ما يقطع من المناسج ويباع ويحمل (٤).

ولم يقتصر أمر الضرائب على أدوات الترف ، بل تعداها إلى الضروريات ، ففُرضت ضريبه على الملح . وفى سنه ٤٢٥ه ١٠٣٣م خاطب الدينورى الزاهد

١- ابن الأثير ج ٩ص ١٢٥ .

٢- انظر ماده مكس فى الصحاح للجوهرى .

٣- المنتظم ص ١٢٣ب ، وابن الأثير ج ٩ ص ١٦ ،٣٣نقلا عن التاجى للصابى المعاصر لذلك العهد .

٤- كتاب الوزراء ص ٣٦٨ ٣٦٧ .

الملك فى إزاله ضرائب الملح ، وأعمله ما يصيب الناس من الأذى بـذلك ، .الملك طلبه ، وكتب برفع هذه الضرائب منشوراً قُرئ فى الجوامع ، وكتب على أبوابها بلعن من يتعرض لإعاده هذه الجبايه ، وكان ارتفاعها ألفى دينار فى كل سنه(١).

على أن المصريين لم يثوروا أبداً بسبب شئ من هذه الضرائب .

أما فى الشام فكانت ضرائب البضائع هينه ؛ ولكن كان فى بيت المقدس ضرائب ثقال على ال . فلم يكن يجوز لأحد أن يبيع شيئا مما يرتفق به الناس إلا بها ، وثمّ رجالٌ على أبوابها وآخرون على ما يباع فيها (٢).

وكان من الضرائب التى اختص بها هـذا الإقليم ضرائب الحمايه على من يكون عنـده مركب مثلًا ، وكان الـذى يأتى من ذلك يعادل ما يأتى من خراج الأرض(٣).

وكانت الضرائب فى البلاد التى تسبتلى بها تختلف باختلاف الحكام ؛ يقول ابن حوقل فى كلامه عن الشام :« فأما خراجاتها وأعشارها ومرافق سلاطينها ، فكان ذلك على أوقات مختلفه بقوانين متباينه وجبايات ناقصه وزائده ،وذلك أنها منذ سنه ثلاثين (٣٣٠ه) بين قوم يتطاول أحدهم على الآخر ، وأكثرهم غرضه ما اجتلبه فى يومه وحصّله لوقته ، لا يرغب فى عماره ولا يلتفت إليها

١- المنتظم لا بن الجوزى ص ١٨٨ .

٢- المقدسى ص ١٦٣ .

٣- نفس المصدر ص ١٨٩، وليس عندنا تفسير لمعنى الحمايه بيد موءلفى ذلك العهد ، وانظر إلى جانب ما ذكره دوزى فى ملحق القاموس (ج١ص٣٣٠) ،فهرس المكتبه الجغرافيه ، وكتاب الخطط للمقريزى (ج١ص٨٩) حيث يتكلم المقريزى عن حمايه المراكب ويقول إنها كانت توءخذ بمصر من كل من ركب البحر حتى السوال والمكدين .

برؤيته ولا إشاره »(١).

وقد رأى هذا الموءلف نفسه ارتفاع الشام وما فى ضمنها من الأعمال والأجناد ؛ ووقف على ذلك من جماعه على بن عيسى ومحمد بن سليمان لسنه ٢٩٦ه، وسنه ٣٠٦ه فكان ، بعد أرزاق العمال ، تسعه وثلاثين ألف ألف درهم (٢).

وكان بيت المال فى كل من هذين القطرين وهما الشام ومصر يقوم بالمسجد الجامع ، وهو شبه قُبّه مرتفعه محموله على أساطين ؛ ولبيت المال باب حديد وأقفال ، والصعود إليه على قنطره من الخشب ، وإذا صُلّيت العشاء الآخره أُخرج الناس كلهم من المسجد ، حتى لا يبقى فيه أحد ،ثم أُغلقت أبوابه ، وذلك لوجود بيت المال فيه(٣).

ونستطيع أن نسأل :هل هذا من الرسوم المصريه أو الشاميه قديماً ؟ وهل كانت خزانه الكنيسه تُحفظ على هذه الصوره؟ ثم هل كانت الكنيسه فى العصر القديم والعصر البوزنطى خزانه للدوله لا معبداً فقط؟(٤) نلاحظ أنه حتى القرن الرابع الهجرى كان تضمين الأراضى لمستغليها بمصر يجرى فى المسجد الجامع كل أربع سنين ، فكان ينادى على البلاد صفقات فى جامع عمرو أمام متولى

١- ابن حوقل ص ١٢٨ .

٢- نفس المصدر ، وكلمه جماعه هنا هى اصطلاح ديوانى معناه الحساب الجامع (انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٥٤) .

٣- كتاب الأعلاق النفيسه لابن رسته طبعه ليدن ١٨٩١ص ١١٦ ، والمقدسى ص ١٨٢ ، ويحكى الأصطخرى (ص ١٨٤) أن بيت مال أهل يرذعه ببلاد القوفاز كان بالمسجد الجامع ، وبلاحظ أنه على رسم الشام ، ويصفه بأنه مرصص السطح ، وعليه باب حديد ، وهو على تسعه أساطين .

٤- نارن ١٤٩ .Wilken, Griech. Ostraka, S

خراج مصر وكتّابه ، وهذه عاده من عادات المصريين قديما (١).

وقد ظلت العراق معظم القرن الرابع (حتى عام ٣٧٠ه ٩٨٠م) تحت حكم بنى حمدان ، وكانوا أمراء شبه مستقلين ؛ وهوءلاء الأمرآئ الذين لم يظهر من بينهم بالأعمال العظيمه والفروسيه إلا سيف الدوله صاحب حلب ، جاروا على الرعيه جوراً عظيما ، وهو ما يفعله أهل الباديه الذين لا يعلمون ولا يحسنون لشيئ تعهُّداءً وكانوا أسوأ جميع حكام القرن الرابع . والترك والفرس الذين حكموا فى هذا القرن هم جميعاً كالآباء لرعيتهم ، إذا قوربوا بالحمدانيين . ومما نشأ عن طبيعتهم البدويه أنهم كانوا لا يبالون بالشجر، ففى سنه ٣٣٣ه ٩٤٤م أغلقت مدينه حلب أبوابها فى وجه عسكر سيف الدوله ، فاقتلعوا كل الأشجار الجميله المحيطه بالمدينه ، وكانت هذه الأشجار ، كما يقول الشاعر الصنوبرى المعاصر لذلك العهد ، أكبر ما ازدان به الإقليم (٢).

وقد اغتصب الحمدانيون أكثر أرض العراق ، واشتروا منها القليل بسهم من أعشار ثمنها (٣) ، حتى صارت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لناصر الدوله ، وكان يضايق أصحاب الأرض حتى يلجئهم إلى البيع بأوكس الأثمان ، وطالت حياته وامتدت إيامه حتى استولى على الناحيه ملكا ومُلكا (٤)؛ وقد اكتسح الحمدانيون أشجار الفاكهه والبساتين ، وجعلوا مكانها الغلّات والحبوب مثل القطن والأرزوالسمسم ، وجلا كثير من أهل هذه البلاد ، وكان ممن جلا بنو حبيب ، وهم بنوعم

١- الخطط للمقريزى ج ١ص ٨٢ .

٢- ٣٦ .Wiistenfeld, Die Statthalter vonaegypten IV, S

٣- ابن حوقل ص ١٤٣ومايليها .

٤- مسكويه ج ٦ ص ٤٨٦ ٤٨٥ .

بنى حمـدان ، فقـد خرجوا بـذراريهم ومواشـيهم فى اثنى عشـر ألف فارس إلى بلـد الروم ، حيث أُنزلوا على كرائم الضـياع ، ثم عـادوا إلى بلاـد الإسم على بصـيره بفسادها وعلم بطرقها ، وقلوبُهم تضـطرم حقـداً وتفور كيـداً ، فشـنّوا عليها الغاره سـلباً ونهباً ، وصـارت لهم بـذلك عـاده . وصادرت الحكومه أرض من جلا عن البلاد وسُـلّم بعضـها إلى من بقى ، ولم يمكن لهوءلاء ترك البلاد، « وآثروا فطره الإسلام ، ومحبه المنشأ حيث قضوا أيام الشباب على مقاسمه النصف من غلاّتها على أى نوع كانت ، وعلى أن يقدّر الأمير الدخل ويقومّه عيناً إن شاء أو ورقا» . وفى سنه ٣٥٨ه ٩٦٨م بلغ حاصل نصيبين من الحبوب خمسه آلاف درهم ، عـدا ضـريبه الجمـاجم ، فإنهـا بلغت خمسه آلاف دينار ، وبلغت ضـرائب الخمر خمسه آلاف دينار ، وبلغ ارتفاع ما يوءخـذ عن الغنم والبقر والدوابّ والبقول خمسه آلاف دينار ، ورُفع من الطواحين والضـياع المقبوضه والمشتراه وغلاّت العقار المسـقَّف من الحمَّامات والـد كا كين سـبعه عشـر ألف دينار ، هـذا ألف دينار ، هـذا على أن جُلّ البلـد قـد خرب ، وناسه قـد هلكوا ، وبادت الأشجار والبساتين ؛ فلما زال حُكما الحمدانيين غُرست الأشجار وكثرت الكروم والفواكه(١).

فلاـ عجب بعـد هـذا أن نجـد ابن حوقل حوالى عام ٣٧٠ه ٩٨٠م يقـول إن بنى حمـدان هم أغنى ملوك الإسـلام فى عهـده إلى جانب عبد الرحمن الثالث خليفه الأندلس(٢).

وفى عام ٣٦٨ه ٩٧٨م فتح عضد الدوله بعض قلاع بنى حمدان ، فكان قيمه

١- ابن حوقل ص ١٤٣ ١٤٢ .

٢- ٥٧ .Dozy, II s

ما فى القلعه عشرين ألف ألف درهم (١).

ومع هذا كانت تقوم بسبب دفع الجزيه منازعات مستمره بين الحمدانيين من جهه ، وبين بغداد وبوزنطه من جهه أخرى (٢).

أما إقليم خراسان الذى خضع فى أثناء القرن الرابع لأمر كثيرين فى مقدمتهم السامانيون والبويهيون ، فقد كانت الضرائب فيه على ما كانت عليه فيى القرنين الثالث والرابع ، وقد لاحظ ابن حوقل مثل هذا فى هراه (٣) ،وهو يحسن الثناء على السامانيين ، وعلى حسن إدارتهم الماليه وضبطهم للأعمال فى شمال المملكه الإسلاميه وفى شرقها ، يقول ابن حوقل : وليس بأرض المشرق ملك أمنع جانباً ، ولا أوفر عده ، ولا أكمل عُده ،ولا أنظم أسبابا ، ولا أكثر أَعطيهً ، ولا أدر طعاماً ، ولا أدوم حُسن نياتٍ منهم ، مع قله جباياتهم ، ونزور أخرجتهم ، وقله الأموال فى خزائنهم ، وذلك أن جبايه خراسان وما وراء النهر لأبى صالح منصور بن نوح فى وقتنا هذا ، لكل خراج يقبض وضمان يحل فى كل سته أشهر ، عشرون ألف ألف درهم . وعليه أربعه أطعام فى كل سنه دارًّظ غير مقطوعه ولا ممنوعه ، وكل طعم منها فى رأس تسعين يوماً، يخرج منه إلى غلمانه وقواده ولسائر المتصرّفين خمسه آلاف ألف درهم ، فتستوفى الأربعه أطعام الخراج الواحد لسائر خدمته من الرجال عندآخر السنه ، وتستوعب أعطيتهم نصف جباياته المذكوره ، وهى عشرون ألف ألف درهم عن نفس طيبه ومسره ظاهره ، وغبطه بقيام المعدله فيهم تامه ..ولهذه الحال أعمالهم مشحونه بالقضاه والجباه

١- مسكويه ج ٦ ص ٤٩٦ ٤٩٥، وقد كان مسكويه مكلفاً بإحصاء ما فى هذه القلعه .

٢- يحيى بن سعيد ص ٦٤ ب - ٦٥، و انظر مثلا ٥١٥ Elias Nisibeus, S, نقلا عن ثابت بن سنان.

٣- ابن حوقل ص ٣٠٨ .

والكفاه ولاولاه ،منزلين على أرزاق تتساوى ، وأحوال فى المراتب تتدانى ، وذلك أن رزق القاضى وصاحب البريد والعامل على جبايه الأموال من البنادره ووالى الصلاه والمعونه راتبهم بقدر كل ناحيه وحسب كل كوره ، وليس ينقص بعضهم عن بعض » (١).

وقد ارتفعت الجبايظ فى فارس فى عهد عضد الدوله أعظم حكام القرن الرابع ، من ٥٠٠ر٨٨٧ر١ إلى ٠٠٠ر١٥٠ر٢، وذلك فى عام ٣٠٦ه ٩١٨م. أى أن زياده الدخل كانت تقرب من السدس(٢).

وقد كان فى استطاعه عضد الدوله أن ينفق عن سعه لأن دخله فى السنه كان ثلثمائه وخمسه وعشرين ألف ألف درهم ، ولكنه « كان نيظر فى الدينار ويناقش فى القيراط » ، كما يقول ابن الجوزى (٣).

أما مصر فقد حافظت فى الجمله على المستوى العالى الذى كانت فيه ، فقد استطاع أحمد بن طولون بما كان له من قوه عظيمه أن يستخرج خمسه آلاف ألف دينار فى القرن الثالث . أما فى خلال القرن الرابع بما كان فيه من اضطراب فقد اشتمل ارتفاعها على ثلاثه آلاف ألف ومائتين ونيف وسبعين ألفاً من الدنانير ، وفى أواخر القرن بلغ الخراج على يد الوزير ابن كلَس أربعه آلاف ألف (٤).

١- نفس المصدر ص ٣٤٢ ٣٤١ .

٢- ابن البلخى JRAS, ١٩١٢, S. ٨٨٩.

٣- المنتظم ص ١٢٠ب ، ويقال إن عضد الدوله كان يريد أن يبلغ بدخله إلى ثلمثائه وستين ألف ألف درهم ليكون ، وفى روايه أنه كان يرتفع له كل عام اثنان وثلاثون ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار ، وهذا يدل على أن الدينار فى ذلك العهد كان يساوى عشره دراهم .

٤- تاريخ أبى صالح الأرمنى ص ٢٣ .

ولم يحدث فى القرن الرابع تدهور مالى عام ، وكان الدخل يتوقف ، كما هو الحال دائما ، على الرجل القابض عى ناصيه الحكم . ففى عام ٣٥٥ه ٩٦٥م أشار ابن العميد على ركن الوله أن يدّبر ناحيه أذربايجان لنفسه ويرفع له منها خمسين ألف ألف درهم ، وكانت بلاد أذربيجان غنيه ، ولكن كان عليها إبراهيم السلار ، وكان حاكما ضعيفاً سيئ التدبير مهملا لأمورها مشتغلاً باللعب ، فلم يكن يرتفع منها أكثر من ألفى ألف درهم « وذلك بسبب إقطاعات الديلم والأكراد ، وبعد ما يستولى عليه قوم معتّزون لا يتَمكن من استيفاء الحقوق عليهم ، وبعد ما يضيع بالإهمال وترك العماره (١).

ولا نجد مثالاً للانحطاط الحقيقى الكبير فى دفع الضرائب إلا فى العراق ؛ وكان ذلك منذ النصف الثانى للقرن الثالث الهجرى . وقد قدّر ابن خرداذبه ارتفاع العراق لسنه ٢٤٠ه ٨٥٤م بثمانيه وسبعين ألف ألف درهم ، وفى عام ٢٨٠ه ٨٩٣م ضُمّن جزء كبير من العراق بألفى ألف وخمسمائه ألف وعشرين ألف دينار ، وهو نصف ما كان أو أقل (٢).

وقد بلغ خراج العراق فى ميزانيه عام ٣٠٦ه ٩١٨م ٧٣٤ر ٥٤٧ر١ ديناراً ، وهو أقل من الثلث (٣)

وزاد الدخل بعض الزياده فى أثناءالقرن الرابع ، ففى سنه ٣٥٨ه ٩٦٨م عقد

١- مسكويه ج٦، ص ٣٩٢-٣٩٣، و Aedroz, Laiam, III, ٣٣٦.

٢- كتاب الوزراء ص ١٠ ولا يتفق مع هذا ما جاء فى ص ١٨٨من هذا الكتاب من أن ارتفاع العراق للمعتضد بلغ الارتقاع فى عهد عمر بن الخطاب ، والأرقام هنا غير صحيحه .

٣- Kermer Einnahmebudget, S ٣١٢.

ضمان العراق باثنين وأربعين ألف ألف درهم(١).

وعرض عضد الدوله بعد ذلك مثل هذا المبلغ(٢).

وكان الفرق بين حال العراق قـديماً وبين ما آلت إليه فيما بعـد عظيما جـداً ، فقـد كان خراجها قديماً مضـرب المثل فى الكثره ، حتى كان البعض يقول واللّه لو أعطيتنى خراج العراق ما فعلت كيت وكيت(٣).

ثم آل الحال فى آخر القرن الرابع إلى أن يقول عضـد الدوله : غرضـى من العراق الاسم ومن أرّجان (القسم الساحلى من فارس) الدخل(۴).

وكان أكبر أسباب هذا التدهور أن البلاد استحالت إلى مستنقعات ، ونظراً لأنها كانت تُروى بالطرق الفنيه فقد كانت تحتاج إلى عنـايه ونظـام أكثر مما وُجّه لها . وقـد اضـطر الزرّاع إلى الجلاء ، وكان أهل الموصل مثلًا عرباً جاءوا فى القرن الرابع إلى شـمال العراق ليزرعوا تلك الأراضى الفيضانيه التى كانت حتى ذلك الحين جرداء لا نبات فيها(۵).

وبعـد هـذا الفسـاد كان اعتماد الخزانه ببغـداد على خراج العراق يعرضـها للإفلاس ، ثم أصـبحت حكومه العراق بأول ضائقه ماليه حينما منع الصـفّار حمل أموال فارس إليها ، وقـد أدت هـذه الضائقه حوالى عام ٢٧٠ه إلى فكره الاقتراض ، وأول ما ظهر ذلك فى صوره قرض غير مضمون غير مضمون الردّ ؛ وذلك أن

١- ابن حوقل ص ١۶٩، ١٧٨.

٢- مسكويه ج ۶ ص ۴۴٠ .

٣- الأغانى ج ۴ ص ٧٩ .

۴- المقدسى ص ۴٢١ .

۵- ابن حوقل ص ١۴۴ ١۴٣ .

الخليفه الموفق احتاج إلى مال يخرج به الجند لمحاربه الصفّار ، والتمس من وزيره صاعد بن مخلد أن يحتال فى ذلك ، فقال الوزير : واللّه ما لى حيله إلا من حضر النفقات ومنع المرتزقين ، فقال الموفقّ : أين بقع ذلك مما أحتاج ؛ والذى أريد « أن نأخذ من التجار قرضاً، ووظف عليه وعليك وعلى الكتّاب والعمال مالاً نستعين به على إخراچ راشد (.الحمله) ، فإذا اتسعنا رددناه عليهم » ، فاستوحش صاعد من ذلك ، وأزاد إعمال الحيله فيث التباعد عنه(١).

وفى سنه ٣٠٠ه احتاج الوزير إلى شئ من مال الأهواز ، ولم يكن أصحابه متأهبين لذلك ، فأرسل فى إحضار يوسف بن فيجاس الجهبذ اليهودى، وكان جهبذ الأهواز ، وطلب منه تقديم ، (٢) مال.

وفى سنه ٣١٩ه ٩٣١م م تواطأ مُتَضمَّناً أعمال الخراج والضياع بفارس وكرمان وتعاقداً على قَطع حمل المال إلى السلطان ، واشتدت الضائقه بالوزير فباع من الضياع السلطانيه بنحو خمسمائه ألف دينار ج وكان ذلك لأول مره (٣)، واستسلف من مال سنه عشرين وثلثمائه شَطرَهُ قبل الفتتحها بشهور ، فلم يبق من مال هذه السنه إلا أقله ، واضطر فوق هذا إلى أن يقترض مائتى ألف دينار بربح درهم فى كل دينار (٤).

وفى سنظ ٣٢٣ه ٩٣٤م لم تُدفع للتجار أموالُهم ، فطالبوا الوزير بها، فدفعته

١- كتاب الديارات للشابشتى ص ١١٨ب ١١٩ .

٢- كتاب الوزراء ص ١٧٨ .

٣- وفى مثل هذه الأحوال كان أصحاب الأراضى المجاوره يتفقون ويشترون الضياع بأقل من ت .بكثير .(ابن حمدون فى٤٣٤؛ S؛١٩٠٨ JRAS؛) .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، وابن الأثير ج ٨ ص ١٧٦ .

الضروره إلى أن سبّب لهم على عمال السواد ببعض مالهم، ثم باع عليهم بالباقى ضياعاً سلطانيه (١).

وفى سنه ٣٢٤ه ٩٣٥م احتاج الوزير إلى مال لـدفع استحقاقات الجنـد ، فطالب مياسير التجار بأموال يعجلّونها ، ويكتب لهم بها سفاتج ، وأُمر من كان ينزل بسورالمدينه أن ينتقل عنه لتباع المنازل التى كانت هناك ملكا للحكومه(٢).

وفى هذه الأحوال عاد الأمر فى تحصيل الخراج إلى ما كان جارياً قبل الإسلام من وسائل رديئه ، وكانت القروض التى احتاجت إليها الدوله مبدأ تضـمين الخراج فى المشرق ، وأول ما أخذ بطريقه القروض فى عهد الخليفه المعتضد (٢٨٩ ٢٧٩ه ٩٠١ ٨٩٢م): حدَّث أبوالقاسم عبيد اللّه بن سلمان وزير المعتضد أحد أصحابه فقال له : قد وردنا على دنيا خراب مُستَغِلقه، وبيوت مالٍ فارغه ، وابتداء عَقد لخليفه جديد الأمر ، وبيننا وبين افتتاح الخراج مده ولا بد لى فى كل يوم من سبعه آلاف دينار لنفقات الحضره على غـايه الاقتصـار والتجزيه ، فإن كنت تعرف وجهاً تعيننى به فأرشـدنى إليه ، فأشار صاحب الوزير بإطلاقهما من سـجنهما ، فخاطبا أحـد الأّغنيـاء فى أن يضـمن جزءاً من أرض العراق على أن يحمل من ماله فى كل يوم سـبعه آلاف دينار ، فأعطى خطه بـذلك ،وعرف الوزير الأمر فاستطير هو والخليفه سروراً لهذا الحل الجديد بما انطوى عليه من

١- مسكويه ج ٢ص ٥٠٥ .

٢- الأرواق للصولى مخطوط باريس ص ١٠٤ ١٠٣ .

مهاره(١).

ونجد فى ثبت خراج سنه ٩١٥ ٣٠٣م أن خراسان والأهواز وواسط كانت ضماناً إلا الضياع (٢)وفى سنه ٣٠٦ه ٩١٨م ضمّن الخليفه خراج مصر بثلاثه آلف ألف دينار(٣).

وفى سنظ ٣٠٨ه ضمن الوزيرُ حامد بن العباس خراج العراق وخوزستان وأصفهان للمقتدر ، فارتفعت الأسعار ببغداد ؛ لأن الوزير جمع الحبوب فى تلك البلاد ومنع من حملها إلى بغداد ، فثار العامه على الوزير ، وسبّوه وفتحوا السجون ، وكبسوا دار صاحب الشرطه وانتهبوا بعض دوابّه ، ومنعوا صلاه الجمعه ، وهدموا المنابر ، وأحرقوا الجسور ، فأمر السلطان بمحاربه العوام ، فأُخذوا ، فضُرب بعضهم ، وفرَّ الباقون ، وطلب حامد بن العباس من الخليفه فسح ضمانه ، واستأذنه فى الشخوص إلى واسط لينفذ عماله بما فيها من الأطعمه إلى بغداد، واستأذنه فى الشخوص إلى واسط لينفذ عماله بما فيها من الأطعمه إلى بغداد، وفسُخ ضمان حامد وسأل الخليفه أن يعفيه من الوزاره فلم يجِبه(٤).

ولم يكن الذى يتولى صمان الخراج ، فى العراق على الأقل ، رجلا من عامه الناس ، بل كان عاملا على خراج البلاد التى يضمنها (٥) وكان له أن يولى فى هذا

١- كتاب الوزراء ص ١١ ١٠ .

٢- Kermer, Einnahmebudget وكذلك ضمنت فارس بعد استردادها من بنى الصفّار ، ولكن الضامن أخر المال ، فحُل ضمانه وعقد على آخر (كتاب الوزراء ص ٣٤٠) .

٣- كان الأخشيد فى القرن الثالث الهجرى يحمل إلى الخليفه ألفى ألف دينار (خطط المقريزى ج ١ص ٩٩)، وإلى جانب مبلغ الضمان كان لابد للضامن أن يبعث الهدايا الكثيره للخليفه ، والسيده الوالده والخاله والقهرمانه والحاجب والقائد وكتابهم فى كل سنه (كتاب الوزراء ص ٣٢١) .

٤- عريب ص ٨٥، ٨٦ والمنتظم لابن الجوزى ص ١٨ . والهمذانى مخطوط بايس ١٨٦ب (؟) .

٥- عريب ص ٥٥ .

الإقليم عمال الخراج ويعزلهم (١).

وكان للحكومه إلى جانب الضامن رجلٌ يشرف عليه ليرى إن كان يتحصَّل له زياده عل ضمانه(٢) ، وأن يراعى بنوع خاص أن الضامن يوءدى ما ينفق على كرى الأنهار وحراسه البزندات والبذور ، وعلى المعاونين الذين يحفظون الأمن (٣).

أما الضمانات الصغيره مثل ضمان الصدقات .فيحكى عن الوزير أبى الحسن بن الفرات أنه قال لكتاب سأله أن يضمنه الصدقات بفارس : « إنما يرغب فى عقد الضمان على تاجر ملّى أو عامل وفى أوتانٍ (؟) غنى، فأما أصحاب الحروب فعقد الضمان عليهم ومطالبتهم بالخروج من أموالها يستدعى منهم العصيان وخلع طاعه السلطان »(٤).

وكان أمراء الأطراف فى معظم الأحوال يظهر أمرهم بأن يكونوا ضامنين للبلاد التى يحكمونها ، ولم يظهروا فى صوره أصحاب الإقطاعات كما كان الحال فى الإمبراطوريه الجرمانيه المقدسه ، وكانوا يتوصّلون إلى الملك بأن يبتدئوا باحتلال المدن والأقاليم غصباً؛ ثم يقاتلون عليها عسكر الخليفه ، حتى يعترف لهم بالإماره فى مقابل مال يضمنون أداءه ، وكانت أمثال هذه الضمانات التى توءخذ كرهاً توءتى الحكومه صفقظ سيئه بالنسبه للضمانات الأخرى .ففى سنه ٢٩٦ه ٩٠٩م ضمن ابن أبى الساج أرمينيه وأذر بايجان قبل أن تؤولا إلى

١- الهمذانى مخطوط باريس ص ١٨٤(؟) .
٢- ابن الأثير ج ٨ص ٨٢ ٨١ .
٣- كتاب الوزراء ص ٣٤ .
٤- نفس المصدر ص ٧١ .

السامانيين بمائه وعشرين ألف دينار ، وهو ما يقرب من عُشر الدخل الذى كانت تدفعه هذه البلاد منذ مائه سنه(١)

وفى سنه ٣٢٢ه ٩٣٤م فتح عماد الـدوله بن بُويه إقليم فارس ، وطلبها ضـماناً من الخليفه ، على يدفع إليه ألف ألف درهم ، على حين أنها كانت توءتى من مال الخراج والضياع وحده منذ عام ٢٩٩ه ٩١١م إلى ما بعد ذلك بعشرين عاماً ثمانيه عشر ألف ألف درهم(٢).

وكـذلك كـان ضـمان عمان فى أوائل القرن الرابع ثمانين ألف دينار ، وكان خراجها تحت الإداره المباشـر قبل ذلك بمائه عام ثلاثمائه ألف دينار(٣)

وكـان اسـتعمال الوسائـل القاسـيه فى تحصـيل الخراج من الوسائل المعروفه قـديماً ، وبما كان ضـروريا ، فمثلاً كان أهل بادوريا حول بغداد معروفين بالجَلدَ ، وكان عليهم بقايا أموال ، فتولَّى عليهم ابن أبى السـلاسل ، وفى قليه أحقاد ورغبه فى القشقى منهم ، وإخراج مـا عليهم من البقايـا ؛ فطالبهم ، فامتنعوا وصبروا على الحبس والقيـد، فأملى رقعه إلى الوزير على بن عيسـى يغريه فيها بهم كل إغراء ، ويقول : هوءلاء قوم يدِلُّون بالجَلَد، وعليهم أموال قد ألطّوا بها ، وصبروا على الحبس والقيد ، ومتى لم تُطلَق اليد فى تقويمهم واستخراج المال منهم تأسى بهم اهل السواد وبَطَل الارتفاع ؛ فردّ عليه الورير بقوله :الخراج ، عافاك اللّه ، دَينٌ لا

١- ابن الأثير ج٨ ص٧٦ - ٧٧، ٢٠٩ .Kermer. Einnahmebudget. S .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٣٨١، وخراجها فيث ميزانيه عام ٣٠٦ه ٩١٨م قدر بألف ألف وخمسـمائه ألف دينار ، وهو ما يقابل الثمانيه عشر ألف ألف درهم .

٣- كريم نفس المصدر ص ٣٠٨ والمقدسى ص ١٠٥ .

يجب فيه غير الملازمه . قد تتعدَّ ذلك إلى غيره(١).

وهذا القرار الذى قروه الوزير بطابق المبدأ الذى عُمِل به فى زمن الرشـيد ، وهو المنع من ضرب الناس فى الخراج أو إقامتهم فى الشمس أو تقييدهم(٢).

وكان أصحاب الخراج فى عهـد هـذا الخليفه نفسه يطالَبون بصـنوف من العـذاب حتى عام ١٨٤ه حين أمر الرشـيد برفع العذاب عنهم ، فارتفع من تلك السنه(٣)

وفى عام ١٨٧ه ٨٠٣ م وُلّى على خراج مصر عاملٌ بعد أن ضمن جبايه الخراج عن آخره « بلا سوط ولا عصا» (٤).

على أن ديونيسـيوس يصف جُباه الخراج فى العراق حوالى عام ٢٠٠ه ٨١٥م بأنهم « قوم من العراق والبصـره والعاقولا ، وهم عُتاه ليس فى قلوبهم رحمه ولاـ إيمـان ، شـرّمن الأفاعى ، يضـربون الناس ويحبسونهم ، ويعلقون الرجل البـدين من ذراع واحـد حتى يكاد يموت »(٥) .

وفى أواخر القرن الثالث وصف الأمير عبـدالله بن المعتز (٦) الإداره فى عهـد الوزير ابن بلبل ، وكان ابن المعتز يحمل له كراهيه شديده ، ووصف كيف كانت تجبى أموال الخراج من غير رحمه :

١- كتاب الوزراء صب ٣٤٦ .

٢- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٦٢ .

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٥٠١ من الطبعه الأوربيه .

٤- الولاه للسكندى ص ١٤١ ١٤٠ .

٥- ١٥٢ Dionysius von Tellmachre. ed. Chabot. S.

٦- الديوان ج ١ص ١٣٧ ١٣٦ .

فكم وكم من رجل نبيل *** ذى هيبه ومركب جليل

رأيته يعتلّ بالأعوان *** إلى الحبوس وإلى الديوان

حتى أُقيم فى جحيم الهاجره *** ورأسه كمثل قِدر فائره

وجعلوا فى يده حبالا *** من قنّب يقطّع الأوصالا

وعلقوه فى عرى الجدار *** كأنه برّاده فى الدار

وصفقوا قفاه صفق البطل *** نصباً بعين شمات وخل

إذا استغاث من سعير الشمس *** أجابه مستخرج برفس

وصبَّ سجانٌ عليه الزيتا *** وصار بعد بزه كميتا

حتى إذا طال عليه الجهد *** ولم يكن مما أراد بدّ

قال ائذنوا لى أسأل التجارا *** قرضاً وإلا بعتهم عقارا

وأجّلونى خمسه أياما *** وطوّقونى منكمو إنعاما

فضايقوا وجعلوها أربعه *** ولم يوءمل فى الكلام منفعه

وجامع المعينون الفجره *** وأقرضوه واحداً بعشره

وكتبوا صكا ببيع الضيعه *** وحلفوه بيمين البيعه

ثم تأدّى ما عليه وخرج *** ولم يكن يطمع فى قرب الفرج

وجأه الأعوان يسألونه *** كأنهم كانوا يدلّلونه

وان تلكّا أخذوا عمامته *** وجمشوا أخدعه وهامته

فالآن زال كل ذاك أجمع *** وأصبح الجور بعدل يقمع

وكان التعذيب أشد مما تقدم إذا كان استرداداً لأموال الدوله، وأخص ما كان يستعمل فى ذلك القيودُ الحديديط الثقيله فى

الأرجل ، والضرب المُتلِف، والتعليق

من اليد الواحده (١) ، وقد عذّب الخليفه القاهر أُمّ المقتدر أخيه وسلفه على عرش الخلافه، فضربها ، وعلّقها برجلها لتخرج ما لها ،وتحلّ أوقافها ، وكل في بيعها ، فامتنعت ،ووكلّت فى بيع أملاكها دون أوقافها ، ولكن القاهر أرغمها على ما أراد ، وكتب إقراراً منها بذلك ، وأحضر القضاه لشهاده على تركبلها ، واستلزمت الشهاده أن يروها رأى العين . وقد تحدّث القاضيان الديان وأياها بهذه القصه فقالا:« ولما رأيناها رأينا عجوزاً رقيقه الحال سمراء الوق إلى البياض والصفره ، عليها أثر ضرب شديد ، فما انتفعنا بأنفسنا ذلك اليوم ، فِكراً فى تقلّب الزمان ، وتصرُّف الحدثان »(٢) .

ثم عُذِّب آخرون بأن غُرزت فى أظافيرهم أطراف القصب (٣) ، أوبالضرب على رءوسهم بالدبابيس (٤) ، وقدوصف شاهد عيان كيف جئ بأحد المصادرين من محبسه «يرسف في قيوده ، وعليه جبه دنسه وشعره طويل .وجعل يشكو ما أصابه من المكاره ، وفرائصه تُرعد »(٥) .

١- وكان الحاكم يأمر بأ« «يجر » المطالب أو «يسحب » على وجهه ، ومن هذا . .الكلمه الإسباقيه جروشا Garrucha ومعناها حبل الجر، وهو الذى كان أكبر أداه للتهذيب فى السبانيا أيام محاكم التفتيش كما قال العلامه لى (Lea) وكذلك الكلمه الإسبانيه Garrula . وكان الذين يوكل إليهم بالمطالبه قوماً يسمون المستحثبن ، وكانوا يختارون من الغلاظ ال . لاى . ..نامهوم است . .الرجل حتى يدفع ما عليه ، ولهم عليه نفقه يأخذونها ، وربما كانوا ثلاثه لكل منهم ديناران فى اليوم (كتاب الوزراء ص ٢٣٣.) .

٢- عريب ص ١٨٤ ١٨٣، وابن الأثير ج ٨ ص ١٨٢ ١٨١ ، المنتظم لابن الجوزى ص ٤٦ب ، والمقدمه الإنجليزيه لكتاب الوزراء ص ٤٥ .

٣- ذكر المعتزله لأحمد بن يحيى المرتضى ص ٥٢ .

٤- مسكويه ج ٥ ص ٢٣٠ .

٥- كتاب الوزراء ص ٨٩ .

وربما أمعن المطالبون فی التعذیب فألبسوا فریستهم جبَّه صوف مدهونه بانفط أوبماء الأ کارع (۱).

وفی سنه ۳۲۵ه ۹۳۶م دخل بحکم الترکی وأصحابه العراق ، فاعتقل الناس ، واشتد فی مطالبتهم بالمال وعذّبهم ، فکان یضع علی بطونهم أطسات الجمر ، حتی قال له رجل أراد أن یسبر ما فی نفسه من طلب العراق: أیها الأمیر ! أنت مُطالب بملک ، ومرشّح نفسک لخدمه الخلافه ، ألا تعلم أن هذا إذا سُمِع به أوحش منک؟ وقد حَمَلتَ نفسک فی أمرنا علی مثل ما کان یعمله مرداویج بأهل الجبل ، وهذه بغداد ودار الخلافه لا الری وأصبهان ، ولا تحمل هذه الأخلاق ؛ فلما سمع بحکم ذلک انحلّ وفک القیود وأزال المطالبه(۲).

وکانت هذه المطالبات القاسیه تعتبر عند الجمیع أعمالاً تدل علی قله الإیمان ، کما یوءخذ من حکایه ترجع إلی القرن الرابع : « حدث أبوالحسن علی بن الحسین بن عبدالأعلی قال : کنت بحضره أبی الحسن ابن الفرات فی وزارته الإولی (۲۹۹ ۲۹۶ه ۹۱۱ ۹۰۸م) ، وهو جالس یعمل ، إذا رفع رأسه ، وترک العمل من یده ، وقال : أرید رجلاً لایوءمن باللّه ولا بالیوم الآخر یطیعنی حق الطاعه ، فأُنفذه فی مهم لی ، فإذا بلغ فیه ما أرسمه له أحسنت إلیه إحساناً یظهر علیه وأغنیته؟ فأمسک من حضر ، ووثب رجل یکنی بأبی منصور ، أخ لابن أبی شیب حاجب ابن الفرات ، فقال : أنا أیها الوزیر ، قال : وتفعل ؟ قال :أفعل وأزید ، قال: کم ترتزق؟ قال أرتزق مائه و عشرین دیناراً. قال: و قعوا له بالضعف،

۱- نفس المصدر ص ۲۹۹ ۲۹۸ .

۲- مسکویه ج ۵ص ۵۷۰ .

وقـال :سَـل حوائجـك ، فسـأله أشـياء أجـابه إليها ، فلما فرغ من ذلك قال : خـذ توقيعى وامض إلى ديوان الخراج وأوصـله إلى كاتبى الجماعه ، وطالبهما بإخراج ما على محمد بن جعفر بن الحجاج ، وطالبه بأداء المال ، وأتلفه إلى أن تسـتخرج جميعه ، ولا تسـمع له حجه ولا تمهله ألبتّه . فخرج وأخذ من رجّاله الباب ثلاثين رجلا ، فقلت (الحاكى) لأخرجنَّ وأمضينَّ إلى الديوان حتى أنظر مـا يـوءول إليـه الحـالَ؛ فخرجـت وصـرت إلى الـديوان .فـدخل أبـو منصـور هـذا إلى الصـقربن محمـد وعبيـداللّه بنمحمد الكلوذانى ، وهما صاحبا المجلس شـركه ، فلم يجـد الكلوذانى ووجـد الصـقر بن محمـد، فأوصل إليه التوقيع ، وقال له أَخرج ما على ابن الحجـاج ، فقـال : عليه من بـاب واحـد ألف ألف درهم ، فطـالبه بـذلك إلى أن نفرغ من العمـل بسائر ما يلزمه . وكان محمد بن جعفر من عمال أبى الحسن على بن عيسـى ، قال : فأحضر ابن الحجاج ، وشتمه ، وافترى عليه ، وابن الحجاج يستعطفه ، ويخضع له ؛ ثم أمر بتجريده وإيقاع لمكروه به ، فأُوقع ، وهو فى ذلك كله يقول : كفى ، اللّه ، ثم أمر أبو منصور بنصب دقل ، فنُصب ، وجُعل فى رأسه بكره فيها حبل وشدت فيه يدُ ابن الحجاج ، ورُفع إلى أعلى الدقل ، وهو يسـتغيث ويقول : يكفى ، اللّه. فمـا زال معلَّقـاً ، وأبومنصور يقول له : المـال المـال ، وهو يسأله حطَه وإنظاره إلى أن يواقف الكتّاب على ما أخرج عيه ، وهو لا يسمع منه ، وقد قصد تحت أ .واختلط ، وغضب من غير غضب من غير غضب ، اعتماداً لأن يبلغ ابن الفرات فعلُه ، فلما ضجر قال لمن يمسك الحبال : أرسلوا ابن الفاعله (وعنـده أنهم يتوقفون ولا يفعلون)، فأرسـلوه لما رأوه عليه من الحـده والغضب ، ووافى ابن الحجاج إلى الأرض ، وكان بديناً سميناً، فوقع على عنق أبى منصور فدّقها ، وخرّ

على وجهه ، وسقط ابن الحجاج مغشيا عليه ، فحُمل أبومنصور إلى منزله فى محمل فمات فى الطريق ورُدّ ابن الحجاج إلى محبسه ، وقد تخلّص من التلف ،وعجب من حضر مما رآِ وكتب صاحب الخبر بالصوره إلى ابن الفرات ، فورد عليه منها أعظمُ مورد ، وبكّرت عرفان زوجه ابن الحجاج إلى موسى بن خلف حتى أوصلها إلى ابن الفرات ، فقررت أمره على مائه ألف دينار سلّمت ببعضها جعده وقراها من طوج كوفى ونُجّم الباقى ، وأُطلق ابن الحجاج ؛ وكان الناس يعجبون من قول ابن الفرات: أريد رجلاً لا يوءمن باللّه ولا باليوم لآخريطيعنى »(١)، ولم تُبسط على الناس أصناف العذاب والمكاره حتى كانوا يموتون تحتها أقبح موت إلا فى عهد الأمير بختيار ببغداد ، وكان حكم هذا الأمير أسوأحكم فى القرن الرابع(٢).

ولعلّ مما تمجه النفس أن ترى كبار العمال يشترون من السلطان رجالا منكودين ، وأن كلا منهم ينافس الآخر فى تقديم أكبر ضمان ، إذا سُلّم إليه وزير نهب الأموال ، آملاً أن يقدر بعد ذلك على استخراج مبلغ يزيد على ضمانه بوسائل التعذيب(٣).

ولكن هذه الوسيله لاغتصاب الأموال قويت أيضاً فى عهد بختيار خاصه ، ولم تكن شائعظ فى عهد جميع الحكام .

١- كتاب الوزراء ص ١٢٢ ١٢١ .

٢- مسكويه ج ۶ص ۴۵۴ .

٣- كتاب الوزراء ص ٩۴، ٩۵. ضمن أبو الفرج الوزير أباالفضل بسبعظ الاف ألف درهم ، ثم ضمنه أبوالفضل فيما بعد بمثل هذا المبلغ . انظر مسكويه ج ۶ ص ٣٣۴، ٣۴٢، ۴٠٩، ۴۵٣ .

تعلیقات الفصل الثامن

[*۱] و اما فی زماننا و قبله منذ عهد بعید فوقت الانقلاب الربیعی... و ان کان زمن ادارک الغلات بعده بمده شهرین أو نحو ذلک

[*۲] اشتباه و آیه (۱) النسیء الوارده فی القرآن لا نقصد هذا المعنی، نعم الح و الصوم یجریان علی حساب الاهله و الخمس یجری علیها و علی الشمسیه و زکوه الغلات لا تتم غالا الا علی الشمسیه و فی غیر الغلا علی الهلالیه.

[*۳] هذا من العجب، فلا عدل لبنی امیه مع عدو لهم عن الا سلام و ظلمهم علی الرعیه و تمزیقهم الکتاب و قتلهم العتره الهادیه، اللهم إلا ما یحکی عن سیره عمر بن عبدالعزیز و هی ایضا لا توافق الدین الا سلام تماما. و یمکن ان یکون ما ذکره المصنف فعله بعض الامراء و الحکام فی المغرب حیناً ما.

[*۴] الارضون (۲) عندنا لا تخلو من اقصام. فانها اما ان:

۱- اسلم علیها اهلها طوعاً فهی تقر فی ایدیهم و علیهم الزکوه بشرائطها و هی تختلف بین العشر و نصف العشر و قد یکون نصل مجموعهما.

۲- أو هی عامره حین الفتح و غلب علیها المسلمون، و تسمی بالمفتوحه عنوه (قهراً) و هی للمسلمین الحاضر الموجود منهم و من یأتی إلی یوم القیامه و لا یملکها احد بالخصوص

۱- التوبه: ۳۷.

۲- المکاسب المحرمه للشیخ الانصاری ۷۵ إلی ۷۸، جواهر الکلام ج ۱۶ ص ۱۱۶ و ما بعد ها، المستمسک ج ۹ ص ۵۲۰ و بعدها، نهج الفقاهه ۳۳۷-۳۳۸، الحدائق ج ۱۸ ص ۲۹۴ إلی ۳۲۱.

بعد اخراج خمسها او مطلقا فتعطی لمن یعمرها و یستغلها، و یقدر له اجره الارض و هی الخراج و شرطها کون الفتح باذن المعصوم، و الا فتکون من الانفال الراجعه الیه علیه السلام.

۳- أو تکون مواتا حال الفتح فهی للامام علیه السلام.

۴- أو یسلم علیها اهلها علی ان تکون للمسلمین و هی کالثانیه، و یرجح ان تکون راجعه إلی الامام علیه السلام و تعد من الانفال. و الخراج إنما یکون علیهما لا علی القسمین الاول و الثالث.

نعم قد تکون الارض الخراجیه او الموات تقطع من جانب الحاکم المتسلط إلی ای واحد من المتقربین منه او المنسوبین الیه او خدمه او اعوانه او قواده او من عمل له ای عمل معجب. و هذا ما اشیر الیه فی المتن. و عند الفقهاء فیه العشر و عده فی ذیل الصفحه ثالث الاقسام. و اما الاقسام الخمسه الباقیه فالاول ذکرناه اول الاقسام. والثانی ثالثها الذی اشرنا الیه. والرابع هو ثانی الاقسام التی ذکرناها. و الخامس و السادس یرجعان إلی الانفال و هی ملک لمن احیاها مطلقا أو یؤدی خراجها إلی الامام المعصوم او نائبه اذا لم یکن المحیی مسلما. و للشیخ الطوسی قدس سره فی الخلاف (۱) مدعیا فیه و فی القسم التالی اجماع الفرقه و اخبارهم. ما اصطلح علیه بارض العشر. فاذا صالحنا المشرکین علی ان تکون الارض لهم بجزیه التزموها و ضربوها علی ارضهم (اراضیهم) فیجوز للمسلم ان یشتریها و یصح الشراء و تصیرارضها عشریه و من هذا القسم ما اشرا (۲) الیه بقوله یجوز (متی) اسلموا سقط عنهم و صارت الارض عشریه:

۱- الخلاف ۲ کتاب الفیء مسئله ۱۸ کتاب السیر مسئله ۲۳.

۲- الخلاف ۲ کتاب الجزیه مسئله ۱۷.

[*۵] یذکر الشهید (۱) الاول محمد بن مکی قدس سره و هو من اعاظم فقهاء الشیعه فی القرن الثامن الهجری ان عند العامه کل مال جهل مالکه و لا یتوقع معرفته فهو لبیت المال و قد نظم بعضهم وجوه بیت المال فقال:

جهات اموال بیت المال سبعتها *** فی بیت شعر واها فیه لافظه

خمس خراج و فیء جزیه عشر *** و وارث فرد و مال ضل حافظه

ثم قال و ظاهر کلام اصحابنا انحصار وجوه بیت المال فی المأخوذ من الارض المفتوحه عنوه خراجاً و مقاسمه و یمکن الحاق سهم سبیل الله فی الزکوه علی القول بمعصومه و قد ذکر الاصحاب ان مصرف الجزیه عسکر الا سلام و العشر لا اصل له عندنا وارث من لا وارث له للامام و المال المأیوس من صاحبه یتصدق به.

نعم قد یشکل المرتضی فی دیه الجنایه علی المیت انها لبیت المال و یجری فی کلام بعض اصحابنا ان میراث من لا وارث له لبیت المال و اما الخمس فمصرفه معلوم عندنا...

[*۶] هذا فیه الخمس و الباقی لواجده بشرائط مذکوره فی کتبنا الفقیه استدلالیه او فتوائیه.

[*۷] هذا و ما بعده یدخل فی أحد السبعه الذکوره فی الشعر السابق لانهما مصداق مال ضل حافظه، و عندنا یعد من مجهول المالک و له احکام خاصه مذکوره فی الکتب الفقهیه.

[*۸] قد تقدم فی کلام الشهید انه للامام، و مما هو مسلم عندنا ان ارث الامام علیه السلام بالولاء و هو فی غیر الزوجیه مترتب علی عدم مناسب (ای) وارث نسبی و عدم معتق و ضامن الجریره

۱- القواعد الفوائد ۸۴.

[*۹] سبق منا الکلام فی ذلک.

[*۱۰] هذا غلط و قد اشرنا الیه سابقاً.

[*۱۱] القول جریا علی مذهب اهل البیت.

[*۱۲] هولآء الفقهاء من قبیل و عاظ السلاطین.

[*۱۳] لعل هذا هو السبب فی تسمیه من یأخذ المکوس بالعشار، بل فی هذا الزمان یسمی البصره او معظمها عشاراً لاجل میناءها.

[*۱۴] بینما رسول الله صلی الله علیه و آله (۱) مات و هو مدیون، و قتل امیر المؤمنین علیه السلام (۲) و علیه دین و مات الحسن علیه السلام و علیه دین، و قتل الحسین علیه السلام و علیه دین، بل عن جعفر (۳) بن محمد عن آبائه علیهم السلام لقد قبض رسول الله صلی الله علیه و آله و ان درعه لمرهونه عند یهودی من یهود المدینه بعشرین صاعاً من شعیر استلفها نفقه لاهله، و فی دعاء الندبه (۴) المشهور قوله صلی الله علیه و آله لعلی علیه السلام و انت تقضی دینی.

و عن الطبری (۵)باسناد له عن عباد عن علی علیه السلام انه قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله: من یؤدی عنی دینی و یقضی عداتی و یکون معی فی الجنه؟ قلت: انا یا رسول الله، و عن فردوس (۶) الدیلمی، قال سلمان قال صلی الله علیه و آله: علی بن ابی طالب ینجز عداتی و یقضی دینی و قوله علیه السلام (۷) انت قاضی دینی فی روایات کثیره.

۱- وسائل الشیعه ج ۱۳ الباب ۲ من أبواب الدین و القرض ح ۱.
۲- وسائل الشیعه ج ۱۳ باب ۲ من أبواب الدین و القرض ح ۱.
۳- وسائل الشیعه ج ۱۳ الباب ۲ من أبواب الدین و القرض ح ۹.
۴- مفاتیح الجنان دعاء الندبه.
۵- بحار الأنوار ج۳۸ ص۷۳-۷۴.
۶- بحار الأنوار ج۳۸،ص ۷۳-۷۴.
۷- بحار الأنوار ج۳۸ ص ۷۴.

و عن قتاده (۱) بلغنا ان علیاً علیه السلام نادی ثلاثه اعوام بالموسم من کان له علی رسول الله صلی الله علیه و آله شیء (دین) فلیأتنا نقضی عنه...

[*۱۵] و امیر المؤمنین علی علیه السلام کان (۲) یکنس بیت المال کل جمعه و یصلی فیه رکعتین و ما خلف (۳) صفراء و لا بیضاء إلا سبعمأته فضلت من عطائه أراد أن یبتاع بها خادما لأهله:

(من کلام الحسن علیه السلام فی صبیحه اللیله التی قبض فیها امیرالمؤمنین علیه السلام).

[*۱۶] قال شیخنا شیخ الطائفه الطوسی قدس سره فی الخلاف (۴) ما یؤخذ من الجزیه و الصلح و الاعشار من المشرکین، للمقاتله المجاهدین، و استدل علیه باجماع الفرقه و اخبارهم فی أن الجزیه للمجاهدین لا یشرکهم فیها غیرهم و اذا ثبت ذلک ثبت فی الکل لأن الصلح ایضاً جزیه عندنا فاما الاعشار فانه ینصرف (یصرف) فی مصالح المسلمین الخ....

[*۱۷] تقدم الکلام علیه قریبا.

[*۱۸] ان هذا اشتباه فان المنهج الذی جاء به الا سلام هو اعطاء الزکوه، و اموالها معلومه لا تتجاوز تسعه، و لها شرائط و نصب خاصه و مصارف معینه ذکرها فی القرآن الکریم: «إنما الصدقات للفقراء و المساکین و العاملین علیها و المؤلفه قلوبهم و فی الرقاب و الغارمین و فی سبیل الله وابن السبیل فریضه من الله و الله علیم حکیم»(۵)

والخمس، و انما یتعلق بسبعه احدها الغنیمه فی الحروب و هو والزکوه انما یجبان علی

۱- وسائل الشیعه ج۱۳ الباب ۲ من أبواب الدین و القرض ح۱.

۲- بحارالانوار ج۴۱ ص ۱۳۶.

۳- الارشاد للمفید ص ۱۸۸.

۴- الخلاف ۲ کتاب الفییء و قسمه الغنیمه مسئله ۴۳.

۵- التوبه: ۶۰.

الناس ابتداء من ناحيه الشريعه المقدسه

و اما الكفارات بمختلف أنواعها فأكثرها ليس بسبب ابتدائی، بل ايجاد موجبه إلی الانسان نفسه نعم فی بعض الموارد القليله فی الحج توجد كفارات للمضطر و نحوه.

كما ان النذورات سببها بيد المكلفين و هناك انفاقات خاصه لقرابه الشخص كالوالدين للولد والعكس و كانفاق الزوج على زوجته، ليس شیء منها امتصاصاً للشروه و لا يوجد غيرما ذكرنا شیء فی الاسلام من طريق الامتصاص امضاه الشارع أو أبقاه و قد تقدم الكلام فی الجزيه و العشر و ان الاول على أهل الذمه و الثانی على الاراضی بالكيفيه المتقدمه ولكل من هذه شروط واحكام خاصه و لا ينبغی ان يعد امتصاصاً.

[*۱۹] هذا لا يرجع إلی الشرع و لا يمس كرامته و انما هو فعل من تسمى بالاسلام من القواد والحكام:

[*۲۰] قال اليعقوبی (۱) و كان سنه ۱۸۴ واعتل الرشيد فی تلك السنه عله شديده و شفی منها، فدخل اليه الفضيل بن عياض فرأی الناس يعذبون فی الخراج فقال ارفعوا عنهم، انی سمعت عن رسول الله صلى الله عليه و آله يقول، من عذب الناس فی الدنيا عذبه الله يوم القياه، فامر ان يرفع العذاب عن الناس، فارتفع العذاب من تلك السنه.

[*۲۱] ما ابعد بين هذه الافعال و ما كان يوصی به اميرالمؤمنين عليه السلام و يفعله، فقد ورد فی كتاب له إلی عماله على الخراج: و لا تبيعن (۲) للناس فی الخراج كسوه شتاء و لا صيف ولا دابه يعتملون عليها و لا عبداً، و لا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم و لا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد إلا ان تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على اهل الاسلام.

۱- تاريخ اليعقوبی ج۳ ص ۱۵۲ طبعه المطبعه الحيدريه بالنجف الاشرف ۱۳۸۴.

۲- نهج البلاغه ج۳ ص ۹۰-۹۱.

[*۲۲] یحدثنا المسعودی (۱) عن الحجاج حیث امر ابن عم له بدوی علی اصفهان بعدان کلفه بقسمه ثلاثه دراهم بین اربعه، فما زال یقول ثلاثه دراهم بین أربعه، ثلاثه بین أربعه.

لکـل واحـد منهم درهـم، یبقی الرابع بلاـ شـیء، کم هم ایها الامیر؟ قال: هم أربعه، قال نعم ایها الامیر، قـد وقفت علی الحساب، لکل واحد منهم درهم، و انا اعطی الرابع منهم درهماً من عندی، و ضـرب بیده ؤلی تکته فاسـتخرج منها درهماًریال و قال أیکم الرابع؟ فلاـ هـا الله مـا رأیت کـالیوم زوراً مثـل حسـاب هؤلاـء الحضـربین، فضـحک الحجـاج و من معه، ثم قال الحجاج ان اهل اصـبهان کسـروا خراجهم ثلاـث سـنین، کلمـا اتـاهم و ار اعجزوه فلاـ رمینهم ببـدویه هـذا و عنجهیته إلی و کتب له عهـده علی اصبهان الی، فلمـا اسـتقر فی داره باصـبهان، جمع اهلها فویخهم علی نقص الخراج و طلبوا منه تأخیر الخراج ثمانیه أشـهر، فاخذ منهم عشـره ضـمناء یضمنون و أعطاهم عشره أشهر مهله، فلما قرب الوقت راهم غیر مکترثین لما یدنوا من الاجل، فقال لهم: فلم ینتفع بقوله، فلمـا طـال به ذلـک، جمع الضـمناء و قال لهم: المال، فقالوا اصابنا من الآفه ما نقض ذلک، فآنی ان لا یفطر (و کان فی شـهر رمضان)حتی یجمع ماله أو یضـرب اعناقهم، ثم قـدم أحدهم و ضـرب عنقه، و کتب علیه فلان بن فلان ادی ما علیه، و جعل رأسه فی بدره و ختم علیها، ثم قدم الثانی، ففعل به مثل ذلک، فلما رأی القوم الرؤوس تبذر و تجعل فی الاکیاس بدلاً من البـدر، قـالوا ایهـا الاـمیر توقف علینا حتی نحضـر لک المال، ففعل فاحضـروه فی اسـرع وقت إلی و لم یزل علیها والیا حتی مات الحجاج

۱- تلخیص من مروج الذهب ج۳ ص ۱۷۹-۱۸۱ الطبعه الرابعه القاهره ۱۳۸۴-۱۹۶۴.

الفصل التاسع: رسوم دار الخلافه

اشاره

كـان اللون الـذى اتخـذه الخلافـاء فى القرن الرابع الهجرى شـعاراً لهم السواد والبياض ؛ فلما ركب الخليفه المقتـدر فى عام ٩٣٢ ٣٢٠م لقتال موءنس ، وهى الركبه التى قُتل فيها وأشـفق من عاقبتها إشفاقاً كبيراً ، خرج من داره فى أكمل لباس وموكب ، فكان عليه خفتـان ديبـاج فضـى وعمـامه سوداء ،وعلى كتفيه وصـدره وظهره الـبردهُ النبويه ، وهو متقلـد بـذى الفقـار سـيف الرسول ، وحمائله أدم أحمر ، وفى يده اليمنى الخاتم والقضيب ؛ وسار بين يديه ولى عهده ابنه أبو أحمد عبدالواحد ، وعليه خفتان ديباج وعمامه بيضاء(١).

وكـانت عـاده خلفاء العباسـيين فى لاقرن الثالث والرابع أن يلبسوا قلنسوه محـدَّده وقباء ، وكلاهما أسود (٢) وكان هـذا هو لباس وجوه رعيتهم أيضاً ، وكان

١- عريب ص ١٧٧ ١٧۶ ، والمنتظم لابن الجوزى ص ۴٣ب ، وقدجاء فى شـعر الشريف الرضى ما يدل على أن القضيب والبرده هى برده النـبى عليـه السـلام .انظر الـديوان ص ٣١٣، ۵۴٣ مـن طبعـه بيروت ١٣٠٧ه. وقـد اتخذ الأخشـيد صاحب مصـر الخفتان الفضى لباساً له ،كما فعل الخلفاء ، وأمرألا يلبسه أحد سواه (المُغرب لابن سعيد ص ٣٠) .

٢- مروج الذهب للمسعودى ج ٨ ص ١۶٩، ٣٧٧. وقد أراد سلاطين المماليك أن يقلدوا الخلفاء فى لباسهم القديم تقليداً كاملا ، وكان لباسـهم يتألف من : . ١ عمامه حرير لها عـذبه مدلاه بين الكتفين . ٢ جبه حرير سود اء واسـعه الكمين ، لانقش عليها . ٣ سيف عربى كان يحمل على طريقه البدوله حمائل يعلّق بها على الكتف الأعن وهو مدلى على الجانب الأيسـر ؛ ويقال أنه سـيف عمر بن الخطاب . (انظر Quatremere Mameloucs, ١. ١٣٣)

السواد هو كذلك لون الخرقه التى كانت تحضر فيها الصدقه كل يوم عند صلاه الصبح لنفريقها على المحتاجين(١).

وكذلك كان عَلَم الخلافه أسود ، عليه بالكتابه البيضاء : محمد رسول اللّه(٢).

أما خلفاء الفاطميين بمصر فكان لباسهم البياض ، وهو شعار العلويين ؛ وكانت ألويتهم بيضاء ، وعليها أحياناً أهلّه من ذهب ، فى كلٍّ منها صوره سبع من الديباج الأحمر ؛ وقدشبّهها أحد الشعراء بشقائق النعمان (٣).

وكانت طريقه تتويج الخليفه أن يعقِدَ لواء نفسه على الرسم المعروف فى ذلك ، وأن يتسلم خاتم الخلافه ممن يكون ذلك معه(٤).

وهذا تتويجٌ على الطريقه العربيه البسيطه أما أمراء الأطراف فقد كان التتويج بالنسبه لهم تتويجاً حقيقيا تجرى رسومه على الطريقه الوثنيه؛ فكان يوضع على

١- كانت هذه الخرقه تحوى مائتى درهم كل يوم ، وكان ما فيها يفرق على من فى قصر الرصافه من الحرم المحتاجات (كتاب الوزراء ص ١٩) ؛ ويخبرنا أبوالمحاسن أن زكاه ابن طولون كانت ألف دينار فى كل يوم ؛ وكثير من الأرقام التى يذكرها أبوالمحاسن عن الطولونيين مجرد درقام خياليه .على أن المقريزى (الخطط ج ١ ص ٣١٦)يقول إن صدقات ابن طولون كانت ألفى دينار فى كل شهر سوى ما يطرأ من نذر أو صدقه شكر. (المترجم) .

٢- مسكويه ج ٥ ص ٢٩٤، وكان ولى العهد العباسى فى أواخر القرن الرابع ، وكذلك أمراء الأطراف ، يسير بين يديهم علمان : لواء أبيض ورايه سوداء ؛انظر تاريخ أبى المحاسن طبعه ليدن ج ٢ص ٣٥، وعريب ص ١٧٧، وابن الجوزى فى المنتظم ص ٤٣ب، ١١٢ب، ١٢٥ب .

٣- أبوالمحاسن ج ٢ص ٤٦١ ٤٦٠، وكتاب الديارات للشابشتى ، ص ١٢٩ .

٤- مسكويه ج ٥ص ٤٥٤ .

رأس الأمير تاجٌ مرصّع بالجواهر ، ويلبس طَوقاً وسوارَين من الذهب المنظوم بالجوهر عاده(١).

وكان لباس الحاشيه الرسمى فى القرن الثالث الهجرى أحمر اللون فى العاده؛ فيحكى أن المتوكل شرب يوماً فى أحد قصوره ، وأمر بضرب دراهم ؛ وصُيِغ منها الأحمر والأصغر ، ثم أمر الحاشيه أن يعِدَّ كل واحد منهم قباء جديداً وقلنسوه على خلاف لون الآخر وفلنسوته ؛ ثم أمر بنثر الدراهم كما ينثر الورد ، وحوله الندماء والخدم وقوف (٢).

أما فى القرن الرابع فكان الغلمان عند ساعات الاستقبال بعضهم بسواد وبعضهم ببياض(٣).

وكان يحمل على رأس خلفاء العباسيين والفاطميين شَمسه الخلافه (وتسمى

١- لبس سيف الدوله أمير حلب تاجاً مرصعاً بالجوهر لما استقبل رسول ملك الروم فى سنه ٣٥٣ه ٩٦٤م (يحيى بن سعيد ص ٩٤ب). وكان طوق الذهب من علامه المحاربين عند المصريين القدماء (ZDMG.٢١١.S.٤١/.) ؛ وصار حوالى عام ٣٠٠ه ٩١٢م يخلع عند المسلمين على القواد المنتصرين (عريب ص ٣٥)؛ وقد سُوِّر القائد الذى هزم القرامطه بسوارين من الذهب (عريب ص ٣) .ويظهر أن أول أمير خلع عليه الطوق والسواران هو الأخشيد أمير المصر، وقد أنفذ الراضى هذه الخلع مع وزيره الفضل بن جعفر فى عام ٢٢٤ه ٩٢٥م؛ وقد زينت لذلك الأسواق والشوارع بأنواع الفرش والستور والبسط وأبواب الجامع ، وركب الأخشيد إلى الجامع العتيق ، وعليه خلع الراضى ، ومعه الوزير (الغرب لابن سعيد ص ١٨ ١٧)؛ أما خمارويه ، سلف الأخشيد ، فلم يرسل له الخليفه إلا السيف والتاج والوشاح من غير طوق (كتاب الولاه للكندى ص ٢٤٠) ؛ رند ظل ال .والسوار مما ينحلى به الفواد فى عصر الفاطميين .وذلك كله رغم ما قضى به فقهاء الإسلام من تحريم لباس الذهب والتحلى به .

٢- كتاب الديارات ص ٦٨ب .

٣- كتاب العيون ص ٢٣٥ب .

فى مصـر .)؛وقلَّ ما نسمع عن الشَّمسه ببغداد، ففى عام ٣٣٢هـ ٩٤٣م أمر الخليفه أن تُحمل بين يدى أحد الكبراء شـمسه الخلافه ، فكان هذا ..بما لم يسبح به من كان قبله من الخلفاء(١).

وكانت المظله فى القاهره علامه أبّهه الخلافه ، وكان لونها يشابه لون ثياب الخليفه(٢).

وكـان من علامات سياده الخليفه ببغـداد أن يضـرب على باب داره بالطبول والـدبادب ولاأبواق فى أوقات الصـلوات الخمس ، وكان لايوقَف ذلك إلا أيام العزاء بدار الخلافه(٣).

وقـد حـاول الخليفه أن يحافـظ على هـذه المزيه ويحول دون اتخـاذ الأـمراء لها ولكن ذلك لم يـدُم ؛ ففى عام ٣٦٨هـ ٩٧٨م أمر الخليفه بأن تُضـر الـدبادب على باب عضد الدوله فى أوقات الصـلوات الثلاث : الغداه والمغرب والعشاء؛ وفى عام ٤١٨هـ ١٠٢٧م أذن الخليفه بعد إباء لجلال الدوله بأن يضـرب الطبل أمام داره فى الصـلوات الخمس ؛ وفى سنه ٤٣٦هـ ١٠٤٤م ضُرب الطبل أمام دارالأمير خسماً ، كما هو الجال بانسبه للخليفه تماماً(٤).

وظل لقب الخليفه بسيطاً كبساطه لباسه ، وهو اللقب المشهور :«أمير

١- كتاب العيون ص ٢٢٦ب .

٢- الخـط للمقريزى ج ٢ص ٢٨٠ نقلاـ عن المسبَّحى (المتوفى عام ٤٢٠هـ . ..م)؛ وأبوالمحـاسن طبعه ليـدن ج ٢ص ٤٧٤ ٤٧٣، وترجمه فسـتنفد لمختصر صبح الأعشى للقلفشندى ص ١٧٣. ومن بقايـا العادات البربريه التى اسـتبقاها الفاطميون انهم كانوا من تحريفهم يسيرون بالجيوش ومعهم توابيت آبائهم (أبوالمحاسن طبعه كلفورنيا ص ١٠) .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١٧٦ب، ٢٠١ب .

٤- المنتظم ص ١١٤، ١٧٥ب ، ١٩٧ب، وابن الأثير ج ٩ ص ٢١٥ .

الموءمنين »(١)؛ على أنه منذ أيام الخليفه العباسى الثانى صار الخليفه يمسى باسم فيه نسبه إلى اللّه ؛ وكان اتخاذ هذا اللقب أول عمل يقوم به بعد البيعه له(٢).

ولا نعرف المثال الأولى الذى كان أساساً لذلك . وفى سنه ٣٢٢ﻫ ٩٣٣م طلب الخليفه الراضى من صديقه الصولى ج الأديب ولاعب الشطرنج المشهور ج أن يوجّه إليه بالأسماء التى تُنعت بها الخلفاء وتكون أوصافاً لهم . ويحكى لنا الصولى نفسه (٣) أنه بعث إليه رقعه فيها ثلاثون اسماً ليختار منها ما يريد ، وأشار عليه أن يختار منها المرتضى باللّه .وقد وثق من اختياره له حتى إنه ابتدأ من وقته يعمل أبياناً ضاديه نافيتها المرتضى ، على أن ينشده إياها ؛ فلما فرغ منها جاءه ورسول الخليفه برقعه فيها :إن إبراهيم بن المهدى لما بويع أيام المقتدر بالخلافه أراد أن يكون له ولى عهد ، فأحضروا المنصور بن المهدى وسموه المرتضى ، وما أحب ، أن أتسمى باسم قد وقع لغيرى ، ولم يتَم له أمره ؛ وقد اخترت الراضى باللّه. وقد حفظ لنا الصولى فى تاريخه القصيده الأولى التى ألقها ، ولم يقدّر لها أن تنشد .وقد أمره الخليفه أ ن يعملها قصيده أخرى على قافيه الراضى ، فعملها(٤).

وكان كاتب الخليفه القادر (٤٢٢ ٣٨١ﻫ ١٠٣١ ٩٩١م) أول من أخرج فى ذكر الخليفه وصِّفَه بالحضره المقدسه النبويه ، اختراعاً جعله قُربه ، فصار سنّه ؛

١- على أنه أذا كان الخليفه المستكفى قد لقب نفسه فى عام ٣٣٤ﻫ ٩٤٥م بلقب أمام الحق وضرب ذلك على السكه فإنما كان ذلك ردّا على مزاعم جميع أئمه الفاطميين وأئمه الشيعه (انظر المنتظم ص ٧٣ب ، وأبوالمحاسن ج ٢ ص ٣٠٨ طبعه ليدن) .

٢- وكان ملوك السامانيين يسمون بعد موتهم بأسماء غير التى يسمون بها فى حياتهم (المقدسى ٣٣٧) .

٣- الأوراق مخطوط باريس ص ٥ ٢، ص ٢١ ١٥ .

٤- هذه القصيده موجوده فى كتاب الأوراق ص ٢١ ١٥ .

ومضى فى ذلك حتى خرق العرف والعاده ، فكتب عن الخليفه بالخدمه ، حتى رأيت بخط أبى الحسن بن أبى الشوارب القاضى فى ترجمه رفعه : خادم الخدمه الشريفه فلان بن فلان »(١).

وكان الأمراء وكبارُ أصحاب المناصب والعمال ينها لكون جيمعاً على الألقاب تهالكا شديداً ، وكانواجميعاً يلَقبّون بألقاب منسوبه إلى الدوله مثل ولى الدوله ، وعماد الدوله ، ومعُين الدوله ، وعزّالدوله ، ونحو ذلك(٢).

ويقول البيرونى (المتوفى عام ٤٤٧ه ١٠٥٥م):«وبنو العباس لما لقّبوا أعوانهم بالألقاب الكاذبه ، وسوّوا فيها بين المُوالى والمعادى ، ونسبوهم إلى الدوله بأسرهم ضاعت دولتهم »(٣).

وفى النصف الثانى من القرن الرابع احتيج إلى التفريق بين أصحاب الألقاب فُثّنى لبعضهم التلقيب ، فكان عضد الدوله (المتوفى عام ٣٧٢ه ٩٨٢م) يلَقّب بتاج المله ؛ وأخيراً ثُلَّث التلقيب ، فلقَّب بهاء الدوله ضياء المله وغياث الأمه . ثم ذاعت ألقاب الدولظ فى كل مكان عند الفاطميين ، وعند السامانيين فى تلقيب قواد الجيوش دون تلقيب أنفسهم ، لأنهم لم يرغبوا فيها ، واكتفوا بالتكنيه ، وعند

١- كتاب الوزراء الهلال الصابى (المتوفى عام ٤٤٧ه ١٠٥٥م)ص ١٢٥ .
٢- إن أخدم هذه القاب ج التى لا تزال تستعمل إلى اليوم مثلا قبا للوزير بفارس ج هو لقب والى الدوله الذى لقب به الوزير أبوالقاسم (المتوفى سنه ٢٩١ ه ٩٠٣م)؛ وفى عهد بالحكام بأمر اللّه فى مصر لقب أحمد العمال بأمين الدوله ؛ انظر الآثار المباقيه للبيرونى ص ١٢٢والصفحات التاليه ، وبيحيى بن سعيد ص ١١٣ ب .
٣- الآثار الباقيه للبيرونى ص ١٣٢ .

بغراخـان التركى؛ فـإنه لما خرج فى سـنه ٣٨٢ه ٩٩٢م لقّب نفسه بشـهاب الـدوله ؛ ثم ظهرت ألقـاب كـاذبه فيهـا معـارضه لروح الإسـلام وتجروء على مقـام الألـوهيه . وكان البويهيون أول من سـموا وزراءهم بأسـماء مما ينبغى أن يطلق على اللّه مثل :الأوحد وكـافى الكفاه ، وأوحـد الكفاه ؛ وجاوز نفر هـذا الحـد ، فسـموا أنفسـهم بأمير العالم وسـيد الأمراء ؛ ولـذلك يوقل البيرونى بعد ذكره ما تقدم :«فأذاقهم اللّه الخزى فى الحياه الدنيا ، وأظهر لهم ولغيرهم عجزهم »(١).

وأخيراً يقـال إن الخليفه القـادر باللّه (٣٨١ ٤٢٢ه ٩٩١ ١٠٣٠م) لقب محمود بن سـبكتكين صـاحب غزنه بأكبر لقب ظل له شأن عند الأجيال التاليه وهو لقب السلطان ، وكان محمود أول من لقب به(٢).

ولكن أمير بغداد طلب فى سـنه ٤٢٣ه ١٠٣١م أن يلقّب بالسـلطان المعظم مالك الأمم ، فقال القاضـى الماوردى ، رسول الخليفه إلى الأـمير ؛ إن هـذا لاـ يمكن ؛ لأن السـلطان المعظم هو الخليفه ، وكـذلك مالك الأمم ، فعـدل الأميرإلى لقب مالك الـدوله، فأجاوءه الماوردى(٣).

وفى سنه ٤٢٩ه ١٠٣٧م زيـد فى ألقاب جلال الـدوله شاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، وهو اللقب الوثنى القديم ؛ فنفر العامه من ذلـك ،ورموا الخطبـاء الـذين ذكروه فى المساجـد بالآـجرَّ ؛ ووقعت فتنه ؛ ومع أن الفقهـاء أفتوا بأن هـذه الأسـماء أنما يعتبرَ فيها القصد والنيه ، وأنَّ ملك الملوك معناه ملك ملوك الأرض ، وليس

١- الآثار الباقيه للبيرونى ص ١٣٤ .

٢- ابن الأثير ج ٩ص ٩٢، وكتاب الأوائل لعلى دده مخطوط رقم ٩٣٧٢ بمكتبه برلين ص ١٥٥ نقلا عن تاريخ الخلفاء للسيوطى .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١٨٤ب .

فيه مـا يوجب النكير ولاـ الممـاثله بين المخلوق والخالق ، وأن هـذا القب جائز ،كما جاز أن يقال :كافى الكفاه ، وقاضـى القضاه فإن كثيرين من أهل الجـد والتدفيق لم يرضوا به ، وذكروا أن القاضـى الماوردى منع من جوازه ، حتى أدى ذلك إلى أن انقطع عن خدمه جلاله الدوله بعد أن كان مختصاً به(١).

ولم يرض هلاـل الصابى عن تلقيب القادر باللّه ابنه وولى عهـده بالغالب باللّه فى عام ٣٩١ه ١٠٠٩م؛ وهو يذكر بعد حكايته لهذا تلك العباره المعروفه التى كانت مكتوبه على قصر الحمراء: لا غالب إلا اللّه وحده لا شريک له(٢)

ولم تكن ثمه قيمه حقيقيه إلا الألقاب التى يمنحها الخليفه ، وكان يدفع له من أجلها الشـئ الكثير؛ وكان ذلك أكبر أبواب دخله فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، فبعـد أن لُقّب أمير بغـداد بمالك الدوله فى سـنه ٤٢٣ه ١٠٣١م بعث للخليفه ألطافا كثيره ؛ وقد أرسـلها قبل التلقيب ، وإن كان قد أحب أن يلقّب أولا ثم يرسلها . وكانت هذه الهدايا ألفى دينار ؛ وثلاثين ألف درهم ، وعشره أثواب خز ، ومائه ثوب ديباج مرتفعه ، ومائه أخرى دونها ، وعشـرين منّا عوداً ، وعشـره أمناء كافوراً ، وألف مثقال عنبراً ، وألف مثقال مسكا ، وثلاثمائه مبخر صينى ، وأرسل أيضاً هدايا أخرى لبعض رجال الحاشيه(٣).

١- المنتظم ص ١٩٣ ١٩٢، وطبقات السبكى ج٣ ص ٣٠٥؛ وكان الماوردى من خواص جلال الدوله ، فلما أفتى بالمنع انقطع عنه ؛ فطلبه جلاـل الـدوله يومـا ، فمضـى إليه على وجـل وخوف، فقـال له الأمير : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحـداً لحابيتنى لما بينى وبيتك ؛ . . . .على ذلک إلا الدين ، ففرّ بک ذلک منى ، وزاد محلک عندى .

٢- كتـاب الوزراء ص ٤٢٠، ويـذهب الصولى (الأوراق ص ٣) إلى أن الألقـاب مكرومه منهى عنهـا فى كتـاب اللّه وعلى لسان رسوله عليه السلام ، قال اللّه عزوجل : ولا تنابزوا بالألقاب .

٣- المنتظم ص ١٨٤ب من مخطوط برلين .

وفى هذا العصر أيضاً ارتقت صور الأدب فى حضره الخلفاء حتى صارت على رسم بقى فى جوهره مستمراً طول العصور . كان الخليفه المأمون حوالى سنه ٢٠٠ه يخاطب كما يخاطب أى رجل آخر بلفظ أنت (١).

وكذلك كان يخاطب الخليفه المقتدر عاده حوالى عام ٣٠٠ه(٢).

وإن كانت تستعمل إذ ذاك طريقه الخطاب بضمير الغائب إلى جانب ذلك ، فكان يقال أميرالموءمنين أمر بكيت كيت . وفى أواخر القرن الثالث لم يكن من السائغ أن يخاطَب أى رجل بمثل هذه الباسطه ، وفى أوائل القرن الرابع لقى الخليفةُ المتقى الأخشيدَ صاحب مصر بالرقّه ؛ وقد حمل الأخشيد الهدايا ، وأظهر الخدمه والأدب ؛ وخاطب وزيرُ المتقى الأخشيدَ باسمه ، فأمره الخليفه بأن يكنِّيه تأكيداً لقدره واحتراماً له (٣).

وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كان الخليفه المعتضد لشده هيبته إذا خاطب صديقه الطبيب ثابت بن سنان فى الملأ سمّاه ؛ وإذاكان فى الخلوات كنّاه(٤)

وكان المأمون يمديده مسلماً على البطريق ديونيسيوس، وهكذا كان يفعل بكل من يريد إكرامه(٥)

١- كتاب بغداد لطيفور ص ٩٤ومواضع كثيره .

٢- انظر مثلا عريب ص ١٧٦، وكتاب الوزراء ص ٢٢٩ .

٣- المغرب لابن سعيد ص ٤٠ .

٤- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعه ج ١ص ٢١٦ .

٥- ٥١٧ .Michael Syrus, S

ولما فارق موءنس القائد الخليفه فى أوائل القرن الرابع الهجرى قبّل يده[(١)]؛

وكان من خاص التكريم فى ذلك العهد أن يقبل الإنسان رجل من هو فوقه[(٢)]وكتف من يساويه [(٣)]

وكذلك سلّم الجوارى من قبل على تليماكوس (Telemachos) بأن قبّلن كتفه وأعلى رأسه[(٤)].

وقد دعا الخليفه الراضى المير بجكم مره، فقبل هذا القائد فخذ الراضى ويده [(٥)]

وكـان الأولون من مسلمى العرب يرون فى تقبيـل الأرض أمام المخلوقين اجتراء على حقوق اللّه ؛ ولما قـدم على المقتـدر باللّه رسل ملك الروم أعفاهم من تقبيل البساط لئلا يطالَب المسلمون بمثل هذا فى بوزنطه[(٦)].

وفى حكايظ ترجع إلى أوائل القرن الرابع أن رجلا صالحا كتب كتاباً لغلام من غلمان نازوك يستعطف فيه سيده ، بعد أن طرده ؛ فاستدعى نازوك ذلك الرجل ، فحضر مرناعا ، وأهوى ليقبل الأرض ؛ فقال له نازوك ، وكان صاحب الشرطه : « .. عافاك اللّه ، لا تفعل ، هذه من سنن الجبّارين ، مانريد نحن هذا »[(٧)].

١- الهمذانى مخطوط باريس ص ٢٠١ب .

٢- كتاب الوزراء ص ٣٥٨ .

٣- نفس المصدر ص ٣٥٧، ٤٢٣ .

٤- Odyssee,ZVII, ٣٥ وكذلك فعل لأوديسيوس رعاه الخنازير والبقر (XXI،٢٢٤) .

٥- الأوراق للصولى٥٤ .

٦- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى طبعه سلمون ص ٥٦، ويحكى مسكويه (ج٥ ص ١٦٥)ذلك باقتضاب فيقول : فلما دخلا (الرسولان) قبّلا الأرض .

٧- الفرج بعد الشده ج١ص٥٤ .

على أنه حوالى عام ٣٣٠ه لما لقى الأخشيدُ الخليفه المتقى فى الرقه ترجّل عن بعدٍ ومشى الغلام بسيفه ومنطقته وجعبته بين يدى الخليفه على سبيل الخدمه ، وقبّل الأرض مراراً ، وتقدم فقبل يده ، ثم صاح به محمد بن خاقان : اركب يامحمد ، ثم صاح : اركب يا أبابكر ، فقيل إن المتّقى قال لابن خاقان : كنَّه ، فكناه للوقت ؛ ثم كان الأخشيد يقف بين يديه على سيفه ، وإذا ركب حجبه ، وجعل مقرعته على كتفه لأنه لم يخدم خليفه قط غيره ، وافتخر بذلك ؛ وقد أعجب الخليفه من فعله ، وقال له :«قد وليتك أعمال ثلاثين سنه ، فاستخلف لك أونوجور ، وقيل إنه كنّاه أبالقاسم ، فقبّل الأرض مراراً ، وأهدى إليه الأخشيد هديه أخرى على ما فعله بابنه أونوجور وتكنيته له »(١)؛ وفى عام ٣٦٩ه ٩٧٩م تم فى دار الخلافه تتويج عضد الدوله على أفخم صوره: جلس الخليفه الطائع على سرير الخلافه فى صدر صحن السلام ، وحوله من خدمه الخواص نحو مائه بالمناطق والسيوف ، وبين يديه مصحف عثمان، وعلى كتفيه البرده ، وبيده القضيب ، وهو متقلّد بسيف ، ووقف الأشراف من الجانبين ؛ودخل الأتراك والديلم ولم يكن مع أحد منهم حديد ؛ فلما وصل عضد الدوله أذن له الخليفه ، فدخل ؛ فلما وقع عليه طرفُ الخليفه قبّل الأرض بين يديه ، فارتاع أحد القواد لما شاهد ، وقال بالفارسيه : ما هذا أيها الملك ، أهو اللّه عزوجل ! فالتفت عضد الدوله إلى من يفهّمه أن هذا خليفه اللّه فى الأرض ؛ ثم استمر عضد الدوله يمشى ، ويقبل الأرض تسع مرات ، والتفت الطائع إلى خادمه ، وقال له : استدنه ، فصعد عضد الدوله وقبّل الأرض دفعتين ، فقال له الطائع : أُدنُ إلى أُدن إلى ، فدنا ، وأكب

١- المغرب لابن سعيد ص ٤٠ .

يقبل رجله وثنى الطائع يمينه عليه . وكان بين يديه سرير، ومما يلى الجانب الأيمن الكرسى ، فقال له : إجلس ، مرتين ، فلم يفعل ، فقال له : أقسمت، لتجلسنّ، فقبّل الكرسى وجلس ، وبعد ملاطفه قال له الخليفه :قد رأيتُ أن أفوّض إليك ما كل اللّه تعالى إلى من أمور الرعيه فى شرق الأرض وغربها وتدبيرها فى جميع جهاتها سوى خاصتى وأسبابى وما وراء بابى ، فتولّ ذلك مستجيراً باللّه تعالى ، فقال له عضد الدوله :يعينى اللّه عزّوجل على طاعه مولانا وخدمته ؛ ثم أمر الخليفه بأن تُفاض عليه الخِلَع ، ويتَوّج ، فنض عضد الدولظ إلى الرواق ، فأُلبس الغلع وخرج،وأمره الخليفه بالجلوس ، ثم عُقدت له الألويه ، وقُرئ كتابه ؛ ثم نصحه الخليفه بما أراد ، وقلّده سيفاً ،وخرج ، وبعد ثلاثه أيام بعث الخليفه إليه هديه فيها غلاله قصب وصينيه ذهب وحردادى بلور : «فيه شراب ناقص كأنه قد شرب بعضه ، وعلى فم الحردادى خرقه حرير مشدوده مختومه »(١).

وكان إجلال الخليفه فى مصر الفاطميه أعظم مما تقدم ، ففى سنه ٣٦٦ه ٩٧٦م قُرئ سجل أحد القضاه فى الجامع الأزهر ، « وهو قائم على قدميه ، فكلما مرّ ذكر المعزّ أوأحدٍ من أهله أو مأ بالسجود»(٢).

ولما أُسند القضاء أيضاً فى عام ٣٩٨ه ١٠٠٨م إلى مالك بن سعيد الفارقى قُرئ سجلُّه بالقصر ، وهو قائم على رجليه ، وكان القاضى كلما مر ذكر الحاكم فى السجل قبّل الأرض (٣)، وقد أمر الناس فى الحرمين فى إحدى السنين أن يقوموا

١- المنتظم لابن الجوزى ص ١١٥ب ١١٦ .

٢- ملحق أخبار الولاه والقضاه للكندى ص ٥٨٩ .

٣- نفس المصدر ص ٦٠٤نقلا عن المسبحى .

عند ذكر هذا الخليفه ، وكان إذا ذُكر فى الأسواق ومواضع الاجتماع بمصر قام الناس وسجدوا(١).

ولكن هذا الخليفه فى آخر أمره أظهر الزهد فمنع الناس من تقبيل التراب بين يديه ومن بوس اليد والرتماء بالسجود له ، ومنع من مخاطبته مولانا ؛ ولكن هذه الرسوم عادت فى زمن خلفه إلى ما كانت عليه من قبل (٢).

ولما احتضر الحاكم وصّى أبا محمد الحسن بن عمّار أحد شيوخ كتامه ، ثم جعل له الوساطه ، وخلع عليه ، وكان الناس يذهبون إلى قصره ، فمنهم من يومى بتقبيل الأرض ، ولا يقبل يده سوى أناس بأعيانهم ، وشرّف بعض الناس بتقبيل ركابه ، وكان أجل الناس من يقبل ركبته(٣)

وقد ضرب أحد رجال الحاشيه فى بخارى حوالى هذا العصر أحسن مثل للأدب وحسن الإصغاء للملك والإقبال عليه ؛ فبينما كان عنده يحادثه فى بعض مهماته لَسَعَتهُ عقربٌ فى إحدى رجليه عده لسعات ، فلم يتحرك ، ولم يظهر عليه أثر ذلك ؛ فلما عاد إلى منزله نزع خُفه ، وأخرج العقرب منها(٤).

ونظر الأخشيد إلى كافور يوما ، وقد جئ بفيل وزرافه ،فمال جميع العبيد والخدم بأبصارهم للفرجه ، فلم تبرح عينه من عين الأخشيد خوف أن يحتاج إليه

١- المنتظم ص ١٥٠ب .

٢- يحيى بن سعيد ص ١٢٢ب ١٢٣، ١٣٢ب ١٣٣ .

٣- الخطط للمقريزى ج ٢ص ٣٦ .

٤- ابن الأثير ج ٨ص ١٩٦، ويحكى مثل هذا عن الحجاج وعبد الملك بن مروان ؛ انظر محاضرات الأدباء طبعه بولاق ج ١ص ١١٧ .

ويدعوه ، فيكون مشتغلا عنه(١).

وقد تكلم المسعودى فى عام ٣٣٢ه ٩٤٤م عن هذا الأدب فى حضره الملوك ، فقص علينا يحادثه بحديث لأنوشروان فى بعض حروبه ؛ فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعاً من الآجر من أعلى السطح إلى المجلس ، فارتاع من حضر لوقعها ، والهذلى شاخص نحو السفاح ، لم يتغير من شده ميل ذهنه وانشغال فكره بمحادثه الأمير ، حتى لم يصبح فيه لحادث مجالٌ(٢).

ويحدثنا أيضاً عن دحد سُمَرَاء شبرويه بن أبرويز أنه كان يساير الملك ، ويستمع حديثه مُصغياً ذليه بجواحه كلها ، حتى ترك النظر إلى موطئ حافر دابتّه ، فزلّت إحدى قوائمها فمالت بالرجل إلى النهر ووقع فى الماء ، فسُرَّ الملك بذلك ، لأنه لم يكن يظنه بهذا المقدار من الإقبال عليه ، «فحشا فاه جوهراً ودُرًّا ، واستبطنه ، حتى غلب على أكثر أمره (٣)».

وكان الأمراء فى مخاطباتهم الرسميه وفيما بينهم يتكلمون عن الخليفه ، أميرالموءمنين ، بكل احترام ، ويعبّرَون فى كلامهم عنه بمولانا ، ويضع الواحد منهم نفسهم من الخليفه موضع «المولى »(٤)؛ وكان أحدهم إذا كتب لآخر افتتح

١- المغرب لابن سعيد ص ٤٧ .
٢- يحكى شئ يشبه هذا عن أبى القاسم الكعبى فى حضره أمير خراسان ، محاضرات الأدباء ج ١ص ١١٧ .
٣- مروج الذهب ج ٦ص ١٢٥ ١٢٢ .
٤- ولم يكن الواحد منهم يسمى نفسه عبدا ، كما فعل تكين صاحب مصر ، حتى عام ٣٠٠ه كتاب العيون ص ١٢٥ب (؟) .

كتـابه بالكلام عن الخليفه من نحو:« كتابى ومولانا أمير الموءمنين سالم موفور واللّه على ذلك محمود مشكور »(١) ، وكان كل شئ ينسب إلى أمره(٢).

وفى سنه ٣٧٨ه أهـدى الصاحب بن عبّاد إلى فخر الـدوله فى أول المحرم ديناراً وَزنُه ألفُ مثقال ، وكان على أحـد جانبيه أبياتٌ من الشعـر ، وعلى الجانب الآخر سورةُ الإخلاص ولقبُ الخليفه الصائع للّه ولقبُ فحر الدوله واسمُ جرجان ، لأنه ضرب فيها؛ هذا مع أن الإهداء كان بالرى ، فى مكان طهران الحاليه ، مع بعدها عن دار الخلافه(٣).

ولكن أميرالموءمنين كان عنـد التقائه بالأمراء يرى ضـعفه المتزايـد ونقصان منزلته ، ومن ذلك أن بجكم القائـد التركى كان من عـادته فى داره وحشـمه ألا ـ يشـرب الماء إذا جاءوه به إلا بعـد أن يـذوقه بين يـديه من جاء به ؛ وعَلم الخليفه الراضـى بـذلك ؛ فاسـتعمل معهمـا يعمل له فى منزله ؛ فكان إذا حُمل شـئ وُضع بين يـدى الراضـى أولاً ، فأكل منه ؛ ثم يوضع بين يـدى بجكم ، وجرى ذلك فى كل ما يوضع بين يديه ، وكان بجكم يستعفى الراضى من هذا فلا يعفيه (٤).

(وقـد تعرض بلاـط الخلافه لأكبر ما أنقص هيبته فى عهـد المسـتكفى ٣٣٤ ٣٣٣ه ٩٤٦ ٩٤٤م) لأنه وقع فى سـلطان امرأه فارسيه مستبده تسمى حُسن ،

١- انظر مثلا رسائل الصابى مخطوط رقم ٧٦٦بمكتبه ليدن ص ٧٢ب ، ٩٠ب، ١٢٩ .
٢- انظر مثال نفس المصدر ص ١٢٥: « وأنهينا ذلك إلى مولانا أمير الموءمنين ، وخرج إلينا أمره لازال عالياً وسـلطانه سامياً ..» ، وص ٢٠٣:« ولـم يزل أكرمكم اللّه مولانـا أميرالمـوءمنين يتطلع أخبـاركم ..ويرى فيكم مـا يراه فى كـافه المسـلمين من حمـايظ حريمكم وصيانه جميعكم .ويجارينا أعزّه اللّه ذلك من نيته .ويهيب بنا إلى الذب عن دياركم .» .
٣- ابن الأثير ج ٩ ص ٤١ .
٤- الأرواق للصولى ص ٥٤ .

«والتفُّ إلى حسنّ نفرٌ ممن كانوا معها على الأصول القبيحه .وكانت تتولى عرض الغلمان والحجّاب فى قصـر الخليفه فى مجلس يقال له الحودان ، لم يكن يصل إليه أحـد إلا وزير أو صاحب ، فانخرقت الهيبه بهذه المرأه ، وذهبت الرسوم التى كانت للخلافه ، وصارت الـدار طريقاً لكل من لم يرَها ، وكان كل من وصل إلى المسـتكفى أجلسه بين يـديه .» ؛ وأرادت هذه المرأه أن تأمن توزون وتصـلح قلبه ، فجعلت الخليفه يـدعوه ويكرمه بما لم يسـمح به أحد من الخلفاء قبله ؛ فكان يأكل معه على مائده واحده ، ويقـدم له دابّهً فى الرواق التسـعينى ، وهو موضع لم يركب منه خليفه قـط؛ وأمر أن تحمـل بين يـديه شـمسهُ الخلافـه و أن يسـير الخـدم معه إلى داره(۱)؛ و كـان من سوء حـظ الخلفـاء أن الـديلم الـذين ملكوا بغـداد كانوا شـيعه، فازداد أمر الخلافه إدباراً، و ذهبت حرمهُ الخلفاء، ولم يبق لهم من الأمر شـىء؛ لأن الـديلم « كانوا يتشـيعون و يغالون فى التشـيع و يعتقدون أن العباسـيين قد غصبوا الخلافه، و أخذوها من من مستحقّيها، فلم يكن عندهم باعثٌ دينى على الطاعه(۲)».

وقـد كان ثوار دار الخلافه حتى ذلك الوقت هم الـذين يخلعون الخلفاء و يقتلونهم؛ أما الآن، بعد قدوم الديلم، فقد صار الخليفه يعامَل أمام الناس جميعاً معامله سيئه، لا تُراعى له فيها حرمهٌ و لا يعرف له فيها قدر ففى سنه ۳۳۴ه ۹۴۵ م ذهب الأمير معز الدوله إلى دار الخليفه، و ذهب إليها سائر الناس على رسمهم؛ فلما جلس المستكفى على سريره، ووقف الناس على مراتبهم، دخل

۱- كتاب العيون ص ۲۲۴ ج ۲۲۶ ب .

۲- ابن الأثير ج ۸ ص ۳۳۹ .

الأمير معز الدوله، فقبَّل الأرض على رسمه، ثم قبّل يد المستكفى و وقف بين يديه يحدثه؛ ثم جلس على كرسى، فتقدم نفسان من الديلم و مدّا أيديهما إلى المستكفى، و علا صوتهما بالفارسيه؛ فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها إليها، فجذباه بها و طرحاه إلى الأرض، و وضعا عمامته فى عنقه، و جرَّاه؛ فنهض حينئذ معز الدوله، و اضطرب الناس و ارتفعت الزعقات، و الفتتنت دار السلطان، و ضُربت الأبواق، و ساق الديلميان المستكفى باللّه ماشياً إلى دار معز الدوله حيث سُملت عيناه(۱).

وفى ۳۶۴ه دخل عضد الدوله بغداد، فكان من حسن سياسته أنه سعى حتى ردَّ الخليفه بعد أن أخذه الأتراك معهم كارهاً؛ و خرج للقائه فى الماء، . معه حشدٌ عظيم من أهل بغداد، و سار معه حتى أنزله بدار الخلافه(۲)؛ و لكن عضد الدوله طلب من الخليفه فيما بعد، لما رجع إلى بغداد عام ۳۷۰ه ۹۸۰ م، أن يخرج لقائه إلى جسر النهروان، «و لم تكن العاده جاريه يخروج الخلفاء لتلقّى أحد من الأمراء(۳)».

و كانت حاشيه دار الخلافه و نفقاتهم فى عهد الخليفه المعتضد ۲۷۹ ج ۲۸۹ه ۸۹۲ ج ۹۰۱ م كما يلى:

۱ أمراء بيت الخلافه.

۲ أصحاب النوبه من الرجَّاله، و أرزاقهم فى كل يوم ألف دينار، منها سبعمائه

۱- يحيى بن سعيد ص ۸۶ ب، و مسكويه ج ۶ ص ۱۲۳ ج ۱۲۴ .
۲- ابن الأثير ج ۸ ص ۴۷۷ .
۳- المنتظم ص ۱۱۷ ج ب .

دینار للبیضان، و هم البوّابون، و ثلثمائه للسودان، و أکثرهم ممالیک الخلفاء(۱).

و من رسمهم أن ینوبوا فی مصافّ باب الخاصه و حوالی القصر. ولهم وظیفه خبز یمَیزون بها لقله أرزاقهم(۲).

۳ الغلمان الُمعتَقون، و هم فی الغالب مما لیک الخلفا؛ و منهم یختار الحجابُ، و عدّتهم خمسه و عشرون، و خلفاء الحجاب، و کانوا نحو خمسمائه(۳).

ولما قتل المقتدر کان معه رجل من خلفاء الحجاب طرح نفسه علیه فذبح أیضاً(۴). وفی سته ۳۲۹ه‍ ۹۴۰ م أنشئ لأول مره منصبُ حاجب الحجاب(۵).

۴ المختارون، و هم حرس مستخلصون للموکب و ملازمه الدار و الدخول أوقات جلوس الخلیفه، و المقام من أول النهار إلی آخره. و کان جند کل قائد ببغداد بما فیهم ممالیکه المسلحون یوءلِّفون وحده قائمه بذاتها؛ فاختار الخلیفه من کل قیاده من عُرف بالشهامه و الشجاعه، و سُمُّوا قوادهم، فقیل الیأنسیه (و ذلک نسبه لیأنس)، والمُفلحیه و المسروریه و هکذا. علی أنه کان للمعتضد ممالیک یقیمون فی القصر و الحُجَر تحت مراعاه الخدم و الأستاذین و سمّاهم الحُجَریه؛ و هم یختارون من بین الفرسان الذین یحسنون الرکوب و

۱- و فی مصدر آخر لا ینطبق ما فیه علی حقیقه الواقع تماما أن عدد هوءلاء الغلمان السود غیر الخدم أربعه آلاف (تاریخ بغداد طبعه Salmon ص ۵۱) .

۲- انظر فی هذه الأصناف کلها کتاب الوزراء من ص ۱۱ إلی ص ۳۱ .

۳- مسکویه ج ۵ ص ۵۴۱، و تاریخ بغداد طبعه سلمون ص ۴۹، ۵۱ .

۴- مسکویه ج ۵ ص ۳۷۹ .

۵- أبو المحاسن طبعه لیدن ج ۲ ص ۲۹۵ .

الرمى و يسمون أيضاً عسكر الخاصه. و كان لخمارويه بمصر قوم معروفون بالشجاعه و شده البأس اتخذهم حرساً له، و سماهم المختاره؛ فكانوا يقاتلون أمام جنده، و إذا ركب مشوا خلفه(١).

٥ أصناف أخرى من المرسومين بخدمه الدار و الرسائل الخاصه و القراء و أصحاب الأخبار و الموءذِّنين و المنجّمين و الفنجاميين و الفرانقيين و الأنصار و الحرس و أصحاب الأعلام و البوقيين و المخرّقين و المضحكين و الطبّالين و السقايين و الطبّاخين و الخبازين و خزنه السروج و عمال الصطبلات الخمسه ج خامسها للإبل ج و أصحاب الصيد و الملّاحين فى الطيارات، و خَدَمَه المشاعل و الأطباء.

٦ الحُرَم، و أرزاقهن فى اليوم مائه دينار؛ و ليس عندنا معرفه دقيقه بعددهن. و قد ذكر الخوارزمى ما زعمه البعض من أن المتوكل كان له اثنا عشر ألف سربه (٢) ، و يقول المسعودى إنه كان له أربعه آلاف سريه، و فى أحد المخطوطات أربعمائه(٣)؛ و كان على رأس نساء القصر حوالى عام ٣٠٠ه قهرمانتان، إحداهما للخليفه و الأخرى للسيده والدته؛ و كان يسلم للأولى كبارُ المعتقلين ليحبَسُوا عندها مكرَّمين حبساً هيناً؛ فمثلا ـ وُكِّل بابن الفرات حوالى ٣٠٠ه ٩١٢ م عند زيدان القهرمانه(٤)، كما سُلِّم إليها الأميرُ الحسين بن حمدان،

١- نفس المصدر ص ۶۵ .

٢- رسائل الخوارزمى ص ١٣٧ .

٣- المروج للمسعودى ج ٧ ص ٢٧۶ .

۴- عريب ص ١٠٩، كتاب الوزراء ص ١٠۵ .

و الوزير على بن عیسی سنه ۳۰۳ه ۹۱۵ م(۱).

و کان اتخاذ الخلیفه نساء من غیر مبالاه بأصلهن، و إن کان معظمهن من جواری الترک و الروم، سبباً فی إیجاد کثیر من الضطراب فی البلاط و فی المناصب الإداریه العلیا؛ فکانت کل سیده تحابی من یتصل بها من الأقارب و الأولیاء، و ترفعهم ما استطاعت؛ و من أمثله ذلک أن الخلیفه المهدی کتب إلی عامل جرش فی إشخاص الغطریف بن عطاء أخی الخیزران أم موسی و هارون ابنیه؛ و کان الغطریف غلاماً لرجل من أهل جرش، فأعتقه، و کان یوءاجر نفسه ینظر کروم؛ فحباه العامل و کساه، و حمله إلی المهدی، فرفع منزلته، ثم ولّاه علی البمن(۲).

و کان للمقتدر خالٌ رومی یسمی غریب، و کان له نفوذ کبیر و کان یخَاطَب بالإمره(۳).

و فی سنه ۳۰۱ه استطاعت أم موسی الهاشمیه قهرمانه السیده أم الخلیفه أن تسعی فی إسناد نقابه بنی هاشم الطالبیین و العباسیین لأخیها؛ فضجّ الهاشمیون حتی ردّوا النقابه إلی ابن النقیب السابق(۴).

و قد أثبتّت التجربه أن کثیراً من المنازعات مصدرها أمُّ الخلیفه؛ وقد ذاق المتصلون بالخلیفه و بال ذلک، حتی إن الخلیفه کان ینتخب أحیانا لأنه لا أمَّ له

۱- کتاب العیون ص ۸۵، ۸۶ .

۲- تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۸۱ من الطبعه الأوربیه .

۳- عریب ص ۴۹ .

۴- نفس المصدر ص ۴۷ .

رجاء أن تستقيم الأمور معه(۱).

و کـان فی دار المقتـدر حوالی عام ۳۰۰ه ۹۱۲ م أحد عشـر ألفاً من الخدم الخصـیان(۲)، و فی روایه أخری أنه کـان بهـا سـبعه آلاف خادم و سبعمائه حاجب(۳)، و فی مصدر قدیم موثوق به أن خدم المتوکل و حاشیته کانوا سبعمائه(۴).

وقـد جری أبـاطره الـدوله الرومـانیه فی العصـر المتأخر علی عاده الفرس القـدماء، فجمعوا حولهم جماعه یـدعونهم إلی الطعام و الشـراب، و سـموهم « أصـدقاء الإمبراطور »؛ و کـذلک فعل الخلیفه المأمون لما ورد إلی بغـداد، فإنه أمر بأن تُثبت له أسـماء من یصلح لمنادمته من أهل الأدب(۵).

وقد آثر أن یکونوا من العلماء و القوّاد و ممن جالس الخلفاء. و کذلک حاول القائد بجکم أن ینتفع بندماء الخلیفه الراضی، فلم یجد من ینفعه إلا الطبیب سنان بن ثابت(۶).

وکان للخلیفه المعتمد (۲۵۶ ج ۲۷۹ ه ۸۶۹ ج ۸۹۲ م) مع ندمائه مجالساتٌ و مذکرات قد دُوّنت فی أنواع من الأدب، فیها مدح الندیم و ذکر فضائله و ذمّ

۱- نفس المصدر ص ۱۸۱، و کتـاب العیون ص ۱۳۱ ب بالترقیم العربی(؟)، وقـد توفیت والـده القادر نفساء (کتاب العیون ص ۶۶) .

۲- تاریخ بغدا طبعه سلمون ص ۴۹، نقلا عن القاضی التنوخی (المتوفی عام ۴۴۷ه ۱۰۵۵ م)؛ و أبو المحاسن ج ۲ ص ۲۴۸ .

۳- تاریخ بغداد ص ۵۱ .

۴- کتاب الدیارات للشابشتی ص ۶۸ ب .

۵- نفس المصدر ص ۲۱ ب .

۶- مسکویه ج ۶ ص ۲۶ .

التفرد بشرب النبیذ و ما قیل فی ذلک(۱)، وکان للندماء أرزاق(۲).

وقد وصف لنا الصولی أول جلسه للخلیفه الراضی (۳۲۲ ج ۳۲۶ه ۹۳۶ ج ۹۴۰ م) مع أصحابه : کانوا یجلسون علی رسم و ترتیب مخصوص، و کانوا فی أول جلسه أربعه عن یمینه و خمسه عن یساره؛ فکان علی یمینه قریبا إلیه إسحاق بن المعتمد أحد الأمراء، و یلیه الصولی، الأدیب و لاعب الشطرنج المشهور، ثم أحمد بن محمد العروضی الذی کان مرسوما بتأدیب أبی إسحاق المتقی أمیرالموءمنین، ثم یلیه محمد بن عبداللّه بن حمدون، أحد أبناء الأشراف المتصلین بالبلاط؛ و کان علی یساره ثلاثه من آل المنجم و هم من أدباء الحاشیه، و اثنان من بنی البریدی العمال المشهورین، و کان یعلّمان الخلیفه الخط. و قد افتُتح المجلسُ بإنشاد قصائد بمناسبه تقلید الخلافه، ثم تکلم الخلیفه، فشکا ثقلَ العب ء الذی ألقاه علیه هذا المنصبُ بسبب قلّه الأموال و تغیر الأحوال و کلَب الجند و خراب الدنیا؛ و ذکر أنه یستصحبه من الغم و الأسف و الاهتمام أکثر مما یوءمل من السرور، و رجا اللّه أن یعیله بجمیل نیته. و کان مما قاله : و اللّه لقد جاءنی هذا الأمر، و لا شرعتُ فیه، و لا جئتُه، ولا عُلم إلیه ذلک منی فی سر و لا علانیه، ثم تحدث عن إعناتِ القاهر له و خوفِه من قتله إیاه فی لیله و نهاره، إلی أن قال : ألیس بابن المعتضد و أخ المقتدر و عمّ لنا؟ هذا و اللّه عار و عیب لا یزال، فقال له الصولی : قد أزال اللّه عن سیدنا کلَّ عیب؛ و له فی رسول اللّه أسوه حسنه؛ هذا عمه

۱- مروج الذهب ج ۸ ص ۱۰۲، و یحکی لنا الشابشتی (ص ۸۰) أن المأمون آراد یوماً أن یعمل مع ندمائه، فأمر بإحضار اللحوم و آله الطبیخ و طلب من الندماء أن یطبخ کل واحد منهم قدراً، و طبخ هو أیضاً قدراً .

۲- الفهرست لابن الندیم ص ۶۱ .

أبو لهب أنزل اللّه فيه سوره من القرآن يعرفها كل إنسان، فما لحقه عاره. يقول الصولی : « فكنا بين يديه فی ذلك اليوم ثلاث ساعات من الليل نشرب، و كان هو لا يشرب، قد ترك النبيذ جمله »؛ و كان لكل من الفريقين اللذين على يمينه و على يساره فی أول جلسه نوبه خاصه به؛ و يظهر أن بعض النوبه كانوا يحضرون النوبه الأخرى أحيانا(۱).

و يقول الصولی : إن مما امتاز به الراضی فی مجالس منادماته أنه كان يأمر بأن توضع بين أيدی الندماء الصوانی عليها خماميات المطبوخ، و المغاسل، و كيزان الماء، ليشرب كل وحد منهم ما يريد. « ولم يكن يفعل ذلك الخلفاء إلا خصوصاً بالواحد بعد الواحد(۲)، و بالجماعه فی وقت من الدهر». وكان يأمر أن توضع بين أيديهم الفواكه الرطبه و اليابسه، فينالوا منها كما يتالون فی بيوتهم؛ بل يحكی الصولی أن الندماء كانوا يتبارون فی الشرب بين يديه، فيسَر بذلك، و يثيب عليه، و يقول : مَن زاد فی شربه فإنما فعل ذلك سرورا بنا و نشاطا لمجلسنا، و كان إذا شرب أحد المتبارين كأسا قبل صاحبه رفعها ليراها الراضی؛ و قد فعل اثنان منهما ذلك مراراً إلی أن ضجر الراضی فقال : كأنها قوارير بول تدفع بين يدی طبيب(۳).

و كان لكل سلطان من السلاطين أمارهٌ لندمائه، إذا أراد نهوضهم، فكان أردشير يذا تمطّی قام سُمّارُه؛ و كان يزدَجرد يقول : شَب شُد (و معناها تقدّم الليل)؛ وكان سابور يقول : حسبك يا إنسان! و كان عمر يقول : قامت الصلاه؛ و

۱- الأوراق للصولی ص ۱۱ ج ۲۶، ۱۴۳ .

۲- فمثلا كان لكل نديم من ندماء الواثق (۲۲۷ه ۲۳۳ه ۸۴۱ ج ۸۴۷ م) نوبه لا يحضر إلا فيها ج الأغانی ج ۳ ص ۱۸۴ .

۳- الأوراق للصولی ص ۱۷، ۲۷ .

عبد الملک : إذا شئتم؛ و الرشید : سبحان اللّه؛ وکان الواثق یمسُّ عارضیه(۱).

و کانت نفقات دار الخلافه عظیمهً جداً؛ فکانت نفقات المطابخ و المخابز عشره آلاف دینار فی الشهر. و کان یطلق فی کل شهر فی جمله نفقات المطبخ لثمن المسک وحده ثلثمائه دینار، مع أن الخلیفه لم یکن یأکل طعاماً فیه مسک، و لا یطرح له إلا الیسیر فی الخشکنانج؛ و کان یصرف للسقّایین مائه و عشرون دیناراً فی الشهر، و مائتا دینار لثمن الشمع و الزیت، و ثلاثون دیناراً للأدویه، و ثلاثه آلاف دینار لنفقات خزائن الکسوه و الخِلَع و الطیب و حوائج الوضوء و الحمّام و نفقات خزائن السلاح و ما یرم من الجواشن و الدروع و یتَّخذ من النشاب و الأعلام و نفقات خزانه السروج و الفرش(۲).

و کانت نفقات دار الحُرم التی بناها خمارویه عظیمه جداً، و کان یفضل عن حاجات من فیها الشیء الکثیر للخدم و الطباخین. واشتهر بیعُهم لذلک، « وکان شیئا موجوداً فی کل وقت لکثرته و اتساعه، بحیث أن الرجل إذا طرقه ضیفٌ خرج من فوره إلی باب دار الحرم، فیجد ما یشتریه لیتجمل به لضیفه مما لا یقدر علی عمل مثله»(۳).

ولما قعد القاهر فی الخلافه أظهر من الجد و الاختصار و القناعه ماهابه به الناس، فلما عُرضت علیه صنوف الألوان و الحلواء و الفاکهه التی کانت توضع بین أیدی الخلفاء فی کل یوم استکثرها؛ و کانت تبتاع بثلاثین دیناراً، فأمر بأن یقتصر من ذلک علی دینار واحد و من الطعام علی اثنی عشر لوناً. و کان یقدَّم

۱- محاضرات الأدباء ج ۱ ص ۱۲۱ .

۲- کتاب الوزراء ص ۱۶، ۱۸، ۱۹، ۳۵۲ .

۳- الخطط للمقریزی ج ۱ ص ۳۱۷ ج ۳۱۸ .

لغیره فی کل یوم ثلاثون لوناً من حلواء فاقتصر علی ما یکفیه(۱).

و فی ذلک العصر کانت أیام العصر قد أقبلت؛ ففی عام ۳۲۵ه ۹۳۷ م أنقص عدد الحجّاب من خمسمائه إلی ستین(۲)؛ و فی سنه ۳۳۴ه ۹۴۵ م استولی معز الدوله علی کل الأمور المالیه من ید الخلیفه، و أقام له لنفقته کل یوم ألفی درهم(۳)، و هو أقل من نصف ما کان یحتاج إلیه(۴).

و بعد ذلک بسنتین قطع عن الخلیفه الألفی درهم و عوّضه عنها ضیاعاً من ضیاع البصره و غیرها زیاده علی قدر ضیاع الخلیفه بنحو مائتی ألف دینار فی السنه؛ ثم نقص ارتفاعها علی ممر السنین إلی أن صار خمسین ألف دینار فی السنه(۵).

ثم جرت العاده منذ عام ۳۳۴ه ۹۴۵ م أن تُنهب دار الخلیفه بعد موته أو خلعه حتی لا یبقی فیها شیء(۶).

وفی سنه ۳۸۱ه ۹۹۱ م لما خُلع الطائع حُوِّل ما کان فی دارالخلافه من المال و الثیاب والأوانی و المصاغ و الفروش و الآلات و الرخام و الخشب و الساج و

۱- عریب ص ۱۸۳ .

۲- مسکویه ج ۵ ص ۵۴۱ .

۳- مسکویه ج ۶ ص ۱۲۵ .

۴- کانت نفقات الحضره فی أیام المعتضد سبعه آلاف دینار فی کل یوم (کتاب الوزراء ص ۱۰)، و فی سنه ۳۳۰ه ۹۴۱ م قُدر لسائر نفقات دار الخلافه مائه و خمسون ألف درهم فی السنه (کتاب العیون ص ۲۰۳) .

۵- المنتظم ص ۷۸ ب .

۶- یحیی بن سعید ص ۸۶ ب ج ۸۷، و مسکویه ج ۶ ص ۱۲۴. ولما مات الراضی أرسل بجکم القائد إلی دار الخلافه، و أخذ فرشاً و آلات کان یستحسنها (ابن الأثیر ج ۸ ص ۲۷۶)، و لما خلع الوزیر فی عام ۲۹۹ه ۹۱۱ م نهبت داره و أخربت (کتاب الوزراء ص ۲۹ و المنتظم ص ۴۰) .

التماثیل و الأبواب و الشبابیک و الرصاص حتی خلت دار الخلافه(۱).

وکان العامه من الرومان یطلقون لأنفسهم العنان لمثل هذا الصنیع عند موت البابا.

و نلاحظ هنا تشابهاً یستلفت النظر بین الخلیفه و البابا، و ذلک أن الخلیفه فی هذا العصر صار رئیسا روحیا فقط لیس له سلطه سیاسیه، و صار الرئیس الروحی لجمیع المسلمین، و کان تقلُّص سلطانه عن العراق، حتی لم تبق له إلا بغداد ینازعه علیها المنازعون، مما أسرع فی جعل منصب الخلیفه روحیا دینیا. ففی سنه ۴۲۳ه ۱۰۳۲ م نزل السلطان جلال الدوله من داره علی سکر؛ و انحدر فی سمیریه، و معه ثلاثه نفر من حاشیته؛ و صعد إلی بستان دار الخلافه، و جلس مع بعض مغنیاته تحت شجره، و استداعی نبیذاً فشربه، و أمر الزامر أن یزمر؛ و عرف الخلیفه ذلک فشقّ علیه و أزعجه، فأرسل للسلطان قاضیا و حاجبا فقالا له : إن النبیذ و الزمر مما لا یجوز فی هذا الموضع علی مقربه من الخلیفه؛ فلم یقبل کلامهما، و لم یمتنع؛ فتغیظ الخلیفه، و أرسل له کلاما غلیظا، و أفهمه أن هذه السیره تشین الخلافه، و هدَّد بمفارقه البلد؛ فحضر الوزیر و اعتذر(۲)؛ علی أن الدور الذی کان للخلیفه فی هذه العصور الأخیره کان بسیطا، لا یشبه منصب رئیس الکنیسه؛ إذا قورن بإمبراطور بوزنطه الذی کان یحَیی فی میدان الألعاب بوصف أنه داود الثانی أو الرسول بولس الثانی؛ و کان یحتفی به کما یحتفی بکبار القسس؛ وکان یمضی یومه بین الکنائس و المذابح و صور القدیسین، کما یدلّ علی ذلک کتاب De Caerimoniis

---

۱- المنتظم ص ۱۳۰ ب و ابن الأثیر ج ۹ ص ۵۵، ۵۶ .

۲- المنتظم ص ۱۸۵ ج ب .

تعلیقات الفصل التاسع

[*۱] ذکر هذا السیف له صلی الله علیه و آله الیعقوبی (۱) و روی عن ابن عباس (۲) و روی (۳) العلامه المجلسی قدس سره ما فی الکافی عن ابی الحسن الرضا علیه السلام انه نزل به جبرئیل من السماء و کانت حلقته (حلیته) من فضه.

وورد فی روایات (۴) اخر.

و عن المناقب (۵) قد روی کافه اصحابنا ان المراد بهذه الآیه «و أنزلنا الحدید فیه بأس شدید و منافع للناس» (۶) ذوالفقار انزل من السماء علی النبی صلی الله علیه و آله فاعطاه علیاً و سئل الرضا علیه السلام من این هو؟ فقال هبط به جبرئیل من السماء و کان حلیه من فضه و هو عندی و قیل صار إلی النبی صلی الله علیه و آله یوم بدر، فاعطاه علیاً، ثم کان مع الحسن ثم معل الحسین إلی أن بلغ المهدی علیهم السلام، و عن القاضی ابی بکر الجعابی باسناده عن الصادق علیه السلام، نادی ملک من السماء یوم أحد، یقال له رضوان، لا سیف إلا ذوالفقار و لا فتی إلا علی، و مثله فی ارشاد المفید و امالی الطوسی عن عکرمه و ابی رافع.

۱- تاریخ الیعقوبیج۲ ص ۷۶.

۲- البحار ج ۱۶ ص ۱۲۷ ح۶۳، ج۴۲ ص ۵۷-۵۸.

۳- البحار ج ۱۶ ص ۱۲۴، ج۴۲ ص ۵۷.

۴- البحار ج ۴۲ ص ۶۴-۶۷.

۵- البحار ج۴۲، ص ۵۷-۵۸.

۶- سوره الحدید الآیه ۲۵.

و ذکر ابن ابی الحدید (۱) فی الکلام عن حرب احد عن غلام ثعلب و عن محمد بن حبیب فی امالیه، قال سمع ذلک الیوم صوت من قبل السماء لا یری شخص الصارخ به، ینادی مراراً لا سیف إلا ذوالفقار و لا فتی إلا علی، فسئل رسول الله صلی الله عنه فقال هذا جبرئیل.

قال ابن ابی الحدید: قلت: وقد روی هذا الخبر جماعه من المحدثین و هو من الاخبار المشهوره و وقفت علیه فی بعض نسخ مغازی محمد بن اسحاق، و رأیت بعضها خالیاً منه و سألت شیخی عبد الوهاب بن سکینه رحمه الله عن هذا الخبر، فقال خبر صحیح، فقلت فما بال الصحاح لم تشتمل علیه؟ قال: او کلما کان صحیحاً تشتمل علیه کتب الصحاح، کم قد اهمل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحیحه.

[*۲] و علی رغم ما کتبه امیرالمؤمنین علیه السلام (۲) زمن خلافته إل و إلی البصره عثمان بن حنیف، ضمن کلامه، لا اعددت لبالی ثوبی طمراً.

و ما ورد عنه علیه السلام (۳) من اشتراء ثلاثه اثواب بدینار، قمیص إلی فوق الکعب، و الازار إلی نصف الساق، و الرداء من بین یدیه إلی ثدییه، و من خلفه إلی الیتیه، ثم رفع یده إلی السماء فلم یزل یحمد الله علی ما کساه حتی دخل منزله.

قال ابوعبدالله علیه السلام ولکن لا یقدرون ان یلبسوا هذا الیوم و لو فعلناه لقالوا مجنون و لقالوا مراء.

و وردانه علیه السلام (۴) اشتری قمیصین و قال لغلامه اختر ایهما شئت.

[*۳] هذا خطأ فی مراد القرآن لکون الظاهر المتفاهم من الآیه لا سیما بالنظر إلی قوله

۱- شرح النهج الحدیدی ج ۱۴ ص ۲۵۱.

۲- نهج البلاغه ج۳ ص ۷۹.

۳- البحار ج۴۱ ص ۱۵۹.

۴- البحار ج۴۱ ص ۱۶۱.

تعالی «بئس الاسم الفسوق بعد الایمان»(۱) الالقاب التی یقرص الانسان غیره بها و ینقص من مقامه و کرامته و الا فلا اظن ان الصولی یأبی عن اطلاق لقب امیرالمؤمنین علی کثیر من الخلفاء الذین یری لهم الاهلیه لذلک.

[*۴] قد ورد فی (۲) روایه معتبره عن ابی عبدالله علیه السلام انه قال لا یقبل رأس احد و لا یده إلا (ید) رسول الله صلی الله علیه و آله أو من ارید رسول الله صلی الله علیه و آله (به ظ) واحتمل بعضهم شمول الحکم للعلماء لانهم ورثه الانبیاء و لیس ببعید.

اما تقبیل ید الامام المعصوم علیه السلام و رأسه فقد ورد فی روایات (۳) کثیره، و فی روایه (۴) ابی حمزه الثمالی (من اصحابنا الامامیه الزهاد) راوی الدعاء المعروف لاسحار لیالی شهر رمضان عن زین العابدین السجاد علیه السلام، انه قالت: فاکببت علی قدمیه (یعنی السجاد علیه السلام) اقبلها فرفع رأسی بیده و قال لا یا ابا حمزه إنما یکون السجود لله عزوجل.

و فی روایه (۵) اخری عن الصادق علیه السلام انه سافر علی بن الحسین علیه السلام مره مع قوم فعرفه رحل منهم، فقال لهم اتدرون من هذا؟ قالوا لا. قال هذا علی بن الحسین علیه السلام فوثبوا الیه فقبلوا یدیه و رجلیه، فقالوا یابن رسول الله الخ فترکه اولی.

[*۵] هذا اعظمن انحاء الذله لاولئک و اکبر أنحاء الطغیان و الجبریه للانسان (الخلیفه) الذی یفعل له هذا و یرضی به و یفرح، و حرام فعله لغیر الله و لم یکن سجود الملائکه لآدم

۱- الحجرات الآیه ۱۱.

۲- وسائل الشیعه ج ۸ الباب ۱۳۳ الأحادیث ۳،۷، من أبواب العشره.

۳- وسائل الشیعه ج۸ الباب ۱۲۹ الأحادیث ۵،۴ من أبواب العشره.

۴- البحار ج ۱۰۰ ص ۲۴۵.

۵- الوسائل ج ۸ الباب ۴۶ ح ۲ ابواب آداب السفر إلی الحج و غیره.

ولا سجد یعقوب لیوسف علیهم السلام بل سجود (۱) الملائکه لله طاعه و لآدم علیه السلام قبله تحیه له و هکذا سجود(۲) لیعقوب و ذویه لله طاعه لأجل رؤیه یوسف علیهماالسلام حیاً و تحیه له.

و کم من امثال قضاه السوء بایعی الدین بدنیا یستره حقیره ایاماً معدوده.

و ما ابعد ما بین ما فعله اولئک الطغاه من الرضا بمثل هذا التذلل لهم و ما فعله (۳) امیرالمؤمنین علیه السلام مع دهاقین الابنار عند مسیره إلی الشام، فترجلوا له واشتدوا بین یدیه، فقال لهم ما هذا الذی صنعتموه؟

فقالوا خلق منا نعظم به امرائنا.

فقال علیه السلام: و الله ما ینتفع بهذا امراؤکم وانکم لتشقون علی انفکم فی دنیاکم و تشقون به فی آخرتکم و ما (فما ئل) اخسر المشقه ورائها العقاب، و ما اربح الدعه معها الامان من النار.

نعم تقبیل البساط او الارض ربما یکون مکروهاً فانه غیرالسجده و قد فعله (۴) ابو قره صاحب الجاثلیق لما دخل علی الرضا علیه السلام، و قال: هکذا علینا فی دیننا ان نفعل باشراف زماننا و لم یرد انکاره علیه السلام و اما السجده لغیرالله تعالی فلا اشکال فی حرمتها حتی بالنسبه للنبی والامام علیهماالسلام.

[*۶] ما ارحمه علی الخلفاء واجفاه و ابعده عن الشیعه تبعاً لابن الاثیر الذی أخذ کلامه منه مع ما شاهدوه أو نقلوه و نقل لهم من المفاسد و الجرائم التی کان الخلفاء و حواشیهم یرتکبونها.

۱- تفسیر البرهان ج۲ ص ۲۷۱-۲۷۰ ح ۱۲، البحار ج ۱۱ ص ۱۳۹ ح۳-۴-۵-۶.
۲- تفسیر البرهان ج۲ ص ۲۷۰-۲۷۱ ح ۱۲-۱۹، البحار ج ۱۲ ص ۳۱۹ ح ۱۴۵ ص ۳۳۶ إلی ۳۳۹.
۳- نهج البلاغه ج۳ ص ۱۶۰ وسائل ۸ الباب ۱۲۹ ح ۱ من ابواب العشره.
۴- وسائل الشیعه ج۸ ح ۱ الباب ۱۲۹ من ابواب العشره.

ولکن شنشه اعرفها من اخزم *** هل (لا) تلد الحیه إلا الحیه

[*٧] وطئهن (۱) جمیعاً، و ذکر عن قصر الحاکم بامر الله (۲) انه کان فیه /۱۰۰۰۰ جاریه و خادم و ان عند اخته السیده شریفه ست الملک /۸۰۰۰ جاریه، منها /۱۵۰۰ من البنات الابکار، و لما قبض صلاح الدین علی قصورهم وجد فی القصر الکبیر /۱۲۰۰۰ نسمه لیس فیهم فحل إلا الخلیفه و اهله و اولاده. غیر الخدم والغلمان و المتعه و التحف واطلق صلاح الدین البیع فیهم فاستمروا یبیعون عشر سنین.

و ذکر (۳) المسعودی، انه مات (المتوکل) و فی بیوت الاموال اربعه آلاف الف دینار و سبعه آلاف الف درهم.

۱- تاریخ التمدن الاسلامی ج۵ ص ۱۳۵-۱۳۶ مروج الذهب ج۴ ص ۱۲۲.

۲- تاریخ التمدن الاسلامی ج۵ ص ۱۳۵-۱۳۶ مروج الذهب ج۴ ص ۱۲۲.

۳- تاریخ التمدن الاسلامی ج۵ ص ۱۳۵-۱۳۶ مروج الذهب ج۴ ص ۱۲۲.

الفصل العاشر: الأشراف

اشاره

كان العرب يقولون : الشرف نَسَبٌ، يقصدون أنه فى الدم؛ و أول ما يجب أن يتوفر للسيد أن يكون جواداً شجاعاً، و من خصاله أن يكون عاقلًا متغافلًا.

كما قال الفرزدق :

كأن فيه إذا حاولتَه بَلَهًا *** عن ماله، و هو وافى العقل و الورع

و كما قال الشاعر :

ليس النبى بسيد فى قومه *** لكن سيد قومه المتغابى(۱)

و لا بد أن يكون عظيم الرأس، و من لم يكن عظيم الهامه فليس بسيد(۲) كالكاتب فمن صفته أن يكون صغير الهامه(۳) و من صفاته أن يكون كثَّ شعر الناصيه، اشمّ عرنين الأنف، واسع الأشداق(۴)، غير مستدير الوجه، عريض الصدر و المنكبين، مديد الساعد، طويل الأنامل(۵).

۱- عيون الأخبار لابن قتيبه طبعه بروكلمان ص ۲۷۱ .

۲- نفس المصدر ۳۳۰ .

۳- صبح الأعشى للقلقشندى طبعه دار الكتب المصريه سنه ۱۳۴۰ه ۱۹۲۲ م ج ۱ ص ۶۷ .

۴- و هذه أيضاً صفه كرام الخيل .

۵- و من صفات رأس الجالوت (رئيس اليهود) أن يكون طويل الباع تبلغ أناملُه ركبتيه (مجله الأبحاث اليهوديه مجلد ۵۹ (۱۹۱۰) ص ۱۲۱ و ما يليها؛ و مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ۲۵؛ و من صفات المهدى عند السنوسيين بإفريقيه أن تبلغ أناملُه الأرض،(انظر M. Hartmanm,Af. R. ۱. S. ۲۶۶)

و یکره فی السید التصنّع فی اللباس و المشیه؛ و لذلک یقال : « عمامه السید ملوثه أو ملویه أی یدیرها علی رأسه کیفما اتفق(۱)».

ویحکی عن الفضل بن یحیی أحد رجال الحاشیه فی العصر العباسی أنه قال : « الناس أربع طبقات : ۱ ج ملوکٌ قدّمهم الاستحقاقُ، ۲ ج و وزراء فضّلتهم الفطنهُ و الرأی، ۳ و عِلیهٌ أنهضهم الیسار، ۴ ج و أوساطٌ ألحقهم بهم التأدُّب؛ و الناس بعدهم زبدٌ جُفاء، و سیل غُثاء، لُکَع و لَکاع، و ربیطهُ اتّضاع، همُّ أحدهم طعمه و نومه(۲).

و کان الشرف و السیاده نتیجه للمال و للسیطره السیاسیه، و هما شیئان فی غایه الدناءه. وقد أهمل المسلمون مسأله الدم و خصوصاً دم الأم إهمالا شدیداً؛ و ذهبت قله الا کتراث بذلک إِلی حد أن جمیع الخلفاء فی القرنین الثالث و الرابع للهجره کانوا أبناء جوار من الترک أو الروم؛ و کاد رجلٌ أسود فی أوائل القرن الثالث الهجری أن یرتقی إلی عرش الخلافه(۳).

علی أن الإسلام أوجد نوعا من شرف الدم لا یزال باقیا إلی عصرنا هذا، و ذلک فی قرابه النبی أو بنی هاشم أو أهل بیت رسول اللّه أو « أهل البیت » باختصا؛ و کانوا یأخذون، باعتبارهم قرابه النبی، راتبا من الحکومه، و کذلک حرمت علیهم

۱- أنباء نجباء الأبناء، مخطوط برلین رقم ۹۵۰۷ ص ۱۴ ب و مخطوط رقم ۶۰۳۲ ص ۱۵ ب، و هذا الکتاب لابن ظفر المکی المتوفی عام ۵۶۵ه ۱۱۷۰ م .

۲- مختصر کتاب البلدان لأبی بکر أحمد بن محمد الهمذانی المعروف بابن الفقیه، طبعه لیدن عام ۱۳۰۲ه ص ۱ .

۳- هو إبراهیم بن المهدی، و أمه أم ولد سوداء، و کان شدید السواد برّاق اللون طویلا ـ بدیناً، حتی کان ینبز بذلک (مطالع البدور للغزولی ج ۱ ص ۱۳ ؟) .

الصدقه هم و مواليهم(۱).

وكان لهم قضاء مستقل بهم يتولاه نقيبهم الذى يعينه الخليفه(۲).

و كان لهم نقيب لا فى بغداد فقط، بل فى جميع المدن الكبرى مثل واسط و الكوفه و البصره و الأهواز(۳).

وفى سنه ۳۵۱ه ۹۶۱ م كانت نقابه الطالبيين بمصر للشاعر أبى القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل طباطبا(۴).

و كان نقيب العلويين فى عهد الفاطميين أيضاً من كبار رجال دار الخلافه(۵).

وقد انتهى إلينا كتاب بتقليد أبى أحمد الحسين بن موسى نقابه الطالبيين سنه ۳۵۴ه ۹۶۵ م، و نرى من هذا الكتاب أن النقيب هو الذى يحكم أيضاً فى النزاع بين الطالبيين و بين سائر رعيه الخليفه(۶).

و كان الفرعان المتعاديان من أهل البيت، و هم العباسيون الذين وصلوا إلى الرياسه، و الطالبيون الذين لم يبلغوها، يخضعون جميعا لنقيب واحد حتى القرن الرابع(۷).

و فى آخر هذا القرن صار لكل فريق منهم نقيب خاص؛ و السبب الأقوى فى ذلك أن العباسيين بدأ أمرهم فى الضعف و بدأ الآخرون فى القوه، فلم يستطيعوا أن

۱- رسائل الجاحظ طبعه فان فلوتن ص ۷ .

۲- الأحكام السلطانيه للماوردى، طبعه إنجر ص ۱۶۵ .

۳- المنتظم لابن الجوزى ص ۱۱۵ ب .

۴- المغرب لابن سعيد ص ۴۹ .

۵- Becker, Beitrage, ۱, S. ۳۳ نقلاً عن المسبحى.

۶- رسائل الصابى طبعه بعبدا (لبنان) ۱۸۹۸ ص ۱۵۳ .

۷- عريب ص ۴۷ .

یحتملوا إشراف أحد علی أمرهم؛ وقد مهدت ظروفُ ذلک العصر الطریقَ لما علیه الأشرافُ الیوم.

و کان کل من العلویین و العباسیین یخاطَب بالشریف(۱)؛ ولم یکن للعلویین شارهٌ یتمیزون بها کما تدل علی ذلک الحکایه التی أوردها عریب بن سعید القرطبی فی کتابه صله تاریخ الطبری(۲)؛ أما اللون الأخضر فلم یجعل شاره لهم إلا أخیراً فی القرن الثامن الهجری(۳).

و کان یعطی لکل واحد من بنی هاشم ببغداد دینارٌ فی کل شهر فی عهد المعتمد (۲۵۶ ج ۲۷۹ه ۸۷۰ ج ۸۹۲ م)؛ أما الذین خرجوا من بغداد فقد ترکوها خواه الرفاض. ثم اقتصر الخلیفه المعتضد علی رُبع دینار. و کان عدد بنی هاشم بالحضره أربعه آلاف نفس، و جمله الجاری لهم ألف دینار فی الشهر(۴)؛ و فی سنه ۲۰۹ه ۸۲۴ م أحصی عدد العباسیین، فکانوا ثلاثه و ثلاثین ألفا(۵)؛ علی حین أن الجاحظ حوالی ذلک الوقت یقول : « إنَّ آل أبی طالب أحصوا منذ أعوام و حصلوا، فکانوا قریبا من ألفین و ثلاثمائه »(۶).

و کان یجری لمشایخ الهاشمیین راتب خاص یذکر فی المیزانیه مع أرزاق

۱- فیما یتعلق بالعلویین انظر کتاب الفرج بعد الشده للتنوخی ج ۲ ص ۴۳، و الإرشاد لیاقوت ج ۱ ص ۲۵۶ و فیما یتعلق بالهاشمیین انظر المنتظم لابن الجوزی ص ۹۲ ب .

۲- عریب ص ۴۹ .

۳- انظر الفصل الخاص بالشیعه .

۴- کتاب الوزراء ص ۲۰ .

۵- الطبری ج ۳ ص ۹۶۹ (؟) وکتاب العیون ص ۳۵۱ (؟)، ولعله یشیر إلی الجزء المطبوع .

۶- کتاب الفصول للجاحظ مخطوط رقم ۳۱۳۸ بالمتحف البریطانی ص ۲۰۷ .

الخطباء فی المساجد الجامعه؛ و جمله ذلک ستمائه دینار فی الشهر(۱).

وکـان لأولاد الخلفاء جارٍ خاص، و إن کان قلیلا؛ فکان المعتضـد (۲۷۹ ج ۲۸۹ه ۸۹۲ ج ۹۰۲ م) یجری علی أولاـد المتوکل و أولادهم رجالا و نساء ألفَ دینار فی الشـهر، و کان یعطی أولاد الواثق و المهتدی و المستعین و من فی قصر أم حبیب خمسمائه دینار فی الشهر، و أجری علی ولد الناصر عبد الواحد و إخوته خمسمائه دینار أیضا(۲).

و لـذلک لم یخـلُ العلویون من بعض المخـاطرین السـاخطین، وکـانت بخاری مرکز هـذه الجماعه الـذی إلیه یأوون، لأنه کانت ببخاری أکبر حکومه غیر شیعیه بعد بغداد. و فی حوالی سنه ۳۸۰ه التقی ببخـاری بعض أولاد الخفاء مثل أبی طالب المأمونی و أبی محمد الواثقی، و ابن المهدی و ابن المستکفی(۳).

و کان أبو محمـد الواثقی یشـهد بنصـیبین عنـد الحکام و القضاه، و إلیه مع الشـهاده الخطابه فی المسـجد الجامع؛ ثم أفسـد علی القاضـی أمره، فأخرج من بغـداد، فقصـد خراسان راجیا أن یقلَّد قضاء أو دیوان بریـد؛ فلم ینل ما أراد، فذهب مغاضـباً یتوغل فی بلاد الترک، حتی ألقی عصاه بحضـره بغراخاقان، و افتعل مع رجل آخر کتاباً عن الخلیفه بتقلیده العهد بعده، حتی اضطر الخلیفه أن یکتـب بتکـذیبه إلی خراسـان و سـائر الأـطراف؛ و لـم یزل الـواثقی یزین لبغراخاقـان إزاله الـدوله السامـانیه و الاستیلاـء علی المملکه؛ و بنی التدبیر علی أن تکون له الخلافه، و یتقلد الترکی أعمال خراسان و ما وراء النهر من یده؛ فألم الترکی فی

۱- کتاب الوزراء ص ۲۰ .

۲- نفس المصدر ص ۲۰ .

۳- یتیمه الدهر ج ۴ ص ۸۴ ج ۸۷، ۱۱۲ .

جیوشه ببخاری و استولی علیها، و لکنه مات قبلی تحقیق نهایه التدبیر، و عاد الواثقی إلی بغداد سراً بعد فشل تدبیره، و لکن الخلیفه فطن إلیه و اضطره إلی الخروج، فعاود بلاد الترک، و تقلّبت به الأحوال، حتی قبض علیه یمین الدوله محمود بن سبکتکین، و حبسه فی إحدی القلاع موسَّعاً علیه، حتی مات(۱)

أما المأمونی فکان أیضاً یسمو بهمته إلی الخلافه و یمَنِّی نفسه قصد بغدا فی جیوش تنضمّ إلیه من خراسان لفتحها، فاقتطعته المنیه دون بلوغ الأمنیه، و لم یکن بلغ الأربعین، و کانت وفاته سنه ۳۸۳ه ۹۹۳ م(۲).

ثم حاول محمد بن الخلیفه المستکفی الذی خُلع سنه ۳۳۴ه ۹۴۵ م أن یستولی علی الدوله، مستعیناً بما جاء فی الأخبار من ظهور المهدی. فظهرت دعوته بین الخاص و العام، وادّعی أنصارُه أنه « یأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر، و یجاهد أعداء المسلمین، و یجدد ما عفا من رسوم الدین »، فتطلعت إلیه نفوس العامّه، و جعل دعاته یأخذون له البیعه علی الرجل بعد الرجل. فمن کان من أهل السنّه قالوا له إنه عباسی، و من کان من أهل التشیع قالوا له إنه علوی، و دخل جماعه من وجوه الکتّاب و أماثل الناس فی هذا الأمر، و دخل فیه خلق کثیرمن الدیلم و الترک و العرب. و کان فیهم سبکتکین القائد العجمی، و کان یتشیع، فقال له الدعاه: إن الرجل علوی؛ و وعدوه بأن یقَلَّد إمره الأمراء، فاستجاب للدعوه؛ ثم ظهر لسبکتکین أن الرجل عباسی لا علوی، فتغیرت نیته و تصوّره بصوره المحتال؛ ثم انتهی أمره بأن قبض علیه بختیار و علی أخیه و

۱- کتاب الوزراء ص ۴۲۱ و ما یلیها، و یتیمه الدهر ج ۴ ص ۱۱۲ ج ۱۱۳، و ابن الأثیر ج ۹ ص ۱۱۷ ج ۱۱۸ .

۲- الیتیمه ج ۴ ص ۹۴، و ابن الأثیر ج ۹ ص ۷۱ .

أسلمهما للخليفه المطيع للّه؛ فأمر بجدع أنف صاحب الدعوه، و قطع أذن أخيه و حبسهما؛ ثم هربا و خفی أمرهما(۱).

و کان الهاشمیون، إلی جانب ما یجری لهم من راتب خاص، یقدَّمون فی تولِّی مناصب مشرّفه یصیبون منها المال بلا مبالاه و لا مراجعه ضمیر : فکانت تسند إلیهم إمامهُ کثیر من المساجد(۲)؛ فمثلا کان أحد الهاشمیین (توفی عام ۳۵۰ه ۹۶۱ م) إماماً لجامع المنصور ببغداد، و هو أکبر جامع فی الدوله الإسلامیه(۳)؛ و کان إمام جامع عمرو بمصر فی مثل هذا الوقت هاشمیا أیضاً(۴)؛ و کذلک تولی منصب قاضی القضاه فی عامی ۳۶۳ه ۹۷۴ م و ۳۹۴ه ۱۰۰۴ م رجلان من بنی هاشم(۵).

وفی أواخر القرن الرابع کان أبو محمد الواثقی من ولد الواثق باللّه أمیرالموءمنین یتولی الخطبه فی المسجد الجامع بنصیبین(۶)؛ کما کان الذی یحج بالناس فی کل عام رجلا من بنی هاشم، و هذه مهمه یصیب من یقوم بها شیئاً کثیراً؛ و کانت لا تخرج من ید الهاشمیین.

و لما احتاج المأمون أن یستعین بالعلویین علی أخیه الأمین تولی الحج بالناس رجالٌ من الطالبیین منذ عام ۲۰۳ه، و کانت هذه أول مره یحج فیه

۱- مسکویه ج ۶ ص ۳۱۵ ج ۳۱۷ .

۲- کتاب الخراج لقدامه بن جعفر مخطوط باریس ص ۱۴ ج ب .

۳- المنتظم ص ۹۰ ب .

۴- ملحق الکندی ص ۵۷۵ .

۵- المنتظم ص ۱۰۵ ج ب، ۱۴۹ب .

۶- کتاب الوزراء ص ۴۲۱ .

الطالبيون بالناس؛ و لكن إماره الحج عادت إلى الهاشميين بعد ذلك بثلاث سنين، و بقيت لهم حتى آخر أيام المسعودى عام ۳۳۶ه ۹۴۷ م(۱)؛ ثم آلت إلى العلويين، وكانوا ينيبون من بينهم من يقوم بالحج(۲).

و كانت أول ما تُعطى المبرات إلى أقارب النبى، فكان أحمد بن أبى يعقوب ابن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن الدايه (توفى عام ۳۴۰ه) يجرى بمصر فى عهد ابن طولون الجرايات على الأشراف الطالبيين، و منهم من كان ينال مائتى دينار فى كل سنه(۳).

وكان الوزير على بن عيسى فى أوائل القرن الرابع ينفق كل سنه أربعين ألف درهم فى صلات الطالبيين و العباسيين و أولاد الأنصار و المهاجرين و فى مصالح الحرمين(۴).

وفى سنه ۳۳۴ه وصل الخليفه المطيع للّه العباسيين و العلويين فى يوم بنيف و ثلاثين ألف درهم(۵)؛ وكان أبو العلاء المعرّى يصل بعض العلويين، و بعث إليه مره بشيء من النفقه، و أرسل له يعتذر لقلته و يرجوه قبوله(۶).

ومن الأمثال المعروفه أن العلوى يأخذ و لا يعطى(۷).

۱- مروج الذهب ج ۹ ص ۹۶ و ما يليها .

۲- المنتظم ص ۱۲۹ ب، و ابن الأثير ج ۹ ص ۵۴، على أن إماره الحج بمصر ظلت فى أيدى الهاشميين. انظر ملحق الكندى ص ۵۷۵ .

۳- الإرشاد لياقوت ج ۲ ص ۱۵۹ .

۴- كتاب الوزراء ص ۳۲۲ ج ۳۲۳ .

۵- المنتظم ص ۷۴ .

۶- رسائل أبى العلاء طبعه مرجليوث ص ۳۵ .

۷- كتاب الفرج بعد الشده للتنوخى .

و إذا نظرنـا إلى قله جـارى بنى هـاشم، و هو ربع دينار فى الشـهر، علمنا أنهم لا بـد أن يكونوا جميعاً علويين و عباسـيين فى فاقه شديـده؛ و نجد أحد الهاشـميين يشـتغل عيناً يجمع الأخبار؛ و فى عام ۳۳۴ ه – ۹۴۵ م وقع غلاء و مجـاعه؛ فقُتل كثير من النساء الهاشميات، لأنهنّ كن يقتُلنَ الأطفال و يأكلن لحمهم(۱).

وكان عند الصاحب بن عباد، وزير فخر الدوله بشمال فارس، علوى شامى يحدثه بما شاهد من الأعاجيب(۲).

وقد تحدث ابن الحجاج (توفى عام ۳۹۱ه ۱۰۰۱ م) فى بعض شعره عن مغنيه هاشميه سيئه السيره(۳).

و مما يحكى عن كافور الأخشيدى صاحب مصر أنه وقفت له امرأه فى طريقه و صاحت به : ارحمنى يرحمك اللّه، فدفعها أحد رجاله دفعاً عنيفاً، فسـقطت؛ فاغتاظ كافور و أمر بقطع يده؛ فقامت تشفع له؛ فتعجب من مكرمتها، و قال : اسألوها عن أصلها، فما تكون إلا من بيت عظيم؛ فسُـئلت، فإذا بها علويه؛ فعظم الأمر على كافور و قال : قد أغفَلنا الشـيطان عن نساء الأشـراف؛ و أحسن إليها و تفقد سائر نساء الأشراف و أدرّ عليهن الإحسان و الجرايات(۴).

وفى سنه ۳۵۰ه ۹۶۱ م وقعت فى بغـداد فتن عظيمه أصـلها أن رجلًا عباسـيا عربـد على رجل علوى، و هما على على نبيـذ، فقتل العلوى و نفر أهله و استغاثوا لأجله، و دخلت العامه، و عظم الأمر؛ و كان « أعمام النبى » [*۱۱] من أكبر مشعلى

۱– يحيى بن سعيد ص ۸۷ و المنتظم ص ۷۴ ب .

۲– محاضرات الأدباء ج ۲ ص ۲۹۵ .

۳– ديوان ابن الحجاج ۱ ص ۱۴۱ .

۴– المغرب لابن سعيد ص ۴۸ .

نیران الفتنه بین عامه بغداد(۱).

و فی عـام ۳۰۶ه ۹۱۸ م وثب جماعه من الهاشـمیین علی الوزیر علی بن عیسـی یسـبب تأخر أرزاقهم فشـتموه و خرقوا دراعته، و أرجلوه؛ فخلصه القواد منهم؛ و انصـل ذلـک بالمقتـدر فأمر فیهم بأمور عظام و بأن ینفوا إلی البصـره مقیـدین؛ فحملوا فی سـفینه مطبقه بعـد أن ضُـرب بعضـهم، و أمر الخلیفه أن یحبسوا فی محبس البصـره، فحملهم سـبک الطولونی أمیرالبصـره مقیـدین علی حمیر إلی دار فی جـانب المحبس، و کلمهـم بجمیـل و وعـدهم خیراً، و فرق فیهـم أموالاـ إلاـ أنـه أسـر بـذلک. ثم فقـد کتـاب بإطلاقهم، فأحسن إلیهم الأمیر و صنع لهم طعاما و وصلهم، و أکریت لهم سُمَیریات، فکان مقامهم فی البصره عشره أیام(۲)

وکان کلما قوی أمر الشیعه ببغداد و أظهروا الحتفال بأعیادهم، قابل العباسـیون السـنّیون ذلک بنهوض من جانبهم و فعلوا مثل ما یفعله الشیعه؛ و أکبر من کان یفعل ذلک السنیون فی باب البصره(۳).

و حوالی عـام ۳۵۰ه ۹۶۱ م وقعت فتنه عظیمه ببغـداد ج کمـا تقـدم ج یسـبب نزاع بین علـوی و عباسـی؛ فقبض الوزیر المهلـبی الحـازم علی کـثیر مـن مـثیری الفتنه من العباسـیین و جعلهم فی زوراق مطبقه مسـمّره و أنفـذهم للحبس فی بعض مـدن العراق، فکانوا هناک حیث مات کثیر منهم، ثم أطلق الباقون بعد موت المهلبی(۴).

۱- کتاب الوزراء ص ۳۳۱ .

۲- عریب ص ۷۵ ج ۷۶ .

۳- ابن الأثیر ج ۹ ص ۱۱۰ .

۴- کتاب الوزراء ص ۳۳۱ ج ۳۳۲ .

و قد أراد القائد عمید الجیوش فی سنه ۳۹۲ه ۱۰۰۲ م أن یضع حداً لهذه العداوه القدیمه بین أهل السنه و الشیعه ببغداد، و هی العداوه التی کان المهیجون المتطرفون من العلویین و العباسیین یدعون الناس فیها للقتال و الشغب، و کان عمید الجیوش قد أرسل لإخماد الفتنه القائمه؛ فطلب الثوار من العلویین و العباسیین، فکانوا إذا وقعوا أمر أن یقرن العلوی بالعباسی و یغرقا نهاراً بمشهد من الناس، حتی هدأت بذلک الفتن المستمره، و تجددت الاستقامه المنسیه، و خاف الغائب و الحاضر(۱).

ثم جاء الوقت الذی یترقبه العلویون بعد طول انتظار و نفاد و صبر؛ فأخذ نجمهم فی الصعود فی کل مکان، علی حین بدأ أمر العباسیین فی الضعف؛ فیقول المقدسی فی کلامه عن إقلیم خراسان مثلا : و أولاد علی رضی الله عنه فیه علی غایه الرفعه، و لا تری به هاشمیاً إلا غریبا(۲)؛ وهنا نجد القرن الرابع الهجری قد أوجد الظروف و الموقف الذی نراه الآن، فالعلویون هم الذین یمثلون أهل بیت الرسول. وقد عمل الجمیع من قرامطه و فاطمیین علی خدمه قضیه العلویین، فأنشأوا دوله علویه فی جبال فارس، و فتحوا مکه بعد منتصف القرن الرابع، و جعلوها عاصمه البلاد المقدسه، و استطاعوا بدهاء أن یستغلوا المنافسه الشدیده القائمه بین القاهره و بغداد لمصلحه هذا المرکز الجدید(۳).

و کان الملوک الجدد فی الغرب و الشرق و هم الحمدانیون و البویهیون علی مذهب الشیعه؛ و کان ازدیاد التکریم للنبی مما أسبغ علی أبنائه تکریماً کبیراً؛ و

۱- نفس المصدر ص ۴۶۴، و المنتظم ص ۱۴۷ ب .

۲- المقدسی ص ۳۲۳ .

۳- المغرب لابن سعید ص ۶ (؟) .

یحکی أن کافور الأخشیدی کان یوما فی موکب، فسقط منه سوطه؛ فناوله إیاه أحدُ الشرفاه، فقبل یده شکراً و قال له « نعیتَ إلی و اللّه نفسی، فما بعد أن ناولنی ولدُ رسول اللّه صلی الله علیه و آله سوطی غایهٌ یَتَشَرَّف لها »؛ فمات عن قریب(۱).

وکان الأخشید یخلف أباه طغجا علی طبریه، و کان أهلها شیعه؛ و کان بها أبوالطیب العلوی وَجهَ البلد شرفا و ملکا و قوه؛ فکتب الأخشید لأبیه یذکر أنه لیس له أمر و لا نهی مع أبی الطیب(۲).

وکان الأخشید بریئاً من کل تحیز فأحضر عبداللّه بن طباطبا و الحسین بن طاهر بن یحیی إلی مجلسه، « وکانا لا یفارقانه، هذا حسنی و هذا حسینی، و بینهما عداوه الریاسه و الاختصاص(۳).

و الحسین بن طاهر هو الذی أرسله الأخشید إلی سیف الدوله لیفاوضه من أجل السلام و تحدید الحدود بینهما(۴)؛ و هو الذی سفر أیضاً بین الأخشید و بین ابن رائق فی الصلح، حینما جاء ابن رائق مهاجماً لمصر فی عام ۳۲۷ه ۹۳۹م(۵).

وکان الحج قد تعطل منذ عام ۳۱۷ه حتی عام ۳۲۷ ه لاعتراض القرامطه؛ فکاتبهم أحد العلویین، و کانوا یخشونه لشجاعته و کرمه، حتی انتهی الأمر

۱- نفس المصدر ص ۴۷ .

۲- نفس المصدر ص ۶ .

۳- نفس المصدر ص ۱۸ .

۴- نفس المصدر ص ۴۲ .

۵- نفس المصدر ص ۲۵ .

بتسهیل سبیل الحج(۱).

و کـذلک کـان العلویون هم الـذین یتوسـطون عاده فیما یقوم من خصومات فی بیوت الشـیعه من بنی حمـدان و بنی بُوَیه؛ و إذا عرفنا ما کان یعود علی العلویین من هذا التوسط، اسـتطعنا أن نستنبط مقدار ما لحقهم من الخساره حینما اضطرتهم حکومه بغداد أن یحـدّدوا موقفهم بإزاء الفاطمیین، و أن ینبـذوهم و لا یعتبروهم من أبناء علی الحقیقیین. وفی سـنه ۴۰۳ه ۱۰۱۲ م صدر کتاب من الأمیر بهاء الدوله بأن یضاف إلی الرضی الموسوی النظر فی أمور جمیع الطالبین بجمیع البلاد، و جعله نقیب النقباء، و لم یبلغ ذلک أحـد من أهل البیت(۲)؛ و خُلع علی الرضـی السواد، فکان أول طالبی لبس السواد علی زی العباسـیین(۳)؛ و کان فی هذا إقرار من جانب ابن عم العباسیین الذی کان أقری منهم من قبل بأنه قد هُزم.

أمـا أبنـاء الخلفـاء الثلاـثه الراشـدین فلم یلعبوا دوراً هاما؛ و لما اشـتد البلاء علی أهل مصـر من ولایه العُمَری القضاء علیهم خرج جماعه إلی هرون الرشـید، و شکوا إلیه ما یفعله العُمَری فیهم، فقال : انظروا فی الدیوان کم لی من وال من ولد عمر ابن الخطاب ، فکُشف الـدیوان، فلم یوجد غیره فقال : انصـرفوا! فواللّه لا عزلته أبداً (۴)؛ ثم خلفه علی القضـاء هاشم بن أبی بکر البکری من قِبَل الأمین عام

۱- المنتظم ص ۶۰ .

۲- دیوان الرضی ص ۲۱۰، و المنتظم ص ۱۵۸ ب .

۳- ابن الأثیر ج ۹ ص ۱۷۰، و المنتظم ص ۱۵۸ ب .

۴- القضاه و الولاه للکنـدی ص ۴۱۰، و فی سته ۳۸۸ه ۹۹۸ م مات الخطابی من ولـد زیـد بن الخطاب أخی عمر بن الخطاب، و کان من العلماء. (انظر الإرشاد لیاقوت ج ۲ ص ۸۱) .

۱۹۴ه؛ و قد دخل مصر مُقِلّا، فزرع زرعا، فانکسر علیه خراجُه، و طولب به تُشُدِّد علیه فی ذلک؛ و کان أحد الکتاب حاضراً، فعرفه و عرف الحال، فقال : «سبحان اللّه! ابن صاحب نبیکم و الذی قام فی مقامه بعده یطالَب بمثل هذه المطالبه! ما کان علیه فهو علی، و هو له علی فی کل سته»(۱).

أما الیوم فنجد أبناء أبی بکر و عمر إلی جانب أبناء النبی علیه السلام هم الذین بتألف منهم الاشراف بمصر؛ و نجد البکریین منهم بنوع خاص، و یسمون الصدیقیین، بتولون منذ أوائل القرن التاسع عشر مناصب روحیه تعود علیهم بالخیر الوفیر(۲)

ونجد حوالی عام ۴۰۰ه، أبا الغطاریف عملاق بن غیداق العثمانی یقیم بنیسابور، و ینتسب إلی عثمان بن عفّان؛ و کان کثیرَ الشعر قلیل الملح، و ممن ثقُل حتی خف و قبُح حتی ملح؛ یتعاطی الفواحش، و یقول الشعر، « فإذا قیل له : کیف أصبحت أیها الشریف؟ قال : أصبحت جوّالا فی السکک حلّالا للتکک، علی رأسه : طائرکم معکم سرمداً، و علی جبینه : و لن تفلحوا إذن أبدا»(۳).

هذه هی أهم السلالات الشریفه التی نشأت عن الدین(۴).

أما سلائل الأشراف الذین کانوا قبل الإسلام فقد احتفظوا بأنفسهم متمسکین أشد التمسک بما کان لهم، و ذلک فی الأجزاء الإقطاعیه من جبال فارس و غاباتها

۱- القضاه للکندی ص ۴۱۶ .

۲- M. Hartmann, MSOS. ۱۹۰۹, II, S, ۸۱.

۳- یتیمه الدهر ج ۴ ص ۲۹۳ ج ۲۹۴. علی أنه یظهر بصراحه من شعر هذا الرجل الذی کان یقلب بالشریف أنه کان مولی لرجل من موالی عثمان بن عفان. (المترجم) .

۴- و من الأشراف الذین أوجدهم الدین سلائل الأنصار الذین ناصروا النبی علیه السلام ، و کان لهم نقیب ببغداد و کانت تفرق علیهم المبرات. انظر المنتظم ص ۱۱۲؛ و کتاب الفرج بعد الشده ج ۲ ص ۲؛ و کتاب الوزراء ص ۳۲۲ ج ۳۲۳ .

و قلاعها؛ يقول ابن حوقل. « وبفارس سنّةٌ جميله و عاده فيما بينهم كالفضيله، من تفضيل أهل البيوتات القديمه و إكرام أهل النعم الأوليه؛ و فيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم إلى أيامنا»(١)؛ و الغالب على ملوكهم و خدمهم و المخالطين للسلطان من عمال الدواوين و غيرهم « استعمالُ المروءه فى أحوالهم .. و تحسينُ الموائد بالمطاعم و كثره الطعام و إحضار الحلوى و الفواكه قبل الموائد، و النزاهه عما يقبح به الحديث من الأخلاق الدنيه، و ترك المجاهره بالفواحش، و المبالغه فى تحسين دورهم و لباسهم و موائدهم، و المنافسه فيما بينهم فى ذلك، و الآداب الظاهره فيهم و العلم الشائع فى جميعهم»(٢).

أما ساده العهد الأموى فلم يستطع الاحتفاظ بمركزهم منهم إلا المهالبه، بنو المهلب بن أبى صفره؛ و كان مقرّهم بالبصره حيث كانت لهم دور حسنه(٣).

و قد كان لأحدهم شأن فى ثوره الزنوج الكبيره فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى(۴)؛ و لعله كان يتوقع فى ذلك العهد نهايه دوله بنى العباس. و تولى آخرُ من المهالبه وزاره عضد الدوله حوالى منتصف القرن الرابع. و قد أراد آل بنى الشوارب القضاه أن يقيموا بينهم و بين الأمويين و بالتالى ملوك قرطبه و الملتان(۵)نسبا(۶).

١- ابن حوقل ص ٢٠٧ .

٢- نفس المصدر ص ٢٠۵ ج ٢٠۶ .

٣- كتاب المرواه للثعالبى مخطوط برلين ص ١٢٩ ب .

۴- كتاب العيون ص ۶ ب ج ٧ .

۵- المسعودى ج ١ ص ٣٧٧ .

۶- تجد فى كتاب العيون (ص ٧١) شعراً فى ذلك .

وكان للبَنَويين أو أبناء الـدوله الـذين حاربوا لأجل الـدوله العباسـيه و جاءوا معها من خراسان إلى بغداد ج و كانوا من الأشـراف المحاربين الأحرار ج شأنٌ قوى فى القرن الثالث الهجرى؛ و كانوا يفتخرون بالصبر تحت ظلال السـيوف و بأنهم فرسان شـجعان؛ و من قولهم : « وُلـدنا فى أفنيه ملوكنا و تحت أجنحه خلفائنا، فأخـذنا ب آدابهم و احتـذينا على مثالهم »(۱)؛ و لكن حلّ محلهم فى القرن الرابع فرسان من المماليك المعتقين أو غير المعتقين أصـلهم من الترك و الفرس؛ بل نجد أيضاً ان آخر سـلائل الطاهر بين، الـذين كـان بينهم فى القرن الثـالث ثـانى بيت فى المملكه الإسـلاميه بعـد بيت الخلافه، يعـالجون فى بلاـط بخارى خـدمه الساسانيين؛ و قـد فقـدوا ما كان لهم من مجـد قـديم، و لكنهم لم يحرموا من المملكه الشـعريه، فكان منهم شاعر كان يخدم آل سامان جهراً و يهجوهم سراً و يطوى على بغض شديد لهم(۲).

وكان هوءلاء الساده جميعاً يسمون فى جميع بلاد الشمال حتى بلاد الترك بالكمه الرومانيه البوزنطيه : البطارقه(۳).

و يحدث ابن و سنه فى أواخر القرن الرابع أحاديث طريفه عن البيوت الكبرى فى عصـره : فأما الأشاعثه فقد كن جد الأشعث بن معدى كرب عِلجا م أهل فارس إسكافاً.

و كانت ورده بنت معدى كرب عمه الأشعث عند رجل من اليهود؛ و لم تخلف

۱- رسائل الجاحظ طبعه فان فلوتن ۱۵ ج ۱۶ .

۲- يتيمه الدهر ج ۴ ص ۷ و ما بعدها و ص ۱۱ ج ۱۲ .

۳- عند شاعر تركستانى فى اليتيمه ج ۴ ص ۸۱، و هو الشاعر أبو الحسن المنيم .

ولداً، فأتى الأشعثُ عمرَ بن الخطاب يطلب ميراثها، فقال له عمر : لا ميراث لأهل ملنين؛ و أما آل المهلب بن أبى صفره فقد كان أبو صفره فارسيا مجوسيا حائكا؛ و اما آل خالد بن صفوان الأهتمين فإن الأهتم ابن محلجه كانت اسرأه أكّار أخذها قيس بن عاصم بن سنان و جماعه من بنى منقر أغاروا على الخيره؛ و آل الجهم من بدر بن جهم بن مسعود كان جدهم مسعود عبداً لحبيب بن شهاب، هرب منه و لحق بخراسان وادعى أنه من بنى سامه بن لوءى القرشى؛ و كان آل أبى دُلَف قوما من العبّاديين من أهل الحيره؛ و كانوا جهابذه بها، فخرج جدٌّ لهم يقال له إدريس فأثرى، و ابتاع داراً بالبصره؛ ثم خرج إلى الجبل، فأبو دلف من ولده؛ و الربيع الحاجب، وهو رأس أصره من كبار العمال، كان ابن زنى من جاريه سوء كانت عند مولى لعثمان ابن عفّان(۱).

۱- الأعلاق النفيسه طبعه ليدن ۱۸۹۱ ص ۲۰۵ ج ۲۰۷ .

تعلیقات الفصل العاشر

[*۱] الصدقه بمعنی الزکوه حلال اخذها لهم من امثالهم بشرط الفقر و الایمان لا من غیر الهاشمی، و الصدقه التی تدفع مستحبه لدفع البلاء یشکل حلیتها(۱) لهم.

ذهب إلی ذلک السید الحکیم اعلی الله مقامه و وافقه فی الاشکال (۲) السید الخوئی رحمهالله.

اما الموالی لأهل البیت أو بنی هاشم و لیس منهم نسباً فلا تحرم الصدقه بکلتا معنییها علیه من مثله ومن الهاشمی.

[*۲] ابو احمد (۳) هذا هو الحسین ثالث المعقبین من أبناء موسی الاصغر المعروف بالابرش والاخران ابوطالب المحسن و أبو عبدالله أحمد و موسی الأبرش و هو ابن محمد الاعرج احد المکثرین من اولاد موسی ابی سبحه الثمانیه. و موسی ابو سبحه ابن ابراهیم المرتضی احد المکثرین من ابناء موسی بن جعفر الکاظم علیهماالسلام.

قابو احمد، الحسین من موسی الابرش ابن محمد الا عرج بن موسی ابی سبحه ابن ابراهیم بن الکاظم علیه السلام.

قال ابن عنبه هو النقیب الطاهر ذوالمناقب کان نقیب الطالبین ببغداد، و عن ابی الحسن العمری انه کان قوی المنه شدید العصبیه یتلاعب بالدول و یتجرأ علی الامور و فیه

۱- منهاج الصالحین ج۲ ص ۱۳۶ مسئله ۱۷.

۲- منهاج الصالحین ج۲ ص ۲۵۰ مسئله ۱۲۲۳.

۳- عمده الطالب ۱۹۱-۱۹۹، الکتب الرجالیه و التاریخیه کفهرست الشیخ، رجال المقامانی، والخوئی أعلی الله مقامهما، و روضات الجنات و غیرها کریاض العلماء و الغدیر.

مواساه لأهله، ولاه بهاء الدوله قضاء القضاه، مضافا إلى النقابه، فلم يمكنه القادر بالله، و حج بالناس مرات اميراً على الموسم، و عزل عن النقابه مراراً ثم اعيد اليها، واسن واضر فى آخر عمره. و قال كان لأبى أحمد مع الملك عضد الدوله سى، لانه كان فى حيز بختيار بن معز الدوله فقبض عضد الدوله عليه و حلسه بقلعه فارس، وولى على الطالبيين ابا الحسن على بن احمد العلوى العمرى، فبقى على النقابه أربع سنين، فلما مات عضد الدوله الى و اعيد الشريف ابو احمد إلى النقابه و توفى سنه ۴۰۰/ ببغداد إلى آخره.

و ما اشار اليه المصنف فى المتن من الحكومه فى نزاع الطالبى و ساير رعايا الخليفه يمكن استفادته من تعبير ابن عنبه (وولى على الطالبيين) و هو ابو ابنين على و محمد. اما على (۱) فهو الشريف الطاهر الاجل ذوالمجدين الملقب بالمرتضى علم الهدى، يكنى اباالقاسم، تولى نقابه النقباء و اماره الحاج و ديوان المظالم على قاعده ابيه، ذى المناقب و اخيه الرضى و كان توليته لذلك بع أخيه الرضى، و كانت مرتبته فى العلم عاليه فقها. و كلاما و حديثاً و لغه وادباً و غير ذلك. قال الشيخ الطوسى فى الفهرست مجمع على فضله متقدم فى علوم مثل علم الكلام و الفقه و اصول الفقه و الادب و نحو الشعر و معانى الشعر واللغه و غير ذلك.

ثم ذكر اعيان كتبه و كبارها، و فى رجاله اكثر اهل زمانه ادباً و فضلا متكلم، فقيه، جامع للعلوم كلها، و لقبه اميرالمؤمنين عليه السلام بعلم الهدى كما عن الشهيد قدس سره فى حكايه منام للوزير ابى سعيد محمد بن الحسن بن عبدالرحيم، و فى الرياض ان هذا السيد لجلاله

۱- فهرست الشيخص ۹۸-۹۹، مجالس المؤمنين ۵۰۰-۵۰۳ تنقيح المقال ج ۲ ص ۲۸۴-۲۸۵، معجم رجال الحديث ج ۱۱ ص ۳۷۰-۳۷۴، رياض العلماء ج۴ ص ۱۴-۶۴، روضات الجنات ج۴ ص ۲۹۵-۳۱۲، رجال الشيخ ۴۸۴-۴۸۵.

قدره و علو ذکره قد ذکره المخالف والمؤلف فی مصنفاتهم الی حتی انهم یظنون ان قوله هو قول الشیعه و لذلک تراهم یعبرون عن مذاهب الشیعه بقول المرتضی ، و عن ابن الاثیر الجزری کان عالماً فاضلاً کاملاً متکلماً فقیها علی مذاهب الشیعه و له تصانیف کثیره، و فی موضع آخر انه مروج المأه الرابعه بروایه علماء الامامیه، و عنه فی مختصر تاریخ ابن خلکان ان السید المرتضی کان نقیب الطالبیین اماماً فی علم الکلام و الادب و الشعر، و عن السیوطی فی طبقات اللغویین و النحاه، قال یاقوت قال، ابوالقاسم الطوسی توحد فی علوم کثیره، مجمع علی فضله مثل الکلام و الفقه و اصول الفقه و الادب من النحو والشعر و معانیه و اللغه و غیر ذلک، و عن الحر فی امل الامل، قد تقدم ان عدد کتب السید المرتضی کان اکثر من ثمانین الف مجلد من مؤلفاته و مرویاته. والظاهر ان کثیراً منها کتب مکرره و کثیر منها من کتب العامه. و عن القاضی التنوخی انه خلف بعد وفاته ثمانین الف مجلد من مقرواته و مصنفاته و محفوظاته، و من الاموال والاملاک ما یتجاوز عن الوصف. و صنف کتاباً یقال له الثمانین و خلف من کل شیء ثمانین، و عمر احدی و ثمانین سنه، فمن اجل ذلک سمی بالثمانینی. و عن الثعالبی فی الیتیمه انها قومت بثلاثین الف دینار بعد ان اخذ الرؤساء والوزراء منها شطراً عظیماً، و امه (۱) و ام أخیه الرضی فاطمه بنت ابی محمد الحسن الناصر الصغیر ابن ابی الحسین احمد بن محمد الناصر الکبیر الاطروش ابن علی بن الحسن بن علی الاصغر بن عمر الاشرف ابن زین العابدین علی بن الحسین بن علی بن إلی طالب علیه السلام. و تولی المرتضی النقابه و اماره الحاج و دیوان المظالم ثلاثین سنه و اشهراً. و سرد العلامه الأمینی قدس سره (۲) فی موسوعته

۱- عمده الطالب ۱۹۵-۱۹۴.

۲- الغدی ج۴ ص ۲۶۵-۲۶۶.

النفیسه (الغدیر) مؤلفاته کتاباً و رساله و تزید علی ثمانین.

و رأی المفید قدس سره (۱) فاطمه الزهراء سلام الله علیها فی المنام، انها اتت بالحسن والحسین علیهماالسلام صغیرین و هو فی مسجد الکرخ، وقالت له علم ولدی هذین العلم (أو علمهما الفقه) فانتبه متعجباً من ذلک، فلما تعالی النهار فی صبیحه تلک اللیله دخلت الیه فاطمه بنت الصنار و حولها جواریها و بین یدیها ابناها محمد الرضی و علی المرتضی صغیرین، فقام الیها فقالت: ایها الشیخ هذان ولدای قد احضرتهما الیکلتعلمهما الفقه، فبکی ابو عبدالله (الشیخ المفید قدس سره) و قص علیها المنام و تولی تعلیمهما الخ.

واما ما نسبه (۲) الیه غیر واحد من العامه و بعض الخاصه من البخل فیکذبه امور: ۱- اجرائه (۳) علی تلامذته، فللشیخ ابی جعفر الطوسی (شیخ الطائفه) کل شهر اثنا عشر دیناراً و لا بن البراج کل شهر ثمانیه دنانیر و کان یجری علی تلامذته جیمعاً (و عدهم فی الغدیر (۴) ۲۲ شخصاً). ۲- وفی الریاض (۵) و کان سماعی من المشایخ، ان قری السید المرتضی کانت ثمانین و کانت واقعه فیما بین بغداد و کربلاء و کانت معموره فی الغایه، ولکن لم یبق منها اثر و قد نقل فی وصف عمارتها ان بین بغداد و کربلاء کان نهر کبیر و علی حافتی النهر کانت القری إلی الفرات و کان یعمل فی ذلک السفائن، فاذا کان فی موسم الثمار کانت السفائن الماره فی ذلک النهر تمتلی من سقطات تلک

۱- خاتمه المستدرک ۵۱۵، شرح النهج الحدیدی ج۱ ص ۴۱ روضات الجنات ج۴ ص ۲۹۵.

۲- عمده الطالب ۱۹۴-۱۹۵.

۳- ریاض العلماء ج۴ ص ۳۰.

۴- الغدیر ج۴ ص ۲۷۰-۲۷۱.

۵- ریاض العلماء ج۳ ص ۱۴۲.

الاشـجار الواقعه علی حـافتی النهر، و کـان النـاس یـأکلون منهـا من دون مانع (۱). ۳- مـا اورده فی الغـدیر حکـایه عن الخطیب التبریزی ان ابـاالحسن علی بن احمـد بن علی بن سـلک الفالی الادبی کان له نسـخه کتاب الجمهره لابن دریـد فی غایه الجوده فدعته الحاجه إلی فباعها فاشتراها الشـریف المرتضـی بستین دیناراً فتصفحها فوجد فیها ابیاتاً بخط بایعها ابی الحسن المذکور، و الابیات قوله:

انست بها عشرین حولاً و بعتها *** فقد طال وجدی بعدها و حنینی

و ما کان ظنی اننی سابیعها *** ولو خلدتنی فی السجون دیونی

ولکن لضعف وافتقار وصبیه *** صغار علیهم تستهل شؤونی

فقلت ولم املک سوابق عبرتی *** مقاله لکوی الفؤاد حزین

وقد تخرج الحاجات یا ام مالک *** کرائم من رب بهن ضنین

فارجع النسخه الیه و ترک له الدنانیر رحمه الله.

۴- ما ذکروه (۲) من وقفه قریه علی کاغذ الفقهاء.

۵- ما اورده فی (۳) الریاض من تکلیف السـید عصـبه الشـیعه بان یجیئوا بنصف المبلغ الذی طلبوا منهم فی زمن الخلفاء (و کان مالاًـ خطیراً و یبلغ آلاـف الف درهم و دنـانیر) علی ان یقرروهم علی مـذهبهم و یعطی السـید و کـان رأسـهم و رئیسـهم و علیه تعویلهم و اعتمـادهم النصف الآـخر فمـا امکن للشـیعه هـذا العطاء ولا وفقوا لـذلک الاداء فلـذلک لم یـدخلوا مـذهب الشـیعه و الخاصه فی تلک المـذاهب واجمعوا علی صـحه خاصه الاربعه مذاهب واتفقوا علی بطلان سایر المذاهب فآن امر الشـیعه إلی ما آل إلی آخر ما حکاه.

۱- الغدیر ج۴، ص ۲۶۷.

۲- ریاض العلماء ج۴ ص ۲۳-۳۳-۳۴، روضات الجنات ج۴ ص ۲۹۶-۳۰۶-۳۰۷.

۳- ریاض العلماء ج۴ ص ۲۳-۳۳-۳۴، روضات الجنات ج۴ ص ۲۹۶-۳۰۶-۳۰۷.

و عن حدائق (۱) المقربین ان السید المرتضی رحمه الله و اطأ الخلیفه و کانه القادر بالله علی ان یأخذ من الشیعه مأه الف دینار لیجعل مذهبهم فی عداد تلک المذاهب و ترفع التقیه و المؤاخذه علی الانتساب الیهم فتقبل الخلیفه، ثم انه بذل الذلک من عین ماله ثمانین الفاً و طلب من الشیعه بقیه المال فلم یفوا به.

والذی یقتضیه التحقیق و سبر احوال الامور والحوادث ان انحصار المذاهب بالاربعه لم یکن امراً دفعیاً بل بحسب مرور الزمن و اختلاف امیال السلطات و اتجاهاتهم حصل تدریجاً إلی ان استقر فی القرن السابع و عودی من تمذهب بغیرها و انکر علیه و لم یول قاض و لا قبلت شهاده احد ما لم یکن مقلداً لاحد هذه الذاهب.

هذا فی البلاد المصریه من سنه ۶۶۵، و فی بغداد سنه ۶۳۱ عند افتتاح المدرسه المستنصریه (راجع کتاب تاریخ حصر الاجتهاد للعلامه الحاج اقا بزرگ الطهرانی لاسیما من ص ۹۱ إلی ۱۲۰ و یذکر السید الروضاتی(۲) و ما یقرب من هذا و ان ذلک کان فی زمن السلطان ظاهر بیبرس من کبار ملوک القاهره حدود سنه ۶۶۳ حیث عین فیها (ای مملکه مصر او القاهره) اربعه قضاه یقضون بین الناس و یفتون لهم بالحنفیه و المالکیه و الشافعیه والحنبلیه علی سبیل التوزیع، و منع عن مادون ذلک بمنع بالغ و اخذت له البیعه من کل فریق ثم تصرف کل طائفه منهم فی رکن من ارکان بیت الله الحرام یقیمون الجماعه فی اتباعهم بحذاء ذلک المقام إلی زماننا هذا إلی و بلغ الامر فی الحمیه علی ذلک إلی حیث لم یتقبلوا منذ اهتم واصر بعض سلاطین الشیعه الامامیه ان یکون للفرقه الجعفریه ایضاً هنالک مقام خاص إلی ان نقل عن بعض تواریخ العامه عمل

۱- روضات الجنات ج۴ ص ۳۰۸-۲۹۷-۲۹۸، خاتمه المستدرک ج۳ ص ۴۴۶.

۲- روضات الجنات ج۱ ص ۱۹۰-۱۹۱.

کل قطر فی زمن الامام الصادق علیه السلام (ولم یکن منحصراً فی الاربعه) إلی ان استقر رأیهم بحصر المذاهب فی الاربعه فی سنه ۳۶۵ هذا، اقول فیه تأمل کما عرفت.

و اما محمد بن ابی احمد الحسین بن موسی الابرش فهو الشریف الاجل المقلب بالرضی و سنتعرض لذکر احواله فیما یأتی.

لفت نظر: ما ورد عن مولانا العلامه الحجه السید بحر العلوم قدس سره من (۱) نسبه السید إلی ابراهیم و وصفه بالمجاب حین ما تعرض لدفن السید عند قبره و ان ابراهیم جد المرتضی و ابن الامام موسی علیه السلام سهو منه و لم یتعرض الناقلون لکلامه کصاحبی الروضات والتنقیح و مذیل رجال الشیخ (۲) لذلک و صاحب تحفه العالم (۳) ایضاً سکت عنه، و العجب ان العلامه الامینی ایضاً حصل له هذا الاشتباه (۴) فان (۵) ابراهیم المجاب لیس بابن لموسی بن جعفر علیه السلام بل هو حفیده ابن ابنه و ابوه محمد العابد ابن موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام و لابراهیم المجاب ثلاثه ابناء، محمد الحائری و علی و احمد بل و رابع اسمه موسی و البقیه للحائری.

والسید المرتضی کما عرفت ینتهی نسبه إلی الامام علیه السلام بواسطه جده ابراهیم المرتضی نعم عن السید (۶) تاج الدین بن زهره الحسینی الحلبی (بنوا المجاب ابراهیم بن موسی علیه السلام قالوا سمی المجاب برد السلام و ذلک لانه دخر إلی حضره ابی عبدالله الحسین بن

۱- روضات الجنات ج۴ ص ۲۹۷-۲۹۸.

۲- رجال الشیخ ص ۴۸۵.

۳- ج۲ ص ۲۶.

۴- الغدیر ج۴ ص ۲۱۱.

۵- عمده الطالب ۲۰۵، سفینه البحار ج۱ ص ۷۹، اجازات البحار ج ۱۰۷ ص ۱۵۳.

۶- سفینه البحار ج۱ ص ۷۹.

على عليهماالسلام فقال السلام عليك يا ابا فسمع صوت و عليك السلام يا ولدى. ولكن العلماء النسابون اعرف. و عن العلامه السيد محمود المرعشى والد آيه الله السيد شهاب الدين المرعشى قدس سرهما انه المجان، لأنه كان يعمل المجنه (الترس) لكن الصحيح المشهور هو الأول.

[*۳] لم يقصد بكلامه هذا ، العلويين بشهاده قوله فى ما بعد (و كان عدد بنى هاشم بالحضره /۴۰۰۰ نفس و قوله فكانوا قريباً من الفين و ثلاثمأته. و ما يأتى من قوله: و كانت لا تخرج من يد الهاشميين و لما احتاج المأمون أن يستعين بالعلويين الى قوله و كانت هذه أول مره يحج فيه الطالبيون بالناس و قوله ثم آلت الى العلويين. و ما يأتى من قوله (و أولاد على عليه السلام الى و لا نرى هاشمياً ولا ...) قلم يكونوا يأخذون راتباً و لا البلاط العباسى يرضى باعطائهم الرواتب أو يوافق على كون أحدهم خطيباً أو اماماً للجمعه أو الجماعه مع ما هم عليه من المخالفه و احياناً صراحه البيان و العقيده. بل الثوره ضد الخليفه والحاكمين. ويلائم هذا ما يأتى من قوله (علمنا انهم لابد أن يكونوا جميعاً علويين و عباسيين فى فاقه شديده).

[*۴] الظاهر عدم صحه هذا الاحصاء، و سره معلوم فكان الكثير منهم متسترين مشردين فى البلاد النائيه، يحدثنا ابن (۱) ابى الحديد ولادته ۵۸۶- وفاته ۶۵۶ حيث يناقش الجاحظ فى بعض ما ذكره، يقول، لوكان حياً (اى الجاحظ) اليوم لرأى ولد الحسن والحسين عليهماالسلام اكثر من جميع العرب الذين كانوا فى الجاهليه على عصر النبى صلى الله عليه و آله المسلمين منهم و الكافرين لانهم لو احصوا لما نقص ديوانهم عن مأتى الف انسان.

[*۵] هو صاحب معز الدوله و كان الطائع قد خلع عليه خلعه الملوك و طوقه و سوره و لقبه

۱- شرح النهج ج۱۵ ص ۲۴۶.

نصـر الـدوله، و قـال: و خلف ألف ألف دينار و عشـره آلاف ألف درهم و صـندوقين فيهما جوهر و ستين صـندوقاً فيهما أوانى ذهب و فضه و بلور و مأه و ثلاثين مركباً ذهبا، منها خمسون وزن كل واحـد ألف مثقال، و سـتمائه مركب فضه و أربعه آلاف ثوب ديباجاً و عشره آلاف ثوب ديبقى و عتابى و داره و هى دار السلطان، قاله فى الشذور (۱) أرخ وفاته سنه ۳۶۴.

[*۶] يمكـن أن ينطبـق على أبى جعفر بـن بريه الهاشـمى خطيب جـامع المنصـور عبـدالله بن اسـماعيل بن ابراهيم بن عيسـى بن المنصور. ذكر وفاته سنه ۳۵۰.(۲)

[*۷] المسـعودى هو الشـيخ المتقدم الامام الكامل باعتراف العدو والولى أبوالحسن على بن الحسين بن على المسعودى الهذلى، صاحب كتاب مروج الـذهب والمشـتهر بين العامه شـيعى المـذهب و عن صاحب كتاب الوافى بالوفيات، هو من ذريه عبدالله بن مسعود الصحابى رضى الله عنه، قال و كان أخبارياً علامه صاحب غرائب و ملح و نوادر.

مات سنه ۳۴۶.

أقول: و يظهر من غير واحد من علمائنا انه من الشيعه و خالفهم آقا محمد على بن الوحيد البهبهانى و رأه من أهل الخلاف (۳).

وفى الشذرات (۴) أرخ وفاته سنه ۳۴۵ و ذكر انه رحل و طوف فى البلاد و حقق من التاريخ مالم يحققه غيره.

[*۸] امير الديار المصريه و الشاميه أبوالعباس أحد بن طولون. ذكر عن القضاعى انه كان

۱- شذرات الذهب، ج۳، ص۴۸.

۲- شذرات الهذهب ج۳ ص ۳.

۳- روضات الجنات ج۴ ص ۲۸۱–۲۸۵.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۷۱.

طائش السیف فاحصی من قتله صبراً أو مات فی سجنه فکانوا ثمانیه عشر ألفاً وکان یحفظ القرآن و أوتی حسن الصوت به وکان کثیر التلاوه و عن ابن الجوزی کان ابن طولون ترکیاً من ممالیک المأمون. أرخ وفاته سنه ۲۷۰ (۱).

[*۹] رب معروف لا اصل له لا سیما بالنسبه إلی هذا المثل والظروف النعیسه التی قضاها الطالبیون والعلویون خاصه.

فهذا أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام فی عدله و سخائه حتی ان معاویه قال (۲) لو ملک بیتاً من تبر و بیتاً من تبن لا نفد تبره قبل تبنه ولقد (۳) أعتق من ماله ألف مملوک مما کد بیدیه ورشح منه جبینه. و ما ورود (۴) عن أبی محمد الحسن بن علی و أخیه الحسین (۵) سید الشهداء علیهماالسلام و ما ورد فی زین العابدین علیه السلام (۶) والامام أبی ابراهیم موس بن جعفر علیهم السلام. قیل (۷) ویل لمن بلغه صرار موسی فشکی القله - عجباً لمن جائته صره موسی فشکی القله إلی غیرهم علیهم السلام.

[*۱۰] هو ابوالمسلک کافور الحبشی الأسود الخادم الأخشیدی صاحب الدیار المصریه اشتراه الأخشید و تقدم عنده حتی صار من أکبر قواده لعقله و رأیه و شجاعته ثم صار اتابک ولده من بعده و ذکر من أخباره بره الی العلماء و الزهاد والفقراء والمحتاجین.

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۱۵۷.

۲- بحارالأنوار ج۴۱ ص۱۴۴.

۳- بحارالأنوار ج ۴۱ ص۳۲-۳۷-۴۳-۵۸-۱۰۲-۱۱۰-۱۳۰-۱۳۸-۱۳۹.

۴- بحارالأنوار ج۴۳ ص ۳۴۹،۳۴۷،۳۴۴،۳۴۳،۳۴۲،۳۳۹،۳۳۲، ج۴۴ ص ۱۵۰.

۵- بحارالأنوار ج۴۴ ص ۱۹۷،۱۹۱،۱۹۰،۱۸۹.

۶- بحارالأنوار ج۴۶، ص۱۰۵،۱۰۱،۹۹،۹۵،۹۰،۸۹،۸۸،۶۶،۶۲،۵۶.

۷- عمده الطالب ۱۸۵ المجلدی ۱۰۶.

و أرخ وفاته سنه ۳۵۶.(۱)

[*۱۱] الظاهر وقوع غلط او سقط فی العباره لان اعمام النبی لم یبلغوا النصف الثانی للقرن الاول فان العباس آخر هم مات فی خلافه عثمان و لعل المراد العباسیون حیث انهم أولاد و أحفاد و ذریه العباس.

[*۱۲] هو علی بن عیسی بن داود بن الجراح خلع علیه المقتدر لأحدی عشره لیله خلت من المحرم سنه ۳۰۱ وقبض علیه یوم الاثنین لثمان خلون من ذی الحجه سنه ۳۰۴ ثم استوزره ثانیه.(۲)

و یظهر من الکامل ان الذی اخر اطلاق ارزاق الفرسان هو الوزیر أبوالحسن بن الفرات و انه صودر علی مال عظیم و ضرب ولده المحسن و أصحابه و أخذ منهم أموالاً (أموال) جمه.(۳)

[*۱۳] ذکر فی الکامل طی حوادث سنه ۳۸۹ انه عمل أهل باب البصره یوم السادس والعشرین من ذی الحجه زینه عظیمه و فرحاً کثیراً و کذلک عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما یعمل الشیعه فی عاشورا، و سبب ذلک أن الشیعه بالکرخ کانوا ینصبون القباب و تعلق الثیاب للزینه فی الیوم الثامن عشر من ذی الحجه و هو یوم الغدیر، و کانوا یعملون یوم عاشوراء فی المأتم والنوح و اظهار الحزن ما هو مشهور، فعمل أهل باب البصره فی مقابل ذلک بعد یوم الغدیر بثمانیه أیام مثلهم، و قالوا هو یوم دخل النبی صلی الله علیه و آله و أبوبکر فی النار و عملوا بعد عاشوراء بثمانیه أیام مثل ما یعملون یوم عاشوراء و قالوا هو یوم قتل

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۱-۲۲.
۲- مروج الذهب ج۴ ص ۳۰۵.
۳- الکامل لابن الاثیر ج۹ ص ۶۱-۶۲.

مصعب بن الزبیر.(۱)

[*۱۴] الظاهر ان (۲) الاول هو ابو محمد عبدالله بن احمد بن علی بن الحسن بن ابراهیم طباطبا ابن اسماعیل بن ابراهیم بن الحسن بن الحسن بن علی بن ابی طالب علیهم السلام، و صفه فی الوفیات بالحجازی الاصل المصری الدار والوفاه، و قال کان طاهراً کریماً فاضلاً صاحب رباع و ضیاع و نعمه ظاهره و عبد و حاشیه.

کان یرسل إلی کافور فی کل یوم جامین حلوا و رغیفاً فی مندیل مختوم، فحسدوه (حیث قالوا لکافور فما لهذا الرغیف؟ فلما اجتمع بکافور بین له انما هی صبیه حسنیه تعجنه بیدیها و تخبزه فترسله علی سبیل التبرک، فاذا کرهته قطعناه، فقال کافور لا والله لا تقطعه و لا یکون قوتی سواه.

ولادته سنه ۲۸۶ و توفی بمصر ۳۴۸ و حضر جنازته من الخلق ما لا یحصی عددهم إلا الله تعالی و قبره معروف مشهور باجابه الدعاء.

و ذکر العلامه الامینی قدس سره (۳) ما اورده ابن خلکان من ان رجلًا حج وفاتته زیاره النبی صلی الله علیه و آله فضاق صدره لذلک فرأه صلی الله علیه و آله فی نومه، فقال له: اذا فاتتک الزیاره فزر قبر عبدالله بن احمد بن طباطبا و کان صاحب الرؤیا من اهل مصر.

و اما الحسین (۴) بن طاهر یحیی: هو من المعقبین من ولد طاهر بن یحیی السته ورد بمصر اعقب من تسعه رجال.

۱- الکامل فی التاریخ ج۱۰ ص ۵۴۰-۵۴۱.

۲- وفیات الاعیان ج۱ ص ۲۸۱-۲۸۲.

۳- الغدیر ج۵ ص۲۰۲.

۴- عمده الطالب ص ۳۰۴-۳۰۵-۳۱۱-۳۱۲-۳۲۳-۳۲۴-۳۲۷، خاتمه المستدرک ج۳ ص ۴۴۵ البحار ج ۴۶ ص ۱۵۵-۱۵۶-۱۶۱-۱۶۲، منتقله الطالبیه ص ۳۰۰-۳۱۲-۳۱۳.

و ذکر الشیخ (۱) النوری (۲) قدس سره ابا القاسم طاهراً و کناه بأبی الحسن و ذکر عن تحفه الازهار للسید ضامن بن السید شدقم المدنی حکایه له تتعلق بصلته من رجل خراسانی کل عام بمأتی دینار قطعها عنه سنتین فرای النبی صلی الله علیه و آله فی المنام لما آن وقت الحج فی السنه الثلاثه و امره باعطائه جمیع ما فاته و نهاه عن قطع صلته، ینبغی ان تلاخط.

طاهر هذا فی ولده البیت والاماره: من جلاله قدره یعرف کل من بنی اخوته بابن اخی طاهر: و ابوالحسین یحیی (جده الحسین بن طاهر) هو النقیب النسابه صاحب کتاب النسب کان بالمدینه، ولد سنه ۲۱۴ و مات بمکهسنه ۲۷۷، و یقال انه اول من جمع کتاباً فی نسب آل ابی طالب، و یحیی النسابه (هذا) ابن الحسن بن جعفر الحجه (ابی محمد الحسن بن ابی الحسن جعفر الحجه لقبه (۳) بذلک ابوالقاسم طباطبا) و جعفر هو ابن عبیدالله الاعرج، و هو من ائمه الزیدیه و کان له شیعه یسمونه الحجه، و کان القاسم الرسی ابن ابراهیم طباطبا یقول، جعفر بن عبیدالله من ائمه آل محمد علیهم السلام و کان فصیحاً و کان یشبه فی بلاغته وبراعته بزید بن علی وزید بن علی علیه السلام بعلی بن ابیطالب علیه السلام.

و قد حبسه ابوالبختری و هب بن وهب بالمدینه ۱۸ شهراً فما افطر الا فی العیدین.

و ابو علی عبیدالله جعفر (هذا) هو ابن الحسین الاصغر بن علی.

زین العابدین علیه السلام کان فی احدی رجلیه نقص فلذا سمی الاعرج: وفد علی ابی العباس السفاح فاقطعه ضیعه بالمدائن تغل کل سنه /۸۰۰۰۰ دیناراً أو مأه الف او مأتی الف دینار و کان تخلف عن بیعه النفس الزکیه، محمد بن عبدالله المحض، فحلف محمد ان

۱- خاتمه المستدرک، الفائده الثالثه ص۴۴۵ و ج ۲۰ ص ۳۳۹.

۲- خاتمه المستدرک، الفائده الثالثه ص۴۴۵ و ج ۲۰ ص ۳۳۹.

۳- خاتمه المستدرک ج ۲۰ ص ۳۴۱-۳۴۲، عمده الطالب ۳۱۱-۳۱۲-۳۰۵-۳۲۳، خاتمه المستدرک ج۳ ص۴۴۶.

رآه لیقتله، فلما جیء به غمض محمد عینیه مخافه ان یحنث، فحسبه فلم یزل به إلی ان قتل محمد، وورد علی ابی مسلم بخراسان فـاجری له أرزاقاً کثیره، و عظمه اهل خراسان فساء ذلک ابا مسـلم: توفی فی ضـیعته فی حیاه أبیه و هو ابن ۳۷ او ۴۶ سنه، و ابو عبدالله حسـین الاصـغر ابوه کان عفیفاً محدثاً فاضـلًا جواداً، روی عن ابیه السـجاد و عن اخیه ابی جعفر الباقر علیهماالسلام و عن عمته فاطمه توفی سنه ۱۵۷ و له ۵۷ سنه.

و فیه اشـکال لاقتضائه کون ولادته سنه ۱۰۰ و وفات الامام زین العابدین علیه السـلام والد الحسـین کان سـنه ۹۴ او ۹۵ فولادته قبل سنه ۱۰۰ ولاـ یرد الاشـکال علی ما قبل من ان له ۶۴ أو ۷۶ سـنه، و ما ذکره صاحب تنقیـح المقال (۱) من عنوان الفهرست لیحیی بن الحسن المذکور ثلاث مرات.

و کـذا اسـتظهار صـاحب معجم رجال الحـدیث (۲). لـم نجـده فی المطبـوع مـن الفهرست بـل عنـونه (۳) مره واحـده کمـا فی رجاله.(۴).

بل الموجود فی الفهرست المطبوع بالنجف الأشـرف یحیی بن الحسن بن جعفر بن عبیـدالله بن الحسـین بن علی بن الحسـین بن علی بن أبی طالب علیه السلام، و ما فی المعجم من عنوان یحیی بن الحسن ۱۳۴۷۶ و یحیی بن الحسن بن جعفر ۱۳۴۷۷ و یحیی بن الحسن العلوی ۱۳۴۸۱ و ما ذکرهتحت کل عنوان. کلها ذکره الشـیخ فی ترجمه یحیی بن الحسن بن جعفر بن عبیـدالله الـخ. کما ان ما فی رجال الشیخ (۵) فی من لم یرو عن

۱- تنقیح المقالج ۳ ص۳۱۴.

۲- معجم رجال الحدیث ج ۲۰ ص۴۳.

۳- الفهرست ۱۷۸-۱۷۹.

۴- رجال الشیخ ص۵۱۷.

۵- رجال الشیخ ۵۱۷.

الأئمه علیهم السلام إنما عنون یحیی بن الحسین العلوی و ذکر ان له کتاب نسب آل أبی طالب روی ابن أخی طاهر عنه، و أشار فی الهامش استظهار بعض أرباب المعاجم ان الصحیح یحیی بن الحسن العلوی نعم عنون من الثلاثه فی جامع الرواه (۱) الأول و الثالث و ذکر ثالثاً بعنوان یحیی بن الحسین العلوی و ان له کتاب نسب آل أبی طالب و استظهر انه ابن الحسین.

[*۱۵] هو محمد بن (۲) ابی احمد الحسین بن موسی الابرش: ذوالحسبین یکنی ابا الحسن، نقیب النقباء، ولی نقابه الطالبین مراراً، و کانت الیه اماره الحاج و المظالم نیابه عن ابیه ذی المناقب، ثم تولی ذلک بعد وفاته مستقلا و حج بالناس مرات، و له من التصانیف کتاب المتشابه فی القرآن و کتاب مجازات الآثار النبویه و کتاب نهج البلاغه و کتب أخر و هو اشعر قریش، و له فی علو الهمه و اباء النفس حکایه ستمر علیک، قال ابن (۳) ابی الحدید کان عفیفاً شریف النفس عالی الهمه ملتزماً بالدین و قوانینه، و لم یقبل من احد صله ولا جائزه، حتی انه رد صلات ابیه، و ناهیک بذلک شرف نفس و شده ظلف، فاما بنو بویه فانهم اجتهدوا علی قبوله صلاتهم فلم یقبل الی، قال له یوماً (الشیخ ابواسحاق ابراهیم بن احمد بن محمد الطبری الفقیه المالکی. علیه قرء الشریف الرضی رحمه الله القرآن و هو شاب حدث السن) ایها الشریف این مقامک: قال فی دار أبی بباب محول.

فقال مثلک لا یقیم بدار أبیه، قد نحلتک داری بالکرخ المعروفه بدار البرکه، فامتنع الرضی من قبولها، و قال له لم اقبل من ابی قط شیئاً، فقال ان حقی علیک اعظم من حق ابیک

۱- جامع الرواه ج۲ ص۳۲۷.

۲- عمده الطالب ۱۹۱-۱۹۹ و له تراجم فی رجال المامقانی ج۳ ص ۱۰۷. معحم رجال الحدیث ج۱۶ ص۱۹ إلی۲۳. تأسیس الشیعه ۲۱۳-۳۳۸-۳۳۹، ریاض العلماء ج۵ ص ۸۶-۷۹.

۳- شرح النهج الحدیدی ج۱ ص ۴۰-۳۹.

علینا لانی حفظتک کتاب الله تعلی، فقبلها.

و ذکر عن خط ابن ادریس الحلی (صاحب السرائر) حکایه عن ابی حامد احمد بن محمد الاسفراینی الفقیه الشافعی تتعلق باعظام فخر الملک ابی غالب محمد بن خلف وزیر بهاء الدوله وابنه سلطان الدوله السید الرضی لما دخل علیه یوماً و تبجیله ازید من اکرام اخیه المرتضی رحمهم الله لما دخل علی الوزیر ذاک الیوم، و اجابه الوزیر لابی حامد عن التفرقه بعد تفرق المجلس، و لم یبق إلا غلمانه و حجابه، بان اراه کتابین بعد صرف الطعام و لم یبق عنده غیر ابی حامد، احدهما کتاب الرضی، و بین الوزیر انه اتصل بی انه قد ولد له ولد فانفذت الیه الف دینار، وقلت هذه للقابله، فقد جرت العاده ان یحمل الاصدقاء إلی اخلائهم و ذوی مودتهم مثل هذا فی مثل هذه الحال، فردها و کتب الی: هذا الکتاب (قال ابوحامد) فقرأته و هو اعتذار عن الرد، و فی جملته انا اهل بیت لا یطلع علی احوالنا قابله غریبه، و انما عجائزنا یتولین هذا الامر من نسائنا، ولسن ممن یأخذن اجره، و لا یقبلن صله، قال فهذا هذا.

ثم اقرأه کتاب السید المرتضی اخیه فی نصیب تقسیط وزع علی الاملاک ببادرویا فی حفر فوهه نهر عیسی، و اصاب ملکاً للشریف المرتضی بناحیه الداهریه عشرون درهماً ثمنها دینار واحد. (والکتاب و هو اکثر من مائه سطر) یتضمن من الخضوع و الخشوع و الاستماله والهز والطلب والسؤال فی اسقاط هذه الدراهم عن املاکه المشار الیه ما یطول شرحه الخ. و فی العمده و الروضات (۱) اوردا حکایه شبیهه بهذه من معامله الوزیر ابی محمد المهلبی ذات یوم للشریفین، دخل الشریف المرتضی و ودعه و خرج بعد ان فرغ من حکایته و مهماته، ثم دخل الشریف الرضی واعظمه و اجلسه فی دسته و جلس

۱- روضات الجناتج۶ ص۱۹۵-۱۹۶ - عمده الطالب ۱۹۸-۱۹۹.

بین یدیه متواضعاً، فلما خرج خرج معه و شیعه إلی الباب، واعتذر الوزیر عن زیاده اعظام الرضی علی المرتضی رحمهم الله بان المرتضی کاتبه بعده رقاع یسئله تخفیف تعداد سته عشر درهماً توجه علیه لحفر النهر الذی کان للسید علیه ضیعه، و اما الرضی فبلغنی ذات یوم انه ولد له غلام، فارسلت الیه یطبق فیه الف دینار، فرده و قالم: قد علم الوزیر انی لا اقبل من احد شیئاً، فرددته الیه، و قلت انی انما ارسلته للقوابل، فرده الثانیه، و قال قد علم الوزیر انه لا تقبل نسائنا غریبه، و انما عجائزنا یتولین هذا الامر من نسائنا، ولسن ممن یأخذن اجره، و لا یقبلن صله، فرددته الیه، و قلت یفرقه الشریف علی ملازمیه من طلاب العلم، فلما جائه الطبق و حوله طلاب العلم، قال ها هم حضور، فلیأخذ کل احد ما یرید، فقام رجل واحد منهم واخذ دیناراً، فقرض من جانبه قطعه و امسکها ورد الدینار إلی الطبق، فسأله الشریف من ذلک، فقال انی احتجت إلی دهن السراج لیله، و لم یکن الخازن حاضراً، فاقترضت من فلان البقال دهناً للسراج، فاخذت هذه القطعه لادفعها الیه عوض دهنه، و کان طلبه العلم الملازمون للشریف الرضی فی عماره قد اتخذها لهم سماها دارالعلم، و عین لهم جمیع ما یحتاجون الیه، فلما سمع الرضی ذلک، امر فی الحال بان یتخذ للخزانه مفاتیح بعدد الطلبه، و یدفع إلی کل منهم مفتاح لیأخذ منها ما یحتاج الیه و لا ینتظر خازناً یعطیه، ورد الطبق علی هذه الصوره فکیف لا اعظم من هذا حاله.

و نحن قد تعرضنا للدفاع عما رمی به الشریف المرتضی من البخل فیما تقدم. و قد تعرض کل من اصحاب (۱) الریاض والروضات والمعجم والمستدرک والمجالس لما ذکر ابن

۱- ریاض العلماء ج۵ ص ۸۳ روضات الجنات ج۶ ص ۱۹۱، المعجم ج۱۶ ص ۲۳، خاتمه المستدرک ج۳ ص ۵۱۴، مجالس المؤمنین ج۱ ص۵۰۵.

خلكان عن ابن جنى ان الشريف الرضى احضر إلى ابن السيرافى النحوى و هو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقنه النحو، و فعد معه يوماً فى الحلقه، فذاكره بشىء من الاعراب على عاده التعليم، فقال اذا قلت رأيت عمر.

فما علامه النصب، فقال بغض على عليه السلام فتعجب السيرافى والحاضرون من حده خاطره.

والشىء الذى يجده الباحث فى شخصيه الرضى قدس سره و ليس فى اخيه المرتضى ولا ابيه هو شموخه او قل استطلاعه للخلافه.

فقد ذكر (۱) ابن ابى الحديد له فى مدح القادر بالله.

عطفاً اميرالمؤمنين فاننا *** فى دوحه العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت *** ابدا كلانا فى المعالى معرق

الا الخلافه شرفتك فاننى *** انا عاطيل منها وانت مطوق.

و ذكر صاحب الروضات (۲) انه كان يرشح للخلافه، و كان ابو اسحاق الصابى يطعمه فيها و يزعم ان طالعه يدل على ذلك و أورد له من بعضهم شعراً له:

هذا اميرالمؤمنين محمد *** طابت ارومته و طاب المحتد

او ما كفاك بان امك فاطم *** و ابوك حيدره و حدك محمد

وجزى الله العلامه المفضال الامينى قدس سره أحسن الجزاء فيما كتب (۳) عن السيد الرضى و عن تأليفه القيم نهج البلاغه و شروحها و شراحها، و اجاب عن افترائات الجاهلين والمتعصبين من نسبه وضعه إلى الشريف الرضى قدس سره أو غيره واتى رحمه الله بما هو فوق ما يراد.

۱- شرح ابن ابى الحديد ج۱ ص ۳۴ ذكرها بتفاوت يسير فى رياض العلماء ج۵ ص۸۵.
۲- روضات الجنات ج۶ ص ۱۹۶-۱۹۷.
۳- الغدير ج۴ ص ۱۸۰إلى ۲۲۱.

کما انه رحمه الله قد تعرض (۱) لبیان النقابه و ولایه للظالم و الولایه علی الحج و امارته و ما یراد بها: الشؤون التی تکفلها السیدان الرضی و المرتضی و ابوهما).

[*۱۶] ذکره فی العمده (۲) و قبل ذلک ذکر و کذا فی الشجره (۳) المبارکه عن البخاری (من علماء النسب) ان الحسن بن زید بن الحسن المجتبی علیه السلام اول من لبس السواد من العلویین، و کان امیر المدینه من قبل المنصور الدوانیقی.

وزاد فی العمده و عمل له علی غیر المدینه ایضا و کان مظاهراً لبنی العباس علی بن عمه الحسن المثنی، ولزید ابی الحسن بن زید ابنه (اخت الحسن) تسمی نفیسه.

خرجت إلی الولید بن عبدالملک بن مروان فولدت منه، و ماتت بمصر، ولها هناک قبر یزار و هی التی یسمیها اهل مصر الست نفیسه، و یعظمون شأنها و یقسمون بها، و کان زید یفد علی الولید بن عبدالملک، و یقعده علی سریره و یکرمه لمکان ابنته، و وهب له ثلاثین الف دینار دفعه واحده.

ولعل الصحیح انها زوجه اسحاق، و ان ذکر فی العمده ان الاول هو الثبت المروی عن ثقات النسابین کما ان فی المجدی (۴) عن بعض فضلاء الشیعه عن البلاذری انها کانت زوجه عبدالملک بن مروان و انها ماتت منه حامل، لکن فی التحفه (۵) انها بنت أبی محمد الحسن بن أبی الحسین زید بن أبی محمد الحسن السبط علیه السلام و بعد وصفها بأنها من أجلاء کبار النساء الصالحات العابدات الی، وقد نقل، وروی الامام الشافعی و غیره الحدیث

۱- الغدیر ج۴ ص ۲۰۵-۲۰۹.

۲- عمده الطالب ۵۵-۱۹۶.

۳- الشجره المبارکه ۴۱.

۴- المجدی ۲۰.

۵- تحفه لب اللباب ۳۶۵-۳۶۶.

عنها، قعند وفاته أوصی أن تصلی علیه، فادخلت جنازته الیها فصلت علیها، وقد تزوجها الولید و قیل والده، و کانت وفاتها بشهر رمضان سنه ۲۰۸ بمصر و هی حامله فأراد بعلها اسحاق المؤتمن ابن أبی عبدالله جعفر الصادق علیه السلام حمل جنازتها الی المدینه الی، و مشهدها بموضع یعرف بدرب السباع عند المنشأ بین مصر والقاهره فخرب الموضع و ما به من العمائر و لم یبق به سوی مشهدها ظاهراً مشهوراً، یزار، و تستجاب الدعوه فیه.

و عن (۱) اسعاف الرغابینللشیخ محمد الصبان عن کتاب حسن المحاضره انها بنت الحسن ابن زید بن الحسن المجتبی علیه السلام و انها لما توفیت بمصر اراد زوجها و هو اسحاق المؤتمن ابن الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام نقلها إلی المدینه، و دفنها فی البقیع، فسأله اهل مصر ترکها عندهم للتبرک، و بذلوا له مالاً کثیراً فلم یرض، فرأی النبی صلی الله علیه و آله، فقال له یا اسحق لاـ تعارض اهل مصر فی نفیسه، فان الرحمه تنزل علیهم ببرکتها و ربما یؤید کونها زوجه اسحاق انها لوکانت عند الولید فلا موجب لخروجها إلی مصر.

وعن الاسعاف کما فی السفینه (۲) انها ماتت بمصر فی شهر رمضان سنه ۲۰۸ احتضرت و هی صائمه فألزموها الفطر، فقالت واعجباً انی منذ ثلاثین سنه أسأل الله تعالی أن ألقاه و أنا صائمه أفطر الآن؟ هذا لا یکون، ثم قرأت سوره الانعام فلما وصلت الی قوله تعالی لهم دار السلام عند ربهم ماتت.

أقول: انها حفرت قبرها بیدها وصارت تنزل فیه و تصلی و قرئت فیه سته آلاف ختمه.

[*۱۷] الظاهر عدم کون الاشعث هذا اخا عمروا بن معدی (۳) کرب الذی اسلم فی السنه

۱- سفینه البحار ج۲ ص ۶۰۴.

۲- سفینه البحار ج۲ ص۶۰۴.

۳- الحار ج۲۱ ص ۳۷۱، مروج الذهب ج۲ ص ۳۳۳-۳۲۴، تاریخ الیعقوبی ج۲ ص ۷۴، تنقیح المقال ج۲ ص۳۳۹.

العاشـره حیث جاء علی رسول الله صلی الله علیه و آله وارتد بعد وفاته، ثم عاد إلی الاسلام، و کان عمرو فی حرب قادسیه و قتل فی وقعه نهاونـد، و قبورهم (هو والنعمـان بن مقرن و غیرهما) علی ما یقول المسـعودی بینه معروفه علی نحو فرسـخ من نهاونـد، فیما بینها و بین الدینور، و قیل (۱) ان عمرو بن معدی کرب الزبیدی المذحجی أبا ثور مات عطشاً بالقادسیه.

و یحتمل قریباً کون الا شعث هذا ابن (۲) قیس بن معدی کرب الکندی اخا قتیله احدی ازواج النبی صلی الله علیه و آله التی لم یدخل بهن، و قبض صلی الله علیه و آله قبل خروجها الیه من الیمن، و یقال طلقها فخلف علیها عکرمه بن ابی جهل.

واشعث (۳) هـذا کان من المنافقین فی خلافه علی علیه السالم و هو فی اصـحابه علیه السـلام کما کان عبدالله ابن ابی بن سـلول فی اصـحاب رسول الله صـلی الله علیه و آله کل واحد منها رأس النفاق فی زمانه، قال له امیرالمؤمنین علیه السـلام حیث اعترضه الاشعث فی بعض کلامه: علیک لعنه الله و لعنه الاآعنین.

حائک بن حائک منافق بن کافر فی کلام له علیه السلام.

قال ابن (۴) ابی الحدید کل فساد کان فی خلافه امیرالمؤمنین علیه السـلام و کل اضـطراب حدث، فاصـله الاشعث، و لیس (۵) اشـعث هـذا جد جعفر بن محمد الاشـعث الذی جعل الرشـید ابنه فی حجره فحسده یحیی بن خالد البرمکی، فاحتال علیه و علی موسی بن جعفر علیه السلام

۱- سفینه البحار ج۲ ص ۲۶۷.

۲- شرح النهج الحدیدی ج۱ ص ۲۹۳، بحارالأنوار ج۲۲ ص ۱۹۲-۲۰۴.

۳- نهج البلاغه ج۱ ص۵۱، شرح النهج الحدیدی ج۱ ص ۲۹۷، سفینه البحار ج۱ ص ۷۰۲.

۴- شرح النهج ج۲ ص ۲۷۹.

۵- البحار جلد ۴۸-۴۷ - ۷۴-۲۳۱ إلی ۲۳۴.

إلی ان قتله الرشید، ولابی جعفر هذا قصه فی تشیعه، فانتقم (۱) الله لابی الحسن موسی علیه السلام و دفع الله عن بنی الاشعث بولایتهم لابی الحسن علیه السلام، و نزل بالبرامکه بدعاء ابی الحسن الرضا علیه السلام بعرفه واقفاً فاستجاب الله له تعالی.

قال الیعقوبی (۲) کان علی حرسه (الرشید) جعفر بن محمد الاشعث ثم عزله.

والظاهر ان معدی کرب (۳) الذی استنجد ملک ایران فانجده وصار ملکاً احد هذین المذکورین، ولکن فی کلام الیعقوبی (۴) ان المستنجد سیف بن ذی یزن.

[*۱۸] قد تقدم الکلام فی هذا الموضوع، وقلنا ان عندنا معاشر الامامیه ان المسلم یرث الکافر و یمنع القریب الکافر من الارث ولا یرثه الکافر.

[*۱۹] مما یربینا فی تصدیق ما نقله هنا ما ذکره الشیخ (۵) الطوسی قدس سره و نقله عنه غیره کالمامقانی (۶) والعلامه (۷) الخوئی ان ابا صفره (ظالم بن سراق) والد المهلب کان شیعیاً و قدم بعد الجمل، فقال لعلی علیه السلام اما والله لو شهدتک ما قاتلک ازدی، فمات بالصره و صلی علیه علی علیه السلام.

[*۲۰] الاهتم (۸) لقب سنان بن خالد لان ثنیته هتمت یوم الکلاب، هتم فاه یهتمه القی مقدم اسنانه.

۱- البحار ج۴۸ ص ۲۴۹، مرآت العقول ج۶ ص ۸۲.

۲- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۱۶۶.

۳- مروج الذهب ج۲ ص ۸۱-۸۰.

۴- تاریخ الیعقوبی ج۱ ص ۱۷۳.

۵- رجال الشیخ ۴۶.

۶- تنقیح المقال ج۲ ص ۱۱۱.

۷- معجم رجال الحدیث ج ۹ ص ۱۷۱، سفینه البحار ج۲ ص ۷۲۱.

۸- القاموس باب المیم فصل الماء ماده هتم.

[*۲۱] الغالب (۱) علی ابی دلف التشیع و المیل الی علی علیه السلام و ابنه دلف کما ذکر عیسی بن ابی دلف اخوه کان ینتقص علی بن ابی طالب علیه السلام و یقع منه و من شیعته و اعترف ابودلف بکون دلف لزنیه و حیضه حیث وقع علی جاریه اختها حائضاً فحملت بدلف فلما ظهر حمل الجاریه وهبتها له.

اقول قال ابن ابی الحدید (۲) (نقلاً عن شیخهم ابی القاسم البلخی) وقد اتفقت الأخبار الصحیحه التی لاریب فیها عند المحدثین: علی ان النبی صلی الله علیه و آله قال: لا یبغضک الا منافق و لا یحبک إلا مؤمن.

وقال (۳) قال الشیخ ابوالقاسم البلخی، وقد روی کثیر من ارباب الحدیث عن جماعه من الصحابه قالوا: ماکنا نعرف المنافقین علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله الا ببغض علی بن ابی طالب علیه السلام.

و قال فی موضع (۴) آخر روی العبادله عن ابی مریم الانصاری عن علی علیه السالم لا یحبنی کافر ولا ولد زنا.

و قد وردت روایات کثیره فی هذا المعنی من قول (۵) جابر بن یزید و روایته (۶) و یحتمل فی بعضها کونه جابر بن عبدالله و من روایه جماعه من أصحاب رسول الله صلی الله علیه و آله عنه.

۱- مروج الذهب ج۴ ص ۶۲.

۲- شرح النهج الحدیدی ج۴ ص ۸۳ بحار الأنوار ج۳۹ ص ۲۹۴،۲۹۵،۲۹۷.

۳- البحار ج۳۹ ص ۲۹۵-۲۹۷-۳۰۰، شرح النهج الحدیدی ج۴ ص ۸۳.

۴- البحار ۲۹۶، شرح النهج الحدیدی ج ۴ ص ۱۱۰.

۵- البحار ج۳۹ ص ۲۵۲،۲۵۴، إلی ۲۵۶ و بعدها.

۶- ارشاد المفید ۲۶-۲۷.

الفصل الحادی عشر: الرقیق

اشاره

كان اتخاذ الرقیق منتشراً عند الیهود و النصاری و المسلمین. علی أن ضمیر الكنیه كان یسخط علی الرق بین حین وآخر؛ وكان رجالها یقولون إن المسیح لا فرق عنده بین حرّ و عبد(۱).

وقد حاولت الكنیسه، علی الأقل، أن تحارب تجاره الرقیق، فقرضت علی من یشتغل بها عقوبه الحرمان(۲).

وقد استلفت نظرَ المسلمین أن الیهود و النصاری لا یجوز لهم أن یتمتعوا بإمائهم(۳)، و ذلك لأن القانون المسیحی فی المشرق كان یعتبر اقتراب الرجل من أمته زنّی عقابُه المنع من البیعه؛ و یحق الزوجه فی هذه الحاله أن تبیع الجاریه و تقصیها عن البیت، وإذا حملت الجاریه من سیدها المسیحی طفلا فإنه

۱- انظر مثلا، Sachan, Syr, Rechtsb. ۲, S. ۱۶۱ ، و كذلك نجد المفكر الإثیوبی ذرعه یعقوب (حوالی سنه ۱۶۰۰ م) فی نقده للإسلام و النصرانیه یعیب الإسلام، لأنه بإقراره نجاره الرقیق ألفی المساواه و الأخوه بین بنی الإنسان، و هم جمیعاً یسمون اللّه أبا لهم (انظر : Philosophi abessini, eed, Littman m S, II من الترجمه) .

۲- Syr. Rechisb, Z, S. ۱۰۹, ۱۴۷, ۱d۵ ، علی أنه یوجد بین فقهاء المسلمین حدیث یروی عن التی و هو : شر الناس من باع الناس (كتاب العلل مخطوط برلین رقم ۸۳۲۷ ص ۲۰۶ ب) .

۳- كتاب البدء و التاریخ المطهر بن طاهر المقدسی و هو ینسب لأبی زید البلخی ج ۴ ص ۳۱ من طبعه كلیمان هوار باریس .

ينشأ رقيقا « يحمل عار والده الزانى(۱)».

و يحكى أن الخليفه المنصور، بعد أن استدعى الطبيب جورجيس بن جبريل ليعالجه من مرضه و شُفى على يديه، أرسل إليه ثلاثاً من الجوارى الروميات الحسان مع ثلاثه آلاف دينار، فأخذ المال وردَّ الجوارى؛ فاسأله المنصور عن ذلك فقال : « هوءلاء لاـ يكونون معى فى بيت واحد، لأنا نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأه واحده، و ما دامت المرأه فى الحياه لا نأخذ غيرها »، فحسن موقعه من الخليفه(۲).

أما فى الإسلام فإن الطفل الذى يولد للمسلم من أمته يكون حُرّا(۳)،

و لا يجوز للرجل أن يبيع الأمه أم الولد؛ ثم هى تصبح حره بعد موت زوجها؛ و لا يجوز فى الشرع الإسلامى أن يشترك رجلان فى أمه فى وقت واحد؛ و قد

حدث مره أن رجلين اشتريا أمه فوطئاها، فأمر الخليفه بعقابهما(۴).

و على حين أن القوانين فى الدوله الرومانيه البوزنطيه كانت تحرّم على غير النصرانى أن يتخذ رقيقاً من النصارى (۵) ، و أن الكنيسه المسيحيه كانت فى بلاد الإسلام ج كما تقدم ج تعاقب بالحرمان من يبيع الرقيق النصرانى لغير النصارى، فإن الشريعه الإسلاميه لم تحرم على اليهود و النصارى اتخاذ رقيق من

۱- Syr. Rechtsb. ۲, S. ۹ b ۱. ۱۶۱ f.

۲- ۱۷۹ Elias Nisibenus S. (حوالى عام ۴۰۰ه) فى مجموعه، Chr. Corp. Scrip. or. طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعه ج ۱ ص ۱۲۵ .

۳- الولد الأول على الأقل، و اختلف الفقهاء فيما بعده، انظر رأى الحنفيه عند d ۱۱-۱۲ .S ۱۱-۱۲ .Dohsson, VI, S ، و رأى الشافعيه عند Sachau, Muham. Recht S. ۱۷۴..

۴- الكندى ص ۳۳۸ .

۵- Cod. Just, C. ۱ , tit. ۹, ۱۰.

المسلمين(١)

و فى القرن الرابع الهجرى كانت مصر و جنوب جزيره العرب و شمال إفريقيه اكبر أسواق الرقيق الأسود؛ و كانت قوافل هذه البلاد تجلب الذهب و العبيد من الجنوب؛ و كان الثمن الجارى للعبد حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى مائتى درهم(٢).

وقد اشتُرِى كافور صاحب مصر، و كان عبداً حبشياً، فى سنه ٣٧٣ه ٩٣٤ م بثمانيه عشر ديناراً كما يقال(٣)؛ و هذا الثمن قليل بالنسبه للكافور لأنه كان خصيا، و كان يدفع فى ثمن الزنجى الجيد بعمان ما بين خمسه و عشرين و ثلاثين ديناراً(٤).

و لما اشترى الوزير الصاحب بن عباد عبداً نوبياً بأربعمائه دينار استكثر الناس هذا الثمن(٥)

وقد سيمت جاريه « جميله حلواء » حوالى عام ٣٠٠ه بمائه و خمسين ديناراً(٦).

و يقول الشريف الإدريس(٧) إن فى نساء النوبه جمالا فائقاً، و إنه لا أحسن

١- ١٧٣ .Sachau, Muham. Recht, S

٢- الأغانى ج ٣ ص ٥٥ .

٣- ٤٧ .F. Wiistenfeld, Statthalter von Aegyptem IV, S,

٤- عجائب الهند ص ٥٢، و كان يدفع مثل هذا المبلغ فى بوزنطه فى ذلك العهد للعبد العادى، انظر ٣٨٣ .Vogt, Basite, S

٥- ابن الوردى ص ٤٦ .

٦- مطالع البدور للغزولى ج١ ص١٩٦.

٧- طبعه دوزى، ليدن ١٨٦٤ ص ١٣ .

للجماع منهن لطيب متعتهن و نفاسه حسنهن، و إن الجاريه منهن ليبلغ ثمنها ثلثمائه دينار. وقد جُلب كثيرات من الرنج إلى بلاد العراق، و هن معروفات بكثره النسل. وقد عَلّل الجاحظ عدم غلبه أولاد الرنج فی العراق بكون الرنجی و الزنجيه قليلا ما يلدآن من الغرائب، و أن الزنجيه لاتكاد تنشط لغير الزنجی، و هی من الزنجی أسرع لقاحاً منهما من الأبيض؛ فكأن الجاحظ يرى أن الزنجيات يصيبهن العقم فی البلاد الشماليه(۱) و كان يستعمل عبيد البيوت السود بوابين كما هو الحال اليوم(۲).

و إذا كان المجتمع يعنی بالشعر الجيد و بالموسيقی الجميله أكثر مما يعنی بغيرهما من ألوان الفن، عظمت فيه قيمه الغلمان و الجواری الموهوبين المتعلمين. وكان فی عهد الرشيد ببغداد مُغَنٍّ مشهور قد يتفق عنده وجود ثمانين جاريه لإخوانه يودعونهن عنده لتعليمهن فن الغناء(۳)

و كانت تُشتری الجاريه من هوءلاء بألف دينار إلى ألفين(۴).

و قد يحدث أن يكون بيت النخاس مكاناً يكثر غشيانه الشعراء(۵).

وكان معظم القيان اللائی يحترفن الغناء ببغداد فی سته ۳۰۶ه جواری، و قليل منهن أحرار(۶).

۱- رسائل الجاحظ طبعه فات فلوتن ص ۷۷ ج ۷۸ .

۲- انظر ما حكاه رحاله صينی فی القرن الثالث عشر الميلادی عند Fr. Hirth, Die Lander des Islam mach Chinesischen Quetlen S.۵۵.

۳- الأغانی ج ۵ ص ۶ .

۴- انظر Michael Syrus S. ۵۱۴ ، و هو يخلط إبراهيم المهدی بابراهيم الموصلی .

۵- الأغانی ج ۲۰ ص ۴۳ .

۶- أبوالقاسم طبعه متز ص ۷۸ و ما بعدها .

وكـان للمشـهورات من حـذاق المغنيـات أثمان كبيره، كما نقـدرهن نحن اليوم؛ فحوالى عام ۳۲۵ه اشـترى ابن رائـق أمير العراق جاريه مولّده كانت لابنه ابن حمدون النديم؛ و كانت سمراء موصوفه بحسن الغناء، فاشتراها ابن رائق من مواليها بثلاثه عشر ألف دينـار، و أعطى من دله عليها ألف دينار(۱)؛ و يحكى الصولى (۲) أن ابن رائق اشتراها بأربعه عشـر ألف دينار، فاسـتعظم الناس ذلك.

و كان ثمن العبيد البيض يزيد على ما تقدم لأنهم أرستوقراطيو العبيد؛ فكانت توءخذ الجاريه الحسناء من غير صناعه على جمالها بألف دينار و أكثر(۳).

و كانت لأبى بكر الخوارزمى جاريه، فطُلبت بعشره آلاف درهم فلم يجُد بها(۴).

وقد ارتفعت اثمان الخدم البيض ارتقاعاً خاصاً حينما خربت الثغور الغربيه، و انقطع عبيد الأندلس فى القرن الرابع، و كاد ينضـب المصدر الوحيد الباقى للرقيق، و هو بوزنطه و أرمينيه(۵).

و مما زاد فى ذلك أن أهل المملكه الإسلاميه من المسلمين و أهل الذمه لم يكن يجوز أن يشتَرقّوا بوجه من الوجوه القانونيه؛ و لم يكن الإجرام سـبباً يكفى لحرمانهم من حريتهم كما هو الحال عنـد غير المسـلمين. و كذلك كان بحرم على الآباء المسـلمين أن يبيعوا أولادهم، كما كان الحال عند اليهود مثلا؛ فإنهم كانوا، إذا

۱- المنتظم ص ۸۸ .

۲- الأوراق للصولى ص ۱۴۲ من مخطوط باريس .

۳- الاصطخرى ص ۴۵ .

۴- اليتيمه ج ۴ ص ۱۵۱ .

۵- المقدسى ص ۳۴۶ .

احتاجوا، باعوا أولادهم الصغار غير البالغين(١).

وقد حدثت فتنه فى مصر فى القرن الثالث الهجرى، فقُبض على بعض النصارى المصريين، و بيعوا فى دمشق كما يباع الرقيق؛ فأثار هذا العمل أكبر السخط، لأنه فعل يخالف الشريعه(٢).

على أنه كان يوجد بين المسلمين بعضٌ من شرار الفرق يعتبرون أنفسهم المسلمين، و يعتبرون جميع من خالفهم أهلًا للحرمان من الحقوق الشرعيه؛ و من هذه الفرق الضاله فرقهُ القرامطه الذين عظم شأنهم فى القرن الرابع، فقد أحلّوا استرقاق من يقع فى أيديهم من الأسرى؛ و كان ذلك أمراً شنيعاً فى أيامهم؛ فسرعان صار الكثيرون من الآمنين المسالمين من أهل الشام و جزيره العرب و العراق أرقاء فى أيديهم؛ و قد اعترض القرامطه قافله الحاج عام ٣١٢ه‍ ٩٢۴ م، فأسروا من الرجال الذين، و من النساء نحو خمسمائه و ساروا بهم إلى هَجَر؛ و كان الأزهرى اللغوى الأديب المتوفى عام ٣٧٠ه‍ ٩٨٠ م من جمله الأسرى، و وقع فى سهم قوم من العرب الذين نشأوا بالباديه يتتبعون مساقط الغيث، و يتكلمون بطباعهم البدويه، و لا يكاد يكون فى منطقهم لحن؛ و قد بقى فى أسرهم دهراً طويلاً و استفاد من مخاطباتهم و محاوره بعضهم بعضاً ألفاظاً جمه، ونوادر كثيره أورد أكثرها فى كتابه(٣).

١- Krauss, Talmudiscbe Archaologie ، و كتاب البدء و التاريخ ج ۴ ص ٣٩، على أن بيع الشراكسه المسلمين بناتهم ج و هو العمل الذى لا يزال جاريا إلى اليوم - يخالف الشريعه الإسلاميه و هو محظور بحكم الشرع .

٢- انظر الفصل الخاص باليهود و النصارى .

٣- المنتظم ص ٢٧ ب ج ٢٨؛ و الأزهرى هو الذى حكى ذلك عن نفسه، انظر الإرشاد ج ۶ ص ٢٩٩ .

أما فى سائر المملكه الإسلاميه فقد اقتصر المسلمون فى العبيد البيض على الترك و على الصقالبه، و هم الجنس الذى لا ينفد معينه، و الذى اشتق منه الاسم الذى إطلق على الرقيق فى أوروبا وكان الصقالبه يقدَّمون على الترك، حتى قال الخوارزمى : « و يستخدم التركى عند غيبه الصقلبى(١).

و أكبر ما كان يجلب من بلغار، و هى قصبه البلغار الذين يقطنون حول نهر القلجا، رقيق كانوا يوءخذون من هناك إلى إقليم جيحون(٢)، و كانت سمرقند أكبر سوق لهم، و هى مشهوره بأن خير رقيق ماوراء النهر ما كان من تربيتها. و كان فى أهل سمرقند جمالٌ، و كان لهم حسنُ تعهُّد لأنفسهم بما زادوا به على أكثر أهل خراسان(٣)؛ و كانت بلدهم لذلك مشهوره بأنها مركز للتربيه و التهذيب، وكان أهلها يتخذون ذلك صناعه لهم يعيشون منها كما هو الحال اليوم فى جنيف و لوزان.

أما الطريق الثانى الذى كان يأتى منه رقيق الصقالبه، فقد كان يخترق ألمانيا إلى الأندلس و إلى الموانى البحريه بإيطاليا و فرنسا(٤).

و كان أغلب تجار الرقيق فى أوربا من اليهود، و كان الرقيق يجلب كله تقريباً

١- اليتيمه ج ۴ ص ۱۱۶ .

٢- المقدسى ص ٣٢٥ .

٣- ابن حوقل ص ٣٦٨ .

۴- إن تحريم الدوج فى مدينه البندقيه عام ۹۶۰ م نقل العبيد على المراكب كان خاصاً بالعبد المسيحيين وحدهم (انظر Schaube Handelsgeschichte der rom. Volker, S. ٢٣) و كانت المعاهده التى عقدت بين البندقيه و بين الإمبراطور أوتو الأكبر عام ۹۶۷ م تحظر على المسيحيين الذين فى أرض الإمبراطور وحدهم أن يبيعوا أو يشتروا العبيد (نفس المصدر ص ۵). و كانت تجاره الرقيق فى مدينه جنوه، بعد ذلك بزمن طويل، تجاره ظاهره (نفس المصدر ص ۱۰۴) .

من الشرق الأوروبى، كما هو الحال اليوم فى تجاره النساء(١).

و من الجلى أن استقرار جاليات يهوديه فى مدن مقاطعه سكسونيا الشرقيه مثل مدينه مجديبورج و مرزيبورج كان راجعاً إلى تجاره الرقيق (٢).

وكان اليهود فى أثناء نقلهم للرقيق يدفعون ضرائب ثقيله، و ذلك فى ألمانيا على الأقل، فكان قانون الجمارك فى مدينه كوبلنتز مثلا يقضى بأن يدفع عن كل رأس من الرقيق أربعه دنانير(٣).

و كان أسقف مدينه خور Chur يفرض على الرأس دينارين يدفعان فى جمرك مدينه فالنِّشتات(٤) Wallenstadt.

و الطريق الثالث لتجاره الرقيق يسير من بلاد الرقيق فى المغرب ج وكانت هذه البلاد بسبب حروبها مع الألمان كثيره الإنتاج لهذه البضاعه الإنسانيه ج و يتجه نحو الشرق رأساً ماراً بمدينه براغ و بولونيا و روسيا. و هذا هو الطريق الذى اتبعه الربى بتاحيا فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)؛ و كانت مدينه براغ هى أول هذا الطريق لأنها كانت مركزاً لتجاره الرقيق فى القرن العاشر الميلادى. و قد اضطر القديس أدالبرت Adalbert بمدينه براغ سنه ٩٨٩ م لاعتزال منصبه الأسقفى، لأنه لم يستطع أن يعتق جميع المسيحيين الذين

١- ذكر الأسقف أجوبارد، أسقف مدينه ليون (Agobard of Lyon) فى كتابه Insoletia Judaeorum أمثله على أن بعض اليهود كانوا يسرقون أبناء النصارى الفرنسيين أو يحصلون عليهم شراء من النصارى أنفسهم و يبيعونهم للمسلمين فى أسبانيا (Opera ed.Balukius). و قد اقتبست هذا من كتاب : Baudissin Eulogius und Alvar, Leibzig, ١٨٧٢, S. ٧٧. Graf.

٢- Caro.Wirtschaftsgeschichichts der Juden, I, S. ١٩١.

٣- نفس المصدر ص ١٩٢ .

٤- Schaube, Handelsgesch. der rom. Volker, S. ٩٣.

اشتراهم تاجر رقيق يهودى(۱).

و كان ثم فى المدن سوق للرقيق يوكل الإشراف عليه لعامل خاص به. وقد انتهى إلينا وصفٌ لسوق الرقيق التى بنيت فى مدينه سامرًا فى القرن الثالث الهجرى؛ فهى سوق فى مربعه، فيها طرق متشعبه، و فيها الحجر و الغرف و الحوانيت للرقيق؛ وكان بيع الرقيق الجيد فى السوق العام بمثابه عقوبه تحط من قدره(۲)؛ و الأولى أن يباع فى منزل خاص أو بواسطه تاجر كبير؛ وكان تاجر الرقيق موضع تشنيع، مثله مثل تاجر الخيل فى أيامنا؛ و كان محمد بن الأشعث صاحب شرطه مصر يصعد المنبر و يشتم أحد القواد فيقول : « النخّاس الكذاب(۳)».

يقول ابن عبدون فى رساله له فى الرقيق : « فكم من سمراء كمده بيعت بصفراء مذهبه، و ممسوح العجز بثقيل الروادف، و بطين بمجدول الحشا، و أبخر الفم بطيب النكهه؛ و كم من مره جعلوا العين الزرقاء كحلاء، و حمَّروا الخدود المصفره، و سمنوا الوجوه المقعقعه، و كبروا الفقاح الهزيله، و أعدموا الخدود شعر اللحا، و أكسبوا الشعور الشقر حالك السواد، و جعَّدوا الشعور السبطه، و بيضوا الوجوه المسمرَّه، و دملجوا السيقان المعرقه، و رطَّلوا الشعور الممرَّطه، و أذهبوا آثار الوشم و الجدرى و النمش و الحكه ». و لذلك يجب على الإنسان أن يكون على حذر من شراء الرقيق فى المواسم، ففى مثل هذه الأسواق تتم للنخاسين الخيل، حتى يبيعوا المريض بالصحيح و الغلام بالجاريه؛ سمعنا بعض النخاسين

۱- Caro, ۱, ۱۹۱, f.

۲- جغرافيه اليعقوبى ص ۲۵۹ .

۳- الولاه للكندى ص ۱۰۹ ج ۱۱۰ .

يقول : ربع درهم حِنًّا يزيد ثمن الجاريه مائه درهم فضه ».

و من عاده التّخلسين أن بطوِّلوا الشعور بأن يصلوا فى طرفها من جنسها، و أن يزيلوا و رائح الأنف بالسعوط بدهن البنفسج و النيلوفر و نحوهما، و أن يجلوا الأسنان بالسواك بالأثنان و السكر و سحيق الصينى أو الفحم أو الملح المدقوق؛ و كانوا يزيلون الشعث فى أصول الأظفار بغسلها بالخل و العسل و المرنك أو دهن الورد و اللوز المر. ومن وصايا النخاسين للجوارى أن يتبرَّجن للمشترى تاره و يختفين منه أخرى، فإن هذا مالك للقلوب، و أن يدارين المشايخ و النافرى الطباع و يستملنهم، و يتجنبن الشباب، و يمتنعن عليهم ليتمكنَّ من قلوبهم. و كان الجوارى يخضّبن حواجبهن بالرامك، و أطرافهن إن كانت الجاريه بيضاء بالخضاب الأحمر، و إن كانت صفراء بالأسود، « و يجرون الصناعه مجرى الطبيعه فى كشف الضد بالضدِّ ».

هذه النصوص من رساله لابن بطلان الطبيب النصرانى المشهور الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى(۱).

ونجد فى هذه الرساله إلى جانب الناحيه النظريه كثيراً من التجارب القديمه النافعه فى شراء الرقيق : «فالهنديات لهن حسن القوام، و سمره الألوان، و حظ وافر من الجمال، مع صفره و صفاء بشره و طيب نكهه و لين نعمه؛ لكن الشيخوخه تسرع إليهن .. و هن يصلحن الولد، و رجالهم لحفظ النفوس و الأموال، و عمل الصنائع الدقيقه. غير أن النزلات تسرع إليهم .. و القندهار يات

۱- رساله جامعه لفنون نافعه فى شرى الرقيق و تقليب العبيد تأليف الشيخ أبى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب ضمن مخطوط رقم ۴۹۷۹ بمكتبه برلين .

فی معنی الهندیات، و لهن فضیله علی کل النساء، فإن النیب منهن تعود کالبکر. و السندیات ینفردن بدقه الخصور و طول الشعور، و المدنیات سمر الألوان معتدلات القوام، قد اجتمع فیهن حلاوهُ القول، و نعمه الجسم، و ملاحه دلّ و حسن شکل و بشر؛ لا غیره فیهن علی الرجال؛ قنوعات بالقلیل، لا یغصبن و لا یصخبن، و یصلحن للقیان .. و المکّیات خنثات موءنثات لینات الأرساغ ألوانهن البیاض المشرب بسمره؛ قدودهن حسنه، و أجسامنهن ملتفّه، و ثغورهن نقیه بارده و شعورهن جعده، و عیونهن مراض فاتره؛ و الطائفیات سمر مذهبات مجدولات، أخف خلق اللّه أرواحا، و أحسنهم فکاهه و مزاحا؛ لسن بأمهات أولاد، یکسان فی الحبل، و یهلکن عند الولاده .. و البر بریات مطبوعاتٌ علی الطاعه نشیطات للخدمه و یصلحن للتولید؛ لإنهن أحدب شیء علی ولد؛ و یقول أبو عثمان و هو من سماسره هذا الشأن : إذا اجتمع للبربریه مع جوده الجنس أن تُجلَب، و هی بنت تسع حجج، ثم کانت بالمدینه ثلاث حجج، و بمکه ثلاث حجج؛ ثم جاءت إلی العراق ابنه خمس عشره، فتأدبت بالعراق، جَمَعَت إلی جوده الجنس شکلَ المدنیات و خنث المکیات و آداب العراقیات، و استحقت أن تُخبی فی الجفون و توضع علی العیون. و الزنجیات مساویهن کثیره، و کلما زاد سوادهن قبحت صورتهن و تحددت أسنانهن، و قلَّ الانتفاع بهن، و خیفت المضرَّهُ منهن؛ و الغالب علیهن سوء الأخلاق و کثره الهرب، و لیس فی خلقهن الغم، و الرقصُ و الإبقاعُ فطرهٌ لهن(۱) و طبع فیهن، و لعجومه ألفاظهن عُدِل بهن

۱- « الزنجی دائم الرقص، و کما أن الألمانی یشعر برغبه شدیده للغناء لا یستطیع التغلب علیها متی قطع شوطاً من عمله الیومی، فکذلک الزنجی یرقص منی استطاع ». (K. Weule, Negerleben in Ostafrika S. ۸۴) .

إلى الزمر و الرقص؛ و يقـال : لو وقع الزنجى من السـماء إلى الأـرض مـا وقع إلاـ بالإيقاع. و هم أنقى الناس ثغوراً لكثره الريق، و كثره الريق لفسـاد الهضوم؛ و فيهن جَلَد على الكـدّ؛ فـالزنجى إذا شـبع فصُبَّ العـذاب عليه صبّا فـإنه لا يتألم، و ليس فيهن متعه لصـنانهن و خشونه أجسامهن؛ أما الحبشـيات فالغالب عليهن نعمه الأجسام و لينها و ضـعفها، بتعاهدهن السل و الدق؛ لا يصلحن للغنـاء و لاـ للرقص؛ دقـاق لاـ يوافقهن غير البلاـد التى نشأن فيها؛ و فيهن خيريه و سـلاسه انقياد، يصـلحن للائتمان على النفوس؛ يخصـهن قـوهُ النفـوس و ضـعف الأجسام، كمـا يخص النـوبهَ قـوهُ الأجسـام و ضـعفُ النفـوس؛ قِصـار الأعمـار لسـوء الهضم. و البجاويات مذهبات الألوان، حسـنات الوجوه، ملس الأجسام، ناعمات البشـره، جوارى متعه؛ إن جُلبت الواحده صـغيره و سـلمت من أن ينَكَّل بها ج لأنهن يقَرَّرن و يمسح بالموسـى أعلى فروجهن حتى يبدو العظم فصـرن شهره من الشهر. و الشجاعه و السرقه فى رجـال البجَّه (بلاـدهم بين الحبشه و النوبه) طبع و غريزه؛ و لهـذا لاـ يوءمنون على مـال، و لاـ يصـلحون أن يكونوا خُزَّانـا. و النوبيـات من جمله أجنـاس السودان، ذوات ترف و لطف، و أبـدانهن يـابسه مع لبن بشـره، و هواء مصـريوافقهن؛ لإـن مـاء النيل شربهن فى بلادهن، و إذا انتقلن عن غير مصـر تسـلطت عليهن العللُ الـدمويه و الأمراض الحاده. و التركيات قـد جمعن الحسن و البياض و النعمه؛ و عيونهن مع صغرها ذات حلاوه(۱)؛ و قدودهن ما بين الربع و القصير، و

۱- قـال أحـد شـعراء القرن الرابع فى غلاـم تركى: قـد أكثر النـاس فى الصـفات و قـد *** قـالوا جميعاً فى الأعين النجل و عين مولاى مثل موعده ** ضيقه عن مراود الكحل (يتيمه الدهر ج۴ ص۸۲).

الطول فیهن قلیل، و هن کنوز الأولاد و معادن النسل، قلَّ ما یتفق فی أولادهن وحش و لا ردی الترکیب. و الرومیات بیض شُقر، سباط الشعور، زرق العیون عبید طاعه و موافقه و خدمه و مناصحه و وفاء و أمانه، یصلحن للخزن لضبطهن و قله سماحتهن، و لا یخلو أن یکنَّ یألفن صنائع دقیقه. أما الأرمنیات فالملاحه للأرمن لولا ما خُصوا به من وحشه الأرجل مع صحه بنیه و شده أسر، و العفه فیهن قلیله أو مفقوده، و السرقه فیهن فاشیه و قل ما یوجد فیهن بخل، و فیهن غِلَظُ طبع و لفظ، و لیست النظافه فی لغتهن، و هن عبید کد وخدمه، متی ترکت العبد ساعه بغیر شغل لم یدعُه خاطره إلی خیر، لا یصلحون إلا علی العصا و المخالفه؛ و الواحد منهم إذا رأیته کسلان فلیس ذلک عن عجز قوه، بل دونک و العصا؛ و کن مع ضربه و انقیاده لما تریده علی حذر؛ فإن هذا الجنس غیر مأمون عند الرضا فضلا عن الغضب : و نساوءهم لا یصلحن لمتعه، و جمله الأمر أن الَارمن أشر البیضان کما أن الزنج أشر السودان. و ما أشبه بعضهم ببعض فی قوه الأجساد و کثره الفساد و غلظ الأکباد(۱).

وقد جرت العاده منذ العصر الأول للإسلام بألّا یسمی العبید عبیداً، بل یسمی العبد فتی و الأمهُ فتاهً؛ وقد نُسب هذا ج کما نُسب کثیر غیره ج إلی أمر النبی عیه السلام.

وکان من التقوی و شرف النفس ألا یضرب الرجلُ عبدَه؛ و یروی عن النبی صلی الله علیه و آله أنه قال : « شر الناس من أکل وحده و منع رفده و ضرب عبده ». وهذا الشعور نبیل عبَّر عنه اللیث السمرقندی (المتوفی سنه ۳۸۷ﻫ ۹۹۷ م)

۱- الرساله المتقدمه ص ۱۳۶ ب ج ۱۳۷، ۱۴۵ ج ۱۵۱ ب .

بروايته هذا الحديث(۱).

وفى القرن الرابع الهجرى اتخذ البعضُ من قوله تعالى : « إنما الموءمنون إخوَةٌ » نقداً يوجِّهونه لمن يضرب عبده، و كذلك قال الشاعر :

إن كنتَ تطلب فضلا *** إذا ذُكرتَ و مجد

فن العبدک خِلًّا *** وکن لخِلّك عبدا(۲)

و لذلك جاء فى وصف رجل من أشراف اليمن و ذِكرِ جميل خصاله (حوالى عام ۵۰۰ه ۱۱۰۶ م) أنه لم يكن يضرب مملوكا أبداً(۳).

وقد حدث فى أول عهد الأمويين أنّ امرأه من حمير كانت بمصر جدعت أنف أمَه لها، فقضى عبدُ الرحمن بن حُجيره قاضى مهصر بعتقها، و قضى بولائها للمسلمين يعقلون عنها و يرثونها(۴).

و كان قانون الكنيسه المسيحيه فى الشرق يهدد بعقوبه الحرمان من يكره جاريته على البغاء؛ و ذلك بأن يدفها إليه مباشرةً، أو بأن يمتنع عن إعالتها(۵).

و كانت دور البغايا فى بلاد الإسلام قوامها الجوارى المملوكات؛ و تدل على هذا حكايات كثيره؛ و لكن كتب الفقه لم تتعرض لهذه المسأله؛ لأن الفهاء يعتبرون الزنا محرّماً جمله، أما رجال الكنيسه فقد احتفظوا فى هذه المسأله

۱- بستان العارفين على هامش تنبيه الغافلين للسمرقندى طبعه بمباى ص ۲۲۲ .

۲- كتب هذين البيتين رجل لصديق له حضره يضرب عبداً له فمنعه فلم يمتنع؛ و هو يذكره بحق الصديق فى عبوديه الطاعه و أخوه العبد فى حق الإيمان. رساله فى الصداقه للتوحيدى ص ۱۶۸ ج ۱۶۹ .

۳- التسكت المصريه لعماره اليمنى طبعه درنبرغ ۱۸۹۷ ص ۹ .

۴- القضاه للكندى ص ۳۱۷، ۳۱۸ .

۵- Sachau. Msos. x, ۲, ۵. ۹۳.

بشـیء من الصـراحه القـدیمه. علی أنه قـد جـاء فی القرآن الحضُّ علی تزویـج الأیـامی و الإماء؛ قال تعالی : « و أنکحوا الأیامی منکم و الصالحین

من عبادکم و إمائکم(۱)».

و کان فی الإسلام مبدأ فی مصلحه الرقیق؛ و ذلک أن الواحد منهم کان یستطیع أن یشتری حریته بدفع قدر من المال؛ و قد کان للعبد أو الجاریه الحق فی أن یشـتغل مسـتقلا بالعمل الذی یریده؛ فیحدثنا المسعودی مثلا عن عبدٍ خیاط کان علیه لمولاه ضریبهٌ قدرُها درهمان یدفعها له کل یوم، و یتصرف بعدها فی حوائجه بما یبقی(۲).

وکـذلک کـان من البر و العـادات المحموده أن یرصـی الإنسان قبل مماته بعتق بعض العبیـد الـذین یملکهم. و فی القرن الثالث الهجری أوصی الخلیفه المعتصم عند موته بعتق ثمانیه آلاف من ممالکیه(۳).

وقد أخذ هذا الخلیفه أحد حصون أرمینیه عنوه بعد معرکه دمویه فأمر ألا یفرّق بین أعضاء العائلات(۴) التی وقعت فی الأسر.

وقـد تمتع بعض الجـواری و ظهرن بمظهر النعمه؛ فیحکی عن جـاریه لاحـدکبار العمـال الأغنیـاء بمصـر أنهـا کـانت تجلس فی الشباک، و حولها الجواری قائمات بالمذیات(۵).

۱- سوره النور آیه ۳۳ .

۲- مروج الذهب ج ۶ ص ۳۴۴ .

۳- Michael Syrus, S. ۵۴۳.

۴- Michael Syrus, S. ۵۴۷.

۵- المغرب لابن سعید ص ۱۵ .

و یحکی أن ابن سمعون الواعظ ذکر الحلواء و هو علی کرسیه فی لیله النصف من رمضان، و کان بین الحاضرین جاریه لتاجر مشهور بکثره المال؛ فلما أمسی أتاه غلام و معه خمسمائه خشکنانکه فی داخل کل منها دینار، فحمل الدنانیر بنفسه إلی التاجر؛ فقال له التاجر : إن الدنانیر وضعت بحضرته و برضاه(۱).

و کان بعض الغلمان یملکون قلوب سادتهم، و ذلک لمیل الشرقی إلی من یجمع بین الجمال و الفطنه؛ و عندنا قصیده للشاعر سعید بن هاشم الخالدی فی وصف غلام له(۲) :

ما هو عبدٌ لکنه ولد *** خوَّلنیه المهیمنُ الصمدٌ

شدَّ أزری بحسن خدمته *** فهو یدی والذراعُ والعَضُد

صغیرُ سنٍّ کبیرُ منفعه *** تمازج الضعفُ فیه و الجلَدُ

فی سن بدر الدجی و طلعته *** فمثلُه یصطفی و یعتَمَدٌ

معشّق الطرف کحله کَحَل *** مغزّل الجید حَیلُه الجَیدُ

وورد خدَّیه و الشقائق و التفاح *** والجلّنار منتضدُ

ریاض حسن زواهر أبداً *** فهو ماء النعیم مطّردُ

و غصن بانٍ إذا بدا و إذا *** شدا فقمری بانهٍ غردُ

مبارک الوجه قد حظیت به *** بالی رخی و عیشتی رغدُ

أنسی و لهوی و کلّ مأربتی *** مجتمعٌ لی فیه و منفردُ

۱- المنتظم ص ۱۴۲ ب .

۲- معاهد التنصیص لعبد الرحیم العباسی مخطوط برلین رقم ۷۲۲۴ ص ۱۵ ب .

مسامری إن دجی الظلامُ فلی *** منه حدیثٌ کأنه الشهدُ

ظریف مزح ملیح نادره *** جوهرُ حسن شرارُه یقدُ

خازن ما فی داری و حافظه *** فلیس شیء لدی یفتَقَدُ

و منفق مشفق إذا أنا أسرفت *** و بذّرت فهو مقتصدُ

و یعرف الشعر مثل معرفتی *** وهو علی أن یزید مجتهدُ

و صیرفی القریض وزّان دنانیر *** المعانی الرقاق منتقدُ

یصون کتبی فکلها حسن *** یطوی ثیابی فکلها جددُ

و أبصر الناس بالطبیخ فکالمسک *** القلایا العنبر الثردُ

و هو یدیر المدام إن خلوت به *** عروس یم نقابها الزیدُ

تمنح کأسی یدٌ أناملها *** تنحلُّ من لینها و تنعقدُ

و واجد بی من المحبه والرأ *** فه أضعاف ما به أجدُ

إذا ابتسمت فهو مبتهج *** وإن تنمَّرت فهو مرتعدُ

ذا بعض أوصافه و قد بقیت *** له صفاتٌ لم یحوِها أحدُ

وقد صار هذا العبد لتوفر جمیع الخصال الحسنه فیه مثالا مذکوراً بین الأدباء(۱).

وقد ذکر الشاعر کشاجم المتوفی عام ۳۳۰ه ۹۴۱ م غلامه بشراً بما یوءثر فی القاریء(۲).

أی حراک غال منک السکون *** ونار کَیس أطفأتها المنون

۱- عمد المنسوب للثعالی ZDMG, VI S.۵۴، وهنا نری أنه کان یسمی رشاشا .

۲- دیوان کشاجم ص ۱۸۱ و ما بعدها .

يا بشر إن تودَ فكل امرئ *** بمثل ما صرت إليه رهين

من لداوه كنتَ تُعنى بها *** عنايه تعجز عنها القيون

أم من لكتب كنت فی طيها *** أسرع مما تمتلی فی الجفون

يطوی الطوامير بلا كلفه *** واللصق فی الإلصاق لا يستبين

طاهی قدور طيبت كفُّه *** مذاقَها فالغث فيها سمين

يا ناصحی إذ ليس لی ناصح *** و يا أمينی إذ يخون الأمين

و قد أرسل أبو العلاء رساله لصديق له فأهدی السلامَ فيه لغلامه مقبل و قال : « فهو و إن اسودت بردته آثَرُ عندنا من أبيض لا تَصدُق مودتُه(۱)».

و كان ارقی العبيد مكانه هم حمله السلاح منهم؛ و ذلک لأن منهم من كانوا قواداً كباراً مثل موءنس و جوهر؛ بل منهم من كان حاكما مثل كافور بمصر و سبكتكين فی بلاد الأفغان. و منذ عهد العباسيين الأولين نجد عبداً تركيا يتولی إماره مصره و هو يحيی بن داود الخرسی الذی ولی الإماره من سنه ۱۶۲ ج ۱۶۴ه و كان أبو جعفر المنصور إذا ذكره قال : « هو رجل يخافنی و لا يخاف اللّه(۲)»؛ هذا إذا صرفنا النظر عن بعض الغلمان الذين كان لهم سلطان عظيم علی سادتهم؛ لأن هوءلاء كانوا يقتنونهم للاستهتار بهم.

و كانت أفكار ذلک العهد شبيهه بما كان فی فرنسا حيث نجد الأرقاء المُعتقين قد بلغوا أكبر مكان من الرفعه، و أطاعهم الأحرارُ؛ وكان الكثيرون ممن تولوا القياده فی الجيوش و حُكمَ الولايات و حراسةَ المَلِک عبيداً من قبل(۳)، ولكن لم

۱- رسائل أبی العلاء طبعه مرجليوث ص ۴۱ .

۲- الكندی ص ۱۲۳ .

۳- Chr. Meyer, Kulturgeschichtliche Stndien, S. ۹۱.

ینجح المعتقون فی أن یتفوقوا علی الأحرار فی الشرق مده طویله إلا نادراً؛ و ذلک بخلاف ما نجده فی أوروبا بالنسیه لمن کانوا فی مرکز الموالی؛ و یرجع ذلک إلی أن بقاء نظام الرقّ فی الشرق حال دون زوال التمایز بین الأحرار و العبید.

و لکن الرأی العام کان مجحفاً بحقوق الأرقاء فی الجمله؛ و من الأمثال السائره أن السید إذا جاع نام و إذا شبع زنی، و یقول المتنبی(۱) :

فلا ترجِّ الخیر عند امرئٍ *** مرَّت یدُ النخَّاس فی رأسه

و کذلک یقول هو میروس : « انظر، إن زیوس، مدبّر هذا العالم، یسلب الرجل الذی طلعت علیه شمسُ العبودیه نصفَ رجولته(۲)».

و علی الرغم من کل الظروف الملائمه و الضمانات القانونیه و المکانه الحسنه التی یتمتع بها رقیق البیوت فی الشرق الیوم، فلا ینبغی أن نصور مرکز الرقیق عند المسلمین فی العصور الوسطی تصویراً یزیده بهاء؛ و کانت سائر ولایات الإسلام فی القرن الرابع غاصَّهً بالعبید الأُبَّاق؛ و کان من أول ما یوءمر به ولاه النواحی فی کتب تولیتهم أن یقبضوا علی العبید الآبقین و یحبسوهم و یسلموهم لموالیهم إن استطاعوا(۳).

و کان لنازوک صاحب الشرطه ببغداد غلامٌ، فطرده، فلم یجد جهه یلجه إلیها، فذهب لرجل صالح یکتب کُتُبَ العطف لیکتب له ما یستعید به عطف سیده. و کان نازوک قد أرسل فی طلب الغلام، و استخبره فقصَّ الغلام علیه الأمر، فلم یصدقه، حتی استدعی الرجلَ الصالح و سأله، فکان کلامه مطابقاً لکلام الغلام، « قال :

۱- الدیوان طبعه مصر ۱۳۴۲ه ۱۹۲۳ م ص ۳۷۹ .

۲- Odyss, XVII, ۳۲۲.

۳- رسائل الصابی ص ۱۶۰ و الصفحات التالیه مثلا .

فلما قلت له (لنازوك) إن الغلام قال : أنا عبد مملوك، و ما أعددت لنفسی من أقصده لهذا الحال، و لا أعرف جهه ألجأ إليها، و قد طردنی مولای، بكيت أنا لما تداخلنی من رحمتی للفتی و محبتی للدينار الذی أعطانيه، قال : فدمعت عين نازوك، ثم تجلّد و استوفی الحديث(۱)».

و كان معظم العبيد الاباق ممن يشتغلون بالزراعه و كذلك كان جيش الثوره الوحيده الخطره التی قام بها العبيد فی القرن الثالث الهجری موءلّفا من الزنوج الذين يكسحون السباخ، حتی يصلوا إلی التربه و يعمروها؛ و كانت « كسوح الزنوج معروفه بالبصره كالجبال، وكان فی أنهار البصره منهم عشرات ألوف يعذّبون بهذه الخدمه(۲)»

۱- كتاب الفرج بعد الشده ج ۱ ص ۵۳ ج ۵۴ .

۲- كتاب العيون ص ۱۷ .

تعلیقات

اشاره

(۱)

۱ أخذ الرقیق

« إن أکبر الفوارق، و هو الفرق بین الحر و العبد، یظهر إذا أبقی المحاربُ الوحشی علی حیاه عدوه بعد أن یهزمه ثم یأخذه إلی بلاده لیقوم بأشن الأعمال و بحرث الأرض » و للرقّ سببان جوهریان : الفقر و الحرب، و الحرب أفواهما؛ و کذلک کان الرق عند المسلمین نتیجه للحروب فی الغالب. جاء فی القرآن الکریم.

« فإن لَقِیتُم الذین کفروا فضَربَ الرقبِ، حتی إذا أثخَنتُموهم فشُدّوا الوثَاق، فإمَّا منًّا بعدُ و إمَّا فِدَاءَ، حتی تَضَعَ الحربُ أوزَارهَا ». (سوره محمد آیه ۴).

و التعبیر المألوف فی القرآن للدلاله علی النساء المملوکات هو ما ملکت أیمانکم، و سنری أنه لیس فی الإسلام شئٌ یتعلق بشراء العبید.

و العبد عند فقهاء الإسلام : ۱ شخص أخذ أسیراً فی الحرب، أو حُمل عنوه من بلاد الأعداء، بشرط أن یکون عند أخذه کافراً. ۲ ج الولد الذی یولد من أمه مملوکه و یکون أبوه عبداً أو غیر مالک للأمَه، أو یکون مالکا لها و لکنه لا یعترف بأنه أب للولد. ۳ ج الشخص الذی یوءخذ شراء.

۱- هذا تلخیص لتعلیق العلامه الهندی المرحوم خدابخش علی الترجمه الإنجلیزیه لهذا الفصل .

و الحرب و الرق متصلان اتصالا وثيقاً فی العهد القديم، فنجد فی التوراه (عدد إصحاح ۳۱ آيه ۲) أن الرب يكلم موسی قائلا : انتقم نقمه لبنی إسرائيل من المديانيين؛ و فی الآيه السابعه و ما بعدها : فتجنَّدوا علی مِدْيان، كما أمر الرب و قتلوا كل ذكر . . وسبی إسرائيل نساءَ مديان و أطفالَهم.

أما فيما يختص بالأجانب، فقد أبيح لبنی إسرائيل أن يستعبدوهم. (لاويين إصحاح ۲۵ آيه ۴۴ و ما بعدها) : « و أما عبيدك و إماوءك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون عبيداً و إماء؛ و أيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم، منهم نقتنون، و من عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فی أرضكم فيكونون ملكا لكم، و تستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك، فستعيدونهم إلی الدهر؛ و أما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان علی أخيه بعنف ».

و كما أن أبداء الإماء المملوكه عند المسلمين يوءلفون طائفه من الرقيق مثلهم مثل من يشتری بالمال، فكذلك نجد فی العهد القديم هذين الاصطلاحين : « الذی يولد فی البيت »، و « الذی يشتری بالمال »؛ و هذا يدل علی أن العبيد عند اليهود، كما هو الحال عند المسلمين، يتكاثرون بالنسل : و ينطبق هذا بالطبع علی جميع من يتجر بالرقيق : و لما كان العبيد ملكا لأصحابهم، فأبناوءهم ملك لهم أيضاً.

و من وجوه التطابق الأخری بين الإسلام و العهد القديم، جعلُ الرق مقصورا علی الأجانب عن الدين، ففی التوراه (لاويين إصحاح ۲۵ آيه ۳۹ و ما بعدها) : و إذا افتقر أخوك، و بيع لك، فلا تستعبده استعباد عند، كأجير نزيل يكون عندك

إلى سنه اليوبيل يخدم عندک، ثم يخرج من عندک هو و بنوه معه و يعود إلى عشيرته و إلى ملک آبائه، لأنهم عبيدى الذى أخرجتهم من أرض مصر، لا يباعون بيع العبيد، لا تتسلط عليه بعنف بل اخش إلهک ».

و کذلک الحال عند المسلمين، فلا يجوز لهم أن يسترقوا الموءمنين، لأن المسلم و اليهودى يعتبر أخاه فى الدين أخاً له.

و لکن الأمر عند البابليين کان على خلاف ذلک، فلم يکونوا يبالون أن يکون الرقيق منهم أو من غيرهم، فکان الرجل يبيع ابنه الحقيقى أو المُتَبَنى إذا أجرم فى حق أبيه. و کذلک کان الزوج فى حل من أن يتخلص من زوجته المشاکسه بأن يبيعها. و کان العدو المأسور عندهم يعامل معامله العبد.

۲ معامله الرقيق

أوصى القرآن بالعدل و الرحمه فى معامله الأرامل و اليتامى؛ و هو يوصى بمثل هذا فى معامله الرقيق، و ذلک لأن الحر و العبد کليهما عباد اللّه، فهما متساويان؛ جاء فى القرآن :

« واللّه فضل بعضکم على بعض فى الرزق، فما الذين فُضِّلوا برادِّى رزقهم على ما ملکت أيمانهم فهم فيه سواء، أفبنعمه اللّه يجحدون » (سوره النحل آيه ۷۱) وجاء أيضاً : « و اعبدوا اللّه و لا تشرکوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و بذوى القربى و اليتامى و المساکين و الجار ذى القربى و الجار الجُنب و الصاحب بالجنب و ابن السبيل و ما ملکت أيمانکم، إن اللّه لا يحب من کان مختالا فخوراً ». (سوره النساء آيه ۳۶).

و قد قال النبى عليه السلام فى الحديث : العبيد إخوانکم، فأطعموهم مما تأکلون.

وقـال : إخـوانكم خـولكم، جعلهم اللّه تحت أيـديكم، فمن كـان أخوه تحت يـده فليطعمه ممـا يأكـل، و ليلبسه ممـا يلبس، و لا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم(۱).

و إذا كان النبى عليه السـلام لم يلغ الرقّ، فإنه قد أمر بما يضـمن للأرقاء حسن المعامله؛ و إذا كان المسـلمون يخالفون عن أمره، فـالنبى برىء من ذلـك؛ ولو أن المسـلمين أطـاعوا مـا أمرهم به نبيهم فى معـاملتهم لمـا ملكت أيمـانهم، لكـان حـال الرقيق عند المسلمين أحسن منه عند غيرهم.

على أننـا لو نظرنا إلى معامله الرقيق فى جملتها بحسب الشـرع الإسـلامى لوجـدناها عادله؛ فقـد كانت عقوبه الأَمَه الزانيه أقل من عقوبه الحره، لأنها تُعتبر بسبب ما ينقصها من حريه. و قد أوصى الشرع بالعنايه بالعبيد، و عدم تكليفهم ما لا يطينون.

و كان الرقيق ينقل ملكيته مثل سائر الممتلكات، فكان يستطيع المسلم أن يبيع ما ملكت يمينه، إلا إذا كانت جاريه قد ولدت منه، و كان يندر أن ينكر أبوه ولده، حتى يجوز له بيعها.

۳ تحرير العبيد

إن الشـرع الإسـلامى لم يكنف بتشديـد الوصـيه فى حسن معـامله الرقيق، بل مكَّن العبيـد من اسـتعاده حريتهم، إذا كانوا بحسـن سيرتهم أهلا لذلك؛ وقد حسَّب الإسلام، فى عتق الرقيق؛ جاء فى القرآن : « و الذين يبتغون الكتاب مما مملكت

۱- و ذكر صاحب التعليق ما قاله النبى فى حجه الوداع بشأن العبيد .

أیمانکم فکاتبوهم إن علمتم فیهم خیراً، و آتوهم من مال اللّه الذی آتاکم ». (سوره النور آیه ۳۳).

و تختلف طریقه هـذا التحریر فی بلاد الإسلام؛ فکـان من الناس من یعتق، کرماً منه، عتقاً کاملا؛ و منهم من کان یطلقه علی أن یـدفع له مقـداراً من المـال فیمـا بعـد، و یکون هـذا بعقـد مکتوب، أو بکلام شـفاهی یشـهد علیه رجلان، أو بـأن یعطی الرجلُ لمملوکه وثیقه شـرائه من مالکه قبله، وقد تُمنح للعبد حریته إذا أدی شـروطا متفقاً علیها أو بموت مالکه غالباً. و یجوز أن یوصی الرجـل بثلث مـاله لمن ملکت یمینه، و لا یزیـد عن الثلث، و إلا أخـذ الورثهُ الزیاده؛ و قـد جعل القرآن عتق رقاب الرقیق کفاره لذنوب کثیره، و قربه من أحسن القرب.

و إذا کان العهـد القـدیم قـد تعرض لتحریر العبیـد الیهود الذین صاروا أرقاء بسـبب الدِّین. فإن الإسـلام قد تعرض لتحریر الرقیق جمله. انظر :

.Robert: Social Laws of the Kur'an p. ۵۳,۶۰

.Doughty: Arabia Deserta, I, ۵۵۴

.Lana: Modern Egyptians, ۱۶۸

.Snouck Hurgronje: Mekka II. ۱۸ ff

تعلیقات الفصل الحادی عشر

[*۱] لم یکن هذا الذی زعمه مفکراً منقباً محققاً، منصفاً والا فلا تجد طرقاً اوصل و اکثر لعتق العبید والاماء فی أی دین أو قانون غیر السلام و قانونه.

ففی القرآن جاء العتق کفاره (۱) لقتل الخطاء ثلاثه موارد و فی الیمین (۲) فی مورد واحد و کذا فی کفاره (۳) الظهار، و ما جاء فی السنه فاکثر و اکثر، و کم ورد فی الحث علی العتق والترغیب فیه روایات، ففی روایاتنا المعتبره عن جعفر بن محمد (۴) علیهماالسلام فی الرجل یعتق المملوک، یعتق الله عزوجل بکل عضو منه عضواً من النار، و عن ابی جعفر علیه السلام (۵) قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله: من اعتق مسلماً اعتق الله العزیز الجبار بکل عضو منه عضواً من النار.

وورد عن علی علیه السلام (۶) انه اعتق ألف مملوک لوجه الله عزوجل دبرت فیهم یداه او من کد یده.

و عن ابی جعفر علیه السلام (۷) انه مات و ترک ستین مملوکاً فاعتق ثلثهم عند موته.

۱- سوره النساء الایه ۹۱.

۲- سوره المائده الایه ۸۸.

۳- سوره المجادله الایه ۳.

۴- وسائل الشیعه ۱۶ الباب ۱ من أبواب العتق ح۲.

۵- وسائل ۱۶ الباب ۱ من أبواب العتق ح۳.

۶- وسائل الشیعه ۱۶ الباب ۱ من ابواب العتق الحدیث ۶، شرح النهج الحدیدی ج۴ ص ۱۱۰ البحار ج۴۷ ص۲۷۵ ج۴۱ ص ۳۷-۴۱.

۷- وسائل الشیعه ۱۶ الباب ۱ من ابواب العتق الحدیث ۱۰، شرح النهج الحدیدی ج۴ ص ۱۱۰ البحار ج۴۷ ص ۲۷۵ ج ۴۱ ص ۳۷-۴۱.

هذا مضافاً إلی ان السبب الرئیسی للاسترقاق هو غلبه المسلمین علی اهل الکفر غیر اهل الذمه (بشرائط) و لهذه السیطره اثر بلیغ فی تأثر الرق الاسیر بالاسلام و آدابه مهما کان مالکه و سیده غیر مهتم بالدین ولا ملتزم به. بل فی الحقیقه هذا احسان الیه و اخراجه من ظلمه الشرک إلی نور الاسلام، و ربما یحتمل ان یکون إلی هذا الاشاره فی قوله تعالی و العبد مؤمن (۱) خیر من مشرک ولو اعجبکم ولامه (۲) مؤمنه خیر من مشرکه و لو اعجبتکم.

[*۲] یشک فی ان هذا و ما بعده من تعلیم الرسول عیسی او موسی علی نبینا و آله و علیهما السلام بل یقطع بالعدم فکیف والعقل وانقل القرآنی متطابقان علی انه لا تزر وزاره وزر اخری.

[*۳] هذا باطل لان ولد الحر حر ولا مجال للاختلاف بین الوالد الاول و غیره.

[*۴] بشرائط مذکوره فی کتب الفقه.

[*۵] هذا غلط فان الاشتراک جائز لکن یس لای واحد من الشریکین او الشرکاء وطئها إلا باذن الباقی و تکون کالمزوجه تعتد، ولیس للباقین و طئها فی العده.

[*۶] هذا (۳) باطل علی المشهور عند فقهائ الامامیه، و انما هو رأی الشافعی فی کتاب الام فصحح الشراء، و قال بملکه لکن یجیر علی بیعه، و به قال ابو حنیفه و اصحابه، واستدل اصحابنا الامامیه بقوله تعالی ولن یجعل الله للکافرین علی المؤمنین سبیلاً.

مع انه لا خلاف (۴) بینهم فی عدم اقرار الکافر علی ملک المسلم لو ملکه بسبب ممضی فی الشرع بل یجب بیعه علیه لقوله علیه السلام فی عبد کافر اسلم.

۱- سوره البقره، الایه ۲۲۱.

۲- سوره البقره، الایه ۲۲۱.

۳- الخلاف ج ۱ کتاب البیوع مسئله ۳۱۵.

۴- کتاب البیع للشیخ الانصاری قدس سره ۱۶۰.

اذهبوا فبیعوه من المسلمین و ادفعوا الیه ثمنه و لا تقروه عنده.

اقول: الحدیث منقول عن نهایه (۱) الشیخ و رواه الکلینی قدس سره مرفوعاً عن حماد بن عیسی (احد اصحاب الاجماع) عن ابی عبدالله علیه السلام، ان امیر المؤمنین علیه السلام اتی بعبد ذمی اسلم، فقال: اذهبوا فبیعوه من المسلمین و ادفعوا ثمنه إلی صاحبه و لا تقرروه عنده.

[*۷] تقدم الکلام علیهم.

[*۸] فقد ورد عن الصادق (۲) علیه السلام قول رسول الله صلی الله علیه و آله شر الناس من باع الناس و عن الکاظم علیه السلام (۳) قوله رسول الله صلی الله علیه و آله انه اتانی جبرئیل، فقال یا محمد، ان شرار امتک الذین یبیعون الناس.

[*۹] اشار الیه فی مجمع البحرین ماده فتی.

[*۱۰] روی الکلینی (۴) بطریقه عن ابی حمزه عن ابی جعفر علیه السلام قال خطب رسول الله صلی الله علیه و آله فقال ألا اخبرکم بشرارکم؟

فقالوا: بلی یا رسول الله، فقال علیه السلام الذی یمنع رفده و یضرب عبده و یتزود وحده الخ.

[*۱۱] هو الموافق للمشهور (۵) عند الامامیه. فی التنکیل بل فی خلاف الشیخ الطوسی قدس سره علیه الاجماع فیه وفی عمی العبد او اقعاده، قال: و خالف جمیع الفقهاء فی ذلک، و معلوم ان لا فرق بین العبد و الامه، لکن الولاء عندنا للامام علیه السلام.

۱- وسائل الشیعه ج۱۲ الباب ۲۸ من ابواب عقد البیع و شروطه.

۲- وسائل الشیعه ج ۱۲ الباب ۲۱ من ابواب ما یکتسب به ح ۱.

۳- وسائل الشیعه ج۱۲ الباب ۲۱ من أبواب ما یکتسب به ح۴.

۴- روضه المتقین ج۱۲ ص ۱۰۴.

۵- الخلاف ۲ کتاب العتق مسئله۶، جواهر الکلام ج۳۴ ص ۱۹۱، الروضه البهیه ج۲ کتاب العتق ص ۱۹۲ طبعه عبدالرحیم.

[*۱۲] اشار الیه الآیه القرآنیه. والذین (۱) یبتغون الکتاب مما ملکت ایمانکم فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیراً و آتوهم من مال الله الذی أتاکم.

و ما ذکره عن المسعودی غیر المکاتبه فهو عبد مأذون فی الکسب.

[*۱۳] له حکایه (۲) لطیفه مع صاحب حمار زلق، ورمی بما علیه من الشوک فی یوم مطیر تبع لیله مطیره، و صاحبه شیخ ضعیف واقف ینتظر انساناً یعینه علی حمله، فنزل عن مرکبه واحتمل الحمار بید واحده، واخرجه من الطین، فهبت الشیخ و جعل ینظر الیه، و یتعجب منه، ثم شد عنان فرسه فی وسطه، واهوی إلی الشوک، و هو حزمتان، فحملهما، فوضعهما علی الحمار ودنا من غدیر فغسل یدیه، واستوی علی فرسه، فدعا له الشیخ، و قال بالنبطیه ما معناه، فدیتک یا شاب، واقبلت الخیول، فأمر بعض خاصته باعطاء الشیخ اربعه الآف درهم، و ان یکون معه حتی یجاوز به اصحاب المسالح و یبلغ به قریته.

[*۱۴] مثل نفس ابی جعفر المنصور، فلوکان یخاف الله لما فعل الافاعیل بآل ابی طالب لا سیما بنی الحسن علیه السلام من قتل و حبس بالسجون حتی یموتوا فی الظلام، والبناء علی غیر واحد منهم البنایات احیاء و یموتون فیها و کم له ارعاد و ابراق علی امامنا الصادق علیه السلام و تهدیده علیه السلام (۳) بالقتل و جره محقراً إلی مجلسه مراراً والحط من قدره و کرامته.

[*۱۵] مراده بهذا فتنه الزنوج، و قد اخبر عنهم امیر المؤمنین علیه السالم، و ذکرها الرضی فی نهج

۱- سوره النور الآیه ۳۴.

۲- مروج الذهب ج۴ ص ۵۱.

۳- بحارالانوار ج ۴۷ الباب ۶ من ص ۱۶۲ لا سیما ۱۶۷-۱۶۹-۱۷۰-۱۷۱-۱۷۴-۱۷۵-۱۷۸-۱۸۰-۱۸۱ و ما بعدها.

البلاغه و شرحها شراحه، قال علیه السلام (۱) یا احنف و کانی به وقد سار بالجیش الذی لا یکون له غبار و لا لجب و لا قعقعه لجم و لا حمحمه خیل، یثیرون الارض باقدامهم کانها اقدام النعام.

ثم قال علیه السلام ویل لسککم العامره و الدور المزخرفه التی لها أجنحه کاجنحه النسور و خراطیم کخراطیم الفیله من اولئک الذین لا یندب قتیلهم ولا یفقد غائبهم.

راجع تفصیل وقائهم شرح (۲) ابن ابی الحدید و کتب التواریخ.(۳)

[*۱۶] هذا یعم الرجال کما سبق فی آیه المکاتبه و یجیء فی آیتی النحل و النساء، نعم ارید النساء بمناسبه المورد فی غیر واحد من الآیات.

[*۱۷] لا مطلقاً.

[*۱۸] اذا کان تحت ید مالک، و کذا قوله و لا یعترف بأنه أب للولد.

[*۱۹] فی دلالته خفاء مضافاً إلی عدم ثبوت کون ما یسمونه توراه.

التوریه التی نزلت علی موسی علی نبینا و آله و علیه السلام، کما (۴) یشهد لذلک الاختلافات التی بین نسخها و تناقضها و تعارضها و نسبه الفظایع إلی الانبیاء و غیرها من الشواهد.

[*۲۰] لا دلاله فیه علی کونه حکم الله...

۱- نهج البلاغه ج۲ ص ۱۳.

۲- شرح النهج الحدیدی ج۸ ص ۱۲۵-۲۱۴.

۳- مروج الذهب ج۴ ص ۱۸۱-۱۹۴، تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۲۳۸، الکامل فی التاریخ ج۸ ص ۴۶۶ و ما بعده، تاریخ الطبری ج۷ ص ۵۱۳ و ما بعده.

۴- الهدی إلی دین المصطفی ج۲ ص ۲۳-۲۴-۴۱، انیس الاعلام ج۲ ص ۱۲۵ الی ۱۴۳ و ۲۶۶ الی ۲۸۰، انیس الاعلام ج ۳ ص ۳ إلی ۲۸ - ۳۰ إلی ۵۱- ۶۹ إلی ۱۷۳، تفسیر المیزان ج ص ص ۳۳۹ إلی ۳۴۱ ج ۷ ص ۲۲۹ إلی ۲۴۰.

[*۲۱] أورد الیعقوبی (۱) قوله علیه السلام فاوصیکم بمن ملکت ایمانکم فاطعموهم مما تأکلون والبسوهم مما تلبسون و ان اذنبوا کلوا عقوباتهم إلی شرارکم.

وورد فی روایاتنا مرسلاً عن (۲) النبی صلی الله علیه و آله انه قال فی خطبه له: الله الله فی ما ملکت ایمانکم، اطعموهم مما تأکلون و البسوهم مما تلبسون ولا تکلفوهم ما لا یطیقون، فانهم لحم و دم و خلق اشکالکم، فمن ظلمهم فانا خصمهم والله حاکمهم و عنه صلی الله علیه و آله (۳) قال لم یزل جبرئیل یوصینی بالمملوک حتی ظننت ان طول الصحبه سیعنقه.

[*۲۲] و فی وصیه (۴) امیرالمؤمنین علیه السلام التی بعثها موسی ابن جعفر علیه السلام إلی عبدالرحمن بن الحجاج: الله الله فی النساء و فی ما ملکت ایمانکم، فان آخر ما تکلم به نبیکم صلی الله علیه و آله ان قال: اوصیکم بالضعیفین. النساء و ما ملکت ایمانکم.

[*۲۳] هذا راجع الیهم فان امضوه فینفذ و إلا فلا.

[*۲۴] و ما ورد فی القرآن من عتق العبید لا یدور مدار الذنب دائماً و قد سبق بعض الکلام.

۱- تاریخ الیعقوبی ج۲ ص ۱۰۱.

۲- المستدرک ج۲ الباب ۱۶- من ابواب بیع الحیوان ح۶.

۳- المستدرک ج۲ الباب ۱۶ - من ابواب بیع الحیوان ح۷.

۴- البحار ج ۴۲ ص ۲۴۹-۲۴۸ مرآت العقول ج ۲۳ -ص ۸۵-۸۷.

الفصل الثانی عشر: العلماء

اشاره

فی القرن الثالث الهجری صار الأدباء الذین نشأوا حول الخلفاء و فی قصورهم و تعلموا الأدب علی تقالید الفروسیه، أدباء من طراز جدید، یلمّون بکل شیء، و یشبهون فی عصرنا الصحفیین غیر المتخصصین الذین یتکلمون فی جمیع الأمور. و لهذا نجد العلماء یفرّقون بین أنفسهم و بین الأدباء، حتی قال ابن قتیبه: « من أراد أن یکون عالما فلیطلب فنا واحدا؛ و من أراد أن یکون أدیبا فلیتسع فی العلوم(۱)».

و قد خرجت من بین فنون الآداب القدیمه مجموعه من العلوم الدنیویه؛ ولم یکن من العلوم حتی ذلک الحین ما له منهج علمی و أسلوب علمی سوی الفلسفه و علم الکلام؛ ثم صار لکل من التاریخ و الجغرافیه و اللغه منهجه الخاص. و ترک العلماء ما کانوا قد ألفوا قبلُ من اتخاذ المعارف وسیله للتسلیه؛ کما أنهم أصبحوا لا- یغالون فی حشد المعارف علی تنوعها، بل أقبلوا علی الدراسه العملیه و علی تنظیم المعارف، و شعروا بما یجب علیهم من عنایه و محاسبه فی تدوینها. وقد أوجزوا مقدمات کتبهم إیجازا کبیرا، ومن أمثله ذلک ما کتبه صاحب الفهرست فی خطبه کتابه عام ۳۷۷ه ۹۷۸ م: ربُ یسر برحمتک! النفوس تشرئب إلی النتائج

۱- المخلاه للعاملی المتوفی عام ۱۰۳۳ه طبعه مصر ص ۲۲۸ .

دون المقـدمات، و ترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل فى العبارات؛ فلـذلک اقتصـرنا على هـذه الکلمات فى صـدر کتابنا هـذا، إذ کـانت داله على مـا قصـدناه فى تأليفه إن شاء اللّه؛ فنقول، و باللّه نسـتعين و إياه نسأل الصـلاه على جميع أنبيائه و عباده المخلصين فى طاعته، ولا حول ولا قوه إلا باللّه العلى العظيم ..»

و من التغيرات الأـخرى أن علم الفقه تميز عن غيره من علوم الـدين، و أصـبح العلمـاء فرقين: الفقهـاء، و العلمـاء على الحقيقه. و کانت غالبيه طلبه العلم المتکسّبين يقصـدون الفقهاء، لأن الفقهاء هم حمله علوم الشـريعه و العبادات، فکان لابـد لمن يريد تولى القضـاء و الخطـابه فى المساجـد من التتلمـذ عليهم. يقول الجاحـظ فى نص مشـهور له: « و قـد تجـدُ الرجلَ يطلب الآثارَ و تأويلَ القرآن، و يجالس الفقهاء خمسين عاما، و هو لا يعدُّ فقيها، و لا يجعل قاضيا؛ فما هو إلا أن ينظر فى کتب أبى حنيفه و أشباه أبى حنيفه، و يحفظ کتب الشروط فى مقدار سنه أو سنتين، حتى تمرَّ ببابه فتظن أنه من بعض العمال؛ و باحرى ألا يمر عليه من الأيام إلا اليسير، حتى يصير حاکما على مصر من الأمصار أو بلد من البلدان(۱)».

و کـان نهوضُ علم الکلام بعـد أن تخلص من قيود علم الفقه، و کـذلک ظهورُ الأفکار الجديـده فى ذلک العصـر مما رفع شأن العلماء إلى درجه عاليه من الاحترام و التقـدير؛ يقول المطهَّر المقدسـى حوالى عام ۳۵۵ه ۹۶۶ م: « ويـأبى العلم أن يضع کنفه أو يخفض جنـاحه أو يسـفر عن وجهه إلاـ لمتجرِّد له بکليته و متوفر عليه بـانيته، معاونٍ له بالقريحه الثاقيه و الرويه الصافيه، مقترنا به التأييد و

۱- کتاب الحيوان ج ۱ ص ۴۴ ۴۳، و انظر مثلا Goldziher, Muhamm. Studien II, ۲۳۳. و يحکى أن الجوينى قال يوما للغزالى: يا فقيه، فرأى فى وجهه التغير، کأنه استقل هذه اللفظه على نفسه (طبقات السبکى ۳ ص ۲۵۹) .

التمديد؛ قد شمر ذيله، حليف النصب ضجيع التعب، يأخذ مأخذه مندرجا و يتلقاه متطرفاً؛ لا يظلم العلم بالتعسف و الاقتحام، ولا يخبط فيه خبط العشواء فى الظلام، ومع هجران عاده الشر، و النزوع عن نزاع الطبع، و مجانبه الإلف و نبذ المحاكله و اللجاجه، و إجاله الرأى عند غموض الحق، و التأنى بلطيف المأتى، و توفيقه النظر حقه من التمييز بين المشتبه و المتضح، و التفريق بين النمويه و التحقيق، و الوقوف عند مبلغ العقول، فعند ذلک إصابه المراد و مصادفه المرتاد(۱)»

و كان صاحب العلوم الدنيويه يسمى كاتبا، و كان يتميز عن العلماء فى لباسه، لكان العلماء يلبسون الطيلسان، و كانوا فى خراسان يظهرون متطلسين متحققين؛ و كانت فارس مركز الكتاب، و كانوا فى مدينه شيراز يرفعون على العلماء(۲).

و لكن خراسان كانت جنه العلماء، و لا يزال العلماء بها إلى اليوم يتمتعون يجاه و احترام لا نظير لهما فى سائر البلاد. و من أمثله ذلک أن أحد العلماء الزهاد دخل خراسان، فخرج أهلها بنسائهم و أولادهم يمسحون أردانه، و يأخذون تراب نعليه و يستشقون به. و كان يخرج من كل بلد أصحابُ البضائع بضائعتهم، و ينثرونها، ما بين حلوى و فاكهه و ثياب و فراء و غير ذلک، و هو ينهاهم، حتى وصلوا إلى الاساكفه، فجعلوا ينثرون المتاعات و هى تقع على رءوس الناس؛ و خرج إليه صوفيات البلد بمسابحهن و ألقينها إليه، و كان قصدهن أن يلمسها

۱- كتاب البدء و التاريخ ج ۱ ص ۴ .

۲- المقدسى ص ۴۴۰ .

فتحصل لهن البرکه، فکان یتبرک بهن و یقصد فی حقهن ما قصدن فی حقه(۱).

و کان فی کل جامع کبیر مکتبه، لأنه کان من عاده العلماء ان یوقفوا کتبهم علی الجوامع(۲).

و یقال: إن خزانه الکتب بمرو کانت تحوی کتب یزدجرد، لأنه حملها إلیها و ترکها(۳).

و کان الملوک یفاخرون بجمع الکتب حتی کان لکل ملک من ملوک الإسلام الثلاثه الکبار بمصر و قرطبه و بغداد فی أواخر القرن الرابع ولعٌ شدید بالکتب؛ فکان الحکم صاحب الأندلس یبعث رجالا إلی جمیع بلاد المشرق لیشتروا له الکتب عند أول ظهورها؛ وکان فهرس مکتبته یتألف من أربعه و أربعین کراسه، کل منها عشرون ورقه، ولم یکن بها سوی أسماء الکتب. أما فی مصر فکانت للخلیفه العزیز(المتوفی عام ۳۸۶ه ۹۹۶ م) خزانه کتب کبیره؛ وقد ذکر عنده کتابُ العین للخلیل بن أحمد، فأمر خزان دفاتره، فأخرجوا من خزائنه نیفا و ثلاثین نسخه، منها نسخه بخط الخلیل بن أحمد؛ و حمل إلیه رجلٌ نسخه من تاریخ الطبری اشتراها بمائه دینار؛ فأمر العزیز الخزان، فأخرجوا ما ینیف عن

۱- طبقات السبکی ج ۳ ص ۹۱ .

۲- ابن خلکان ج ۱ ص ۵۵ فی ترجمه أبی نصر المنازی .

۳- کتاب بغداد لطیفور ص ۱۵۷؛ وقد ترنم یاقوت بذکری مکاتب مرو مع تأخر الزمن به. و کان قد مضی بمرو ثلاث سنین، فتغنی بأیامه فیها شعرا جمیلا. و کان بها علی عهده اثنا عشره خزانه، بإحداها نحو من اثنی عشر ألف مجلد؛ یقول یاقوت « و کانت (الخزائن) سهله التناول لا یفارق منزلی منها مائتا مجلد و أکثر بغیر رهن، تکون قیمتها مائتی دینار؛ فکنت أرتع فیها و أقتبس من فوائدها، و أنسانی حبها کل بلد و ألهانی عن الأهل و الولد» (معجم البلدان ج ۴ ص ۵۱۰ ۵۰۹ من الطبعه الأوربیه) .

عشرين نسخه من تاريخ الطبرى منها نسخه بخطه. و ذكر عنده كتاب الجمهره لابن دريد، فأخرج من الخزانه مائه نسخه منها(۱).

وقد أراد المتأخرون أن يقدّروا عد ما كانت تشتمل عليه هذه الخزانه، فيقول المقريزى أنها كانت تشتمل على ألف و ستمائه ألف كتاب و يذكر عن ابن أبى واصل أنه كان بها ما يزيد على مائه و عشرين ألف مجلد. وقال ابن الطوير إن خزانه الكتب كانت تحتوى على عده رفوف، و الرفوف مقطعه بحواجز، و على كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل، و فيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب(۲).

و التذكر ما كان فى بعض خزائن الكتب فى الغرب على سبيل المقارنه: كان فى مكتبه الكاندرائيه بمدينه كنستانز فى القرن التاسع الميلادى ثلاثمائه و سته و خمسون كتابا، و فى مكتبه دير البندكتيين عام ۱۰۳۲ م ما يزيد على المائه يقليل، و فى خزانه كتب الكاندرائيه فى مدينه بامبرج سنه ۱۱۳۰ م سته و تسعون كتابا فقط(۳).

وقد أطلعَ رئيسُ الفراشين المقدسى على خزانه الكتب التى كانت فى دار عضد الدوله؛ والمقدسى يصفها بأنها«حجره على حده، عليها وكيل و خازن و مشرف من عدول البلد؛ ولم يبق كتاب صُنِّف إلى وقت عضد الدوله من أنواع

۱- للمقريزى (الخطط ج ۱ ص ۴۰۸) نقلا عن المسبّحى الموءرخ الثقه (توفى عام ۴۳۰ه ۱۰۲۹ م) الذى كان معاصرا للعزيز باللّه . على أن الأرقام تختلف بين مخطوط و آخر، فيقول ابن الطويرلك من عجائب خزانه العزيز باللّه أنه كان بها ألف و مائتا نسخه من تاريخ الطبرى، على أن ابن الطوير متأخر(المقريزى ج ۱ ص ۴۰۹) .

۲- المقريزى (الخطط) ج ۱ ص ۴۰۹ .

۳- Th. Gottlieb Ueber Mittelalterliche Bib lio theken, S ۲۲. ۲۳. ۸۷.

العلوم إلاـ و حصّله فيهـا. وهى أزج طويـل فى صـفّه إلى كبيره، فيه خزائن من كـل وجه. و قـد ألصق إلى جميع حيطـان الأزج و الخزائن بيوتا طولها قامه فى عرض ثلاثه أذرع من الخشب المزوّق، عليها أبواب تنحـدر من فوق، و الدفاتر منضّده على الرفوف، لكل نوع بيوت و فهرستات فيها أسامى الكتب، ولا يدخلها إلا كل وجيه(۱)».

و كـان أكبر عشـاق الكتب المولعين بهـا ولعـاً شديـداً فى القرن الثـالث الهجرى الجاحظ، و كثيراً ما يـذكر بـذلك؛ و الفتـح بن خاقان؛ و إسماعيل بن إسحاق القاضى.

فأمـا الجاحـظ فـإنه لم يقع بيـده كتـاب قـط إلاـ اسـتوفى قراءته كائناً ما كان، حتى إنه كان يكترى دكاكين الوارقين و يبيت فيها للنظر؛ وقـد حكى بعض الموءرخين المتـأخرين أنه مـات فى حب الكتب، فقـد روى أنه مـات يوقوع مجلـدات عليه؛ و كـان من عادته أن يضعها كالحائط محيطه به، و هو جالس عليها، و كان عليلا فسقطت عليه فقتلته(۲).

و أما القتح بن خاقان، و كان من كبار رجال دار الخلافه، فإنه كان يحضـر لمجالسه المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجه أخرج كتابا من كتبه أو خفّه و قرأه فى مجلس المتوكل إلى عوده إليه.

و أما إسماعيل بن إسحاق فإنى ما دخلت عليه إلا رأيته ينظر فى كتاب أو يقلّب كتباً أو ينفضها(۳)».

و فى سنه ۲۷۵ه ۸۸۸ م توفى السجستانى المحدِّث، وكان له كمّ واسع و كمّ

۱- المقدسى ص ۴۴۹ .

۲- تاريخ أبى الفدا تحت سنه ۲۵۵ه .

۳- الفهرست لابن النديم ص ۱۱۶ ج ۱۱۷؛ والإرشاد لياقوت ج ۶ ص ۵۳ غرر الفوائد للمرتضى طبعه طهران ۱۲۷۲ه .

ضیق، فقیل له فی ذلک، فقال: الواسع للکتب و الآخر لاأحتاج إلیه(۱).

وقد عمل علی بن یحی المنجم، وکان ممن جالس الخلفاء، حوالی منتصف القرن الثالث الهجری خزانه کتب عظیمه فی ضیعته، و سماها خزانه الحکمه؛ و کان یقصدها الناس من کل بلد، فیقیمون فیها و یتعلمون منها صنوف العلم؛ و الکتب مبذوله لهم و الصیانه مشتمله علیهم، و النفقه فی ذلک من مال علی بن یحیی. فقد أبو معشر المنجّم من خراسان یرید الحج، و هو إذ ذلک لا یحسن کبیر شیء من النجوم؛ فوُصفت له الخزانه، فمضی ورآها، و هاله أمرُها؛ « فأقام بها و أضرب عن الحج، و تعلَّم فیها علم النجوم، و أغرق فیه حتی ألحد، و کان ذلک آخر عهده بالحج و بالدین و الإسلام أیضاً(۲)».

و فی سنه ۲۸۲ه ۸۸۵ م توفی أحد علماء أصفهان و کبار أصحاب الضیاع فیها، و یقال إنه أنفق فی شراء کتبه ثلثمائه ألف درهم(۳).

و فی سنه ۳۱۲ه ۹۲۴ م توفی محمد بن نصر الحاجب و خلّف کتباً بأکثر من ألفی دینار(۴).

و فی سنه ۳۵۷ه ۹۶۷ م صودر حبشی بن معز الدوله لأنه أراد عصیان أخیه أمیر بغداد، فکان من جمله ما أُخذ منه خمسه عشر ألف مجلّد سوی

۱- أبو المحاسن طبعه لیدن ج ۲ ص ۷۹ .

۲- الإرشاد ج ۵ ص ۴۶۷ .

۳- تاریخ أصفهان لأبی نعیم مخطوط لیذ ص ۱۵ ب .

۴- عربب ص ۱۲۱ نقلا عن الصولی؛ و کان للصولی هذا مکتبه کبیره؛ انظر المنتظم لابن الجوزی ص ۷۹ ب .

الأجزاء و ما لیس بمجلد(۱).

و فی سنه ۳۵۵ه ۹۶۵ م نهب قوم من الغزاه دار الوزیر أبی الفضل ابن العمید بالری؛ فلما انصرف إلی داره لیلا لم یجد ما یجلس علیه، ولا کوزاً واحد یشرب فیه؛ و کان ابن مسکویه الموءرخ فی ذلک الحین خازناً لکتب ابن العمید؛ و هو یقص علینا القصه، فیقول : « فأنفذ إلیه أبو حمزه العوی فرشاً و آله، و اشتغل قلب الوزیر ابن العمید بدفاتره، ولم یکن شیء أعزّ علیه منها، و کانت کثیره، فیها کل علم و کل نوع من أنواع الحکم و الآداب، یحمل علی مائه وِقر، فلما رآنی سألنی عنها فقلت : هی بحالها لم تمسسها ید، فسُرِّی عنه، وقال : أشهد أنک میمون النقیبه؛ أما سائر الخزائن فیوجد منها عوض، و هذه الخزانه هی التی لا عوض منها؛ و رأیته قد أسفر وجهه، و قال : باکر بها غداً إلی الموضع الفلانی ففعلت، و سلمت بأجمعها من بین جمیع ماله(۲)».

وقد استدعی السلطان نوح بن منصور السامانی الصاحب بن عبّاد (المتوفی ۳۸۴ه ۹۹۴ م) لیولیه وزارته، فکان مما اعتذر به أنه لا یستطیع حمل أمواله، و أن عنده من کتب العلم خاصه ما یحمل علی أربعمائه جمل أو أکثر، و کان فهرس کتبه یقع فی عشره مجلدات، ولما ورد السلطان محمود الری استخرج من بیت کتب الصاحب کل ما کان فی علم الکلام و أمر بحرقه(۳)، و کذلک لم یجد البیرونی من قبل ولا الفردوسی من محمود هذا مشجعاً و لا حامیاً.

و کان القاضی أبو المطرف (المتوفی عام ۴۰۲ه ۱۰۱۱ م) قاضی

۱- مسکویه ج ۶ ص ۳۱۴، وابن الأثیر ج ۸ ص ۴۳۱ .

۲- مسکویه ج ۶ ص ۲۸۶ و ما بعدها .

۳- الإرشاد لیاقوت ج ۲ ص ۳۱۵ .

الجماعه بقرطبه؛ وقد جمع من الکتب فی أنوع العلم ما لم یجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، وکان له سته ورّاقین ینسخون له دائماً؛ وکان متی علم بکتاب حسن عند أحد من الناس طلبه لیشتریه منه و بالغ فی ثمنه؛ وکان لا یعیر کتاباً من أصوله البته، و إذا سأله أحدٌ ذلک و ألحف علیه أعطاه للناسخ فنسخه و قابله و دفعه إلی المستعیر. ویحکی أن أهل قرطبه اجتمعوا لبیع کتبه عاماً کاملا فی مسجده، و اجتمع من ثمنها أربعون ألف دینار(۱).

و لما أراد البرقانی العالم البغدادی المتوفی عام ۴۲۵ه ۱۰۳۳ م أن ینتقل أحتاج إلی متین من الأعدال، و إلی صندوقین لیحمل فیها کتبه عند انتقاله(۲).

وقد دخل أبو یوسف القزوینی المعتزلی (المتوفی عام ۴۸۸ه ۱۰۹۵ م) بغداد و معه عشره جمال علیها کتب(۳).

وقد أظهر المانویه من قبل عنایه کبیره بزخرفه کتبهم، ففی سنه ۳۱۱ه ۹۳۳ م أحرقت علی باب العامه ببغداد صورهُ مانی، و أربعه أعدال من کتب الزنادقه، فسقط منها ذهب و فضه مما کان علی هذه الکتب، وکان له قدر(۴).

وقد قلد أصحابُ الحلاج الذی قتل عام ۳۰۹ه ۹۲۱م المانویه فی زخرفه الکتب، فکانت کتبهم تُکب علی ورق صینی، وبعضها یکتب بماء الذهب و یبطن بالدیباج و الحریر، و یجلّد بالأدم الجید(۵).

۱- کتاب الصله فی تاریخ علماء الأندلس لابن بشکوال طبعه مجریط ۱۸۸۲ ج ۱ ص ۲۰۴ ج ۲۰۵ .

۲- أنظر Wustenfeld, AGGW, ۳۷, Ni ۳۳۵.

۳- طبقات السبکی ج ۴ ص ۲۳۰ .

۴- المنتظم ص ۶۳ .

۵- عربب ص ۱۰ نقلا عن ابن مسکویه .

و كـانت الكتب التى يرسـلها ملـك الروم مزخرفه؛ وقـد وصل لنا من وصف بعضـها ما يجعلها تحفه فتيه؛ ففى سـنه ۳۲۶ه ۹۳۷ م وصل كتاب ملك الروم إلى الخليفه الراضى ببغداد، و كانت الكتابه بالروميه بالذهب و الترجمه وبالعربيه بالفضه(۱).

و بعـد ذلـك ورد على الخليفه عبـد الرحمن الناصـر بقرطبه كتابٌ من صاحب القسـطنطينيه، وكان فى ورق مصـبوع لوناً سـماوياً مكتوبـاً بالـذهب بالخـط الإغريقى، وداخل الكتاب مـدرجه مصـبوغه أيضاً مكتوبه بفضه بخط إغريقى أيضاً، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعه مثاقيل على الوجه الواحد منه صوره المسيح عليه السلام و على الآخر صوره قسطنطين الملك و صوره ولده. و كـان الكتاب بـداخل درج فضه منقوش، عليه غطاء ذهب فيه صوره قسـطنطين الملك معموله من الزجاج الملون البـديع، و كان الدرج داخل جعبه ملبَّسه بالديباج(۲).

و كانت أشعار الخليفه المعتمد مكتوبه بالذهب(۳).

ولما تولى قاضى القضاه عبد الجبار منصبه، كان الوزير ابن عباد المتوفى عام ۳۸۶ه ۹۹۶ م هو الذى أنشأ له العهد و كتبه له بخطه و اعتنى بزخرفته، و يقال إنه كان سـبعمائه سـطر كل سـطر فى ورقه سمرقندى، وله غلاف آبنوس يطبق كالأسطوانه الغليظه؛ وقد أهـدى هذا العهد فى القرن الخامس الهجرى للوزير نظام الملك مع هدايا أخرى كان منها مصـحف بخط أحد الكتاب الجوّدين بالخط الواضح، وقد كتب كاتبه اختلافَ القرّاء بين سطوره بالحمره، و تفسير غريبه

۱- المنتظم ص ۵۶ .
۲- نفح الطيب للمقرى طبعه دوزى ج۱ ص۲۳۶-۲۳۷.
۳- وقد أطلع المكتفى الصولى على هذه الأشعار؛ انظر كتاب الديارات للشابشتى ص ۳۹ ب .

بالخضره، و إعرابه بالزرقه، و كتب بالذهب علامات على الآيات التى تصلح للانتزاعات فى العهود و المكاتبات و آيات الوعد و الوعيد، و ما يكتب فى التعازى و التهانى(۱).

و كان أكبر ما يعنى به عشاق الكتب، الكتب التى كتبها كبار الخطاطين و التى لأصحابها فى النسخ أصل منسوب.

على أنه قد ظهرت إلى جانب دور الكتب موءسساتٌ علميه أخرى تزيد على دور الكتب بالتعليم، أو على الأقل بإجراء الأرزاق على من يلازمها؛ فيحكى عن أبى القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه الشافعى المتوفى عام ۲۳۲ه ۹۳۵ م أنه أسس داراً للعلم فى بلده، و جعل فيها خزانه كتب من جميع العلوم وقفاً فى كل طالب لعلم، لا يمنع أحد من دخولها، و إذا جاءها غريب يطلب الأدب، و كان معسراً، أعطاه ورَقاً و ورِقا؛ و كان ابن حمدان يجلس فيها و يجتمع إليه الناس فيملى عليهم من شعره و شعر غيره، ثم يملى حكاياتٍ مستطابه و طرفا من الفقه و ما يتعلق به(۲).

وقد عمل القاضى ابن حيان (المتوفى عام ۳۵۴ه ۹۶۵ م) فى مدينه نيسابور داراً للعلم و خزانه كتب و مساكن للغرباء الذين يطلبون العلم و أجرى لهم الأرزاق؛ ولم نكن الكتب تُعار خارج الخزانه§همسفشدلثم ى ءُةٌ. ۳۷

۱- طبقات السبكى ج ۳ ص ۲۳۰ .

۲- الإرشاد لياقوت ج ۲ ص ۴۲۰ .

بنی داراً أخری بالبصره، و جعل فیها إجراء علی من قصدهما ولزم القراءه و النسخ فیهما، و کان فی الأولی منهما أبداً شیخٌ یدرس علیه علم الکلام علی مذهب المعتزله(۱).

و فی سته ۳۸۳ه أسس أبو نصر سابور بن أردشیر وزیر بنی بویه داراً للعلم فی الکرخ غربی بغداد، و نقل إلیها کتباً کثیره اشتراها و جمعها؛ و کان بها مائه نسخه من القرآن بأیدی أحسن النُسّاخ، هذا إلی عشره آلاف و أربعمائه مجلد أخری معظمها بخط أصحابها أو من الکتب التی کان یملکها رجال مشهورون؛ وردّ النظرَ فی أمرها و مراعاتها و الاحتیاط علیها إلی رجلین من العلویین بعاونهما أحد القضاه(۲).

و کذلک اتخذ الشریف الرضی (المتوفی عام ۴۰۶ه ۱۰۱۵ م) نقیب العلویین و الشاعر المشهور داراً سماها دار العلم، و فتحها لطلبه العلم، و عین لهم جمیع ما یحتاجون إلیه(۳).

و یدل مجرد اسم هذه المؤسسات علی الفرق بینها و بین دور الکتب القدیمه؛ فکانت دار الکتب قدیماً تسمی خزانه الحکمه، و هی خزانه کتب لیس غیر؛ أما

۱- المقدسی ص ۴۱۲ و کتاب الفهرست ص ۱۳۹ .

۲- المنتظم ص ۱۳۵، و رسائل أبی العلاء ص ۵۲، و مقدمه مرجلیوث لهذه الرسائل ص ۲۴؛ وقد أحرقت هذه الدار عام ۴۵۰ه ۱۰۵۸ م (ابن الأثیر ج ۹ ص ۲۴۶ ج ۲۴۷). و علی أن الکتب التی کانت من قبل فی حوزه رجال مشهورین لها شأن هام لأنها تحفظ نوعاً من السند الصحیح لما تحویه و إقراراً به؛ ولذلک یعنی القاریء بکتابه اسمه علی غَطاء الکتاب. و یحدثنا یاقوت (الإرشاد ج ۶ ص ۳۵۹) عن خازن هذه الدار، المتوفی عام ۵۱۰ه، کیف کانت الکتب تهلک بأکل البراغیث لها و عبثهم فیها .

۳- دیوان الشریف طبعه بیروت ص ۳ من طبعه سنه ۱۳۰۷ه .

الموءسسات الجديده فتسمی دور العلم، و خزانه الکتب جزء منها.

وقد أنشئت فی مصر أيضاً مثل هذه الدور؛ فقد اشتری العزيز باللّه الخليفه الفاطمی فی سنه ۳۷۸ه ۹۸۸ م داراً إلی جانب الجامع الأزهر، و جعلها لخمس و ثلاثين من العلماء. و کان هوءلاء يعقدون مجالسهم العلميه بالمسجد فی کل يوم جمعه بعد الصلاه حتی صلاه العصر. فالجامعه الأزهريه التی هی أکبر معهد علی إسلامی اليوم نشأت فی القرن الرابع الهجری. وکان الوزير ابن کلّس يحب أهل العلم و الأديب و يقرّبهم؛ وکان يجری بأمر العزيز باللّه ألف دينار فی کل شهر علی جماعه من أهل العلم و الورَّاقين و المجلِّدين(۱).

ثم جاء الخليفه الحاکم بأمر اللّه ففتح فی سنه ۳۹۵ه الدار الملقّبه بدار العلم(۲) بالقاهره، و حمل الکتب إليها من خزائن التصور المعموره، و دخل سائرُ الناس إليها يقرءون و ينسخون، و أقيم لها خزَّان و برَّايون، و وُتّب فيها قوم يدرسون للناس العلوم؛ ولکن الحاکم أبطل ذلک بعد قليل من الزمان(۳).

و کان فی هذه الدار ما يحتاج الناس إليه من الحبر و الأقلام و المحابر و الورقٍ؛ وقد وصلت إلينا ميزانيه هذه الدار، فکان ينفق عليها فی کل سنه ۲۵۷ ديناراً من العين المغربی. فمن ذلک:

للورق ۹۰ ديناراً

للمخازن ۴۸ ديناراً

للفراشين ۱۵ ديناراً

۱- ذکر ذلک معاصره و شريکه فی الوطن يحيی بن سعيد ص ۱۰۸ .

۲- تسمی أيضاً دار الحکمه، المقريزی ج ۱ ص ۴۵۸ .

۳- يحيی بن سعيد ص ۱۱۶ .

للناظرين فی الورق و الحبر و الأقلام ۱۲ ديناراً

لرمه الكتب ۱۲ ديناراً

ثمن الماء ۱۲ ديناراً

ثمن الحصر العيدانی ۱۰ دنانير

ثمن لبود للفرش فی الشتاء ۵ دنانير

ثمن طنافس فی الشتاء ۴ دنانير

لمرمه السناره ۱ دينار

وقد يقيت هذه الدار إلی أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش؛ لأنه اجتمع بها فريق من العلماء، فاستفسد بعضهم عقولَ جماعه، و أخرجهم عن الصواب(۱).

و كانت معظم دروس الفقه و الكلام تُعطی فی المسجد، و المستمعون علی هيئه حلقه بين يدی المدرس. و كان هذا يتخذ مكانه إلی جانب أسطوانه فی المسجد مستنداً إليها بظهره إن أمكن؛ و إذا اقترب أحد من هذه الحلقه سمع النداء: دوِّروا وجوهكم إلی المجلس(۲).

وقد أحصی المقدسی فی المسجد الجامع بالقاهره وقت العشاء مائه و عشره مجلسا من مجالس العلم(۳).

۱- الخطط للمقريزی ج ۱ ص ۴۵۸ ج ۴۵۹ .

۲- المقدسی ص ۲۰۵. و فی سنه ۳۱۴ه‍ ۹۲۶ م برد الهواء برداً شديداً و سقط ببغداد ثلج كثير، و جمدت دجله بأسرها بالموصل حتی عبر الناس عليها و جلس المحدث المعروف بأبی زكره فی وسط دجله علی الجمد، و أملی الحديث (المنتظم لابن الجوزی ص ۳۱) .

۳- المقدسی ص ۲۰۵ .

وکـان جـامع المنصـور ببغـداد، و هو أقـدم مسـجد جـامع بهـا، أشـهر مرکز للتعلیم فی المملکه الإسـلامیه. و یحکی أن الخطیب البغدادی(۱) لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، و سأل اللّه عزوجل ثلاث حاجات أخذاً بقول النبی صلی الله علیه و آله : ماء زمزم لما شُـرب له؛ فالحاجه الأولی أن یحدث بتاریخ بغداد، و الثانیه أن یملی الحدیث بجامع المنصور، و الثالثه أن یدفن إذا مات عند قبر بشر الحافی.

وقد جلس إبراهیم بن محمد نفطویه (المتوفی عام ۳۲۳ه ۹۳۵ م)، وکان من أکبر العلماء بمذهب داود الأصفهانی، إلی أسطوانه بجامع المنصور خمسین سنه لم یغیر محلّه منها(۲).

و کـان الفقهـاء أکثر العلماء تلامیـذ، و کان ذلک طبیعیاً؛ لأن الفقهاء یعلمون العلم الـذی یؤمل أصـحابه التولّی مناصب یعیشون منها، کما تقـدم القول؛ ولکن لوقارنا عـدد التلامیـذ فی ذلک العصـر لوجدناه صـغیراً بالنسـبه لما نراه الیوم، وهذا یدل علی کثره العلماء بالنسبه إلی التلامیـذ؛ فقد کان أبو حامد بن محمد الاسـفراینی المتفی عام ۴۰۶ه ۱۰۱۵ م؛ إمامَ أصـحاب الشافعی، حتی قیـل إنه أفقه و أنظر منه؛ و کـان یـدرس بمسـجد عبـداللّه بن المبارک ببغـداد، و کان یحضـر مجلسه ما بین ثلاثمائه و سـبعمائه فقیه(۳).

و کان أبو الطیب الصعلوکی الفقیه الأدیب مفتی نیسابور و هی مرکز

۱- الإرشاد لیاقوت ج ۱ ص ۲۴۶ .

۲- الإرشاد ج ۶ ص ۲۰۸ .

۳- Wustenfeld, AGGW ۳۷. NR. ۲۸۷.، و طبقات السبکی ج۳ ص۲۵، و ابن الأثیر ج۹ ص ۱۸۲ یذکر أربعمائه طالب.

علماء خراسان؛ و یقال إنه حضر مجلسه أکثر من خمسمائه طالب علم فی عشیه الجمعه الثالث و العشرین من المحرم سنه ۳۸۷ه ۹۹۷ م(۱).

وکان یقعد بین یدی أحد أصحاب الجوینی « الإمام الفرد » (المتوفی عام ۴۷۸ه ۱۰۸۵ م) فی کل یوم ثلثمائه من الأئمه و الطلبه(۲)؛ هذا علی حین أننا نجد الیوم فی کشغر مثلا؛ مع أنها لیست مرکزاً دینیاً کبیراً، أن أکثر من خمسمائه طالب یحضرون درس أکبر العلماء فیها(۳).

و کان عدد الطلاب یعرف بإحصاء محابرهم التی یضعونها أمامهم و التی کانت أهم عتاد الطالب(۴).

ولما قدم محمد بن جریر الطبری بغداد قصده الحنابله، فسألوه عن أحمد بن حنبل، و عن حدیث الجلوس علی العرش فقال : أما أحمد فلا یعدّ خلافه؛ فوثبوا و رموه بمحابرهم غاضبین(۵).

و کان إذا مات العالم کسر تلامیذه المحابر و الأقلام، و طافوا فی البلد نائحین مبالغین فی الصیاح؛ فلما مات الجوینی المتقدم الذکر، و کان خطیباً مشهوراً أیضاً؛ کسِّر منبره، و اشترکت نیسابور کلها فی حزن العلماء علیه، « فلم تفتح الأبواب فی البلد، و وضعت المفادیل علی الرءوس عاماً بحیث ما اجترأ أحد

۱- التهذیب النوری طبعه فستنفلد ص ۳۰۷ و طبقات السبکی ج ۳ ص ۱۶۹ ج ۱۷۰ .

۲- السبکی ج ۳ ص ۶۵۶ .

۳- ۵۸ .Hartmann, Chinesisch Turkestan, S

۴- السبکی ج ۳ ص ۱۷۰؛ و النووی نفس الإشاره .

۵- الإرشاد لیاقوت ج ۶ ص ۴۳۶ .

على ستر رأسه(۱).

و كان الطلبه يحضرون كتبهم فى شىء يسمى قاروره، و لعلها سميت بهذا الاسم من قبيل الفكاهه العلميه(۲).

و كان الإملاء فيما مضى من الزمان يعتبر أعلى مراتب التعليم(۳)، وكثيراً ما كان المتكلمون و اللغويون فى القرن الثالث الهجرى يتبعون طريقه الإملاء خاصه؛ فيحكى أن الجبّائى المعتزلى أملى مائه ألف و خمسين ألف ورقه، و ما روءى ينظر فى كتاب إلا يوما فى زيج الخوارزمى(۴).

وقد أملى أبو على القالى خمس مجلدات(۵)، وكان المستملى يكتب أول القائمه : « مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا فى يوم كذا ».

و فى القرن الرابع الهجرى ترك اللغويونّ طريقه المتكلمين و المحدِّثين فى الإملاء، و اقتصروا على تدريس كتاب يقرأ منه أحد الطلبه، و المدرس يشرح « كما يدرِّس الإنسان المختصرات(۶)».

ويقال إن آخر من أملى من اللغويين هو أبوالقاسم الزجاجى المتوفى عام

۱- Wustenfeld, AGGW ۳۷.Nr. ۳۶۵ ،و انظر طبقات السبكى ج ۳ ص ۲۵۷ ج ۲۵۸ .

۲- الإرشاد ج ۲ ص ۱۰؛ و أغلب الظن أن القاروره هى المحبره كما يمكن أن يوءخذ من النص : « دخلت طالباً للحديث فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث، و ليست معى قاروره، فرأيت شابا عليه سمه الجمال فاستأذننه فى كتب الحديث من قارورته، (المترجم)، على أن الموءلف يقول إن كلمه قاروره تدل على ما يشبه الصندوق .

۳- المزهر للسيوطى ج ۲ ص ۱۹۹ طبعه مصره ۱۹۳۵، ۲۰ .Goldziher, SWA, ۶۹ S. .

۴- المعتزله لابن المرتضى ص ۴۷ .

۵- السيوطى فى المزهر .

۶- السبكى ج ۳ ص ۲۵۹ .

۳۳۹ه ۹۵۰ م(۱).

أما إملاء الحـديث فقـد بقى كما صـرح بذلك السـيوطى. ولما عزم الوزير الصاحب ابن عباد (المتوفى عام ۳۸۵ه ۹۹۵ م) على إملاء الحـديث خرج متطلسّا متحنّكا على زى أهل العلم، و اتخذ لنفسه بيتاً سـماه بيت التوبه، وقد للإملاء فحضـر الخلق الكثير، « وكان المسـتملى الواحد ينضاف إليه سنه كلٌّ يبلغ صاحبه(۲)»؛ ولكن أصـحاب الإملاء اختصروا فيه حتى إن أغلب العلماء كانوا يختصرون فى أماليهم و يطيلون فى تدريسهم(۳).

و عنـدنا من خبر كتـاب اليـاقوت فى اللغه لأـبى عمرو المطرز (المتوفى عام ۳۴۵ه ۹۵۶ م) مـا يرينـا كيف كان ينشأ الكتابُ من الإملاـء : ابتـدأ الموءلف بإملاـء هـذا الكتـاب يوم الخميس لليله بقيت من المحرم سـنه ۳۲۶ه ۹۲۷ م فى جـامع المنصور ببغـداد ارتجالا من غير كتاب ولا دسـتور، و مضى فى الإملاء مجلساً مجلساً إلى أن انتهى إلى آخره؛ ثم رأى الزياده فيه فزاد فى أضعف ما أملى، و كتب هـذه الزياده أحـدُ تلاميـذه؛ ثم قرأه عليه أبوإسـحاق الطبرى و سـمعه الناس، ثم زاد فيه بعـد ذلك، وقرىء عليه بالزياده يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى القعـده سـنه ۳۲۹ه ۹۴۱ م؛ و فرع منه فى ربيع الثـانى سـنه ۳۳۱ه ۹۴۲ م، و حضرت نسخ جيمع من كتب فقورنت؛ ثم زاد الموءلف بعد ذلك أشياء أخرى كتبها

۱- المزهر السيوطى .

۲- الإرشاد لياقوت ج ۲ ص ۳۱۲ .

۳- المعتزله لالن المرتضى ص ۶۳، و يظهر أنه فى عصر حاجى خليفه كان المحدِّثون قد تركوا الإملاء نهائياً. انظر: Marcais, Le Taqrib de en Nawawi, JA ۱۹۰۱, ۱۸, S. ۸۷ و كتاب التقريب مطبوع بالعربيه و معروف ج المترجم .

محمـد بن وهب، ثم جمع النـاس و وعـدهم يعرض أبی إسـحاق عليه هـذا الكتـاب و تكون آخر عرضه يتقرر عليها الكتاب و لا يكون بعدها زياده(۱).

وكـان تغير طريقـه التعليم سـبباً فی إيجـاد نـوع جديـد من الموءسـسات العلميه؛ ذلـك أنه لمـا انتشـرت طريقه التـدريس نشـأت المـدارس، و لعل من أكبر الأسـباب فی ذلك أن المساجـد لم يكن يحسن تخصيصـها للتدريس بما يتبعه من مناظره و جدل قد يخرج بأصـحابه أحياناً عن الأدب الذی تجب مراعاته المسجد؛ فالقرن الرابع هو الذی أظهر هذه المعاهد الجديده التی بقيت إلی أيامنا، و يـدل مجموع الأخبار التی انتهت إلينا علی أن نيسابور كانت مهـد هـذه المعاهد، و كانت أكبر مراكز العلم فی خراسان. ويقول الحاكم النيسابوری الموءرخ السنه (المتوفی عام ۴۰۶ه ۱۰۱۵ م) صاحب تاريـخ نيسابور إن أول مـدرسه هی التی بنيت لمعاصره أبی إسحاق الإسفرايينی (المتوفی عام ۴۱۸ه ۱۰۲۷ م) بنيسابور(۲).

أما المدرسه التی بنيت لابن فورك (المتوفی عام ۴۰۶ه) فهی أحدث عهداً من تلك المدرسه بقليل. وكان كل من الإسفرايينی و ابن فورك أشعرياً متحمساً، فلا بدأن يكونا قد آثرا البحث فی المسائل الكلاميه، بل آثرا طريقه

۱- الفهرست لابن النديم ص ۷۶ .

۲- طبقات السبكی ج ۳ ص ۱۱۱، ۱۳۷؛ و يقول المقريزی (الخطـط ج ۳ ص ۳۶۳) إن أول من حُفـظ عنه أنه بنی مـدرسه فی الإسـلام أهـل نيسـابور، فبنيت بهـا المـدرسه البيهقيه التی بنيت للبيهقی (المتوفی عـام ۴۵۴ه ۱۰۶۲ م). ويقـول الـذهبی إن أول المـدارس المـدرسه النظاميه (السبكی ج ۳ ص ۱۳۷)، و لاـ توجـد كلمه مـدرسه عنـد الجوهری و لكنهـا وردت فی رسـائل الهمذانی (ص ۲۴۷) .

التدريس على مجرد روايه الأحاديث(۱).

على أنه كان بنيسابور رجل من كبار الأئمه و أولى الرياسه، وهو أبوبكر البستى المتوفى عام ۴۲۹ ه ۱۰۳۷ م، وقد بنى لأهل العلم مدرسه على باب داره، و وقف عليها جمله من ماله الكثير. وكان هذا الرجل من كبار المدرسين و المناظرين بنيسابور(۲).

و كان المستملى فى المجالس الكبيره يجلس على مقعد مرتفع ليستنصت الحاضرين و ليعيد كلام المدرس حتى يسمعه من كان بعيداً عنه. وكان العالم يبتدى درسه بحمداللّه و الصلاه على نبيه بعد قراءه قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن ثم يدعو للبلد و السامعين(۳).

وبعد أن يستنصت المستملى الناس يبدأ كلامه باسم اللّه و بالصلاه على النبى؛ ثم يقول للمحدِّث : من أو ما ذكرت رحمك اللّه؟

و كلما ورد ذكر النبى أو أحد الصحابه أو نحوهم(۴) صلى على النبى و رضَّى عن الصحابه. وفى حوالى عام ۳۰۰ه كان ابن كيسان النحوى يبدأ مجلسه يأخذ القرآن و القراءات، ثم بأحاديث الرسول عليه السلام ؛ « فإذا قرئ خير غريب أو لفظه شاذه

۱- ويريد الأستاذ ريبيرا (Ribera) فى مقاله : Origen del Colegio Nidami de Bagdad، و هو بحث شيق ضمن Homenajo a Don Fr Codera Zaragoza ۱۹۰۰, S. ۳. ff أن يثبت أن المدارس فى أصلها من مؤسسات الكراميه؛ ولكن لا برهان له على ذلك .

۲- طبقات السبكى ج ۳ ص ۳۳ .

۳- انظر الفصل الخاص بعلوم الدين .

۴- Nawawi, Taqrib, trad. Macais, JA, ۱۹۰۱, ۱۸, S. ۸۳ و الطبعه العربيه، النوع السابع والعشرون؛ و هذه كانت هى العاده الجاريه فى القرن الرابع كما يدل على ذلك ما روى من أن الخطيب البغدادى كان يأمر المستملى أن يرفع صوته بذلك .

أبان عنها و تكلّم عليها و سأل أصحابه عن معناها[(۱)]». وكان يجوز للسامع فی المجلس أن يقف و يسأل المدرس، و يدل على ذلك ما حكى عن أبی عبيد: اللغوى من أن رجلا حضر مجلسه فسأله سوءالا سخيفاً يدل على الجهل و سوء الفهم؛ ثم قام ثان و ثالث فسألا مثل ذلك، فأخذ أبوعبيده نعليه، والشتد ساعياً فی مسجد البصره يصيح بأعلى صوته : من أين حُشرت البهائم على اليوم[(۲)].

على أنه قد بقی فی القرن الرابع ذلك التهيب الشديد للحديث، وقد كان معروفاً من قبل، فكان يبلغ من ورع البعض أنه يتهيب روايه الحديث[(۳)]؛ وقد حكى البرقانی (المتوفى عام ۴۲۵ه ۱۰۳۴ م) أن أستاذه كان يروى الأحاديث متهيباً متحرزاً، و أن تلاميذه كانوا إذا تكلم مع أحد، يذهبون جانباً و يكتبون الأحاديث التی ترد فی كلامه دون أن يفطن هو لذلك[(۴)].

وكان أبو سهل الصعلوكی يطلب منه التحديث فيمتنع أشد الامتناع؛ ولم يقعد لذلك إلا فی آخر عمره عند ما بلغ السبعين[(۵)]. على أن التحديث كان يعتبر نوعا من العباده يحتاج إلى آداب خاصه : فيستحب للمحدث قبل أن يجلس للحديث أن يتطهر و يتطيب و يسرح لحينه، و أن يجلس متمكناً بوقار، فإن رفع

۱- الإرشاد ج ۶ ص ۲۸۲ .

۲- نفس المصدر ج ۵ ص ۲۷۲ .

۳- انظر Goldziher, DMG, ۱۹۰۷, S. ۸۶۱ ، وقد حكى السمرقند (بستان العارفين ص ۱۰) عن عبدالرحمن بن أبی ليلى أنه قال : أدركت مائه و عشرين من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله ، فما كان منهم محدِّث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث و لا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتوى .

۴- انظر ما ذكره مارسيه فی هامش ترجمته لكتاب التقريب للنووى : Anm.۲ JA ۱۹۰۱m ۱۷. S. ۱۹۶.

۵- الطبقات للسبكی ج ۲ ص ۱۶۱ .

أحد الحاضرين صوته زجره، و عليه أن يقبل على الحاضرين كلهم(۱).

و يروى لنا من القرنين الثانى و الثالث للهجره أنه كانت تُرمى رقاع فى حلقه بعض العلماء الصالحين أمام العالم، و تتضمن هذه الرقعه طلبَ دعاء لمريض أو صاحب حاجه، فيقبض العالم عليها و يقروءها، و يدعو لصاحبها، و يوءمّن على دعائه من حضر، ثم يمضى فى درسه(۲).

وقد رويت لنا من القرن الرابع هذه الحكايه التاليه : لما عزم الصاحب ابن عباد على إملاء الحديث؛ و هو وزير، « خرج يوماً متطلِّساً متحنِّكا بزى أهل العلم فقال : قد علمتم قدمى فى العلم، فأقروا له بذلك، و أنا متلبِّس بهذا الأمر، و جميع ما أنفقته من صغرى إلى وقتى هذا من مال أبى وجدى، و مع هذا لا أخلو من تبعات أشهداللّه و أشهدكم أتى تائب إلى اللّه من ذنب أذنبته؛ و اتخذ لنفسه بيتاً أسماء بيت التوبه، و لبث أسبوعاً على ذلك، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحه توبته، ثم خرج و قعد للإملاء و حضر الخلق الكثير، و كان المستملى الواحد ينضاف إليه سته، كل يبلغ صاحبه، فكتب الناس حتى القاضى عبد الجبار(۳) ».

و كان أبوالحسن الدار قطنى (المتوفى عام ۳۸۵ه ۹۹۵ م) يقرأ عليه تلاميذه، فإذا أخطأ أحدهم سبّح أو قرأ شيئا من القرآن بقصد التصحيح، من الآيات

۱- التقريب للنووى ترجمه مارسيه ۱۸, ۸۵۱ ۱۹۰۱ ,Marcais ,JA. ،(النوع السابع و العشرون من الطبقه العربيه)، و يذكر مارسيه عن الغزالى أن سفيان الثورى كان يجلس الفقراء فى الصف الأول .

۲- الإرشاد لياقوت، ج ۱ ص ۳۸۴، و مروج الذهب للمسعودى ج ۸ ص ۱۸۵ و ما يليها .

۳- الإرشاد ج ۲ ص ۳۱۲ .

التی تکون ملائمه لذلک(۱).

و توفی أحد العلماء فی سنه ۴۰۶ه ۱۰۱۵ م. وکان یبتدئ کل یوم بتدریس القرآن، ثم یدرس الحدیث، و کان یجلس علی حال واحد لا یتحرک ولا یعبث فی شیء من أعضائه، ولا بغیر شیئاً من هیئته؛ وکان یقرأ بنفسه حتی یستنفد قوته و یبلغ النهایه فی جهده فی القراءه(۲).

و کان أبوالحسن الباهلی یدرس فی کل جمعه مره واحده، و کان یرخی الستر بینه و بین تلامیذه کی لا یروه، و سئل عن سبب إرساله الحجاب بینه و بین الناس فأجاب: إنهم یرون السوقه، و هم أهل الغفله، فیرونی بالعین التی یرون بها أولئک؛ « وکان من شده اشتغال قلبه باللّه مثل و الهٍ أو مجنون » لم یکن یعرف مبلغ درسنا حتی نذکره(۳).

وکان بعض العلماء إذا انتهی مجلسه یقول : قوموا؛ فیقوم تلامیذه، و یأخذ هو یدعو اللّه(۴).

وقد اختلف العلماء متی یبدأ الإنسان فی سماع الحدیث؛ فذهب جماعه إلی أنه یستحب أن یبتدئ الإنسان بسماع الحدیث بعد ثلاثین سنه؛ و قال آخرون بعد العشرین؛ و نقل القاضی عیاض، قاضی قرطبه (المتوفی عام ۵۴۴ه ۱۱۴۹ م) أن مذهب المحدّثین أنفسهم أن أول زمن یصح فیه السماع خمس سنین؛ و یذکر حدیثٌ للبخاری (کتاب العلم، الباب الثامن عشر) لإثبات

۱- طبقات السبکی ج ۲ ص ۳۱۲ .

۲- المنتظم لابن الجوزی ص ۱۶۳ .

۳- طبقات السبکی ج ۲ ص ۲۵۷ .

۴- نفس المصدر ص ۱۹۲ .

هذا الرأى.

ويقول النووى (المتوفى عام ۴۷۶ه ۱۰۸۳ م) إن العمل استقر على ذلك فى زمانه، ويحكى أن الحميدى المحدِّث المشهور كان أبوه يحمله على كتفه(۱) إلى مجلس الحديث؛ و لهذا يذكر موءرخو الحديث السن الذى بدأ عنده كل محدِّث فى سماع الحديث. و كان يندر أن يذهب الولد لسماع الحديث و هو فى السادسه من العمر و يقال إن القاضى التنوخى المتوفى عام ۳۸۴ه ۹۹۴ م، ممن سمع الحديث و هو فى سن ست(۲).

و يقال إن أبا نعيم الأصفهانى أكبر محدّثى عصره سمع الحديث و هو ابن ثمان(۳).

و الغالب أن يبدأ فى سماع الحديث فى الحاديه عشره، وفى هذا السن سمع الحديثَ الخطيبُ البغدادى المحدّث المشهور و ثلاثه من شيوخه(۴)؛ و كذلك ابن الجوزى، فقد كتب الحديث و له إحدى عشره سنه(۵).

وكان بعض المحدثين لاـ يقبل فى مجلسه من لم يكن ملتحياً، خوفاً من قصص الغرام فيما يظهر. و يذكر أن صبيا كان شديد الرغبه فى سماع الحديث، و

۱- التقريب للنووى ترجمه مارسيه. انظر Marcais, Ja. ۱۹۰۱, ۱۷, ۱۹۳ f ؛و النسخه العربيه : النوع الرابع و العشرون .

۲- المنتظم ص ۱۳۶ ب .

۳- السبکى ج ۲ ص ۸ .

۴- تاريخ بغداد ۵۰ .JRAS, ۱۹۱۲, S

۵- المنتظم ص ۱۲۷ ب .

مُنع من ذلک فاتخذ لنفسه لحیه مصطنعه(۱).

وقد اختلف أیضا فی السن التی یجوز للرجل فیها أن یتصدی لتدریس الحدیث؛ فذهب النووی إلی أنه یجوز للإنسان أن یجلس لـذلک فی أی سن متی احتیـج إلی مـا عنـده؛ و یجب علی الشـیخ المسن أن یمسک عن التحـدیث، إذا خشـی التخلیط بهرم أو خوف أو عمی(۲).

و کان الأسفراینی أکبر أئمه الشافعیه فی القرن الرابع الهجری، طالباً فقیراً، و کان یشتغل حمَّالا(۳).

و کان آخرون فی وقت طلبهم للحدیث یسکنون فی مئذنه المسجد الذی یستمعون فیه الحدیث(۴).

و یحکی عن الـوزیر أبی الحسن بن الفرات (المتـوفی عـام ۳۱۲ه ۹۲۴ م) أنه کان یطلق للشـعراء فی کل سـنه من سـنی وزارته عشرین ألف درهم رسماً لهم، سوی ما یصلهم به متفرقاً، وعند مدیحهم إیاه؛ فلما کان فی وزارته الأخیره تذکّر

۱- Wustenfeld Schahiten, AGGW ۳۷ Nr, SS. انظر أیضاً الفصل الخاص بالأخلاق والعادات فی الجزء الثانی من الکتاب.

۲- التقریب للنووی ترجمه مارسـیه JA, ۱۹۰۱, ۱۸, S. ۸۴ ،و النسـخه العربیه : آداب المحدِّث، فی النوع السابع و العشـرین وقد کـان المحـدِّثون المتـأخرون قسـاه فی حکمهـم علی العمی مـن المحـدثین؛ فقـد أراد البعض أن یسـحبوا منهـم کـل ثقه فی أمر الحـدیث، و هـذا یـدل علی ما أصبح للکتابه من الشأن و علی نقصان قیمه الذاکره و ما کان لها من التقدیر فیما مضـی. وقد فال الخطیب البغدادی إن الأعمی فی منزله البصیر الأمی ج نفس المصدر ص ۶۳، و النوع السادس و العشرون .

۳- AGGW, ۳۷, Nr. ۲۸۷ ،و فی طبقات السبکی ج ۳ ص ۲۶ أنه کان فی أول أمره یحرس فی بعض الدور .

۴- الإرشاد لیاقوت ج ۱ ص ۲۵۵ .

طلاب الحديث، وقال : لعل الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق و دونه و يصرف ذلك فى ثمن ورق و حبر، و أنا أحق بمراعاتهم و معاونتهم على أمرهم، و أطلق لهم من خزانته عشرين ألف درهم(۱).

يدلنا هذا على أن المعاهد العلميه التى كان يستطيع الطلاب أن يلجأوا إليها لم تكن قد ظهرت، و كان جزء كبير من مثل هذه العطايا لا يصرف إلى الطلاب، بل لغيرهم بواسطه ذوى الجاه، كما يصرح بها صاحب كتاب الوزراء. و كان العالم إذ لم يكن فقيها صاحب منصب، و لم يجد ما يعيش منه، اشتغل ينسخ الكتب كما حُكى عن أبى زكريا يحيى بن عدى المتوفى عام ۳۶۴ه ۹۷۴ م، وكان من أكبر فلاسفه القرن الرابع، و مذهبه مذهب النصارى اليعقوبيين؛ وذُكر عنه أنه نسخ بخطه نسختين من تفسير الطبرى، و أنه كان يكتب فى اليوم و الليله مائه ورقه(۲).

و كان بنيسابور ورّاق يسمى أبا حاتم ورَّق بها خمسين سنه، و هو القائل :

إنَّ الوراقه حرفه مذمومه *** محرومه عيشى بها زمنُ

إنَّ عِشتُ عِشتُ و ليس لى أكل *** أو مُتُّ مُتُّ و ليس لى كفن(۳)

و كان أبوبكر الدقاق المعروف بابن الخاضبه المتوفى عام ۴۳۹ه ۱۰۸۶ م يعول والده و زوجه و بنتاً من الوراقه؛ و فى سنه واحده كتب صحيح مسلم سبع مرات، و هو يقول : « فلما كان ليله من الليالى رأيت فى المنام كأن القيامه قد قامت، و منادٍ ينادى ابن الخاضبه، فأُحضرت، فقيل لى : أدخل الجنه؛ فلما دخلت الباب و صرت من داخل استلقيت على قفاى و وضعت إحدى رجلى

۱- كتاب الوزراء ص ۲۰۱ ج ۲۰۲ .
۲- الفهرست لابن النديم ص ۲۶۴؛ و أخبار الحكماء للقفطى ص ۳۶۱ من الطبعه الاروبيه .
۳- يتيمه الدهر ج ۴ ص ۳۱۹ .

على الأخرى و قلت : آه استرحت و اللّه من النسخ»(۱).

وقد قيل إن من آفات العلم خيانه الورّاقين. وكان العلماء الذين يحرصون على سلامه العلم ينسخون كتبهم بأنفسهم إن استطاعوا(۲).

و لم تكن حرقه التعليم تدرّ شيئاً كثيراً؛ فقد ذهب طائفه كبيره من الفقهاء كالحنيفه جمعهم و أحمد بن حنبل و سفيان الثورى و غيرهما إلى أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً عن تعليمه القرآن و الحديث(۳)، و أجاز ذلك آخرون؛ و لكنهم جعلوا معلم الحديث فى درجه أعلى لأنه يعلّم ابتغاء الثواب الأخروى. وفى القرن الثامن الهجرى امتنع النووى أن يأخذ رزقاً لتدريسه فى المدرسه الأشرفيه؛ وكان الرجل إذا انتهى من مجلس علم قعد له من غير أجر، قال له الطالب : آجرك اللّه، و هو يقول : نفعك اللّه(۴).

وفى سنه ۳۴۶ه ۹۵۷ م توفى أبوالعباس الأصم، و كان من أكبر علماء خراسان و محدثيهم؛ وقد ظهر به الصم و هو ابن ثلاثين سنه، ثم استحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار، و كان إذا ذهب إلى المسجد للتحديث وجد السكه قد امتلأت بالناس، و كانوا يقومون له و يحملونه على عواتقهم إلى مسجده. وكان لايأخذ شيئاً على التحديث، و إنما كان يورّق و يأكل من كسب يده(۵).

۱- الإرشاد لياقوت ج ۶ ص ۳۳۷ .

۲- يذكر هذا كثيرا و لا سيما فى تراجم المالكيه .

۳- انظر مقدمه بستان العارفين للسمرقندى، و التقريب للنووى، Marcais, JA, ۱۹۰۱, Lv, S. ۱۴۳، و انظر أيضاً بستان العارفين ص ۴۴ ج ۴۵ .

۴- طبقات السبكى ج ۳ ص ۲۹۷ .

۵- المنتظم لابن الجوزى ص ۸۷ .

وحُکی عن أبی بکر الجوزقی محدّث نیسابور المتوفی عام ۳۸۸ه ۹۹۸ م أنه قال : « أنفقت فی الحدیث مائه ألف درهم ما کسبت به درهما(۱).

وکان أبوبکر الخطیب البغدادی یوماً فی جامع صور، فدخل علیه بعض العلویه و أعطاه ثلثمائه دینار وضعها علی سجاده الخطیب، فقام الخطیب محمّر الوجه، و أخذ السجاده و خرج من المسجد، و ترک العلوی یلتقط الدنانیر من شقوق الحصیر(۲).

أما إذا کان أحدٌ معلم صبیان أو معلم کُتاب، کما کان أبوزید البلخی العالم المشهور المتوفی عام ۳۲۲ه - ۹۳۳ م (۳)، فمعنی هذا عیش مرّ و حرفه محتقره. وقد ألف الجاحظ کتاباً فی المعلمین ملأه بالحکایات التی تدل علی حماقاتهم و قله عقلهم و رأیهم. و من أمثال العامه : أحمق من معلم(۴).

ولعل کثیرا مما لحق المعلمین من ضروب الاستهزاء إنما یقع إئمهُ علی الروایات الیونانیه الهزلیه؛ لأن المعلم فیها کان من الشخصیات المضحکه. وقد ذکر ابن قتیبه عن السندی أنه کان لا یستخلف المُکاری و لا الحائک و لا الملّاح، و یجعل القول قول المدعی مع یمینه، و یقول : اللهم إنی أستخیرک فی الحتال و معلم الصبیان(۵).

و کان ابن حبیب أحد علماء اللغه و الأخبار و الشعر (توفی عام ۲۴۵ه

۱- السبکی ج ۲ ص ۱۶۹ .

۲- نفس المصدر ج ۳ ص ۱۴ .

۳- الإرشاد لیاقوت ج ۱ ص ۱۴۱ .

۴- البیان و التبیین للجاحظ ج ۱ ص ۱۰۰ طبعه مصر ۱۳۱۱ه .

۵- عیون الأخبار طبعه بروکلمان ص ۹۳ .

۸۵۹ م) يقول إذا قلت للرجل : ما صناعتک ؟ فقال : معلم، فاصفع(۱).

ويحکى ابن حوقل عن أهل صليقه أنهم کانوا يکثرون التغذى بالبصل النيئ، « وما فيهم من لا يأکله فى کل يوم، و يوءکل فى داره صباحاً و مساء من سائر طبقاتهم، و هو الذى أفسد تخيلهم، و ضر ادمغتهم، و حير حواسهم، وغير عقولهم، و نقص أفهامهم، و أفسد صحه وجوههم، فأحال مزاجهم، حتى رأوا الأشياء أو أکثرها على غير ما هى عليه. والذى دخل تحت العده أن فيها أزيد من ثلثمائه معلم يوءدبون الصبيان؛ و هم يرون أنهم أفضلهم، و أنهم أهل اللّه، وهم شهودهم و أمناوءهم؛ هذا على ما اشتهر عن المعلمين من نقصّ عقولهم و خفه أدمغتهم؛ و إنما لجأوا إلى هذه الصناعه هرباً عن الجهاد ونکولاً عن الحرب(۲)».

وکان يدفع للمعلم أجرُه أحياناً عدا المال أشياء مما يأکله الناس و ينتفعون به، و لذلک کانت « رغفانُ المعلم » مثلا يضرب فى الاختلاف و شده التفاوت، لأن رغفان المعلم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان فى الغنى و الفقير، و الجود و البخل. وقد أنشد الجاحظ الرقاشى فى معلم :

مختلف الخبز خفيف الرغيف *** منتثر الزاد لئيم الوصيف

و أنشد لأبى الشمقمق:

خبز المعلم و البقال متفق *** واللون مختلف و الطعم و الصور

أما المعلمون الذين يوءدبون الأولاد فى البيوت الغنيه فکانوا أحسن حالا؛ يقول الجاحظ(۳): « يکون الرجل نحوياً عروضياً .. وهو يرضى أن يعلم أولادنا

۱– الإرشاد ج ۶ ص ۴۷۳ .

۲– ابن حوقل ص ۸۶ ج ۸۷ .

۳– عمد المنسوب للثعالى ZDMG, VI، ؛ و ثمار القلوب فى المضاف. و المنسوب ص ۱۹۴ ج ۱۹۵ ؛ وکان يوم الثلاثاء و يوم الجمعه يوم عطله مدرسيه (انظر ديوان ابن المعتز ج ۲ ص ۳ ، و مقدمه متز لکتاب حکايه أبى القاسم الأزدى ص ۵۷، و فيما يختص بالعصور المتأخره (انظر کتاب ألف باء ج ۱ ص ۲۰۸، و المدخل ج ۲ ص ۱۶۸)؛ وکان الصبيان يکتبون على ألواحهم بالطباشير (مقدسى ص ۴۴۰ ؟)، وکان المعلم يؤدبهم بأن يضربهم بالسير (يتيمه الدهر ج ۲ ص ۶۳) .

بستين درهماً؛ ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخريـج للمعانى، ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم(۱)»، وكان عند قائدٍ لعبد اللّه بن طاهر موءدب رزقه فى الشهر سبعون ديناراً، و ذلك فى القرن الثالث الهجرى. وكان مثل هذا المعلم يظل تحت إشـراف من اختاره، و هو الـذى يقـدّر رزقه، ويطوف عليه و يتعهـد من بين يديه من الصبيان؛ وهو يصـرفه و يبدِّل به غيره إذا لم يعجبه(۲).

وكان موءدِّبو الأمراء أحسن الموءدبين حالا، و كان الـذين يختارون لتأديب أبناء الأمراء هم علماء اللغه المشـهورون؛ فمن ذلك أن محمـد بن عبـداللّه بن طاهر، و كان من أجود أمراء زمانه، اختار لتأديب ابنه طاهر أحمـد بن يحيى ثعلب النحوى اللغوى إمام الكوفيين، فأفرد له داراً فى داره كان يقيم فيها هو و تلميذه، و كان يتغدى معه؛ وقد أقام له الأمير مع ذلك فى اليوم سبع وظائف من الخبز الخشكار و وظيفه من الخبز السميد و سبعه أرطال من اللحم و علوفه رأس، و أجرى له فى الشهر ألف درهم(۳).

و فى سنه ۳۰۰ه ۹۱۲ م احتفل أبوالقاسم بن الوزير الخاقانى بـدخول ابنه الكُتّاب، فدعا من القواد و الروءساء جماعه بلغوا ثلاثين نفسا، و أمر الداعى

۱- البيان للجاحظ ج ۱ ص ۱۵۱ .

۲- الإرشاد لياقوت ج ۱ ص ۱۲۲ .

۳- نفس المصدر ج ۲ ص ۱۴۴ .

بإعطاء المعلم ألف دينار؛ و أُكرم الناس، و أكلوا(۱)؛ وكان يلازم المأمون فى الكتاب غلامٌ لمعلمه، فكان إذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر إليه، فأخذ اللوح من يده و غلب على غلمان المأمون فمسحه و جاء به فوضعه على المنديل فى حجره(۲).

وكان العلماء الكبار يأخذون أرزاقا من السلطان، و كانو فريقين : فقهاء و علماء؛ و ثم فريق ثالث أكثر رزقا، و هم الندماء الذين يجالسون الحضره؛ وكان البعض يأخذ رزقا فى هذه الطوائف كلها كالزجَّاج المتوفى عام ۳۱۰ه فقد كان له رزق فى الندماء، و رزق فى الفقهاء، و رزق فى العلماء، و مبلغ ذلك ثلثمائه دينار، وكانت له منزله عظيمه(۳).

وقد أجرى الخليفه المقتدر على ابن دريد المتوفى عام ۳۲۱ه خمسين ديناراً فى كل شهر حينما قدم بغداد فقيراً(۴).

و كذلك أجرى سيف الدوله بن حمدان صاحب حلب على أبى نصر الفارابى الفيلسوف التركى المتوفى عام ۳۳۹ه ۹۵۰ م أربعه دراهم كل يوم، فاقتصر عليها(۵).

و يندر أن تجد فى هذا العصر من العلماء من يتخذ صناعه أو تجاره يعيش منها إلى جانب العلم. فيحكى أن أبابكر الصبغى المتوفى عام ۳۴۴ه ۹۵۵ م كان يبيع الصبغ بنفسه أو يعلمه بنفسه فى الحانوت على عاده العلماء المتقدمين الذين

۱- كتاب العيون و الحدائق مخطوط برلين ص ۷۹ ب .

۲- المحاسن و المساوئ للبيهقى الطبعه الأوروبيه ص ۶۲۰ .

۳- الفهرست ص ۶۱ .

۴- Wustenfeld, AGGW, ۳۷, Nr. ۹۲.

۵- تاريخ أبى الفداء تحت عام ۳۳۱ه (ج ۲ ص ۴۵۸) .

یتسببون فی المعاش، و کان حانوته مجمع الحفاظ و المحدّثین(۱).

وقد أوصی الصبغی لأحد العلماء فی أمور مدرسته « دار السّنه »، وفوّض إلیه تولیه أوقافه فی ذلک(۲).

و کان دعلج بن أحمد بن دعلج أبو محمد السجزی (المتوفی عام ۳۵۱ه ۹۹۲ م) شیخ أهل الحدیث، وکان فقیهاً، و یقال إنه لم یکن فی الدنیا من التجار أیسر منه؛

وقد خلَّف ثلثمائه ألف دینار؛ ویحکی أنه بعث بالمسند إلی رجل لینظر فیه، و جعل فی الأجزاء بین کل ورقتین دیناراً؛ « وکان یقول : لیس فی الدنیا مثل داری، لأنه لیس فی الدنیا مثل بغداد، ولا ببغداد مثل القطیعه، ولا بالقطیعه مثل درب أبی خلف، ولا فی الدرب مثل داری»(۳). وکذلک کان بمصر أبوالعباس أحمد بن محمد الدبیلی الخیاط المتوفی عام ۳۷۳ه، و کان فقیها جید المعرفه علی مذهب الشافعی، و کان قوته و کسبه من خیاطته، کان یخیط قمیصا فی جمعه بدرهم و دانقین، طعامه و کسوته منها غلاء و رخصاً، « وما ارتفق من أحد بمصر بشربه ماء»(۴).

وکان بمصر عالم آخر توفی عام ۴۹۲ه ۱۱۰۹ م، وکان یبیع الخِلَع لأولاد الملوک(۵).

علی أننا نجد أن أباعمر المطرّز المتوفی عام ۳۴۵ه ۹۵۶ م، و کان أحد

۱- السبکی ج ۲ ص ۱۶۸ .

۲- نفس المصدر ج ۳ ص ۶۶ .

۳- السبکی ج ۲ ص ۲۲۲ .

۴- نفس المصدر ج ۲ ص ۱۰۲ .

۵- نفس المصدر ج ۳ ص ۲۹۷ .

أئمه (۱). اللغه المشاهير المكثرين، قد منعه اشتغاله بالعلوم عن اكتساب الرزق، فلم يزل مضيقا عليه (۲).

ويقول أحمد بن فارس اللغوى المتوفى عام ۳۶۹ه - ۹۷۹م:

إذا كنت فى حاجه مرسلا *** و أنت بها كَلِفٌ مغرمُ

فأرسل حكيما ولا توصه *** وذاك الحكيم هو الدرهُم

و كان يقول :

يا ليت إلى ألف دينار موجّهه *** وأن حظى منها فلس فلّاسِ

قالوا: فما لك منها أقلت: تخدمنى *** لها و من أجلها الحمقى من الناسِ(۳)

و أخيراً دخل علماء الإسلام فى تهابه هذا العصر فى جمله العظماء و أصحاب الإلقاب، و كان الأسفراينى الأصغر المتوفى عام ۴۱۸ه ۱۰۲۷ م بنيسابور أول من لقب بين العلماء بركن الدين(۴).

وفى ذلك العصر ظهر لقب على سبيل التكريم و هو لقب شيخ الإسلام الذى صار له شأن كبير فيما بعد، وكان ظهوره عند فريقين مختلفين، وذلك أن أهل السنّه فى خراسان لقّبوا به أحد علمائهم، فثارت نفوس المجسمه بمدينه هرات و

۱- تقدم ذكره و ترجمته.

۲- تاريخ أبى الفداء تحت عام ۳۴۵ه (ج۲ ص ۴۶۴) .

۳- الإرشاد لياقوت ج ۲ ص ۹ .

۴- Wustenfeld, AGGW, ۳۷, Hr. ۳۱۰ ،وكان أحمد بن عبداللّه أبو محمد المزنى العقلى المروى المتوفى عام ۳۶۷ ه - ۹۶۶ م إمام أهل العلم و الوجوه و أولياء السلطان بخراسان فى عصره مع رتبه الوزاره و علو القدر عند السلطان، وكان يقال له الشيخ الجليل ببخارى، وكان فوق الوزراء لعظمته، وكانوا يصدرون عن رأيه، (طبقات السبكى ج ۲ ص ۸۵ ج ۸۶) .

عمدوا إلى شیخ لهم ألّف کتاباً فی ذم الکلام فالقبوه به(۱).

ولم یکن یخلو الحال من شخصیات مضحکه بین المعلمین کالتی نجدها فی المجلات الهزلیه فقد کان بین المبرّد و ثعلب منافراتٌ کثیره، والناس یختلفون فی تفضیل کل واحد منهما علی صاحبه، و کان یسعی بینهما السعاه، و ینقلون لأحدهما هجاء الآخر؛ و کانا یتناظران(۲).

ویحکی أن قتاده السدوسی قال مره : ما نسیت شیئا قط؛ ثم قال : یا غلام! ناولنی نعلی، قال : نعلک فی رجلک(۳).

وکان ابن خالویه اللغوی عالما غلیظا، فیحکی أنه وقع بینه و بین المتنبی کلامٌ فی مجلس سیف الدوله، فوثب ابن خالویه علی المتنبی و ضرب وجهه بمفتاح کان معه؛ فخرج المتنبی و دمه یسیل علی ثیابه(۴) ،و کان نفطویه مشهوراً بعلمه کما کان مشهوراً بالقذاره و الصنان و نتن الرائحه؛ وقد أثرت فی عقل الجوهری صاحب المعجم المشهور (المتوفی عام ۳۹۰ه ۱۰۰۰ م) کثرهُ عمله.

فقد صنّف کتاب الصحاح فی اللغه حتی وصل إلی باب الضاد؛ ثم اعترته وسوسهٌ فانتقل إلی الجامع القدیم بنیسابور، فصعد إلی سطحه، و قال : أیها الناس! إنی عملت فی الدنیا شیئا لم أسبق إلیه؛ فسأعمل للآخره شیئا لم أسبق إلیه، و ضمّ إلی جنبیه مِصراعَی باب و تأبّطهما بحبل، و صعد مکاناً عالیا من الجامع و زعم أنه یطیر، فوقع فمات.

۱- طبقات السبکی ج ۳ ص ۴۷، ۱۱۷ .

۲- الإرشاد ج ۲ ص ۱۴۹ .

۳- نفس المصدر ج ۶ ص ۲۰۲ .

۴- ابن خلکان (الوفیات) طبعه ثستنفلد ج ۱ ص ۶۵ .

تعلیقات الفصل الثانی عشر

[*۱] هو العزیز بالله أبو منصور نزار بن المعز معد بن المنصور اسماعیل بن القائم بالله محمد بن المهدی العبیدی الباطنی صاحب مصر والشام، ولی الأمر بعد أبیه، و کان شجاعاً جواداً حلیماً، حسن الخلق، قریباً من الناس لا یحب سفک الدماء، له أب و شعر(۱)

[*۲] ذکر فی الکامل انه کان استعمل علی الموصل(۲)

[*۳] فی الکامل ان فی هذه السنه (۳۵۷) عصی حبشی بن معز الدوله علی أخیه بختیار إلی فظفروا به وأخذوه أسیراً و حبسوه برامهرمز و ذکر ما فی المتن.(۳)

[*۴] هو عبدالرحمن (۴) بن محمد بن فطیس الأندلسی القرطبی صاحب التصانیف الطنانه. منها کتاب أسباب النزول فی مائه جزء و کتاب فضائل الصحابه والتابعین فی ۲۵۰ جزءاً و کان من جهابذه الحفاظ والمحدثین. قال فی الشذرات و کان یملی من حفظه و قیل ان کتبه بیعت بأربعین ألف دینار قاسمیه أرخ وفاته لسنه ۴۰۲.

[*۵] هو الحافظ الکبیر الثقه أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمی الفقیه الشافعی البرقانی بالفتح نسبه إلی برقان قریه بخوارزم، الی، قال الخطیب کان ثبتاً ورعاً

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۲۱. ذکر وفاته فی الشذرات سنه ۳۸۶ کالکامل و قال فیه کان یحب العفو ویستعمله، الکامل ج ۲۰ ص ۵۱۴-۵۱۵.

۲- الکامل فی التاریخ ج ۹ ص ۸۸.

۳- الکامل فی التاریخ ج ۱۰ ص ۳۵۲-۳۵۳.

۴- شذرات الذهب ج ۳ ص ۱۶۳.

لم یرفی شیوخنا اثبت منه عارفاً بالفقه کثیر التصنیف ذا حظ من علم العربیه. صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل علیه الصحیحان أرخ وفاته لسنه ۴۲۵ (۱) و فی الوافی ضمنه ما اشتمل علیه صحیح البخاری و جمیع حدیث الثوری و شبعه و آخرین لم یقطع التصنیف حتی مات سنه ۴۲۵.(۲)

[*۶] ذکره فی الشذرات بعنوان أبی یوسف القزوینی عبدالسلام بن محمد بن یوسف بن بندار، شیخ المعتزله صاحب التفسیر الکبیر الذی هو أزید من ثلثمائه مجلد. درس الکلام علی القاضی عبدالجبار بالری، إلی، وکان صاحب کتب کثیره و ذکاء مفرط و تبحر فی المعارف و اطلاع کثیر الا انه کان داعیه إلی الاعتزال. مات فی ذی القعده وله خمس و تسعون سنه و أشهر(۳)

[*۷] هو أبو علی الحسن بن علی بن اسحاق الطوسی قوام الدین. کان من جله الوزراء.

ذکره السمعانی. فقال کعبه المجد و منبع الجود و کان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء، إلی أتاه شاب صوفی الشکل من الباطنیه لیله عاشر رمضان فناولهقصه، ثم ضربه بسکین فی صدره. فقضی علیه. فیقال ان ملکشاه دس علیه هذا، والله أعلم، و أطال فی ترجمته و ترحم علیه فی الشذرات، و وصفه بانه من حسنات الدهر، و أرخ وفاته لسنه ۴۸۵ (۴) و ترجم له فی الروضات (۵). و ذکر ما فی الشذرات مما لا حاجه إلی نقله و عبر عن القاتل بصبی دیلمی علی هیئه الصوفیه معه قصته.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۲۸.

۲- الوافی بالوفیات ج۷ ص ۳۳۱.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۸۵.

۴- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۷۳.

۵- روضات الجنات ج۳ ص۸۷-۸۹.

[*۸] هو أبو حـاتم محمـد بن حبـان بن أحمـد بن حبـان بن معاذ التميمى البستى الشافعى صاحب الصـحيح كان حافظاً ثبتاً اماماً حجه، أحد أو عيه العلم، صاحب التصانيف، الى، ولى قضاء سـمرقند، ثم قضاء نساء، الى، و أكثر نقاد الحديث على ان صـحيحه أصح من سنن ابن ماجه(۱).

[*۹] فى الشـذرات هو وزير بهاء الدوله ابتاع داراً فى الكرخ بين السورين و عمرها و سـماها دارالعلم عن شذور العقود ووقفها و نقل اليه كتباً كثيره، و رد النظر فى أمرها إلى أبى الحسين بن السنيه، و أبى عبدالله الضبى القاضى(۲).

[*۱۰] سبق الحكايه اللطيفه الراجعه إلى المقام.

[*۱۱] علق فى ذيل الكامل (۳) لابن الأثير الشـيخ عبدالوهاب النجار المدرس فى الازهر (سنه ۱۳۵۳ طبع الكامل لأول مره) طى حوادث سنه ۳۶۵.

و أقام بتـدبير مملكه ولده العزيز جوهر القائد بانى القاهره و صاحب جامع الازهر الموجود الآن الذى هو كعبه المشـرق فى العلم يؤمها من جميع اجناس البشر الاسلاميه و اقطارها.

اقول: لا يخفى ما فى كلامه من المبالغه. و لهذا المعلق تهمه إلى القاضـى نعمان المصـرى (صاحب دعائم الاسلام) بتأليف كتب تدل على انسلاخه من الدين. نعوذ بالله من هذه التهم و من طغيان القلم.

[*۱۲] الحافظ المتقن (۴)، الأديب، أبوبكر، أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۶.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۰۴.

۳- الكامل لابن الاثير ج۷ ص۶۹ والنسبه ص ۵۸-۵۹.

۴- روضات الجنات ج۱ ص ۲۸۴-۲۸۵.

البغداد الشافعی الأشعری، کان من الحفاظ المشاهر والفضلاء النحاریر، اسند الیه قریب من مأه مصنف مضبوط و مؤلف مسبوط و غیر مسبوط. و ذکر بعضهم أن فضله أشهر من أن یوسف إلا ان السید رضی الدین بن طاووس من أجله علمائنا نسب إلیه المظاهره بعداوه أهل بیت النبوه علیهم السلام. عد من مؤلفاته کتاب الکفایه فی قوانین الروایه و کتاب الجامع لآداب الشیخ والسامع و کتباً جمه فی فنون الحدیث بحیث قد نقل عن بعض المواضع. انه قل فن من تلک الفنون لم یکن صنف الخطیب المذکور فیه کتاباً مفرداً. ولد سنه ۳۹۲ و توفی سابع ذی الحجه سنه ۴۶۳ ببغداد، و فی الشذرات (۱) فی ولادته و وفاته مثل ما ذکرنا، و ذکر عن ابن ماکولا، انه کان أحد الأعیان ممن شاهدناه معرفه و حفظاً و اثباتاً و ضبطاً لحدیث رسول الله صلی الله علیه و آله و تفنناً ی علله و أسانیده و عملاً بصحیحه و غریبه و فرده و منکره. قال و لم یکن للبغداد بین بعد الدار قطنی مثله. و عن المسعانی کان مهیباً و قوراً، ثقه، متحریاً حجه، إلی. و قال غیره و کان یتلو فی کل یوم ولیله ختمه. و عن ابن الاهدل کان الخطیب قد أوصی أن یدفن الی جانب بشر الحافی الخ.

[*۱۳] عن الصادق علیه السلام (۲) ماء زمزم شفاء لما شرب له، و عنه عن (۳) ابیه علیهماالسلام، قال کان النبی صلی الله علیه و آله یستهدی من ماء زمزم و هو بالمدینه.

[*۱۴] یدلنا هذا من الخطیب علی قصر علمه عن ادراک مقام الأئمه علیهم السلام کعلی بن ابیطالب والحسین بن علی و موسی الکاظم و حفیده محمد الجواد علیهم السلام حتی یأمل الدفن عند قبر أحدهم أو فی حرم الله أو حرم النبی صلی الله علیه و آله فانظر و تعجب.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۱۱-۳۱۲.

۲- وسائل الشیعه ۹ الباب ۲۰ من ابواب مقدمات الطواف ج۲.

۳- وسائل الشیعه ۹ الباب ۲۰ من ابواب مقدمات الطواف ج۱.

ثم بشر هذا کان (۱) اصله مروزیاً و سکن بغداد، و کان مولده به، و کان من اولاد الرؤساء والکتاب، و نقل فی سبب توبته انه اصاب فی الطریق قطعه کان فیها مکتوب بسم الله الرحمن الرحیم، و قد وطأتها الاقدام، فاخذها الی، فلما اصبح تاب.

لکن الاصح ما عن العلامه قدس سره فی منهاج الکرامه، ان توبته کانت علی یدی الامام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام، واشتبه الامر علی الشهید الثانی طاب رمسه، فذکر توبته فیما نقل عنه علی یدی الامام زین العابدین علیه السلام، توفی ببغداد یوم عاشوراء المحرم سنه ۲۲۶ عن ست و سبعین سنه، و ذکر القاضی (۲) نور الله نورّ الله مضجعه انه توفی بشوشتر و قبره فی قصبه (دلگشای) یزار، و من اسباطه (۳) الشیخ ابونصر عبدالکریم بن محمد الهارونی الدیباجی المعروف بسبط بشر الحافی و کان من علماء الامامیه.

[*۱۵] هو داود الظاهری له مذهب مستقل، و مداره کما استظهره الروضات (۴) علی اتباع ظواهر المتشابهات القرآنیه و الحدیثیه التی تنافی ضروریات الدین بظواهرها من غیر رد حقیقه الامر إلی الله أو الرسول أو اولی الامر، و احتمل أن یراد به ما یعطی معنی الاخباریه، کما أمکن عنده اراده تجویز الخطاب بماله ظاهر و اراده خلافه .. و أرّخ وفاته فی الشذرات (۵) لسنه ۲۷۰ و عنونه بداود بن علی الامام أبو سلیمان الاصبهانی ثم البغداد، الفقیه الظاهری، و قال تفقه علی أبی ثور و ابن راهویه، و کان ناسکاً زاهداً، و عن ابن ناصر الدین تکلم أبو الفتح الأزدی و غیره فیه و منعه أحمد بن حنبل من

۱- روضات الجنات ج۲ ص ۱۲۹-۱۳۴.

۲- مجالس المؤمنین ج۲ ص ۱۲-۱۴.

۳- روضات الجنات ج۲ ص ۱۳۴.

۴- روضات الجنات ج۳ ص ۳۰۳-۳۰۲.

۵- شذرات الذهب ج۲ ص ۱۵۸-۱۵۹.

الدخول علیه، لقوله المعروف فی القرآن، و ذکر عن أبی العباس ثعلب، انه کان عقل داود أکبر من علمه.

[*۱۶] هو الشیخ (۱) أبو حامد اسفرائنی، أحمد بن أبی طاهر، محمد بن أحمد، الفقیه شیخ العراق و امام الشافعیه و من الیه انتهت ریاسه المذهب، قال و کان یحضر درسه سبعمأه فقیه و عن ابن شهبه، قال سلیم، و أفتی و هو ابن سبع عشره سنه، و شرح المختصر فی تعلیقته التی هی فی خمسین مجلداً، ذکر فیها خلاف العلماء و أقوالهم و مآخذهم و مناظراتهم حتی کان یقال له الشافعی.

[*۱۷] یحکی عن محضر علماء الشیعه کالشیخ الطوسی و شریف العلماء و المجلسی قدس الله اسرارهم أزید من هذا، فکان (۲) فضلاء تلامذه الاول الذین کانوا من المجتهدین یزیدون علی ۳۰۰/ فاضل من الخاصه، و من العامه مالا یحصی، و فی موضع آخر، له من (۳) التلامیذ و رجال الحوزه و طلاب الحضره والآخذین من برکات ذلک النفس، إلی وحضره جماعه فوق کثیر من الجماعات الخ و فی الثالث و هو العلامه المجلسی.

یقول السید الجزائری قدس سره (۴) انه (أی العلامه المجلسی) خصنی من بین تلامذته مع انهم کانوا یزیدون علی الألف. و عن صاحب الریاض (۵) انهم بلغوا إلی ألف نفس.

کما یذکر المؤلف عن صاحب بن عباد ص ۳۱۷ و نشاهد و شاهدنا فی عصرنا.

المشارکین فی حلقات تدریس الاساتذه الفقهاء و الاصولیین الجهابذ و ربما یتجاوز عددهم

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۷۸.

۲- روضات الجنات ج۶ ص۲۱۹.

۳- روضات الجنات ج ۶ ص ۲۲۷.

۴- اجازات البحار ج ۱۰۵ ص ۱۰۳-۱۱۲-۱۳.

۵- اجازات البحار ج ۱۰۵ ص ۱۲-۱۳.

الالف.

و یحضر تحت (۱) منبر الثانی الف من المشتغلین و فیهم المآت من العلماء الفاضلین.

[*۱۸] یحتمل قویاً أن یکون من عنونه فی الشذرات (۲) بقوله شیخنا و استادنا أبو الطیب الطبری قال، توفی عن مائه و سنتین و لم یختل عقله و لا تغیر فهمه یفتی مع الفقهاء و یستدرک علیهم الخطأ، و یقضی و یشهد المواکب، إلی، ثم ارتحل إلی نیسابور و أدرک أباالحسن الماسرجی و صحبه أربع سنین، ثم ارتحل إلی البغداد، الی و لم ار ممن رأیت أکمل اجتهاداً و أشد تحقیقاً و أجود نظراً منه. و ذکر عن الخطیب البغدادی، کان أبو الطیب ورعاً عارفاً بالاصول و الفروع محققاً حسن الخلق صحیح المذهب أرخ وفاته لسنه ۴۵۰ و یأتی فی أبی سهل الصعلوکی ما ینفع.

[*۱۹] هو اما الحرمین أبو المعالی الجوینی عبدالملک بن أبی محمد، عبدالله بن یوسف الفقیه الشافعی، ضیاء الدین أحد الأئمه الأعلام، قال فی الشذرات، و لما ظهر التعصب بین الأشعریه و المبتدعه خرج مع المشایخ إلی بغداد فلقی الأکابر و ناظر فظهرت فطنته و شاع ذکره، ثم خرج إلی مکه فجاور بها أربع سنین ینشر العلم، و لهذا قیل له امام الحرمین، ثم رجع بعد مضی نوبه التعصب إلی نیسابور فی ولایه الب أرسلان السلجوقی ثم قدم بغداد، الی، و کان یقعد یدیه کل یوم ثلثمائه رجل من الطلبه والأئمه و أولاد الصدور الی أن ذکر ما لا أصل له و هو مثار التعجب. قال و روی ان والده فی ابتداء أمره کان ینسخ بالاجره حتی اجتمع له شیء، فاشتری به جاریه صالحه، و وطئها، فلما وضعت امام الحرمین، أوصاها أن لا ترضعه من غیرها، فأرجعته یوماً جاره لهم،

۱- سفینه البحار ج۱ ص ۶۹۶.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۸۴.

فاجتهد الشیخ فی تقییئها حتی تقایاها و کان ربما لحقته فتره بعد امامته، فیقول لعل هذه من بقایا تلک الرضعه(۱)

[*۲۰] ارخ وفاته فی الشذرات (۲) سنه ثلثمائه و عشر ووصفه بالحبر الامام أبی جعفر الطبری صاحب التفسیر و التاریخ والمصنفات الکثیره. قال و کان مجتهداً لا یقلد أحدا قاله فی عبر، وعن خزیمه ما أعلم علی الأرض اعلم من محمد بن جریر، عن أبی حامد الاسفرائنی الفقیه لو سافر رجل الی الصین حتی یحصل تفسیر محمد بن حریر لم یکن کثیراً. و کذلک اثنی ابن تیمیه علی تفسیره للغایه، و عن الخطیب: و کانت الأئمه تحکم بقوله و ترجع الی رأیه لمعرفته و فضله، جمع من العلوم ما لم یشارکه فیه أحد من أهل عصره.

وفی الروضات (۳) عنونه عن ابن خلکان بالمورخ الخبیر و المحدث البصیر صاحب التفسیر الکبیر والتاریخ الشهیر الفاقد النظیر، کان اماماً فی فنون کثیره، قال، و کان من الأئمه المجتهدین و لم یقلد أحداً، و کان ثقه فی نقله، و تاریخه أصح التواریخ و أبلغتها، ارخ وفاته سنه ۳۱۰ ببغداد، و ظن صاحب الروضات کونه شیعیاً لامور ثلاثه، لکن المرحوم العلامه العسکری أبان فی کتابه (خمسون و مائه صحابی مختلق) الستر عن وضع سیف بن عمر أحد رواه تاریخ الطبری قصصاً و کرامات أصحاباً لرسول الله صلی الله علیه و آله و أخذ عنه المتأخرون، و بذلک أصبح تاریخه و تاریخ من أخذ عنه لا اعتماد علیه.

[*۲۱] هو أبو علی (۴) محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حران بن ابان مولی

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۵۸-۳۶۰.

۲- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۶۰.

۳- روضات الجنات ج۷ ص ۲۹۲-۲۹۵.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۴۱، روضات الجنات ج۷ ص ۲۸۶-۲۸۷-۲۹۱-۲۹۲.

عثمان بن عفان، نسبه إلی الجبایه بضم الجیم و تشدید الباء قریه من قری البصره، و اخذ عنه الشیخ ابوالحسن الاشعری، و ولده ابوهاشم عبدالسلام، کانا من کبار المعتزله ولأبی علی مناظره مع أبی الحسن الأشعری فی ثلاثه اخوه، توفی الجبائی سنه ۳۰۳ و ابنه سنه ۳۲۱.

[*۲۲] هو (۱) الشیخ الأدیب الماهر اسماعیل بن القاسم بن عیدون بن هرون بن عیسی بن محمد بن سلمان، مولی الخلیفه عبدالملک بن مروان، أبو علی اللغوی البغدادی المعروف بالقالی نسبه إلی قالی قلا- من أعمال ارمنیه التی هی من بلاد دیار بکر، کان أعلم الناس بنحو البصریین، واحفظ أهل اللغه و أرواهم للشعر الجاهلی واحفظهم له، و عد عده مصنفات له، و أرخ وفاته بقرطبه سنه ۳۵۶، و ترجم له فی الشذرات (۲) ترجمه مختصره و وصفه باللغوی النحوی الأخباری صاحب التصانیف، و ذکر انه ألف کتاب البارع فی اللغه فی خمسه آلاف و رقه، لکن لم یتمه عن ابن خلکان، کما أرخ وفاته سنه ۳۵۶.

[*۲۳] هو أبو عمر الزاهد (۳) صاحب ثعلب، اسمه محمد بن عبدالواحد المطرز البغدادی اللغوی، قیل انه املی ثلاثین ألف و رقه فی اللغه من حفظه، و کان ثقه اماماً آیه فی الحفظ والذکاء، و ذکر عن ابن الاهدل ان مصنفاته تزید علی العشرین، و فی الروضات (۴) وصفه بالبارع المتقدم فی فنون العربیه والأدب و بغلام ثعلب، و ذکر عن القاضی التنوخی فیما نقل عنه، لم أر قطط أحفظ منه، املی من حفظه ثلاثین ألف ورقه، و لسعه

۱- روضات الجنات ج۲ ص ۱۷-۱۹.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۸.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۷۰-۳۷۱.

۴- روضات الجنات ج۷ ص ۳۳۰-۳۳۱.

حفظه نسب إلی الکذب، و قال ابن برهان، لم یتکلم فی العربیه أحد من الأولین والآخرین اعلم منه، و عن الخطیب الغدادی کان أهل اللغه یطعنون علیه و یقولون لو طار طائر فی الجو، قال حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابی، و یذکر فی ذلک سبباً، و أما أهل الحدیث فیصدقونه و یوثقونه الی، و کان الاشراف والکتاب یحضرون عنده لیسمعوا منه، فجمع جزءاً فی فضل معاویه فکان لا یدع أحداً یقرأ علیه شیئاً حتی یبتدأ بقرائه ذلک الجزء.

[*۲۴] هوالحافظ الحکیم ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدویه و فی الشذرات (۱) (حمدون) بن نعیم الضبی الطهمانی المعروف بالحاکم النیسابوری والملقب بابن البیع •علی وزن القیم) امام اهل الحدیث فی عصره، سمع الحدیث من جماعه لا یحصون کثره، و معجم شیوخه یقرب من الفی رجل، صنف فی علومه ما یبلغ ۱۵۰۰/ جزء، تقلد قضاء نیسابور ۳۵۹ کانوا ینفذونه فی الرسائل إلی ملوک بنی بویه.

و قال فی الوافی (۲) نقلاً عن یاقوت، قال محمد بن طاهر المقدسی سألت الامام أبا اسماعیل عبدالله بن محمد الأنصاری بهراه عن أبی عبدالله الحاکم النیسابوری، فقال: ثقه فی الحدیث رافضی خبیث، و کان الحاکم رحمه الله شدید التعصب للشیعه فی الباطن، و یظهر التسنن فی التقدیم و الخلافه، و کان منحرفاً عن معاویه غالیاً فیه و فی أهل بیته، یتظاهر به لا یعتذر منه، و ذکر فی الوافی امتناعه من املاء حدیث فی فضل معاویه حیث کسر منبره و منعوه من الخروج، فعرض علیه الاستراحه من المحنه بذلک، فقال لا یجیء من قلبی ثلاث مرات، و قال فی تأسیس الشیعه (۳) نقلاً عن کشف الظنون (۴) ما نصه، معرفه

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۷۶.

۲- الوافی بالوفیات ج۳ ص ۳۲۰-۳۲۱.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۲۹۴.

۴- کشف الظنون ج۲ ص ۱۲۹ طبع الآستانه.

علوم الحدیث، أول من تصدی له الحاکم أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ النیسابوری الی، و هو خمسه أجزاء مشتمله علی خمسین نوعاً، و تبعه فی ذلک ابن الصلاح فذکر من أنواع الحدیث ۶۵ نوعاً، ثم نقل السید الصدر عن ابن تیمیه فی منهاج السنه، و حینئذ فقد وهم حافظ الشام الجلال السیوطی فی عده أول من رتب أنواعه و نوع الأنواع المشهوره الآن، هو ابن الصلاح إلی آخر کلامه، ثم ان السید الصدر ذکر تشیع الحاکم عن السمعانی و ابن تیمیه والحافظ الذهبی، ولادته ۳۲۱ وفاته ۴۰۵ و فی الروضات (۱) عن الخلیلی فی الارشاد وفاته ۴۰۳، و عنونه فی الشذرات (۲) وقال عن العبر انتهت إلیه ریاسه الفن بخراسان، لا بل بالدنیا، و کان فیه تشیع و حط علی معاویه، و هو ثقه، و ذکر عن الخطیب کان ثقه و کان یمیل الی التشیع و عن الذهبی هو معظم للشیخین بیقین ولذی النورین، و انما تکلم فی معاویه فاوذی و عنه بانسبه إلی کتابه (المستدرک) جمله وافره علی شرطهما و جمله و افره علی شرط أحدهما، لکن مجموع ذلک نصف الکتاب و فیه نحو الربع مما صحح سنده، و فقیه بعض الشیء معلل، و ما بقی و هو الربع مناکیر و واهیا لا تصح.

[*۲۵] الاستاد (۳) ابوبکر محمد بن الحسن بن فورک المتکلم الاصولی الادیب النحوی الواعظ الاصبهانی، عد من المجددین (۴) من المتکلمین علی رأس المأه ارابعه، و عن ابن خلکان أقام بالعراق مده یدرس العلم، ثم توجه الی الری، و ورد نیسابور لما التمس

۱- روضات الجنات ج۷ ص ۳۴۳.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۸۱-۱۸۲.

۳- روضات الجنات ج۷ ص ۳۳۵. شذرات الذهب ج۳ ص ۱۷۶-۱۷۷.

۴- روضات الجنات ج ۶ ص ۱۱۰، و فیات الاعیان ج۲ ص ۵۶-۵۷.

منه اهلها التوجه اليهم، و بلغت هناك مصنفاته فی اصول الفقيه والدين و معانی القرآن قريباً من ۱۰۰ مصنف مات فی طريق رجوعه من غزنه إلی نيشابور بالسم سنه ۴۰۶.

و نقل إلی نيشابور و دفن بالحيره (محله بنيشابور) و مشهده بها يزار و يستسقی به وتجاب الدعوه عنده، و سبطه (۱) أحمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم ابوبكر ذكره فی الوافی و انه ختن أبی القاسم القشيری علی ابنته توفی سنه ۴۷۸ و كان مؤثراً للدنيا طالباً للجاه، و قيل كان داعيه إلی بدعه، يأخذ مكس الفحم من الحدادين فيأكل منه.

[*۲۶] هو احمد (۲) بن محمد بن عبيدالله (مصغراً) ابن محمد بن جعفر بن احمد بن موسی ابوبكر البستی، من كبار ائمه نيشابور و اولی الرياسه والحشمه، حدث عن الدار قطنی من كتاب فقهاء اصحاب الشافعی والمدرسين المناظرين بنيسابور، و كانت له المروءه الظاهره والثروه الوافره، بنی لأهل العلم مدرسه علی باب داره و وقف عليها جمله من ماله توفی سنه ۴۲۹.

[*۲۷] تقدمت ترجمته فی هذا الفصل.

[*۲۸] ذكر فی الشذرات (۳) أبا الطيب الصعلوكی، سهل بن الامام أبی سهل محمد بن سليمان العجلی النيسابوری الشافعی مفتی خراسان و مجدد القرن الرابع علی قول، روی عن الاصم و جماعه، قال الحاكم هو انظر من رأينا، و قال ابن خلكان أبو الطيب المذكور مفتی نيسابور وابن مفتيها، أخذ الفقه عن أبيه أبی سهل الصعلوكی و كان فی وقته يقال له الامام و هو متفق عليه عديم المثل فی علمه و ديانته، و قال: كان فقيهاً آدبياً متكلماً، قال قيل، انه وضع له فی المجلس أكثر من خمسمأه محبره و جمع له رياسه

۱- الوافی بالوفيات ج۶ ص ۳۰۸.

۲- طبقات الشافعيه ج۴ ص ۸۰للبسكی.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۷۲.

الدنیا و الآخره.

و فی الشذرات فیها (۱) سنه ۳۶۹ (أی توفی) الامام أبو سهل محمد بن سلیمان العجلی الصعلوکی النیسابوری الحنفی نسباً والشافعی مذهباً، الفقیه شیخ الشافعیه بخراسان، و ذکر عن الحاکم عنه (ووصفه بالصعلوکی الشافعی اللغوی المفسر النحوی المتکلم المفتی الصوفی) خیر زمانه و بقیه أقرانه و عن بعضهم عنه أخذ ابنه أبو الطیب و فقهاء نیسابور و نقل من غرائبه وجوب النیه لازاله النجاسه و ان من نوی غسل الجنابه والجماعه لا یجزئه لواحد منهما.

و فی الروضات (۲) تعرض لذکر المترجم فی ترجمه سهل بن أحمد الاغیانی و ذکر بعض ما فی الشذرات و أرخ وفاته سنه ۳۸۷.

[*۲۹] ابوالحسن المعتزلی البغدادی، أحد مشایخ السید (۳) الرضی قدس سره له کتاب المغنی و أکثر النقل عنه ابن أبی الحدید (۴) فی شرح نهج البلاغه.

ورد علیه السید المرتضی فی کتابه المعروف (بالشافی) لا سیما فی ما یتعلق بمطاعن الخلفاء الثلاثه و بموضوع فدک.

و فی الشذرات (۵) القاضی عبدالجبار بن أحمد أبو الحسن الهمذانی الاستر ابادی المعتزلی صاحب التصانیف، عمر دهراً فی غیر السنه و ذکر عن طبقات ابن شبهه انه قاضی الری

۱- شذرات الذهب ج۶ ص ۶۹-۷۰.

۲- روضات الجنات ج۴ ص ۹۶-۹۷.

۳- روضات الجنات ج ۵ ص ۱۸-۱۹، الغدیر ج۴ ص ۱۸۴.

۴- شرح النهج الحدیدی ج ۲ ص ۳۲۴ إلی ۳۳۳، ج ۳ ص ۳ إلی ۶۹، ج۱۲ ص ۱۹۵ إلی ۲۸۹، ج ۱۶ ص ۲۳۷-۲۸۶، ج ۱۷ ص ۱۵۵ إلی۲۲۵.

۵- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۰۲-۲۰۳.

و أعمالها و كان شافعى المذهب و هو مع ذلك شيخ الاعتزال، و له المصنفات الكثيره فى طريقهم و فى اصول الفقه، و عن ابن كثير فى طبقاته، من أجل مصنفاته و أعظمها كتاب دلائل النبويه فى مجلدين، أبان فيه عن علم و بصيره جيده، إلى، مات فى ذى العقده سنه ۴۱۵.

[*۳۰] هو (۱) على بن عمر بن احمد ابن مهدى البغدادى الدار قطنى.

و دار القطن محله كبيره ببغداد.

كان عالماً فاضلاً حافظاً فقيها على مذهب الامام الشافعى، و كان يحفظ كثيراً من دواوين العرب منها: ديوان السيد الحميرى فنسب إلى التشيع لذلك.

توفى فى ذى الحجه ۳۸۵ و كانت ولادته ۳۰۶. و فى الشذرات(۲). الامام الحافظ الكبير شيخ الاسلام إليه النهايه، فى معرفه الحديث و علومه و كان يدعى فيه أمير المؤمنين، و عن العبر، الحافظ المشهور صاحب التصانيف، وعن الحاكم صار أوحد عصره فى الحفظ والفهم والورع، اماماً فى القراءات و النحو، و قال الخطيب كان فريد عصره و قريع دهره و نسيج وحده و امام وقته، و ذكر عن أبى ذر الهروى: قلت للحاكم: هل رأيت مثل الدار قطنى؟ فقال: هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا، و قال القاضى أبو الطيب الطبرى: الدار قطنى أميرالمؤمنين فى الحديث، نقل فى الشذرات عن ابن قاضى شهبه، عن الحاكم أشهد انه لم يخلف على اديم الأرض مثله.

توفى ببغداد و دفع قريباً من معروف الكرخى، قال ابن ماكولا: رأيت فى المنام كأنى أسأل عن الدار قطنى فى الآخره فقيل لى: ذلك يدعى فى الجنه بالامام.

۱- روضات الجنات ج ۵ ص ۲۳۳-۲۳۲.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۱۶.

أقول: انظر إلی هذه الترهات و تعجب من حماقه القوم فی غلوهم.

[*۳۱] هو ابوالحسن (۱) الباهلی البصری المتکلم الاشعری.

اخذ عن الاشعری علم النظر و برع و تقدم فی الدین و تعبد.

قال ابن الباقلانی کنت انا والاستاد ابواسحاق الاسفرائنی والاستاد ابن فورک معاً فی درس ابی الحسن الباهلی و کان یدرس لنا فی کل جمعه مره، و کان من شده اشتغاله بالله مثل الواله المجنون. توفی حدود سنه ۳۷۰.

عن فخر الدین(۲) الرازی ان الاستاد ابا اسحق الاسفرائنی اشتغل فی علم الاصول علی الشیخ ابی الحسین الباهلی و هو علی ابی الحسن علی بن اسماعیل الاشعری و هو علی ابی علی الجبائی.

ولأبی اسحاق (۳) هذا حکایه معل القاضی عبدالجبار فی بیت الصاحب بن عباد.

لما رآه القاضی هناک، قال تعریضاً علیه: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال ابواسحق فی جوابه بدیهه، سبحان من لا یجری فی ملکه إلا ما یشاء ٠و کان القاضی معتزلیاً و ابو اسحق اشعریاً).

[*۳۲] ابوالفضل (۴) عیاض بن موسی بن عیاض الیحصبی السبتی المغربی الاندلسی، صاحب کتاب الشفاء فی حقوق المصطفی و کتب اخر، مولده بمدینه سبته من أرض المغرب ۴۷۶ و توفی بمراکش ۵۴۴ و من عجیب ما عنه فی کتابه الشفاء

۱- الوافی بالوفیات ج ۱۲ ص ۳۱۲.

۲- روضات الجنات ج۸ ص ۴۲.

۳- روضات ج۱ ص ۱۶۷، شرح القوشحی للتجرید ص ۳۴۰.

۴- روضات ج ۵ ص ۳۳۶-۳۳۷.

قوله، وحکی (۱) ان جهجاهاً الغفاری اخذ قضیب النبی صلی الله علیه و آله من ید عثمان و تناوله لیکسره علی رکبته فصاح به الناس، فاخذته الاکله فقطعها و مات قبل الحول. قال فی الروضات (۲)، و نعم ما قال: فانظروا ما ذا ینسبون إلی أسلاف هذه الامه من أعظام خشبه کانت بید رسول الله صلی الله علیه و آله یوماً من الأیام ثم یسمعون (ما فعلته امیتهم) المعلون مع ألاد هذا الرسول و من کان بمنزله نفسه و قلبه و مهجته و لا یتبرؤن منهم بل یلغون کل من یلغنهم و یظهرون البرائه منهم، یبیحون قتل هؤلاء الأولیاء الأصفیاء دون اولئک الأشقیاء الأدعیاء فاعتبروا یا اولی الأبصار.

[*۳۳] البخاری (۳) هو شیخ الاسلام و المسلمین عند اهل السنه، ابو عبدالله محمد بن ابی الحسن اسماعیل بن ابراهیم ابن المغیره بن الاحنف، صاحب کتاب الصحیح أحد الصحاح الست أو السبع، و عنه ما وضعت فی کتاب الصحیح حدیثاً إلا اغتسلت وصلیت رکعتین.

خرجته من ستمأه الف حدیث.

کانت ولادته ۱۹۴ و مات /۲۵۶.

و عنالذهبی فی میزان الاعتدال ان البخاری لم یحتج بجعفر بن محمد الصادق علیه السلام، لکنه یروی عن عمران بن حطان الخارجی، بل عن الحاکم النیسابوری (صح عندالعلماء انه روی عن الف و مأتی رجل من الخوارج الملعونین).

والحدیث: هو ما نقله (۴) مسنداً عن محمود بن الربیع، قال عقلت من النبی صلی الله علیه و آله مجه مجها

۱- روضات الجنات ج۵ ص۳۳۸.

۲- روضات الجنات ج ۵ ص۳۳۸.

۳- روضات الجنات ج ۷ ص ۲۷۸ إلی ۲۸۰.

۴- صحیح البخاری ج۱ ص ۲۹ طبعه مطابع الشعب ۱۲۷۸.

فی وحهی و انـا ابن خمس سـنین من دلو، و یحتمل کونه الـذی قبله و هو (۱) مسـند إلی ابن عبـاس قال اقبلت راکباً علی حمار اتان و انا یومئذ قد ناهزت الاحتلام و رسول الله صـلی الله علیه و آله یصـلی بمنی الی غیر جدار، فمررت بین یدی بعض الصـف والرسلت الاتان ترتع، فدخلت فی الصف فلم ینکر ذلک علی.

[*۳۴] هو ابو زکریـا (۲) یحیی بن شـرف بن مری النواوی الشـامی، کـان من افاضـل الفقهـاء واللغویین له کـتب کـثیره فی اللغه والفقه و غیرهما.

و فی الشذرات (۳) ارخ وفاته لسـنه ۶۷۶، ووصـفه بالفقیه الشافعی الحافظ الزاهـد أحد الأعلام ولد فی محرم ۶۳۱ و قرء القرآن ببلده، و قدم دمش بعد ۱۹ من عمره، قال و بقیت أکثر من شهرین أو أقل لما قرأت (و یجب الغسل من ایلاج الحشفه فی الفرج) اعتقـد ان ذلـک قرقره البطن، و کنت اسـتحم بالمـاء البـارد کلمـا قرقر بطنی، و نقل عنه انه کان یقرء فی کل یوم ۱۲ درساً علی المشایخ.

[*۳۵] هو أبو عبدالله (۴) محمد بن أبی نصـر (محمد بن نصر. الشذرات) بن فتوح بن عبدالله بن حمید (بضم الحاء و فتح المیم) ابن بصل (بطل. الشذرات) الأزدی. الحمیدی (بالضم نسبه إلی جده حمید) الأندلسی المیورقی أصله من قرطبه. أرخ ولادته قبل ۴۲۰ و توفی ببغداد سنه ۴۸۸. و نقل بعده سنه ۴۹۱ الی قصره باب حرب، و دفن عند قبر بشر الحافی. و فی الشذرات (۵) و صفه بالحافظ الحجه العلامه مؤلف الجمع بین

۱- صحیح البخاری ج۱ ص ۲۹ مطابع الشعب ۱۲۸۷.

۲- روضات الجنات ج۵ ص ۲۱۵-۲۱۶.

۳- شذرات الذهب ج۵ ص ۳۵۴-۳۵۵.

۴- وفیات الأعیان ج۲ ص ۶۰-۶۱.

۵- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۹۲.

الصحیحین، وعده أحد أوعیه العلم ظاهری المذهب وعده حجه ثقه.

[*۳۶] هو أبو علی(۱) المحسن بن علی بن محمد بن واود بن ابراهیم بن تمیم الأدیب الاخباری صاحب التصانیف، و عن الثعالبی ذکره و أباه فی باب واحد مقدماً ذکر أبیه، قال فی حق أبی علی، هلال ذاک القمر و غصن هاتیک الشجر و الشاهد العدل بمجد أبیه و فضله و الفرع المسند لأحصله، إلی، له کتاب الفرج بعد الشده و دیوان شعر و کتاب نشوان المحاضره و کتاب المستجاد من مغلات الاجواد، ولی القضاء فی أمکنه و تقلد أعمالاً کثیره فی نواح مختلفه.

[*۳۷] هو أحمد بن عبدالله بن أحمد الحافظ الصوفی الأحول الشافعی سبط الزاهد محمد بن یوسف البنا باصبهان، تفرد فی الدنیا بعلو الاسناد مع الحفظ والاستجار من الحدیث و فنوته، وصنف التصانیف الکبار المشهوره فی الاقطار، منها کتاب حلیه الأولیاء، قال ابن ناصر ابدین، و لما صنف کتاب الحیله حملوه إلی نیسابور فبیع بأربعمأه دینار، ولا یلتفت إلی قول من تکلم فیه لأنه صدوق عمده، و عن ابن النجار هو تاج المحدثین واحد أعلام الدین(۲).

وفی الروضات عنونه بالشیخ الفقیه الثبیه المتقن الحافظ أبونعیم، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق بن موسی بن مهران الاصبهانی، وعده من أعلام المحدثین والرواه و أکابر الحافظین الثقات، و عن ابن خلکان له کتاب حلیه الأولیاء، من أحسن الکتب، و ذکر فی الروضات له کتباً اخری، و عن معالم العلماء هو عامی الا ان له منقبه الطاهرین و مرتبه الطیبین و کتاب ما نزل من القرآن فی أمیر المؤمنین و عن کتاب تاریخ الاصبهان، له ان

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۱۲.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۴۵.

جده مهران اسلم و انه مولی عبدالله بن معاویه بن جعفر بن أبی طالب، و ذکر فی الروضات عن السید الأمیر محمد حسین الخاتون آبادی انه من أجداد جده العلامه، و ان جده نقل تشیعه عن والده عن أبیه عن آبائه حتی انتهی الیه. و انه من خلص الشیعه فی باطن أمره و نقل فی الریاض عن العلامه المجلسی استظهار کونه من علماء أصحابنا و فی الروضات عن بعضهم ان وفاته سنه ۴۳۰، و هو موافق لما فی الشذرات(۱).

[*۳۸] هو (۲) ابوبکر بن الخاضبه محمد بن احمد بن عبدالباقی بن منصور الحافظ البغدادی الدقاق مفید بغداد، المشار الیه فی القرائه الصحیحه مع الصلاح، توفی ۴۸۹ و فی الشذرات (۳): کان کبیر القدر نقاداً علامه محببا الی الناس کلهم، لدینه و تواضعه و مروءته و مسارعته فی قضاء حوائج الناس مع الصدق و الورع والصیانه التامه و طیب القرائه و عن ابن طاهر ماکان فی الدنیا أحد أحسن قرائه للحدیث منه.

[*۳۹] عن ابن ادریس قدس سره (۴) من علمائنا الاجماع علی جواز اخذ الاجره علی نسخ القرآن و تعلیمه و هناک بعض الروایات الضعیفه علی الجواز مع الکراهه.

[*۴۰] هو محمد بن یعقوب بن معقل بن سنان الاموی مولاهم النیسابوری المعقلی المؤذن الوراق بنیسابور مات و له مأه إلا سنه. حدث له الصمم بعد الرحله ثم استحکم به، حدث فی الاسلام نیفاً و سبعین سنه، و أذن سبعین سنه، و کان حسن الأخلاق کریماً ینسخ بالاجره. و عن الحاکم، حدث فی الاسلام ستاً و سبعین سنه. و لم یختلف فی

۱- روضات الجنات ج۱ ص ۲۷۲-۲۷۴.

۲- الوافی بالوافیات .. ج۲ ص ۹۰-۸۹.

۳- شذارت الذهب ج۳ ص ۳۹۳.

۴- وسائل الشیعه ۱۲، الباب ۲۹ ح۲-۸ من ابواب ما یکتسب به، مرآه العقول ج ۱۹ص ۸۰.

صدقه و صحه سماعه(۱)

[*۴۱] هو محمد بن عبدالله بن محمد بن زکریا الشیبانی، الحافظ المعدل، شیخ نیسابور و محدثها و مصنف الصحیح، و عن ابن ناصر الدین من مصنفاته کتاب المتفق والمفترق الکبیر فی نحو ثلثمائه جزء خطیر (والجوزق کجعفر قریه بنیسابور)(۲).

[*۴۲] یجیء ترجمته.

[*۴۳] هو الشیخ الامام المتقدم الأدیب أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتیبه الدینوری.و قیل المروزی اللغوی، صاحب کتاب المعارف و أدب الکاتب، عن ابن خلکان کان فاضلاً ثقه سکن بغداد، ذکر عدداً من تصانیفه و أرخ وفاته سنه ۲۷۶(۳).

و تعرض لترجمته فی الشذرات و نقل عن ابن خلکان ما ذکرناه عنه و ن الذهبی انه صدوق و نسب إلی البغی و التخرص قول الحاکم (انه اجمعت الامه علی ان القتیبی کذاب. اقول والمظنون أن تکذیبه لما ذکر من الحقائق فی مسئله الامامه و ما فعلت المه فی حق أمیرالمؤمنین علیه السلام.(۴)

[*۴۴] رحاله عربی و جغرافی جاب العلم الاسلامی من المشرق إلی المغرب و درس مؤلفات المتقدمین، له کتاب المسالک والممالک(۵)

[*۴۵] مات أبوالعباس عبدالله بن طاهر بنیسابور سنه ۲۳۰ و إلیه الحرب و الشرطه والسواد و خراسان و اعمالها و الری و طبرستان و ما یتصل بها و کرمان و خراج هذه الأعمال کان

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۳۷۳-۳۷۴.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۲۹-۱۳۰.

۳- روضات الجنات ج۵ ص ۱۰۵ و ما بده.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص ۱۶۹-۱۷۰.

۵- المنجد فی الاعلام ۱۰ الطبعه السابعه.

یوم مات ثمانیه و أربعین ألف ألف درهم، فولی الواثق أعمال عبدالله بن طاهر کلها ابنه طاهراً(۱).

[*۴۶] قدم محمد بن عبدالله بن طاهر من خراسان فی ربیع الأول سنه ۲۳۷ فولی التجزیه والشرطه و کانت وفاته سنه ۲۵۳ (۲)

[*۴۷] هو أبوالعباس، ثعلب، أحمد بن یحی بن یزید الشیبانیی مولاهم، العبسی البغدادی، شیخ اللغه و العربیه و عبر عنه بعلامه الأدب، قال ابن ناصر الدین سمع من القواریری مأه ألف حدیث، فهو من المکثرین و سیرته فی الدین و الصلاح مشهوره، و عن ابن مجاهد البصری، قال ثغلب اشتغل أهل القرآن والحدیث والفقه بذلک ففازوا والتغلت بزید و عمرو، لیت شعری ما یکون حظی فی الآخره، أرخ وفاته سنه ۲۹۱(۳).

[*۴۸] قال المسعودی و قریب منه ما فی تاریخ الطبری (۴) و کامل ابن الأثیر (۵) واستوزر (المقتدر بالله) محمد بن عبید الله بن یحیی بن خاقان فی الیوم الذی سخط فیه علی علی بن محمد بن موسی بن الفرات (و أرخه) بسنه ۲۹۹ قال: و خلع علیه و لم یخلع علی أحد غیره، و قبض علیه یوم الاثنین لعشر خلون من المحرم سنه ۳۰۱، والظاهر هو المراد من الوزیر المذکور فی المتن.(۶)

[*۴۹] أبو اسحق ابراهیم بن محمد بن السری بن سهل الزجاج النحوی، عن ابن خلکان کان

۱- تاریخ الطبری ج ۷ ص ۳۲۳-۳۲۴، کامل ابن الأثیر ج۷ ص ۲۹۳، مروج الذهب ج۴ ص ۷۷.

۲- الکامل لابن الأثیر ج۸ ص۳۲۴-۳۹۵، تاریخ الطبری ج۷ ص ۳۶۷-۵۱۶.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۰۷.

۴- تاریخ الطبری ج۸ ص ۲۵۴-۲۵۵.

۵- کامل ابن الأثیر ج۹ ص ۳۳.

۶- مروج الذهب ج۴ ص ۳۰۴-۳۰۵.

من أهل العلم والأدب والدين المتين، ذكر له كتباً، وقال اختص بصحبه الوزير عبدالله بن سليمان و علم ولده القاسم الأدب الخ(۱).

[*۵۰] هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهيه الأزدى البصرى اللغوى العلامه صاحب التصانيف، و قال عاش ثمانياً و تسعين سنه و عن ابن خلكان امام عصره فى اللغه والآداب والشعر الفائق و ذكر مدحه عن المسعودى و ذمه بعضهم(۲).

[*۵۱] له ذكر فى تاريخ ابن خلدون (۳) بعنوان أبى الحسن و ان المتقى خلع عليه و لقبه سيف الدوله، و فى الشذرات عبر عنه بسيف الوله على بن عبدالله بن حمدون بن حمدون التغلبى الجزرى صاحب الشام، قال و كان بطلاً شجاعاً كثير الجهاد، جيد الرأى عارفاً بالأدب والشعر جواداً ممدحاً، و قال كان قد جمع من الغبار الذى أصابه فى الغزوات ما جاء منه لبنه بقدر الكف و أوصى أن يوضع خده اذا دفن عليها. ارخ وفاته سنه (۴) ۳۵۶.

[*۵۲] هو محمد بن طرخان بن اوزلغ أبو نصر الفارابى التركى، الحكيم المشهور صاحب التصانيف الفائقه فى المنطق والموسيقى و غيرهما من العلوم، كان كما ذكره ابن خلكان أكبر فلاسفه المسلمين، و لم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه، والشيخ الرئيس أبو على بن سينا بكتبه تخرج و بكلامه انتفع فى تصانيفه، و أطال فى ترجمته، و ذكر وفاته سنه **۳۳۹** بدمشق، و عن روضه الصفا انه قتل بأيدى قطاع الطريق، و ذكر عن بعضهم انه كان مبتلى بماليخوليا كافلاطون و نظرائه، و له ترجمه فى مجالس المؤمنين و شذرات

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۵۹.

۲- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۸۹-۲۹۰.

۳- تاريخ ابن خلدون ج۴ ص ۲۹۵-۲۹۷.

۴- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۰.

الذهب و يأتى تتمه الكلام(۱).

[*۵۳] ذكر فى العبر (۲) و نحو منه فى الشذرات (۳) كما يأتى، و فيها اى توفى سنه ۳۵۱ دعلج بن احمد بن دعلج ابو محمد السجزى المعدل .. و له نيف و تسعون سنه، رحل و طوف و اكثر: قال الحاكم أخذ عن ابن خزيمه مصنفاته و كان يفتى بمذهبه، و قال الدار قطنى: لم ارفى مشايخنا اثبت من دعلج توفى فى جمادى الاخره.

[*۵۴] عنونه فى الكامل بأبى الحسين أحمد بن زكريا بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل و غيره، و ذكر له شعراً قبل وفاته بيومين (۴).

[*۵۵] ذكر فى الشذرات و فيها (سنه ۴۱۸) توفى أبو اسحاق الاسفرائنى، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاصولى المتكلم الشافعى، أحد الأعلام و صاحب التصانيف و كان شيخ خراسان فى زمانه، انه بلغ رتبه الاجتهاد (۵).

[*۵۶] الأديب المسدد واللبيب المسجد، محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الأزدى البصرى اللغوى النحوى أبو العباس المبرد، امام العربيه فى زمانه ببغداد، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً ثقه أخبارياً علامه و عن نفطويه، ما رأيت احفظ للأخبار بغير اسانيد منه، و نقل عن السيرافى ان مماته سنه ۲۸۵ و فى الوفيات توفى ببغداد (۶) و فى الشذرات عن ابن خلكان، كان اماماً فى النحو واللغه الخ(۷).

۱- روضات الجنات ج۷ ص ۳۲۱-۳۲۵، شذرات الذهب ج۲ ص ۳۵۰-۳۵۴، مجالس المؤمنين ج۷ ص ۳۲۱-۳۲۸.

۲- العبر ج۲ ص ۲۹۱ طبعه الكويت.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۸.

۴- الكامل لابن الأثير ج۱۰ ص ۴۴۱.

۵- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۰۹.

۶- روضات الجنات ج۷ ص ۲۸۳-۲۸۴.

۷- شذرات الذهب ج۲ ص ۱۹۰-۱۹۱.

[*۵۷] تقدمت ترجمته.

[*۵۸] الشیخ (۱) أبو عبدالله حسین بن أحمد بن خالویه بن حمدان الهمدانی الأصل البغدادی المنشأ الحلبی المسکن و الخاتمه المعروف بابن خالویه النحوی اللغوی، کان فی درجه أبی الطیب اللغوی المشهور، عبدالواحد بن علی الحلبی، و عن النجاشی انه کان عارفاً بمذهبنا مع علمه بعلوم العربیه و اللغه والشعر، و ذکر من کتبه کتاباً فی امامه علی علیه السلام، و عن المجالس ذکر له کتاب الآل فی امامه أمیر المؤمنین علیه السلام، و عن بن خلکان وفاته سنه ۳۷۰ بحلب، و فی الشذرات (۲) عبر عنه بالاستاد و شیخ أهل حلب، و ذکر عن ابن الاهدل کان بنو حمدان یعظمونه.

[*۵۹] الشیخ أبو عبدالله ابراهیم بن محمد بن عرفه بن سلمان بن المغیره الأزدی الواسطی النحوی اللغوی الثعلبی الملقب بنفطویه علی وزن (سیبویه) قیل انه کان عالماً بالعربیه واللغه والحدیث، و کان طاهر الأخلاق حسن المجالسه صادقاً فی ما یرویه حافظاً للقرآن، فقیهاً علی مذهب داود الظاهری، رأساً فیه مسنداً فی الحدیث حافظاً للسیر و أیام الناس و التواریخ والوفیات، ذا مروه و ظرف، جلس للاقراء أکثر من ۵۰ سنه، و تعرض لذکر مصنفاته، وفاته سنه ۳۲۳ و ذکر ان سیبویه لما نظر إلی کثافه هیئته و قشافه ثیابه، قال له: کانک نفطویه، بمعنی صاحب النفط أو البیاع له أو المتولد فیه، و من کلامه، ان أکثر الأحادیث الموضوعه، ی فضل الصحابه انما ظهرت فی دوله بنی امیه، وضعوها لأجل التقرب إلیهم (۳) و فی الشذرات (۴) هکذا و فیها (سنه ۳۲۳) أی

۱- روضات الجنات ج۳ ص ۱۵۰-۱۵۴.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۷۱.

۳- روضات الجنات ج۱ ص ۱۵۴ الی ۱۵۷.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۹۸-۲۹۹.

مات فیها نفطویه النحوی أبو عبدالله، ابراهیم بن محمد بن عرفه العتکی الواسطی صاحب التصانیف، و ذکر عن ابن خالویه، لیس فی العلماء من اسمه ابراهیم و کنیه أبو عبدالله سوی نفطویه.

[*۶۰] هو ابونصر (۱) اسماعیل ابن حماد الجوهری الفارابی و من اشعاره:

فها انا یونس فی بطی حوت *** بنیشابور فی ظلم الغمام

فیومی والفؤاد و یوم دجن *** ظلامٌ فی ظلام فی ظلام

و ذکر وفاته عن الکشکول و غیره سنه ۳۵۳ اؤ ۳۳۰ و عن مجمع البحرین حدود ۴۰۰ و عن الیافعی انه ۳۹۳ و فی الشذرات (۲) ۳۹۳ و قیل حدود ۴۰۰ و قال فی وصفه أحد أئمه اللسان، کان فی جوده الحفظ فی طبقه ابن مقله و مهلهل، و عن یاقوت کان من أعاجیب الزمان ذکاء و قطنه و علماً.

۱- روضات الجنات ج۲ ص ۴۴-۴۵-۴۸.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۴۲-۱۴۳.

الفصل الثالث عشر: علوم الدين

اشاره

فی القرن الرابع الهجری مرَّ علم الکلام الإسلامی أو علم العقائد فی أهم أدوار حیاته، و هو دور تحرّره من الفقه، بعد أن ظل حتی ذلک الحین خادما له(۱)؛ و کانت جمیع کتب الکلام المعتبره عند جمهور الأمه الإسلامیه تتناول بعض الموضوعات الفقهیه. و مرجع الفضل فی حدوث هذا التغیر إلی المعتزله الذین کانوا طول القرن الثالث الهجری یعالجون مسائل کلامیه محضه، وهم فی القرن الرابع یضطرون خصومهم إلی الإجابه عن هذه المسائل. وکانوا أول فرقه إسلامیه تحررت من نزعات الفقهاء کلها، فکانوا هم الفرقه « الکلامیه » الوحیده (۲) التی تعالج الکلام وحده بین الفرق الخمس الکبری التی کان المسلمون منقسمین إلیها فی ذلک العهد، وهی أهل السنّه و المعتزله و المرجئه و الشیعه و الخوارج(۳). وقالوا إن کل مجتهد مصیب فی الفروع(۴).

۱- هذا الحکم یحتاج إلی تقیید؛ فإن علم الکلام استقل علما بذاته فی القرن الثالث. وفی هذا القرن أیضاً تکونت مبادی علم الکلام السنّی (المترجم) .

۲- المقدسی ص ۳۷ .

۳- ابن حزم مثلا ج ۲ ص ۱۱۱ .

۴- المقدسی ص ۳۸؛ و المعتزله لابن المرتضی ص ۶۳ .

وکان منهم رجال فی جمیع المذاهب الفقهیه حتی بین أصحاب الحدیث الذین یعتبرون عاده ألدّ أعداء المتکلمین(۱).

و من جهه أخری کان الصوفیه خصوما ألدّاء لجمیع الفقهاء، ولم یقنعوا قط من التشنیع علیهم؛ وقد عبَّروا عن احتقارهم لعلم الفقه الذی یسمونه علم الدنیا تعبیراً قاسیا؛ و من أمثله ذلک ما یقوله المکی المتوفی عام ۳۸۶ه‍ ۹۹۶ م أخذاً عن السید المسیح علیه السلام ؛ فهو یقول : « و روینا عن عیسی علیه السلام : مَثَلُ علماء السوء مَثَلُ صخره وقعت علی فم النهر، لا هی تشرب الماء، ولا تترک الماءَ یخلُصُ إلی الزارع؛ و کذلک علماء الدنیا قعدوا علی طریق الآخره، فلا هُم نفذوا، ولا ترکوا العباد یسلکون إلی اللّه عزوجل؛ قال : و مثل علماء السوء کمثل قناه الحش، ظاهرها حسن و باطنها نتن، و مثل القبور المشیده ظاهرها عامر و باطنها عظام الموتی»(۲).

وقد انتصر الصوفیه فی هذا الباب؛ ففی القرن التالی جاء الغزالی إمام جمهور المسلمین المتأخرین، فجاهر بأن علم الفقه علم دنیوی لا دینی(۳)

و نجد بین الصوفیه طوائف کثیره ترفض العلوم الجمله، حتی إنه یحکی عن أبی عبد اللّه بن خفیف المتوفی عام ۳۷۱ه‍ ۹۸۱ م أنه کان یوصی الناس بأن یشتغلوا بالعلم و لایفتروا بکلام الصوفیه، و یقول إنه کان یخبئ المحبره و الورق فی ثیابه و یذهب إلی أهل العلم خفیه؛ فإذا علم به الصوفیه خاصمره و قالوا : لا

۱- المقدسی ص ۴۳۹ .

۲- قوت القلوب لأبی طالب المکی ج ۱ ص ۱۴۱ طبعه مصر ۱۳۱۰ه‍ .

۳- ۱۸۲ .Goldziher, Zahiriten, S

تفلح(۱).

وقـد فرّق الصوفيه مره أخرى بين المعرفه (أى علم الحقـائق) و بين العلم (بمعنى العلوم المـألوفه للناس). يقول الحلّاج المتوفى عام ۳۰۹ه ۹۲۲ م مستهزئاً بـالعلم : « يـا عجبـاً ممن لاـ يعرف شـعره من بـدنه كيـف تنبت سوداء أم بيضـاه، كيف يعرف مكوِّن الأشـياء! من لاـ يعرف المجمل و المصّل، ولا يعرف الآخر و الأول و التصاريف و العلل و الحقائق و الحيل لا تصـح له معرفه من لم يزل».

ويحكى الحلّاج فى موضع آخر :

« رأيت طيراً من طيور الصوفيه عليه جناحـان، و أنكر شـأنى حين بقى على الطيران، فـألنى عن الصـفاء، فقلت له : اقطع جنـاحك بمقارض الفناء، و إلا فنا تتبعنى، فقال : بجناح أطير، فقلت له : و يحك ليس كمثله شئ و هو السميع البصير، فوقع يومئذ فى بحر الفهم و غرق»(۲).

ولكن نجد قوماً آخرين، كالجيد المتوفى عام ۲۹۸ه ۹۱۰ م، يصرّحون بأن العلم أرفع من المعرفه و أثم و أشمل(۳).

ونجـد بين العلمـاء كالشـافعيه مثلاًـ كـثيراً من الصوفيه، و هـذه حقيقه واقعه؛ و كـانت علوم الصوفيه الـدينيه أهم العلوم و أكـثرها نجاحا؛ فقد كانت هى الحركه

۱- Amedroz, notes on some sufi Lives, JRAS, ۱۹۱۲, S. ۵۵۶.

۲- كتاب الطواسين للحلاج طبعه باريس ۱۹۱۳ ص ۲۳، ۳۰ .

۳- نفس المصدر ص ۱۹۵. على أن النصـين الأولين لا يحويان بصـراحه تقابلا و تعارضاً بين المعرفه و العلم، بل فيهما معنى غير هذا، ولا أرى تعارضاً بينهما و بين ما يحكى عن الجنيد . (المترجم) .

العلميه التی ضمت أعظم القوى الدينيه فی ذلک العهد؛ و الحركه الصوفيه فی القرنين الثالث و الرابع أوجدت فی الإسلام ثلاثه مبادئ أثرت فيه تأثيراً كبيراً و هی : ثقه وطيده كامله باللّه تعالی، و الاعتقاد بالأولياء، و إجلال النبی محمد عليه السلام ؛ و لا تزال هذه المبادئ الثلاثه أهم العوامل و أقواها تأثيراً فی الحياه الإسلاميه(۱).

وقد زاد الإقبال على دراسه القرآن و الحديث، لأن ذلک واجب من أول الواجبات المفروضه على كل مسلم و مسلمه(۲).

ولكن نشأ فی القرن الرابع رسم جديد، و هو الذی يجيز للإنسان روايه الحديث من غير لقاء رجاله، و من غير إجازه مكتوبه تخوّله حق الروايه(۳)

وبهذا حلّت دراسه الكتب محل الأسفار التی كان يقوم بها طلاب الحديث من قبل للقاء رجاله. وقد استطاع ابن يونس الصفدی المتوفی عام ۳۴۷ه ۹۵۸ م أن يكون إماماً متيقظا حافظا فی الحديث، و إن كان لم يرحل، ولا سمع بغير مصر(۴).

وكان مَثَلُ العالم الذی يطلب الحديث مثلَ التاجر أو عامل السلطان فی كثره غشيانه للخانات التی يأوی إليها المسافرون أو فی طوافه فی السكک؛ و هكذا بقی شأنه فی الحركه و التجوال زماناً طويلا. و فی سنه ۳۹۵ه ۱۰۰۵ م توفی

۱- انظر الفصل الخاص بالدين .

۲- بستان العارفين للسمرقندی على هامش تنبيه الغافلين ص ۳ .

۳- Goldziher, muh. Studien, II, ۱۹۰ ff ،وقد ذكر النووی أن من العلماء من أجاز صحه روايه الحديث كتابه، و ذلک منذ القرن الثانی الهجری؛ ونجد أمثله كثيره لمثل هذه الروايه فی المجموعات الفقهيه الشرعيه .

۴- حسن المحاضره للسيوطی ج ۲ ص ۱۶۴ .

ابن منده « خاتمه الرحّالين » الذين رحلوا لسماع الحديث؛

وقد جمع ألفاً و سبعمائه حديث، و رجع إلى وطنه و معه أربعون وِقراً من الكتب(۱).

ويقول أبو حاتم السمرقندى (المتوفى عام ۳۵۴ه ۹۶۵ م) : لعلنا كتبنا عن ألف شيخ ما بين الشاش و الإِسكندريه(۲) و يروى عن أبى يعقوب القراب السرخسى (المتوفى عام ۴۲۹ه ۱۰۳۷ م) أنه طلب الحديث فأكثر، حتى زاد عدد شيوخه على ألف و مائتى شيخ(۳).

على أن الغزالى على شهرته و مع أنه صار أكبر حجه للعلم عند أهل القرون التى جاءت بعده، لم يسافر فى طلب العلم إلا قليلا : فقد خرج من بلده طوس، و سمع بجرجان فى الشمال، و درس فى نيسابور، و كانت أكبر مدينه علميه فى بلاده؛ و هذا كل ما عُرف من أسفاره لطلب العلم. وقد بين صاحب كتاب بستان العارفين(۴) فى القرن الرابع اختلاف الآراء فى هذا الباب أوضح بيان. و من أمله النقد الذى وُجه المحدثين أن النوبختى يصف أبا الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى (المتوفى عام ۳۵۶ه ۹۶۷ م)، و هو الذى سمع منه الدارقطنى المحدِّث المشهور، بأنه أكذب الناس؛ لأنه « كان يدخل سوق الورَّاقين، و هى عامره، والدكاكين مملوءه بالكتب، فيشترى شيئا كثيراً من الصحف، و يحملها إلى

۱- الزرقانى ج ۱ ص ۲۳۰؛ ۱۸۰ ,Goldziher, Muh Studien, II.

۲- السبكى ج ۲ ص ۱۴۱ .

۳- نفس المصدر ج ۳ ص ۱۱۴ .

۴- بستان العارفين للسمرقندى ص ۱۸ و ما يليها (؟) .

بیته، ثم تکون روایاته کلها منها »(۱).

علی أن المحـدثین کـانوا یعتبرون أکبر العلمـاء شأناً؛ و کان یعـدون من أعظم رجال الإسـلام؛ ولایفوت الموءرخین ذکرُ وفاتهم إلی جانب القلیلین الذین یختارون ذکرهم؛ و هم یقصون الحکایات العجیبه التی تدل علی مقدرتهم فی الحفظ.

فیحکی أن عبداللّه بن سلیمان بن الأشعث (المتوفی عام ۳۱۶ه‍ ۹۲۸ م) کان محدِّث العراق، و کان یحدّث فی دار الوزیر علی بن عیسی، وقد نصب له السلطان منبراً حدَّث علیه؛

وقـد خرج إلی سجسـتان فسـأله أهلهـا أن یحـدثهم فقـال : مـا معی أصـل، فقالوا: ابن أبی داود و أصول! فأملی علیهم من حفظه ثلاثین ألف حدیث، فلما قدم بغداد، قال البغدادیون: مضـی ابن أبی داود إلی سجستان و لعب بالناس؛ ثم فیجُوا فیجاً بسته دنانیر إلی سجسـتان لیکتب لهم النسخه فکُتِبت، و جئ بها و عُرضت علی الحفّاظ فخطأوه فی سته أحادیث، لم یکن أخطأ إلا فی ثلاثه منها(۲).

و یحکی أن ابن عقده (المتوفی عام ۳۳۲ه‍ ۹۴۳ م) کان یحفظ بأأسانید و المتون خمسین و مائتی ألف حدیث(۳).

و کان قاضی الموصل المتوفی عام ۳۵۵ه‍ ۹۶۶ م یحفظ مائتی ألف حدیث عن ظهر قلب (۴) وفی سنه ۴۰۱ه‍ ۱۰۱۰ م مات بمصر .

۱- تاریخ بغداد طبعه کرنکو : Jras, ۱۹۱۲, S. ۷۱.

۲- المنتظم ص ۳۶، السبکی ج ۲ ص ۲۲۹ ج ۲۳۰ .

۳- المنتظم ص ۷۲ ب .

۴- Goldziher, Muh. Studien, II, ۲۰۰.

الحافظ میسر؛ وکان عنده درج طویل طوله سبعه و ثمانون ذراعاً مملوء الوجهین فیه أوائل ما یحفظه من الأحادیث(۱).

و یحکی العلماء مع الفخر ما جری لأبی الفضل الهمذانی بنیسابور مع الحاکم النیسابوری؛ ذلک أن أباالفضل لما ورد نیسابور، و تعصب الناس له، و لُقِّب بـدیع الزمان أعجب بنفسه، إذ کان یحفظ المائه بیت إذ أنشـدت بین یدیه مره و ینشدها من آخرها إلی أولهـا مقلوبه، فأنکر علی الناس قولهم : فلان الحافظ فی الحـدیث، ثم قال : و هل حفظ الحـدیث مما یـذکر ؟ فسـمع به الحاکم النیسابوری فوجَّه إلیه بجزء و أجلَّه جمعه فی حفظه. فردَّ الهمـذانی إلیه الجزء بعد جمعه، وقال : من یحفظ هذا! محمد بن فلان و جعفر بن فلاـن عن فلاـن، أسام مختلفه، و ألفاظ متباینه؛ فقال له الحاکم : فاعرف نفسک، و اعلم أن حفظ هـذا أضـیق مما أنت فیه(۲).

أما من حیث السرعه فی تعلّم الحدیث فنستطیع معرفه ذلک مما حُکی عن الخطیب البغدادی أنه قرأ صحیح البخاری علی کریمه بنت أحمد المروزی فی خمسه أیام(۳).

و أکبر محدِّثی القرن الرابع همـا أبو الحسن علی الـدارقطنی المتوفی عام ۳۸۵ه ۹۹۵ م و الحـاکم النیسابوری المتوفی عام ۴۰۵ه ۱۰۱۴ م.

وقد خلفهما فی القرن الخامس أبوبکر الخطیب البغدادی المتوفی عام ۴۶۳ه ۱۰۷۱ م.

۱- سکردان السلطان علی هامش المخلاه ص ۱۸۸ .

۲- طبقات السبکی ج ۳ ص ۶۶ ج ۶۷ .

۳- الإرشاد لیاقوت ج ۱ ص ۲۴۷، وتسمی عند ابن الشکوال (ج ۱ ص ۱۳۳) کریمه المروزیه .

وقـد وجـدوا من كتب الحـديث التى جمعت فى القرن الثـالث الهجرى موضوعاً لبحثهم بما كان فى هـذه الكتب من تبويب و ما كان فيها من تناقض.

ولذلك قاموا بتأليف كتب جديده فى الحديث، فمثلاً ألَّف الدارقطنى كتابا فى السنّه؛ و قد استدعاه الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات من بغداد و برّه بمال كثير، و أنفق عليه نفقه واسعه، و خرّج له المسند، و كان لهذا الوزير مجالسُ إملاء كتابها الدارقطنى و آخر معه و خرَّجاها(۱)؛ أو هم قاموا بتأليف الاستدراكات أو المستدركات، كما فعل الدارقطنى و الحاكم، لاعتقادهما أن كثيراً من الحديث الصحيح قد فات جامعيه الأولين؛ أو بعمل المخرَّجات أو المستخرجات، وقد فعل ذلك كلُّ محدِّث كبير فى القرن الرابع(۲).

و كذلك ظهرت فى القرن الرابع كتبٌ جديده تعالج تصحيفات الحديث، و منها كتب للخطيب و للدارقطنى(۳).

وقد اعتنى نُقّاد الحديث منذ أول الأمر بمعرفه رجال الحديث و ضبط أسمائهم و الحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء؛ ثم نظروا فى الأساس الذى ينبنى عليه هذا الحكم، أعنى الصفات التى يجب توفرها فى المحدِّث الثقه، و هو ما يعرف بالجرح و التعديل. ويقال إن أول من ألف فى هذا الباب يحيى بن كتان

۱- الإرشاد لياقوت ج ۲ ص ۴۰۸؛ وقد كتب تلاميذ مسلم خاصه كتباً فى الصحيح، و منهم أبوحامد (المتوفى عام ۳۲۵ه) و أبوسعيد (المتوفى عام ۳۵۳ه) ج طبقات السبكى ج ۲ ص ۱۷ و ما بعدها .

۲ - Goldziher, Muh. Studien, II, ۲۵۷, ۲۷۳،وقد ذكر النووى فى شرحه على مسلم (ج ۱ ص ۱۷) تلاميذ الدارقطنى .

۳- ترجمه مارسيه للتقريب للنووى، انظر Goldziher, Muh. Studien, II ۲۴۱ ، Marcais JA, ۱۹۰۱, ۱۸, S. ۱۱۵ f.

المتوفی عام ۱۹۸ه‍ ۹۱۴ م(۱) (فی أکثر التواریخ المیلادیه الوارده فی هذه الصفحه اشتباه).

وبعد أن اشتغل العلماء بتألیف کتب الحدیث الکبری المعتمد علیها بدأوا فی الفحص عن الرجال المذکورین فیها و ألفوا الکتب فی رواه الصحیحین و هکذا. وقد أدَّت بهم حاجتهم إلی السند المتصل(۲) أن یتجاوزوا البحث فی حیاه الرواه و الحکم علیهم إلی عمل تاریخ کامل لهم؛ و هکذا وُجدت « تواریخ » القرن الثالث الهجری مثل تاریخ البخاری المتوفی عام ۲۵۶ه‍ ۸۷۰ م، ومثل الطبقات الکبری لابن سعد المتوفی عام ۲۳۰ه‍ ۸۴۵ م التی روعی فی تألیفها الزمان و المکان؛ و کذلک ظهرت تواریخ المدن، و هی المؤلفات التی ظهرت فی القرنین الثالث و الرابع للهجره، و تَمَثَّلَ کمالُها فی تاریخ نیسابور الذی ألفه النیسابوری المتوفی عام ۴۰۶ه‍ ۱۰۱۵ م والذی یری السبکی أنه یشتمل علی تراجم أوفی و أکمل من تراجم الخطیب البغدادی(۳)، وفی تاریخ أصفهان لأبی نعیم المتوفی عام ۳۰ه‍ ۱۰۳۸ م، وفی تاریخ بغداد للخطیب البغدادی المتوفی عام ۴۶۳ه‍ ۱۰۷۱ م.

و یدلنا علی مقدار الدقه التی أظهرها العلماء فی طریقه النقد ما ذُکر عن الخطیب من أنه ألف کتاباً فی « روایه الآباء عن الأبناء » و آخر فی « روایه

۱- ترجمه مارسیه للنووی ۱۶,۳۲۱ .۱۹۰۰ .JA.

۲- ویقال إن الشافعی (المتوفی عام ۲۰۴ه‍) أول من أثار هذه المسأله (انظر ما ذکره مارسیه فی المصدر المتقدم حکایه عند ابن عبد البر (المتوفی عام ۴۶۳ه‍) .

۳- طبقات السبکی ج ۱ ص ۱۷۳ .

الصحابه عن التابعين »(۱).

وكانت هـذه المعارف المتعلقه برجال الحـديث تنال أعظم النقـدير فى ذلك الوقت؛ و يحكى عن القاضـى أبى حامـد أحمد بن بشر المروزى المتوفى عام ۳۶۲ه ۹۷۲ م، والمشهور بأنه أستاذ أبى حيان التوحيدى الكاتب الكبير أنه كان بحراً يتدفق حفظاً للسِير و قياما بالأخبار، « و كان يزعم أن السِير بحر الفتيا و خزانه القضاء، و على قدر اطلاع الفقيه عليها يكون استنباطه»(۲).

و أكبر مـا كـان يثير إعجاب الناس فى الخطيب البغـدادى دقته و قـدرته على نقـد الوثائق المكتوبه و إثبات تزويرها اعتماداً على معرفته بتواريخ حياه الرجال الذين يذكرون فيها(۳).

وفى القرن الرابع الهجرى ألف الكرابيسـى المتوفى عـام ۳۷۸ه ۹۸۸ م كتابـاً فى أسـماء الرواه و ألقابهم؛ وقـد اعتبر هـذا الكتاب أحسن الكتب قديمها و حديثها(۴).

على أن الـدراسات التـاريخيه لم تكن محموده عنـد العلماء؛ و يحكى عن ابن إسـحاق المتوفى عام ۱۵۱ ه ۷۷۶ م أنه سـأل أحد التلاميـذ الـذين يدرسون التاريخ مسـتهزئاً به : من الذى كان يحمل لواء الجالوت(۵)؛ أمـا الآن فيحكى لنا أبوالقاسم الزنجى عن المحدثين الذين سمع منهم فى أول

۱- الإرشاد لياقوت ج ۱ ص ۲۴۸ .

۲- السبكى ج ۲ ص ۸۲ ج ۸۳ .

۳- الإرشاد ج ۱ ص ۲۴۷ ج ۲۴۸ .

۴- مارسيه فى ترجمته للتقريب للنووى: Marcais, JA, ۱۹۰۱, ۱۸, S. ۱۳۳.

۵- Goldziher, Muh. Studien II ۹۰۷.

القرن الرابع الهجری قصصا تاریخیه محضه مثل أخبار المبیضه، و مقتل حجر بن عدی زعیم الشیعه، و کتاب صفّین، و کتاب الجمل و نحوها(۱).

ولکن الاتجاه تغیر فیما بعد حتی نجد النووی یعیب ابن عبدالبر المتوفی عام ۴۶۳ه ۱۰۷۱ م بأنه أفسد کتابه بما ضمنه من أخبار الموءرخین(۲).

و کذلک وُضعت الأصول التی یبنی علیها نقد الحدیث و تکامل بناوءها فی القرن الرابع، و أخذت مصطلحاتها من هذا العصر أیضا. وقد رتب ابن أبی حاتم المتوفی عام ۳۲۷ه ۹۳۹ م ألفاظ الجرح و التعدیل مراتب فأعلاها : « ثقه » أو « مُتقن » أو « ثَبت » أو « حجه » أو « عدل » أو « حافظ » أو « ضابط »، و الثانیه « صَدُوق » أو « محلُّه الصدق » أو « لا بأس به»(۳) .

و یقال إن الخطابی المتوفی عام ۳۸۸ه ۹۹۸ م هو أول من عین أقسام الحدیث الثلاثه الکبری و هی : الصحیح، و الحسن، و الضعیف؛

ثم حدد الدارقطنی المتوفی عام ۳۸۵ه ۹۹۵ م معنی التعلیق؛ و جاء الحاکم المتوفی عام ۴۰۵ه ۱۰۱۵ م فجعل أصول الحدیث علماً مستقلا و وضع هیکله الذی بقی فی جملته إلی أیامنا، بحیث إن القرون التالیه لم تُضِف فی هذا الباب لما تَمَّ فی القرن الرابع الهجری إلا أشیاء ثانویه؛ بل إن تقسیم الرواه إلی

۱- کتاب الوزراء ص ۲۰۲ .

۲- التقریب للنووی JA, ۱۹۰۱, ۱۸, S. ۱۲۳.

۳- نفس المصدر JA, ۱۹۰۱, ۱۷, S. ۱۴۶، و انظر Goldziher, Muh. Studien, II, S. ۱۴۲.

أنواع صار هو المستعمل منذ عصر الحاكم(۱)؛ و يرجع إلى الخطيب ما جرى عليه كتّاب الحديث من وضع نقطه فی وسط الدائره التی تكتب فی نهايه الحديث بعد التصحيح بامقارنه و المقابله(۲).

أما الدور الثانی فی الناحيه العلميه الدينيه فقد قام به مُقرئو القرآن. ونجد أن المقدسی مثلا لا يغفَل فی كلامه عن البلاد التی وصفها عن ذكر أصحاب القراءات فيها، و إن كان قد أبان عن عدم محبته للمقرئين بأن وصفهم بأنهم لا ينفكون من الطمع و سوء السمعه(۳).

وقد وضع ابن مجاهد حوالی عام ۳۰۰ه ۹۱۲ م اصول هذه الناحيه(۴).

وقد قامت حوالی هذا الوقت خلافات شديده حول قراءه القرآن، وقد خلت الحكومه، فاضطهدت بعض أصحاب القراءات؛ فمثلا ضرب الوزيرُ أبوعلی بن مقله ابنَ شنبوذ المتوفی عام ۳۲۸ه ۹۳۹ م بالسوط و اضطره أن يتبرأ من قراءات قرأ بها، و أخذ خطه بالتوبه عنها فكتب:

« يقول محمد بن أحمد بن أيوب : قد كنت أقرأ حروفا تخالف مصحف عثمان المجمع عليه و الذی انفتی أصحاب الرسول صلی الله عليه و آله علی قراءته، ثم بان لی أن ذلک خطأ، و أنا منه تائب و عنه مُقلِع و إلی اللّه جل اسمه منه بریء؛ إذ كان مصحف

۱- التقريب JA. ۱۹۰۰, ۱۶, S, ۳۳۰ ff؛ و كذلک فعل ابن حيان المتوفی عام ۳۵۴ه، انظر نفس المصدر ص ۴۸۷ هامش رقم ۱ .

۲- التقريب للنووی فی JA, ۱۹۰۱, ۱۷, S. ۵۲۸.

۳- المقدسی ص ۴۱ .

۴- توفی ابن مجاهد سنه ۳۲۴ه ۹۴۵ م، وكان وافر اللحيه عظيم الهامه، و كان يدعو اللّه فی دبر كل صلاه أن يجعله ممن يقرأ فی قبره؛ وقد رآه بعض الناس فی المنام يقرأ (المنتظم لابن الجوزی ص ۵۶) .

عثمان هو الحق الذى لا يجوز خلافه و لا يقرأ غيره»(۱) .

و لکن ابن شنبوذ خلّف تلاميذ منهم محمد بن أحمد بن إبراهيم أبوالفرج الشنبوذى المتوفى عام ۳۸۸ه ۹۹۸ م(۲).

على أن قراءات ابن شنبوذ و غيره التى اتهت إلينا لا خطر فيها مطلقاً(۳).

ولکن کانت مسأله القراءات مسأله خطيره؛ لأن العتقاد بأن القرآن کلام اللّه من شأنه أن يحتم هذا.

وفى سنه ۳۵۴ه ۹۶۵ م توفى أبوبکر العطار المقرئ؛ وکان قد قرأ بحروف تخالف الإجماع؛ و استخرج لها وجوهاً من اللغه ذکرها فى کتابه الاحتجاج للقراء؛ وقراءاته تقوم على تصحيف الکلمات و استخراج وجوه بعيده لها؛

وزعم العطار أن کل ما صح فى العربيه من کلمات توافق خط المصحف فقراءتها جائزه؛ و شاعت عنه هذه القراءات الغريبه، فأنکرها أهل العلم و وصل الأمر إلى السلطان، فأحضره و استتابه بحضره القراء و الفقهاء، فأذعن بالتوبه و کُتب محضر بتوبته، و أثبت جماعه من الحاضرين خطوطهم فى المحضر بالشهاده؛ وقيل إنه لم ينزع عن تلک الحروف، وکان يقرأ بها إلى حين وفاته، و

۱- الأوراق للصولى ص ۸۲، و الفهرست لابن النديم ص ۳۱ ج ۳۲، و الإرشاد لياقوت ج ۶ ص ۳۰۰ و ما يليها Nildeke, Gesch. d. Korans S. ۲۷۴.

۲- طبقات المفسرين للسيوطى ص ۳۸ من طبعه Meursinge ، و مسکويه ج ۵ ص ۴۴۳ و المنتظم ص ۵۴ .

۳- و لکنها تحرف القرآن عن معانيه الظاهره المعقوله . (المترجم) .

استغوی بعض أصاغر المسلمین من أهل الغفله و الغباوه(۱).

وفی سنه ۳۹۸ه ۱۰۰۸ م أظهر بعض الشیعه مصحفا ذکروا أنه مصحف ابن مسعود؛ وکان مخالفا للمصاحف، فأشار الفقهاء و القضاه بإحراقه، و أحرق بمحضرهم، ثم ورد إلی الخلیفه کتاب بأن رجلا من أهل جسر النهروان حضر المشهد لیله النصف من شعبان، و دعا علی من أحرق المصحف و سبّه، فقُتل(۲).

و کما أن المذاهب الفقهیه الأربعه حلت محل غیرها، فکذلک حلت الحروف السبعه الشرعیه المتفق علیها محل القراءات الشاذه فی القرن الرابع الهجری(۳)؛ و فی هذا القرن أیضا ظهرت کتب فیما سمی بالقراءات الثمان(۴).

علی أن جواز تفسیر القرآن لم یکن أمراً مسلَّما به فی القرن الرابع دون استیفاء شروطه؛ فیحکی لنا الطبری من أمثله التحرُّج فی ذلک أن الشعبی مرّ علی السُدِّی، و هو یفسر القرآن فقال : « لأن یضرب علی إستک بالطبل خیر لک من مجلسک هذا »(۵).

و یخبرنا السمرقندی أن عمربن الخطاب رأی فی ید رجل مصحفاً، وقد

۱- المنتظم ص ۹۸، و الإرشاد ج ۶ ص ۴۹۹ .

۲- المنتظم ص ۱۵۲ ب، وطبقات السبکی ج ۳ ص ۲۶ .

۳- Noldeke, Gesch. d. Korans, S. ۲۷۵ و الفهرست لابن الندیم ص ۳۱ و ما و بعدها؛ و بستان العارفین للسمرقندی ص ۷۳ .

۴- Noldeke, Gesch, d. korans, S. ۲۹۹ وقد کتب أبوغنم المصری المتوفی عام ۳۳۳ه فی الاختلاف بین القراءات السبع، و کذلک ألف مصری آخر، وهو فارس ابن احمد الحمصی المتوفی عام ۴۰۱ه کتاب المنشأ فی القراءات الثمان. انظر حسن المحاضره للسیوطی ج ۱ ص ۲۳۲، ۲۳۴ .

۵- تفسیر الطبری ج ۱ ص ۳۰ طبعه المطبعه المیمنیه بمصر .

كتب عند كل آيه تفسيرها، فدعى بمقراض فقرضه(۱).

ونقل للسيوطى عن الأصمعى مثلا أنه كان شديد التألُّه، فكان لا يفسر شيئا من القرآن ولا شيئا من اللغه له نظير و اشتقاق فى القرآن، و كذلك الحديث تحرُّجا(۲)

على أن الطبرى قد ذكر أمثله تدل على أن الصحابه، و خصوصا ابن عباس، كانوا يفسرون القرآن تفسيراً محموداً(۳).

ولكن نقده(۴) يدل على أن الفريق الذى كان يحجم عن تفسير القرآن كان قويا جداً.

وقد روى عن النبى عليه السلام حديثٌ من شأنه أن يوفق بين الفريقين، و هو قوله « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »؛ فكان تفسير يجب أن يستند إلى أثر وارد عن النبى، ولا يجوز أن يعتمد فيه على الرأى؛ ولا يكون القول بالرأى إلا فى التفسير اللغوى للألفاظ(۵).

على أننا نجد فى تفسير الطبرى نفسه دليلا على أن المفسِّر يستطيع رغم هذه القيود أن يقول فى تفسيره بحذق و مهاره أشياء كثيره ينبغى ألا تقال فى التفسير(۶)؛ هذا مع العلم بأن العلماء يقولون عن تفسير الطبرى إنه لم يوءلَّف مثلُه،

۱- بستان العارفين ص ۷۴ ج ۷۵ .

۲- المزهر للسيوطى ج ۲ ص ۲۰۴ انظر أيضاً : Goldziher, SWA, Bd. ۷۲, S. ۶۳۰.

۳- التفسير للطبرى ج ۱ ص ۲۶ .

۴- ص ۲۶ ج ۳۰ .

۵- تفسير الطبرى ج ۱ ص ۲۷ .

۶- مثلا ج ۱ ص ۵۸ عند الكلام عن القدر .

لأن صاحبه جمع فیه بین الروایه و الدرایه، ولم یشارکه فی ذلک أحد لا قبله و لا بعده(۱)

علی أن السمرقندی مع حریته الکبریه فی الرأی، و مع کونه حنیفاً، قد تکلم فی هذه المسأله بلا لبس، و منع کل تفسیر بالرأی؛ و کلُّ ما أجازه هو أن یحکی المفسر ما سمعه من بعض الأئمه علی سبیل الحکایه؛ و إذا أراد أن یستخرج حکما من الآیه فلا بأس أن یقول المراد من الآیه کذا و کذا؛ أعنی أن التفسیر عند السمرقندی یکون علی صوره الفصول المتعلقه بتفسیر القرآن عند البخاری و مسلم، و هو ما یفعله الفریق الثانی من المفسرین عند السیوطی؛ و هم المفسرون المحدثون الذین صنفوا التفاسیر مسنده مورداً فیها أقوالُ الصحابه و التابعین بالإسناد(۲).

ثم إن السمرقندی یسمح بأن تستنبط التفاسیر الفلسفیه و الآراء الفقهیه فی الأحکام و الأوامر من ذلک(۳).

و الجدید الذی نلاحظه فی تفسیر القرآن فی هذا القرن و فی القرن الذی تقدمه هو تعاون المعتزله و اجتهادهم فی تفسیر القرآن. و ممن ألف فی التفسیر منهم أبوعلی الجبائی؛ و یقول الأشعری تلمیذه و خصمه و ابن زوجته إنه فی هذا التفسیر ما روی حرفاً و احداً عن المفسرن، و إنما اعتمد علی ما وسوس به

۱- طبقات المفسرین للسیوطی طبعه Meursinge ص ۳۰ .

۲- نفس المصدر ص ۲ .

۳- بستان العارفین ص ۷۵ و ما بعدها؛ ولم أستطع أن أحقق إلی أی حد عمل السمرقندی بهذه الأحکام فی تفسیره الذی لا یزال مخطوطاً .

فی صدره و شیطانه(۱)

علی أن أهل المغرب السنّیین تردّدوا فی اتباع الأشعری فی تفسیره للقرآن؛ و کانوا یترکون التأویل و یمرُّون المتشابهات کما جاءت اقتداءً بالسلف، حتی جاء ابن تومرت و حملهم علی القول بالتأویل و الأخذ بمذهب الأشعریه(۲)

وقد ألّف أبوالحسن علی بن عیسی الرمانی المتوفی عام ۳۸۵ه ۹۹۵ م، و هو عالم بالکلام و الفقه و النحو و اللغه، تفسیراً للقرآن؛ وقد بلغ من قیمه هذا التفسیر أنه قیل للصاحب ابن عباد : هلّا صنّفت تفسیراً! فقال : و هل ترک لنا علی ابن عیسی شیئا(۳)؟ وکذلک ألّف أبوبکر النقّاش المعتزلی المتوفی ببغداد عام ۳۵۱ه ۹۶۲ م، تفسیراً کبیراً یقع فی اثنی عشر ألف ورقه(۴)؛ و« کان یکذب فی الحدیث »(۵).

وکذلک صنّف أبوبکر الإِدفوی المصری المتوفی عام ۳۸۸ه ۹۹۸ م تفسیراً بقع فی مائه و عشرین مجلد(۶).

ولم یزد علیه فی عظم التألیف إلا عبد السلام القزوینی شیخ المعتزله ببغداد المتوفی عام ۴۸۳ه ۱۰۹۰ م (۷) فإنه ألّف تفسیراً فی ثلثمائه مجلد منها سبعه

۱- ۱۲۸ .۱۹۷ .W. Spitta, Zur Gesch. Abul Hassan al Ascharis, Leipzig, ۱۸۷۶, S.

۲- Goldziher, ZDMG, ۴۱, S. ۵۶ نقلا عن تاریخ البربر لابن خلدون ج ۱ ص ۲۹۹ .

۳- المعتزله لابن المرتضی ص ۶۳؛ و المفسرین للسیوطی ص ۲۴ .

۴- الفهرست لابن الندیم ص ۳۳؛ و الإرشاد لیاقوت ج ۶ ص ۴۹۷ .

۵- السیوطی ص ۳۰ .

۶- حسن المحاضره للسیوطی ج ۱ ص ۲۳۳ .

۷- فی أحد التاریخین اشتباه.

مجلدات فی الفاتحه(۱).

و نستطیع أن نکون لأنفسنا فکره عن طریقه هوءلاء المفسرین إذا عرفنا أن عبیداللّه الأسدی المعتزلی المتوفی عام ۳۸۷ه ۹۹۷ م صنّف تفسیراً للقرآن ذکر فیه فی بسم اللّه الرحمن الرحیم مائه و عشرین وجها(۲).

و لما کانت کل فرقه من الفرق فی هذا العصر تعتدّ بالقرآن و ترجع إلیه بحیث کان مصدرها الأکبر للاستشهاد و مستودعها الذی تتسلح به فی أدلتها فقد کان لابدّ للقرآن، ککل کتاب مقدّس، أن یتعرض لکثیر من التکلف فی التفسیر. وقد اشتهر الصوفیه و الشیعه بأنهم أصحاب تأویلات؛ وقد جروا علی عاده مألوفه من قبل و هی الخروج عن ظاهر القرآن بالتأویل البعید لإثبات دعاویهم(۳)

و حاول بعض الشیعه أن یوءوّلوا کثیراً من الأسماء الوارده فی القرآن بأنها أسماء أشخاص؛ فقالوا إن البقره التی أمر قوم موسی بذبحها(۴) هی عائشه، و إن الجِبت و الطاغوت(۵) هما معاویه و عمرو بن العاص(۶).

أما المفسرون العلمائ فکانوا علی خلاف ذلک؛ و منهم أبو زید البلخی (المتوفی عام ۳۲۲ه ۹۳۴ م) الذی تتلمذ للکندی ببغداد، و أخذ

۱- السیوطی ص ۱۹؛ و یقول السبکی (الطبقات ج ۳ ص ۲۳۰) إن هذا التفسیر سبعمائه مجلد .

۲- السیوطی ص ۲۲؛ ویری ابن قتیبه خصم المعتزله أنهم فی تفسیرهم للقرآن ردوه إلی مذاهبهم و حملوه علی نحلهم و جاءوا فی إثبات صحه تأویلهم بشواهد لا تعرف (تأویل مختلف الحدیث ص ۸۰ و ما بعدها) .

۳- Gold iher, Zahiriten, S. ۱۳۲ نقلا عن ابن حزم ج ۲ ص ۱۴۰ .

۴- سوره البقره آیه ۶۷ .

۵- سوره النساء آیه ۵۱، ۶۰ .

۶- و هذا هو تفسیر الروافض للقرآن عند ابن قتیبه فی مختلف الحدیث، ص ۸۴ و ما بعدها .

عنه الفلسفه و التنجیم و الطب و علوم الطبیعیه. کان البلخی یتنزه عما یقال فی القرآن من تأویل بعید و لا یقول إلا بالظاهر المستفیض من التفسیر و التأویل؛ وقد بین ذلک فی کتابه المسمی نظم القرآن(۱).

ثم صنف کتابا فی البحث عن التأویلات أغضب فیه رجلا قرمطیا، فقطع هذا القرمطی عن البلخی صِلاتٍ کان یجریها علیه(۲).

و کذلک کان لابدّ للغویین من التدقیق فی الألفاظ حتی أمکن وضع مصطلحات دینیه خاصه تتمیز عن اللغه المألوفه(۳)

علی أنه و إن کان أصحاب المذهب الظاهری بأجمعهم قد جعلوا أساس مذهبهم الأخذ بالظاهر فی تفسیر کتب الشریعه، و أولها القرآن، فإن أحداً منهم لم یصنّف تفسیراً للقرآن، و ذلک لأسباب بینه، و هی أن التفسیر الحرفی للقرآن لم یکن یرُوق المسلمین فی ذلک العهد کما أنه لا یرُوقنا الیوم.

وقد کانت القصص القدیمه العربیه و الیهودیه و المسیحیه المذکوره فی القرآن میداناً خاصا لاختلاف و نزاع شدید؛ و کانت هی النقطه التی یواجه العلم فیها مشکله الخوارق، لأن هذه القصص لاتعرف من تقدم محمداً علیه السلام من الأنبیاء علیهم السلام إلا بأنهم أصحاب معجزات؛

و لذلک نجد أن أشهر الکتب التی ألفها أحمد بن محمد بن إبراهیم الثعلبی النیسابوری المتوفی عام ۴۲۷ه ۱۰۳۶ م، والذی کان أوحد زمانه فی علم القرآن، بعد تفسیره المشهور للقرآن، هو کتابه المسمی العرائس فی قصص

۱- الإرشاد لیاقوت ج ۱ ص ۱۴۸؛ و لم یذکر صاحب الفهرست هذا الکتاب .

۲- الفهرست ص ۱۳۸ و الإرشاد لیاقوت ج ۱ ص ۱۴۱ ج ۱۴۲ .

۳- Goldziher, Zahiriten, S. ۱۳۴.

الأنبياء(۱).

وقد أولع البعض بالغرائب ليقصوها على الناس؛ و تكلم المطهر المقدسی عن هذا الفريق، فوصفهم بأن « الحديث لهم عن جمل طار أشهى إليهم من الحديث عن جمل سار، و روءيا مُرّيه آثر عندهم من روايه مَرويه»(۲).

و أنكر قوم العجائب رأساً، و صرفها آخرون إلی تأويل منحول(۳).

وقد ألّف الرازی الطبيب المشهور حوالی عام ۳۰۰ه كتاباً سماه مخاريق الأنبياء لم يستجز المطهر ذكرَ ما فيه « فإنه المفسد للقلب، المذهب للدين، الهادم للمروءه، المورث البغض للأنبياء صلوات اللّه عليهم»(۴).

وقد حاول البعض أن يوفقوا بين ما فی القرآن و بين العقل، فكان ما وصلوا إليه توفيقاً مضحكا غير مُحكَم كالذی تأدی إليه البروتستانتيون الذين فسروا الإنجيل تفسيراً عقليا فمثلا تألم بعض العقليين من أن يكون الأطفال قد غرقوا مع آبائهم فی الطوفان بغير ذنب؛ فقالوا إن اللّه أعقم أرحام النساء قبل الطوفان، فلم تحمل منهن واحده خمس عشره سنه، حتی لم يأت الغرق إلا علی مستحق للعذاب(۵).

و ذهب آخرون إلی أن سفينه نوح إنما هی مَثَلٌ للدين الذی جاء به؛ فأمالبثه

۱- طبقات المفسرين للسيوطی ص ۵؛ وقد ألف أبو رجاء الأسوانی من قبل (توفی فی سنه ۳۳۵ه ۹۴۶ م) قصديه ذكر فيها أخبار العالم و قصص الأنبياء بلغت مائه ألف و ثلاثين ألف بيت (طبقات السبكی ج ۲ ص ۱۰۸، و أبوالمحاسن طبعه ليدن ج ۲ ص ۳۱۹) .

۲- كتاب البدء و التاريخ للمطهر بن طاهر المقدسی طبعه هوار ج ۱ ص ۴ .

۳- نفس المصدر ج ۳ ص ۱۷ .

۴- نفس المصدر ج ۳ ص ۱۱۰ .

۵- نفس المصدر ج ۳ ص ۱۷ .

فی قومه ألف سنه إلا خمسین عاما فهو مثلا لبقاء شریعته(۱)

و زعم قوم أنه یجوز أن یکون خروج الناقه المنسوبه لصالح علیه السلام من الصخره معناه حجه دامغه و سلطان قاهر أذعن له القوم، و أن یکون شربها ماء العین معناه إبطالُ تلک الحجه جمیعَ ما خالفها.

وقال البعض یشبه أن یکون خبأها تحت الصخره، ثم أخرجها؛ و زعم آخرون أن اسم الناقه کنایه عن رجل و امرأه(۲).

و زعم غیر هوءلاء أن إبراهیم علیه السلام سحر القوم الذین أوقدوا له النار و طرحوه فیها، و أطلی ببعض الأدویه التی یبطل معها عمل النار؛ و ساق هوءلاء قصه لبعض الهند و شبهوا إبراهیم بها(۳).

أما أصحاب الفیل الذین أهلکهم اللّه بحجاره ألقتها علیهم طیرٌ أبابیل، فقد أوَّل البعض هذا بأن القوم أحرقتهم ثمار الیمن، و أوبأهم ماوءها و هواوءها، فحصبوا، و جدروا فهلکوا(۴).

أما عین القطر التی وردت فی قوله تعالی: « وَ أَسَلْنَا لَهُ عَینَ القِطرِ »(۵)، فهی إشاره إلی ما اهتدی سلیمان إلی استخراجه من معدنه کسائر الجواهر و الهدهد الذی لم یرَه حین تفقّد الطیر(۶) کنایه عن رجل، و کذلک أوِّل النمل

۱- نفس المصدر ج ۳ ص ۲۲، و انظر أیضا التفصیل فی مجله RHR, Bd ۵۰, ۱۹۰۴ فی مقاله لهوار عنوانها : Le Rationalisme Musulman a u IVsiecle.

۲- البدء و التاریخ للمطهر المقدسی ج ۳ ص ۴۲ .

۳- نفس المصدر ج ۳ ص ۵۵ .

۴- نفس المصدر ج ۳ ص ۱۸۷ .

۵- سوره سبأ آیه ۱۲ .

۶- سوره النمل آیه ۲۰ .

فی قوله تعالی : حتی إذا أتَوا علی وادی النمل .. الآیه(۱)، بأنهم قوم ضعاف خافوا خبط عسکر سلیمان؛ و الجن و الشیاطین الذین سُخِّروا لسلیمان هم عتاه الناس و أَشِدَّاوءهم و حُذاقهم و عرفاوءهم بالأمور الغامضه(۲).

أما المعجزات الوحیده التی وجَّه العلماء إلیها اهتمامهم، فیما عدا القرآن، فهی معجزات محمد علیه السلام ؛ و هی ، و إن لم ترد فی القرآن، فقد ذکر فی الأحادیث التی جُمعت فی القرن الثالث الهجری نحوُ المائتین منها.

وقد حاول بعض العقلیین أن یوءوّلوا هذه المعجزات؛ فمثلا قالوا إن أبصار من اجتمع من قریش لیله الدار للفتک بالنبی لم تَعمَ حقیقه، بل هم أعماهم الحقدُ و الغیظ و الغضب.

ولم یکن إبلیس هو الذی کلّم الملأ آمرین لیعینهم بالرأی، بل هو رجل ممن یعمل بعمل إبلیس، فسُمی بذلک(۳).

علی أنه کان بین المسلمین المثقفین طائفه ممن حسن إسلامهم قالوا بهذا المعجزات من غیر أن تطمئن قلوبهم لذلک. وقد ألّف المطهر بن طاهر المقدسی حوالی عام ۳۵۵ه ۹۶۶ م کتابه المسمی البدء و التاریخ لیحمی الإسلام ممن یشحنون صدور العامه بترَّهات الأباطیل، و یقصون علیهم غرائب العجائب، معتقدین کل غریب و حاکین کل أسطوره، و لیحمیه أیضا من الشکّاک الذین لا یوءمنون بشیء. و هو لا یمل من الإعراب عن رأیه بالتصدیق بما نزل به الوی و بما جاءت به السنّه الصحیحه، وهو کذلک لا یستطیع إخفاء سروره حینما یوَفّق إلی

۱- سوره النمل آیه ۱۸ .

۲- البدء و التاریخ ج ۳ ص ۱۰۹ .

۳- نفس المصدر ج ۴ ص ۱۷۳ و الصفحات التالیه .

تأييـد إحـدى المعجزات بـأدله العقـل الـذى يعتـبره « أمَّ العلـوم كلهـا ». و هـو يجيب على من ينكر مـا ورد فى الحـديث من رفع إدريس إلى السماء بأن « أعظم منه هذا الغيم الراكد فى الجو، و هذه الأرض فى ثقلها واقفه فى السمائ كما ترى »(۱).

و أما من أنكر قصه يونس و أحال إمكان بقاء روح حى فى بطن حيوان، فإن المطهر يرد عليهم بقوله : « أو ليس الجنين فى بطن أمه بمتنفس(۲) حى؟ فهـل يعجز من أبقى الأـجنَّه فى ظلَم الأرحـام أن يبقى الأرواح فى أجسام المحبوسـين حتى لا يصل إليهم الهواء؟»(۳).

و هذا نوع من الدفاع عن الدين قد ألفناه نحن من قبل؛ و نستطيع أن نستشف ما تنطوى عليه نفس المطهر من سرور خفى، حينما يعالـج المعجزات النبويه بطريقه عقليه، و يبين جريانها على سـنن الطبيعه؛ وقد تحمس لوضع مبدأ يقوم على أن الشـىء قد يكون معجزه فى وقت، و يكون بعينه غير معجزه فى وقت آخر، و يكون معجزه لقوم و غير معجزه لقوم آخرين(۴).

و يروى عن النبى عليه السلام أنه وعد أمّته بقوله : « يبعث اللّه على رأس كل مائه سنه رجلا من أهل بيتى يبين لهم أمر دينهم ».

وقـد أحصـى العلماء المتأخرون هوءلاء « المجـدِّدين » الـذين يموت كل واحد منهم فى أوائل قرنه؛ وقد اختار العلماء فى حوالى عام ۴۰۰ه ثلاثه رشحوهم

۱- البدء و التاريخ ج ۲ ص ۱۳ .

۲- فى الأصل متنفس؛ و أظنها خطأ. (المترجم) .

۳- نفس المصدر ج ۳ ص ۱۱۲ ج ۱۱۳ .

۴- نفس المصدر ج ۴ ص ۱۷۵ ج ۱۷۶ .

لهـذه المهمه، و كلهم لم يكونـوا ذوى شـأن عظيم(۱)؛ وفى حوالى عـام ۳۰۰ه لم يقع اختيـارهم إلاـ على الأشـعرى المتوفى عام ۳۴۳ه ۹۳۶ م(۲)

ويدلّ هذا على قله العلماء بين جمهور أهل السته، لأن أعظم مفكرى الإسـلام فى ذلك العهد كانوا جميعاً بين صـفوف المعتزله الذين كانت تنبعث من عندهم جميع المسائل التى يعالجها المتكلمون.

ولم يكن المعتزله من حيث هم فرقه لهـا مـذهبها الخـاص أشـد مخـالفه لأهـل السـنه من الشـيعه فى ذلـك العهـد، ذلـك أن من الفريقين، كما قال ابن حزم، من يخالف أهل اللسنه الخلاف البعيد، و منهم من يخالفهم الخلاف القريب(۳).

وفى القرن الرابع الهجرى كانت مخالفه المعتزله لجمهور المسلمين مخالفه كلاميه محضه لاتخرج عن حدود مسائل علم الكلام، وهى شبيهه بخلاف الصوفيه؛ لأن هوءلاء اعتبروا فرقه إلى جانب الفرق الأخرى الكبيره(۴).

أمـا فى العبادات فقـد كان المعتزله فى الغالب متفقين مع أهل السـنه؛ هـذا إلى أنه كان بين المعتزله شـيعه كالزيـديه؛ و كان من هوءلاء بعض أهل البيت مثل أبى

۱- لمـا ألف متز كتـابه لم يكن القاضـى أبوبكر الباقلانى، أعظم متكلمى القرن الرابع، معروفاً للباحثين، كما ينبغى له؛ وقـد اعتبر المجـدد الموعود به على رأس المائه الرابعه؛ راجع مقدمه كتاب التمهيد ط. القاهره ۱۹۴۷ ص ۹، و الملحق ص ۲۴۴. (المترجم).

۲- Goldziher, Zur Chatakteristikes Suyutis SWA, Bd. ۶۹, S. ۸ tf وقـد اختلف العلمـاء هـل لكل قرن مجـدد واحـد أم له مجدد فى كل علم من علوم الدين؟ كان الذهبى يذهب إلى هذا الرأى الأخير، و يقول كان على رأس المائه الثالثه ابن سريج فى الفقه و الأشعرى فى أصول الدين و النسائى فى الحديث. (انظر طبقات السبكى ج ۲ ص ۸۹) .

۳- الفصل لابن حزم ج ۲ ص ۱۱۱ .

۴- البدء و التاريخ للمطهر المقدسى ج ۱ ص ۱۶ .

عبداللّه الداعی، و هو أحد تلامیذ أبی عبداللّه البصری(۱).

و کان من الشیعه المعتزله المشهورین إلی جانب من تقدم أبوالحسین الراوندی(۲) والرمانی اللغوی(۳) المتوفی عام ۳۸۴ه ۹۹۴ م، و کـان أسـتاذتهم کلهم تقریبـا فُرسا هاجروا إلی العراق أو اسـتوطنوا أصـفهان؛ بل یقال إن الجبائی المتوفی عام ۳۰۳ه ۹۱۵ م ألّف تفسیراً للقرآن بالفارسیه(۴)

وکـان موضوع بحث المعتزله علم العقائـد بمعنـاه المحـدود، و أول مـا عالجوا من ذلک مسأله القـدر و ما یتصل بها من وصـف أفعال اللّه بالخیر و الشـر. وکانت هـذه المسأله أکبر ما أثار اهتمام أدمغتهم التی تأثرت بمذهب زرادشت. وکان إمام المعتزله فی عصر المأمون أبوالهذیل العلّاف و أکبر ما ظهرت فیه مقدرته و انتصاراته ردوده علی الثنویه(۵).

وفی أواخر القرن الثالث الهجری أخرج المعتزله أکبر مـدافع عن مـذاهب الثنویه، و هو ابن الراونـدی الـذی کان من المعتزله، ثم انسلخ عنهم، و شنَّع علیهم حتی استعانوا بالسلطان علی قتله(۶).

۱- المعتزله لابن المرتضی ص ۶۳ .

۲- انظر فیما یتعلق به مقـدمه نیبرج لکتاب الانتصار للخیاط ط. القاهره ۱۹۲۵، و ما کتبه عنه ریتر فی مجله Der Islam مجلد ۱۹ (۱۹۳۱) من ص ۱ ج ۱۷، و کراوس فی مجله الدراسات الشرقیه (RSO) التی تصدر فی روما، مجلد ۱۴ (۱۹۳۴) ص ۹۳ ج ۱۲۹، ۳۳۵ ج ۳۷۹. (المترجم) .

۳- طبقات المفسرین للسیوطی ص ۲۴ .

۴- Spitta, el-Aschari, ۸۷.

۵- المعتز بن المرتضی ص ۲۵ ج ۲۷ .

۶- نفس المصدر ص ۵۳ ج ۵۴ .

وفی القرن الرابع الهجری کان نصیب المعتزله فی أصفان علی الأقل(۱) نصیب الصوفیه من أنهم دخل فیهم بعض الشیعه فانتسبوا بسبب ذلک لعلی وردوا سند مذهبهم إلیه(۲).

ویذکر الخوارزمی أن المعتزله یعتدّون بالحسن البصری الذی یعتد الصوفیه به و یدّعونه لأنفسهم ج اعتداد الشیعی بالوصی، و اعتداد الزیدیه بزیدبن علی، و الإمامیه بالمهدی(۳).

ونجد آثاراً متفرقه تدل علی أثر مذاهب الغنوسطیین فی المعتزله مثل ما یحکی عن أحمد بن حائط من قوله إن للعالم خالقین : أحدهما قدیم و هو اللّه تعالی؛ والآخر حادث، و هو کلمه اللّه عزوجل،عیسی بن مریم، التی بها خلق العالم(۴).

وکان بَعض المعتزله فی القرن الرابع یتکلمون فی القدر وفی تحدید معنی الفسق و الإیمان. ولکن کانت عمدتهم التی یتمسکون بها هی الکلام فی التوحید و ما یوصف به اللّه تعالی؛ ثم یزید بعضهم غیر ذلک(۵).

۱- نفس المصدر ص ۶۱ ج ۶۲ .

۲- نفس المصدر ص ۵ ج ۶ .

۳- الیتیمه للثعالبی ج ۴ ص ۱۲۰ .

۴- الفصل لابن حزم ج ۴ ص ۱۹۷ .

۵- کان هوءلاء القلیلون الذین لم یزالوا یعالجون البحث فی مسأله الاختیار و القدره الإنسانیه یسمون « القدریه »؛ ولیس من السهل بیان معنی هذه الکلمه؛ فالقدریه عند ابن قتیبه هم الذین أضافوا القدر إلی أنفسهم (تأویل مختلف الحدیث ص ۹۸)، یعنی أنهم أصحاب الاختیار، وهم الذین یخالفون الجبریه؛ ولکن هذا التفسیر متناقض؛ لأن لفظ القدریه کان یطلق قدیماً علی القائلین بالقدر من اللّه خیره و شره. و یحکی عن زید بن علی أنه قال : « أبرأ من القدریه الذین حملوا ذنوبهم علی اللّه، و من المرجئه الذین أطمعوا الفساق فی عفو اللّه» (کتاب المعتزله لابن المرتضی ص ۱۲). أما فی القرن الثالث فکانوا یقولون علی وجه التدقیق إن اللّه تعالی یخلق الخیر و إن الشیطان یخلق الشر (ابن قتیبه مختلف الحدیث طبعه القاهره ۱۳۲۱ه ص ۵، و الأشعری فی الإبانه کما ذکر ذلک (Spitta S. ۱۳۱)، و بسبب هذه الاثنینیه، سمی المعتزله « مجوس الأمه الإسلامیه » (ابن قتیبه ص ۹۶)؛ ویحکی عن أحدهم أنه قال لرجل من أهل الذمه : ألا تسلم یا فلان؟ فقال : حتی یرید اللّه؛ فقال له : قد أراد اللّه. ولکن إبلیس لا یدعک؛ فقال له الذمی : فأنا مع أقواها (ابن قتیبه ص ۹۸ ج ۹۹). و بسبب هذه الأثنینیه أیضاً، سمی القائلون بالاختیار قدریه فی حین أن أصحاب الاختیار یقولون : إن إطلاق اسم القدریه علی من یقول بالقدر خیره و شره من اللّه أولی (الشهرستانی علی هامش ابن حزم ج ۱ ص ۴۵، و ابن قتیبه ص ۹۷). وفی القرن الرابع، یقول المقدسی : إن المعتزله غلبوا علی القدریه (ص ۳۷)، ویقول الأشعری (Spitta ۱۳۱) ما یدل علی أن القدریه هم المعتزله، و یقول المقدسی ج إلی جانب ما تقدم من غلبه المعتزله علی القدریه ج إنه لا یمیز إحداهما من الأخری إلا کل نحریر (ص ۳۸). وقد حاول القاضی عبدالجبار بالری، حوالی أول القرن الخامس، و کان القاضی أکبر شیوخ المعتزله فی عصره، أن یثبت من الأحادیث أن اسم القدریه لا ینبغی أن یطلق علی المعتزله، بل علی القائلین بالقدر خیره و شره من اللّه) انظر مقاله الأستاذ شرینر : Schereiner, ZDMG

.۵۲. S. ۲۰۹ f

ولاـ يخلو ذلـك من تـأثير الفلسـفه اليونـانيه التى كـان لها أثر فعّال فى تحريك الخواطر فى أثناء القرن الثالث، و إن كان تأثيرها مقصوراً على الطبقه العليـا من المتكلمين كالنظـام و الجاحظ(۱)، و من تأثير علم العقائـد المسـيحى الـذى كان طول تلك المده مهتما ببيان وحده الذات و تنزُّهها عن الكثره(۲)

ولما كان المعتزله قد جعلوا عمده بحثهم الكلام فى ذات اللّه و صفاته، فلم

۱- S. Horovits :p uber en Einfuss der griechishcsen philosophie auf die Entwicklung des Kalam, Breslau ۱۹۰۹؛ [ولكـن الاشـتغال بالمبـاحث الفلسـفيه والتأثربهـا، شـمل كـثيرين غير الجاحـظ و أسـتاذه النظـام. المترجم].

۲- Becker, ZA. Bd ۲۶. ۱۷۵ ff.

يقتصر الأمر على أن صارت هذه المسأله أهم مسائل العقائد الإسلاميه حتى اليوم، بل أدى كلامهم فى هذه المسأله إلى طبع الفلسفه العربيه بطابع خاص، كما أن مباحثهم فى هذا الموضوع كان لها أثر فى مذهب سبينوزا، ونفذ التأثير من مذهب سبينوزا إليا الفكر الأوربى. و يقول ابن حزم إن المعتزله هم الذين اخترعوا لفظ الصفات، و كان المستعمل قبل ذلك هو كلمه « النعوت » أو « الأسامى »(١)

أما ما يمتاز به المعتزله من الخصال فيقول المقدسى(٢): إنهم لا ينفكون من أربع خصال : اللطافه و الدرايه و الفسق و السخريه. ومما يدل على أن المعتزله كانوا مولعين بالمناظره و الجدل(٣) أن مذهبهم كله يقوم على الجدل(٤)، و لذلك قال المعتزله إن المختلفين كلاهما على صواب(٥).

و مع ذلك كانوا متكاتفين حتى إن تكاتفهم فى القرن الرابع كان مضرب المثل، و حتى تمثل الخوارزمى باعتداد المعتزلى بالمعتزلى(٦).

وكان المتكلمون ينظرون فى كل شىء، « و أرادوا معرفه كل شىء»(٧).

وكان من يسمون بالفلاسفه ينظرون إليهم بعين التصغير»، كما ينظر الباحث فى

١- البخارى : كتاب التوحيد نقلا عن جولد زيهر Goldziher, Zahirten, S. ١٤٥, Anm. ١ .

٢- المقدسى ص ٤١ .

٣- يتيمه الدهر ج ٣ ص ١٠٦ .

٤- وقد كان القفال أبوبكر الشاشى، المتوفى عام ٣٣٦ه (أو ٣٣٥)، أحد أئمه الشافعيه، أول من صنف فى الجدل (أبوالمحاسن ج ٢ ص ٣٢١ طبعه ليدن) .

٥- بستان العارفين للسمرقندى ص ١٥ .

٦- رسائل الخوارزمى ص ٦٣ (؟) .

٧- الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٠٩ (؟) .

علم النفس التجریبی إلی صاحب ما بعد الطبیعه»(۱)

وکـان الفلاسـفه یرمون المتکلمین بـالتعصب و اسـتحسان التقلیـد و اللجـاج، و أنهم «انفتـح بـاب الحیره علیهم و سُـدَّ باب الیقین عنهم، و لهذا قل تألهم و تنزههم، و صاروا یقولون بتکافوء الأدله»(۲)

ولمـا کـان المتکلمون ینکرون السـحر بجمیع صوَره و التنجیم، بـل أنکروا کرامات الأولیاء(۳) فإننـا نسـتطیع أن نعتبرهم من دعاه حریه الفکر و الاسـتناره، رغم مـذهبهم الکلامـی، و مـا کـان لهم فیه من تـدقیقات. جـاء فی کتـاب الإرشاد لیاقوت : « اتفق أهل صنـاعه الکلاـم علی أن متکلمی العـالم ثلاـثه : الجاحـظ، و علی بن عبـد اللّه اللطفی، و أبوزیـد البلخی »، و الأـول و الثـالث من هوءلاء الثلاثه ج ولا أعرف من أمر الثانی شیئاً ج رجلان یمثلان الفکر الحر علی نحو جدیر بالتقدیر؛

أما الجاحظ « فیزید لفظه علی معناه »؛ وأما أبوزید « فیتوافق لفظه و معناه(۴)؛

۱- کتاب المعانی النفس Goldziher, AGGW, N. F, ۱۰, S. ۱۳ ff.

۲- انظر Goldziher, ZDMG, Bd, ۶۲, S, ۲ ff ،نقلاـ عـن التوحیـدی فی المقابسـات (طبعه بمبـای ص ۵۲). علی أن المتکلمین من جـانبهم یطعنـون فی الفلاسـفه، فیحکی أن رجلاـ سوفسـطائیاً أنکر الضـروریات فی مجلس أبی القـاسم البلخی. و ألحقهـا بالخیالات؛ فقام البلخی إلی بغل جاء السوفسطائی راکباً علیه و خبَّأه، ثم قام السوفسطائی من غیر أن یقتنع، فلما لم یجد البغل، رجع إلی أبی القاسم، فقال له أبو القاسم : لعلک ترکته فی غیر هـذا الموضع، أو لعلک لم تأت راکباً، وخیل إلیک ذلک تخییلا؛ و جاءه بأنواع من هذا الکلام، حتی رجع عن مذهبه (المعتزله لابن المرتضی ص ۵۱) .

۳- لم یکن هذا مذهب المتکلمین جمیعا. (المترجم) .

۴- الإرشاد ج ۱ ص ۱۴۱ ج ۱۴۸ .

والجاحظ يشبه فولتير Voltare؛ أما أبوزيـد (وقد توفى عام ۳۲۲ه ۹۳۳ م، وقـد جاوز الثمانين) فقـد كان أثبت و أكثر انزاناً، و هو يشبه الإسكندر همبولت Alexander Humboldt بين دعـاه الفكر الحر فى القرن التاسع عشر. وقـد جمع إلى دراسه الفلسفه دراسه التنجيم و الطب و الجغرافيا و علوم الطبيعه؛ و ألف كتاباً سماه نظم القرآن، تكلم فيه بكلام لطيف، و كان يتنزه عـن التأويـل البعيـد للقرآن. و كـان الحسـين بـن على المروروزى يجرى عليـه صـلات دائمـه، فلمـا أملى كتـابه فى البحث عن التأويلات قطعهـا عنه؛ وكان الجيهانى يجرى عليه صـلات أيضاً، فلما أملى كتاب القرابين و الذبائـح حرمه إياها، وكان الحسين قرمطيا و الجيهانى ثنويا. وهـاك مثالاـ من نظر خصوم الجاحظ إليه فيمـا كتبه ابن قـتيبه : « هو آخر المتكلمين، و المعـاير على المتقدمين، و أحسـهم للحجه استشاره، و أشدهم تلطفاً لتعظيم الصـغير حتى يعظُم و تصـغير العظيم حتى يصغُر؛ و يبا به الأقتدار إلى أن يعمل الشـيء و نقيضه، ويحتـج لفضل اسودان على البيضان، وتجـده يحتـج مره للعثمانيه على الرافضه و مره للزيديه على العثمانيه و أهل السـنه، و مره يفضِّل عليا رضـى الله عنه و مره يوءخره؛ و يقول : قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله ، و يتبعه : قال الجماز، وقال إسـماعيل بن غزوان كذا و كذا من الفواحش. و يجِلُّ رسول اللّه صـلى الله عليه و آله عن أن يذكر فى كتاب ذُكرا فيه، فكيف فى ورقه أو بعـد سـطر و سـطرين؟ و يعمل كتاباً يـذكر فيه حجـج النصارى على المسـلمين؛ فإذا صار إلى الردِّ عليهم تجوز فى الحجه، كأنه إنما أراد تنبيههم على مالا يعرفون تشـكيكَ الضعَفَه من المسلمين. و تجده يقصد فى كتبه للمضاحيك و العبث؛ يريد بذلك استماله الأحداث و شُرّاب النبيذ؛ و يستهزئ من الحديث استهزاء لايخفى على أهل

العلم، كذكره كبد الحوت، وقرن الشيطان، وذكر الحجر الأسود، و أنه كان أبيض فسوّده المشركون، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا؛

ويذكر الصحيفه التى كان فيها المنزل فى الرضاع تحت سرير عائشه، فأكلتها الشاه، و أشياء من أحاديث أهل الكتاب فى تنادُم الديك و الغراب، و دفن الهدهد أمَّه فى رأسه، و تسبيح الضفدع، و طوق الحمامه، و أشباه هذا .. و هو مع هذا من أكذِب الأمه و أوضعهم لحديث و أنصرهم لباطل »(۱).

وقد رُويت عن المعتزله أقوال أخرى يقشعر لها جلد المسلم الحق و يمجها قلبه، فيذر ابن قتيبه أن ثُمامه بن أشرس كان ينتقص الإسلام و يرسل لسانه بما لا ـ يون من رجل يعرف اللّه و يوءمن به، « و من المحفوظ عنه المشهور أنه رأى قوماً يَتَعادَونَ يوم الجمعه إلى المسجد لخوفهم فَوتَ الصلاه فقال : انظروا إلى البقر! انظروا إلى الحمير! ثم قال لرجل من إخوانه : ما صنع هذا العربى بالناس!»(۲).

وفى القرن الثالث الهجرى كان أهل السنه ينظرون إلى المعتزله بعين الكراهيه و الاحتقار؛ ثم خرج الأشعرى حوالى آخر القرن الثالث على المعتزله، بعد أن كن منهم، وبدأ يحاربهم بسلاحهم؛

و على هذا نشأ فى القرن الرابع الهجرى المذهبُ الكلامى الرسمى القائم على العلم و النظر العقلى، و كان مذهب الأشعرى مذهب توفيق، و ذلك شأن كل مذهب رسمى، ولذلك سمى مذهباً أوسط(۳)؛

۱- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبه ص ۷۱ ج ۷۲ طبعه مصر ۱۳۲۶ه .

۲- ابن قتيبه ص ۶۰ .

۳- Spitta, Aschari, ۴۶ ،و كان أسلاف الأشعريه الأقربون بين المتكلمين هم : الكلابيه الذين اندمجوا فى الأشاعره فى القرن الرابع، وكانو ينكرون الجبر(مقدسى ص ۳۷) .

وقد حسب الأشـعرى أن فى قدرته أن يوفق بين مذهب أهل السـنه و بين العقل، و أعلن فيما كتبه تمسكه بمذهب الحنابله؛ يقول الأشـعرى : « قولُنـا الـذى نقول به، و ديانتنـا التى نـدين بهـا، التمسُّكُ بكتاب اللّه و سـنه نبيه صـلى الله عليه و آله ، وما روى عن الصـحابه و التابعين و أئمه الحـديث؛ و نحن بـذلك معتصـمون، وبما كان عليه أحمـد بن حنبل، نضـر اللّه وجهه و رفع درجته و أجزل مثوبته، قـائلون، و لمن خـالف قولُه قولَه مُجـانِبون؛ لأنه الأمام الفاضل و الرئيس الكامل الـذى أبان اللّه به الحق عنـد ظهور الضلال»(۱).

ولكن الحنابله كانوا يخاصمون الأشعرى(۲)، فيقول ابن الجوزى إن الأشعرى ظل معتزليا دائما(۳)؛ وقد قُدِّر لمذهب الأشعرى ما يقدر عاده لغيره من المذاهب التى تميل إلى التوسط و التوفيق بين ما اختلف؛ فانحرف عنه أهم تلاميذ الأشـعرى مائلين إلى رأى الخصوم العقليين، و أكبر ما نجـد ذلك عند الباقلانى المتوفى عام ۴۰۳ه ۱۰۱۲ م؛ فإنه أدخل فى علم العقائد مسأله الجزئ الذى لا يتجزأ، و الخلاء، و غير ذلك من الأشياء الغريبه عنه(۴)

و كان القاضـى عبد الجبار بالرى (توفى سنه ۴۱۵ه ۱۰۲۴ م) فى ابتداء حاله يذهب فى الأصول مذهب الأشـعريه، ثم انتقل إلى خصومهم - المعتزله - و

۱- Spitta, ۱۳۳.

۲- نفس المصدر ص ۱۱۱ .

۳- المنتظم ص ۷۱ ب، على أن ابن الجوزى إنما قال : إن الأشعرى ظل على مذهب المعتزله زماناً طويلا (أربعين سنه) ثم تركه و أتى بمقاله خبط بها عقائد الناس. (المترجم) .

۴- Schreiner, Or. Konger. Stockholm, ۱, ۱, S. ۸۲ ،نقلا عن ابن خلدون (المقدمه، الفصل الخاص بعلم الكلام)؛ راجع مقدمه كتاب التمهيد للباقلانى، طبعه القاهره ۱۹۴۷ ص ۱۳ و ما بعدها ج المترجم .

إليه انتهت الرياسه فيهم حتى صار شيخهم و عالمهم غير مدافَع(۱).

وكان الصاحب بن عباد قد أحسن إليه و قدّمه و ولّاه القضاء؛ فلما تُوفى الصاحبُ قال عبد الجبار : لا أرى الترحم عليه، لأنه مات من غير توبه ظهرت منه؛ فنسب عبدالجبار إلى قله الوفاء(۲).

نرى من هذا أن المعتزله لا يستحقون كل ما ينسب إليهم من أنهم أصحاب الفكر الحر.

وفى غضون القرن الرابع الهجرى كان أصحاب مذهب السنَّه القدماء يحاربون الشيعه الذين صعَّروا خدودهم ببغداد، بو يضيقون على متكلمى المعتزله فى سائر البلاد، حتى نغصوا عليهم العيش؛ ولكنهم على الرغم من استهوائهم للعامه و إثارتهم لهم لم ينجحوا فى ذلك إلا قليلا، ولا نسمع من أمثله هذا الضطهاد إلا قليلا(۳)؛ ولم يكن مذهب الأشعرى قد قوى فى ذلك العهد بحيث يعتبر خصما و يهاجَم، فإنه لم ينشر فى العراق إلا منذ نحو سنه ۳۸۰ه‍(۴)، وعند ذلك بدأت تظهر آثار الضطهاد له؛ وقد حاول الحنابله أن يمنعوا الخطيب البغدادى المتوفى عام ۴۶۳ه‍ ۱۰۷۱ م من دخول المسجد الجامع ببغداد، لأنه كان يذهب مذهب الأشعرى(۵)؛ وكان أكابر الأشاعره فى ذلك العهد يضطَهدون و ينفون فى أيام طغرل بك. وقربَ أواخر القرن الرابع تحاملت الحنابله على رجل من كبار

۱- المعتزله لابن المرتضى ص ۶۶ .

۲- ابن الأثير ج ۹ ص ۷۷ .

۳- ۸.Zwei besonders characktsristichw... bei Goldziher, ZDMG. ۶۲ S .

۴- الخطط المقريزى ج ۲ ص ۳۵۸ .

۵- كان الخطيب البغدادى يتعصب على الحنابله (المنتظم ص ۱۱۸ ب) .

الأشاعره ذوى النفوذ، و هو القشيرى المتوفى عام ۵۱۴ﻫ ۱۱۲۰ م؛ و وقع بسبب تَهييج الحنابله قتالٌ فى الشوارع، و اضطر القشيرى إلى ترک بغداد(۱)

ومن هذه الحادثه أرّخ ابن عساکر مبدأ وقوع الانحراف بين الحنابله و الأشاعره(۲)

ولم ينتشر مذهب الأشاعره، و هو المذهب الکلامى الجديد الذى قدِّر له أن يصير مذهب جمهور المسلمين إلا انتشاراً بطيئاً فى المملکه الإسلاميه؛ ففى أقصى المشرق کان الماتريديه ينافسون الأشاعره، و ذلک على الرغم مما بين الفريقين من تشابه فى أصل المذهب، و کان لابد للأشاعره أيضاً أن يدرأوا هجمات الحنابله الذين کلن شيخهم حوالى عام ۴۰۰ﻫ ۱۰۱۰ م يلعن أبا الحسن الأشعرى أما الملأ و ينال من الأشاعره(۳).

و أن يقاموا أيضاً هجمات الکراميه الذين تحزّبوا على الأشاعره، و رفعوا أمرهم إلى السلطان محمود بن سبکتکين مدَّعين أن الأشاعره يعتقدون أن النبى صلى الله عليه و آله ليس نبيا اليوم و أن رسالته انقطعت بموته، ولم يکن هذا مُعتقداً للأشاعره(۴).

أما فى المغرب فقد انتشر مذهب الأشاعره من بلد إلى آخر، فقامت لهم سوق فى صقليه و القَيروان و الأندلس، « ثم رق أمرهم و الحمد اللّه رب العالمين»(۵).

۱- Goldziher, ZDMG, ۶۲, S.۸.

۲- Spitta. Aschari, S. ۱۴۵.

۳- طبقات السبکى ج ۳ ص ۱۱۷ .

۴- نفس المصدر ج ۳ ص ۵۴ .

۵- الفصل لابن حزم ج ۴ ص ۲۰۴ .

ولم يكن مذهب الأشاعره معروفاً قط فی شمال إفريقيه حتى حمله إليها محمد بن تومرت حوالی عام ٥٠٠ه ١١٠٧ م(١)

و كانت الحكومه فی أوائل القرن الخامس الهجری تتدخل نوعاً من التدخل الرسمی لفض المنازعات المذهبيه، ففی عام ٤٠٨ه ١٠١٧ م أصدر الخليفه القادر كتاباً ضدّ المعتزله، فأمرهم بترك الكلام و التدريس و المناظره فی الاعتزال و المقالات المخالِفه للإسلام، و أنذرهم ج إن خالفوا أمره ج بحلول النكال و العقوبه. و امثل السلطانُ محمود فی غَزنَه أمرَ أميرالموءمنين واستنّ بُسنّته فی فتل المخالفين و نفيهم و حبسهم، وأمر بلعنهم علی المنابر، « وصار ذلك سنه فی الإسلام »(٢).

وصدر فی بغداد كتابٌ آخر سُمّی الاعتقاد القادری، وذلك فی سنه ٤٣٣ه ١٠٤١ م و قُرئ فی الدواوين، « و كتبَ الفقهاء خطوطَهم فيه أن هذا اعتقاد المسلمين و من خالفه فقد فسق و كفر »، وكان هذا أول اعتقاد رسمی يعلنه الخليفه(٣)، وكان معنی ذلك نهايه تطور علم الكلام؛ و يستطيع الرجل الثاقب النظر أن يتبين فی كل كلمه من هذا الاعتقاد جراثيم المنازعات التی مضت عليها قرون، وهاك نصه : « علی الإنسان أن يعلم أن اللّه عزّوجلّ وحدَه لا شريك له، « لم يلِد ولم يولَد، ولم يكن له كفواً أحد »، لم يتّخِذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له

١- Goldziher, ZDMG, ٤١, S. ٣٠ff.

٢- المنتظم ص ١٦٥ ب .

٣- علی أن ما حدث فی أيام المأمون من أمر المحنه، و إصدار الكتب بعضها تلو البعض فی العقيده التی يجب أن يحمل الناس عليها، هو أيضاً اعتقاد رسمی أصدره الخليفه، و هو أول اعتقاد. (المترجم) .

شریک فی الملک، و هو أوّلٌ لم یزَل، و آخرٌ لا یزال، قادرٌ علی کل شیء، غیرُ عاجز عن شیء، إذا أراد شیئاً قال له : کن، فیکون، غنی غیرٌ محتاج إلی شیء، « لا إله إلا هو الحی القیوم، لا تأخذه سنهٌ و لا نَومٌ » « یطعِمُ ولا یطعَم »، لا یستوحش من وَحدَهٍ ولا یأنَسُ بشیء، و هو الغنی عن کل شیء، لا تُخلِقُه الدهورُ و الأزمانُ، و کیف تغیرُه الدهورُ وهو خالقُ الدهور و الأزمان، واللیل و النهار، و الضوء و الظلمه، والسموات و الأرض، و ما فیها من أنواع الخلق، والبر و البحر و ما فهیما، و کل شیء حی أو موات أو جماد؟ کان ربُّنا وحده لا شیء معه، ولا مکان یحویه، فخلق کلّ شیء بقُدرَته، و خلق العرشَ لا لحاجته إلیه، فاستوی علیه کیف شاءَ و أراد، لا استقرار راحهٍ، کما یستریح الخَلق؛ وهو مدبِّر السموات و الأرضین و مدبر ما فیها و من فی البر و البحر، لا مدبر غیره، ولا حافظ سواه، یرزقهم و یمرِضُهم و یعافیهم و یمیتهم و یحییهم؛ و الخلق کلهم عاجزون، الملائکه والنبیون و المرسلون و الخلق کلهم أجمعون، و هو القادر بقدرهٍ، و العالم بعلم أزلی غیر مُستَفادٍ، و هو السمیع بسمع، و المُبصِرَ ببَصَر، یعرِفُ صَفَتهما من نفسه، یا یبلغ کنهَهُما أحدٌ من خلقه، متکلٌ بکلام، لا ب آله مخلوقه ک آله المخلوقین، لا یوصَف إلّا بما وصف به نفسَه أو وصفه به نبیه علیه السلام ؛

و کلُّ صفه وصفَ بها نفسَه أو وصفَه بها رسوله فهی صفهٌ حقیقیه لا مجازیه؛ و یعلم أن کلام اللّه تعالی غیر مخلوق، تکلم به تکلیما، و أنزله علی رسوله صلی الله علیه و آله علی لسان جبریل بعد ما سمعه جبریل منه، فتلاه جبریل علی محمد، وتلاه محمد علی أصحابه، و تلاه أصحابه علی الأمه، ولم یصِر بتلاوه المخلوقین مخلوقاً، لأنه ذلک الکلام بعینه الذی تکلم اللّه به، فهو غیر مخلوق فبکل حال

متلوًّا و محفوظاً و مكتوباً و مسموعاً؛

و من قال إنه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافرٌ، حلالُ الدم بعد الاستتابه منه؛

و يعلم أن الإيمان قولٌ و عملٌ و نيهٌ : قولٌ باللسان، و عملٌ بالأركان و الجوارح، و تصديقٌ به، يزيد و ينقص، يزيد بالطاعه و ينقص بالمعصيه، و هو ذو أجزاء، فأرفع أجزائه لا إله إلا اللّه، و أدناها اماطه الأذى عن الطريق؛

و الحياءُ شُعبَهٌ من الإيمان، والصبرُ من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد؛ و الإنسان لا يدرى كيف هو مكتوب عند اللّه، ولا بماذا يختَمُ له، و لذلك نقول إنه موءمن إن شاء اللّه، و أرجو أن أكون موءمناً، ولا يضرّه الاستثناء و الرجا، ولا يكون بهما شاكا ولا مُرناباً، لأنه يريد بذلك ما هو مغيبٌ عنه من أمر آخرته و خاتمته؛

و كلُّ شىء يَتَقَرَّبُ به إلى اللّه تعالى و يعمل لخالص وجهه من أنواع الطاعات فرائضها و سننِها و نفائِلها فهو كلّه من الإيمان منسوب إليه، ولا يكون للإيمان نهايه أبداً، لأنه لا نهايه للفضائل و لا للمتنوع فى الفرائض أبداً. و يجب أن نُحِبَّ أصحاب النبى صلى الله عليه و آله كلَّهم، و نعلم أنهم خيرُ الخلق بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله ، و أن خَيرَهم كلِّهم و أفضلَهم بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله أبوبكر الصديق، ثم عمربن الخطاب، ثم عثمان بن عفّان، ثم على بن أبى طالب، رضى اللّه عنهم، و نشهدَ للعشره بالجنه، ونترحَّم على أزواج رسول اللّه صلى الله عليه و آله ؛

و من سبَّ عائشه فلاحظ له فى الإسلام، ولا نقول فى معاويه إلا خيراً، ولا ندخل فى شىء شَجَر بينهم، و نترحّم على جماعتهم، قال اللّه تعالى : « و الذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان،

ولا تجعل فی قلوبنا غلًّا للذین آمنوا، ربنا إنک رءوف رحیم(۱)»، و قال فیهم « و نزعنا ما فی صدورهم من غِلٍّ، إخواناً علی سُرُر منقابلین(۲)» ولا یکَفَّر یترک شیء من الفرائض غیر الصلاه المکتوبه وحدها، فإنه من ترکها من غیر عذر و هو صحیح فارغ، حتی یخرج وقت الإخری فهو کافر، و إن لم یجحدها، لقول النبی صلی الله علیه و آله : بین العبد و الکفر ترک الصلاه؛

فمن ترکها فقد کفر، ولا یزال کافرا حتی نیدَم و یعیدها، فإن مات قبل أن یعید لم یصَلَّ علیه و حُشر مع فرعون و هامان و قارون و أبَی بن خلف. و سائر الأعمال لا یکَفُر بترکها، و إن کان یفسَّق حتی یجحدَها؛ ثم قال : هذا قول أهل السنه و الجماعه الذی من تمسک به کان علی الحق المبین، و علی منهاج الدین و الطریق الواضح و رُجِی به النجاهُ من النار و دخول الجنه إن شاء اللّه، وقال النبی صلی الله علیه و آله : الدینُ النصحیه، قیل : لمن یا رسول اللّه؟ قال : للّه و لکتابه و لرسوله و لأئمه المسلمین و عامتهم؛ وقال علیه السلام : أیما عبد جاءته موعظه من اللّه تعالی فی دینه فإنها نعمه من اللّه سیقت إلیه، فإن قبلها بشکر، و إلا کانت حجه علیه من اللّه تعالی لیزداد بها إثما و یزَادَ بها من اللّه سخطا، جَعَلَنا اللّه لآلائه شاکرین و لنعمائه ذاکرین و بالسنه معتصمین، و غَفَرَ لنا و لجمیع المسلمین(۳)».

وکان تسامح المسلمین فی حیاتهم مع الیهود و النصاری؛ و هو التسامح الذی بم یسمع بمثله فی العصور الوسطی سبباً فی أن لحق بمباحث علم الکلام شیء لم یکن قط من مظاهر العصور الوسطی، و هو علم مقارنه الملل؛ و لم تکن نشأه هذا

۱- سوره الحشر، آیه ۱۰ .

۲- سوره الحجر، آیه ۴۷ .

۳- المنتظم ص ۱۹۵ ب ج ۱۹۶ .

العلم من جانب المتكلمين؛ ذلک أن النوبختی، و هو موءلف أول کتاب له شأن فی الآراء و الدیانات، کان من نَقَله کتب الیونان إلی لسان العرب(۱).

و کذلک ألّف المسعودی کتابین فی الدیانات(۲).

ولم یکن المسعودی متکلما؛ ثم جاء المسبِّحی المتوفی عام ۴۲۰ه ۱۰۲۹ م، وکان ممن اشتغل فی الدواوین، و من موءلفاته کتابِ دَرک البغیه فی وصف الأدیان و العبادات، وهو کتاب مطول علی طریقه المسبِّحی، و یقع فی ثلاثه آلاف و خمسمائه ورقه؛ و إذن فقد عنی هذا الموءلف الأدیب العالم بالبحث فی الأدیان إلی جانب اشتغاله بأمور الدوله؛ و هذا الکتاب هو الکتاب الوحید الذی یتصل بعلوم الدین من بین کتب المسبِّحی؛ و مرجع عنایته بذلک إلی أن أسرته من حرّان، و لذلک عنی بما کان یعنی به الصابئه(۳).

ثم أقبل علی البحث فی الملل بعضُ المتکلمین المیالین إلی معرفه ما غاب عنهم، فمن ذلک کتاب المِلل و النِّحل، (وقد صار هذا الاسم شائعاً بین الموءلفین فی هذا الباب) لأبی منصور البغدادی المتوفی عام ۴۲۹ ه - ۱۰۳۸م (۴)؛ ثم جاء ابن حزم الأندلسی المتوفی عام ۴۵۶ه ۱۰۶۴ م فألف کتاب الفصل فی الملل و الأهواء و النحل، ورد فیه علی مختلف المذاهب متحمساً فی ذلک للدفاع عن الإسلام، و فی أوائل القرن الخامس الهجری ألف أبوالریحان البیرونی المتوفی عام ۴۴۰ه ۱۰۴۸ م کتابه المسمَّی « تحقیق ما للهند من مقوله مقبوله فی العقل

۱- الفهرست ص ۱۷۷، مروج الذهب ج ۱ ص ۱۵۶ .

۲- مروج الذهب ج ۱ ص ۲۰۰ ج ۲۰۱ .

۳- المغرب لابن سعید ص ۹۶ و ما بعدها .

۴- طبقات السبکی ج ۳ ص ۲۳۹ .

أو مرذوله »، و جعله كتابَ حكايه لمـذاهب الهنـد على وجهها لا كتاب حجاج وجدل، ولذلك لم ينقاض الخصوم، ولم يتحرج من حكايه كلامهم، و إن باين الحقَّ(۱)، فكان هـذا الكتاب كتاب بحث علمى نزيه. و مما ينبغى أن نلاحظه أن عقيده موءرخى النِّحـل كـانت فى الغـالب موضـعاً لشـكوك الشـاكّين و طعنهم؛ وقـد نقـل يـاقوت(۲) عـن صـاحب تاريـخ خـوارزم مـا اتهـم به الشهرستانى(۳) من التخبُّط فى الاعتقـاد، و الميـل إلى الإلحـاد لأنـه ج فى زعم مـوءرخ خوارزم ج مع وفور فضـله و كمـال عقله أعرض عن نور الشـريعه و اشـتغل بظلمات الفلسـفه، ولم يكن فى مجالس وعظه « قال اللّه » ولا « قال رسول اللّه صـلى الله عليه و آله » و لا جوابٌ من المسائل الشرعيه(۴).

۱- كتاب الهند للبيرونى طبعه سخاو ص ۴ .

۲- معجم البلدان ج ۳ ص ۳۴۳ من الطبعه الأوربيه، و انظر Goldziher, SWA, ۷۳, S. ۵۲۲.

۳- المتوفى عام ۵۴۸ه و هو صاحب الكتاب المشهور المسمى الملل و النحل .

۴- و كتاب اشهرسـتانى المشـهور، أعنى كتاب الملل و النحل، خير ما يـذكر فى باب علم مقارنه الملل و تاريخها و أصولها عند المسلمين. (المترجم) .

تعلیقات الفصل الثالث عشر

[*۱] یدلنا تقدم متکلمی الشیعه کعیسی (۱) بن روضه التابعی مولی بنی هاشم صاحب المنصور (و هو اول من صنف فی علم الکلام و له کتاب فی الامامه) المتقدم علی عمرو بن عبید و علی واصل بن عطا (روؤس المعتزله) و مثل ابی هاشم بن محمد بن علی بن ابیطالب علیه السلام (الامام فی علم الکلام بالاتفاق) و کمیت بن زید (۲) عده إلجاحظ اول من ناظر فی التشیع، و قال: اقام فیه الحجج و لولاه لما عرفوا وجوه الاحتجاج، و یری صاحب تأسیس (۳) الشیعه ان الفضل والتقدم لابی ذر الغفاری صاحب رسول الله صلی الله علیه و آله فتشیع بسببه جماعه کثیره فی الشام و فی جبل عامل (لما اخرج فی زمن الخلیفه عثمان إلی الشام) یدلنا ما ذکرنا علی عدم تحقیق للمصنف ولا یبقی ثقه بما اورده هنا، و کم للشیعه فی العلوم الاسلامیه لا سیما علم الکلام من علماء و محققین و باحثین و مؤلفین، فمن مشاهیرهم علی بن اسماعیل (۴) بن میثم التمار (فعن ابن اسحاق فی الفهرست) هو اول من تکلم فی مذهب الامامیه، و ان کان فیه نظر، و له مناظرات فی الامامه مع ابی الهذیل، بل التقدم (۵) لاثنی عشر من الصحابه الذین انکروا علی ابی بکر تقدمه علی

۱- تأسیس الشیعه ص ۳۵۰.

۲- تأسیس الشیعه ص ۳۵۱.

۳- تاسیس الشیعه ص ۳۵۱.

۴- تأسیس الشیعه ص ۳۵۳، تنقیح المقال ج۲ ص ۲۷۰.

۵- تأسیس الشیعه ۳۵۳، تنقیح المقال ج۱ ص ۱۹۸.

امیرالمؤمنین علیه السلام، احدهم خالد بن (۱) سعید بن العاص و هو اول من قام الیه، و منهم سلمان و ابوذر والمقداد و عمار، و من المشهورین فی التابعین صعصعه بن (۲) صوحان و میثم (۳) التمار و سلیم (۴) بن قیس والحارث (۵) الاعور الهمدانی و اصبغ (۶) بن نباته، و فی اصحاب الأئمه السجاد والباقر والصادق علیهم السلام من المتکلمین ابو جعفر (۷) مؤمن الطاق، له فی ذلک کتب متعدده و قیس الماصر و له مناظره بحضور ابی عبدالله الصادق علیه السالم مع شامی فی حدیث طویل، و منهم فضال (۸) بن الحسن بن فضال الکوفی ناظر ابا حنیفه و قطعه، و منهم هشام (۹) بن سالم، واشهر من اولئک هشام(۱۰) بن الحکم و بلغ من مرتبته و علوه انه لما دخل علی ابی عبدالله الصادق علیه السلام بمنی و هو غلام اول ما اختط عارضه قدمه و رفعه الامام علی شیوخ الشیعه، و قال علیه السلام لما رأی ان ذلک کبر علی اصحابه، هذا ناصرنا بقلبه و لسانه و یده (۱۱) و ناظر هشام بن الحکم اهل الفرق والمقالات بالکوفه و البصره و بغداد و لم یبق احد منهم إلا افحمه و له کتب متعدده فی

۱- تأسیس الشیعه ۳۵۳ الی ۳۵۵، تنقیح المقال ج۱ ص ۳۹۱.

۲- تأسیس الشیعظ ۳۵۵، تنقیح المقال ج۱ ص ۹۸-۹۹.

۳- تأسیس الشیعه ۳۵۵-۳۵۶، تنقیح المقال ج۲ ص ۲۶۲-۲۶۳.

۴- تأسیس الشیعه ۳۵۷، تنقیح المقال ج۲ ص ۵۲-۵۴.

۵- تأسیس الشیعه ص ۳۵۷، تنقیح المقال ج۱ ص ۲۴۵.

۶- تأسیس الشیعه ص ۳۵۸، تنقیح المقال ج۱ ص ۱۵۰.

۷- تأسیس الشیعه ص ۳۵۸، تنقیح المقال ج۳ ص ۱۶۰-۱۶۳.

۸- تأسیس الشیعه ص ۳۵۹، تنقیح المقال ج۲ ص ۵.

۹- تأسیس الشیعه ج ۳۶۰، تنقیح المقال ج۳ ص ۳۰۱-۳۰۲.

۱۰- تأسیس الشیعه ص ۳۶۰-۳۶۲، تنقیح المقال ج۳ ص ۲۹۴ الی ۳۰۱.

۱۱- و للمولی صدر الدین الشیرازی المعروف بملاصدرا أوهام حول بعض ما یتعلق بهذه الحکایه نبه علیها المحدث النوری فی المستدرک ج۳ ص ۴۲۴ و ۲-۲۰ ص ۲۴۵-۲۴۷ من اراد راجعه.

الکلام والردود و مناظرته (۱) فی مجلس یحیی بن خالد بن برمک و هارون یسمع من وراء الستر مع اهل المقالات والفرق معروفه، فغضب هارون، و خرج هشام إلی الکوفه و مات هناک خوفاً و فرقاً.

و کذا مناظرته (۲) عمرو بن عبید فی الامامه بمسجد البصره، و لما نقلها للامام الصادق علیه السلام بطلب منه علیه السلام، قال: هذا والله مکتوب فی صحب ابراهیم و موسی، أوردها شارحاً لها العلامه المجلسی فی المرآت (۳) والمسعودی (۴) ناقلاً عن ابی عیسی محمد بن هارون الوراق بتغییر فی مواضع.

و فی آل (۵) نوبحث جماعه کثیره و اما الشیخ المفید والسید المرتضی فاشهر من ان یذکر ولست بصدد الاستقصاء فکیف لا یشار إلی هؤلاء الاعلام من المتکلمین والمناظرین والباحثین والمؤلفین.

ولکن العجب منه کیف نسب إلی هشام (۶) التجسم بل عبر عنه بشیخ المجسمه والرافضه فی وقته، و عد فی محکی (۷) الملل و النحل الهاشمیه اصحاب هشام بن الحکم صاحب المقاله فی التشبیه و تبعهم فی ذلک بعض (۸) جهله الکتاب فی عصرنا، فصرح بکون

۱- تنقیح المقال ج۳ ص ۲۹۵-۲۹۶، معجم رجال الحدیث ج ۱۹ ص ۲۷۶-۲۷۸.

۲- التنقیح ج۳ ص ۲۹۷، مرآه العقول ج۲ ص ۲۶۵-۲۶۸، معجم رجال الحدیث ج ۱۹ ص ۲۸۲-۲۸۳.

۳- مرآت العقول ج۲ ص ۲۶۵ الی ۲۶۸.

۴- مروج الذهب ج۴ ص ۱۰۵.

۵- تأسیس الشیعه ۳۶۲ إلی ۳۷۴، تنقیح المقال ج۱ ص ۱۳۹-۱۴۰-۳۱۱-۳۱۲- ج۳ ص ۲۵۵.

۶- مروج الذهب ج۴ ص ۱۰۳.

۷- تنقیح المقال ج۳ ص ۳۰۰ و ما بعدها، معجم رجال الحدیث ج۱۹ ص ۲۹۱ و ما بعدها.

۸- بیان الادیان ص ۴۶۷.

هشام بن الحکم من اصول رجال التشبیه و انهم یعتقدون لله تعالی صوره و شمائل و مکاناً، تعالی الله عن ذلک علواً کبیرا، و اعتماد هذا الکاتب علی روایات (۱) مختلقه کاذبه حالها و جوابها معلوم مذکور فی محله.

و هذا الکاتب قد غره بعض ما وجده فی بعض الکتب فنسب إلی زراره بدعه و انه کان فطحیاً و غفل أولم یرد التحقیق فیراجع کتب رجال الشیعه کخلاصه الأقوال للعلامه و رجال الکشی و سایر الکتب الرجالیه المؤلفه للشیعه قبل زمانه فیعرف مکانه زراره والجواب عن ما قرفوه به، ففی احدی (۲) هذه الروایات مسنده إلی الصادق علیه السلام قوله (بشر المخبتین بالجنه برید بن معاویه العجلی و ابو بصیر لیث بن البختری المرادی و محمد بن مسلم و زراره، أربعه نجباء امناء الله علی حلاله و حرامه. لولا هولآء انقطعت آثار النبوه و اندرست، و فی اخری (۳) کذلک عنه علیه السلام زراره و ابوبصیر و محمد بن مسلم و برید من الذین قال الله تعالی والسابقون السابقون اولئک المقربون.

ذکل المامقانی قدس سره (۴) روایه ان زراره کان عامیاً ثم اهتدی إلی الحق.

[*۲] هو صاحب کتاب قوت القلوب محمد بن عطیه الحارثی الجمی المکی نشأ بمکه و تزهد و سلک و لی الصوفیه و صنف و وعظ، و کان صاحب ریاضه و مجاهده، و قال ابن خلکان کان رجلًا صالحاً مجتهداً فی العباده، قال: و کان یستعمل الریاضه کثیراً حتی قیل انه هجر الطعام زماناً واقتصر علی أکل الحشائش المباحه فاخضر جلده من کثره تنهاولها و قدم بغداد فوعظ الناس و خلط فی کلامه فهجروه و ترکوه. قال محمد بن طاهر

۱- بیان الادیان تعلیقات ۴۷۶.

۲- تنقیح المقال ج۱ ص ۴۳۹. روضه المتقین ج۱۴ ص ۱۱۹. معجم رجال الحدیث ج ۷ ص ۲۲۲.

۳- معجم رجال الحدیث ج۷ ص ۲۲۲-۲۲۴.

۴- روضه المتقین ج ۱۴ ص ۱۱۹-۱۲۰.

المقدسی فی کتاب الأنساب حفظ من کلامه (أبی طالب) فی مجلس الوعظ انه قال لیس علی المخلوقین اضر من الخالق فبعده الناس و هجروه(۱).

[*۳] فی الشذرات الامام زین الدین حجه الاسلام أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسی الشافعی، أحد الأعلام تلمذ لامام الحرمین، ثم ولاه نظام الملک تدریس مدرسته ببغداد و خرج له أصحاب و صنف التصانیف مع التصون والذکاء المفرط والستبحار فی العلم، و بالجمله ما رأی الرجل مثل نفسه، أرخ وفاته سنه ۵۰۵ و ذکر عن الاستوی فی طبقاته، الغزالی امام باسمه تنشرح الصدور و تحیا النفوس و برسمه تفتخر المحابر و تهتز الطروس و بسماعه و تخشع الأصوات و تخضع الرؤوس، و أطال فی ترجمته إلی أن قال: و هو قطب الوجود و البرکه الشامله لکل موجود و روح خلاصه أهل الایمان و الطریق الموصله إلی رضا الرحمن، یتقرب إلی الله تعالی به کل صدیق ولا یبغضه إلا ملحد أو زندیق إلی آخره (ترهات تصدر من أمثال هؤلاء المصنفین و کلمات لا تقال إلا فی حق الأنبیاء والمرسلین نعوذ بالله من قله العقل والحماقه والتعصب (۲).

و أفرط فی وصفه فی الروضات و قال: اما فضله فهو فوق أن یجری علیه منا الا قلام و حسبه فی الفخر علی سایر أفاخم الأعلام تسلم العامه والخاصه له لقب حجه الاسلام و أطال فی ترجمته و تشیعه و رجوعه و منعه من لعن یزید بل جوز الترحم له(۳).

کما أطال فی ترجمته القاضی رحمه الله فی مجالس المؤمنین (۴).

[*۴] هو محمد بن خفیف أبو عبد الله الشیرازی شیخ اقلیم فارس و صاحب الأحوال

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۲۰-۱۲۱.
۲- شذرات الذهب ج۴ ص ۱۰-۱۲.
۳- روضات الجنات ج۸ ص ۳-۱۲.
۴- مجالس المؤمنین ج۲ ص ۱۹۱-۲۰۱.

والمقامات، و عن السلمی هو الیوم شیخ المشایخ و تاریخ الزمان، إلی، و عن السبکی شیخ المشایخ و ذو القدم الراسخ فی العلم والدین، کان سیداً جلیلاً و اماماً حفیلاً، یستمطر الغیث بدعائه و یؤدب المصر بکلامه عن اغوائه إلی آخره.(۱)

[*۵] له و لغیره من امثاله ترهات کثیره لا یغتر بها إلا جاهل مخدوع، واشتبه الامر علی القاضی نور الله قدس سره (۲) حیث عد ذنبه الذی قتل علیه انتسابه إلی الشیعه واعتقاده بالمهدی عجل الله فرجه، والثوره ضد العباسیین (حیث اجمع علماء بغداد علی هدر دمه، وامر المقتدر بتسلیمه إلی صاحب الشرطه لیضربه الف سوط. فان مات والا یضر به حتی یموت الفاً آخر ثم یضرب عنقه.

فتسلمه الشرطی و ضربه الف سوط فلم یتأوه و قطع اطرافه ثم حز رأسه، واحرق جثته و نصب رأسه علی الجسر، وناقش (۳) المامقانی قدس سره فی ما اوجب اجماع اهل بغداد، و نقل عن الفهرست انه کان رجلاً محتالاً مشعبذاً یتعاطی مذهب الصوفیه یتحلی الفاظهم و یدعی کل علم و کان صفراً من ذلک و یدعی عند أصحابه الالیهیه، و یقول بالحلول و یظهر مذهب الشیعه للملوک و مذاهب الصوفیه للعامه، و فی تضاعیف ذلک یدعی ان الالهیه قد حلت فیه و انه هو، و لما قبض سلم إلی ابی الحسن علی بن عیسی فناظره فوجده صفراً من القرآن و علومه و من الفقه و الحدیث والشعر و علوم العرب، فقاله له علی بن عیسی تعلمک لطهورک و فروضک اجدی علیک من رسائل لا تدری انت ما تقول فیها، کم تکتب ویلک إلی الناس، ینزل ذوا النور الشعشانی الذی یلمع بعد شعشعته، ما احوجک إلی ادب.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۷۶-۷۷.

۲- مجالس المؤمنین ج۲ ص ۳۶-۳۹.

۳- تنقیح المقال ج۱ ص ۳۴۶-۳۴۷.

و ذکره الشیخ الطوسی قدس سره (۱) فی عداد المذمومین الذین ادعوا البابیه والسقاره (ای لصاحب الزمان عجل الله فرجه) کذباً و افتراء، وورد التوقیع بلعنهم والبرائه منهم، و تعرض له المجلسی قدس سره (۲) فی البحار و صابح الاحتجاج (۳) واورد صاحب بیان (۴) الادیان قسماً من حیله و شعبذاته و اشار الیه فی المعجم (۵) باختصار.

و فی الروضات (۶) بعد أن نقل عن الوفیات: ان جده کان مجوسیاً، قال: و یا لیته کان علی دین جده، و أطال فی ترجمته، و نقل أقوال المدافعین و الناقدین و قسماً من ترهات الصوفیه خذلهم الله و روایات کاذبته و بعض ما ورد من الروایات المعتبره فی ذمهم و لزومه انکارهم.

و فی الشذرات (۷) عن العبر فیها (سنه ۳۰۱ ادخل الحلاج بغداد مشهوراً علی جمل و علق مصلوباً، الی، ثم حبس و ظهر انه ادعی الالیه و صرح بحلول اللاهوت فی الاشراف و کانت مکاتباته تنبیء بذلک فاستمال أهل الحبس باظهار السنه فصاروا یتبرکون به.

[*۶] هو جنید (۸) بن محمد بن الجنید الخزاز القواریری البغدادی، اصله من نهاوند و مولده و منشأه العراق. کان فقیهاً علی مذهب ابی ثور الشافعی او سفیان الثوری. و من کلامه (علی ماذکره القشیری) الطرق کلها مسدوده علی الخلق إلا علی من اقتفی اثر

۱- الغیبه للشیخ الطوسی ۲۵۸-۲۶۱.

۲- البحار ج ۵۱ ص۳۶۷ و ۳۶۹-۳۷۱ إلی ۳۸۱.

۳- الاحتجاج للطبرسی ج ۲ ص ۲۸۹-۲۹۰.

۴- بیان الادیان ۶۳ إلی ۶۶.

۵- معجم رجال الحدیث ج ۶ ص ۹۶.

۶- روضات الجنات ج۳ ص ۱۰۷-۱۵۰.

۷- شذرات الذهب ج ۲ ص ۲۳۳.

۸- روضات الجنات ج ۲ ص ۲۴۷-۲۴۹-۲۵۰.

الرسول صلی الله علیه و آله.

و قال قد مشی رجال بالیقین علی الماء و مات بالعطش افضل منهم یقیناً.

توفی سنه ۲۹۷ و دفن ببغداد فی المقبره الشونیزیه، یعنی بها مقابر قریش المعروفه الآن بالکاظمین علیهماالسلام.

لکن فی الشذرات (۱) ذکر وفاته سنه ۲۹۸ و عبر عنه بشیخ الصوفیه، تاج العارفین أبوالقاسم، الجنید بن محمد القواریری الخزاز، و قال صحب خاله السری والمحاسبی و غیرهما من الجله، و ذکر عن الکعبی المعتزلی لی بعض الصوفیه، رأیت لکم ببغداد شیخاً یقال له الجنید، ما رأت عینی مثله، کان الکتبه یحضرونه لألفاظه و الفلاسفه لدقه کلامه والشعراء لفصاحته والمتکلمون لمعانیه و کلامه، ناء عن فهمهم، و عن بعضهم، لو أرسلنا عنان القلم لسودنا أسفارنا من مناقبه. أقول: نعوذ بالله من الغلو.

[*۷] هذا اصطلحنا علیه بالوجوده و فی جواز الاتکال علیها خلاف بین اهل الحدیث.

[*۸] هو الحافظ البارع أبو سعید بن یونس (۲) و هو عبدالرحمن بن أحمد بن یونس بن عبد الأعلی الصدفی (بفتحتین وفاء) نسبه إلی الصدف بکسر الدال المهمله (قبیله من حمیر) المصری صاحب تاریخ مصر، و قال ابن ناصر الدین: کان من الأئمه الحفاظ والاثبات والایقاظ، و بذلک ظهر ان الصفدی فی المتن غلط و الصحیح الصدفی.

[*۹] الظاهر ان مراده به هو (۳) محمد بن اسحاق بن محمد بن منده ابو عبدالله الاصفهانی احد الحفاظ المکثرین والمحدثین والجوالین من بیت الحدیث والفضل.

صنف التاریخ والشیوخ.

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۲۸-۲۳۰

۲- شذرات الذهب ج ۲ ص ۳۷۵.

۳- الوافی بالوفیات ج۲ ص ۱۹۰-۱۹۱.

قال کتبت عن الف شیخ.

قال الشیخ شمس الدین: بقی ابن منده فی الرحله نیفاً و ثلاثین سته: توفی سنه ۳۹۶ و محمد بن منده ابوعبدالله (۱) هو محمد بن یحیی بن منده العبدی الحافظ صاحب کتاب تاریخ اصبهان احد الحفاظ الثقات توفی ۳۰۱ و هو (محمد بن اسحاق) جد ابی زکریا یحیی بن عبدالوهاب من الحفاظ المشهورین و احد اصحاب الحدیث المبرزین وفاته ۵۱۲ باصفهان محدث ابن (۲) محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث.

و فی الشذرات (۳) ذکر وفات أبی عبدالله بن منده الحافظ العلم، محمد بن اسحاق بن محمد ابن یحیی العبدی الاصفهانی الجوال صاحب التصانیف سنه ۳۹۵. قال طوف لدنیا و جمع و کتب ما لا ینحصر، وسمع من ألف و سبعماته شیخ، و عن شیخ الاسلام الأنصاری، أبوعبدالله بن منده سید أهل زمانه (عن العبر) و عن ابن ناصر الدین أبو عبدالله الامام أحد شیوخ الاسلام و هو امام حافظ جبل من الجبال، و عن ابن خلکان هو الحافظ المشهور صاحب کتاب تاریخ اصبهان، و کان أحد الحفاظ الثقات.

[*۱۰] هو جبریل (۴) بن الفضل بن مجاع. ابوحاتم السمرقندی ورد بغداد حاجاً سنه ۲۹۲ حدث عن غیر واحد (سماهم الخطیب) و کان ثقه عاش جبریل إلی سنه ۳۰۶.

اقول: لا ینافی تاریخ وفاته ما ذکر فی المتن.

۱- وفیات الاعیان ج۲ ص ۶۲.

۲- وفیات الاعیان ج۲ ص ۳۶۶-۳۶۷.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۴۶.

۴- تاریخ بغداد ج۷ ص ۲۶۴-۲۶۵.

[*۱۱] هو الحافظ (۱) القراب اسحاق بن ابراهیم بن محمد بن عبدالرحمن، ابو یعقوب السرخسی ثم الهروی القراب (بالقال و الراء المشدده) الامام الجلیل، محدث هراه، له مصنفات کثیره و شیوخه تزید علی ۱۲۰۰/ شیخ و له تاریخ السنین و کتب اخر توفی ۴۲۹.

وزاد فی الشذرات (۲)، کان زاهداً صالحاً مقلاً من الدنیا.

[*۱۲] هو أبوالفرج علی بن الحسین الأموی الاصبهانی الکاتب الأخباری، کان أدیباً نسابه علامه شاعراً کثیر التصانیف. و من العجائب انه مروانی بتشیع. و عن ابن خلکان جده مروان بن محمد آخر خلفاء بنی امیه. و روی عن عالم کثیر من العلماء یطول تعدادهم. و کان عالماً بأیام الناس والانساب والسیر. قال التنوخی: و من المتعشیعین الذین شاهدناهم أبوالفرج الاصبهانی، الی، یقا انه جمعه (کتاب الأغانی) فی خمسین سنه و حمله إلی سیف الدوله بن حمدان، فأعطاه ألف دینار و اعتذر الیه، و حکی عن الصاحب بن عباد انه کان من اسفاره یستصحب حمل ثلاثین جملاً من کتب الأدب لیطالعها، فلما وصل إلی کتاب الأغانی لم یکن بعد ذلک یستصحب سواه استغناء به عنها.(۳)

و وصفه فی الروضات بالشیخ المتفنن الجلیل و الحبر المتتبع النبیل، و ذکر عن العلامه الحلی رحمه الله عده شیعیاً زیدیاً و کذا صاحب الأمل عده من علماء الشیعه. و قال هو کان شیعیاً خبیراً بالأغانی و الآثار والأحادیث المشهوره والمغازی و علم الجوارح و البیطره

۱- الوافی بالوفیات ج۸ ص ۳۹۴.
۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۴۴.
۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۹-۲۰.

والطب والنجوم والأشربه و ذكر عن ابن عباد ما سبق عن الشذرات (۱).

[*۱۳] هو الحافظ (۲) ابوبكر بن الحافظ ابى داود السجستانى محدث العراق وابن محدثها ولد بسجستان سنه ۲۳۰ و رحل به ابوه، وطوف به البلاد شرقاً و غرباً، و استوطن بغداد و صنف السنن و المسند والتفاسير والقراءآت والناسخ والمنسوخ و غير ذلك، و غن الخطيب انه سمع الحسن بن محمد بن الحافظ الخلال، يقول كان ابوبكر بن ابى داود احفظ من أبيه، قال فى النجوم و ابوه ابو داود و هو صاحب السنن احد الكتسب السنه، و عن الذهبى يذكر وفاته فى هذه افسنه سنه ۳۱۶ كصاحب النجوم و له ۸۶ سنه.

و فى الشذرات (۳) حدث باصبهان من حفظه بثلاثين ألف حديث. و ذكر عن ابن شاهين انه كان ابن أبى داود يملى علينا من حفظه، و كان يقعد على المنبر بعد ما عمى، و يقعد تحته بدرجه ابنه أبو معمر و بيده كتاب. يقول له: حديث كذا، فيسرد من حفظه حتى يأتى على المجلس، و عن المغنى عبدالله بن سليمان السجستانى ثقه، كذبه أبوه فى غير حديث. و فى الروضات (۴) ذكره ذيل ترجمه أبيه. و قال من أكابر الحفاظ ببغداد عالماً متفقاً عليه. امام بن امام وله كتاب المصابيح و شارك أباه فى شيوخه بمصر و الشام.

[*۱۴] هو الحافظ (۵) احمد بن محمد بن سعيد بن عبدالرحمن مولى عبدالرحمن بن سعيد ابن قيس السبيعى الهمدانى.

۱- روضات الجنات ج۵ ص ۲۲۰-۲۲۱.

۲- النجوم الزاهره ج۳ ص ۲۲۲-۲۲۱.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۷۳.

۴- روضات الجنات ج۴ ص ۸۰.

۵- فهرست الشيخ ۲۸. رجال الشيخ ۴۴۲، تنقيح المقال ج۱ ص ۸۵-۸۶، سفينه البحار ج۲ ص۲۱۱، روضات الجنات ج۱ ص ۲۰۸، تأسيس الشيعه ۲۵۶، معجم رجال الحديث ج۲ ص ۲۷۴ و مابعده.

امره فی الثقه والجلاله و عظم الحفظ اشهر من ان یذکر، کان زیدیاً جارودیاً و علی ذلک مات.

له کتب کثیره منها کتاب السنن و هو عظیم.

قیل انه بهیمه لم یجتمع لاحد، و قد جمعه هو، قال الشیخ الطوسی سمعت جماعه یحکون انه قال احفظ مأه و عشرین الف حدیث باسانیدها و اذاکر بثلثمأه الف.

[*۱۵] ذکر فی الشذرات (۱)، توفی الحافظ ابوبکر الجعایی محمد بن عمر بن احمد بن سلم التمیمی البغدادی سنه ۳۵۵ إلی و کان مکثراً و ذکر عن القاضی ابی عمر الهاشمی أنه سمع الجعابی یقول احفظ ۴۰۰/ الف حدیث و اذاکر ۶۰۰/ الف.

[*۱۶] عن المسبحی (۲) انه ذکر عن حفظه اشیاء و کان معه درج طویل طوله ۸۷ ذراعاً مملوء الوجهین فیه اوائل ما یحفظه، و کان یحفظ سبع عشره الف ارجوزه و عشره آلاف بیت من الهجاء، و مثلها فی الغزل، و مثلها فی التشبیهات، و مثلها فی التهانی و غیر ذلک (اقول لقد اتعبنی البحث والفحص عن حاله لم اجد ذکر حاله إلا فی کتاب سکردان السلطان للامام العارف شهاب الدین التلمسانی.)

[*۱۷] هو الحافظ (۳) احمد بن الحسین بن یحیی بن سعید الهمدانی .

کان من اجلاء شعراء الامامیه و کتابهم.

صاحب المقالات الرائعه والمقالات الفائقه، صحب الصاحب بن عباد و صار من خواصه و ندمائه.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۱۷.

۲- سکردان السلطان بهاش المخلاه للشیخ البهائی قدس سره طبعه المطبعه الیمنیه ۱۳۱۷.

۳- روضات الجنات ج۱ ص ۲۳۸-۲۳۹، سفینه البحار ج۱ ص ۶۴ ریاض العلماء ج۱ ص ۳۶-۳۷-۳۸.

توفی سنه ۳۹۸، و نقل انه قتل بالسم، و قیل انه صار مسکوتاً فعجل فی دفنه، و لما افاق سمعوا صراخاً منه بالليل من تحت الرس فنبشوا قبره فوجدوه قابضاً علی لحیته و قد مات من هول القبر.

[*۱۸] فی الشذرات (۱) فیها (أی سنه ۴۶۳ ماتت) کریمه بنت أحمد بن محمد بن حاتم ام الکرام المرزویه المجاوره بمکه روت الصحیح عن الکشمیهنی و روت عن زاهر السرخسی و کانت تضبط کتابها و تقابل بنسخها. لها فهم و نباهه و ما تزوجته قط، و عن العبر، قیل: انها بلغت المائه.

[*۱۹] کان المصنف لم یسمع باسم الشیعه او لا یری تبعاً لاصحاب کثیر بل اکثر مصادره لهم علماً و لا یقیم لهم وزناً.

اولیس المحدث الاکبر ثقه الاسلام محمد بن یعقوب الکلینی مؤلف کتاب الکافی من محدثی القرن الرابع، و من اکثر هم حدیثاً، و اکبرهم شأناً حتی جعلوه (۲) و عدوه مجدد المذهب علی رأس المأته الثالثه، اولیس الشیخ الصدوق محمد بن علی بن موسی بن بابویه القمی من علماء ذاک القرن و محدثیهم، توفی الاول سنه ۳۲۹، والثانی ۳۸۱ یقول فی حقه الشیخ (۳) الطوسی قدس سره: کان جلیلاً حافظاً للأحادیث بصیراً بالرجال ناقداً للاخبار لم یر فی القمیین مثله فی حفظه و کثره علمه، له نحو من ثلاثمأه مصنف و عد منها کتاب مدینه العلم، و قال: اکبر من کتاب من لا یحضره الفقیه.

[*۲۰] تقدمت ترجمته. تعلیقات الفصل الثانی عشر (۳۰).

[*۲۱] تقدمت ترجمته، تعلیقات الفصل الثانی عشر (۲۴).

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۱۴.

۲- تنقیح المقال ج۳ ص ۲۰۲ روضات الجنات ج ۶ ص ۱۱۰-۱۱۱.

۳- فهرست الشیخ الطوسی ۱۵۶-۱۵۷.

[*۲۲] و خلف الصدوق فی ذاک القرن شیخ الطائفه الشیخ محمد بن الحسن الطوسی قدس سره. له مصنفات کثیره فی الاحادیث و الفقه و الاصول والعقائد والکلام و الرجال والادعیه والمقتل والتفسیر.

[*۲۳] تقدمت ترجمته. تعلیقات الفصل الثانی عشر(۱۲).

[*۲۴] فی الشذرات (۱) و فیها (أی مات فی سنه ۳۹۱) جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسی بن الفرات. أبوالفضل ابن حنزابه البغدادی. وزیر الدیار المصریه وابن وزیر المقتدر أبی الفتح، قال: وکان صاحب حدیث. قال الحافظ السلفی، کان ابن حنزابه من الحفاظ الثقات، یملی فی حال وزارته و لا یختار علی العلم و أهله شیئاً، و حنزابه بکسر الحاء المهمله و سکون النون و فتح الزای و بعد الألف موحده ثم هاء الساکنه هی ام أبیه الفضل بن جعفر بمعنی المرأه القصیره الغلیظه.

[*۲۵] لم اعثر علی من (۲) اسمه یحیی و ابوه کتان علی رغم الفحص المتعب و اکاد اظن الاشتباه فی اسم ابیه فی اصل کتاب او ترجمه بالانجلیزیه و تبدیل القطان بالکتان فان یحیی بن سعد الکتان وفاته ۱۹۸ و کان من المعروفین من العلماء بل عدوه اماماً، و فی التهذیب، اتفقوا علی امامته و جلالته و وفور حفظه و لمه و صلاحه، قال ابو زرعه و هو من الثقاه الحفاظ، و عن بعضهم هو الذی عقد لاهل العراق رسم الحدیث والفن فی البحث عن الثقات و ترک الضعفاء.

[*۲۶] هو الامام الحبر أبو عبدالله محمد بن سعد الحافظ کاتب الواقدی و صاحب الطبقات والتاریخ، قال أبو حاتم صدوقریال قال ابن الاهدل، قیل انه مکث ستین سنه یصوم یوماً

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۳۵-۱۳۶، و ذکر وفاته سنه ۳۹۱ فی الکامل ج ۱۰ ص ۵۵۰.

۲- تهذیب الاسماء ج۲ ص ۱۵۵-۱۵۴ و ذکره الیعقوبی ج۳ ص ۱۷۹ و صاحب الکامل ج۷ ص ۱۴۷.

و یفطر یوماً(۱).

[*۲۷] و عن الشذرات (۲) ان وفاته ۴۰۵.

[*۲۸] عبر عنه فی الروضات (۳) بأوحد المجتهدین، سیف المناظرین، فرید المتکلمین، حبر الامه، قدوه الأئمه، حجه الفضلاء، قاضی القضاه، أبوالحسن، علی بن عبدالکافی بن علی بن تمام الأنصاری الخزرجی المصری السبکی الشافعی الأشعری، المفسر المقری، المحدث الاصولی، الفقیه المنطقی الخلافی النحوی اللغوی، الملقب تقی الدین السبکی، و نقل عن تلمیذه صلاح الدین الصفدی له مدحاً بلیغاً منها کتاب رداً علی ابن تیمیه.

و فی الشذرات (۴) أرخ وفاته لسنه ۷۵۶ و نقل عن السیوطی انه برع فی الفنون و تخرج به خلق فی أنواع العلوم، و أقر له الفضلاء، و ولی قضاء الشام بعد الجلال القزوینی فباشره بعفه و نزاهه غیر ملتفت الی الأکابر و الملوک، إلی، و صنف نحو ۱۵۰ کتاب مطولاً و مختصراً الخ.

[*۲۹] الف الحافظ (۵) ابن عقده المتقدم ذکره کتاب اسماء الرجال الذین رووا عن الصادق علیه السلام اربعه آلاف رجل، و اخرج لکل رجل الحدیث الذی رواه (لعل المراد من الذین رووا حدیثاً واحداً و من غیرهم واحداً من احادیثهم) و لعله مراد الشیخ فی الفهرست حیث عد من کتبه کتاب الرجال و قال هو کتاب من روی عن جعفر بن

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۶۹.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص۱۷۶.

۳- روضات الجنات ج۵ ص ۲۹۴-۳۰۰.

۴- شذرات الذهب ج۶ ص ۱۸۰-۱۸۱.

۵- تأسیس الشیعه ۲۵۶ الفهرست ۲۸.

محمد علیه السلام.

[*۳۰] فی الروضات (۱) عنـد ترجمه ابی اسحق ابراهیم بن احمد بن اسـحق المروزی الفقیه الشافعی، قال: کان و ممن اخذ منه الفقه و صار کمثله بارعاً فیه هو القاضی ابو حامد احمد بن عامر بن بشیر المرورودی الشافعی الفقیه، و عد له بعض الکتب، وقال و قد نزل هو البصره و درس بها، و عنه اخذ فقهاؤها، و توفی ۳۶۲، و ذکره فی الوافی(۲): احمد بن بشر بن عامر ابو حامد.

و فی الشـذرات (۳) عنونه بعالم البصره، أبو حامد المروروزی (بفتح المیم والواو الاولی و ضم الراء الثانیه المشدده آخره معجمه، أحمد بن عامر بن بشر الشافعی، صاحب التصانیف، قال: و کان اماماً لا یشق غباره، تفقه به أهل البصره الخ.

[*۳۱] الکرابیسی لقب جماعه منهم صاحب (۴) الامام الشافعی المتوفی ۲۴۸/ و هو ابوعلی (۵) الحسین بن علی بن یزید مات سنه ۲۴۵ او ۲۴۸ و منهم محمد بن (۶) بشر الکرابیسی مات سنه ۳۷۸ (و صفه صاحب الشذرات بالبصری ثم النیسابوری الکرابیسی و قال: کان ثقه صالحاً) و منهم (۷) ابو محمد ابن ابی بکر الکرابیسی النیسابوری من فقهاء ابی محمد البانی مات فی النصف الثانی من القرن الرابع و منهم

۱- روضات الجنات ج۱، ص ۱۶۹.

۲- الوافی بالوفیات ج۷ ص ۱۰.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۴۰.

۴- تهذیب الاسماء ج۲ ص۲۸۴.

۵- الوافی بالوفیات ج۱۲ ص ۴۳۱ طبقات الشافعیه ج۱ ص ۲۶ لابی بکر بن هدایه الحسینی طبع بیروت ۱۹۷۱.

۶- شذرات الذهب ج۳ ص ۹۲.

۷- طبقات الشافعیه ج۱ ص ۱۱۳.

ابو احمد (۱) الحاکم محمد بن محمد بن احمد النیسابوری المعروف بابی احمد الحاکم.

قال الذهبی هو الامام الحافظ صاحب التصانیف المشهوره، عمی قبل موته بسنتین توفی سنه ۳۷۸ و منهم محمد بن (۲) الحسن الکرابیسی عده فی طبقات الفقهاء الشافعیه من الطبقه الثالثه و منهم محمد (۳) بن شیرویه ابو سعید الکرابیسی المروزی، وفاته سنه ۳۷۸ و منهم ابو حفص (۴) الکرابیسی و منهم ابن (۵) حسین محمد و منهم احمد بن (۶) الولید مات سنه ۲۵۹ و منهم احمد بن (۷) محمد بن الفضل ابو سعید المروزی الفقیه قدم بغداد حاجاً سنه ۳۸۳ والمذکور فی المتن اما ابو احمد والظاهر هو الاول وانکان الثانی غیر بعید.

ثم انه ولا یخفی (۸) تقدم علمائنا فی هذا الشأن، فاول من صنف فی هذا الشأن ابو محمد عبدالله بن جبله بن حیان ابن ابحر الکنانی، صنف کتاب الرجال کما عن النجاشی، قال السید حسن الصدر (۹) لم اعثر علی من تقدمه فی ذلک، مات سنه ۲۱۹.

وقال السیوطی فی کتاب الاوائل، اول من تکلم فی الرجال شعبه و انت خبیر بأن شعبه مات سنه ۲۶۰ فعبد الله متقدم علیه إلی آخر کلامه.

۱- طبقات الشافعیه ج ۱ ص ۴۲۰.

۲- طبقات الفقهاء الشافعیه طبعه لیدن ۱۹۶۴ ص ۷۰.

۳- طبقات الشافعیه ج ۲ ص ۳۴۰.

۴- طبقات الفقهاء الشافعیه طبعه لیدن ۱۹۶۴ ص ۷۰.

۵- طبقات الشافعیه ج ۳ ص ۲۸۲.

۶- تاریخ بغداد للخطیب ج ۵ ص ۱۸۷.

۷- تاریخ بغداد للخطیب ج ۵ ص ۸۲.

۸- تأسیس الشیعه ص ۲۳۳.

۹- تأسیس الشیعه ص ۲۳۳.

[*۳۲] هو محمد بن (۱) اسحاق بن یسار مولی قیس بن مخرمه من بنی المطلب یکنی ابا عبدالله و فی رجال الشیخ، یکنی ابابکر و بین انه مولی فاطمه بنت عتبه.

هو صاحب السیره عامی له محبه و میل شدید کما عن الکشی الظاهر ان مراده محبته و میله إلی إئمه أهل البیت علیهم السلام.

و قال السید الصدر (۲) بتشیعه و نص علیه الحافظ شیخ الاسلام ابن حجر فی التقریب.

مات سنه ۱۵۱ و قیل ۱۵۲ کما ذکر فی المروج موته /۱۵۰ ذکره، الشیخ فی اصحاب الباقر والصادق علیهما السلام و فی الموضع الأول قال. عامی و قد تفرد الیعقوبی بذکره فی الفقهاء ج۳ ص۱۰۳ تاریخ الیعقوبی.

[*۳۲] الزنجی اثنان والمذکور هنا هو اسماعیل بن محمد بن اسماعیل، و محمد (۳) بن اسماعیل بن زنجی ابو عبدالله الکاتب من علیه الکتاب و مشایخهم، معروف بجوده الخط، و له تصانیف، و کان من الانبار توفی سنه ۳۲۴، و اما اسماعیل (۴) فهو ابن محمد بن اسماعیل بن صالح ابوالقاسم المعروف بابن زنجی الکاتب، حدث عن غیر واحد و عن ابی القاسم الازهری انه قال فی حقه لا یسوی شیئاً توفی ۳۷۸.

[*۳۴] هو من (۵) عدول الصحابه او احد الصحابه العدول، راهب اصحاب محمد صلی الله علیه و آله کما عن الحاکم، من افاضل الصحابه و کبارهم مع صغر سنه مستجاب الدعوه کما عن

۱- رجال الشیخ ۱۳۵-۲۸۱، مروج الذهب ج۳ ص ۳۱۵، معجم رجال الحدیث ج۱۵ ص۷۳-۷۶.

۲- تأسیس الشیعه ص۲۳۳.

۳- الوافی بالوفیات ج۲ ص ۲۱۰.

۴- تاریخ بغداد ج۶ ص۳۰۸، طبعه دارالکتاب العربی بیروت.

۵- الغدیر ج۱۱ ص ۵۳-۵۴.

الاستیعاب، و کان ثقه معروفاً کما عن ابن سعید و ذکر عن ابن الجنید دعائه فانکسیت له سحابه بالماء عن ما طلب من موکله شرابه لیتطهر به من الجنایه (أیام کان هو و أصحابه موقوفین بمرج عذراء) فامتنع فأخذ منها الذی احتاج الیه. وقالت عائشه لمعاویه: اما، والله، ان کان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً و قالت لمعاویه قتلت حجراً و أصحابه، أما والله لقد بلغنی انه سیقتل بعذراء سبعه رجال.

و فی لفظ اناس (۱) یغضب الله و اهل السماء لهم، و عن مولانا امیرالمؤمنین علیه السلام یا اهل الکوفه سیقتل فیکم سبعه نفر هم نم خیارکم بعذراء، مثلهم کمثل اصحاب الاخدود، و فی لفظ حجر بن عدی و اصحابه کاصحاب الاخدود، و ما نقموا منهم إلا ان یؤمنوا بالله العزیز الحمید و کان من (۲) الابدال من اصحاب علی علیه السلام و من اصحاب الحسن سلام الله علیه قتله معاویه بترغیب زیاد بن ابیه و شهاده ملفقه مزوره بغیاً و عدواناً مع سته، تعرض لترجمته و ما یتعلق بقتله السید المنقب الباحث مرتضی العسکری و کذا العلامه الامینی الاول فی کتاب عبدالله (۳) بن سبا و الثانی فی الغدیر (۴) و تعرض الیعقوبی (۵) والمسعودی (۶) لقتله و اصحابه.

۱- الغدیر ج ۱۱ ص۵۴.

۲- رجال الشیخ ۳۸-۶۷، جامع الرواه ج۱ ص ۱۸۰، معجم رجال الحدیث ج۴ ص۲۳۷، تنقیح المقال ج۱ ص ۲۵۶-۲۵۷، أحادیث ام المؤمنین عایشه ۲۵۸ إلی ۲۶۰ سفینه البحار ج۱ ص ۲۲۳*۲۲۴، مجالس المؤمنین ج۱ ص ۲۴۲-۲۴۴.

۳- عبدالله بن سبأ ج۲ ص ۱۹۳ إلی ۲۲۱.

۴- الغدیر ج۱۱ ص ۳۷ إلی ۶۰.

۵- تاریخ الیعقوبی ج۲ ص ۲۱۸-۲۱۹-۲۲۰.

۶- مروج الذهب ج۳ ص ۱۲-۱۳.

[*۳۵] فی الشذرات (۱). و فیها (أی مات سنه ۴۶۳) العلامه العلم الحاظ أبو عمر بن عبدالبر، یوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمری القرطبی أحد الأعلام و صاحب التصانیف، و یروی عن أبی القاسم البغوی، و لیس لأهل المغرب احفظ منه مع الثقه والدین والنزاهه و التبحر فی الفقه و العربیه والأخبار (عن العبر) و عن ابن خلکان امام عصره فی الحدیث و الأثر و ما یتعلق بهما و تعرض لتألیفاته.

و فی الروضات(۲) صاحب کتاب الاستیعاب فی بیان ترجمه الآل والأصحاب، کان حافظ دیار المغرب، سنیاً أشعریاً متعصباً ناصبیاً بن قیل و یظهر من مطاوی کتابه (الاستیعاب) و اشارات بعض أعاظم الأصحاب، انه کان من جمله غرائب النصاب و عجائب المعاندین مع آل محمد صلی الله علیه و آله الأجله الأطیاب نظیر أبی محمد بن أعثم الکوفی المورخ المشهور، فقد نقل من شده نصبه و عداوته، انه یقول فی کتاب الفتوح بعد ایراده لأحادیث أصحابه هذه نهایه ما روته أهل السنه و الجماعه، ولا اکتب سائر الروایات حذراً من أن یقع بأیدی الشیعه فیقیمون بها حجه علینا أو اطلع علی مضامینها أحد من العوام.

[*۳۶] قال فی النجوم (۳) الزاهره و فیها (ای سنه ۳۲۷ توفی عبدالرحمن (بن محمد) بن ادریس ابو محمد بن ابی حاتم الرازی الحافظ ابن الحافظ.

کان اماماً صنف الجرح والتعدیل.

قال احمد بن عبدالله النیسابوری: کنا عنده و هو یقرء علینا الجرح و التعدیل الذیل صنفه فدخل یوسف بن الحسین الرازی، فجلس، و قال یا ابا محمد ما هذا؟ فقال: الجرح

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۱۴-۳۱۵.

۲- روضات الجنات ج۸ ص ۲۲۲.

۳- النجوم الزاهره ج۳ ص ۲۶۴-۲۶۵.

والتعديل، قال: و ما معناه؟ قال اظهر احوال العلماء من کان ثقه و من کان غیر ثقه.

فقال له یوسف: اما استحییت من الله تعالی، تذکر أقواماً قد حطوا رواحلهم فی الجنه او عند الله منذ مأه سنه او مائتی سنه تغتابهم.

فبکی عبدالرحمن، و قال: یا ابا یعقوب، والله لو طرق سمعی هذا الکلام قبل ان اصنفه ما صنفته والتعد وسقط الکتاب من یده، و لم یقرأ فی ذلک المجلس، و ذکر وفاته عن الذهبی ایضاً بعنوان عبدالرحمن بن ابی حاتم الرازی فی المحرم تلک السنه.

و ذکره فی الشذرات (۱) بعنوان الحافظ العلم الثقه أبو محمد ابن الحافظ الجامع التمیمی الرازی و عن أبی یعلی الخلیلی، کان بحراً فی العلوم و معرفه الرجال. و قال و کان زاهراً یعد من الأبدال، و ذکر عن ابن الاهدل، انه قال یوماً من یبنی ما تهدم من سور طبوس واضمن له عن الله الجنه، فصرف فیه رجل ألفاً، فکتب له رقعه بالضمان، فلما مات دفنت معه، فرجعت إلی ابن أبی حاتم، و قد کتب علیها قد وفینا عنک ولا تعد.

أقول: ما أقل عقل من یصدق هذا.

[*۳۷] هو احمد (۲) بن محمد بن ابراهیم بن الخطاب الخطابی، ابو سلیمان، من ولد زید بن الخطاب، و عن یاقوت ان الثعالبی و ابا عبید الهروی کانا معاصریه و تلمیذیه، سمیاه احمد و ابن البیع (الحامک) سماه حمداً، و سئل ابو سلیمان (ای الخطابی) عن اسمه، فقال اسمی الذی سمیت به حمد، لکن الناس کتبوه احمد فترکته علیه (ذکره السمعانی) و عنه کان (ای الخطابی) حجه صدوقاً و کان یتجر فی ملکه الحلال و ینفق علی الصلحاء من اخوانه توفی ۳۳۸.

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۰۸-۳۰۹.

۲- الوافی بالوفیات ج۷ ص ۳۱۷.

[*۳۸] تقدم الکلام فی ترجمه الحافظ النیسابوری.

[*۳۹] تقدم الکلام. تعلیقات ۱۲(۳۰).

[*۴۰] ذکره فی الشــذرات (۱) بعنوان الحافظ شمس الدین أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادی بن عبدالحمید بن عبدالهادی بن یوسف بن محمد بن قدامه المقدسی الجماعیلی الأصل الفقیه الحنبلی المقری الحافظ الناقد النحوی المتقن الجبل الراسخ، ذکر انه لازم الشیخ تقی الدین بن تیمیه مده و قرء علیه قطعه من الأربعین فی اصول الدین للرازی، و أخذ عن الذهبی و غیره، و عن الذهبی انه اعتنی بالرجال و العلل و برع و تصدی للافاده والاشتغال فی الحدیث والقراءات و الفقه و الاصلین و النحو و له توسع فی العلوم و ذهن سیال، و عد ابن رجب فی طبقاته ما یزید علی سبعین مصنفاً یبلغ التام منها ما یزید علی ۱۰۰ مجلد و ذکر وفاته سنه ۷۴۴. و فی الروضات (۲) وصفه ابن حجر المکی فی ما نقله عنه السیوطی بأحد الأذکیاء و عن الصفدی لو عاش لکان اماماً.

[*۴۱] هو (۳) ابوبکر احمد بن موسی بن مجاهد عده الطیبی فی شرح المصابیح مجدداً علی رأس المأه الثالثه من القراء. ذکره فی الشذرات فقال: (۴).

و فیها (أی مات سنه ۳۲۴) ابن مجاهد مقرئ العراق، أبوبکر بن أحمد بن موسی بن العباس بن مجاهد، و قال کان ثقه بصیراً بالقراءات و عللها عدیم النظیر.

[*۴۲] هو محمد (۵) بن احمد بن ایوب بن الصلت بن شنبوذ المقری البغدادی، کان من

۱- شذرات الذهب ج۶ ص ۱۴۱.

۲- روضات الجنات ج۸ ص ۸۹.

۳- روضات الجنات ج۶ ص ۱۱۰.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص۳۰۲.

۵- وفیات الاعیان. باختصار منه ج۲ ص ۶۵-۶۶.

مشـاهیر القراء و اعیانهم. و قیل انه کان کثیر اللحن قلیل العلم و تفرد بقراءات من الشواذ کان یقرئها فی المحراب، فانکرت علیه، و استحضـره الوزیر ابو علی بن مقله الکاتب و اعتقله فی داره ایاماً. و نوظر یحضـره جماعه ثم اقیم و ضرب سبع دررٍ، فدعا و هو یضـرب علی الوزیر بـان یقطع الله یـده، و ان یشـتت شـمله، فکـان الامـر کـذلک، و اعترف بزیاده کلمات فی آیات من القرآن و تبدیلها کقوله تعالی تبت یدا ابی لهب وقد تب.

و کـان امـامهم ملـک یأخـذ کل سـفینه صالحه غصـباً. و کالصوف المنفوش. فالیوم ننجیک ینـدائک إلی غیر ذلک و تاب عن ذلک توفی ۳۲۸.

و وصفه بالشذرات (۱) عن العبر بأحـد أئمه الأـداء. و قـال عنی بالقراءات أتم عنایه و کان مجتهـداً فیما فعل، و عن ابن خلکان: کان من مشاهیر القراء و أعیانهم و کان دیناً و فیه سـلامه صـدر و فیه حمق، و قیل انه کان کثیر اللحن قلیل العلم و تفرد بقراءات شواذ، و ذکر زیادته عما تقدم من شواذ القراءات موارد اخر وانه تاب.

[*۴۳] فی الشذرات (۲) و فیها (أی مات فی سنه ۳۸۸) أبوالفرج الشنبوذی، محمد بن أحمد بن ابراهیم المقری، غلام بن شنبوذ، و قال تصدر للاقراء و کان عارفاً بالتفسیر و کان یقول احفظ خمسین ألف بیت من الشعر شواهد للقرآن. تکلم فیه الدار قطنی.

[*۴۴] ابوبکر العطار اثنان احـدهما هو الحافظ محمد بن (۳) ابراهین بن علی بن ابراهیم. ابوبکر العطار الحافظ الاصـبهانی، کان عظیم الشأن ببلـده، عارافاً بالرجال و المتون، و هو اما ثقه توفی ۴۶۶، والثـانی و هو المراد فی المقام محمـد بن (۴) الحسن بن یعقوب بن

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۱۳-۳۱۴.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۲۹.

۳- الوافی بالوفیات ج۱ ص ۳۵۵.

۴- الوافی بالوفیات ج۲ ص ۳۳۴-۳۳۸، روضات الجنات ج۷ ص ۳۳۳-۳۳۴.

الحسن بن الحسین بن مقسم، ابوبکر العطار المقری و لم یکن له ما یعاب به إلا انه قره بحروف خالف فیها الاجماع.

و نقل عن یاقوت انه استخرج لها وجوهاً من اللغه و المعنی کقوله فلما استیأ سوا منه خلصوا نجیاً. قال نجبا بالباء.

و استتابه السلطان بحضور الفقهاء فتاب و لم یرجع، و قیل انه لم ینزع عنها و کان یقرأ بها إلی ان مات، له تصانیف توفی ۳۵۴ و عن طبقات النحاه وفاته ۳۵۵.

[*۴۵] الکلام فی هذا الموضوع یرجع إلی تواتر القراءات السبع، و إلی جواز القرائه بای منها فی الصلاه و إلی عدم جواز القرائه بغیرها من العشر او الازید، و إلی صحه ما ورد ان القرآن نزل علی سبعه احرف، و حیث لا مجال للتفصیل فنشیر إلی ما ذکره اجمالاً، اما تواتر القراءات (۱) السبع ذهب الیه جمع من علماء السنه کجمع من علماء الشیعه، و التحقیق عدمه، و اما جواز القرائه (۲) بای منها فی الصلاه فلا اشکال فیه و اما عدم (۳) جوازها بغیرها فصرح غیر واحد من علمائنا بالجواز اذا وافق القواعد، و اما ما ورد من النزول علی سبعه احرف و حمل علی القرءآت السبع. قال فی غیث (۴) النفع فی القراءات السبع فی الفائده الاولی قبل الشروع فی المقصود. (تواتر عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم، انه قال ان هذا القرآن انزل علی سبعه احرف فاقرءوا ما تیسر منه إلی، و کان اولاً

۱- الحدائق الناضره ج۸ ص ۹۵ إلی ۹۹، جواهر الکلام ج۹ ص ۲۹۱-۲۹۹، البیان فی تفسیر القرآن ۱۶۵-۱۸۲.
۲- الحدائق الناضره ج۸ ص ۹۹ إلی ۱۰۴، جواهر الکلام ج۹ ص ۲۹۱-۲۹۹، البیان فی تفسیر القرآن ۱۸۲-۱۸۳.
۳- الحدائق الناضره ج۸ ص ۱۰۰ إلی ۱۰۴، جواهر الکلام ج۹ ص ۲۹۱-۲۹۹، البیان فی تفسیر القرآن ۱۸۳.
۴- سراج القاری و بهامشه غیث النفع الطبعه الاولی ص ۴.

أتـاه جبرئيـل عليه السـلام فقـال له ان الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على حرف واحـد، فقال أسـئل الله معافاته و معونته و إن امتی لا تطيق ذلک. ثم اتاه الثانيه على حرفين. فقال له مثل ذلک. ثم اتاه الثالثه بثلاثه، فقال له مثل ذلک. ثم اتاه الرابعه. فقال ان الله يأمرک ان تقرء امتک القرآن على سبعه احرف، فأی حرف قرءوا عليه فقد اصابوا) فيرد عليه اشکالات(۱):

الاول: فی صـحته عن النبی صلی الله عليه و آله لتکذيبه صريحاً فی روايتنا، و ان ادعی تواتره عنه صلی الله عليه و آله بل فی ذيل ما يکذب السبعه قوله عليه السلام (لکنه نزل علی حرف واحد من عند الواحد).

الثـانی: علی قرض التسـليم. فی دلالـته و تنزيله علی القراءات السـبع تأمـل واضـح للاختلاف فی معناه حتی إلی اربعين (۲) قولاً، اشهرها الحمل علی القراءات اسبع علی قول بعض العلماء.

نعم ورد فی رواياتنـا نزول القرآن علی سبعه (۳) احرف، تـاره بلا تفسير و لا ذيل، و اخری مع تـذييله بقوله عليه السـلام (۴) و أدنی ما للامام ان يفتی علی سـبعه وجوه، ثم قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسک بغير حساب، والاول ضـعيف الاسناد والثانی مضافاً إلی ضـعف السـند لا ربط له بالقراءات کما هو واضح، کما ورد عن (۵) الحاکم فی مسـتدرکه صحيحاً علی شرط الشيخين عن ابن مسعود عن النبی صلی الله عليه و آله نزل القرآن من سبعه ابواب علی سبعه احرف زاجراً و آمراً و حلالاً و حراماً و محکماً و متشابهاً و امثالهاً فاحلوا حلاله، و فی روايه

۱- الحدائق الناضره ج۸ ص ۹۵-۱۰۴، جواهر الکلام ج۹ ص ۲۹۱-۲۹۲، البيان ص ۱۹۳-۲۱۱.

۲- الحدائق الناضره ج۸ ص ۹۵-۱۰۴، جواهر الکلام ج۹ ص ۲۹۱-۲۹۹، البيان ص ۱۹۵-۲۱۱.

۳- وسائل الشيعه ج۴ الباب ۷۴ من ابواب القرأته فی الصلاه ح۶.

۴- البحار ج۹۲ باب ما جاء فی کيفيه جمع القرآن ح۱۰ -۱۱ ص ۴۹.

۵- آلاء الرحمن ج۱ ص ۳۰.

اخری (۱) مرسله عنه صلی الله علیه و آله آمرو زاجر و ترغیب و ترهیب و جدل و قصص و مثل، وورد علی (۲) اربعه احرف و عشره (۳) احرف ایضاً.

الثالث مخالفه (۴) غیر واحد منعلمائهم کالجزری المقری فی النشر فی القراءات العشر فعنه (فکل ما وافق وجه نحوی و کان للرسم احتمالاً یحوی و صح اسناداً هو القرآن. فهذه الثلاثه الارکان) و نسبه إلی الحافظ ابی عمر و عثمان بن سعید الدانی و للامام ابی محمد مکی بن ابی طالب و غیرهما).

و خلاصظ القول انه لم یثبت ایه حجه علی کن القرائه الصحیحه هی هذه السبع من القراء السبعه المشهورین، و قد فصل القول فی ذلک العلامه المجلسی قدس سره فی البحار (۵) و علامظ الخوئی فی البیان (۶) فلیراجع.

ولابأس بایراد بعض ما اورده المجلسی قدس سره عن الجزری فی النشر: قال (۷) بلغنا عن بعض من لاعلم له ان القراءات الصحیحه هی التی عن هؤلاء السبعه، و ان السبعه التی اشار الیها النبی صلی الله علیه و آله هی قرائه هؤلاء السبعه، بل غلب علی کثیر من الجهال ان القراءات الصحیحه هی التی فی الشاطبیه و التیسیر و انها هی المشار الیها بقوله صلی الله علیه و آله انزل القرآن علی سبعه احرف حتی ان بعضهم یطلق علی مالم یکن فی هذین الکتابین انه شاذ. ثم قال و انما أوقع هؤلاء فی الشبهه کونهم سمعوا انزل القرآن علی سبعه احرف، و سمعوا القراءات

۱- آلاء الرحمن ج۱ ص ۳۰.

۲- آلاء الرحمن ج۱ ص ۳۱.

۳- آلاء الرحمن ج۱ ص ۳۱.

۴- البیان ۱۱۹ إلی ۱۳۵، سراج القاری و بهامشه غیث النف الطبعه الاولی ص ۴۰.

۵- بحار الانوار ج۸ ص ۳۰۸ إلی ۳۱۰ الطبع القدیم.

۶- البیان ۱۱۹ إلی ۱۳۵.

۷- بحار الانوار ج۸ ص ۳۰۸ إلی ۳۱۰ الطبع القدیم.

السبعه، فظنوا ان هـذه السبعه هی تلک المشار الیها، و لـذلک کره کثیر من الأئمه المتقـدمین اقتصار ابن مجاهد علی سبعه من القراء خطأوه فی ذلک، و قالوا الا اقتصر علی دون هذا العدد اوزاده او بین مراده لیخلص من لا یعلم من هذه الشبهه. ثم نقل مثل هذا الکلام عن امامه ابی العباس المهدوی انتهی ما اورده فی البحار بلفظه.

[*۴۶] ذکر فی الشذرات (۱) فی حوادث سنه ۱۰۴، فیها و قیل قبلها و قیل بعـدها توفی فجأه الامام الحبر العلامظ أبو عمرو عامر بن شراحیل بن معبـد الشـعبی و هو من حمیر و عـداده فی همـدان و نسب الی جبـل بـالیمن نزله حسان بن عمرو الحمیری هو و ولـده و دفن فیه فمن کـان منهم بـالکوفه قیـل لهم شـعبیون، قـال: و کان نحیفاً ضـئیلاً، و کان کاتب عبـدالله بن مطیع العـدوی و کاتب عبدالله بن یزید الخطمی عامل ابن الزبیر علی الکوفه و کان مزاحاً. و قال أدرکت خمسمائه من الصحابه أو أکثر، و عنه اذ دخـل مع زیـاد علی هنـد بنت النعمان فی دیرها و هی جالسه مع اختها علیهما ثیاب سود، قال لها زیاد حـدثینی عن ملککم و ما کنتم فیه و سئلها الاجمال، قال أصبحنا و کل من رأیت عبد لنا و أمسینا و عدونا ممن یرحمنا.

و فی الروضـات (۲) عن بعض المواضع انه لما خرج أمیر المؤمنین علیه السـلام من عنـده (حارث الهمـدانی) دخل علیه الشـعبی الملعون الـذی هو أحد فقهاء أهل السـنه و رابع أربعه لم یؤمنوا بعلی علیه السـلام فسأله عن حاله فشـرح له حدیث أمیر المؤمنین علیه السالم و ما قال له، فقال الشعبی اما ان حبه لا ینفعک و بغضه لا یضرک.

[*۴۷] الامام أبو محمد اسماعیل بن عبدالرحمن أبی کریمه السدی الکوفی المفسر

۱- شذرات الذهب ج۱ ص ۱۲۷-۱۲۸.

۲- روضات الجنات ج۲ ص ۳۳۹-۳۴۰.

المعروف المـذكوره أفواله فى التبيان و غيره من التفاسـير، كان من جمله المفسـرين المشاهير و المحدثين النحارير نظر مجاهد و قتـاده والكلبى و الشـعبى و مقاتـل والجبـائى و فى طبقـاتهم أيضـاً، و قـد ذكره الشـيخ الطوسـى رحمه الله من جمله من روى عن الصـادق عليه السـالم من كتـاب رجـاله الاـان لنا الى الان لم يثبت روايته منه ولا من امثاله المـذكورين عن أحـد من أهل البيت المعصومين، الى، و قد نقل عن شيخنا الطوسى فى كتاب التبيان عده ممن ذمت مذاهبه من المفسرين و عن ابن الحجر فى تقريبه وصـفه بالأكبر قبال السدى الأصـغر (و هو محمد بن مروان بن عبدالله بن اسماعيل السدى الكوفى) و كان متهماً بالكذبريال ذكر وفياه الأول حدود سنه ۱۲۸ (۱)، و فى الشذرات أرخ وقاته مردداً بين ۱۲۷و ۱۲۹ (۲).

[*۴۸] مرت ترجمته. هذا الفصل (۱۰).

[*۴۹] هو جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبوبكر السيوطى له ترجمظ ضافيظ فى تصدير كتابه الاتقان و أرخ وفاته سنه ۹۱۱ (۳). و فى الشـذرات عبر عنه بالحافظ جلال الـدين أبى الفضل عبـدالرحمن بن أبى بكر بن محمـد بن سابق الـدين أبى بكر بن عثمـان بن محمـد بن خضـر بن أيوب ابن محمـد بن الشـيخ همام الـدين الخضـيرى السـيوطى الشافعى المسـند المحقق المـدقق صاحب المؤلفات الفائقه النافعه، و عن تلميذه الداودى نافت عده مؤلفاته على خمسمائه مؤلف، و قال كان أعلم أهل زمانه بعلم الحـديث و فنون رجالاًـ و غريبـاً و متنـاً و سـنداً و اسـتنباطاً للأحكام منه، و أخبر عن نفسه انه يحفظ مائتى ألف حـديث، قال ولو وجدت أكثر لحفظته، و رأى النبى صلى الله عليه و آله فى المنام و الشيخ السيوطى

۱- روضات الجنات ج۲ ص ۹.

۲- شذرات الذهب ج۱ ص ۱۷۴.

۳- الاتقان فى علوم القرآن ج۱ ص ۳-۷.

يسألهعن بعض الأحاديث والنبى صلى الله عليه و آله يقول له هات يا شيخ الحديث و رأى هو بنفسه هذه الرؤيا و النبى صلى الله عليه و آله يقول له هات يا شيخ الحديث، و ذكر عن كتاب عبدالقادر الشاذلى انه كان يقول رأيت النبى صلى الله عليه و آله يقظه فقال لى يا شيخ الحديث، فقلت له يا رسول الله أمن أهل الجنه أنا؟ قال: نعم، الى، وقال الشيخ عبدالقادر، قلت له كم رأيت النبى صلى الله عليه و آله يقظه؟ فقال بضعاً و سبعين مره، و ذكر خدمه انه أخذ بيده و قال غمض عينيك فغمضتهما، فرحل بى نحو ۲۷ خطوه، ثم قال لى: افتح عينيك فاذا نحن بات المعلاه فزرنا امنا خديجه (و جمعاً اخر ذكر بعضهم) و دخلت الحرم و ذكر الطواف و شرب ماء زمزم، و ذكر رجوعه بتغميض عينيه و هروله ۷ خطوات و فتح عينيه، فاذا نحن بالقرب من الجيوشى، أقول: لعن الله الغلو والكذب و من يصدق امثال هذه الهذيانات(۱).

[*۵۰] هذا بعيد عن الاصمعى، فانه كان (۲) يرتجل كثيراً من الاخبار المضحكه والاقاصيص المستغربه فى مجلس الرشيدين و غيرها لينال بذلك إلى بغيه منهم، و عن كشكول شيخنا البهائى قدس سره قال اصمعى دخلت الباديه و معى كيس فاودعته امرأه منهم فلما طلبته انكرته، فقدمتها إلى شيخ من الاعراب فاقامت على انكارها، فاحلفها فحلفت. فقال قد علمت انها صادقه و ليس عليها شيء. فقلت كانك لم تسمع بهذه الآيه.

و لا تقبل لسارقه يميناً *** ولو حلفت برب العالمينا

فقال صدقت ثم تهددها فاقرت وردت على مالى.

ثم التفت إلى الشيخ، فقال و فى اى سوره هذه الآيه؟ قلت فى سوره.

الا هبى بصحنك فاصبحينا *** ولا تبقى خمور الاندرينا

۱- شذرات الذهب ج۸ ص ۵۱-۵۴.

۲- روضات الجنات ج۵ ص ۱۴-۱۵۱-۱۵۷-۱۵۹.

فقال سبحان الله انی ظننت انها فی شوره انا فتحنا لک فتحاً مبیناً.

نعم، قال ابن معین (کما عن طبقات النحاه للسیوطی) و لم یکن ممن یکذب، و قال ابو داود صدوق و کان یتقی ان یفسر الحدیث کما یتقی ان یفسر القرآن: و عن ابن خلکان ان جده علی بن اصمع سرق بصفوان فقطع علی بن ابی طالب علیه السلام یده من اشاجعه، و انه الذی قال للحجاج بن یوسف لما قدم البصره ایها الامیر ان ابوی عقانی فسمیانی علیاً فسمنی انت.

و ذکره ابن (۱) ابی الحدید بتفاوت.

مات الاصمعی سنه ۲۱۵ او ۲۱۶ عن ۸۸ سنه و اسمه عبدالملک بن قریب بن عبدالملک بن علی بن اصمع.

و عن کامل (۲) المبرد انه کان اصمع بن مظهر جد الاصمعی قطعه علی علیه السلام فی السرقه، فکان الصمعی یبغضه.

و فی السفینه (۳) عن کتاب الاضداد لابن الانباری أو معجم الادباء ان الاصمعی کان ناصبیاً.

اقول: ولذلک عده واحد منهم صدوقاً، و آخر بالتأله و الشده فیه، و ثالث بانه لا یکذب فسبحان الله و عن (۴) ابن خلکان عن ابی العینا ان ابا قلابه جیش بن عبدالرحنم الجرمی الشاعر انشدنی لنفسه (کنا فی جنازه الاصمعی).

لعن الله اعظماً حملوها *** نحو دار البلی علی خشبات

اعظماً تبغض النبی و اهل *** البیت و الطیبین و الطیبات

۱- شرح النهج الحدید ج۴ ص ۵۸سفینه البحار ج۲ ص ۵۱.

۲- بحارالأنوار ج۸ ص ۱۵۱، سفینه البحار ج۲ ص ۵۱.

۳- سفینه البحار ج۲ ص ۵۲.

۴- روضات الجنات ج۵ ص ۱۵۸-۱۵۹.

و ابوقلا (۱) به کان شیعیاً کما فی السفینه عن احد الکتابین المتقدمین:

[*۵۱] هو عبدالله بن عباس تلیمذ امیرالمؤمنین علیه السلام.

والمدافع عنه حیاً و میتاً حبر الامه (۲) و ترجمان القرآن، قیل ولادته قبل الهجره فی الشعب بثلاث سنین، و موته بالطائف سنه ۶۸ أو ۶۹، دعا له النبی صلی الله علیه و آله بالفقه و الحکمه و التأویل، و فی بعض الروایات ان النبی صلی الله علیه و آله ضمه الیه، و مسح علی صدره، و قال: اللهم فقهه فی الدین، و جلاله قدره و اشتهار ولائه لامیرالمؤمنین علیه السلام تمنع من سوء الظن به و تصدیق ما قیله فیه، و ان طال القیل والقال و کثر الکلام و المقال فما بین مصدق لاخذه بیت مال البصره و اشار الیه امیرالمؤمنین علیه السلام فی کتاب (۳) له و انه المعنی به وقائل انه اخوه عبیدالله الذی کان و الیه علیه السلام علی الیمن و ما بین متوقف...

[*۵۲] ورد النهی (۴) عن تفسیر القرآن بالرأی والذم علیه فی روایات (۵) متعدده، کما ورد عن الله تعالی بقول (۶) رسول الله صلی الله علیه و آله. ما آمن بی من فسر برأیه کلامی.

وورد عنه صلی الله علیه و آله من (۷) تکلم فی القرآن برأیه فاصاب فقد اخطأ، و من قال فی القرآن بغیر علم فلیتبوء مقعده من النار.

۱- سفینه البحار ج۲ ص ۵۲.
۲- تنقیح المقال ج۲ ص ۱۹۱ إلی ۱۹۵، تأسیس الشیعه ۳۲۲-۳۴۱، سفینه البحار ج۲ ص ۱۵۴ شرح النهج الحدیدی ج۱۶ ص ۱۶۹ إلی ۱۷۲.
۳- نهج البلاغه ج۳ ص۷۲.
۴- مقدمه تفسیر البرهان ج۱ ص۱۶.
۵- بحارالانوار ج۹۲ ص ۱۰۷ و بعدها باب تفسیر القرآن بالرأی و تفسیره، الاحادیث ۱-۲-۵-۱۱-۱۳-۱۵-۲۰.
۶- بحارالأنوار ج ۹۲ ص۱۰۷ ح۱.
۷- بحارالأنوار ج۹۲ ص ۱۱ ح ۲۰.

و فی مجمع البیان (۱) الخبر قد صح عن النبی صلی الله علیه و آله و عن الأئمه القائمین مقامه ان تفسیر القرآن لا یجوز إلا بالاثر الصحیح و النص الصریح، و روت العامه أیضاً عن النبی صلی الله علیه و آله انهقال من فسر القرآن برأیه فاصاب الحق فقد اخطأ، و نحوه فی مقدمه (۲) تفسیر البرهان (کتاب مرأه الانوار) و فی ما کتبه (۳) العلامه المجاهد المفسر الحجه الشیخ محمد جواد البلاغی فی المقامین الأول و الثانی من الفصل الرابع من تفسیره ما لاغنی لمحقق باحث عنه، فلیراجع.

[*۵۳] هذا غلو فی حق الطبری، بل کتب فی التفسیر قبله و بعده شیء کثیر: هذا مع تقدم الشیعه فی علوم القرآن و تألیف کتبها (یراجع (۴) تأسیس الشیعه) و ان علیاً علیه السلام امامهم أول من جمع القرآن و فسره و أورد فی ذلک ما عن ابن الندیم و ما أورده السیوطی فی الاتقان، فقد کتبوا فی التفسیر و أشبعوا، و کثیر منهم لم یقتصر علی تألیف واحد، و ذکر الشیخ (۵) آقا بزرگ الطهران قدس سره، جماعه لهم تصانیف متعدده فی التفسیر وحده او فیه و فی غیره من علوم القرآن کما ذکر تفاسیر کبیره لغیر واحد منهم، فعد من الذین لم یکتفوا بتألیف واحد بل ألف اثنین أو أزید، أبان بن تغلب بن رباح، و أبا زید أحمد بن سهل السجستانی، و الشیخ فخر الدین احمد بن عبدالله بن سعید بن المتوج، والعلامه الحسن بن یوسف الحلی، والراغب الاصفهانی، و قطب الدین الراوندی، و السید عبدالله الشبر، و الشریف السید المرتضی علی بن الحسین و الشیخ الطبرسی فی

۱- مجمع البیان ج۱ ص۱۳.

۲- تفسیر البرهان ج۱ ص۱۶.

۳- الآء الرحمن ۳۲ إلی ۴۳.

۴- تأسیس الشیعه ۳۱۶-إلی ۳۴۷.

۵- الذریعه ج۴ ص۲۳۳.

جمع آخرين، و من كبار التفاسير تفسير الأئمه (۱). يقال انه فى ۳۰ مجلداً و تفسير الكلبى (۲) فعن الكامل للكلبى أحاديث صالحه و خاصه عن أبى صالح و هو معروف بالتفسير و ليس لاحد تفسير اطول منه و لا اشبع و بعده مقاتل بن سليمان إلا ان الكلبى يفضل عليه لما فى مقاتل مذاهب رديه، و تفسير ابى حنيفه (۳) الدينورى (وحكى عن ابى حيان التوحيدى النيسابورى ان فى المتقدمين و المتأخرين ثلاثه لو اجتمع الثقلان على تقريظهم مدى الدنيا إلى زوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم، واحد الثلاثه ابوحنيفه الدينورى إلى قوله: و قد قيل لى ان له فى القرآن كتاباً يبلغ ۱۳ مجلداً) و التفسير (۴) البسيط للامام المفسر ابى الحسن على بن احمد الواحدى النيشابورى المتوفى ۴۶۸ فى نحو ۱۶/ مجلداً و تفسير (۵) العسكرى من املائه عليه السلام و المراد به الامام الهادى عليه السلام الملقب بصاحب العسكر و بالعسكرى فى ۱۲۰ مجلداً كما عن ابن شهر آشوب و تفسير المنشى (۶) كبير اكثر من ثلاثين مجلداً عربى و فارسى.

أقول(۷): لمحيى الدين ابن العربى تفسير كبير جداً قيل انه بالغ ۹۰/ مجلداً.

هذا بعض ما ذكره فى باب التاء بعنوان التفسير و لم نستقص البحث فى ساير الأبواب إلا انه

۱- الذريعه ج۴ ص ۲۳۶-۲۳۷.

۲- الذريعه ج۴ ص ۲۴۴.

۳- الذريعه ج۴ ص ۲۵۲.

۴- الذريعه ج۴ ص ۲۶۴.

۵- الذريعه ج۴ ص۲۸۳.

۶- الذريعه ج۴ ص۳۱۶.

۷- روضات الجنات ج۸ ص۵۲.

ینبغی التنبیه علی نکته، و هی وجود اقـدم تفسـیر موجود من تفاسـیرنا (غیر ما عن امیرالمؤمنین (۱) علی بن ابیطالب علیه السـلام من املاء ستین نوعاً من علوم القرآن، و ذکر أمیر المؤمنین علیه السـلام لکل نوع مثالاً یخصه، أخرجه المجلسـی قـدس سـره فی البحار و هو (بروایه (۲) النعمانی قدس سـره فی تفسیره و هو تفسیر (۳) ابن همام الصنعانی الحافظ الکبیر المتوفی ۲۱۱، قال فی الـذریعه و یعد من مفاخر الشـیعه و آثارها الخالده الباقیه حتی الیوم یخبر عن وجوده بعینه فهرس بعض مکتبات مصـر و یذکران هناک نسخه منه یحظ یکتمر بن عمر کتابتها سنه ۷۲۴.

و لأهل السـنه تفاسیر کبار کتفسـیر الفخر والآلوسـی و الطنطاوی والمنار و عنـدنا فی هذه الآونه تفسـیر المیزان فی ۲۰/ مجلداً و تفسیر الفرقان لمعاصرین من علمائنا رحمهم الله تعالی.

[*۵۴] تقدمت ترجمته. تعلیقات ۱۲ (۵۴).

[*۵۵] هو امام الشاعره ابوالحسن علی بن اسـماعیل بن اسـحاق بن سالم. یتصل نسـبه إلی أبی موسـی الأشعری، قال صاحب (۴) الروضات فی وصـفه قـدوه المجبره من طوائف الجمهور، و کان تلمیذاً لأبی علی الجبائی، قرأ علیه و تمذهب بمذهبه و أبو علی کان زوج امه، و نقل عن بعضـهم انه کان اولاً عـدلیاً معتزلیاً ثم تاب من القول بالعدل و خلق القرآن فی مسـجد الجامع بالبصـره یوم الجمعه.

و مات ۳۳۰ أو ۳۳۴ و کان له کتب، و عن أبی بکر الصیرفی انه قال: کانت المعتزله قد رفعوا

۱- تأسیس الشیعه ۳۱۸.

۲- بحارالأنوار ج۹۳ ص۳-۹۷.

۳- الذریعه ج۴ ص ۲۵۰-۲۵۱.

۴- روضات الجنات ج۵ ص ۲۰۷ و ما بعدها.

رؤسـهم حتی أظهر الله الأشعری فحجزهم فی اقماع السمسم. و له مناظره(۱) مع استاذه أبی علی الجبائی فی ثلاثه صبیه اخوه، و بالا خیر انقطع أبو علی و لم یحر جواباً و صارت تلک المناظره سبباً لمفارقه الجبائی و سائر فرق المعتزله، و فی الشذرات و فیها (أی مات فی سنه ۳۲۴) و عن بعضهم سنه ۳۰ و قیل بعد الثلاثین، الامام العلامه البحر الفهامه أبو الحسن الأشعری علی بن اسماعیل بن أبی بشر المتکلم البصری، صاحب المصنفات و بعد ذکر مناظرته التی (کما فی الشذرات بها قصم ظهر کل مبتدع مرائی) و لها دلاله علی ان الله تعالی خص من شاء برحمته و خص آخر بعذابه، قال والی أبی الحسن انتهت ریاسه الدین فی الکلام و کان فی ذلک المقدم المقتدی الامام. و ذکر عن کتابه الابانه فی اصول الدیانه و هو آخر کتاب صنفه طی دیانته التی یدین بها، ان الله مستو علی عرشه (کمال قال: (الرحمن علی العرش استوی)و ان له وجهاً کما قال: (و یبقی وجه ربک ذوالجلال والاکرام) و ان له یدین بلا کیف، کما قال (بل یداه مبسوطتان) و ان له عینین بلاکیف، کما قال (تجری بأعیننا) و قال ندین بان الله یقلب القلوب بین اصبعین من اصابع الله عزوجل یضع السموات علی اصبع والأرضین علی اصبع (و نسب ذلک الی الروایه عن رسول الله صلی الله علیه و آله) و بین تصدیق النزول الی السماء الدنیا، وان الله یجییء یوم القیامه کما قال (وجاء ربک والملک صفاً صفاً) إلی آخر ما قال، مما هو خلاف ضروره العقل والنقل الصحیح، ولکن من یضلل الله فلا هادی له (۲) .

[*۵۶] أرخ وفاته فی الشذرات سنه ۳۸۴، قال: و قیل سنه ۸۲ و وصفه بشیخ العربیه و له قریب من مأه مصنف، منها تفسیر القرآن العظیم، قال و کان متقناً لعلوم کثیره(۳).

۱- روضات الجنات ج۵ ص۲۰۹.

۲- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۰۳-۳۰۵.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۰۹.

و فی الروضات الحبر العماد والمتمهر الاستاد علی بن عیسی بن علی بن عبدالله أبوالحسن الرمانی الواسطی الاخشیدی النحوی المشهور، کان اماماً فی العربیظ علامه فی الأدب فی طبقه الفارسی و السیرافی معتزلیاً، و عن أبی حیان التوحیدی، لم یر مثله قط علماً بالنحو و غزاره بالکلام و بصراً بالمقالات و استخراجاً للعویص و أیضاحاً للمشکل مع تأله و تنزه و دین و فصاحه و عفاف و نظافه. أرخ وفاته سنه ۳۸۴ (۱).

[*۵۷] هو أبوبکر النقاش محمد بن الحسن بن محمد بن زیاد الموصلی ثم البغدادی المقرء المفسر صاحب التصانیف فی التفسیر و القراءات، قال و مع جلالته فی العلم و نبله فهو ضعیف متروک الحدیث، و ذکر عن الذهبی فی المغنی (مشهور التهم بالکذب و قد أتی فی تفسیره بطامات و فضائح و هو فی القراءات امثل)(۲).

[*۵۸] فی الشذرات فیها (أی مات سنه ۳۸۸) أبوبکر الادفوی محمد بن علی بن أحمد المصری المقرئ المفسر النحوی (وادفو بضم الهمزه و سکون المهمله و ضم الفاء قریه بصعید مصر قریب اسوان، و کان خشاباً، و قال الف التفسیر فی ۱۲۰ مجلداً، و کان شیخ الدیار المصریه و علمها و کانت له حلقه کبیره للعلم (۳).

[*۵۹] و فی الحاشیه اسنده إلی النقل عن ابن حزم، یقول العلامه الأمینی قدس سره فی حقه انه لم یلتزم (۴) بهذا الواجب (ای ما أوجبه علی من یکتب فی الملل والنحل قبل کل شیء من الالتزام بالصدق و الامانه إلی آخر کلامه قدس سره) بل التزم بضده فی کل ما یکتب، ثم أورد من کتابه الفصل احد عشر من تحکماته و افترائاته علی الشیعه، ثم أجاب عنها قدس سره بأجوبه

۱- روضات الجنات ج۵ ص ۲۳۰-۲۳۱.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۹-۸.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۳۰.

۴- الغدیر ج۳ ص ۹۲.

کافیه شافیه، و أورد شواهد من کتب العامه لرد بعض ما أنکره نسردها سرداً و نحیل إلی مواضعه من أراد فلیراجع.

۱- ان (۱) الروافض لیسوا من المسلمین إلی، و هی طائفه تجری مجری الیهود و النصاری فی الکذب و الکفر (۲).

۲- کذب من قال بدن علیاً أکثر الصحابه علماً (۳).

۳- من قول الامامیه (۴) کلها قدیماً و حدیثاً ان القرآن مبدل زید فیه ما لیس منه و نقص منه کثیر و بدل منه کثیر.

حاشا علی بن الحسن بن موسی بن محمد و کان امامیاً بظاهر بالاعتزال الخ (و اشار فی ذیل الصفحه کذا فی الفصل و المحکی عنه فی کتب العامه، و الصحیح علی بن الحسین و هو الشریف علم الهدی المرتضی)(۵) .

۴- من الامامیه من یجیز نکاح تسع نسوه، و منهم من حرم الکرنب لأنه نبت علی دم الحسین و لم یکن قبل ذلک (۶).

۵- وجدنا علیاً رضی الله عنه تأخر عن البیعه سته أشهر، فما أکرهه أبوبکر علی البیعه حتی بایع طائعاً مراجعاً غیر مکره (۷).

۱- الغدیر ج۳ ص۹۳.

۲- الغدیر ج۳ ص ۹۲.

۳- الغدیر ج۳ ص ۹۵.

۴- الغدیر ج۳ ص ۱۰۱.

۵- الغدیر ج۳ ص ۱۰۱.

۶- الغدیر ج۳ ص ۱۰۱-۱۰۲.

۷- الغدیر ج۳ ص ۱۰۲.

۶- الرافضه تجیز امامه المرأه و الحمل فی بطن امه (۱).

۷- ان محبه النبی صلی الله علیه و آله لمن أحب لیس فضلاً لأنه قد احب عمه و هو کافر (۲). و ان کان رسول الله صلی الله علیه و آله احب أبا طالب فقد حرم الله تعالی علیه بعد ذلک و نهاه عن محبته و افترض علیه عداوته.

۸- لسنا من کذب الرافضه فی تأویلهم، و یطعمون الطعام علی حبه مسکیناً و یتیماً و اسیراً و ان المراد بذلک علی رضی الله عنه.

بل هذا لا یصح، بل الآیه علی عمومها و ظاهرها لکل من فعل ذلک(۳)

۹- قال رسول الله صلی الله علیه و آله لوکنت متخذاً خلیلًا لا تخدت أبابکر خلیلًا، ولکن اخی و صاحبی و هذا الذی لا یصح غیره، و اما اخوه علی (علیه السلام) فلاتصح إلا مع سهل بن حنیف (۴).

۱۰- قال جمهور متکلمی الرافضه کهشام بن الحکم الکوفی و تلمیذه ابی علی الصکاک و غیرهما یقول، ان علم الله تعالی محدث، و انه لم یکن یعلم شیئاً حتی احدث لنفسه علماً و هذا کفر صحیح(۵).

و قد قال هشام هذا فی عین مناظرته لأبی الهذیل العلاف، ان ربه سبعه اشبار بشبر نفسه و هذا کفر صحیح، و کان داود الجوازی من کبار متکلمیهم یزعم ان ربه لحم و دم علی صوره الانسان(۶).

۱- الغدیر ج۳ ص ۱۰۴.

۲- الغدیر ج۳ ص ۱۰۵.

۳- الغدیر ج۳ ص ۱۰۶.

۴- الغدیر ج۳ ص ۱۱۱.

۵- الغدیر ج۳ ص ۱۲۵.

۶- الغدیر ج۳ ص۱۲۵.

۱۱- قال: الرافضه لا یختلفون فی ان الشمس ردت علی علی بن ابیطالب علیه السلام مرتین.

و فی موضع آخر، أقل الروافض غلواً یقولون ان الشمس ردت علی علی بن ابیطالب علیه السلام مرتین (۱).

و فی الشذرات (۲) ذکر عن ابن خلکان، انه کان کثیر الوقوع فی العلماء المتقدمین، لا یکاد أحد یسلم من لسانه فنفرت عنه القلوب واستملل من فقهاء وقته، فمالوا علی بغضه، وردوا قوله، وأجمعوا علی تضلیله و شنعوا علیه و حذروا سلاطینهم من فتنته، و نهوا عوامهم عن الدنو إلیه و الأخذ عنه، فاقصته الملوک و شردته عن بلاده. و قال ابن العرف و کان لسان ابن حزم و سیف الحجاج شقیقین.

و أورد الأمینی قدس سره (۳) فی نهایه الکلام عن أجوبته عنه (بان حزم) قوله فی نبی العظمه انه علیه السلام ولد کافر و کافره.

سبحان الله. سبحان الله.

وابن حزم هذا توفی ۴۵۶.

ثم ان من هذا الذی ذکره المؤلف هنا و أمثاله (و کم له من نظیر) نعرف مدی المؤامره ضد الشیعه حتی قرنوهم الصوفیه.

والذی جرئهم علی ذلک اضطهاد الشیعه طوال القرون المتمادیه فی أغلب البلدان الاسلامیه، و کانوا فی تقیه و اختفاء و لم تسمح لهم الفرص بابداء آرائهم و ابلاغها و دفع الافترائات و الأکاذیب المفتعله علیهم الا فی فترات یسیره قصیره فی محدوده بلاد لهم فیها حریه الاظهار و ابراز العقیده، ولا ننکر ورود بعض التأویلات أو ما یسمی بالبطون

۱- الغدیر ج۳ ص۱۲۶.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۹۹-۳۰۰.

۳- الغدیر ج۳ ص۱۴۱.

فی مذهبنا فی موارد من القرآن لاینافی ظاهره، و لا یمنع علن الاخذ بما هو المتفاهم منه بل هو علی حجیته و للبطون مقامها الخاص.

[*۶۰] لیته عین هذا البعض کی یعلم مقدار صدقه فی دعواه.

[*۶۱] ابن قتیبه، هو ابو محمد (۱) عبدالله بن مسلم بن قتیبه الدینوری و قیل المروزی اللغوی النحوی له کتاب المعارف فی التاریخ و ادب الکاتب، و له تصانیف اخر.

و ثقه ابن خلکان، قال: و کان فاضلاً سکن بغداد توفی سنه ۲۷۰ فجأه صاح صیحه سمعت من بعد ثم اغمی علیه و مات.

و فی السفینه (۲) ذکر من اجداده بعد قتیبه مسلم بن عمرو الباهلی، و قال: کان حامل عهد یزید لابن زیاد و سبق له ذکر.

ثم لا یخفی التحامل و التعصب علی الشیعه فی هذا الکلام.

[*۶۲] هذا تعبیر من لا یری للشیعه علماً ولالهم عالماً، فما أقبح هذا التحامل و التعصب و ما هذا التعامی عن الامامیه و الشیعه من مآثر علمیه و دینیه.

[*۶۳] هو احمد (۳) بن سهل. صنف کتباً حمه فی النحو واللغه والشعر و الادب والتفسیر، ذکر فی الروضات انه کان فاضلاً قیماً بجیمع العلوم القدیمه و الحدیثه، یسلک فی مصنفاته طریق الفلاسفه مات سنه ۳۲۲.

[*۶۴] هذا من عدم التدبر و التطلع الکامل علی هذه القصص، فقد طال فیها بیان الاحتجاجات والمجادلات التی وقعت بینهم علیهم السلام و بین اممهم ووعظهم و ارشادهم و دعوتهم إلی التوحید و رفض الانداد و اجتناب الظلم و سائل القبائح والمفاسد و تذکرهم

۱- روضات الجنات ج۵ ص۱۰۵-۱۰۶.

۲- سفینه البحار ج۲ ص۴۰۴.

۳- روضات الجنات ج۴ ص۵۰.

بالتوبه والرجوع إلى الله و المعاد والحشر و النشر و أهوال يوم القيامه و أحوال المجرمين و تنعم المؤمنين و الخلود فى دار الجزاء و الاعتبار بالمثلات التى نزلت بالطاغين قبلهم.

[*۶۵] هو أبو اسحق الثاعلبى أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى المفسر. و عن العبر كان حافظاً و اعظاً رأساً فى التفسير العربيه متين الديانه. و عن ابن خلكان كان أوحد زمانه فى علم التفسير وصنف التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفاسير. و له كتاب العرائس فى قصص الأنبياء و غير ذلك. ذكره السمعانى و قال: يقال له الثعلبى و الثعالبى و هو لقب له و ليس بنسب، قاله بعض العلماء، و قال أبوالقاسم القشيرى رأيت رب العزه عزوجل فى المنام و هو يخاطبنى و اخاطبه، فكان فى أثناء ذلك، ان قال الرب تعالى اسمه: اقبل الرجل الصالح، فالتفت فاذا أحمد الثعالبى مقبل. انتهى ما قاله ابن خلكان مختصراً. أقول: لعن الله الحماقه و من يقبل، و يصدق هذه الخرافات(۱).

و فى الروضات (۲) وصفه بالمفسر المشهور، أوحد زمانه فى علم التفسير و أوثق الناس فى نقل الحديث و صنف التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفاسير، و مال صاحب الروضات الى القول بتشيعه، و ذكر عن المجلسى قدس سره ذلك و ذكر انه لتشيعه و او لقله تعصبه كثيراً ما ينقل من أحاديثنا.

[*۶۶] فى الشذرات (۳) و فيها (أى توفى سنه ۳۱۱) محمد بن زكريا الرازى الطبيب العلامه صاحب المصنفات فى الطب و الفلسفه، و عن العبر و انما اشتغل بعد أن بلغ الأربعين و كان فى صباه مغنياً بالعود.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۳۰-۲۳۱.

۲- روضات الجنات ج۱ ص۲۴۵-۲۴۶.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص۲۶۳.

و فی الروضات (۱) هو صاحب کتاب من لا یحضره الطبیب و عن بعضهم کان بدء أمره صائغاً ثم اشتغل بعلم الاکسیر فرمدت عیناه بسبب أبخره العقاقیر فذهب الی طبیب لیعالجه و أخذ منه ۵۰۰ دینار للعلاج، فقال له هذا هو الکیمیاء لا ما اشتغلت به فترک الاکسیر واشتغل بالطب. و نقل ذمه عن ابن سینا و غیره. و له حکایه فی تألیف کتاب فی صنعه الکیمیاء فأعجب منصوراً الملک و شکره و حباه بألف دینار و لما لم یمکنه العمل امر الملک بضرب الکتاب علی رأسه حتی یقطع.

[*۶۷] قد ورد فی ضمن روایه عن ابی (۲) عبدالله جعفر بن محمد الصادق علیه السلام، انه لما أراد الله عزوجل اهلاک قوم نوح علیه السلام عقم ارحام النساء أربعین سنه فلم یلد فیهم مولود (الصحیح لم یولد).

و ورد عن الرضا علیه السلام (۳) فی حدیث، انه قال: ما کان فیهم الأطفال لان الله عزوجل أعقم أصلاب قوم نوح علیه السلام و أرحام نسائهم أربعین عاماً فقطع نسلهم فغرقوا ولاط طفل فیهم و ما کان الله عزوجل لیهلک بعذابه نم لا ذنب له.

و ما أدری لای سبب استبعد المطهر بن طاهر المقدسی ما اورده، اما نحن فلا نقبله لعدم قیام حجه فیه.

و علی أی حال فلا مانع من وقوع ما فی الروایتین عن الامامین المعصومین علیهماالسلام ولا معارض لهما ولا سیما بعد قوله تعالی حکایه عن قول نوح علیه السلام (۴) رب لاتذر علی

۱- روضات الجنات ج۷ ص ۳۰۰-۳۰۲.

۲- البحار ج۱۱ ص۳۱۲.

۳- عیون اخبار الرضا ج۲ ص ۷۵. بحار الأنوار ج۱۱ ص ۳۲۰.

۴- سوره نح الایه ۲۶.

الارض من الکـافرین دیاراً، و قوله تعالی مما خطیئاتهم اغرقوا (۱). فدعائه علیه السـلام کان علی الکبار اذ الصـغار والاطفال لم یبلغوا حد ما یقال لأحدهم مسلم او کافر (إلا تبعاً) نعم فی المراهق من أولاد الکفار تحقیق فی قبول اسلامه عن بصیره، واما سایر ما ذکره من التأویلات فی قصـص نوح و غیره من الأنبیاء علیهم السـلام فتحریف للقرآن واخـذه علی غیر ما أنزل الله تعالی و فی التحقیقه انکار له.

[*۶۸] هذا الکلام لا یصدر إلا ممن یسـخر من الأنبیاء العظام سلام الله علیهم و لا یؤمن بالبعث والمعاد و لا یری لهم قیمه کأکثر من بعثوا الیهم و کذا من جعل الناقه کنایه عن رجل و امرأه.

[*۶۹] انما یصدر هذا الکلام و امثاله من الملاحده و منکری النبوه والبعث، و کذلک ما اورده فی توجیه الطیر، ابابیل.

[*۷۰] لیس فی هذا کثیر مخالفه لظاهر القرآن، و إن کان الارجح المناسب لظاهر الآیه والذی یعطیه کلمه الاسـله والعین ما اشار الیه فی مجمع البیان و تفسیر الجواهر و تفسیر المیزان، ففی الاول (۲) (اذبنا له عین النحاس و اظهرنا هاله قالو اجرت (اجریت) له عین الصـفر ثلاـثه ایام بلیالهین جعلها الله کالماء. وفی الثانی (۳) النحـاس المـذاب اساله من معـدنه فنبع منه نبوع الماء من الینوع فسماه عیناً، و فی الثالث (۴) اذبنا له القطر فسالت کالعین الجاریه و یحتمل قریباً کون سـبب الاساله شده الحراره فی معدن القطر بحیث أوجبت ذوبه و سیلانه و نبعه کنبع العین، والمنه فی ذلک ترجع إلی دلاله سلیمان علیه السلام

۱- سوره نوح الایه ۲۵.

۲- مجمع البیان ج۴ ص ۳۸۲.

۳- تفسیر الجواهر للطنطاوی ج۱۶ ص۱۷.

۴- تفسیر المیزان ج۱۶ ص ۳۸۵-۳۸۶.

علیه للعنایه الالهیه الظاهره من الایه المبارکه.

[*۷۱] هذا ایضاً خروج عن ظاهر الآیه و تحریفه، و کذا ما یقوله فی المراد بالنمل و التأویل فی الجن والشیاطین یرجع إلی انکارهما و لا ینکرهما إلا من لا یؤمن بالله.

[*۷۲] بل بلغ عدد المعجزات المنقوله عنه صلی الله علیه و آله آلافاً، فقد ذکر صاحب(۱) المناقب ان له أربعه الاف و أربعمأه و أربعین معجزه، و ذکر النووی (۲) ان له صلی الله علیه و آله معجزات ظاهرات و اعلاماً متظاهرات تبلغ الوفاً و هی مشهورات إلی آخره.

[*۷۳] تأویل بارد دلاداعی الیه، و لا مصحح له کتأویل ابلیس مرجعه إلی انکار القضیه کما حکیت و وقعت، و فی الثانی یؤل إلی انکار ظاهر القرآن.

[*۷۴] رواه ابو (۳) داود فی صحیحه و ابن الاثیر فی کتاب النبوه من جامع الاصول فی أحادیث الرسول صلی الله علیه و آله کما (۴) أورده الطیبی فی شرح المصابیح، و تلکم فیه، و توسع، و عن ابی هریره عنه صلی الله علیه و آله انه قال: یبعث الله لهذه الامه علی رأس کل مأه سنه من یجدد لها دینها، و فی لفظ آخر فی رأس کل مأه سنه رجلًا من اهل بیتی یجدد لهم امر دینهم، طبقات الشافعیه للسبکی الطبقه الاولی ج ۱ ص۱۹۹.

وورد فی روایاتنا عن ابی عبدالله علیه السلام بطریق فیه ضعف، ان فینا اهل البیت فی کل خلف عدولاً ینفون عنه تحریف الغالین وانتحال المبطلین و تأویل الجاهلین، و رواه (۵) الأمینی عنه صلی الله علیه و آله هکذا فی کل خلوف من امتی عدول من أهل بیتی ینفون من هذا الدین

۱- البحار ج۱۷ ص۳۰۱.

۲- تهذیب الأسماء ج۱ ص۳۳.

۳- مرأت العقول ج۱ ص۱۰۴ إلی ۱۰۶ تأسیس الشیعه ص۵.

۴- روضات الجنات ج۶ ص۱۰۹.

۵- الغدیر ج۳ ص۸۱ نقلًا عن ذخائر العقبی والصواعق.

تحریف الغالین و انتحال المبطلین و تأویل الجاهلین، إلا ان ائمتکم و فدکم إلی الله عزوجل فانظروا بمن توفدون:

[*۷۵] هـذا من ادل الشواهـد علی تـأثر المؤلف بما ذکره عن ما ألفه العامه و الفقوه فی کتبهم بلا تحقیق و لا تنقیب عن الشـیعه الامامیه، فان لهم القدر المعلی فی کل فن و لهم التقدم فی کل علم و قد أشرنا فیما سبق إلی عذر المؤلف فی ذلک.

[*۷۶] الاحری بالمجدد فی ذاک القرن الکلینی أو المفید و الصدوق أو السید المرتضی قدس الله أسرارهم.

نعم لوکان المراد تجدیـد المذهب رأس المأه فلا ینطبق علی بعضـهم، و عن ابن الاثیر (۱) فی جامع الأصول و الطیبی فی شـرح المصابیح عد علی بن موسـی الرضا علیه السـلام المجدد علی رأس مأه الثانیه والکلینی قدس سـره علی رأس المأه الثالثه و السید المرتضی قدس سره علی رأس المأه الرابعه.

[*۷۷] هذا اشتباه تقدم بیان سببه.

[*۷۸] هو النقیب (۲) ببغداد أبو عبدالله محمد بن الحسن الداعی الاصـغر بن القاسم بن الحسن بن علی ابن عبدالرحمن الشجری ابن القاسم بن الحسن بن زیـدبن الحسن علیه السـلام کذا أورده ابراهیم بن ناصـر صاحب کاب المنتقله. و مثله فی جعل الداعی هو الحسن ابا محمـد صاحب (۳) العمـده، و وصـفه بانه ملک الـدیلم، و کان احـد أئمه الزیدیه، و ذکر کونه شـجریاً (ای ینتهی نسبه إلی عبدالرحمن الشجری) ابونصر البخاری والناصر الکبیر

۱- خاتمه المستدرک ج۳ ص۵۱۶. ریاض العلماء ج۴ ص۲۰. روضات الجنات ج۶ ص۱۱۰-۱۱۱.

۲- منتقله الطالبیه ۵۶.

۳- عمده الطالب ۶۹ إلی ۷۳ باقتضاب منه.

الطبرستانی وان النقیب تاج الـدین بن معیه یقوی هـذا القول، و یقول ان العجم اخبر بحاله، ولکن یظهر منه (صاحب العمده) ان الـداعی ابا محمـد الحسن هو ابن القاسم بن علی بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد البطحانی ابن القاسم بن الحسن بن زید بن الحسن علیه السلام و هذا البطحانی اخو عبدالرحمن الشجری.

و کیف کان فابو عبـدالله محمـد هو ابن الـداعی هـذا، ولی نقابه النقباء ببغداد زمن معز الدوله بن بویه الدیلمی و قبل ذاک ورد من بلـده الیه بالاـهواز و قصـد تعلم العلم و الفقه والکلام، و بلغ طرفاً من ذلک و بایعه بعـد دهر قوم من الـدیلم، فقبض علیه معز الـدوله و علی اولئـک الـدیلم، و کل من دخل فی البیعه، فنفاهم و شـردهم، و قیـد اباعبـدالله زماناً طویلًا، ثم انفـذه إلی فارس و حبس مده سـنه و شـهرین، و اطلق و خرج إلی کرمان و افلت هناک من الحرب، و مضی إلی منوجان إلی مکران فبایعته الزیدیه هناک فقبض علیه، و نفـذ إلی عمان و بایعه الزیدیه سـراً هناک، فنفاه صاحب عمان إلی البصـره،فقام بها مختفیاً و بایعه من کان هناک من الجبل و الـدیلم، فبلغ ذلک ابا یوسف الزیدی فطلبه و اخذه و اقطعه بخمسه الآف درهم ضـیاعاً، و اسـکنه داره، و اقام سنین ثم خرج إلی الاهواز و بغـداد و الحج و عاد، فاقام ببغداد ولزم اباالحسن الکرخی و تفقه علیه، و بلغ فی الفقه مبلغاً عظیماً و درس الکلام قبل ذلک و بعده علی ابی عبدالله الحسـین بن علی البصـری و الفقه و برع فیها و راسله معز الدوله فی الدخول علیه فأبی و ألـح علیه، فاشتر طان یـدخل علیه بطیلسان فاذن له فلبس و دخل علیه فاکرمه، وولاه النقابه بعد اباء و خرج متقلداً لها، فما توفرت علی الطـالبیین اموالهم و ارزاقهم و بسـاتینهم کما توفرت علیهم ایام نقابته، و مرض معز الـدوله فاسـتدعاه و سأله ان یقرأ علیه فجاء مع جماعه من الطالبیین فقرءوا علیه و ابو عبدالله یقرء و یمسح یده علی وجهه، فلما فرغ اخذ معز الدوله یده التی کان

یمرها علی وجهه (وهی الیمنی) فقبلها استشفاء.

قال و کان شبیه الخلقه بامیرالمؤمنین علی علیه السلام و خرج متخفیاً معه ابنه الاکبر، و خلف عیاله و من بقی من ولده و زوجته و کلما تحویه داره.

و علیه جبه صوف بیضاء و فی صدره مصحف منشور قد علقه و سیف قد علق حمائله فی عنقه حتی لحق بهوسم من بلاد الدیلم (علی زی الطالبیین هناک اذا ظهر و ادعاه إلی الله تعالی) و با یعوه بالامامه و اقام فیهم یدعو إلی سبیل ربه و یقیم الحدود بنفسه و یتقشف التقشف التام لا یأکل إلا خبز الازر والسمک و ما یجری مجراهما.

مات بهوسم، و یقال ان امیرکا انفذ إلی اخته (زوجه ابی عبدالله) سماً فسقته ایاه، وفاته ۳۵۹ و خلف ولده أبا الحسن علیاً و ابناً صغیراً.

[*۷۹] کما تقدم عن عمده الطالب.

[*۸۰] هو احمد(۱) بن یحیی بن اسحق الراوندی العالم المشهور و له مقام (مقاله) فی علم الکلام، و کان من الفضلاء فی عصره، و له من الکتب المصنفه نحو من ۱۱۴ کتاباً، منها کتاب فضیحه المعتزله و کتاب التاج و کتاب الزمرزد و کتاب القصب و له مجالس و محاضرات مع جماعه من علماء الکلام، و قد انفرد بمذاهب نقلا أهل الکلام عنه فی کتبهم توفی سنه ۲۴۵ و تقدیر عمره، ۴۰ و قیل توفی سنه ۲۵۰ و هو نسبه إلی راوند قریه من قری کاشان (قاسان) بنواحی اصفهان.

و وصفه السید الروضاتی (۲) بالشیخ الفاضل الفائق و المتکلم الحکیم الحاذق و ذکر بعض ما تقدم عن ابن خلکان، و قال کان یرمی عند الجمهور بالزندقه والالحاد و ینسب الیه

۱- وفیات الاعیان ج۱ ص۲۸.

۲- روضات الجنات ج۱ ص ۱۹۳-۱۹۴.

بزعمهم الفاسد ابداع القول بوجود النص الجلی علی امامه علی علیه السلام و اختلافه لما یدل علی ذلک من الروایات، و ذکر عن ابن شهر اشوب فی کتابه المعالم انه مطعون علیه جداً، ولکنه عن السید الاجل المرتضی فی الشافی انه انما عمل الکتب التی قد شنع بها علیه مغایظه للمعتزله لیبین لهم عن استقصاء نقصانها و کان یتبرأ منها تبرأً ظاهراً، و له کتب سداد مثل کتاب الامامه و العروس.

و نقل صاحب (۱) الریاض عن الشیخ عماد الدین الطبرسی فی کتابه اسرار الامامه انه صنف علماؤنا کتباً جمه فی معجزاتهم (ای الأئمه علیهم السلام) و خاصه ما ذکره عماد الدین الطوسی و السعید ابن بابویه و ابن الراوندی و ابوجعفر الطوسی و علم الهدی و اضرابهم.

لکن استظهر فی ریاض العلماء کما فی الروضات (۲) کونه غیر ابن الراوندی المرمی بالزندقه والالحاد، و کانه استشهد لذلک بما فی الریاض (ظنی ان السید المرتضی ایضاً نص علی تشیعه و حسن عقیدته فی مطاوی الشافی أو غیره و ذکر الشیخ (۳) الکراجکی قدس سره ان الراوندی قد صنف کتاب فضائح المعتزله و اورد فیه جملاً من اعتقاداتهم و آراء شیوخهم مما ینافر العقول و یضاد شریعه الرسول صلی الله علیه و آله).

و یشعر کلام (۴) بعض الاعلام و یصرح کلام (۵) آخر بکون ابن الراوندی هذا هوالقائل بامامه العباس بن عبدالمطلب، و یظهر من (۶) المسعودی ان الراوندیه شیعه ولد العباس من

۱- ریاض العلماء ج۱ ص۲۶۹.

۲- روضات الجنات ج۱ ص۱۹۵.

۳- کنز الفوائد ص۵۱، بحارالأنوار ج۵ ص۸.

۴- ذل فرق الشیعه للنوبختی ۳۴.

۵- روضات الجنات ج۱ ص۱۹۴.

۶- مروج الذهب ج۳ ص۲۵۲.

أهل خراسان و غيرهم و لم يشر (۱) إلى ابن الراوندى هذا عند ذكر وفاته برحبه مالك بن طوق أو ببغداد سنه ۲۰۵ (و قد ذكر ابن (۲) الراوندى هذا فى كتاب ألف تحت رعايه جمع من المستشرقين و ترجمه أحد الكتاب الايرانيين. و كناه بابى الحسن (۳) و اطال فيه الكلام وماجرى عليه فى بغداد كيف فر من القتل هارباً من بغداد و قبله مباحثاته و مكالمته المتوكل العباسى فى كتاب (مغز متفكر جهان شيعه) ص۱۷۴-۱۸۵.

و يستنتج مما ذكره تأثر ابن الراوندى بحريه التفكير فى المذهب الجعفرى.

[*۸۱] تقدمت ترجمته فى هذا الفصل(۵۶).

[*۸۲] تقدمت ترجمته. تعليقات الفصل الثانى عشر (۲۱).

[*۸۳] هو محمد بن الهذيل(۴) بن عبدالله بن مكحول العبدى البصرى عن ابن خلكان شيخ البصريين فى الاعتزال، و من اكبر علمائهم و له كتاب يعرف ميلاس على اسم رجل مجوسى اسلم بسبب مباحثه ابى الهذيل مع جماعه من الثنويه، جمع بينهم و بين ابى الهذيل فقطعهم ابو الهذيل.

توفى سنه ۲۳۵، و قال المسعود (۵) عن ابى الحسن الخياط سنه ۲۲۷ ذكر فى الروضات و كان قد كف بصره و خوف فى آخر عمره.

[*۸۴] ربما يؤيد ما ذكره هنا كلام صاحب الروضات الدال على تعدد ابن الراوندى لتصريحهم بموت ابن الراوندى المعروف سنه ۲۴۵ أو سنه ۲۵۰ لا بالقتل أواخر القرن

۱- مروج الذهب ج۳ ص۱۰۳-۱۰۶-۱۰۵-۲۵۲.
۲- مغز متفكر جهان شيعه ص۲۲ إلى ۱۸۵ و ما بعدها.
۳- مغز متفكر جهان شيعه.
۴- روضات الجنات ج۷ ص۲۷۳-۲۷۴.
۵- مروج الذهب ج۴ ص۱۰۳.

الثـالث، نعم ذكر فى العبر (۱) تعجب ابن عقيـل و كيـف لم يقتـل و قـد صـنف الـدافع يـدفع به القرآن و الزمرده يزرى به على النبوات، و عن ابن الجوزى كنت اسمع عنه بالعظائم.

و قال بعد وصفه بالالحاد كان يلازم الرفضه و الزنادقه.

و أرخ وفاته حدود /۳۰۰.

[*۸۵] ما اشبه هذا بالاجتهاد من صاحب المصدر.

[*۸۶] هو الحسن بن يسار أبو سعيد بن أبى الحسن البصرى الأنصارى، و عن التقريب ثقه فقيه فاضل مشهور، و كان يرسل كثيراً و يـدلس، و كـان يروى عن جمـاعه لم يسـمع منهم و يقول حـدثنا، و ذهب المامقانى الى كونى مـذموماً عنـدنا (۲). و بـالغ فى مدحه فى الشذرات (۳) و قـال امـام أهـل البصـره و خير أهل زمانه، و ذكر عن ابن سـعد فى طبقاته كان جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً حجه مأموماً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً، ارخ وفاته لسنه ۱۱۰.

[*۸۷] الغنوصيه (۴) أو الادريه، مذهب دينى، كان يدعى أتباعه معرفه طبيعه الله بأسمائه معرفه تامه و ساميه.

[*۸۸] ورد ذم (۵) القدريه فى غير واحد من رواياتنا و روايات اهل السنه، و فى بعض ما ورد ان القدريه مجوس امتى أو مجوس هـذه الامه، و قـد تطلق على المجبره كما تطلق على المفوضه (و هم المعتزله) و أما الاماميه فلا إلى هولاء، و لا إلى هولآء ولكن فى اصطلاح

۱- العبر فى خبر من غبر طبعه الكويت ج۲ ص۱۱۶.

۲- تنقيح المقال ج۱ ص ۲۷۰-۳۵.

۳- شذرات الذهب ج۱ ص۱۳۶-۱۳۷.

۴- المنجد ۹۵۱ الطبعه الحاديه و العشرون.

۵- بحارالانوار ج۵ لاسيما ص۵-۸۲- ۳۰.

أهل الفن تطلق القدريه على المعتزله و للتفصيل محل آخر، راجع الكتب الكلاميه أو الحديثيه.

[*۸۹] هو (۱) ابوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكتانی اللیثی البصری اللغوی، الیه تنسب (۲) الفرقه الجاحظیه من المعتزله.

و كان تلمیذ ابی اسحاق ابراهیم بن سیار البلخی المعروف بالنظام المتكلم المشهور.

كان الجاحظ مشوه الخلق، وقیل له الجاحظ لان عینیه كانتا حاجظتین (والجحوظ النتوء) و كان یقال له (الحدقی) لذلك.

و عن شیخنا البهائی قدس سره فی الكشكول كان الجاحظ قبیح الصوره جداً حتی قال الشاعر:

لو یمسح الخنزیر مسخاً ثانیاً *** ماكان الا دون قبح الجاحظ

قال یوماً لتلامذته ما اخجلنی إلا امرأه أتت بی إلی باب صایغ، فقالت مثل هذا الشیطان، فبقیت حائراً فی كلامها، فلما ذهبت سألت الصایغ فقال استعملتنی ان اصنع لها صوره جنی.

و فی روایه صوره الشیطان، فقلت لا ادری كیف صورته، فاتت بك.

و عن الشهرستانی انه افضل الزمان لغه و فصاحه و اكثرهم تصنیفاً طالع كتب الفلاسفه كثیراً و خلط انفرد عن اصحابه بخمس مسائل.

توفی سنه ۲۵۵ بالبصره و قد نیف علی تسعین سنه، و من تصانیفه كتاب البیان والتبیین و كتاب الحیوان.

و قال المسعودی (۳) فی وفاته قیل سنه ۲۵۶، و قال لا یعلم احد من الرواه و اهل العلم اكثر

۱- روضات الجنات ج۵ ص۳۲۴ و ما بعدها.

۲- بیان الادیان ص۳۳.

۳- مروج الذهب ج۴ ص۱۹۵-۱۹۶.

کتباً منه مع قوله بالعثمانيه، و قد كان ابوالحسن المدائنى كثير الكتب إلا ان ابالحسن المدائنى كان يؤدى ما سمع، و كتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلوا صداء الاذهان و تكشف و اضح البرهان، لانه نظمها احسن نظم و وصفها احسن وصف، إلى، و كان غلام ابراهيم بن سيار النظام، و عنه اخذ، و منه تعلم، و ذكر عن يموت بن المزرع (و كان الجاحظ خاله) انه يطلى نصفه(فى العله التى مات فيها) الايمن بالصندل و الكافور لشده حرارته و النصف الاخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره و برده.

اصابه الفالج فى اواخر عمره.

[*۹۰] هذا خلاف ما عليه تعاليم المسيحيه و ما أوردوه فى كتبهم و تأليفهم من القول بالتثليث و قد وردت الاشاره إليه فى القرآن الكريم (ولا تقولا ثلثه).

[*۹۱] سپينوزا Spinoza (باروك) ۱۶۷۷-۱۶۳۲ فيلسوف هلندى من أصل يهودى. ولد فى امستردام عرف فلاسفه العرب واليهود و مؤلفات ديكارت، امتاز باستقامه أخلاقه و خط لنفسه نهجاً فلسفياً يؤدى الى الحلوليه الفكريه فالله فى نظره جمله صفات لاحد لها نعرف منها الفكر و المكانيه أما العالم فمجموعه اشكال هاتين الصفتين (۱).

[*۹۲] هو أبو محمد بن حزم. العلامه على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموى مولاهم، الفارسى الأصل الاندلسى القرطبى الظاهرى صاحب المصنفات، مات مشرداً عن بلده من قبل الدوله ببادیه لبله، و كان اليه المنتهى فى الذكاء وحده الذهن و سعه العلم بالكتاب و السنه والمذاهب و الملل والنحل و العربيه والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانه و الحشمه و السؤدد و الرياسه و الثروه و كثره الكتب، و عن ابن خلكان: كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث مستنبطاً للأحكام من الكتاب

۱- المنجدى فى الأعلام الطبعظ السابعه ص ۳۵۰.

والسنه، بعد أن کان شافعی المذهب فانتقل إلی مذهب أهل الظاهر، و ذکر من تألیفه قسماً.

أقول: سبق بعض الکلام فیه رقم (۵۹) من التعلیق.

[*۹۳] بل ورد فی خطبه امیرالمؤمنین علیه السلام الاولی: قال (۱) اول الدین معرفته و کمال معرفته التصدیق به، و کمال التصدیق به توحیده، و کمال توحیده الاخلاص له، و کمال الاخلاص له نفی الصفات عنه، لشهاده کل صفه انها غیر المصوفو و شهاده کل موصوف انه غیر الصفه.

[*۹۴] فی هذا الانفاق نظر: فقد کان هشام بن الحکم أکبر متکلم من الشیعه و کذلک مؤمن الطاق و نظائهما فی القرن الثانی، و هما أعرف من أن یعرفا، فالشیخ المفید و السید المرتضی فی القرن الرابع و قد اسلفنا شیئاً من مناظراه و حالات هشام.

[*۹۵] تقدمت ترجمته.

[*۹۶] همبولت Hembold (اسکندر) (۱۷۶۹-۱۸۵۹) عالم آلمانی ولد فی برلین سافر إلی امیرکا ۱۷۹۹-۱۸۰۴ و آسیا ۱۸۲۹ نشر کتاباً حول رحلته الاستکشافیه الی امیرکا فی ۳۰ مجلداً، من رواد علوم المناخ و الجغرافیه النباتیه و المحیطات (۲).

[*۹۷] کبد الحوت قد ذکر فی روایه ثوبان، ان یهودیاً جاء إلی النبی صلی الله علیه و آله فقال (۳) یا محمد اسئلک فتخبرنی فیه، فرفسه ثوبان برجله، قال: قل یا رسول الله؟ فقال لا ادعوه إلا باسماء اهله.

قال ارأیت قول الله عزوجل (یوم تبدل الارض غیر الارض والسموات: این الناس یؤمئذٍ؟

۱- نهج البلاغه ج۱ ص۷-۸.

۲- المنجد فی الأعلام. الطبعه السابعه ص ۷۳۴.

۳- تفسیر البرهان ج۲ ص۳۲۲ تفسیر المیزان ج۱۲ ص۹۳، البحار ج۹ ص۲۹۲-۲۹۳.

قال: فی الظلمه دون المحشر، قال فما اول ما یأکل اهل الجنه اذا دخلوها؟ قال: کبد الحوت قال فما شرابهم علی اثر ذلک؟ قال السلسبیل.

قال صدقت یا محمد.

و اما قرن الشیطان فقد ورد فی روایات (۱) دلت علی النهی عن الصلاه بعد صلاه الفجر حتی تطلع الشمس و بعد صلاه العسر حتی تغرب تعلیلاً له بقول رسول الله صلی الله علیه و آله ان الشمس تطلع بین قرنی الشیطان، و تغرب بین قرنیه، و الجمع بینها و بین ما ورد (۲) عن محمد بن عثمان العمری قدس الله روحه (احد نواب الصاحب عجل الله فرجه فی زمن الغیبه الصغری عنه علیه السلام) بحمل تلک علی التقیه.

و اما بالنسبه إل الحجر الاسود و انه کان ابیض ففیه روایات (۳) لامانع عقلی و لا شرعی لصدق مضمونها و ان لم یکن انکار ما فیها کفراً، ولکن من المسلم شهادته (۴) یوم القیامه کما شهد للامام (۵) زین العابدین علیه السلام بالامامه فی الدنیا عند محاجته عمه محمد ابن الحنیفه عنده.

[*۹۸] تقدم بیان حاله فی تعلیقات هذا الفصل (۵۵).

۱- وسائل الشیعه ج۳ الباب ۳۸ من أبواب المواقیت، الحدیث ۹-۷-۴-۱.

۲- الوسائل ج۳ الباب ۳۸ من أبواب المواقیت.

۳- وسائل الشیعه ۹ الباب ۱۳ من أبواب الطواف الحدیث ۶- بحار الأنوار ۹۹، باب فضل الحجر و عله استلامه ص ۲۱۷-۲۱۹-۲۲۴-۲۲۵-۲۲۷، حج و عمره ص ۴۸-۵۲. بحارالأنوار ج۹۹ الباب السابق، الأحادیث ۱-۳-۹-۱۴-۱۵-۱۹-۲۴-۲۷.

۴- وسائل الشیعه ج۹ الباب ۱۳ من أبواب الطواف الاحادیث ۱۵-۱۳-۱۱-۹-۷-۵-۴.

۵- البحار ۴۶ باب معجزاته و معالی اموره و غرائب شأنه صلوات الله علیه، الحدیث ۱-۲۰ ص-۲۹-۲۲-۳۰.

[*۹۹] هذا خلاف ما هو المعروف المسلم عن الاشعريه من انكار الحسن والقبح العقليين كما لا يخفى على من راجع الكتب الكلاميه.

انظر كشف المراد ص ۳۲۷ شرح التجريد للقوشجى ص ۳۳۷ و ما بعدها. دلائل الصدق ج۱ ص ۲۱۴ إلى ۲۳۲ بل و ما بعدها.

[*۱۰۰] هو القاضى ابوبكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلانى الاشعرى البصرى المتكلم المشهور.

فى الروضات عن ابن خلكان: كان اماماً على مذهب الشيخ ابى الحسن الذى هو رئيس الاشاعره.

قال: و صنف التصانيف الكثيره المشهوره فى علم الكلام إلى وكان فى علمه اوحد زمانه و انتهت اليه الرئاسه فى مذهبه و غيره. توفى آخر يوم السبت و دفن يوم الاحد لسبع بقين من دى القعده سنه ۴۰۳.

و ذهب إلى (۱) ان الفاظ العبادات او مطلق ما يستعمل فى السنه المتشرعه باقيه على معاينها اللغويه والخصوصيات الزائده عليها معتبره فى موضوع الأمر لا ـ فى المستعمل فيه فنسبه المعانى المستحدثه إلى المعانى اللغويه نسبه المقيد إلى المطلق. و له مع شيخنا الاجل الشيخ المفيد المتقدم ترجمته مناظرات يفحمه الشيخ، ذكر منها فى الروضات قول الباقلانى(۲) الحمد الله لذى يفعل فى ملكه ما شياء معرضاً على الشيخ رحمه الله فاجابه الشيخ سريعاً سبحان من تنزه عن اللغو والفحشاء. و قد سبق نظير هذه الحكايه بين القاضى عبدا لجبار المعتزلى و ابى اسحق الاسفراينى الاشعرى و قال المفيد رحمه

۱- حقايق الاصول ج۱ ص۵۴.

۲- روضات الجنات ج۶ ص ۱۶۰-۱۵۹.

الله للباقلانی لما قال للشیخ بعد مناظره افحمه فیها، لک ایها الشیخ فی کل قدر مغرفه. نع ما تمثلت به ایها القاضی من اداه ابیک، فضحک الحاضرون و خجل القاضی.

[*۱۰۱] تقدمت ترجمته فی تعالیق الفصل الثانی عشر (۲۹).

[*۱۰۲] الذی یغلب علی الظن کذب هذا الاعتذار، بل اراد منه ان ینخلع عن مذهب اهل البیت، و الا فالصاحب قبل ان یتصدی للاملاء تاب کما ذکره المصنف ص ۳۲۱.

[*۱۰۳] هو أبو نصر عبدالرحیم بن الامام عبدالکریم أبی القاسم بن هوازن القشیری، کان اماماً مناظراً مفسراً أدیباً علامه متکلماً، و هو الذی اصل الفتنه ببغداد بین الأشاعره و الحنابله ثم فتر أمره و أصابه فالج من آخر أمره عن العبر (۱).

[*۱۰۴] هو الشیخ الفاضل الحافظ البارع المجدد أبوالفضل و قیل: أبو الیمن أحد بن هبه الله بن أحمد بن محمد بن الحسن، المعروف بابن عساکر الدمشقی الشامی الشافعی و یقوی جداً انه الشیخ أبوالقاسم بن عساکر المشهور صاحب کتاب تاریخ دمشق المعروف الکبیر و اسمه علی بن الحسن بن هبه الله، عبدالله بن الحسین المشتهر بابن عساکر الدمشقی الشامی الشافعی، و کتاب تاریخه المشار الیه کبیر جداً فی نحو ۵۷ مجلداً و عن الوافی بالوفیات ان وفاته ۵۷۱ و عده شیوخه ۱۳۰۰ شیخ و ۸۰ امرأه. قال فی الروضات ما معناه ان کنیه ابن عساکر حیثما تطلق تنصرف الی هذا الرجل المتبحر الغطریف(۲). و فی الشذرات (۳) ذکر وفاته فی التاریخ المذکور و وصفه بصاحب التاریخ الثمانین مجلده و روضات حسنه.

۱- شذرات الذهب ج۴ ص۴۵

۲- روضات الجنات ج۱ ص۳۲۹-۳۳۱.

۳- شذرات الذهب ج۴ ص۲۳۹.

[*۱۰۵] قال فی المنجد الماتریدی (۱): محمد ابو منصور السمرقندی ۳۳۳ ه/۹۴۴ م فقیه حنفی اصولی من ائمه علماء الکلام ولد و تولد فی سمرقند، دافع عن عقائد النسه ضد المعتزله. والفرق الاخری کافقرامطه ثم ذکر من مؤلفاته شرح الفقه الاکبر، التوحید.

[*۱۰۶] قال ابن ابی الحدید (۲) و اطلقت الکرامیه علیه سبحانه لفظ الیدین و الوجه، و قالوا لا نتجاوز الاطلاق، و لا نفسر ذلک، و لا نتأوله، و انما تقتصر علی اطلاق ما ورد به النص.

قال، و ذهبت الکرامیه و الحشویه إلی ان الله تعالی فی جهه فوق، و الیه ذهب هشام بن الحکم و علی بن منصور و یونس بن عبدالرحمن و هشام بن سالم الجوإلیقی و کثیر من اهل الحدیث.

اقول ما (۳) نسبه إلی هشام و اضرابه لا اصل له.

و قبله المسعودی (۴) فی مروج الذهب اطلق علیه عنوان شیخ المجسمه و الرافضه و یتفاوت ما نقله فی (۵) محاجه عمروبن عبید شیخ المعتزله فی الامامه مع ما اورده اصحابنا عنه و ذکره هو للصادق علیه السلام بطلب منه. فراجع کتب الرجال کالتنقیح (۶) والمعجم(۷) و کتب الحدیث کالبحار (۸) و مرآه العقول (۹) لأنه اکبر المتکلمین من أصحاب الصادق

۱- المنجد فی الأعلام ص ۶۲۵ الطبعه السابعه.

۲- شرح النهج الحدیدی ج۳ ص۲۲۸-۲۲۹.

۳- تنقیح المقال ج۳ ص۲۹۴-۳۰۲. معجم رجال الحدیث ج۱۹ ص ۲۷۱-۳۰۵.

۴- مروج الذهب ج۴ ص ۱۰۳.

۵- مروج الذهب ج۴ ص ۱۰۵.

۶- تنقیح المقال ج۳ ص ۲۹۷.

۷- معجم رجال الحدیث ج۱۹ ص۲۸۲-۲۸۳-۲۹۰-۲۹۱.

۸- بحارالانوار ج۲۳ ص۶-۸

۹- مرآه العقول ج۲ ص ۲۶۵ الی ۲۶۸.

والکاظم علیهما السلام و المناضل أعدائهم.

و قد ورد فی مدحه و مقامه عند الصادق علیه السلام، و تقدیمه علی شیوخ اصحابه و قوله فیه ناصرنا بقلبه و لسانه و یده ما لا یبقی محلاًـ للریب فی عظمته و دیانته و استقامته و ثقته مع علو أمره فی الکلام و اشتهاره فی ذلک بحیث رضی به المتکلمون من اصحاب الدیانات فی مجلس یحیی بن خالد حکماً، و مناظراته مع خصماء الامامیه فی الامامه مذکوره مشوهره و ربما أورد شیئاً من ما نسب الیه الزاماً للخصم فنسبوه الیه جهلًا او عناداً. و طبیعی لمثل هذا الشخص ان یصیر غرضاً لسهام التهمه کأمثاله من العلماء الأبریاء.

و عن الرضا علیه السلام حیث سأله سلیمان بن جعفر الجعفری عن هشام بن الحکم فقال رحمه الله کان عبداً ناصحاً و اوذی من قبل اصحابه حسداً منهم له.

و عن ابی الحسن الثانی علیه السلام الامر بتولیه و علی بن منصور احد تلامیذه، و هشام بن سالم ثقه ثقه فی قول النجاشی و عده الشیخ المفید، هشام بن الحکم من الاعلام المأخوذ منهم الحلال و الحرام الذین لا یطعن علیهم بشیء و لا طریق الی ذم واحد منهم.

و التفصیل مذکور فی کتب رجال اصحابنا. و علی ای فالکرامیه کما عن الشهرستانی(۱) فی الملل والنحل من الصفاتیه و اهل السنه، اصحاب ابی عبدالله محمد بن کرام، و هم طوائف یبلغ عددهم ۱۲ فرقه کما قال: نصب ابو عبدالله علی ان لمعبوده علی العرش استقراراً و علی انه بجهه فوق ذاتاً، و اطلق علیه اسم الجوهر، فقال فی کتابه المسمی عذاب القبر انه احدی الذات احدی الجواهر و انه مماس للعرش من الصفحه العلیا، و یجوز علیه الانتقال و التحول والنزول انتهی و عد الکرامیه (۲) من المشبهه.

۱- دلائل الصدق ج۱ ص ۱۳۵.

۲- بیان الادیان ۲۷.

[*۱۰۷] هو أبو عبـدالله محمد بن عبدالله بن تومرت العلوى الحسـنى، قبيلته من المصادمه تعرف بهرغه فى جبل السوس، من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسـلمون مع موسـى بن نصـير، قد رحل فى شـيبته الى بلاد المشرق فى طلب العلم و كان فقيهاً فاضلاً عالماً بالشـريعه حافظاً للحديث عارفاً باصولى الدين و الفقه متحققاً بعلم العربيه و كان ورعاً ناسـكاً، ذكر قضاياه و انه بايعوه على انه المهدى (۱).

[*۱۰۸] تعرض المتكلمـون مـن الامـاميه لعينيه (۲) الصـفات، و عـدم زيادتهـا على الـذات و اقـاموا على ذلـك براهين قبـال (۳) الاشاعره و جمع من المعتزله الذين ذهبوا إلى زياده الصفات على الذات و انه عالم بعلم قادر بقدره الخ.

و ذهبت الاشاعره (۴) إلى انها معانى قديمه قائمه بذاته و ابوهاشم اثبت احوالاً غير معلومه يعلم الذات عليها.

و التفصيل يطلب من مظانه من الكتب الكلاميه.

[*۱۰۹] و خلاـصه الكلاـم فى ذلك ان لا خلاف بين اهل الملل فى كونه تعالى متكلماً و اختلف اهل الاسـلام، فالاماميه قائلون بحـدوثه، و الاشـاعره والحنـابله بقـدمه، و ذلـك لاعتقـادهم بالكلاـم النفسـى قال الفضل (۵) من روزبهـان الكلاـم عنـدهم (اى الاشاعره) لفظ مشترك تاره يطلقونه على المؤلف من الحروف المسـموعه، و تاره يطلقونه على المعنى القائم بالنفس الـذى يعبر عنه بالألفاظ و يقولون هو الكلام حقيقه و هو قديم قائم بذاته.

۱- الكامل فى التاريخ ج۱۲ ص ۵۶۰ و ما بعده ارخ وفاته سنظ ۵۲۴. شذرات الذهب ج۴ ص ۷۰.

۲- شرح القوشجى ج۱ ص ۳۲۷، دلائل الصدق ج۱ ص۱۶۲، كشف المراد ج۱ ص۳۲۱.

۳- شرح القوشجى ج۱ ص۳۲۷، دلائل الصدق ج۱ ص۱۶۲، كشف المراد ج۱ ص۳۲۱.

۴- دلائل الصدق ج۱ ص۱۶۳.

۵- دلائل الصدق ج۱ ص ۱۴۵.

مسئله خلق قرآن یا مخلوق نبودن آن دورانی در خلافت عباسیان موجب فتنه هائی شده. وحدث فی مسئله خلق القرآن او انه غیر مخلوق فتن فی الحکومه العباسیه، فتری (۱) المأمون لما صار إلی دمشق سنظ ۲۱۸ کتب فی اشخاص الفقهاء من العراق و غیرها فامتحنهم فی خلق القرآن، و اکفر من امتنع ان یقول القرآن غیر مخلوق، و کتب ان لا تقبل شهادته، فقال: کل بذلک إلا نفراً یسراً. إلی ان انتهت النوبه إلی المعتصم، فامتحن (۲) احمد بن حنبل فی خلق القرآن، فقال احمد انا رجل علمت علماً و لم اعلم فیه بهذا، فاحضر له الفقهاء و ناظر عبدالرحمن بن اسحاق و غیره، فامتنع ان یقول ان القرآن مخلوق، فضرب عده سیاط.

یقول المسعودی ۳۸ سوطاً (۳) و زاد فی الروضات علی الضرب الحبس، و هو مصر علی الامتناع (۴).

فقال اسحاق بن ابراهیم: ولنی یا امیرالمؤمنین مناظرته، فقال شأنک به.

فقال اسحاق: هذا العلم الذی علمته نزل به علیک ملک او علمته من الرجال؟

فقال: بل علمته من الرجال.

فقال: شیئاً بعد شئ دو جمله؟

فقال: عملته شیئاً بعد شیء.

قال: فبقی علیک شیء لم تعلمه؟

قال: بقی علی.

۱- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۲۰۲.

۲- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۲۰۶.

۳- مروج الذهب ج۴ ص۵۲.

۴- الروضات ج۱ ص ۱۸۴.

قال: فهاذا مما لا تعلمه و قد علمکه أمیرالمؤمنین.

قال: فانی اقول بقول امیرالمؤمنین.

قال فی خلق القرآن؟

قال فی خلق القرآن.

قال: فاشهد علیه و خلع علیه و اطلقه إلی منزله.

و تولی الواثق بالله الحکم علی الناس و امتحنهم (۱) فی خلق القرآن، فکتب إلی القضاه ان یفعلوا ذلک فی سائل البلدان و ان لا یجیزوا إلا شهاده من قال بالتوحید، فحبس بهذا السبب عالماً کثیراً.

لکن المتوکل (۲) نهی الناس بعد ان بویع بالخلافه عن الکلام فی القرآن و اطلق من کان فی السجون من اهل البلدان و من اخذ فی خلافه الواثق فخلاهم جمیعاً و کساهم جمیعاً و کتب إلی الآفاق کتباً ینهی عن المناظره و الجدل و امسک الناس و امرهم (۳) بترک ما کانوا علیه ایام المعتصم والواثق (والمأمون) و امر الناس بالتسلیم و التقلید و امر شیوخ (الشیوخ) المحدثین بالتحدیث و اظهار السنه و الجماعه، و لکن یظهر من (۴) التاریخ وجود النزاع غیر ناشط إلی زمن المهدی فعدل عن هذا القول کما یحدثنا المسعودی لمناظره جرت فی مجلسه بین شیخ فقیه محدث شامی مقید طوال و بین احمد بن ابی دؤاد. و فی تاریخ الطبری (۵) تعرض للمسئله بتفصیل و کذلک فی الکامل لابن

۱- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۲۱۵.

۲- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۲۱۷-۲۱۸.

۳- مروج الذهب ج۴ ص۸۶.

۴- مروج الذهب ج۴ ص ۱۹۱-۱۹۲.

۵- تاریخ الطبری ج۷ ص۱۹۵-۲۰۶.

الأثير (۱).

و قال القوشچی (۲) الحنابله قالو: کلامه تعالی حروف و اصوات یقومان بذاته، و انه قدیم و قد بالغوا فیه حتی قال بعضهم جهلاً الجلد و الغلاف ایضاً قدیما فضلاً عن المصحف و الامامیه انار الله براهینهم قائلون بحدوثه کالمعتزله و منکرون للکلام النفسی، لکن یأبون عن اطلاق المخلوق علی القرآن بارشاد من ائمتهم علیهم السلام لا ـ لموافقه الاشاعره بل لئلا ـ یتوهم من اشتراک المخلوق ان القرآن مختلق مفتری مکذوب.

قال زراره (۳) (و هو احد اعلام الشیعه و علمائها من اصحاب الامامین الباقر و الصادق علیهماالسلام)

سألت ابا جعفر علیه السلام عن القرآن. فقال لی لاخالق و لا مخلوق و لکنه کلام الخالق.

و قال (۴) عبدالرحیم کتبت علی یدی عبدالملک بن اعین إلی ابی عبدالله علیه السلام جعلت فداک اختلف الناس فی القرآن، فزعم قوم ان القرآن کلام الله غیر مخلوق، و قال آخرون، کلام الله مخلوق.

فکتب علیه السلام القرآن کلام الله محدث غیر مخلوق، و غیر ازلی مع الله تعالی ذکره و تعالی عن ذلک علواً کبیراً، کان الله عزوجل و لا شیء غیر الله معروف و لا مجهول، کان عزوجل ولا متکلم و لا مرید و لا متحرک و لا فاعل، جل و عز ربنا، فجمیع هذه الصفات محدثه غیر حدوث الفعل منه. جل و عز ربنا و القرآن کلام الله غیر مخلوق الی آخره و فی روایه (۵) عن الرضا علیه السلام و قد سئله الراوی عن القرآن أخالق أو مخلوق؟

۱- الکامل لابن الأثیر ج۷ ص۲۲۲ إلی ۲۲۵.

۲- شرح التجرید للقوشجی ج۱ ص ۳۱۶.

۳- البحار ج ۹۲ ص ۱۲۰.

۴- البحار ج۹۲ ص ۱۱۸.

۵- بحارالأنوار ج۹۲ ص۱۱۷.

فقال: لیس بخالق و لا مخلوق و لکنه کلام الله عزوجل.

[*۱۱۰] استدلال ضعیف لا یثبت المدعی.

[*۱۱۱] لیس التکفیر سهلاً إلا ان یخالف الانسان ضروره الاسلام و ینکره.

کیف و فی القرآن ما یأتیهم من ذکر من ربهم محدث (وای فرق بین المخلوق و المحدث).

[*۱۱۲] هذا لا ربط له بالایمان لصدوره من غیر المؤمن ایضاً.

[*۱۱۳] بل الانسان عل نفسه بصیره و لو القی معاذیره.

الانسان کما یکون فبعینه هو کذلک عند الله.

[*۱۱۴] حتی ابی هریره الدوسی الکذاب الذی ضربه الخلیفه الثانی بالدره (۱) لذلک و صادر أمواله(۲) کأموال غیر واحد من عماله بل کلهم بالنصف الا قنفذ (۳) العدوی لضربه فاطمه سلام الله علیها بالسوط فماتت و فی عضدها أثره کانه الدملج، و یجب أن نحب حتی سمره بن جندب و معاویه و عمر و بن العاص و اضرابهم من المنافقین. ان هذا الا الاختلاق. و هذه الکلیه خلاف القرآن الکریم.

[*۱۱۵] لا دلیل علی هذه الکلیه. بل اننا معاشر الشیعه الامامیه نعتقد ان افضل الخلق بعد رسول الله صلی الله علیه و آله علی و فاطمه و الأئمه الاحد عشر من ولدهما صلوات الله علیهم اجمعین، و ها هی کتبنا الکلامیه منتشره فی ارجاء العالم و نواحی المعموره، و دلائلنا العقلیه و النقلیه مذکوره فیها مفصله مشفوعه بالرد علی شبهات المخالفین.

[*۱۱۶] اقوار العشره، المعروفه بالمبشره هم علی علیه السلام (۴) و ابوبکر و عمر و عثمان و طلحه

۱- شرح النهج الحدیدی ۱۲ ص ۴۲-۴۳.

۲- شرح النهج الحدیدی ۱۲ ص ۴۲-۴۳.

۳- سلیم بن قیس الکوفی ص ۱۳۴.

۴- الغدیر ج ۱۰ ص۱۱۸.

والزبیر و عبدالرحمن بن عوف و سعد بن ابی وقاص و سعید بن زید و ابو عبیده الجراح. و ما تمسک به لاثبات هذا المدعی ما اخرجه (۱) احمد فی المسند باسناده عن عبدالرحمن بن حمید عن ابیه عن عبدالرحمن بن عوف، ان النبی صلی الله علیه و آله قال ابوبکر فی الجنه و عمر فی الجنه و علی فی الجنه عثمان فی الجنه و طلحه فی الجنه إلی آخر العشره علی الترتیب المذکور و بهذا الاسناد أخرجه الترمذی فی صحیحه، و عن عبدالرحمن بن حمید عن ابیه عن رسول الله صلی الله علیه و آله نحوه.

والبغوی فی المصابیح.

و اخرجه ابو داود فی سننه من طریق عبدالله بن ظالم المازنی عن سعید بن عمرو، و شهادته علی التسعه انهم فی الجنه (و عدهم) قلت و من العاشر؟ فتلکأ هنیئه، ثم قال: انا (و هذه شهاده لا روایه عن رسول الله صلی الله علیه و آله و لسعید هذا روایه سماع عن رسول الله صلی الله علیه و آله فی کون کل واحد من العشره فی الجنه، و ذیلها قریب من ماذکرنا، اخرجه ابوداود فی سننه والترمذی فی جامعه و ابن الربیع فی تیسیر الوصول.

قال الامینی قدس سره و ذکره المحب الطبری بالطریقین فی الریاض النضره.

والنقاش فی هذه الروایه سنداً و دلاله و اسع المجال، لاسیما و لم تنقل إلا عن اثنین منهم والراوی لنفسه متهم، مع ما ثبت عن اولئک العشره کل بالنسبه إلی غیر واحد من الآخرین من المخالفات والمناؤمات و ما سود تاریخ غیر علیه علیه السلام منهم، علی ان لغیر اولئک وردت روایات مقبوله عند القوم واضح الاسناد معتبره من رجال ثقات معروفین عن النبی صلی الله علیه و آله فی بشارته و شهادته انه من اهل الجنه و التفصیل فی الغدیر (۲)

۱- الغدیر ج۱۰ ص۱۱۸.

۲- الغدیر ج۱۰ - ص ۱۱۹- ۱۲۸.

[*۱۱۷] الثابتات علی منهاجه والباقیات فی بیوتهن لم یخرجن لاثاره حرب ولا لسوق عسکر ولا علی ولی الله امیرالمؤمنین علیه السلام الذی حربه حرب رسول الله صلی الله علیه و آله و سلمه سلمه.

[*۱۱۸] الخروج عن الاسلام لا یتحقق بسب عائشه. لعدم دلیل لا سیما مع ما ثبت عنها و عن حفصه فی قضیته انبائها و افشائها سر النبی صلی الله علیه و آله حسب ما ورد فی تفسیر الآیه (ان تتوبا إلی الله فقد صغت قلوبکما) الخ و خروجها علی امیرالمؤمنین علیه السلام بالعساکر فی فتنه حرب الجمل.

[*۱۱۹] لانه الذی عارض الامام الحق و نکص عن بیعته و افتری و الفتعل الأکاذیب علیه و سبب حرب صفین التی قتل فیها من الفریقین مات الوف و قتل حجراً و أصحابه و سم الحسن علیه السلام باغراء زوجته جعده و قتل عمرو بن الحمق الخزاعی و سب أمیرالمؤمنین علیه السلام و عدداً من أولاده و أصحابه و فتح بابه و طال إلی أمد بعید و ادعی زیاد ابن سمیه انه ابن أبی سفیان مع ما رواه الفریقان عن النبی صلی الله علیه و آله الولد للفراش و للعاهر الحجر و کم له من مخازی حتی ان المغیره بن شعبه معلوم الحال لا یری له دیناً و ایماناً کما یحدثنا بذلک ابن بکار (۱) فی (الموفقیات) عن مطرف بن المغیره بن شعبه الثقفی قال: سمعت المدائنی یقول: قال مطرف بن المغیره: و فدت مع أبی المغیره إلی معاویه فکان أبی یأتیه یتحدث عنده ثم ینصرف إلی فیذکر معاویه و یذکر عقله و یعجب مما یری منه، إذ جاء ذات لیله فأمسک عن العشاء فرأیته مغتماً مند اللیله؟ قال: یا بنی انی

۱- النصائح الکافیه ج۱ ص ۱۱۷-۱۱۸، دلائل الصدق ج۳ ص۲۲۵-۲۲۶ و ۲۸۳-۲۸۴، شرح النهج لابن أبی الحدید ج۵ ص ۱۲۹-۱۳۰ و فیه مکان ما غدا، فما عدا، مروج الذهب ج۴ ص ۴۱ و فیه أیضاً مکان ما غدا، ما عدا.

جئت من عنـد أخبث الناس، قلت له: و ما ذاک؟ قال: قلت له: و قد خلوت به انک قد بلغت منا یا أمیرالمؤمنین فلو أظهرت عدلاً و بسـطت خیراً فانـک قـد کبرت، و لو نظرت إلی اخوتک من بنی هاشم فوصـلت أرحامهم، فوالله ما عنـدهم الیوم شـیء تخافه، فقـال لی: هیهـات هیهـات، ملک أخو تیم فعـدل و فعل ما فعل فوالله ما غـدا ان هلک فهلک ذکره الا أن یقول قائل: أبوبکر، ثم ملک أخو عدی فاجتهد و شـمر عشر سنین، فوالله ما غدا ان هلک فهلک ذکره الا أن یقول قائل: عمر (۱) ثم ملک أخونا عثمان فملـک رجل لم یکن أحـد فی مثل نسبه فعمل ما عمل و عمل به، فوالله ما غـدا ان هلک فهلک ذکره و ذکر ما فعل به وان أخا هاشم یصرخ به فی کل یوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله فأی عمل یبقی مع هذا لا ام لک، والله إلا دفناً دفنا. انتهی.

و أعظم من هذا کله أخذ البیعه لجروه یزید الهاویه و تمهیده صعوده علی کرسی الملک و قتل السبط الشهید و أولاده و أقرائه و أصـحابه عطاشاً بأمر و الیه علی الکوفه عبدالله بن زیاد ابن المرجانه و سبی نسائهم و ذراریهم و الطواف بهم فی البلدان کاساری الترک و الدیلم و فعله بالرأس الطاهر و هو و الیه عبدالله ما لا یخفی علی مسلم و غیره و هدمه لبیت الله الحرام و واقعه یوم الحره بأمره التی یقول فیها المورخون قتل عـدد کثیر من عباد الله المهاجرین و الأنصار و ألادهم و اباحه مدینه الرسول صـلی الله علیه و آله و هتک حرمه و ایصال الخزی ببنات و نساء المسلمین حتی انه ولد فیهم ألف مولود حرام، فراجع.

[*۱۲۰] لا مسامس لهـذه الآیه بمعاویه و أمثاله اذ أی ایمان له و ذویه بل یرمی بالزنـدقه کما قال ابن أبی الحدیـد (۲): و معاویه مطعون فی دینه عند شیوخنا رحمهم الله و یرمی بالزندقه

۱- و فی الشـرح ج۵ ص ۱۳۰ بعـده و ان ابن أبی کبشه لیصـاح به فی کـل یوم خمس مرات (أشـهد أن محمـداً رسول الله) فأی عمل یبقی و أی ذکر یدوم بعد هذا لا أبالک، لا والله إلا دفناً دفناً.

۲- شرح النهج لابن أبی الحدید ج۱ ص ۳۴۰.

بـل و ذكر (۱) عن روايه الواقـدى ان معـاويه عـاد من العراق إلى الشـام إلى قوله، فلما كان من الغـد كتب كتاباً ثم جمعهم فقرأ عليهم هذا كتاب كتبه أميرالمؤمنين معاويه صاحب وحى الله الذى بعث محمداً نبياً و كان امياً لا يقرء و لا يكتب فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً اميناً فكان الوحى نزل على محمد صلى الله عليه و آله و أنا أكتبه و هو لا يعلم ما أكتب، فلم يكن بينى و بين الله أحد من خلقه، فقال له الحاضرون كلهم صدقت يا أميرالمؤمنين.

[*۱۲۱] هذه الآيه راجعه إلى يوم القيامه.

[*۱۲۲] الكفر بترك الصـلاه كفر عملى لا عقائدى كما ورد نظيره فى القرآن لترك الحج قال الله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا و من كفر فإن الله غنىٌّ عن العالمين) (۲)

[*۱۲۳] لم يثبت صـحيحاً قول النبى صلى الله عليه و آله و على فرضه فهو بالنسبه لمن تركها مستحلًا و حينئذٍ يكون واجب القتل إن كان مسـلماً فطرياً و إلا فبعد امتناعه من التوبه ثلاثه أيام و لا يقتل المرئه بذلك بل تحبس و تستخدم و تضرب اوقات الصلاه حتى تتوب أو تموت والتفصيل فى كتاب الحدود(۳).

[*۱۲۴] هذا غير صحيح.

[*۱۲۵] هذا اجتهادهم.

[*۱۲۶] على فرض كونه قول النبى صـلى الله عليه و آله فالمراد بأئمه المسـلمين هم أئمه الحق و أهل بيت النبوه و العتره الطاهره الذين من تمسك بهم فاز و نجا و من تخلف عنهم هوى و ورد فى الخبر المتواتر بين الفريقين انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى اهل بيتى و انهما لن

۱- شرح النهج ج۴ ص۷۲.

۲- آل عمران: ۹۷.

۳- كتاب الحدود ج۲ ص۲۷۹-۲۸۲.

یفترقا حتی یردا علی الحوض.

[*۱۲۷] ذکر فی تأسیس (۱) الشیعه ان الحسن بن موسی النوبختی أول من صنف علم الفرق فی الاسلام و ذکر ان له کتاب فرق الشیعه و کتاب الآراء والدیانات و تعرض (۲) لکتب له کثیره نقلاً عن فهرست ابن الندیم و أکثره عن النجاشی.

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ۲۳۴، ۳۷۰.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ۲۳۴، ۳۷۰.

الفصل الرابع عشر: المذاهب الفقهيه

اشاره

كان القرن الرابع أهم نقطه فاصله فى تاريخ التشريع الإسلامى؛ فيقَال إنه فى

هـذا القرن وقـف التكـوين المســتقل للتشــريع الإسـلامى المبنى على الجتهـاد المطلـق و على الحكـم بـالرأى فى فهـم القرآن و الحديث(١)

و مضـى عصر الابتكار فى التشريع، و اعتُبر العلماء الأولون كالمعصومين، و أصبح الفقيه لا يستطيع إصدار حكمه الخاص إلا فى المسائل الصـغيره؛ و هـذا يشـبه ما حـدث عنـد اليهود من مجىء الربانيين الذين كان قصاراهم التناقش فى آراء القدماء، و ذلك بعد مضى عهد علماء الكتاب الذين يعلمون الكتاب و يحق لهم الاجتهاد.

ولكن هذا إنما هو اعتبار المسأله من وجهه النظر الإسلاميه(٢)

و الواقع أنه ظهر فى هذا الميدان الفقهى ما ظهر فى غيره من الميادين، و أهم ما حدث هو تسـرب آراء فى التشـريع مما كان قبل عهد الإسلام إلى الفقه الإسلامى، كما حييت من جديد بعض النظريات اليونانيه و الرومانيه القديمه. و كان يمثِّلُها

١- Snouck Hurgronje, RHR, ٣٧, S. ١٧۶.

٢- راجع مثلا ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته عن الفقه. (المترجم) .

الفقهاء، و يخالفهم أصحاب الحديث المتمسكون بالسنه القديمه و الذين يقيسون الحياه بمقياس نصوص الوحی و السنه النبويه. ولم يشأ هوءلاء المتمسكون بالقديم أن ينزلوا عن مكانهم بسهوله. فقد كانت لهم الغلبه فی إقليمين من أهم أقاليم المملكه الإسلاميه و هما فارس و الشام؛ و كذلك كانت لأهل الحديث غلبه فی السند، كما كانت همذان و أجنادها أصحاب حديث(۱).

و كان أهم المذاهب بين أصحاب الحديث : الحنابله، و الأوزاعيه و الثوريه(۲).

ولم يكن الحنابله فی ذلک ج خلافاً لما صار إليه الحال فيما بعد ج يعتبرون من جمله الفقهاء، وفی سنه ۹۱۸۳۰۶ م ذُكر أصحاب المذاهب فكانوا : الشافعيه و المالكيه و الثوريه أصحاب سفيان الثوری، و الحنفيه والداووديه(۳).

و فی أواخر القرن الرابع كانوا : الحنفيه و المالكيه و الشافعيه و الداووديه(۴).

ولم يذكر الحنابله بين الفقهائ فی هاتين المدتين؛ ولما توفی محمد بن جرير الطبری عام ۳۱۰ه ۹۲۳ م دُفِن بداره ليلاً لأن العامه اجتمعت و منعت من دفنه نهاراً؛ و كان ذلک بتأثير الحنابله؛ وقد تعصب عليه هوءلاء، لأنه جمع كتاباً ذكر فيه الختلاف الفقهاء، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فسُئل فی ذلک فقال : لم يكن فقيهاً، و إنما كان محدِّثاً(۵)

۱- المقدسی ص ۱۷۹، ۳۹۵، ۴۳۹، ۴۸۱ .

۲- الفهرست لابن النديم ص ۲۲۵ و ما بعدها، و المقدسی ص ۳۷ .

۳- طبقات السبكی ۲ ص ۳۰۷ .

۴- المقدسی ص ۳۷ .

۵- المنتظم لابن الجوزی تحت عام ۳۱۰ه نقلا عن ثابت بن سنان، و ابن الأثير ج ۸ ص ۹۸ نقلا عن مسكويه ؛ Wustenfeld, AGGW, ۳۷, Nr. ۸۰.

ولم ينل الحنابله الاعتراف بأنهم فقهاء إلا أخيراً(۱)

أما مذاهب غيرهم من أصحاب الحديث فلم تستطع البقاء، ففى القرن الثالث الهجرى غلب المالكيه على أصحاب الأوزاعى فى الأندلس(۲)

وكان قاضى دمشق المتوفى عام ۳۴۷ه ۹۵۸ م أوزاعى المذهب(۳)؛ وكان للأوزاعيه على عهد المقدسى مجلس بجامع دمشق(۴).

و يرى المقدسى أيضاً أن مذهب الأوزاعى لم ينتشر أكثر من ذلك لأنه كان مُتَطَرِّفاً، فقلَّ الواردون عليه و الناقلون عنه؛ « ولو كان على سابله الحج لَنَقَلَ مذهبَه أهلُ الشرق و الغرب(۵)»؛ و كذلك يعُدُّ المقدسى مذهبَ سفيان الثورى بين المذاهب المندرسه، بعد أن كان لهذا المذهب جَلَبةٌ فى أصفهان والدينور(۶).

وفى سنه ۴۰۵ه ۱۰۱۴ م توفى أبوبكر عبد الغفار بن عبدالرحمن الدينورى، ولم يكن ببغداد مُفتٍ على مذهب سفيان الثورى غيره، و هو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثورى(۷).

۱- حوالى عام ۵۰۰ه كما يقول الغزالى(انظر كتاب اختلاف الفقهاء لمحمد بن جرير الطبرى، طبعه كرن (Kren)، مصر ۱۳۲۰ه ۱۹۰۲ م، ص ۱۴) .

۲- انظر فيما يتعلق بهذا كتاب ۱۰۸ .Fanan, Homenaje a Don Fr, Codera, Zaragosa, ۱۹۰۴. S

۳- أبو المحاسن ج ۲ ص ۳۴۷ طبعه ليدن .

۴- المقدسى ص ۱۷۹ .

۵- المقدسى ص ۱۴۴ .

۶- المقدسى ص ۳۷، ۳۹۵ .

۷- أبوالمحاسن طبعه كليفورنيا ص ۱۲۰، ويقول أبوالمحاسن : لعل هذا بالشرق، و أما بالغرب فدام مذهب الثورى بعد هذا التاريخ عده سنين. (المترجم) .

ولم تکن المذاهب قد استقرت علی رأس المائه الثالثه، رغم ما قیل من أنه فی هذا التاریخ کان قد بطل نحوٌ من خمسمائه مذهب(۱).

وقد أسس داوودُ الأصفهانی (المتوفی عام ۲۷۰ه ۸۸۳ م) مذهباً کان له شأن، و هو مذهب الظاهریه؛ وقد عَظُم شأن هذا المذهب فی الشرق فی القرن الرابع الهجری، و کان بین أتباعه کثیر من أصحاب الجاه بإیران(۲)

وکان الداوودیه بعارس یتقلّدون الأعمال و القضاء، وکانت لهم الغلبهُ، لأن السلطان عضد الدوله کان یتقلد هذا المذهب(۳).

وقد أنکر الظاهریهُ أشد الإنکار ما فعله الشافعی من محاوله التوفیق بین المنهج الفقهی القدیم الذی انتهی إلیه و بین المنهج الجدید(۴)؛ وکان مذهب الظاهریه سبباً فی وضوح المناهج، شأن غیره من مذاهب المتطرفین، وکانت القاعده الکبری التی استندوا إلیها هی النمسک بحرفیه النصوص تمسکا دقیقاً. ولکن هذه قاعده علمیه، و سرعان ما أدرکوا أن الفقه لیس علماً نظریا، بل هو عمل؛ ولم یکن الأثر الأکبر لمنهجهم القائم علی محو اللبس، فی الفقه، بل کان فی المباحث التاریخیه و اللغویه. و یری المقدسی أن أکبر خصال أصحاب داود هی : الکبر، والحده، و الکلام، و الیسار(۵).

۱- کتاب اختلاف الفقهاء للطبری ص ۱۴، نقلا عن کتاب عمده العارفین؛ وکانت مذاهب أصحاب الحدیث کثیره جداً، وإنما کان ذلک لکثره ما فی الأحادیث من غموض .

۲- ۱۱۰ .Goldziher, Zahiriten S.

۳- المقدسی ص ۴۳۹ .

۴- مفاتیح العلوم للخوارزمی ص ۸، ولا توجد هنا مطابقه تامه، و إنما ینسب للظاهریه إنکار القیاس. (المترجم) .

۵- المقدسی ص ۴۱ .

وقد أسس أبو جعفر محمد بن جرير الطبری صاحب التاریخ المتوفی عم ۳۱۰ه ۹۲۳ م مذهباً خاصاً به، وقد ظل الناس بعد موته عده شهور یجتمعن للصلاه علی قبره لیلا و نهاراً(۱)

وکان للطبری صاحبٌ یسمی ابن شجره و توفی سنه ۳۵۰ه ۹۶۱ م، وقد ناهز التسعین؛ وکان جریری المذهب، ثم خالف أستاذه و أصبح یختار لنفسه، ولا یضع لأحد من الأئمه أصلا؛ و مع هذا تقلد قضاء الکوفه(۲)، وهذا دلیل علی مرونه الظروف و عدم التعصب بسبب الاختلاف فی الرأی؛ وکذلک کان ابن حربویه الشافعی المذهب، قاضی مصر المتوفی عام ۳۱۹ه ۹۳۱ م بعد أن جاوز المائه، یختار فی أحکامه، « و حکم بما لو حکم به غیره ما سکتوا عنه؛ فلم ینکر علیه أحدٌ، لأن أبا عبید (کنیه ابن حربویه) کان لا یطعَن علیه فی علم، ولا تلحقه تهمه فی رُشدِه، ولا یحیف فی حکم(۳).»

و بالإجمال استقرت المذاهب الفقهیه الکبری فی ذلک العصر و توطّدت أرکانها علی النحو الذی نجده الیوم، إذا استثنینا البلاد التی آل أمرها إلی الشیعه غ ولم یبرز مذهب الإمام أحمد خارج العراق إلا فی القرن الرابع الهجری(۴).

وفی هذا القرن فتح مذهب الشافعی ج و هو أهم المذاهب الیوم ــ البلاد التی

---

۱ - Wustenfeld, AGGW, ۳۷, Nr. ۸۰ و یذکر أبوالمحاسن (طبعه کلیفورنیا ص ۱۲۶ تحت سنه ۱۰۱۹۴۱۰ م، وفاه عالم، کان یتفقه علی مذهب الطبری. و مما صنفه القاضی عبداللّه بن محمد بن الخصیب المعروف بالقاضی الخصیبی، المتوفی عام ۳۴۷ه ۹۵۸ م، کتاب فی الرد علی الطبری (ملحق القضاه للکندی ص ۵۷۷)؛ انظر أیضاً طبقات السبکی ج ۲ ص ۱۳۹ و ما یلیها .

۲- الإرشاد لیاقوت ج ۲ ص ۱۸ .

۳- ملحق الکندی ص ۵۲۸؛ و طبقات السبکی ج ۲ ص ۳۰۱ ج ۳۰۲ .

۴- حسن المحاضره للسیوطی ج ۱ ص ۲۲۸ .

یحتلها الیوم، و کان أکبر مراکزه مکه و المدینه(۱).

ویقول السبکی : « و أما بلاد الحجاز فلم تَبرَح أیضاً منذ ظهور مذهب الشافعی، و إلی یومنا هذا، فی أیدی الشافعیه القضاءُ و الخطابهُ و الإمامه بمکه و المدینه، و الناس من خمسمائه و ثلاث و ستین سنه یخطبون فی مسجد رسول اللّه صلی الله علیه و آله ، و یصلون علی مذهب ابن عمه محمد بن إدریس، یقنُتون فی الفجر، و یجهرون بالتسمیه، و یفردون الإقامه إلی غیر ذلک، و هو صلی الله علیه و آله حاضرٌ یبصر و یسمع، وفی ذلک أوضح دلیل علی أن هذا المذهب صواب عند اللّه تعالی(۲).»؛ ولم یکن للشافعی أتباع کثیرون فی العراق، وکان الغالب علی فقهاء هذا الإقلیم و قضاته أصحاب أبی حنیفه(۳)، وإن کان قد وَلِی قضاء القضاه ببغداد أحد الشافعیه سنه ۳۳۸ ه ۹۴۹ م(۴)؛ وقد أفلح الشافعیه فی التغلب علی الحنفیه بالمشرق(۵)، وکان أکبر حصن لهم فی الشام و مصر.

وکان أبوزرعه محمد بن عثمان الدمشقی (المتوفی عام ۳۰۲ه ۹۱۴ م) أول من ولی قضاء مصر من الشافعیه، و هو أول من أدخل فی دمشق مذهب الشافعی و حکم به، و لم یلِ بعده قضاءَ مصر ولا قضاء الشام إلا شافعی المذهب، بعد أن

۱- رسائل الخوارزمی ص ۶۳، ولم یقل المقدسی شیئاً فی هذه المسأله .

۲- طبقات السبکی ج ۱ ص ۱۷۴ .

۳- المقدسی ص ۱۲۷ .

۴- طبقات السبکی ج ۲ ص ۲۴۴ .

۵- یقول السیوطی فی طبقات المفسرین (ص ۳۶ من الطبعه الأوربیه ۹ إن الإمام أبابکر الشاشی الفقیه الشافعی، المعروف بالقفال، المتوفی عام ۳۶۵ه ۹۷۸ م هو الذی نشر فقه الشافعی فیما وراء النهر، و یقول المقدسی (ص ۴۶۸ ج ۴۶۹) إن الغلبه بکرمان لأصحاب الشافعی .

كان الغالب على أهل دمشق مذهب الأوزاعى(۱).

وكان ينافسهم فى مصر المالكيه الذين استولوا على مصر منذ منتصف القرن الثانى الهجرى. وفى سنه ۳۲۶ه ۹۳۸ م كان للمالكيين فى المسجد الجامع خمس عشره حلقه و للشافعيين مثلها، و لأصحاب أبى حنيفه ثلاث حلقات فقط(۲).

وفى عهد المقدسى تولى إمامه مسجد ابن طولون أحد الشافعيه لأول مره، ولم يقدّم فى محراب هذا المسجد إمامٌ قط قبله إلا و هو يتفقه لمالك(۳)، و كان معظم الفقهاء بمصر من أصحاب مالك. و يقول السيوطى إن أبابكر النعّالى المتوفى عام ۹۹۰۳۸۰ م كان إمام المالكيه بمصر، و كانت حلقته فى الجامع تدور على سبعه عشر عموداً لكثره من يحضرها(۴).

ولهذا اشتدت الدوله الفاطميه فى محاربه المالكيه؛ ففى سنه ۳۸۱ه ۹۸۹ م مثلا ضُرب رجل بمصر وطيف به فى المدينه، لأنه وُجد عنده كتابُ الموطَّأ لمالك بن أنس(۵)؛ ولما زالت دوله الفاطميين و حلت محلها دوله الأيوبيين، و هم من الأكراد الشافعيه، أكملوا انتصار هذا المذهب بإيثارهم للفقهاء الشافعيه؛ ولكن الصعيد بقى فى الجمله مالكى المذهب إلى أيامنا، ولم ينتشر مذهب الشافعى

۱- ملحق القضاه للكندى ص ۵۱۸؛ و طبقات السبكى ج ۲ ص ۱۷۴، و حسن المحاضره للسيوطى ج ۱ ص ۱۸۶؛ ولكن قاضى دمشق، المتوفى عام ۳۴۷ه كان أوزاعى المذهب (أبوالمحاسن، طبعه ليدن ج ۲ ص ۳۴۷، و طبقات السبكى ج ۲ ص ۱۷۴) .

۲- المغرب لابن سعيد ص ۲۴ .

۳- المقدسى ص ۲۰۲ ج ۲۰۳ .

۴- حسن المحاضره للسيوطى ج ۱ ص ۲۱۲ .

۵- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۳۴۱ .

غربـا أکثر من ذلـک؛ وقـد اقتسم المـالکیه و الحنفیه بلاـد المغرب؛ و کـان مـذهب الحنفیه بفضـل مرونته أکثر ملاءمه للحکومه الفاطمیه من مـذهب مالک، ولکن لما خرجت بلاد المغرب من یـد الفاطمیین سـنه ۴۴۰ه ۱۰۴۸ م لم یقتصـر البلاء علی مذهبهم الشـیعی فقط بل شمل مذهب الأحناف السّنّیین الذین کانوا یظلونهم برعایتهم، و انتقل المغرب إلی مذهب مالک، ولا یزال علیه إلی الیوم(۱)؛ أما فی الأندلس فکانت السیاده المطلقه لمذهب مالک(۲).

أمـا فی بغـداد نفسـها فقـد کـان الحنـابله، دون سائر أهل السـنه، أکبر من أقلق بال الحکومه؛ ثم إنهم اشـتدوا فی محاربه الشـیعه ببغـداد؛ وقـد بنوا ببغـداد مسـجداً « و جعلوه طریقـاً إلی المشاغبه والفتنه(۳)»؛ ثم عظم أمرهم حـتی أرهجـوا بغـداد، و اسـتظهروا بالعمیان الذین کانوا یأوون إلی المساجد، وکانوا مثلا فی عام ۳۲۳ه ۹۳۵ م إذا مربهم شافعی المذهب أغروا به العمیان فیضربونه بعصیهم حتی یکاد یموت(۴).

و لکنهم ادَّخروا أشـد غضـبهم للشـیعه، ولمن خاصـمهم من المتکلمین؛ وکان الشافعیه أشد الفقهاء قدره علی النظر و الشـغب، و هاتان الخصلتان من ضمن الخصال التی وصفهم بها المقدسی(۵).

۱- مقدمه جوالد زیهر لکتاب محمد بن تومرت ص ۲۳ .

۲- المقدسی ص ۲۳۶، و یقول المقدسی : « أما فی الأندلس فمذهب مالک و قراءه نافع، و هم یقولون : لا نعرف إلا کتاب اللّه، و موطأ مالک؛ فإن ظهروا علی حنفی أو شافعی نفوه، فإن عثروا علی معتزلی أو شیعی أو نحوهما ربما قتلوه ». (المترجم) .

۳- کتاب الوزراء ص ۳۳۵ .

۴- ابن الأثیر ج ۸ ص ۲۲۹ ج ۲۳۰ .

۵- المقدسی ص ۴۱ .

و الموءرخ عرضه للخطأ فی هذه المسائل لأن معظم معارفنا عن هذه الحرکات مستقاه من مصادر شافعیه؛ ولکن الشافعیه کان لا یخلو منهم نزاع فقهی، وکانوا خصوماً لمن عداهم لا یعدلون عن الخصومه، علی حین کان خصومهم یتصالحون و یبحثون عن طریق للوفاق؛ علی أن المذاهب کانت فی الجمله علی وفاق و مسالمه تامه فی القرن الرابع. و نجد العلماء ج کالمقدسی ج یوصّون بترک الخلاف، و لزوم أحد المذاهب، و ترک الغلو فی الدین، و کف اللسان عن تمزیق المسلمین(۱).

ولم یکن النتقال من مذهب إلی آخر بالأمر العسیر : فیحکی أن أحمد بن فارس، أکبر اللغویین المتوفی عام ۳۶۹ه ۹۸۰ م کان شافعیا، فصار مالکیاً و قال : دخلتنی الحَمِیه لهذا البلد، یعنی الری، کیف لا یکون فیه رجل علی مذهب هذا الرجل المقبول القول علی جمیع الألسنه(۲).

وقد اختیر لإمامه مسجد ابن طولون بمصر أحد الشافعیه بعد أن کان لا یقدّم فیه إلا مالکی؛ و کان ذلک لسبب بسیط، و هو أنه لم یوجد أطیب منه(۳).

ولما سُئل المقدسی عن سبب تفقهه لأبی حنیفه، مع أنه شامی و أهلُ ناحیته أصحاب حدیث یتفقهون للشافعی، أجاب بأنه استحسن مذهبه لخلالٍ ذکرها(۴).

۱- نفس المصدر ص ۳۶۶.

۲- الإرشاد لیاقوت ج ۲ ص ۷.

۳- المقدسی ص ۲۰۳.

۴- المقدسی ص ۱۲۷، یقول المقدسی : إن هذه الخلال ثلاث : أولها اعتماد أبی حنیفه علی قول علی رضی اللّه عنه، وقال النبی علیه الصلاه و السلام : أنا مدینه العلم و علی بابها؛ و ثانیها أن أباحنیفه کان أقدم الأئمه، وأقربهم إلی الصحابه، و أورعهم و أعبدهم، وقد رویت التوصیه بالعتیق؛ و الثالثه أن المقدسی رآه أصاب عیاناً فی مسأله أخطأ فیها الجمیع، و هی أنه کان لا یجوِّز أخذ الأجره علی القرب. فقال السائل للمقدسی : دققت النظر یا مقدسی و احتطت لنفسک. (المترجم) .

ولم تظهر المنافسه بين المذاهب فى صوره شديده إلا فى القرن التالى عند ما فنيت المذاهب الصغرى، و بقيت المذاهب الكبرى وحدها فى ميدان الخلاف؛ عند ذلك قويت المنافسه، وصار أصحاب المذاهب يستعين بعضهم على بعض بالسلطان، خصوصا فى المشرق(۱)

۱- انظر نصوص ابن الأثير التى ذكرها سنوك هورجرونى، فى (مجله ج تاريخ الأديان): Sniuck Hurgronje, RHR, ۳۷, S. ۱۷۸.

تعلیقات الفصل الرابع عشر

[*۱] أما الشیعه الامامیه فلهم مکانتهم و سمو مقامهم فی الفقه و الحدیث و مصادرهم الغنیه و اتصالهم بمبدأ الوحی بواسطه أهل بیت النبوه امناء الله ساده الخلق.

[*۲] نسبه إلی الأوزاعی عبدالرحمن (۱) بن عمرو أحد الفقهاء فی أیام أبی العباس السفاح أول خلفاء بنی العباس.

[*۳] أصحاب سفیان الثوری مات سنه ۱۶۱ق، فی الشذرات (۲) فی شعبان منها (۱۶۱) توفی الامام أبو عبدالله سفیان بن سعید الثوری الفقیه سید أهل زمانه علماً و عملاً و له ست و ستون سنه ذکر عن شعبه و یحیی بن معین و غیرهما (ان سفیان أمیرالمؤمنین فی الحدیث، و ذکر فی کتاب العهد علی امضاء الکوفه من ناحیه المهدی فی دجله و هرب و طلب فلم یقدل علیه و مات بالبصره متواریاً و کان صاحب مذهب الخ.

[*۴] بل لهم انحراف تام فی الاصول فتری یعتقدون (۳) بأن الله تبارک و تعالی جسم یجلس علی العرش و یفضل عنه کل جانب سته أشبار بشبره و انه ینزل فی کل (لیله) جمعه علی حمار ینادی إلی الصباح هل من تائب، هل من مستغفر، و نقل عن داود الظاهری انه قال اعفونی عن اللحیه والفرج و أسألونی عما وراء ذلک، و منهم الوهابیه و عقیدتهم فی سائر المسلمین انهم لیسوا علی حقیقه الاسلام.

۱- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۱۰۳.

۲- شذرات الذهب ج۱ ص ۲۵۰.

۳- دلائل الامامه ج۱ ص۱۳۲.

[*۵] هذا افتراء على هذا السلطان بل هو من الشيعه الاماميه المخصلين وعده القاضى السيد نور الله الشهيد (۱) فى سبيل الدفاع عن حريم ولايه أهل البيت من الشيعه و نقل عن الجلال السيوطى فى كتاب طبقات النجاه انه فاضل نحوى شيعى وعده صاحب الشذرات (۲) غالياً فى التشيع.

[*۶] فى هذه النظريه نقاش واضح.

[*۷] الذى فى الشذرات (۳) القاضى أبو عبيد بن جويريه البغدادى على بن الحسين بن حرب الفقيه الشافعى قاضى مصر و هو من أصحاب الوجوه و أرخ وفاته ۳۱۹.

[*۸] لأن محمد بن ادريس الشافعى ينتهى نسبه إلى عبدالمطلب بن عبد مناف جد الرسول الكريم صلى الله عليه و آله هكذا أبو عبدالله محمد بن ادريس (۴) بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن عبدالمطلب (۵) بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه و آله والسائب جده صحابى أسلم يوم بدرو كذا ابنه شافع لقى النبى صلى الله عليه و آله و هو متر عرع.

لطيفه:

ذكر صاحب مقامع الفضل (۶) أكثر حمل الآدمى عند أكثر الاماميه تسعه أشهر و عند بعضهم

۱- مجال المؤمنين ج ۲ ص ۳۲۷.

۲- شذرات الذهب ج ۲ ص ۷۸.

۳- شذرات الذهب ج ۲ ص ۲۸۱-۲۸۲.

۴- شذرات الذهب ج ۲ ص ۹، روضات الجنات ج ۷ ص ۲۵۷.

۵- الظاهر زياده كلمه عبد والصحيح المطلب. تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۶۶.

۶- مقامع الفضل ج ۱ ص ۴۷۷-۴۷۹. قال الشيخ الطوسى قدس سره فى الخلاف ۲ فى المسئله ۹ من كتاب العده اذا طلقها فاعتدت ثم أتت بولد لأكثر من سته أشهر من وقت انقضاء العده لم يلحقه و به قال أبو حنيفه و أصحابه و أبو العباس بن سريح و قال أصحاب الشافعى اذا أتت به (بولد) لأقل من أربع سنين و أكثر من سته أشهر وقت الطلاق لحق به.

و بعض أهل السنه سنه و قال بعضهم سنتان و عند الشافعيه و جميع أتباعه أربع سنين قال و قال ليث بن سعد الذى هو من فضلائهم سبع سنين و قد اجمع العامه العمياء على ان الامام الشافعى بقى فى بطن امه أربع سنين انتظاراً لموت امامهم الأعظم أبى حنيفه فولد فى يوم وفاته و عدوا ذلک من کرامتهما، بل المشهور عندهم کما تقدم ان مده حمل امامهم المالک أيضاً کانت ثلاث سنين الخ.

و فى الفقه على المذاهب الأربعه (۱) و اعلم ان أقل مده الحمل عند الشافعيه سته أشهر کغير هم و أکثرها أربع سنين و قال الخرقى(۲) (و لو طلقها أو مات عناه فلم تنکح حتى أتت بولد بعد طلاقه أو موته بأربع سنسن لحقه الولد و انقضت عدتها به).

و قال ابن قدامه فى شرحه ظاهر المذهب ان أقصى مده الحمل أربع سنين و به قال الشافعى و هو المشهور عن مالک، و روى عن أحمد ان أقصى مدته سنتان، و روى ذلک عن عائشه و هو مذهب الثورى و أبى حنيفه، و قال قال الليث أقصاه ثلاث سنين، قال: و قال عباد بن العوام خمس سنين و عن الزهرى قال قد تحمل المرأه ست سنين و سبع سنين و قال أبو عبيد ليس أقصاه وقت يوقف عليه.

أقول: من أعرض عن أهل بيت العصمه والطهاره واستبد بآرائه اتبع المنحرفين عن بيت الولايه والامامه فلا عجب منه لمثل هذه الفتاوى.

[*۹] أقول: فليضحک العاقل و ليعتبر ذوو اللب من مثل هذا الاستدلال، أليس کل فاسق و کل لاعب بالدين من خليفه کمعاويه و من امراء کمروان و أمثالهم فعلوا ما فعلوا فى المسجد النبوى و أتوا بأعظم من هذا

۱- الفقه على المذهب الأربعه ج۴ ص ۵۲۵.

۲- المغنى ج۷ ص۴۷۷.

[*۱۰] المنقول عنه خلاف ذلک کله فانه (۱) کما نقل رد علی رسول الله صلی الله علیه و آله أربعمأه حدیث أو أکثر منها قال رسول الله صلی الله علیه و آله للفرس (للفرس) سهمان و للرجل سهم واحد، قال أبو حنیفه لا أجعل سهم بهیمه أکثر من سهم المؤمن و اشعر رسول الله صلی الله علیه و آله و أصحابه البدن و قال أبو حنیفه الاشعار مثله، قال صلی الله علیه و آله البیعان بالخیار ما لم یفترقا، قال أبو حنیفه اذا وجب البیع فلا خیار و ذکر عن ابن خلکان عن امام الحرمین فی کتابه مغیث الخلق صلاه القفال المروزی عند السلطان محمود بن سبکتکین علی مذهب أبی حنیفه بلبس جلد کلب مدبوغ و لطخ رأسه بالنجاسه و توضأ بنبیذ التمر و کان فی الصیف واجتمع علیه البعوض والذباب واحرم بالصلاه بالفارسیه و قرء (دو برگ سبز) ترجمه مدهامتان ثم نقر نقرتین کنقر الدیک من غیر فصل و لا رکوع و لا تشهد و ضرط فی آخره و ان السلطان قال لو لم تکن هذه الصلاه صلاه أبی حنیفه لقتلتک لأنه لا یجوز مثله ذودین،فأمر السلطان نصرانیاً بقرائه کتب أبی حنیفه فوجدت الصلاه علی ما حکاه القفال.

و عن تاریخ بغداد قال سفیان و مالک و حماد و الأوزاعی والشافعی، ما ولد فی الاسلام أشأم من أبی حنیفه: قال مالک: کانت فتنه أبی حنیفه أضر علی الامه من فتنه ابلیس، عن الغزالی فی کتابه المنخول فی علم الاصول، فأما أبو حنیفه فقد قلب ألشریعه ظهر البطن و شوش مسلکها و غیر نظامها و أردف جمیع قواعد الشرع بأصل هدم به شرع محمد المصطفی صلی الله علیه و آله و من فعل شیئاً من هذا مستحلاً کفر، و من فعله غیر مستحل فسق.

۱- روضات الجنات ج۸ ص ۱۷۶،۱۷۳،۱۷۰،۱۶۹.

الفصل الخامس عشر: القضاه

اشاره

لم يفكر المسلمون إلا قليلا فى المبدأ الذى يقضى بالفصل الأساسى بين السلطتين : القضائيه و التنفيذيه، وكان هذا أيضاً هو شأن أوروبا المسيحيه حتى أحدث العصور. فقدكان النبى هو القاضى الأعلى للمسلمين، و كذلك كان خليفته من بعده، وكان ولاته على ابلاد يباشرون هذه السلطه بالنيابه عنه؛ ثم إن كثره الواجبات تطلبت الاستعانه ببعض القضاه، كما يحكى عن المختار، فإنه كان يجلس للقضاء بنفسه، وقد نشط فى ذلك و أحسن، حتى كثرت عليه الأعمال فاضطر إلى تعيين القضاه(۱)

ولهذا السبب نفسه لم يحدَّد اختصاص القاضى بالنسبه لاختصاص الوالى تحديداً دقيقاً. و قد احتفظ الوالى لنفسى بما كان « يعجز عنه القاضى »(۲)؛ وإذا لم يقبل الوالى حكم القاضى لم يكن أمام القاضى إلا أن ينصرف عن الحكم و يعتزل أو يجلس فى منزله مضرباً على الأقل(۳).

ولكن مثل هذا الإهمال لحكم القاضى لم يكن كثير الوقوع؛ فلم يذكر الكندى

۱- Wellhausen, Die relegios politischen Oppositionspartrlrn in alten Islam, S ۷۸.

۲- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۲۰۷ .

۳- القضاه للكندى ص ۳۲۶ ج ۳۲۷، ۳۵۶، ۴۲۷ .

صاحب تاریخ القضاه بمصر من أمثله التصادم بین حکم القاضی و بین الوالی فی مسائل مما یمسّ الأحوال الشخصیه إلا حادثتین طوال القرون الأولی؛ و کانت إحدی هاتین الحادثتین مسأله هامه جداً من حیث المبدأ؛ و ذلک أن امرأه تزوجها رجل لیس من أکفائها، فقام بعض أولیائها و أنکروا الزواج، و ترافعوا إلی القاضی لیفسخ النکاح، فأبی؛ فذهبوا إلیا الأمیر فأمر القاضی بفسخ النکاح، فامتنع أیضاً؛ ثم فرق الأمیر بینهما(۱).

و نجد هنا اصطداماً بین مبدأین : المبدأ العربی القائم علی الأرستقراطیه و الدم، و مبدأ الإسلام الدیمقراطی الذی یحکم علی الناس لا بعتبار الدم بل علی قاعده « إن أکرمک عند اللّه أتقاکم ».

و کان من أثر القضاء علی الإداره الإقطاعیه فی عهد العباسیین أن خرج القاضی من سلطان الوالی، وصار یعَینه الخلیفه مباشره أو یقِرُّ تعیینه علی الأقل. وکان أبو جعفر المنصور أول خلیفه ولّی قضاهَ الأمصار من قِبله(۲).

ولما قدم هارون بن عبداللّه قاضیاً علی مصر من قِبَل المأمون (۱۹۸ ج ۲۱۸ه ۸۱۳ ج ۸۳۳ م) جلس معه صاحبُ البرید فی مجلسه، فأخرجه منه، وقال :

۱- الکندی ص ۳۶۷، والمثال الآخر فی ص ۴۲۷ .

۲- تاریخ الیعقوبی، طبعه هو تسما ج ۲ ص ۴۶۸. وکان عبداللّه بن لهیعه الحضرمی، الذی ولی قضاء مصر فی مستهل عام ۱۵۵ه ۷۷۲ م، أول قاض ولی مصر من قبل الخلیفه (القصاه للکندی ص ۳۶۸). وکان أول قاض قضی بالمدینه من قبل الخلیفه هو عبداللّه ابن عمران التمیمی من قبل الخلیفه المهدی (تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۴۸۴). وأما فیما یتعلق بقضاه الإسلام الأولین الذین یحکی أن الخلیفه هو الذی کان یعینهم، فالظاهر أن حکایاتهم موضوعه، کما هو الحال الخطابات التی ینسب لعمر أنه کان یوجهها إلی القضاه و الولاه .

هذا مجلس أميرالموءمنين، ليس يجلس فيه أحد إلا بأمره(۱).

و ظل تعيين القضاه من حق الخليفه حتی فی العصور السیئه، باعتبار أن القضاء آخرُ ما بقی من المناصب الهامه؛ و لما بویع للمستکفی عام ۹۴۴۳۳۳ م، وجلس علی عرش لخلافه، سأل عن القضاه و کشف عن أمر الشهود بالحضره، فأمر بإسقاط بعضهم وقبول بعضهم، فامتثل الفضاه ما أمر به و قال العامه ساخرین : « إلی هنا بلغ سلطانه و انتهی فی الخلافه أمرُهُ و نهیه » (۲)؛ و فی سنه ۳۲۴ه ۹۳۵ م سلّم الأخشید قضاء مصر إلی أبی بکر بن الحداد، فألف البعض فیه الأشعار متهکمین، لأنه تولی القضاء من قِبَل الأخشید لا من قِبل الخلیفه(۳).

وفی سنه ۳۹۴ه ۱۰۰۴ م قلد السلطانُ بهاء الدوله النقیبُ أبا أحمد الموسوی والد الشریف الرضی نقابه العویین بالعراق و قضاء القضاه و الحجَّ و المظالمَ، فلم ینظر فی قضاء القضاه لا متناع الخلیفه القادر باللّه من الإذن له بذلک، هذا مع عظم سلطان بهاء الدوله(۴).

ولا یزال من الحقوق القلیله الباقیه التی یمتاز بها الخلیفه الیوم تعیینه قاضی القضاه بمصر(۵)

وقد عظم شأن القضاه وقی مرکزهم منذ عهد الخلفاء الأولین من

۱- الکندی ص ۴۴۴ .

۲- مروج الذهب للمسعودی ج ۸ ص ۳۷۸ .

۳- طبقات السبکی ج ۲ ص ۱۱۴ و ما بعدها .

۴- المنتظم لابن الجوزی ص ۱۴۹ ب، و ابن الأثیرج ۹ ص ۱۲۹ .

۵- ۳. Gottheil, The Cadi, SA der REES, ۱۹۰۸, S. ۷, Anm (وقد بطل ذلک من عهد قریب) .

بين العباس؛ فقد كانت العاده أن الواله يحضِرُون القضاه إلى مجالسهم؛ فلما قَدِم محمدبن مسروق الكندى قاضياً على مصر من قِبَل الرشيد عام ۱۷۷ه ۷۹۳ م أرسل إليه الأميرُ عبدُاللّه بن المسيب يأمره بحضور مجلسه، فقال : لو كنتُ تقدمتُ إليك فى هذا لفعلت بك وفعلت يا كذا و كذا، فانقطع ذلك عن القضاه من يومئذ(۱).

بل نجد أن الآيه قد انعكست فى القرن الثالث الهجرى، فكان الولاه يحضرون مجلس القاضى فى كل صباح(۲)إلى أيام القاضى ابن حربويه عام ۳۲۹ه ۹۴۱ م، فكان آخر من ركب ذليه الأمراء، لأنه كان لا يقوم للأمير إذا أتاه(۳).

وكان هذا القاضى مثلاً أعلى للعداله، لا يطعن فى حكمه و لا تلحقه تهمه، وكان لا يوءمِّر أحداً من ولاه مصر، بل كان يدعوهم بأسمائهم؛ ويحكى من تصميمه أن موءنساً الخادم، وهو أكبر أمراء المقتدر، و كان فى خدمته سبعود أميراً سوى أصحابه، وكان يخطب له على جميع المنابر مع الخليفه، عرض له بمصر مرض، فأرسل إلى القاضى يطلب شهوداً يشهدهم أنه أوصى بوقف على سبيل

۱- الكندى ص ۳۸۸، وقد ذكرت المحاولتان الوحيدتان اللتان أريد فيها الجمع بين القضاء و الإمراه لرجل واحد، و هما تتعلقان بالقاضى الأندلسى أسد، المتوفى عام ۳۱۳ه، و بالقاضى شريك بن عبداللّه فى عهد المهدى (۱۵۸ ج ۱۵۹ ه)؛ كتاب العيون ص ۳۷۲ والموءلف يشير إلى الجزء الذى طبعه من هذا الكتاب دى غوى بليدن سنه ۱۸۷۱، المترجم .

۲- Wustenfeld, AGGW, ۳۷, Nr. ۹۱.، (و طبقات السبكى ج ۲ ص ۳۰۲). (المترجم) .

۳- حسن المحاضره للسيوطى ج ۲ ص ۱۰۱، و ملحق الكندى ص ۵۲۸؛ و يحكى مثل هذا عن الوزير الصاحب بن عباد، ذلك أنه قصد القاضى أبا السائب. فتثاقل فى القيام له، و تحفز تحفزاً، أراه به ضعف حركته، فأخذ الصاحب بضبعه، و أقامه، و قال : نعين القاضى على قضاه حقوق إخوانه، فخجل أبو السائب و اعتذر للصاحب، و تحكى القصه بعينها بين القاضى و رجل آخر؛ و يقال : إن الصاحب انتحلها لنفسه، لأنه كان يحب الفخر و انتحال الفضائل (الإرشاد لياقوت ج ۲ ص ۳۳۸) .

البر، فقـال القاضـی : لا أفعل حتی یثبُتَ عنـدی أن موءنساً حر، وقال : إن لم یرِد علی کتابُ المقتـدر أنه أعتقه، وإلا فلا أفعل. و لمـا وصـل الکتـاب أبی القاضـی إلاـ أن یشـهد عـدلان أنه کتـاب أمیرالموءمنین، هـذا و موءنس أکبر أمراء الإسـلام. و کان ابن حربویه مهیبـاً وافر الحرمه، لم یرَه أحـدٌ یأکـل و لاـ یشـرب و لا یبلس و لا یغسل یـده، و إنما یفعل ذلک فی خلوه. ولا رآه أحد یتمخَّط ولا یبصق ولا یحک جسـمه، ولا یسـمح وجهه؛ وکان إذا رکب لا یلتفت ولا یتحـدث مع أحد، ولا یصـلح رداءه، وکان علیه من الوقار و الحشـمه ما یتـذاکره أهل بلـده؛ و کان یختار فی أحکامه، ویری أن من قلد فهو متعصب أو غبی؛ و حکم بما لو حکم به غیره ما سکتوا عنه، فلم ینکر علیه أحد، و لم یکن یلحق علمَه طعن، ولا رشدَه تهمه. و کان لا یحیف فی حکم(۱).

وقد اختصم عنده رجلان، و کان المدَّعی علیه قد سبق إلیه و جعل نفسه المدَّعِی صاحبَ الحق، فضـحک خصمه متعجباً؛ و عند ذلک صاح ابن حربویه صـیحه ملأت الدار، وقال :« ممَّ تضـحک، لا أضـحک اللّه سنک، تضحک فی مجلس، اللّه مطلع علیک فیه، وَیحک! تضـحک و قاضیک بین الجنه و النار؟ »؛ فأرعب القاضی الرجل، و مرض ثلاثه أشهر، و کان إذا عاده صاحبه یقول له : صیحهُ القاضی فی قلبی إلی الساعه و أحسبها تقتلنی(۲).

وکان القاضـی أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الأسـفرائینی قاضی بغداد المتوفی عام ۴۰۶ه ۱۰۱۵ م رفیع الجاه فی الـدنیا؛ و قد وقع من الخلیفه ما أوجب أن کتب إلیه الشیخ أبوحامد : اعلم أنک لست بقادر علی عزلی عن

۱- طبقات السبکی ج ۲ ص ۳۰۲ و ما بعدها، و ملحق الکندی ص ۵۲۸ .

۲- طبقات السبکی ج ۲ ص ۳۰۵ ج ۳۰۶ .

ولايتى التى و لّانيها اللّه تعالى، و أنا أقدر أن أكتب إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث أعزلك عن خلافتك(۱)

و مما يدل على رهبه منصب القضاء و احترامه فى ذلك العهد أننا نجد الأمراء و الوزراء كثيراً ما يساقون إلى السجن، ولا يحكى مثلُ ذلك إلا عن قليل من القضاه، ولم يمُت فى أثناء السجن إلا قاضٍ واحد، ولا يعلم أن قاضياً مات فى السجن سواه، و هو القاضى أبو أميه المتوفى عام ۳۰۰ه، وكان أمر هذا القاضى غريبا؛ فإنه كان قليل العلم، و كان يتجر فى البز ببغداد، باستتر عنده الوزير ابن الفرات أيام محنته، وقال له : إن وُلِّيتَ الوزاره فأى شىء تحب أن أصنع بك؟ فقال : تقلدنى شيئا من أعمال السلطان، قال : و يحك ! لا يجىء منك عاملٌ ولا أمير ولا قائد ولا كاتب ولا صاحب شرطه، فأيش أقلدك؟ قال : لا أدرى، قال : أقلدك القضاء، قال : قد رضيت. ثم خرج ابن الفرات، وولى الوزاره و أحسن إلى أبى أميه، وولاه قضاء البصره و واسط و الأهواز؛ وربما أراد بذلك أن يغيظ الفقهاء؛ ولكن عفه أبى أميه و تصوُّنَه غطيا على نقصه فى العلم، و كان يتيه على أمير البصره، ولا يركب إليه، حتى ورد على الأمير كتابٌ مع طائر بنكبه ابن الفرات و القبض عليه، فقبض على أبى أميه و أدخله السجن؛ فأقام فيه مده، ثم مات(۲).

على أن دوائر الفقهاء لم تكن من الناحيه النظريه ترمق منصب القضاء بعين الرضا؛ و نجد الكلام فى قبول القضاء و عدم قبوله يمتد حتى إلى القرن الرابع

۱- نفس المصدر ج ۳ ص ۲۶؛ و انظر أيضاً. Wustenfeld, AGGW, ۳۷.Nr, ۲۸۷.

۲- المنتظم لابن الجوزى ص ۷ ب .

الهجری، و یقول السمرقندی المتوفی عام ۹۸۵۳۷۵ م : اختلف الناس فی قبول القضاء : قال بعضهم : لا ینبغی أن یقبل القضاء، و قال بعضهم : إذا وُلی رجل بغیر طلب منه بأس بأن یقبل إذا کان یصلح لذلک الأمر(۱).

وقد احتج من کره ذلک بأحادیث رُویت عن النبی علیه السلام من شأنها أن تُرهب القضاه حتی العادل منهم(۲).

و لما کتب عمر بن الخطاب إلی عمرو بن العاص أن یجعل کعب بن ضنّه علی القضاء أرسل إلیه عمرو بکتاب أمیرالموءمنین، فقال کعب واللّه لا ینجیه اللّه من أمر الجاهلیه و ما کان فیها من الهلکه، ثم یعود فیها أبداً إذا أنجاه اللّه منها، و أبی أن یقبل القضاء(۳).

وفی سنه ۷۰ ه‍ ۶۸۹ م تولی قضاء مصر عبد الرحمن بن حجیره، فلما بلغ أباه ذلک قال : إنا للّه و إنا إلیه راجعون، هلک الرجل، و یروی أنه قال : هلک ابنی و أهلک(۴).

ولا أعلم کیف کان موقف المسیحیین الأولین من مسأله القضاء؛ أما المسلمون فإنهم تمسکوا بالوصیه التی جاءت فی خطبه الجبل (إنجیل متی) من عدم التعرض للحکم علی الناس.

۱- بستان العارفین ص ۳۸ .

۲- من أمثله ذلک ما ذکره السمرقندی، عن عائشه رضی اللّه عنها، أن النبی صلی الله علیه و آله ، قال : « یجاء بالقاضی العدل یوم القیامه فیلقی من شده الحساب ما یود أن لم یکن قضی بین اثنین »، وعن أبی هریره : « من جُعل قاضیاً فکأنما ذبح بغیر مکین ». (المترجم) .

۳- الکندی ص ۳۰۲ .

۴- الکندی ص ۳۱۵ .

و یحکی لنا من ورع المسلمین و خوفهم من ولایه القضاء أن أبا قلابه مثلا دُعی للقضاء، فهرب من العراق حتی أتی الشام، فوافق ذلک عزل قاضیها؛ فهرب و اختفی حتی أتی بلاد الیمامه؛ وروی عن سفیان الثوری أنه دعلی إلی القضاء، فهرب إلی البصره حتی مات و هو متوار؛ و روی عن أبی حنیفه أنه ابتلی بالضرب و الحبس فلم یقبل حتی مات(۱)؛ و قد حکی الطبری أن قوماً من أهل الحدیث تحاموا حدیث أبی یوسف القاضی من أجل غلبه الرأی علیه مع صحبه السلطان و تقلده القضاء(۲).

وفی عهد الخلیفه المهدی ألزم قاضی المدینه ولایه القضاء بعد أن أشرف علیه والی المدینه بضرب السیاط(۳).

وکان القاضی شریک قد ولی القضاء حوالی هذا العصر بعد تأبٍّ، وذهب إلی الصیرفی لیأخذ رزقه، فضایقه فی انقد فقال له الصیرفی : إنک لم تبع به بزًّا، فقال له شریک : بل واللّه بعت أکثر من البز، بعت به دینی(۴).

بل یحکی عن بعض العلماء أنه أظهر الجنون هرباً من تولی منصب القضاء(۵)

و کان الصوفیه بنوع خاص یقفون من القضاه الذین یسمونهم علماء الدنیا علی طرف نقیض، و یقولون : « إن العلماء یحشرون فی زمره الأنبیاء، و القضاه

۱- بستان العارفین للسمرقندی ص ۳۹؛ وتجد أمثله أخری فی کتاب کشف المحجوب، ترجمه نکلسون ص ۹۳ .

۲- وفیات الأعیان لابن خلکان ترجمه رقم ۸۳۴ من طبعه فستنفلد .

۳- تاریخ بغداد ، JRAS, ۱۹۱۲, ۵۴ ج ۱۱ ص ۲۸۶ ج ۲۷۷ طبعه مصر ۱۹۳۱ .

۴- ابن خلکان ترجمه رقم ۲۹۰ .

۵- تجد أمثله أخری ذکرها أمدروز فی مقاله عن منصب القضاء فی الأحکام السلطانیه، و ذلک فی مجله : JRAS, ۱۹۱۰, S. ۷۵۵.

يحشـرون فى زمره السـلاطين »؛ و يحكى لنا أبوطالب المكى أن إسـماعيل بن إسـحاق القاضـى كان من علماء أهل الدنيا، و من ساده القضاء و عقلائهم؛ وكان موءاخياً لأبى الحسن بن أبى الورد، و كان هذا من أهل المعرفه، فلما ولى إسماعيلُ القضاء هجره ابن أبى الورد، ثم إنه اضطر إلى أن دخل عليه فى شهاده، فضرب ابن أبى الورد على كنف إسماعيل القاضى، وقال : يا إسماعيل ! علمٌ أجلَسَك هذا المجلس لقد كان الجهل خيراً منه؛ فوضع إسماعيل رداءه على وجهه و بكى حتى بلَّه(۱).

و كان الحنفيه فبما يتعلق بالقضاء أول من خضع لما اقتضـته ظروف الحياه، و هـذا شأنهم بالإجمال فيما عـدا ذلك؛ و يحكى عن الفقيه الشافعى ابن خيران المتوفى عام ۳۱۰ه ۹۲۲ م أنه كان يعيب صاحبه ابن سـريج على تولى القضاء، ويقول له : هذا الأمر لم يكن فى أصحابنا، إنما كان فى أصحاب أبى حنيفه. وكان ابن خيران قد امتنع من تولى قضاء بغداد، فوكّل الوزير به فى داره، و ختم الباب بضعه عشر يوماً (۲)

۱- قوت القلوب ج ۲ ص ۱۵۷ طبعه مصر ۱۳۱۰ه .
۲ - AGGW. ۳۷, Nr. ۸۱ ، وهكـذا وقع لابن سـريج، المتوفى عـام ۳۰۶ه ۹۱۸ م؛ فقـد أراد الـوزير على بن عيسـى أن يـوليه القضاء، فامتنع، فسـمر عليه بابه؛ فلما عوتب فى ذلك، قال : إنه أراد أن يتسامع الناس أن رجلا من أصحاب الشافعى يعامل بمثل هذا لتقلد القضاء، فيصـر على الامتناع، ويزهد فى الدنيا. وكان ابن سـريج قاضـياً على شـيراز من قبل (انظر طبقات السـبكى ج ۲ ص ۹۲)، ويقول السبكى (ج ۲ ص ۲۱۳) إن الوزير كان يقصـد من ختم دار ابن خيران أن يقال : إنه كان فى زمانه من يوكل به ليقلـد القضاء فلا يفعل؛ و يحكى السـبكى (ج ۲ ص ۲۱۴) عن ابن زولاق الموءرخ المصـرى، المتوفى عام ۳۸۷ه ۹۹۸ م أن الناس كانوا يأتون بأولادهم الصغار ليشاهدوا باب ابن خيران، وهو مسمور و يقولون لهم : انظروا حتى تحدثوا بهذا .

ولکن أبابکر الرازی المتوفی عام ۳۷۰ه ۹۸۰ م، و کان إمام أهل الرأی فی عصره، خوطب فی أن یلی قضاء القضاه فامتنع و أعید علیه الخطاب فلم یفعل(۱).

و کانت العاده حتی أواخر القرن الرابع تقضی ألّا یقبل أحد منصب القضاء إلا بعد إحجام و تردد.

ولما صُرِف أبو عمرو بن عبد الواحد عن قضاء البصره، و حل محله أبوالحسن ابن أبی الشوارب و ذلک فی عام ۳۹۹ه ۱۰۰۹ م قال العصفری الشاعر(۲):

عندی حدیثٌ طریفٌ *** بمثله یتَغَنّی

مِن قاضیین یعزَّی *** هذا، وذاک یهنّی

فذا یقول : اکرهونا *** وذا یقول : استرحنا

و یکذبان جمیعاً *** فمن یصدّق منا

وقد اختُلف هل یأخذ القاضی عن القضاء رزقاً؟ ویقال إن عمر بن الخطاب منع من ذلک(۳)

أما الخصّاف الفقیه الحنفی المتوفی عام ۲۶۱ه ۸۷۴ م فقد حاول أن یثبت جواز أخذ القاضی لرزق من بیت المال مستنداً فی ذلک إلی أحادیث نبویه و إلی أمثله جرت فی الصدر الأول(۴).

ولما ولی القضاء بمصر ابن حجیره سنه ۷۰ه ۶۸۹ م کان رزقه فی السنه من القضاء مائتی دینار، و کان لابن حجیره إلی جانب ولایه القضاء القَصَص و إداره

۱- المنتظم لابن الجوزی ص ۱۱۷ ب .

۲- نفس المصدر ص ۱۵۴؛ وابن الأثیر ج ۹ ص ۱۴۹؛ و أبو المحاسن، طبعه کلفورنیا ص ۱۰۳ .

۳- ۸ .Gottgeil, The Cadi, S

۴- کتاب أدب القاضی مخطوط لیدن رقم ۵۵۰ ص ۲۵ .

بیت المال؛ وکان رزقه من القصص ومن إداره بیت المال أربعمائه دینار، وکان عطاوءه مائتی دینار، و کانت جائزته مائتی دینار، فکان مجموع رزقه فی السنه ألف دینار(۱)، وفی سنه ۱۳۱ه ۷۴۸ م کان رزق قاضی مصر عبدالرحمن بن سالم عشرین دیناراً فی الشهر(۲)، ولکن هـذا المبلغ کـان فیما یظهر لا یکاد یکفی للإنفاق علی کُتّاب القاضـی و علی غیر ذلک مما یتطلبه دیوانه؛ و مع أن القاضـی ابن حجیره کـان یأخـذ ألف دینـار فی کـل سـنه، فکـان لا یحول علیه الحول و عنـده منها شـیء یفضُل علی أهله و إخوانه(۳).

وقد دخل رجل علی قاضـی الفسطاط فی سنه ۹۰ه ۷۰۹ م وقـد تغدَّی، فقال : أتتغدَّی؟ قال : نعم، فأتت الجاریه بعدس بارد علی طبق خوص و کمک و ماء، فقال ابلُل، وکل، فلم تترکنا الحقوق نشبع من الخبز(۴).

وکـان القاضـی خیر بن نعیم الحضـرمی الـذی تولی القضـاء و القصـص بمصـر عام ۱۲۰ه ۷۳۸ م یتّجر ج إلی جـانب منصـبه ج بـالزیت، فقـال له رجل حـدیث السنّ من حضـرموت کان یلازمه : و أنت أیضاً تَتّجر! یحکی لنا هـذا الحضـرمی الصـغیر فیقول : «فضـرب (خیر بن نعیم) بیده علی کتفی، ثم قال انتظر حتی تجوع ببطن غیرک، قلت فی نفسـی کیف یجوع إنسان ببطن غیره؟ فلما ابتلیت بالعیال إذا أنا أجوع ببطونهم(۵)».

۱- الکندی ص ۳۱۷ .

۲- الکندی ص ۳۵۴ .

۳- نفس المصدر ص ۳۱۷ .

۴- نفس المصدر ص ۳۳۱ .

۵- نفس المصدر ص ۳۵۲ .

وكان القاضـى أبو خزيمه إبراهيم بن يزيد الرعينى الذى ولى قضاء مصرعام ۱۴۴ه ۷۶۱ م، متحرِّزاً جـداً فيما يتعلق برزقه، « فكان إذا غسل ثيابه أو شـهد جنازةً أو اشـتغل بشـغل لم يأخـذ من رزقه بقـدر ما اشـتغل، وقال : إنما أنا عاملٌ للمسـلمين، فإذا اشـتغلت بشىء غير عملهم فلا يحلُّ لى أخذ مالهم »؛ « وكان يعمل الأرسان، كل يوم رسنين، واحدا ينفقه على نفسه و أهله، و آخر يبعث به إلى إخوان له من هل الإسكندريه، لكل واحد منهم رسن، وكان ذلك فى سبيل اللّه(۱)» .

وكما أن العباسيين جعلوا للقاضى منصباً رفيعاً مستقلا فإنهم رفعوا رزقه أيضاً، فكان رزق عبداللّه بن لهيعه الذى ولى القضاء على مصـر من قبـل المنصور عام ۱۵۵ه ثلاـثين ديناراً فى كل شـهر(۲)؛ وكـان رزق المُفضَّل بن فضاله قاضـى مصـر من قبل المهـدى ثلاثين ديناراً فى كل شهر أيضاً، وكان يأخذ عسلا بدل عشره منها(۳).

أما فى عصر المأمون بما كان فيه من كرم فقد أجرى والى مصر على القاضى الفضل بن غانم الذى ولى القضاء عام ۱۹۸ه مائه و ثمانيه و ستين ديناراً فى كل شهر؛ و كان الفضل أول قاض أجرى عليه هذا الرزق الكبير(۴).

ولما تولى مصر عبداللّه بن طاهر، كان مشهوراً بالكرم، قلّد عيسى بن المنكدر

۱- الكندى ص ۳۶۳ ج ۳۶۴ .

۲- نفس المصدر ص ۳۶۹ .

۳- نفس المصدر ص ۳۷۷ ج ۳۷۸ .

۴- نفس المصدر ص ۴۲۱، وفى ص ۴۳۵ أن رزقه كان مائه و ثلاثه و ستين ديناراً، و فى ص ۵۰۷ أن المتوكل أجرى على خلفه مثل رزقه .

القضاء عام ۲۱۲ه؛ و لما عرف أنه مُقِلّ أجرى عليه سبعه دنانير كل يوم، « فجرت فی القضاء إلی الیوم (۱) ».

و يحدثنا المسعودی عن إبراهيم بن جابر القاضی أنه كان ببغداد « يعالج الفقر و يتلقّاه من خالقه بالرضا ناصراً للفقر على الغنى، فما مضت أيام حتى لقيتُه بحلب من جند قنّسرين و العواصم من أرض الشام، و ذلك فی سنه ۳۰۹ه ۹۲۱م، وإذا هو بالضد مما عهدته متولِّيا للقضاء على ما وصفنا، ناصراً و مشرِّفاً للغنى على الفقر .. وقد أخبرت أنه قطع لزوجته أربعين ثوبا تستريا و قصبا و أشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد، و خلّف

مالا عظيما لغيره(۲).

وقد أراد الخليفه الحاكم أن يحول بين القضاه و بين أخذ الأموال بغير حق، فأمر بأن يضعّف للحسين بن على بن النعمان رزقه و صلاته و إقطاعته، و شرط عليه ألا يتعرض من أموال الرعيه لدرهم فما فوقه(۳).

و يحدثنا الرحاله الفارسی ناصر خسرو فی القرن الخامس الهجری أن رزق قاضی القضاه بمصر ألفا دينار فی الشهر(۴).

ويذكر فی ملحق أخبار القضاه للكندی أن دَخل القاضی عبد الحاكم بن سعيد الفارقی فی السنه كان يزيد على عشرين ألف دينار(۵).

۱- نفس المصدر ص ۴۳۵؛ وفی نصوص أخرى : أن رزقه غير ذلك، و يحكى السبكی (ج۲ ص ۳۰۲) نقلا عن ابن زولاق المتوفى عام ۳۸۷ه ۹۹۸ م أن رزق القاضی ابن حربويه الذی عزل عن القضاء سنه ۳۱۱ه ۹۳۳ م كان مائه و عشرين ديناراً فی الشهر .

۲- مروج الذهب للمسعودی ج ۸ ص ۱۸۸ ج ۱۹۰ .

۳- الكندی ص ۵۹۷ .

۴- ناصر خسرو ص ۱۶۱ .

۵- الكندی ص ۶۱۳؛ أما ما ذكر فی س ۴۹۹ من أن دخله كان خمسين ألف دينار فی السنه، فيجب أن يوءخذ على أنه ما يحصل عليه بغير حق. ونجد فی بيان المقريزی (الخطط ج ۱ ص ۴۰۱) لنفقات الفاطميين أن رزق قاضی القضاه كان مائه دينار فی الشهر .

وكان القاضى فى المشرق يعطى رزقه من بيت المال(١)، ولكن عندنا من النصوص ما يدل على أنه كان لا يأخذ شيئاً من رزقه، إما لأنه كان لا يكفيه أو رغبه عن رزق القضاء على سبيل اتقاء الشبهه و الرغبه فى التحرّز؛ و يظهر أن الأمر الأخير هو الحق، فإن الحسن بن عبد اللّه (المتوفى عام ۳۶۹ه ۹۷۸ م) لبث على قضاء مدينه سيراف خمسين عاما، و مع أن هذه المدينه كانت مدينه تجاريه كبيره، فقد كان الحسن يعيش مما يبيعه من منسوخاته المشهوره بجوده خطها(٢)

وقد امتنع قاضى المدينه فى عهد المهدى أن يأخذ رزقا، لأنه لم يرد أن يصيب مالا من هذا المنصب الذى يكرهه(٣)

ولما ولى قضاء القضاه ببغداد محمد بن صالح بن أم شيبان الهاشمى فى سنه ۳۶۳ه ۹۷۲ م وكان يتفقّه لمالك اشترط عند تولى منصبه شروطا منها ألا يتناول على القضاء أجراً، ولا يقبل شفاعه فى فعل مالا يجوز ولا فى إثبات حق، ولا يغير ملبوسه(۴).

وكان على بن المحسن التنوخى المتوفى عام ۴۴۷ه ۱۰۵۵ م قد تقلد قضاء عده نواح، وكان دخلفه كل شهر من القضاء و دار الضرب التى كان يتولاها

١- كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١١٥ .

٢- Huart, Calligr. S. ٧٧.

٣- تاريخ بغداد JR. A. S. ١٩١٢, S. ٥۴ و ج ١١ ص ٢٧٧ من طبعه القاهره سنه ١٩٣١ .

۴- ملحق القضاه للكندى ص ۵٧٣، و ابن الجوزى فى المنتظم ص ١٠۵ ب، ولذلك حكايه أخرى عند السبكى فى طبقاته ج ٣ ص ٨۴ .

مع القضاء ستين ديناراً فى الشهر(۱).

وفى سنه ۳۳۴ه ۹۴۵ م كبس اللصوص دار أحد القضاه ببغداد، و أخذوا جميع ما كان فى منزله و لم يكن شيئاً مذكوراً، لأنه كان مشـهوراً بالفقر؛ و كانوا يقدِّرون أن للقاضـى مالا، فضربوه ليستخرجوه منه، فهرب إلى السطوح ورمى بنفسه إلى ما جاوره فسقط فمات(۲).

وفى سنه ۳۵۲ه ۹۶۳ م تقلّد أبو بشر عم بن أكثم القضاء ببغداد، على ألا يأخذ رزقا(۳).

و كـان للقاضـى أبى الطيب الطبرى عمـامه و قميص بينه و بين أخيه، إذا خرج ذاك قعـد هـذا فى البيت، و إذا خرج هـذا احتاج ذلك أن يقعد(۴).

و كان أبوبكر محمـد بن المظفر الشامى قاضـى قضاه بغداد المتوفى عم ۴۸۸ه ۱۰۹۵ م زاهداً ورعا؛ وقد شـرط عند تولى القضاء ألا يأخذ رزقا؛ وكان له كراء بيت قدره فى الشـهر دينار و نصف، و كان من ذلك قوته، و كان له عمامه من الكتان و قميص من القطن الخشن؛ وكـان له كيس يحمـل فيه فتيت الخبز، فإذا أراد الأكل جعل من الفتيت فى قصـعته، و وضع عليه قليلا من الماء و أكل منه(۵).

و كذلك كان أحمد بن يحيى القاضى الأندلسى يختلف إلى غله كان يعمرها

۱- الإرشاد لياقوت ج ۵ ص ۳۰۲ .

۲- المنتظم ص ۷۵ .

۳- مسكويه ج ۶ ص ۲۵۷ .

۴- ابن خلكان ترجمه رقم ۳۰۶ من طبعه فستنفلد .

۵- طبقات السبكى ج ۳ ص ۸۴ .

بالعمل ليعيش منها(۱).

و يحدثنا بيترمان (Petermann) و هو فى دمشق عام ۱۸۵۲ م : « فى كل سنه يرسَلُ قاضٍ جديدٌ من القسطنطينيه يختاره شيخ الإسلام و يرسله؛ و هو يأخذ نصيباً ثابتاً من تركه كل من يموت (قيل لى إنه الربع، و هو كثير بالطبع)، و يأخذ نصف العشر عن كل قضيه يحكم فيها، و هذا هو المقدار الذى يدفعه كل فرد من رعايا الباب العالى عن القضيه التى يتقدم بها (ولو خسرها).

أما الرعايا الأوربيون فإنهم يدفعون خمس العشر(۲)» .

وفى مراكش اليوم يأخذ القضاه، باعتبارهم عُمَّالا ـ دينيين، أرزاقَهم من الحبوس (الأوقاف الخيريه). ولما كان هذا نادراً فإنهم يتركون لقبول الهدايا من المتحاكمين إليهم(۳).

وفى سنه ۳۵۰ه‍ ۹۶۱ م تقلد أبو العباس بن أبى الشوارب قضاء بغداد، بعد أن وافق على أن يحمل إلى خزانه الأمير معزّ الدوله مائتى ألف درهم فى كل سنه. و كان هذا القاضى « مع قبح فعله قبيح الصوره مشوّهها(۴) »، و قد اتُّهم « بالغلمان و الشهوات و الخمور »(۵)؛ ولكن الأمور لم تَسِر معه على عادتها، فقد

۱- ابن بشكوال ج ۱ ص ۶۰ .

۲- Petermann, Reisen im. Orient, S, ۹۸.

۳- انظر Revue du monde Musulman. XIII S. ۵۱۷.

۴- مسكويه ج ۶ ص ۲۴۹ ج ۲۵۰ .

۵- تذكره ابن حمدون عند أمدروز (فى Amedroz JRAS ۱۹۱۰, S. ۷۸۹)؛ وكان الولع بالغلمان من رذائل القضاه المعروفه (يتيمه الدهر ج ۲ ص ۲۸۸)؛ و من القضاه : من كان مشهوراً باللواط، و منهم من كان مشهوراً بالأبنه (محاضرات الأدباء ج ۱ ص ۱۲۵، و المستطرف ج ۲ ص ۱۹۹)؛ وكان يحيى بن أكثم قاضى قضاه المأمون لواطاً مشهوراً؛ و قد هجا اليحترى (الديوان ج ۲ ص ۱۷۵ من طبعه القسنطينيه) ابن أبى الشوارب قاضى القضاه بمثل هذه الرذيله. وقد ذهب ابن خلدون فى مقدمته إلى نفى ما اتهم به القاضى يحيى بن اكثم من الميل إلى العلمان فليرجع القارىء إلى ذلك إذا أراد .

خُلع علیه من دار السلطان و امتنع الخلیفه من أن یصل إلیه، ولم یأذن له الخلیفه أن یصل إلیه فی یوم موکب ولا غیره؛ ثم عُزل من منصبه بعد عامین، وتولی مکانه أبو بشر عمر بن أکثم المتقدم الذکر و أعفی مما کان یحمله ابن أبی الشوارب، و أمر بألا یمضی شیئاً من أحکام ابن أبی الشوارب و سجلاته، لأنه اشتری منصبه شراء(۱).

وقد کان القاضی توبه بن نمر الحضرمی المتوفی عام ۱۲۰ه ۷۳۸ م أول قاض بمصر وضع یده علی الأحباس؛ و إنما کانت الأحباس فی أیدی أهلها و أیدی أوصیائهم، فأراد توبه أن یضع یده علیها حفظا لها، « فلم یمت حتی صارت الأحباس دیواناً عظیما »(۲)؛ وکان القاضی إلی جانب هذا یتولی أموال الیتامی؛ و منذ عام ۱۳۳ه ۷۵۱ م أورها القاضی خیر بن نعیم بیت المال و سجّل فی کل مال منها سجلا بما یدخل منها و ما یخرج(۳).

وفی سنه ۳۸۹ه ۹۹۹ م توفی القاضی محمد بن النعمان، فوُجد علیه من أموال الیتامی سته و ثلاثون ألف دینار، فأمر الخلیفه الحاکم بأمر اللّه أن تُصادر أمواله، و أرسل فهد النصرانی، کاتب الوزیر، فاحتاط علیها، و شرع فی البیع و فی تغریم الشهود الذین کانت الودائع تحت أیدیهم (وهم خیار أهل البلد) إلی أن

۱- مسکویه ج ۶ ص ۲۴۹، ۲۵۷، و ابن الأثیر ج ۸ ص ۴۰۰، ۴۰۷ .

۲- الکندی ص ۳۴۲ .

۳- نفس المصدر ص ۳۵۵ .

تحصل نصف الـدين؛ و أمر الحاكم ألا يودع بعـد ذلك عنـد أحد الشـهود مالُ يتيم و لا غائب؛ و أفرد موضع يوضع فيه المال و يختم عليه أربعه من الشهود لا يفتح إلا بحضورهم(١).

ولم يـدخل فى اختصاص القاضـى النظر فى المواريث بصوره نهائيه إلا فى القرن الرابع الهجرى(٢)، ثم صار إليه أخيراً الإشراف على سـجون البلاـد التى يلى قضاءهـا، و اختص القضـاه من ذلـك بما سـمى « حبوس القضاه »، وهى الخاصه بمن يحبس لـدين عليه، و ذلـك فى مقابل حبوس المعونه التى يحبس فيها أصـحاب الجنايات. وفى سـنه ٤٠٢ه‍ ١٠١١ م أمر فخر الـدوله ليله الفطر بتأمـل من فى حبوس القضـاه، فمن كـان محبوساً على دينـار إلى عشـره أطلق، وما كان أكثر من ذلك كُفل، و أخرج ليعود بعد التعييد، و أوعز بتمييز من فى حبس المعونه، فمن صَغُرت جنايته أطلق و وقعت توبته(٣).

و كانت عاده المتحاكمين أن يتقـدموا للقاضـى برقاع فى الرقعه منها اسم المدّعِى و اسم خصـمه و أبيه؛ وكان الكاتب يأخذ هذه الرقاع عند باب المسـجد قبل مجىء القاضى، ولا يزال يأخذها حتى يحضر القاضى؛ و إذا كانت الرقاع كثيره لا يقدر القاضى أن يدعو بها كلها فى يوم، فرّقها فى كل يوم خمسين رقعه أو أكثر من ذلك على قدر طاقته فى الجلوس و الصبر(٤).

و كانت جلسات القاضى للحكم علنيه؛ وقد خاصم رجلٌ المأمونَ مره، و أذن

١- ملحق الكندى ص ٣٩٥ .

٢- انظر الفصل الخاص بالأمور الماليه (الفصل الثامن) .

٣- المنتظم لابن الجوزى ص ١٥٧ ب .

٤- كتاب أدب القاضى مخطوط بمكتبه ليدن رقم ٥٥٠ ص ٩ .

المأمون للقاضـی یحیی بن أکثم فی القضاء بینهما فی دار الخلافه؛ فقال القاضـی : فإنی أبدأ باعامه أولا لیصح المجلس للقضاء، ثم أمر بفتح الباب وقعد فی ناحیه

من دار الخلافه، و أذن للعامه فی الدخول و نادی المنادی و أخذ الرقاع و دعا بالناس؛ ثم قضی بین الخلیفه و خصمه(۱).

ومن أجـل أن جلسـات القضـاء کـانت علنیه، فقـد کـان القاضـی فی أول الأمر یجلس فی مکان لا یمنع أحـد من المسـلمین من الـدخول إلیه، و هو المسـجد الجـامع حیث کان یجلس مسـتنداً إلی أسـطوانه من أساطین المسـجد(۲)؛ و کذلک کان القاضـی یجلس أحیاناً للقضـاء فی داره، و یحکی عن خیر بن نعیم الـذی تولی قضاء مصـر عام ۱۲۰ ه ۷۳۸ م أنه کان له مجلس یشـرف علی الطریق علی باب داره، فکان یجلس فیه فیسمع ما یجری بین الخصوم من الکلام(۳).

وقد ولی قضاء مصر إبراهیم بن الجراح سنه ۲۰۵ه ۹۱۹ م، وقد سخط المصریون علیه، وکان مُصَلّاه موضوعاً فی المسجد الجامع. فجـاء المصـریون و ألقون فی الطریق. فجلس للحکم فی منزله، ولم یعـد للمسـجد الجـامع حتی صُـِرف. ولم یکن هـذا القاضـی بالمـذموم فی أول الأمر، حتی قـدم علیه ابنه من العراق؛ فأفسـد أموره و خـدعه و أخـذ الرشا من الناس، فسـخط المصـریون علی القاضی(۴).

ولما ولی القاضی هرون بن عبداللّه قضائ مصر سنه ۲۱۷ه ۸۳۲ م جعل

۱- المحاسن و المساویء للبیهقی طبعه شقالی ص ۵۳۲ .

۲- الأغانی ج ۱۰ ص ۱۲۳ .

۳- الکندی ص ۳۵۱ .

۴- الکندی ص ۴۲۸ .

مجلسه فی الشتاء فی مقدَّم المسجد، و استدبر القبله، و أسند ظهره بجدار المسجد، « و منع المصلین أن یقربوا منه، و باعد کتّابه عنه، و باعد الخصوم، وکان أول من فعل ذلک» . و اتخذ مجلساً للصیف فی صحن المسجد و أسند ظهره للحائط الغربی(۱).

وقد رأی أهلُ السنه بعد انتصارهم حوالی منتصف القرن الثالث الهجری أن جلوس القاضی فی المسجد ینافی ما یجب

لبیوت اللّه من الحرمه، فأمر المعتضد سنه ۲۷۹ه ألا یقعد القضاه فی المسجد(۲).

ولکن هذا الأمر لم یثمر إلا قلیلا، فقد کان قاضی القضاه ببغداد حوالی عم ۳۲۰ه ۹۳۲ م یجلس للقضاء فی داره(۳)؛ أما فی مصر فکان القاضی یجلس للقضاء فی داره أحیاناً، و فی الجامع أحیاناً أخری(۴).

و لما تولی أبو عمر محمد بن الحسین البسطامی (المتوفی عام ۴۰۷ه ۱۰۱۶ م)قضاء نیسابور أجلس فی مجلس القضاء فی المسجد فی الساعه التی قُریء فیها عهده(۵).

۱- نفس المصدر ص ۴۴۳ ج ۴۴۴ .

۲- أبو المحاسن طبعه لیدن ج ۲ ص ۸۷. غیر أن کلمه قاض فی هذا النص محرفه عن کلمه قاصّ، بدلیل أن القصاص هم الذین منعوا من القعود فی المساجد؛ و فی النص أیضاً أنه منع معهم أصحاب النجوم؛ و یوءید هذا تاریخ الطبری ج ۳ ص ۲۱۳۱، ۲۱۶۵ من الطبعه الأوربیه (عام ۲۷۹، ۲۸۴ه) (المترجم) .

۳- طبقات السبکی ج ۲ ص ۱۹۴ .

۴- نفس المصدر ج ۲ ص ۱۱۴ .

۵- نفس المصدر ج ۳ ص ۵۹ .

يقول المعرى شاكياً حال العدول و سوء فعلهم(١):

فى البدو خُرّابُ أذواد مسوَّمهٍ *** وفى الجوامع والأسواق خُرّابُ

فهوءلاء تسمّوا بالعدول أو التجار *** واسم أولاك القوم أعرابُ

ويقول فى العدول فى موضع آخر(٢):

عدول لهم ظلم الضعيف سجيهً يسمّون أعراب القرى و الجوامع

أما فى عصر الفاطميين فكان قاضى القضاه بالقاهره يجلس السبت و الثلاثاء بزياده جامع عمرو بن العاص على طراحه و مسند حرير. وكان الشهود يجلسون حواليه يمنه و يسره بحسب تاريخ عدالتهم؛ و بين يديه خمسه من الحجاب، اثنان بين يديه، و اثنان على باب المقصوره، و واحد ينفذ الخصوم إليه؛ و أمامه كرسى الدواه، وهى دواه محلاه بالفضه تُحمل إليه من خزائن القصور(٣).

وكان المتحاكمون إلى القاضى فى العصر الأول يبسطون قضيتهم و هم وقوف بين يديه، وقد أنى الأمير الأموى عبدالملك بن مروان النصيرى إلى القاضى خير ابن نعيم يخاصم ابن عم له، فقعد على مفرش القاضى، فقال له القاضى: قم مع ابن عمك، فغضب الأمير، وقام ولم يخاصم(٤).

ثم صار الرسم أن يجلس المختصمون بين يدى القاضى صفًّا متساوين.

وقد وقع بين أم المهدى و بين أبى جعفر المنصور خصومه؛ فقالت لا أرضى إلا بحكم غوث بن سليمان، وكان هذا قاضيا على مصر من قِبَل المهدى؛ فحُمل

١- Kremer, ZDMG, ٣٠ S. ٤٩.

٢- Kremer, ZDMG, ٣١ S. ٤٧٨.

٣- الخطط للمقريزى ج ١ ص ٤٠٣.

٤- الكندى ص ٣٦٥.

إلی العراق للحکم بینهما، فوکّلت أم المهدی عنها وکیلا جلس أمام القاضی، فطلب القاضی من أمیرالموءمنین أن یساوی خصمه فی مجلسه فانحطّ عن فرشه، و جلس مع الخصم؛ و بعد النظر فی القضیه حکم القاضی لأم المهدی علی أمیرالموءمنین(۱).

وقد جاء فی مصدر أن المأمون شکاه رجل إلی القاضی یحیی بن أکثم، فنودی الخلیفه لیجلس مع خصمه، فأقبل، و معه غلام یحمل مُصَلّی، فأمره القاضی بالجلوس، فطرح المصلی لیقعد علیه، فقال له یحیی : یا أمیرالموءمنین! لا تأخذ علی خصمک شرف المجلس، فطرح للخصم مصلی آخر فجلس علیه(۲).

وقد خوصم مولی السیده زبیده، زوجه الرشید، ووکیلها إلی القاضی محمد بن مسروق؛ فأمر بإحضاره، فجلس متربعاً، فأمر به ابن مسروق فبطح و ضُرب عشراً(۳)؛ هذا مع أنه وکیل السیده ذات النفود العظیم.

وقد تعرض أهل النظر للبحث فی جمیع الأمور الصغیره التی قد توءثر علی عداله القاضی؛ هل یجوز للمتخاصمین أن یسلّموا علی القاضی؟ إذا سلم علیه أحد الخصمین فقال : « السلام علیکم » ینبغی للقاضی أن یقول : « وعلیکم »، ولا یزید علی ذلک شیئا، لأن هذا یکفی؛ أما إن قال : « وعلیکم السلام » فإن کلمه السلام زیاده فی الجواب. ولهذا ذهب قوم إلی أنه لا ینبغی للخصوم أن یسلّموا علی القاضی(۴).

۱- نفس المصدر ص ۳۷۴ ج ۳۷۶ .

۲- المحاسن و المساویء للبیهقی ص ۵۳۳ .

۳- الکندی ص ۳۹۲ .

۴- أدب القاضی مخطوط لیدن رقم ۵۵۰ ص ۲۲ .

وكذلك شدد أهل العداله على القاضى فى ألا يوءثر على المتخاصمين أقل تأثير، فلا يصيح على أحدهم ليستخرج منه الإجابه التى يريدها(١).

وقد كانت هذه المعامله اللينه من القضاه لمن يختصم إليهم و عجز القضاه أحياناً عن إلزام أحد الخصمين بإعطاء المال لصاحبه، سبباً فى أن اختُرِعَت عند أهل الفكاهه بمصر قصه القاضى النطَّاح الذى ثبِّت فى قلنسوته قَرنى ثور لينطح بهما المعاند من المتخاصمين. وقد سمع الخليفه الحاكم بذلك، فلام القاضى على ما فعل، فطلب القاضى من الخليفه أن يجلس وراء الستار فى مجلس القضاء ليرى بنفسه مقدار بلاده الناس؛ فحضر الخليفه، و مثل بين يدى القاضى خصمان يطالب أحدهما الآخر بمائه دينار؛ فاعترف المدَّعى عليه بالدَّين، ولكنه طلب أن يدفعه مقسّطا؛ فاقترح القاضى فى أول الأمر دن يدفع عشره دنانير فى كل شهر، ولكنه اعترض فخفض القاضى ذلك إلى خمسه دنانير، ثم إلى دينارين، ثم إلى دينار، ثم نصف دينار، فأظهر العجز؛ و أخيراً سأله القاضى أن يبين ما يستطيع أن يدفعه، فقال إنه يدفع ربع دينار فى كل عام؛ و لكنه شرط أن يبقى خصمه فى السجن، لأنه إن أطلق و عجز هو عن أداء ما عليه فر بما قتله. عند ذلك سأل الحاكمُ القاضى : كم نطحته؟ فقال : واحده، فقال الحاكم : انطحه مرتين، أو انطحه مره و أنا أنطحه الأخرى(٢)

١- فلا يضحك فى وجه أحدهما أو يسارّه، أو يومىء إليه بشيء دون خصمه لئلا ينكسر قلب أحدهما و يقعد عن الحجه تاركا الحق لصاحبه؛ و يجب عليه أن يدنى الضعيف حتى يشتد قلبه، و يتعهد الغريب حتى يقوى فى المطالبه بحقه، هذا و لا يجوز له أن يمازح الخصوم، ولا أن يفعل ما ينافى هيبه القاضى. (المترجم) .

٢- de Sacy, Relegio des Druss, CCCCXXVIII.

وكان القاضـى يلبس السواد على هيئه عمّال بنى العباس؛ وكان المفضل بن فضاله قاضى مصر من قِبَل المهدى عام ۱۶۸ه ۷۸۴ م يعتمّ بعمامه سوداء على قلنسوه طويله(۱).

و لما ولى الحارث بن مسكين قضاء مصر عام ۲۳۷ه ۸۵۱ م طُلب إليه أن يلبس السواد، فامتنع فخوّفه أصحابُه سطوةَ السلطان به، وقالوا به : يقال إنك من موالى بنى أميه، فأجابهم إلى لباس كساء أسود من الصوف(۲).

وفى غضون القرن الثالث الهجرى كانت القلنسوه، و تسمى أيضاً الدّنّيه فى لغه للمستهزئين، هى لباس القضاه الذى يميزهم؛ وكانت تُلبس مع الطيلسان(۳).

ولما صُرِف القاضى أحمد التنوخى عن القضاء، ثم أعيد إليه قال : أحب أن يكون بين الصرف و القبر فرجه، ولا أنزل من القلنسوه إلى الحفره(۴).

وقد شبّه أحد الكتّاب رجلا فقد المَلاحه فقال مثل قاض بلا دنّيه(۵).

و كان ببغداد فى سنه ۳۶۸ه ۹۷۸ م قاض يعرف بأحمد بن سيار، و كانت له هيبه وجبَّه مهوله و لحيه طويله، فقدم إليه امرأتان ادّعت إحداهما على

۱- الكندى ص ۳۷۸ .

۲- نفس المصدر ص ۴۶۹. وكان محمد بن بشير قاضى قرطبه فى عهد الخليفه الحكم حسن الهيئه نظيف الملبس، و كان يخرج إلى المسجد و يقعد للحكم فى إزار مورد و لمه مفرقه، (أخبار مجموعه ص ۱۲۷، البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى ج ۲، ص ۸۱ طبعه ليدن) .

۳- الأغانى ج ۱۰ ص ۱۲۳ و الإرشاد لياقوت ج ۱ ص ۳۷۳، ج ۶ ص ۲۰۹، و رسائل الهمذانى ص ۱۶۸ و ملحق الكندى ص ۵۸۶ .

۴- الإرشاد لياقوت ج ۱ ص ۹۲ .

۵- كتاب الديارات للشابشتى ص ۸۱ .

الأـخرى، فقال لهـذه : ما تقولين فى دعواها؟ قالت : أفزع، أيـد اللّه القاضــى. قال : مماذا، قالت : « لحيه طولها ذراع، و وجه طوله ذراع، و دنّيه طولها

ذراع، فأخذتنى هيبتها»؛ فوضع القاضى دنيته، و غطى بكمّه لحيته، و قال:

قد نقصتك ذراعين، أجيبينى عن دعوتها(۱).

و كان قضاه الفاطميين يحملون سيفاً(۲).

و كان موظفو ديوان قاضى القضاه ببغداد فى سنه ۳۳۶ه هم:

الكاتب،وقد رُتّب له فى كل شهر ثلثماته درهم.

الحاجب،ورزقه مائه و خمسون درهماً فى الشهر.

و من يعرض الأحكام، و راتبه فى الشهر مائه درهم.

و خازن ديوان الحكم و من معه من الأعوان، و لهم ستمائه درهم(۳).

و منذ عهد الخليفه المنصور ظهر أكبر ما يستنفت النظر فى النظام القضائى، و هو إيجاد جماعه من الشهود الدائمين أمام القاضى؛ و يخبرنـا الكنـدى و هم موءرخ ثقه، عن نشأه الشـهود، فيقول: كان القضاه إذا شـهد عنـدهم أحـدٌ، و كان معروفاً بالسـلامه، قبله القاضى؛ و إن كان غير معروف بها أوقف، و إن كان الشاهد مجهولا

۱- تاريخ الإسـلام المذهبى فى مجله الجميعيه الأسـيويه الملكيه(JRAS, ۱۹۱۱ p.۶۶۹, Note, I) والظاهر أن قضاه مصـر فى النصف الأول من القرن الرابع كانوا يلبسون طيلساناً أزرق(كتاب الـديارات ص ۱۳۱)؛ و كذلك كان أحد القضاه ببغداد حوالى عام ۴۰۰ه يلبس طيلسانـاً أزرق(الإرشـاد لياقوت ج ۵ ص ۲۶۱)، و كـذلك كان العـدول يلبسون قلانس سوداء طويله، و يسـخر أحد شعراء القرن الرابع من القلانس، فيشبه قلنسوه القاضى بأنها غراب نوح بلا جناح(انظر محاضرت الأدباء ج ۱ ص ۱۲۹) .

۲- ملحق الكندى ص ۵۸۹، ۵۹۶، ۵۹۷ .

۳- نفس المصدر ص ۵۷۴، و المنتظم لابن الجوزى ص ۱۰۵ ب. .

لا یعرف سُئِل عنه جیرانه، فما ذکروه به من خیر أو شر عُمل به؛ حتی کان غوث بن سلیمان فی خلافه المنصور، فکان أول من سأل عن الشهود بمصر فی السرّ، و کان سبب ذلک کثره شهاده الزور فی زمن غوث، و کان من عُدّل عنده قبله، ثم یعود الشاهد واحداً من الناس، ولم یکن أحد یوسم بالشهاده ولا یشار إلیه بها(۱).

ثم إن القاضی المفضل بن فضاله عین رجلا یسمی صاحب المسائل لیسأل عن الشهود و یشهد علیهم؛ و کان المفضل أول من استعمل هذا العامل، فتحدث الناس أنه کان یرتشی من أقوام لیذکرهم بالعداله(۲).

ثم جاء القاضی العمری علی قضاء مصر من قبل الرشید سنه ۱۸۵ه ۸۰۱ م فاتخذ الشهود« وجعل أسماءهم فی کتاب، و هو أول من فعل ذلک، و دوّنهم و أسقط سائر الناس؛ ثم فعلت القضاه ذلک من بعده حتی الیوم»(۳).

وقد سخر الشعراء من هذا القاضی لأنه اتخذ من أهل المدینه من موالی قریش و الأنصار و غیرهم نحواً من مائه شاهد(۴)، ثم أسقط جمعاً منهم، و حط علیهم نحواً من ثلاثین رجلا ممن ألب علیه من الفرس(۵).

و من الشهود نشأت بطانه القاضی، وقد أمر القاضی لهیعه بن عیسی الذی تولی القضاء بمصر عام ۱۹۹ ه صاحب مسائله أن یجدّد السوءال عن القود و الموسومین بالشهاده فی کل سته أشهر، لیقف من حدثت له جرحه؛ و اتخذ من

۱- الکندی ص ۳۶۱.

۲- نفس المصدر ص ۳۸۵.

۳- نفس المصدر ص ۳۹۴.

۴- الکندی ص ۳۹۵ ج ۳۹۶.

۵- نفس المصدر ص ۴۰۲.

بین الشهود قوماً جعلهم بطانته، و کانوا نحواً من ثلاثین رجلا(۱).

وقد اهتم أحد القضاه، و هو عیسی بن المنکدر الذی تولی القضاء عام ۲۱۲ه، بأمر الشهود اهتماما کبیراً، فکان یتنکر باللیل، ویغطی رأسه، و یمشی فی السکک لیسأل عن الشهود(۲).

و نجد فی عهدٍ بولایه القضاء فی کتاب الخراج لقدامه بن جعفر أن التثبت فی شهاده الشهود و المبالغه فی المسأله عنهم، و الفحص عن وجوه عدالتهم، و البحث عن حالاتهم، من أهم واجبات القاضی(۳).

و کان عضد الدوله لا یجعل للشفاعات طریقا، و یحکی أن مقدّم جیشه شفع فی بعض أبناء العدول لیتقدم إلی القاضی لیسمع تزکیته، و یعدّله، فقال عضد الدوله : «لیس هذا من أشفالک، إنما الذی یتعلق بک الخطاب فی زیاده قائد و نقل مرتبه جندی و ما یتعلق بهم، و أما الشهاده و قبولها، فهو إلی القاضی و لیس لنا و لا لک الکلام فیه»(۴).

و یحکی أن الخلیفه الحاکم جری فی هذه المسأله، مسأله العدول، علی ما عرف عنه من فعل الشیء ثم نقضه؛ ففی سنه ۴۰۵ه ۱۰۱۴ م سأله جماعه من المصریین أن یوءهّلهم للعداله، فأذن لهم فی ذلک، و تشبّه بهم غیرهم فی سوءاله، حتی بلغ عدد العدول ألفا و مائتین و نیفا؛ فأعلمه قاضی القضاه أن کثیراً منهم لایستحقون العداله، ولا یوثق بهم فی شهاده؛ فأذن له، علی حسب عادته،

۱- نفس المصدر ص ۴۲۲ .

۲- نفس المصدر ص ۴۳۷ .

۳- مخطوط باریس رقم ۵۹۰۷ ص ۱۲ ب .

۴- ابن الأثیر ج ص ۱۵۹ .

بتصفحهم و إقرار من یری إقراره منهم(۱).

و لما کان هوءلاء العدول یختارهم القاضی و یعَدّ لهم بنفسه؛ فإنهم کانو یقولون بعزله أو موته (۲).

و کان القاضی إسماعیل بن عبدالواحد، قاضی مصر سنه ۳۲۱ه ۹۳۳ م یازم الشهود أن یرکبوا معه(۳).

و حوالی ذلک الوقت کان الرسم أن یجلس مع القاضی عند نظره فی القضایا أربعه شهود، اثنان یجلسان عن یمینه و اثنان عن یساره(۴).

و فی القرن الرابع الهجری نجد الشهود قد أصبحوا نوعاً من العمال الثابتین بعد أن کانوا فی أول الأمر من حاشیه القضاه الأمناء الذین یوثق بشهادتم. وهذا القرن أیضاً هو الذی أوجد هذا النظام الذی لایزال باقیاً إلی الیوم و أحله محل النظام الإسلامی القدیم، بل نجد أن القاضی النمیمی فی القرن الثالث الهجری بالبصره قد عین فی أثناء ولایته سته و ثلاثین ألف شاهد، منهم عشرون ألفاً لم یشهدوا بعد تعیینهم، فلم یحظوا بشرف منصبهم(۵).

۱- یحیی بن سعید مخطوط باریس ص ۱۲۴ ج ب، و ملحق الکندی ص ۶۱۲ .

۲- الأحکام السلطانیه للماوردی ص ۱۲۸ .

۳- ملحق الکندی ص ۵۴۵ .

۴- نفس المصدر ص ۵۵۲، ۵۶۰، ۵۶۹، ۵۹۰ .

۵- Amedeoz, JRAS, ۱۹۱۰, ۷۷۹ ff ، نقلا عن نشوار المحاضره للتنوخی مخطوط باریس.انظر أیضاً رسائل الصابی ص ۱۲۲ . و یسمی کبیر الشهود مقدمهم (کندی ص ۵۸۸، ۵۸۹) و قد تکلم المسعودی(مروج ج ۸ ص ۳۷۸)، وهو بمصر عام ۳۳۳ه عن الشهود ببغداد، وقد سمی الشهود فی خراسان و المغرب فی النصف الثانی من القرن الرابع بالعدول(یتیمه الدهر ج ۳ ص ۲۳۳، و مسکویه فی مواضع کثیره، و قاموس دوزی، و مقدمه ابن خلدون ترجمه دی سلان ص ۴۵۶) وقد بقیت هذه النسمیه بمراکش إلی الیوم(انظر مجله العالم الإسلامی Revue du monde musulman, XIII, ۵۱۷ ff، أما الشهود الذین لایقومون بالشهاده و یرشحون لها فیسمون الموسومین بالعداله (الکندی ص ۴۲۲ و رسائل الصابی ص ۱۲۲) .

وكان ببغداد حوالى عام ٣٠٠ه‍ ٩١٢ م نحو من ألف و ثمانمائه شاهد.

و فى سنه ٣٢٢ه‍ ٩٣٤ م أكثر الشهودُ التردّدَ على القاضى محمد بن موسى بمصر، فقال لهم : مالكم معاش عندنا، فلا يجىء أحد منكم إلا لحاجه أو لشهاده(((٢٠١٢))). لكأن الشهود أرادوا أن يكونوا موظفين، ولكن القاضى كان على الرأى القديم فى أمر الشهود.

و فى سنه ٣٨٢ه‍ ٩٩٢ م بلغ عدد الشهود ببغداد ثلاثمائه و ثلاثه، و لكن هذا العدد كان يعتبر كثيراً(١)، و فى أواخر القرن الرابع أنقص قاضى القضاه بالقاهره عدد الشهود(٢).

وقد أوصى الدمشقى التاجر الماهر أن يحتاط فى شهاده من يشهودون على العقود التى يريد إمضاها، فيسأل عنهم إن لم يكن خبيراً بهم، حتى يعرف المشهورين بالأمانه و النزاهه فى الدين و اليسار فيأخذ بشهاداتهم؛ و ذلك لأنه فى أكثر الأوقات يدخل فى الشهود من لا يستحق منزله العداله لعنايه به أو جاه

١- الكندى ص ٥٤٩، و أمدروز Amedroz, JRAS. ١٩١٠ S. ٧٨٣. نقلا عن رفع الإصر لابن حجر مخطوط باريس رقم ٢١٤٩ ص ١٢٨ .

٢- رفع الإصر، ص ٢٨، الكندى ص ٥٩٦ .

بعض أقار به و يلبث مده، ثم ربما حدث أمر آخر فيسقط الشاهد و تضيع قيمه الكتاب أو العقد الذى شهد عليه(۱).

و كـان يتوب عن القاضـى شاهـدٌ فى كـل محكمه من المحاكم الخمس الصـغرى ليحكم فيها باعتباره قاضـياً مسـتقلا يحكم فى القضايا الصغيره(۲).

و كان الشـهود فى عصر لين Lane يجلسون فى دهليز المحكمه الكبرى، و يقـدّم الشاكى قضـيه لمن يجده غير مشـغول منهم، فيقيدها هذا، و يأخذ عن تقييدها قرشاً أو أكثر، فإن كانت القضـيه صغيره، و رضى المدعى عليه بحكم الشاهد حكم هذا فيها، و إلا أدخَلَ الخصمين إلى القاضى.

وقد أوصى الخليفه الطائع فى عهده لقاضى القضاه(۳) أبى محمد بن معروف، و هو العهد الذى كتبه الصابى فى سنه ۳۶۶ه ۹۷۶ م، وصيه متكرره بالإكثار من تلاوه القرآن و أن يتخذه إماماً يهتدى ب آياته، و بالمحافظه

۱- الإشاره إلى محاسن التجاره لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ص ۳۵ ج ۳۶ من طبعه مصر ۱۳۱۸ه .

۲- خطط المقريزى ج ۱ ص ۳۳۳ (؟) .

۳- يقال إن أول من لقب لهذا اللقب هو أبو يوسف قاضـى الرشيد الذى كان يرشح القضاه للتعيين بالبلاد(خطط المقريزى ج ۲ ص ۳۳۳)؛ و كـان يحيى بن أكثم قاضـى المأمون يمتحن القضاه الـذين يراد توليتهم (طيفور فى كتاب بغـداد ص ۲۵۸)؛ فكان يسألهم فى مسائل مشـكله من الشريعه، و كان مما امتحن به رجلا أنه سأله : ما تقول فى رجلين زوج كل واحد منهما للآخر أمه، فولد لكل واحد من امرأته ولد، ما قرابه ما بين الولدين، فلم يعرفها، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه (عيون الأخبار طبعه بروكلمان ص ۸۶)؛ و كان يعين قاض من كل مذهب من المذاهب الأربعه و ذلك بعد عصـر الحروب الصليبيه ج انظر كتاب زبـده كشف الممالك للظاهرى طبعه essiavar ص ۹۲ . وفى سنه ۶۶۴ه ضم الملك الظاهر بيبرس القضاه الثلاثه إلى الشافعيه، بعد أن كان القضاه للشافعيه مصراً و شاما (طبقات السبكى ج ۲ ص ۱۷۴) .

على الصلوات فى أوقاتها، و بالجلوس للخصوم و فتح بابه لهم على العموم،و أن يوازى بين الفريقين المتحاكمين إليه، و لا يحابى مليا على ذمّى. و أمره بالقصد فى مشيته، و بالغض من صوته، و حذف الفضول من لفظه، و أن يخفف من حركاته و لفتاته، و يتوقر من سائر جنباته و جهاته، و أن يستصحب كاتبا دَرِبابالمحاضرات و السجلات، ماهراً فى القضايا و الحكومه غير مقصر عن القضاه المستورين و الشهود المقبولين فى طهاره ذيله و نقاء جيبه، و حاجباً سديداً رشيداً لا يسِفُّ إلى دنيئه و لا يقبل رشوه، و لا يلتمس جُعلا، و خلفاء يرد إليهم ما بعد من العمل عن مقره و أعجزه أن يتولى النظر فيه بنفسه، و يجعل لكل من هذه الطوائف رزقاً يكفه و يكفيه، و أن يبحث عن أديان الشهود و يفحص عن أماناتهم؛ وأمره أن يضبط ما يجرى فى عمله من الوقوف الثابته فى ديوان حكمه، و يحتاط على أموال الأيتام و يسقدها إلى أعف و أوثق القوّام؛ و أمره إن ورد عليه أمر يعييه الفصل فيه أن يردّد إلى كتاب اللّه، فإن وجد فيه الحكم و إلا ففى السنّه، فإن أدركه و إلا استفتى ذوى الفقه و الفهم و أهل الدرايه، و أمره ألا ينقض حكما حكم به من كان قبله إلا إذا كان خارجاً عن الإجماع و أنكره جميع العلماء، عند ذلك ينقضه نقضاً يشيع و يذيع(۱).

و هذا الإجماع الذى ينعقد من جماعه العلماء الذين لا يخضعون للسلطنه

۱- رسائل الصابى ص ۱۱۵ و ما بعدها؛ و فى أوائل القرن الرابع الهجرى حكم القاضى بفسخ زواج بكر كرمت زوجه، لأن أباعا لم يكن قد استأذنها عند العقد، فأراد الزوج جمع كلمه الفقهاء على صحه النكاح، و أخذ خطوطهم بصحه العقد، و خشى القاضى من اجتماع كلمه الفقهاء على نماد حكمه، فأشار عليه صديق له أن يسجل حكمه يفسخ النكاح و يشهد بذلك. فأفسد على الزوج و على الفقهاء تدبيرهم(ملحق الكندى ص ۵۶۶) .

أخرى هو المحكمه الإسلاميه العليا، وهوءلاء العلماء الذين يبدون رأيهم فى ميدان الأحكام القضائيه الهامه هم المظهر الذى أثبتت فيه الديمقراطيه الإسلاميه وجودها، لأن الحكم الأعلى هنا يصدر عن جماعه المسلمين.

و كان فى الحياه الديوانيه نزعه قويه إلى جعل المناصب وراثيه من الأب إلى الابن؛ و أظهر ما كان ذلك فى مناصب القضاء. ففى القرنين الثالث و الرابع تقلد قضاء القضاه من أسره واحده هى أسره أبى الشوراب ثمانيه رجال ببغداد، هذا عداسته عشر قاضياً آخرين من هذه الأسره(۱)

و ظل بنو أبى برده منذ حوالى عام ۳۲۵ه ۹۳۷ م يتقلدون قضاء القضاه بفارس أجيالا كثيره، كما ظلوا قروناً كثيره منذ ۴۰۰ه قضاه فى غزنه(۲)

و كذلك توارث آل النعمان قضاء القضاه ثمانين سنه فى عهد الفاطميين بمصر(۳)

وقد زات شوكه هذه الأسر التى توارثت القضاء زياده هائله، و ذلك لأن نظام الاستخلاف فى المناصب ظهر فى القضاء، كما كان فى مناصب الولايه و حكم الأقاليم، و نجد فى صور المخاطبات التى ترجع إلى أوائل القرن الرابع الهجرى أنه كان بمصر قاض واحد، و أن فارس و الأهواز كانا يجمعان لقاض واحد(۴).

۱- انظر ما حكاه Amedroz, ۱۹۱۰, S. ۷۸۰،نقلا عن تذكره ابن حمدون، مخطوط لندن؛ و انظر أيضاً المنتظم لابن الجوزى ص ۱۷۴ ب .

۲- ابن البلخى JRAS, ۱۹۱۲, S. ۱۴ f.

۳- Gottheil, a distinguished family of fatimide Cadis in the tenth century, JAOS, ۱۹۰۶. S. ۲۱۷ ff.

۴- كتاب الوزراء ص ۱۵۷ .

وكان القاضى عبد الجبار قاضى قضاه بنى بوريه يجمع بين قضاء الرى و همذان و الجبال(۱).

و كان قاضى مكه فى سنه ۳۳۶ه‍ ۹۴۷ م له قضاء مصر و غيرها(۲).

وفى عهد الفاطميين كان ربما جمع قضاء الديار المصريه و أجناد الشام و بلاد المغرب لقاض واحد(۳).

و نجد فى العهد الذى كتب لقاضى القضاه محمد بن صالح الهاشمى سنه ۳۶۳ه‍ ۹۷۴ م ما يجعله قاضياً على المملكه الإسلاميه كلها تقريباً من البلاد الواقعه غرب جبال فارس إلى مصر، و كان تحته حكام فى البلاد عُهدَ إليه فى تصفح أحوالهم و استشراف ما يجرى من الأحكام فى سائر النواحى(۴)

و كان هناك إلى جانب القضاه النظرُ فى المظالم، و كان الناظر فى المظالم ينظر فى كل « حكم يعجز عنه القاضى، فينظر فيه من هو أقوى من يداً(۵)».

و كان القضاء و النظر فى المظالم يقومان جنباً لجنب فى جميع البلاد الإسلاميه(۶)

۱- الإرشاد ج ۲ ص ۳۱۴ .

۲- مروج الذهب المسعودى ج ۹ ص ۷۷ .

۳- صبح الأعشى ج ۳ ص ۴۸۶ من طبعه دار الكتب المصريه .

۴- المنتظم ص ۱۰۵ ب .

۵- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۲۰۷، و إنى لأنتفع فى هـذا المقام مع الشـكر ببحث امـدروز Amedroz, JRAS, ۱۹۱۱, S, ۶۳۵ ff.

۶- فيما يتعلق بالتركستان انظر Schwarz, Turekstan, ۲۱۰، أما فى مصر فى عهد محمد على ناظر Lane, Manners and Customs... فى أول الفصل التاسع و فيما يتعلق بمكه انظر Snouck Hurgronje, Mekka, ۱, ۱۸۲ .

و لكن اختصاص كل من هـذين القضاءين لم يحَدّد تحديـداً دقيقاً؛ و كانت المسأله الهامه دائماً هى هـذه: أيهما أقوى: سـلطان الإسلام الذى يمثله القاضى أم السلطه الدنيويه؟ و كانت الأمور المتعلقه بالحدود تقدم إلى صاحب المظالم(۱)

وكان القاضى أحياناً ينظر فى المظالم، و كان قاضى القضاه بنوع خاص ينظر فى المظالم بدار السلطان(۲).

و كان الوزير هو الذى يعين أصحاب المظالم فى البلاد(۳).

و قد حاول رجال الشرع مرتين فى القرن الرابع اهجرى أن يشرفوا على أعمال الشرطه؛ ففى سنه ۳۰۶ه‍ ۹۱۸ م أمر الخليفه المقتدر يمناً الطولونى صـاحب الشـرطه ببغـداد بأن يجلِس فى كل ربع من الأرباع فقيهاً يسـمع من الناس ظلاماتهم، و يفتى فى مسائلهم حتى لايجرى على أحـد ظلم(۴)؛ فكان هوءلاء الفقهاء بمثابه أصـحاب شـرطه من الفقهاء يشـرفون على أعمال أصـحاب الشرطه لتكون مطـابقه لفتواهم، و يقول ركن الـدين بيبرس المنصورى الـدوادار المتوفى عـام ۷۳۵ه‍ بعد ذكر هذا النظام :«فضـعفت هيبه السلطه بذلك، و طمع

۱- Amedroz, JRAS, ۱۹۱۱ S. ۶۶۴.

۲- كان ينظر فى المظالم بمصـر قاضى الأخشيد الذى ولى القضاء سنه ۳۲۴ه‍ ۹۳۶ م، انظر طبقات السبكى ج ۲ ص ۱۱۳ ج ۱۱۴. و فى سنه ۳۳۱ه‍ أفرد للنظر فى المظالم قاض مسـتقل(الكندى ص ۵۷۲). و فيما يتعلق ببغداد فى سـنه ۳۹۴ه‍ ۱۰۰۴ م انظر المنتظم ص ۱۴۹ ب. و فى الأهواز تقلد القاضـى التنوخى عام ۳۱۷ه‍ ۹۲۹ م القضـاء و المظالم (الأرشاد لياقوت ج ۵ ص ۳۳۲). و عندما لا ينظر القاضى فى المظالم كانت ترسل إليه قصص المتظلمين بعد التوقيع فيها (انظر كتاب الوزراء ص ۱۵۱) .

۳- عريب ص ۵۰، و الأرشاد لياقوت ج ۵ ص ۳۳۲ .

۴- عريب ص ۷۱ .

اللصوص و العيارون، و كثرت الفتن، و كُبست دور التجار، و أخذت ثياب الناس فى الطرق المنقطعه(١) ».

و كذلك نصّب الخليفه الحاكم بمصر فى الشرطه و فى كل بلد شاهدين من العدول، و أمر ألا يقامَ على ذى جزيره أو مرتكب جريمه حدٌّ إلا بعد أن يصح عند ذينك الشاهدين أنه مستوجب لذلك(٢).

و لكن هاتين المحاولتين لم يكن لهما تأثير، بل نجد الآيه قد انعكست، فكانت ترفع الظلماتُ من حكم القضاه إلى أصحاب المظالم، و لا سيما إلى الوزير الذى يجلس للمظالم؛ و هذا يخالف النظريه الفقهيه. و قد جاء وصف لجمهور الستصرخين إلى الوزير الذى كان يقعد للمظالم بأنهم كانوا « قوما كثيرين قد قصدوا من نواح بعيده وأقطار شاسعه مُستصرخين متظلمين، فهذا من أمير وهذا من عامل، و هذا من قاض و هذا من متعزِّز(٣) ».

و قد حدث حوالى سنه ۴۳۰ه ۱۰۳۹ م أن مات رجل بمصر و ترك مالا ـ جزيلا، ولم يخلِّف سوى بنت واحده؛ فورثت جميع المال، و تطاول الناس لتزوُّجها لكثره مالها، و من جملتهم القاضى عبد الحاكم بن سعيد الفارقى؛ فامتنعت عليه، فخنق عليها، و أقام أربعه شهود بأنها سفيهه، و أخذ مالها؛ فهربت إلى الوزير، و عرّفته بما فعله القاضى، فعمل محضراً برشدها و أشهد عليه، و أمر بإحضار القاضى؛ فأحضر مُهاناً، و أخذ المال منه، و أنيب ولده عنه فى الأحكامل، و لزم داره فلم يخرج منها؛ ثم قبض الوزير على الشهود الذين شهودوا بسفهها،

١- زبده الفكره فى تاريخ الهجره مخطوط باريس رقم ۵۷۲ ص ۱۸۶ .

٢- يحيى بن سعيد ص ۱۲۳ .

٣- كتاب الوزراء ص ۱۰۷ .

فأودعهم السجن، و خلع على من شهد لها بالرشد(١)

وقد داوم أحمد بن طولون صاحب مصر النظر فى المظالم بكل عنايه، « حتى استغنى الناس عن القاضى »، و حتى كان القاضى ربما نعس فى محله، ثم انصرف إلى منزله ولم يتقدَّم إليه أحد. ولم يكن فى مصر قاضٍ فى ذلك العهد سبع سنين، فكان كل شيء يرَدُّ إلى الناظر فى المظالم(٢).

و كذلك كان كافور الأخشيدى الأسود يجلس للمظالم حتى « كان القاضى كالمحجور عليه لكثره جلوس كافور للمظالم(٣)».

و فى سنه ٣٦٩ه ٩٧٩ م وقع نزاع بين صاحب الشرطه و بين القاضى؛ و ذلك أن صاحب الشرطه حكم فى شيء ليس من اختصاصه، فأنكر القاضى حكمه، و اعترض فيه؛فوقّع الوزير بأنه ليس لأحد الفريقين أن يعترض على الآخر فيما حكم به(٤).

و فى حوالى سنه ٤٠٠ه منع القاضى أصحابَ الشرطه من التكلم فى الأحكام الشرعيه، ثم أنهى الخليفه النزاعَ بأن أضاف للقاضى النظر فى المظالم(٥).

و كانت الظلمات تقدم مكتوبه(٦)، و كان يحدث أحيانا حوالى عام ٣٢٠ه

١- ٧٩٣ .Amedroz, JRAS, ١٩١٠, S ، نقلا عن رفع الإصر مخطوط باريس رقم ٢١٤٩ ص ١٦٠ ج ب؛ انظر أيضا JRAS, ١٩١١, S. ٦٦٣، و ملحق الكندى ص ٤٩٨ ج ٤٩٩، ص ٦١٣ .

٢- ملحق الكندى ص ٥١٢ .

٣- نفس المصدر ص ٥٨٣، ٥٨٤ .

٤- نفس المصدر ص ٥٩١ .

٥- نفس المصدر ص ٦٠٤ .

٦- كتاب الوزراء ص ٥٢، ١٠٧ . و كان على صاحب ديوان المظالم أن يعمل بجميع القصص جامعاً يعرَض على الخليفه فى كل أسبوع (انظر كتاب الخراج لقدامه مخطوط باريس ٥٩٠٧ ص ٢٣ ب) .

۹۳۲ م أن ترمى الرقعه فى ورق المظالم أمام القاضى فى المجلس(۱).

و كانت الأحكام تصدر مكتوبه، و قد جرت بعض هذه التوقيعات مجرى النصوص الأدبيه المشهوره التى توءثر لحسنها، و هى شبيهه بحواشى فريدريك الأكبر التى كان يكتبها على هامش ما يرفع إليه(۲).

و كان يخصّص فى دار الخلافه يومٌ فى الأسبوع لسماع المظالم، و كذلك كان الحال من قبل فى العصر البوزنطى؛ ففى سنه ۴۹۶ م كان حاكم الرها يجلس كل يوم جمعه فى الكنيسه للقضاء(۳)

و فى عصر الخليفه المأمون مثلا خُصِّص يومُ الأحد للنظر فى المظالم(۴)

و كان أحمد بن طولون بمصر يجلس لذلك يومين فى الأسبوع(۵).

و كان الأخشيد يجلس المظالم بنفسه كل يوم أربعاء(۶)؛ و بعده كان كافور يجلس كل سبت، و يحضر عنده الوزير و سائر الفقهاء و القضاه و الشهود و وجوه البلد(۷).

۱- كتاب اوزراء ص ۵۲، و ملحق الكندى ص ۵۴۱ .

۲- و من هذه التوقيعات توقيعات طاهر التى ذكرها طيفور فى كتاب بغداد ص ۵۰ ب و توقيعات المأمون عند البيهقى فى المحاسن و المساوى ص ۵۳۴ و ما بعدها، و توقيعات الصاحب ابن عباد عند الثعالى فى خاص الخاص طبعه القاهره ۱۹۰۹ م ص ۷۳ .

۳- ۲۹ .Josua stylites, s

۴- الأحكام السلطانيه للماوردى ص ۱۴۳ طبعه إنجر(Enger) .

۵- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۲۰۷ .

۶- المُغرب لابن سعيد ص ۳۹ .

۷- ملحق الكندى ص ۵۷۷، و المقريزى ج ۲ ص ۲۰۷ .

و أول من جلس من الخلفاء المهدى و آخرهم المهتدى(۲۵۵ ج ۲۵۶ه ۸۶۸ ج ۸۶۹ م)(۱).

و کان المهتدى یجلس للمظالم و ینظر فیها یرفعه إلیه العام و الخاص، وقد بنى قبه لها أربعه أبواب کان یجلس فیها و سماها قبه المظالم؛ و کان تقیا فأمر بالمعروف و نهى عن المنکر. و کان یحضر کل جمعه إلى المسجد الجامع فیخطب الناس و یوءمّ بهم(۲).

وکان إذا جلس للمظالم أمر بأن توضع کوانین الفحم فى الأروقه و المنازل عند تحرک البرد؛ فإذا جلس المتظلم « أمر بأن یدّفأ و یجلس لیسکن و یثوب إلى عقله، و یتذکر حجته، ثم یدنیه، و یسمع منه، و یقول : متى یلحن المتظلم بحجته إذا لم یفعَل به هذا، و قد تداخلته رهبه الخلافه و ألم البرد؟»(۳).

و کان مما وعد به الخلیفه القاهر، و هو یطلب الخلافه، أن یعد للنظر فى المظالم بنفسه(۴)

و فى عهد الخلیفه المعتضد قام مقام الخلیفه فى النظر فى مظالم العامه الوزیر عبیدُاللّه بن سلیمان، و ناب عنه القائد بدر فى النظر فى مظالم الخاصه؛ و کان یوم المظالم یوم الجمعه(۵).

۱- المقریزى نفس النص نقلا عن الماوردى، و یذکر هنا أن الأخشید و ابنه کانا یجلسان للمظالم یوم السبت، و اللمحه الناریخیه التى ذکرها المقریزى مأخوذه من الأحکام السلطانیه ص ۱۲۸ و الصفحات التالیه .

۲- مروج الذهب للمسعودى ج ۸ ص ۲ .

۳- المحاسن و المساوى للبیهقى ۵۷۷ ج ۵۷۸ .

۴- Amedroz, JRAS, ۱۹۱۱, s. ۶۵۷ ،و ابن الأثیر ج۸ ص۱۹۳.

۵- کتاب الوزراء ص ۲۲ .

و لكنا نجد الوزير فى أوائل القرن الرابع يجلس للمظالم يوم الثلاثاء، و كان أكثر الكتاب يحضر مجلسه(۱).

و فى سنه ۳۰۶ه‍ ۹۱۸ م جلست للمظالم قهرمانه لأم المقتدر تسمى ثمل(۲).

و لما كان النظر فى المظالم غير مقيد بتدقيقات الفقهاء، فقد كان صاحب المظالم أكثر حريه من القاضـى. وقد بين الماوردى بما له من قـدره على الإحصاه و بيـان الفروق أن الفرق بين نظر المظـالم و نظر القضـاء من عشـره أوجه : أهمها أن لنظر المظالم من فضـل الهيبه و قـوه اليـد مـا ليس للقضـاه بكـفّ الخصـوم عن التجاحـد و منع الظلمه من التغـالب و التجـاذب، و أنه يسـتعمل من الإرهـاب و معرفه الأمارات و الشواهـد ما يصل به إل معرفه المحق من الباطل، و أنه يسـتطيع رد الخصوم إذا أعضـلوا إلى وساطه الأمنـاء، ليفصـلوا التنـازع بينهم صـلحاً عن تراضٍ، و ليس للقاضـى ذلـك إلاـ عنـد رضـا الحصـمين بالرد، و أنه يجوز له إحلاف الشـهود عنـد ارتيابه بهم و الاسـتكثار من عددهم ليزول عنه الشك، و أنه يجوز له أن يبتدىء باسـتدعاء الشـهود و سوءالهم عما عندهم؛ و عاده القضاه تكليف المدعى إحضار بينه، و لا يسمعون البينه إلا بعد سوءاله(۳).

و لكن هذا كله لا يعدو الكلام النظرى، و كان يعمل فى كل بلد بحسب قانونها

۱– نفس المصدر ص ۶۶ .

۲– عريـب ص ۷۱؛ و أبوالمحـاسن طبعه ليـدن ج ۲ ص ۲۰۳؛ و قـد اختلـف فى المرأه : هـل تقضـى؟ فقـال أبو حنيفه يجوز أن تقضـى فيمـا تصـح فيه شـهادتها، وأغلب العلمـاء على أنها لا تقضـى، و شـذ الطبرى المتوفى عام ۳۱۰ه‍ فجوز قضاءهـا فى جميع الأحكـام(الماوردى ص ۱۰۷ ج ۱۰۸)، ثم اشترط فيمـا بعـد فى القاضـى أن يكون ذكراً، أمـا فى النظر فى المظـالم فلم يشترط ذلك .

۳– الأحكام السلطانيه للماوردى ص ۱۴۱ ج ۱۴۲ .

و عاداتها. وكانت الوسائل القديمه التى أثبتت التجربه قيمتها كالضرب مثلا منتشره، و إن كانت محرَّمه على القاضى(۱).

۱- انظر الفصل الخاص بالأخلاق و العادات (الفصل العشرون) .

تعلیقات الفصل الخامس عشر

[*۱] قال الیعقوبی (۱) و کان أول من ولی القضاء الامصار من قبله و کان یولیهم أصحاب المعاون ثم عد عده من قضاته و ما فی الهامش (۲) من کون أول قاض (۲) بالمدینه من قبل المهدی هو عبدالله بن عمران التمیمی.

[*۲] لیس الأمر کما ذکر فان شریحاً القاضی ولاه أمیرالمؤمنین علیه السلام علی ما ورد من قول أبی عبدالله جعفر بن محمد الصادق علیه السلام فی روایه (۳) صحیحه رواها عنه ابن أبی عمیر عن هشام بن سالم قال: لما ولی أمیرالمؤمنین علیه السلام شریحاً القضاء اشترط علیه أن لا ینفذ القضاء حتی یعرضه علیه، کما استقضی (۴) علیه السلام رفاعه علی الأهواز، و کتب إلیه کتاباً و فوض تعیین القاضی إلی الأشتر (۵) ففی عهده علیه السلام إلی الأشتر اختر للحکم بین الناس أفضل رعیتک ممن لا تضیق به الأمور.

[*۳] کما قدمنا عن عمده الطالب فی النقابه (۶) و قضاء القضاه والحج والمظالم.

[*۴] فیها (۷) (أی سنه ست و أربعمأه ناقلاً عن العبر توفی أبو حامد الاسفرائنی أحمد بن

۱- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۱۲۷-۱۲۸.

۲- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۱۳۹.

۳- وسائل الشیعه ۱۸ الباب ۱/۲ من أبواب صفات القاضی.

۴- مستدرک الوسائل ۳ الباب ۷-۱۲-۱۵-۴ من أبواب صفات القاضی.

۵- نهج البلاغه ج۳ ص۱۰۴.

۶- الغدیر ج۴ ص ۲۰۵-۲۰۱.

۷- شذرات الذهب ج۳ ص۱۷۸.

أبی طاهر محمد بن أحمد الفقیه شیخ العراق و امام الشافعیه و من الیه انتهت ریاسه المذهب، الی، و کان یحضر درسه ۷۰۰ فقیه و کذا نقل عن الخطیب أبی بکر و عن ابن شبهه قال الشیخ أبو اسحاق انتهت إلیه ریاسه الدین و الدنیا ببغداد و جمع مجلسه ۳۰۰ متفقه.

[*۵] ذکر الطنطاوی (۱) القضیه الثامنه لعدل القاضی أبی حازم قال: قال أبوالحسن عبدالواحد الحصیبی حضرت القاضی أبا حازم و قد جاءه طریف المخلدی من أمیرالمؤمنین المعتضد بالله، و قال: یقول لک أمیرالمؤمنین لنا علی فلان مال، و قد بلغنا ان غرمائه أثبتوا عندک افلاسه و قد قسطت لهم ماله، فاجعلنا کأحدهم و قسط لنا، فقال أبو حازم قل له، اطال الله بقاه، اذا کر بما قال لی وقت ان قلدنی القضاء قد أخرجت الأمر من عنقی و جعلته فی عنقک، و لا یجوز ان احکم فی مال رجل مدع الا ببینه، فرجع طریف و اخبره فقال له: قله له: فلان و فلان یشهد ان عندی و أسأل عنهما، فان زکیا قبلت شهادتهما و إلا امضیت ما ثبت عندی، فامتنع اولئک من الشهاده فزعاً أن لا یقبل قولهما، و لم یدفع للمعتضد شیئاً قال: فهکذا یکون القضاء السدید.

[*۶] و ذکر الطنطاوی (۲) فی القضیه الثالثه لعدل شریک بن عبدالله قاضی الکوفه. قال روی عمر بن هیاج بن سعد، قال اتت امرأه یوماً شریک بن عبدالله قاضی الکوفه و هو فی مجلس الحمک، فقات انا بالله ثم بالقاضی، قال من ظلمک؟ قالت الأمیر موسی بن عیسی ابن عم أمیرالمؤمنین، کان لی بستان علی شاطئ الفرات فیه نخل ورثته عن أبی

۱- تفسیر الطنطاوی ج۱۸ ص۹۴.

۲- تفسیر الجواهر ج۱۸ ص ۹۰-۹۱.

و قاسمت اخوتی و بنیت بینی و بینهم حائطاً وجلعت فیه رجلاً فارسیاً یحفظ النخل و یقوم به فاشتری الأمیر موسی بن عیسی من جمیع اخوتی و ساومنی و رغبنی فلم ابعه فلما کان هذه اللیله بعث بخمسمأه غلام و فاعل فاقتلعوا الحائط فأصحبت لا أعرف من نخلی شیئاً و اختلط بنخل اخوتی، فقال یا غلام احضر طینه فاحضر فختمها، و قال امض الی بابه حتی یحضر معک، فجائت المرأه بالطینه المختومه، فأخذها الحاجب و دخل علی موسی فقال قد اعدی القاضی علیک و هذا ختمه، فقال ادع لی صاحب الشرطه - فدعا به فقال امض الی شریک، و قل: یا سبحان الله ما رأیت أعجب من أمرک، امرأه ادعت دعوی لم تصح اعدیتها علی، قال صاحب الشرطه ان رأی الأمیر ان یعفینی من ذلک، فقال امض ویلک، فخرج و قال لغلمانه، اذهبوا واحملوا لی الی حبس القاضی بساطاً و فراشاً و ما تدعوا الحاجه الیه، ثم مضی الی شریک، فلما وقف بین یدیه ادی الرساله، فقال لغلام المجلس خذ بیده فضعه فی الحبس، فقال صاحب الشرطه والله قد علمت انک تحبسنی، فقدمت ما احتاج إلیه إلی الحبس، ثم ذکر توجیه موسی الحاجب إلیه و أمر شریک بحبسه، و کذلک أمر بحبس جماعه من وجوه الکوفه من أصدقاء القاضی و حبس اسحاق بن الصباح الاشعثی لما بعثهم موسی بعد صلاه العصر إلی شریک، و ان موسی رکب فی اللیله الی باب السجن، و فتح الباب و أرجهم کلهم، فلما أخبر السجان شریکاً دعا بالمقطر فختمه ووجه به إلی منزله و قال لغلامه الحق بثقلی إلی بغداد، و مضی نحو قنطره الکوفه إلی بغداد، و بلغ الخبر إلی موسی بن عیسی، فلحقه و جعل ینا شده الله، الی فأمر موسی بردهم جمیعاً إلی الحبس و هو واقف والله مکانه، حتی جائ السجان، فقال: قد رجعوا جمیعاً إلی الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجام دابته بین یدی إلی مجلس الحکم، و جلس فی مجلس القضاء، فجائت المراءه

المتظلمه، فقال: هذا خصمک قد حضر، و انه سئل موسی اخراجهم من الحبس (لأنه قد حضر و أمر القاضی باخراجهم) و صدق موسی المرأه فیما تدعی فحکم القاضی برد ما أخذ منها و بناء حائطها سریعاً و بیت الرجل الفارسی و متاعه، فلما فرغ أخذ بید موسی ابن عیسی و أجلسه فی مجلسه، و قال: السلام علیک أیها الأمیر، أتأمر بشیء؟ فقال: أی شیء آمر، و ضحک، فقال له شریک: أیها الأمیر ذاک الفعل حق الشرع و هذا القول الآن حق الأدب، فقام الأمیر و انصرف إلی مجلسه و هو یقول من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه.

[*۷] رواه ابن أبی جمهور (۱) من علمائنا عنه صلی الله علیه و آله هکذا: یؤتی بالقاضی العادل فمن شده ما یلقاه من الحساب یود أنه لم یکن قضی بین اثنین فی تمره.

و روایه أبی هریره ذکرها الشیخ المفید قدس سره فی المقنعه (۲) مرسلاً عن النبی صلی الله علیه و آله و ابن أبی جمهور (۳) عن ابن عباس عنه صلی الله علیه و آله و زاد (و ما الذبح)؟ قال نار جهنم.

و قد ورد من طریقنا (۴) عن أبی عبدالله علیه السلام انه قال أمیرالمؤمنین علیه السلام لشریح القاضی: یا شریح قد جلست مجلساً لا یجلسه (ما جلسه) إلا نبی أو وصی نبی أو شقی.

وفی صحیحه (۵) سلیمان بن خالد عن أبی عبدالله علیه السلام اتقوا الحکومه فان الحکومه إنما هی للامام العالم بالقضاء العادل من المسلمین لنبی (کنبی) أو وصی نبی.

۱- مستدرک الوسائل ۳-۱۷ - الباب ۱۵ ح ۹ من أبواب صفات القاضی.

۲- المقنعه ۷۲۱.

۳- مستدرک الوسائل ۳-۱۷ الباب ۳ح۴ ابواب صفات القاضی.

۴- وسائل الشیعه ۳-۱۸-۲۷ الباب ۳ ح ۲ من أبواب صفات القاضی.

۵- وسائل الشیعه ۳-۱۸-۲۷ الباب ۳ ح۳ من أبواب صفات القاضی.

و أوجع من هذه كلها ما رواه السكونی (۱) عن جعفر، عن أبيه. عن علی عليه السلام: ان النبی صلى الله عليه و آله قال: يا علی ان ملک الموت اذا نزل ليقبض روح الكافر أنزل معه سفوداً من نار فينزع به روحه فيصيح جهنم، فاستوی علی عليه السلام جالساً قال: يا رسول الله اعد علی حديثک، فقد أنسانی و جعی ما قلت (وقد اشتکی عينه) و عاده رسول الله صلى الله عليه و آله و قال: يا رسول الله ما وجعت و جعاً قط أشد علی منه. فهل يصيب ذلک أحداً من امتک؟ فقال: نعم حاكم جائر و آكل مال اليتيم و شاهد الزور.

و عنه صلى الله عليه و آله: لسان القاضی بين جمرتين من نار حتی يقضی بين الناس، فأما إلی الجنه و إما إلی النار(۲)

[*۸] فی الشذرات (۳) فيها (سنه ۸۳) توفی قاضی مصر عبدالرحمن بن حجيره الخولانی روی عن أبی ذر و غيره و كان عبدالعزيز بن مروان يرزقه فی السنه ألف دينار فلا يدخرها.

[*۹] هذا تسامح، فالاناجيل (۴) كالتوراه بمختلف نسخها ليست بمعتبره الاسناد عند المسلمين و تختلف بالزياده و النقصان و تشتمل علی فضائح تنسبها إلی أنبياء عليهم السلام هم ابرياء منها.

[*۱۰] يناسب المقام ذكر القضيه (۵) الثانيه فی عدل عاقبه بن يزيد القاضی.

۱- وسائل الشيعه ۳-۱۸-۲۷ الباب ۱۲ ح ۱ من أبواب صفات القاضی.

۲- وسائل الشيعه ۳-۱۸-۲۷ الباب ۱۲ ح ۲ من أبواب صفات القاضی.

۳- شذرات الذهب ج ۱ ص۹۳.

۴- الهدی الی دين المصطفی ج ۱ ص۳۵-۳۸-۲۳۹، ج ۲ ص۱۹-۴۵؛ انيس الأعلام ج ۲ ص ۱۲۵ الی آخره، ج ۳ ص۳-۱۷۲.

۵- تفسير الطنطاوی ج ۱۸ ص ۹۰.

نقل ان عاقبه بن یزید القاضی کان یلی القضاء ببغداد للمهدی، فجاء فی بعض الأیام وقت الظهر للمهدی و هو خال، فاستأذن علیه، فلما دخل علیه استأذنه فی من یسلم لیه القمطر الذی فقیه قضایا مجلس الحکم و استعفاه من القضاء و طلب منه أن یقیله من ولایته فظن المهدی ان بعض الأولیاء قد عارضه فی حکمه، فقال له فی ذلک و انه ان عارضک أحد لننکر علیه، فقال القاضی: لم یکن شیء من ذلک، قال: فما سبب استعفائک من القضاء؟ قال: یا امیرالمؤمنین کان تقدم إلی خصمان منذ شهر فی قضیه مشکله و کل یدعی بینه و شهوداً و یدلی بحجج تحتاج إلی تأمل و تلبث، فرددت الخصوم رجاء أن یصطلحوا و ان یظهر الفصل بینهما، فسمع أحدهما انی احب الرطب، فعمد فی وقتنا هذا، و هو أول اوقات الرطب، فجمع رطباً لا یتهیأ فی وقتنا جمع مثله لأمیرالمؤمنین، و ما رأیت أحسن منه و رشا بوابی بدراهم علی أن یدخل الطبق علی، و لا یبالی أن یرد علیه، فلما أدخله علی أنکرت ذلک و طردت بوابی و أمرت برد الطبق فرد علیه فلما کان الیوم تقدم الخصمان إلی فما تساویا فی عینی ولا قلبی، فهذا یا أمیرالمؤمنین و لم أقبل، فکیف یکون حالی لو قبلت ولا آمن أن تقع علی حیله فی دینی، و قد فسد الناس، فأقلنی یا أمیرالمؤمنین اقالک الله و اعفنی عفا الله عنک.

[*۱۱] هو شریک (۱) بن عبدالله، القاضی بالواسط ثم بالکوفه، عن ابن خلکان انه کان عادلاً فی قضائه کثیر الصواب، حاضر الجواب و کان مولده ببخارا سنه ۹۵ للهجره، و توفی یوم السبت مستهل ذی القعده سنه ۱۷۷ و ذکر انه دخل یوماً علی المهدی فقال له: لابد أن تجیبنی إلی خصله من ثلاث خصال، قال: و ما هن یا أمیرالمؤمنین؟ قال: إما أن تلی القضاء، أ تحدث ولدی و تعلمهم، أو تأکل عندی أکله، الی ثم قال: الأکله أخفها علی

۱- روضات الجنات ج۴ ص ۱۰۲-۱۰۳.

نفسی فأجلسه (فاحتبسه عنده) و تقدم إلی الطباخ أن یصنع له ألواناً من المخ المعقود بالسکر الطبرزد والعسل و غیر ذلک، فعمل ذلک، و قدمه إلیه فأکل فلما فرغ من الأکل قال له الطباخ: والله یا أمیرالمؤمنین لیس یفلح الشیخ بعد هذه الأکله أبداً قال الفضل بن الربیع فحدثهم والله شریک بعد ذلک، و علم أولادهم، وولی القضاء لهم.

و فی المعجم (۱) عن الذهبی فی میزان الاعتدال قال ابن معین: شریک بن عبدالله بن سنان بن علیاً علیه السالم و ینقم علی معاویه و تردد فی انه هل یفضل علیاً علیه السلام علی من تقدمه.

و فی التنقیح (۲) جعله من شیعه أمیرالمؤمنین علیه السلام.

[*۱۲] صاحب قوت القلوب محمد بن عطیه الحارثی العجمی ثم المکی، تقدمت ترجمته فی تعالیق الفصل الثالث عشر(۲).

[*۱۳] ذکر وفاته فی الشذرات (۳) سنه ۲۸۲. قال: و فیها (۲۸۲) أی مات فیها العلامه أبو اسحاق اسماعیل بن اسحاق بن اسماعیل بن حماد بن زید الأزدی موالیهم البصری الفقیه المالکی القاضی ببغداد فی ذی الحجه فجأه و له ۸۳ سنه و أشهر.

[*۱۴] توفی سنه ۳۰۶ (۴) وله ۵۷ سنه و سته أشهر، و کان یقال له الباز الأشهب.

[*۱۵] سماه فی الشذرات (۵) أحمد بن محمد بن عبدالله بن العباس بن محمد بن عبدالملک بن أبی الشوارب الاموی، أرخ وفاته لسنه ۴۱۷ و قال: قد ولی لقضاء ۲۴ نفساً من أولاد

۱- معجم رجال الحدیث ج۹ ص۲۴-۲۵.

۲- تنقیح المقال ج۲ ص۸۴.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص۱۷۸.

۴- نفس المصدر ج۲ ص۲۴۷.

۵- نفس المصدر ج۳ ص۲۰۶.

محمد بن عبدالملک بن أبی الشوارب منهم ۸ ولو اقضاء القضاه هذا آخر هم.

[*۱۶] لا اشکال فی جواز ارتزاقه من بیت المال. وورد فی عهد أمیرالمؤمنین علیه السلام إلی الأشتر (۱) (و أکثر تعاهد قضائه و افسح له فی البذل ما یزیح علته و تقل معه حاجته إلی الناس).

[*۱۷] فی صحیح البخاری (۲) ذکر فی باب رزق الحکام و العاملین علیها، وکان شریح القاضی یأخذ علی القضاء أجراً، وقالت عائشه یأکل الوصی بقدر عمالته و (أکل أبوبکر و عمر).

[*۱۸] کان ینبغی له ان یستجیز الامام الصادق علیه السلام لشغله القضاء و لا یحتاط بعدم أخذ رزقه بقدر ما اشتغل باشغال نفسه و لا یعمل الرسن. هذا تزهد لا زهد ... و ینبغی هنا ذکر ما جری للقاضی شریک تعرض له فی الجواهر (۳) قال: قال عمر بن اخی خالد بن سعید کنت من أصحاب القاضی شریک، فاتیته یوماً فی منزله باکراً، فخرج إلی فی رداء، و لیس تحته قمیص و علیه کساء فقلت له: قد أصبحت عن مجلس الحکم فقال: غسلت ثیابی أمس فلم تجف، اجلس، فجلست فجعلنا نتذاکر باب العبد یتزوج بغیر اذن موالیه، فقال: ما عندک فیه؟ و ما تقول فیه؟ و کانت الخیزران قد وجهت رجلًا نصرانیاً علی الطراز بالکوفه، و کتبت إلی موسی بن عیسی أن لا یعصی له أمراً بالکوفه و کان مطاعاً بالکوفه فخرج علینا ذلک الیوم من زقاق و معه جماعه من أصحابه و علیه جبه خز و طیلسان و تحته برذون فاره، و اذا بین یدیه رجل مکتوف و هو یصیح و اغوثاه انا بالله ثم بالقاضی، و اذا فی ظهره آثار السیاط، فسلم علی شریک و جلس إلی جانبه، فقال

۱- نهج البلاغه ج۳ ص۱۰۵.

۲- صحیح البخاری ج۹ ص۸۴.

۳- تفسیر الجواهر ج۱۸ ص۹۱.

الرجل: انا بالله ثم بک أصلحک الله، انا رجل اعمل هذا الوشی، اجرتی فی کل شهر مأه، أخذنی هذا منذ أربعه أشهر و احتسبنی فی طراز یجری علی القوت، ولی عیال قد ضاعوا و هلکوا، واقبلت الیوم نحوهم لاراهم فلحقنی ففعل بظهری ما تری، فقال القاضی قم، فاجلس مع خصمک یا نصرانی، فقال أصلحک الله یا أبا عبدالله هذا من خدم السیده مر به الی الحبس، قال قم ویلک واجلس معه کما یقال لک، فجلس معه، فقال ما هذه الآثار التی بظهر هذا الرجل من أثرها؟ فقال أصلح الله القاضی انما ضربته أسواطاً بیدی و هو یستحق أکثر من ذلک، مر به إلی الحبس فألقی شریک کسائه و دخل داره و أخرج سوطاً ثم ضرب بیده الی مجامع ثوب النصرانی و هو یقول: لا تضرب والله بعدها المسلمین، فهم أعوانه أن یخلصوه فقال شریک لفتیان الحی خذوا هؤلاء إلی الحبس، فهرب الأعوان و بقی النصرانی فضربه أسواطاً فجعل یبکی و هو یقول: ستعلم فلما فرغ من ضربه ألقی السوط فی الدهلیز، و قال لی: یا أبا حفص ما تقول فی العبد یتزوج بغیر اذن موالیه؟ فأذخنا فیما کنا فیه و کانه لم یصنع شیئاً، قام النصرانی إلی البرذون و لم یکن له من یمسکه، فجعل النصرانی یضرب البرذون، فقال له شریک: ارفق به ویلک فانه أطوع الله منک، ثم قال: خذفیما کنا فیه، قال عمر: فقلت له: ما لنا و لهذا، لقد فعلت الیوم فعله ستکون لها عاقبه مکروهه فقال لی: اعز أمر الله یعزک الله خذ فیما کنا فیه، فذهب النصرانی إلی موسی بن عیسی، فقال شریک: فعل بی کیت و کیت، فقال له: والله ما أتعرض لشریک فمضی النصرانی إلی بغداد و لم یعد بعدها إلی الکوفه.

[*۱۹] ینبغی مراجعه تفسیر الجواهر (۱) فی قضایا خامسه و تاسعه و عاشره تناسب المقام.

۱- تفسیر الجواهر للطنطاوی ج۱۸ ص ۹۲-۹۴-۹۵.

ارخ وفاته فی الشـذرات (۱) سنه ۱۷۴ و وصـفه بالحضـرمی، قاضـی مصـر الحافظ، و ذکر عن أحمد بن صالح المصری انه کان صحیـح الکتاب طلابه للعلم. و عن سـفیان الثوری عنـده الاصول، و عندنا الفروع، و عن أحمد بن حنبل من کان بمصـر مثل ابن لهیعه فی کثره حدیثه و ضبطه.

[*۲۱] فی الشـذرات (۲) و فیها (أی مات سـنه ۱۸۱) قاضـی مصـر أبو معاویه المفضل بن فضاله القتبانی الفقیه، قال: کان زاهـداً ورعاً قانتاً مجاب الدعوه.

[*۲۲] أورد صـاحب الروضات (۳) ترجمته عن مقـامع الفضـل، و انه کـان جامعاً لجمیع العلوم الظاهریه و الباطنیه و صاحب الید البسطه فی الفقه والحدیث والمراتب الحکمیه والعرفانیه الی، و نقل أیضاً انه بلغ فی الریاضه إلی حیث کان یتناول الطعام فی کل شهر مره و کانت له مهاره فی تسخیر الجن و علم الطلسمات، کانت وفاته سنه ۴۳۱.

[*۲۳] فی الشذرات (۴) و فیها (أی مات سنه ۳۶۸) السـیرافی أبو سعید الحسن بن عبدالله ابن المرزبان صاحب العربیه، کان أبوه مجوسـیاً و أسـلم و سـمی عبـدالله، سـماه به ابنه المـذکور الی، و کان ورعاً یأکل من النسـخ و کان ینسخ الکراس بعشـره دراهم لبراعه خطه.

[*۲۴] ذکر وفـاته صاحب الشـذرات (۵) سنه ۳۶۹ و وصـفه بـابن ام شـیبان قاضـی القضاه أبو الحسن محمـد بن صالـح بن علی الهاشمی العباسی العیسوی الکوفی، قال: و تزوج

۱- شذرات الذهب ج۱ ص۲۸۳.

۲- نفس المصدر ج۱ ص۲۹۷.

۳- روضات الجنات ج۸ ص۱۶۲-۱۶۳.

۴- شذرات الذهب ج۳ ص۶۵.

۵- نفص المصدر ج۳ ص۷۰.

بـابنه قاضـی القضاه أبی عمر محمـد بن یوسف، قال طلحه الشاهر هو رجل عظیم القـدر واسع العلم، الی، وقال ابن أبی الفوارس نهایه فی الصدق نبیل فاضل ما رأینا فی معناه مثله.

[*۲۵] ارخ وفاته (۱) لسنه ۴۴۱ و عنونه بأبی القاصم التنوخی، علی بن أبی علی المحسن بن علی البغداد، و ذکر عن الخطیب انه صدوق متحفظ فی الشهاده، ولی قضاء المدائن و نحوها قال ابن خیرون قیل کانه رایه الرفض والاعتزال (عن العبر).

[*۲۶] فی الشذرات (۲) و فیها (أی مات سنظ ۴۸۸) قاضی القضاه الشامی أبوبکر محمد بن المظفر بن بکران الحموی الشافعی، کان من أزهـد القضاه و أورعهم و اتقاهم لله و أعرفهم بالمذهب، قال و کان من أصـحاب القاضـی أبی الطیب الطبری، لم یأخذ علی القضاء رزقاً و لا غیر ملبسه.

[*۲۷] هـو الثـامن (۳) مـن آل ابـن أبی الشـوارب عبـدالله بـن حسـن بن أبی الشـوارب أبی العبـاس (۳۸۵ق) (۹۹۵م). قعد سـنه ۳۵۰ریال ۹۶۱م ظاهراً مکان القاضی المتوفی أبی السائب عتبه بن عبدالله علی مسند القضاء قبال ۲۰۰۰۰۰ درهم سنویاً یؤدی إلی خزانه الأمیر معز الدوله و ذلک بواسطه ارسلان جامه دار.

[*۲۸] عنونه فی الشذرات بقاضـی القضاء (۴) لصاحب مصـر، قال أبو عبدالله محمد بن النعمان بن محمد بن منصور الشـیعی فی الظاهر الباطنی فی الباطن، ولد قاضی القوم و اخو قاضیهم، و عن ابن زولاق لم نشاهد بمصر لقاض من الریاسه ما شاهدناه له ولا

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۲۷۶.

۲- نفس المصدر ج۳ ص۳۹۱.

۳- دائره المعارف الاسلامی الکبیر ج۲ ص ۶۶۹.

۴- شذرات الذهب ج۳ ص۱۳۲.

بلغنا ذلک عن قاض بالعراق، و وافق ذلک استحقاقاً لما فیه من العلم و الصیانه و الهیبه و اقامه الحق الخ.

و والده نعمان بن أبی عبدالله محمد بن منصور بن أحمد بن حیون کما فی الروضات (۱) عن امل الآمل، و عن الأمیر المختار المسجی فی تاریخه، کان من الفقه والدین والنبل علی ما یزید علیه و ذکر هو و عن المجلسی فی مقدمه البحار انه کان مالکیاً ثم انتقل (أو اهتدی) إلی مذهب الامامیه (و صار امامیاً) و یظهر من العلامه المجلسی و تبعه العلامه بحر العلوم انه کان امامیاً و لم یرد فی کتابه الدعائم (الذی قال فیه المجلسی أکثر أخباره موافقه لما فی کتبنا المشهوره) من الأئمه بعد الصادق علیه السلام خوفاً من الخلفاء الاسماعیلیه و تحت ستر التقیه و ظهر الحق.

أقول: ببالی ان المحدث الکبیر الحاج میرزا حسین النوری ذکر له روایه عن بعد الامام الصادق علیه السلام. و ذکر له القاضی (۲) نور الله الشهید رحمه الله مدائح له من تاریخ ابن خلکان و ابن زولاق لکن شک صاحب الریاض (۳) و جامع الرواه (۴) فی کونه اثنی عشریاً، بل صرح الثانی بأنه لم یکن امامیاً الا ان صاحب التنقیح (۵) الشیخ المامقانی قدس سره رأی نظر صاحب معالم العلماء فی عدم کون القاضی امامیاً اشتباهاً کما ان عند العلامه الخوئی (۶) لم یثبت مبالغه المحدث النوری فی اعتباره و کونه من الامامیه المحقه و یراه

۱- روضات الجنات ج۸ ص۱۴۷.

۲- مجالس المؤمنین ج۱ ص ۵۳۸-۵۳۹.

۳- ریاض العلماء ج۵ ص۲۷۸.

۴- جامع الرواه ج۲ ص۲۹۵.

۵- تنقیح المقال ج۳ ص۲۷۳.

۶- معجم رجال الحدیث ج۱۹ ص ۱۶۷.

مجهول الحال، لکن الانصاف لو لم یثبت ما رآه العلامه المجلسی فلا شبهه فی کونه شیعیاً.

[*۲۹] اما أمیرالمؤمنین (۱) علیه السلام فکان یحبس فی الدین فان کان له مال اعطی الغرماء و ان لم یکن له مال اما ان یستعمله باختیار الخصم ان کان له قدره، و الا فلا، کما اذا تبیین افلاسه خلی سبیله حتی یستفید مالاً.

[*۳۰] فی الشذرات (۲) و فیها (أی مات سنه ۲۴۲) یحیی بن أکثم أبو محمد المروزی ثم البغدادی أحد الأعلام فی آخر السنه بالربذه منصرفاً من الحج و له بضع و سبعون سنه قال، و کان فقیهاً مجتهداً مصنفاً، و ذکر عن طلحه الشاهد انه أحد أعلام الدنیا قائم بکل معضله (عن العبر) و عنه و عن ابن الاهدل غلب علی المأمون فقلده القضاء و تدبیر مملکته، و عن الاخیر ولی قضاء البصره و هو ابن ۱۸ سنه.

[*۳۱] عنونه فی الشذرات (۳) بأبی یحیی هارن بن عبدالله الزهری العوفی المکی المالکی الامام القاضی نزیل بغداد، الی، وقال الخطیب انه سمع من مالک و انه ولی قضاء العسکر ثم قضاء مصر و أرخ وفاته سنه ۲۳۲.

[*۳۲] فی الشذرات (۴) و فیها (أی مات فی سنه ۴۰۸) أبو عمر البسطامی محمد بن الحسین بن محمد بن الهیثم الفقیه الشافعی قاضی نیسابور و شیخ الشافعیه بها، الی أن ذکر عن ابن شهبه انه کان نظیر سهل الصعلوکی حشمه و جاهاً و علماً فصاهره سهل و جاء بینهما جماعه ساده فضلاء.

۱- وسائل الشیعه ۱۳ الباب ۷ ح۳-۱ کتاب الحجر.

۲- شذرات الذهب ج۲ ص۱۰۱.

۳- نفسل المصدر ج۲ ص۷۵.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص۱۸۷.

[*۳۳] ذکر الیعقوبی (۱) ان المهدی استعمله علی مصر بعد ابن الیسع الکندی من أهل الکوفه و قبله عبدالله بن لهیعه الحضرمی.

[*۳۴] یناسب المقام قضیه للمنصور أوردها الطنطاوی (۲) فی التفسیر قال: قال نمیر المدنی: قدم علینا أمیرالمؤمنین المنصور المدینه و محمد بن عمران الطلحی متولی القضاء بها و انا کاتبه، فحضر جماعه من الجمالین و استعدوه علی أمیرالمؤمنین فی شیء ذکروه، فأمرنی أن اکتب إلی المنصور بالحضور معهم أو انصافهم، فقلت له تعفینی من ذلک فانه یعرف خطی، فقال اکتب، فکتبت و ختمت، فقال والله ما یمضی به غیرک، فمضیت به الی الربیع حاجبه و جعلت اعتذر، الیه فقال لا بأس علیک، و دخل بالکتاب علی المنصور ثم خرج الربیع، فقال للناس و قد حضر وجوه أهل المدینه و الاشراف و غیرهم ان أمیرالمؤمنین یقرأ علیکم السلام، و یقول لکم انی دعیت إلی مجلس الحکم، فلا أحد منکم یقوم اذا خرجت ولا یبدأنی بالسلام، ثم خرج و بین یدیه المسیب والربیع و أنا خلفه و هو فی ازار و رداء، فسلم علی الناس فما قام الیه أحد، ثم مضی حتی بدأ بقبر النبی صلی الله علیه و آله فسلم علیه، فلما راه ابن عمران القاضی اطلق ردائه عن عاتقه ثم أحتبی به، و دعا بالخصوم الجمالین، ثم دعا بالمنصور، فادعی علیه القوم و قضی لهم علیه، ثم انصرف، فلما دخل المنصور الدار، قال للربیع: اذهب، فاذا قام القاضی من مجلسه فادعه، فلما دعاه و دخل علی المنصور سلم علیه، فرد علیه السلام و قال له جزاک الله عن دینک و عن نبیک و عن حسبک و عن خلیفتک أحسن الجزاء، قد أمرت له بعشره آلاف صله لک فاقبضها فکانت عامه أموال محمد بن عمران من تلک الصله، فما ابرک

۱- تاریخ الیعقوبی ج۳ ص۱۳۹.

۲- تفسیر الجواهر ج۱۸ ص۸۹.

سلوک السنن القویم و اتباع الصراه المستقیم.

أقول: للجباره امثال معاویه بن أبی سفیان و منصور الدوانیقی و هارون الرشید افعال تنبئ عن حسن عقیده و ایمان لکن ما سجله التاریخ عنهم من أعمال تکشف عن خبث السریره و شقاوه لازمه و حب للدنیا خصوصاً فی ما فعلوا بآل بیت رسول الله صلی الله علیه و آله ما لا یدع ریباً فی کون تلک الأفعال الحسنه ریاء و استماله للناس تثبیتاً لحکومتهم. انظر الی ما فی هامش بحار الأنوار (۱) (و کان بلغ معاویه ان بالبصره رجلاً یشبه برسول الله صلی الله علیه و آله فکتب إلی عامله عبدالله بن عامر بن کریز ان یوفده الیه فأوفد کابساً (أحد المشبهین برسول الله صلی الله علیه و آله) فلما دخل إلی معاویه نزل عن سریره و مشی إلی حتی قبل بین عینیه واقطعه المرغاب، ثم قال المعلق (یفعل به ذلک و یقتل الحسن بن علی علیه السلام شبیه النبی صلی الله علیه و آله و ریحانته و سید شباب أهل الجنه و یحارب أباه أخا الرسول الله صلی الله علیه و آله و زوج البتول و أبا السبطین الذی کان یحب الله و رسوله و یحبه الله و رسوله (لعن الله الدهاء والمکر انتهی) و قتل الأبریاء و حبس المنصور جماعه من بنی حسن علیه السلام (۲) حتی ماتوا بالحبس أو خرجوا علیهم المکان حتی ماتوا و أمر بالبناء (۳) علی بعض أحفاد الحسن علیه السلام و نفی الکاظم علیه السلام و قتله بالسم مکراً من ناحیه هارون الی غیر ذلک من الأفعال المنکره و بیتوتته علی قبل الامام أبی الحسن أمیرالمؤمنین علیه السلام کما یذکرنا (۴) به روایه المفید قدس سره فی الارشاد عن محمد بن عایشه نقلاً عن یاسر رحال الرشید، و انه جاء إلی اکمه فصلی عندها، فکلما صلی رکعتین دعا و بکی و تمرغ علی الأکمه ثم یقول یا عم (یابن عم) انا

۱- بحارالأنوار ج۲۲ ص۲۵۰.

۲- مقاتل الطالبیین ص ۱۲۱-۲۳۵.

۳- مقاتل الطالبیین ص۱۳۶.

۴- الارشاد للشیخ المفید ج۱ ص۲۷-۲۸.

والله اعرف فضـلك و سابقتك و بك والله جلست مجلسـى الـذى أنا فيه (أنا به) و أنت أنت، ولكن ولدك يؤذوننى و يخرجون علی، ثم يقول فيصلی ثم يعيد هذا الكلام و يدعو و يبكی حتی اذا كان فی وقت السحر، قال لی يا ياسر أقم عيسی، فأقمته فقال له يا عيسـی، قم فصل عند قبر ابن عمک، قال له و أی عمومتی هذا؟ قال: هذا قبر علی بن أبی طالب، فتوضأ عيسـی و قام يصلی فلم يزالا كذلک حتی طلع الفجر الخ و ان تعجب فعجب من النزعات الامويه من الذين تسـموا بالعلم و اشـتهروا فی الآفاق، فهذا ابن خلدون (۱) المغربی تراه يـدافع عن معاويه و يقول (حاشـی الله أن يشـبه معاويه بأحـد ممن بعـده فهو من الخلفاء الراشدين، والمنـاسب للمقام قبال هـذه القضايا المـذكوره، ما نقل عن أميرالمؤمنين علی بن أبی طالب عليه السـلام أورده المجلسـی قـدس سره نقلاً (۲) عن كتاب الغارات لابراهيم بن محمـد بن الثقفی عن اسـماعيل بن أبان عن عمرو بن شـمر، عن سالم الجعفی، عن الشـعبی، قال: وجد علی عليه السـلام درعاً له عند نصرانی فجاء به الی شريح يخاصمه إليه، فلما نظر إليه شريح ذهب يتنحی قال: مكانک، فجلس إلی جنبه و قال يا شـريح اما لو كان خصـمی مسـلماً ما جلست الا معه ولكنه نصـرانی، وقال رسول الله صلی الله عليه و آله اذا كنتم و اياهم فی طريق فالجئوهم الی مضايقه و صـغروا بهـم كما صـغر الله بهـم فی غير ان تظلموا. ثم قال علی عليه السـلام ان هـذا درعی لـم أبـع و لـم أهـب، فقـال للنصـرانی مـا يقـول أميرالمـؤمنين؟ فقـال النصـرانی مـا الـدرع الا ـ درعی و ما أميرالمؤمنين عنـدی إلا ـ بكـاذب، فـالتفت شـريح إلی علی عليه السـلام فقـال يـا أميرالمؤمنين هـل من بينه؟ قـال لا ـ فقضـی بها للنصرانی، فمشی فنيئه ثم أقبل، فقال: اما أنا فاشهد ان هذه أحكام النبيين،

۱- تاريخ ابن خلدون ج۲ ص ۶۵۰.

۲- بحارالأنوار ج۱۰۴ ص ۲۹۰.

امیرالمؤمنین یمشی بی الی قاضیه و قاضیه یقضی علیه، أشهد أن لا أليه إلا الله وحده لا شریک له و أن محمداً عبده و رسوله، الدرع والله درعک یا أمیرالمؤمنین فخرج مع أمیرالمؤمنین علیه السلام إلی صفین فأخبرنی من رآه یقاتل مع علی علیه السلام الخوارج فی النهروان.

[*۳۵] ینبغی ملاحظه ما ذکرنا قریباً (القضیه الثالثه).

[*۳۶] هذا رد السلام علی أهل الذمه ولا یکفی جواباً للمسلم.

[*۳۷] هذا لا دلیل علیه بل السلام مستحب و الجواب واجب، قال فی الجواهر (۱) مازجاً کلامه بالمتن فی وظائف الحکم و هی سبع، الاولی، تجب التسویه بین الخصمین و ان تفاوتا شرفاً وضعه فی السلام علیهما ورده و الجلوس والنظر إلیهما والکلام معهما والانصات والعدل فی الحکم الخ و احسن ما ورد فی الباب ما اسنده (۲) أبو عبدالله الصادق علیه السلام إلی امیرالمؤمنین علیه السلام قال: من ابتلی بالقضاء فلیواس بینهم فی الشاره والنظر و فی المجلس، و فی روایه سلمه (۳) بن کهیل عن علی علیه السلام فیما یقول لشریح، ثم واس بین المسلمین وجهک و منطقک و مجلسک حتی لا یطمع قریبک فی حیفک و لا ییأس عدوک من عدلک.

[*۳۸] القتبانی (۴) الفقیه تقدم ذکره فی تعالیق هذا الفصل و عن ابن سعد منکر الحدیث وفاته سنه ۱۸۱.

[*۳۹] وصفه فی الشذرات (۵) بالامام قال أبو عمرو قاضی الدیار المصریه، وقال أخذ فی

۱- جواهر الکلام ج ۴۰ ص ۱۳۹.

۲- وسائل الشیعه ۱۸ الباب ۱، ۱ من أبواب آداب القاضی.

۳- نفس المصدر ۱۸ الباب ۳ ح ۱ من أبواب آداب القاضی.

۴- شذرات الذهب ج ۱ ص ۲۹۷.

۵- شذرات الذهب ج ۲ ص ۱۲۱.

المحنه فحبس دهراً حتی أخرجه المتوکل و ولاه قضاء مصر، و کان من کبار أئمه السنه الثقات.

[*۴۰] فی الشذرات (۱) أحمد بن سیار المروزی الحافظ مصنف تاریخ مرو توفی سنه ۲۶۸ وصفه بالامام محدث مرو، و قال و کان یشبه فی عصره بابن المبارک علماً و زهداً.

[*۴۱] أحسن ما قیل أو کتب وصیه إلی القاضی ما عن أمیرالمؤمنین علی علیه السلام.

[*۴۲] لا قیمه لهذا الاجماع اذا و افقهم الشیعه الامامیه الذین هم وارثوا الکتاب و السنه حقاً بوساطه أئمه أهل البیت الذین هم أدری بما فیه.

[*۴۳] بنو أبی برده (۲) أبو برده هو عامر بن أبی موسی عبدالله بن قیس الأشعری، قال فی الوفیات: و أبو برده کان قاضیاً علی الکوفه ولیها بعد القاضی شریح، هکذا ذکره ابن سعد فی (کتاب الطبقات)، قال: و کان أبو موسی تزوج فی عمله علی البصره طنیه بنت دمون و کان أبوها رجلاً من أهل الطائف فولدت له أبا برده، الی، و سماه أبوموسی عامراً، الی، و کان ولده بدل قاضیاً علی البصره، ذکر وفاه أبی برده سنه ۱۰۳ بالکوفه و قیل ۴ و قیل ۶ أو ۷.

[*۴۴] تقدمت ترجمته، تعلیقات الفصل الثانی عشر (۲۹).

[*۴۵] و وصفه فی الشذرات (۳) بکبیر الدوله الأمیر رکن الدین بیبرس المنصوری الخطائی الدویدار صاحب التاریخ الکبیر و رأس المیسره و نائب مصر قبل ارغون، توفی فی رمضان بمصر عن ۸۰ سنه و أرخ سنه وفاته ۷۲۵، و ذکر السید الروضاتی (۴) انه فی دوله السلطان ظاهر بیبرس من کبار ملوک قاهره مصر المحروسه عین فیها اربعه قضاه،

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۱۵۴.

۲- وفیات الأعیان ج۲ ص۵-۶.

۳- شذرات الذهب ج۶ ص۶۶-۶۷.

۴- روضات الجنات ج۱ ص۱۹۰.

يقضون بين النـاس و يفتون لهم، بالحنفيه والمالكيه و الشافعيه و الحنبليه على سبيل التوزيع و منع عن كل ما دون ذلك بمنع بالغ فظيع بحيث قـد أخـذت له البيعه من كل فريق و شددت عليه العقد و المواثيق و نوديت اليه الخلائق من كل فج عميق فى حدود سنه ۶۶۵، ثم تصـرف كـل طـائفه منهم فى ركن من أركان بيت الله الحرام يقيمون الجماعه فى أتباعهم بحـذاء ذلك المقام الى زماننا هذا، الى، لم يتقبلوا منذ اهتم و اصر بعض سلاطين الشيعه الاماميه أن يكون للفرقه الجعفريه أيضاً هناك مقام خامس.

[*۴۶] تقدم ذكره فى تعليقات الفصل العاشر (۸).

[*۴۷] سبق ذكره فى تعليقات الفصل العاشر (۱۰).

[*۴۸] هو أبوبكر (۱) محمد بن طغج بن جف التركى الفرغانى صاحب مصر و الشام و دمشق و الحجاز و غيرها و صاحب سرير الذهب، والاخشيد لقب لكل من ملك فرغانه، و كان الأخشيد ملكها و ولاه خلفاء العباسيين الامصار حتى عظم شأنه و عن العبر (والأخشيد بالتركى ملك الملوك).

و ذكر عن ابن خلكان نقلاً عن محمـد بن عبـدالملك الهمـدانى فى تاريخه عيون السـير انه كان جباناً و له ثمانيه آلاف مملوك يحرسونه فى كل ليله ألفان منهم الخ.

[*۴۹] هو محمد بن عبدالله (۲) المنصور بويع فى اليوم الذى توفى فيه المنصور سنه ۱۵۸.

[*۵۰] هو محمـد بن هارون (۳) الواثق بويع له يوم الثلاثـاء لثلاث بقين من رجب سـنه ۲۵۵ و قتل فى رجب سـنه ۲۵۶ و كانت دولته سنه و عمره نحو ۳۸ سنه.

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۳۳۷.

۲- تاريخ اليعقوبى ج۳ ص۱۳۰.

۳- تاريخ اليعقوبى ج۳ ص۲۳۶، شذرات الذهب ج۲ ص۱۳۲.

[*۵۱] تمکن المعتضد (۱) أبوالعباس أحمد بن الموفق طلحه من الامور، و رأی أمیرالمؤمنین علیه السلام فی المنام یقول له أمر الخلافه یصل إلیک فاعضد بالله و أکرم بنی. ارخ وفاته فی الشذرات سنه ۲۸۹.

[*۵۲] ذکر الطبری (۲) ان المعتضد بالله بویع له بالخلافه سنه ۲۷۹ و ولی عبدالله بن سلیمان الوزاره و ذکر انه وجهه الی الری سنه ۲۸۲ الی أبی محمد ابنه و انه وافی بغداد قادماً من الری فخلع علیه المعتضد و فی سنه ۲۸۳ شخص الی الجبل لحرب ابن أبی دلف باصبهان، و فی احداث سنه ۲۸۴ خوف المعتضد من عزمه علی لعن معاویه بن أبی سفیان علی المنابر، و قد کان أمر بانشاء کتاب یقرء علی الناس اضطراب العامه والفتنه و انه امر المعتضد باخراج الکتاب الذی کان المأمون أمر بالنشائه بلعن معاویه، فأخذ من جوامعه نسخه الکتاب، الی، و ذکر ان عبدالله بن سلیمان احضر یوسف بن یعقوب القاضی و امره أن یعمل الحیله فی ابطال ما عزم علیه المعتضد، الی، فامسک المعتضد، و لم یأمر فی الکتاب بعده بشیء لکن یظهر من المسعودی (۳) انه کان وزیراً قبل المعتضد، قال (اقر عبیدالله بن سلیمان علی وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبیدالله).

[*۵۳] فی الشذرات (۴) فیها (أی سنه ۲۸۹) توفی بدر الترکی مولی المعتضد و مقدم جیوشه غدر به المکتفی و قتله فی رمضان.

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۱۷۲-۱۷۳.

۲- تاریخ الطبری ج۸ ص۱۶۴-۱۷۱-۱۸۲-۱۸۹-۱۹۰.

۳- مروج الذهب ج۴ ص۲۳۳.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص۲۰۱.

[*۵۴] كما هو الحق الحقيق عندنا معاشر الاماميه.

[*۵۵] تعرض العلامه (۱) الأمينى قدس سره لذكر مختصر ما فى (الأحكام السلطانيه) للماوردى المتوفى سنه ۴۵۰ طى بيان المناصب التى تولاها السيد الرضى رحمه الله عليه، فمنها النقابه خاصه و يلزمه فى النقابه على أهله من حقوق النظر ۱۲ حقاً عدها واحداً بعد واحد، و عامه يضاف فيها إلى الحقوق المذكوره فى الخاصه خمسه أشياء: ۱- الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه. ۲- الولايه على ايتامهم فيما ملكوه. ۳- اقامه الحدود عليهم فيما ارتكبوه. ۴- تزويج الأيامى اللائى لا يتعين أوليائهن أو قد تعينوا فعضلوهن. ۵- ايقاع الحجر على من عته منهم أو سفه. وفكه اذا أفاق ورشد، و منها ولايه المظالم و فسرها بقود المتظالمين الى التناصف بالرهبه و زجر المتناز عين عن التجاهد بالهيبه و ذكر شروط الناظر فيها، و منها الولايه على الحج، و جعلها على ضربين الأول ان تكون على تسيير الحجيج، والثانى على اقامه الحج، و بين ان عليه فى حقوق الولايه الاولى عشره أشياء ذكرها، و فى الثانيه عليه خمسه أحكام متفق عليها و سادس مختلف فيه شرحها.

[*۵۶] هذا خلاف قواعد القضاء.

۱- الغدير ج۴ ص۲۰۵-۲۰۹.

الفصل السادس عشر: علم اللغه

اشاره

فتح القرن الرابع الهجری فتحا جدیدا فی کل من الناحیتین الرئیسیتین لعلوم اللغه العربیه، و هما : النحو، و عمل المعاجم. و قد تخلص علام اللغه، کما تخلص علم الکلام من طریقه الفقهاء و مناهجهم حتی من الناحیه الشکلیه؛ و یصف السیوطی طریقه علماء اللغه المتقدمین فی تعلیمهم فیقول :« وظائف الحافظ فی اللغه أربعه، أحدُها ج و هی العلیا ج الإملاء، کما أن الحافظ من أهل الحدیث أعظم وظائفهم الإملاء .. و طریقتهم فی الإملاء کطریقه المحدّثین سواء : یکتب المستملی أوّل القائمه : مجلسٌ أملاه شیخنا فلان بجامع کذا فی یوم کذا، و یذکر التاریخ؛ ثم یورد المملی بإسناده کلاماً عن العرب و الفصحاء فیه غریبٌ یحتاج إلی التفسیر، ثم یفسره، و یورد من أشعارالعرب و غیرها بأسانیده، و من الفوائد اللغویه بإسناد و غیر إسناد ما یختاره؛ و قد کان هذا فی الصدر الأول فاشیاً کثیراً، ثم مات الحفاظ و انقطع إملاء اللغه من دهر مدید و استمرّ إملاء الحدیث .. و آخر من عَمِلتهُ أملی علی طریقه اللغویین أبوالقاسم الزجاجی، له أمالٍ کثیره فی مجلد ضخم؛ و کانت وفاته سنه تسع و ثلاثین و ثلثمائه، ولم أقِف علی أمالٍ لأحد

بعده»(۱).

کان هوءلاء العلماء المتقدمون یضعون معارفهم بعضها إلی جانب بعض، مفککه لارباط بینها، و کان اهتمامهم ینصَبّ علی الجزئیات : علی حادثه واحده، أو صوره من صور التعبیر واحده، أو کلمه واحده، کما نجد ذلک فی کتاب المبرّد (المتوفی عام ۲۸۵ه ۸۹۸ م)، بل فی کتب القالی (المتوفی سنه ۳۵۶ه ۹۶۷ م) و هی کتب موءلفه من علوم اللغه و من القصص و التاریخ، و کان أبو عمر محمد بن عبد الواحد اللغوی المعروف بغلام ثعلب (توفی سنه ۳۴۵ه ۹۵۶ م) یجعل کلامه بحسب أسئله الحاضرین. فمثلا کان یسأله بعضهم : أیها الشیخ ما القنطره عند العرب(۲)؟.

أما أئمه اللغه فی القرن الرابع الهجری فقد شعروا بالحاجه إلی منهج یسیرون علیه، و إلی تناوُل ماده بحثهم علی طریقه منظمه. و قد کان لمعرفه العرب بعلوم الیونان اللسانیه أثرٌ کبیر فی ذلک. و کان البحث یدور فی مجلس عضدالدوله (المتوفی عام ۳۷۱ه ۹۸۱ م) حول الفرق بین النحو العربی و النحو الیونانی، و أصل استنباطهما؛ و قد میز أبو سلیمان السجستانی النزعه الجدیده فی النحو بأن قال : نحوُ العرب فطره، و نحونا فطنه(۳)».

و إذا وجدنا ابن فاروس (المتوفی عام ۳۹۵ه ۱۰۰۵ م) یوءلف لأول مره « مقدمه فی النحو » فینبغی ألا نری فی هذا سوی ولید للمقدمات (إیساغوجی) التی کتبها علماء اللغه الیونان.

۱- المزهر للسیوطی ج ۲ ص ۱۹۹ من طبعه القاهره سنه ۱۳۳۵ه .

۲- المنتظم ص ۸۵، و لیس فی النص ما یدل علی أن هذه کانت طریقته. (المترجم) .

۳- إخبار العلماء بأخبار الحکماء للقفطی ص ۲۸۳ من الطبعه الأوربیه .

و أكبر مـاتم على أيـدى علماء اللغه هو تحديـدُ معانى الكلمات و عملُ المعاجم؛ و نجـد هنا حـداً واضـحاً يفصل بين عهـدين و طريقتين؛ و كان حمزه الأصفهانى (المتوفى بين ٣٥٠، ٣۶٠ه ٩۶١، ٩٧٠ م) خاتمه اللغويين القدماء الذين كانت كتبهم لا تشتمل إلا على عبارات للخطباء و البلغاء و الـذين ألفوا كتبا من المترادف و أخرى يسـتعين بها الخطباء فى الخطابه؛ ففى كتاب الموازنه مثلاـ ذكر أربعمـائه كلمه فى معنى « الشـقى »، و كـذلك جمع فى كتـاب الأمثـال أكـثر مـا يعرض فى لغه الخطبـاء من عبـارات المفـاظله من نحو أبيض من الثلـج و أجشع من الفيـل، و قـد كـان جَمعُه وافياً، بحيث لم يضف علماء القرون التاليه شيئاً إليها؛ و كان سَـلفه قد جمع من هذه العبارات ثلثمائه و تسـعين فجمع هو ألفا و ثمانمائه، ولم يفعل الميدانى (المتوفى عام ٥١٨ه ١١٢۴ م) أكـثر من نقـل مـا كتبه حمزه، و اسـتطاع أن يزيـد على كـل فصـل مثلاـ واحـداً أو مثلين أو أربعه على الأـكثر. و كـذلك أخذ الميدانى كل الشروح عن سلفه(١).

و فيما يتعلق بالأمثال الخالصه نجـد أن أكبر كتاب هو الذى ألفه فى القرن الرابع الحسن العسـكرى (المتوفى سـنه ٣٩٥ه ١٠٠٥ م).

على أن المـدرسه الجديـده أظهرت بعـد جيـل مـا كانت تعنى، و يتجلى ذلك فى كتاب الصالـح للجوهرى (المتوفى عام ٣٩٢ه ١٠٠١ م). و تـدل كل مقارنه لهـذا المعجم بالمعجم الكبير الـذى ألفه ابن دريد (المتوفى عام ٣٢١ه ٩٣٣ م) على مقدار التقدم فى المنهـج و فى الوضوح. و يقول ابن فـارس المتوفى (عام ٣٩٥ه ١٠٠٥ م) فى مقدمه معجمه المسـمى بالمجمل : « والمقصود من

١- (؟) Mittwoch, MSOS, ١٩١٠, S. ١۴٨ f.

كتابنا هـذا من أوله إلى آخره التقريب و الإبانه عما ائتلف من حروف العربيه فكان كلاما(١)»؛ و كان شأن الجوهرى عظيما حتى إن الكتـب الكـثيره ألفت فى الطعن فيه و الـدفاع عنه(٢)، بل نجـد (السيـوطى المتوفى عام ۹۱۱ه ۱۵۰۵ م) قـد ألـف بمكه فى الدفاع عن الجوهرى كتاب « اللفظ الجوهرى، فى رد خباط الجوجرى »، و كتاب الكرّ على عبد البر. و كان السيـوطى قاسيا بنوع خاص على الجوجرى معاصره (المتوفى عام ۸۸۹ه ۱۴۸۴)؛ فقـد أفحش فى الكلام عليه و أتى فيه من الزدراء و إساءه الأدب ما يستحق التعزير عليه(٣).

و كل المعاجم التى عملت بعد الجوهرى هى أشبه بتوسيع و شـرح لقموسه، و هنا نجد أيضا ج أعنى فى علم اللغه ج نهايه عهد قديم و بدايه عهد جديد بقى أثره قرونا متطاوله.

و كـذلك ظهرت فى القرن الرابع دراسه جـدّيه للاشـتقاق اللغوى، و بقيت عصـراً طويلاـ و كـان أسـتاذ هـذه الـدراسه ابن جنِّى الموصلى(المتوفى عام ۳۹۲ه ۱۰۰۲ م). و كانت أمه جاريه روميه، و هو الـذى ينسب إليه ابتـداع مبحث جديـد فى علم اللغه، و هو المسمى بالاشتقاق الأكبر(۴)، و هو البحث الذى لا يزال يوءتى

١- Goldziher, Beitr Zur Gesch. d. Sprachgelehrsamkeit bei den Arabern, SWA. phil, hist. Kl. ۳۷, S. ۵۱۸.

٢- Goldziher, SWA, ۷۲, S. ۵۸۷: Zur Gauhari Liteatur.

٣- طبقات المفسرين للسيوطى ص ۲۴ ج ۲۵ من إضافات الناشر الأوروبى .

۴- Goldziher, SWA, ۶۷, S. ۲۵۰، نقلا عن المزهر للسيـوطى (ج ۱ ص ۱۶۴). و انظر ج ۱ ص ۲۰۱ من طبعه مصر سنه ۱۳۲۵ه. و فى الكتـاب الثانى (الفصل الثلاثين) من كتاب الخصائص تناول ابن جنى الكلام فى الاشـتقاق الأكبر(انظر Studien uber Ibn Ginni, ZA, ۱۹۰۹, S. ۲۰) .

ثمره إلى اليوم، و الذى يختص بماده الكلمه دون هيئنها؛ و لم يكن لعلماء اللغه من العرب إنتاج أعظم من هذا.

و بقيت لغه التخاطب الدارجه إلى جانب لغه الكتابه، و كان الفرق بينهما كبيراً، حتى نجد الموءرخين يذكرون مع العجب أن يكون فى بغداد فى القرن الثالث الهجرى من يستطيع الكلام الصحيح من غير تكلف للإعراب، بل كأن ذلك له كالطبع(۱).

و كان ما ظهر فى الأدب من عنايه بالعامّه و بحياتهم مما جعل علماء اللغه يهتمون بدراسه لغه العامه، و ما يعرض فيها من خطأ، فألف أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى (المتوفى عام ۳۳۰ه ۹۴۱ م) كتاباً فى لحن العامه، ثم ألف ابن خالويه (المتوفى عام ۳۷۰ه ۹۸۰ م) بحلب كتاب « ليس فى كلام العرب(۲)».

أما ما ترك لعلماء اللغه و خصوصاً للحريرى فهو موضوع لبحث جديد.

۱- مروج الذهب ج ۸ ص ۱۳۱ .

۲- بغيه الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره الضى، طبعه مجريط ۱۸۸۴ ص ۵۶ .

تعلیقات الفصل السادس عشر

[*۱] عنونه فی الشذرات (۱) بأبی العباس المبرد، محمد بن یزید الأزدی البصری، امام أهل النحو فی زمانه و صاحب المصنفات، أخذ عن أبی عثمان المازنی و أبی حاتم السجستانی الخ و عن ابن خلکان، کان اماماً فی نحو و اللغه، قال: و اکن المبرد المذکور و أبوالعباس أحمد بن یحیی الملقب بثعلب صاحب کتاب الفصیح عالمین متعاصرین قد ختم بها تاریخ الأدباء، تقدم ذکره فی تعلیقات الفصل الثانی عشر (۵۵).

[*۲] ذکره فی الشذرات (۲) بعنوان القالی أبی علی اسماعیل بن القاسم البغدادی اللغوی النحوی الاخباری صاحب التصانیف و نزیل الاندلس بقرطبه، و قال أخذ الآداب عن ابن درید و ابن الأنباری، و قال و ألف کتاب البارع فی اللغه فی خمسه آلاف ورقه لکن لم یتمه، قاله فی العبر، تقدم ذکره فی تعلیقات الفصل الثانی عشر (۲۲).

[*۳] تقدمت ترجمته فی تعلیق الفصل الثانی عشر (۲۳).

[*۴] محمد بن طاهر (۳) بن بهرام المعروف بالمنطقی کان حیاً الی سنه ۳۷۷ او ۳۹۱ و کان أعور أبرص، و لهذا کان یبعد عن الناس و کانوا یزورونه فی بیته. و ذکر من آثاره صوان الحکمه. له ترجمه ضافیه فی دائره المعارف. و یظهر من کلماته المنقوله انه کان یری التأصل للدیانه والوحی ولا یری للعقل أهمیه قبال الوحی والشریعه.

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۱۹۰.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص۱۸.

۳- دائره المعارف الاسلامیه الکبری ج۵ ص۵۶۵-۵۷۰.

[*۵] هو أبوالحسین (۱) أحمد بن فارس بن زکریا بن محمد بن حبیب الرازی اللغوی کان اماماً فی علوم شتی خصوصاً فی اللغه فانه اتقنها و ألف کتابه الجمل فی اللغه. وفاته سنه ۳۹۰، سبق له ذکر فی تعلیقات الفصل الثانی عشر (۵۴).

[*۶] عنونه فی الشذرات (۲) بعد ذکر تاریخ وفاته سنه ۵۱۸ بعنوان أحمد بن محمد المیدانی النیسابوری الأدیب اللغوی، اختص بصحبه الواحدی المفسر و قرء علیه. و ذکر من تصانیفه المفیده فی اللغه کتاب الأمثال لم یعمل مثله.

[*۷] ذکره فی الشذرات (۳) بعد ذکر تاریخ وفاته سنه ۳۸۲ بعنوان أبی أحمد العسکری، الحسن بن عبدالله بن سعید، الأدیب الأخباری العلامه صاحب التصانیف و عن ابن خلکان له التصانیف المفیده و عد منها کتاب الحکم و الأمثال.

[*۸] تقدم له ذکر فی تعلیقات الفصل الثانی عشر (۵۹).

[*۹] تقدم ذکره فی تعالیق الفصل الثالث عشر (۴۹).

[*۱۰] تقدمت ترجمته.

[*۱۱] تقدمت ترجمته فی تعالیق الفصل الثانی عشر (۵۷).

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۱۳۲.

۲- شذرات الذهب ج۴ ص۵۸.

۳- نفس المصدر ج۳ ص۱۰۲.

الفصل السابع عشر: الأدب

اشاره

إن اختلاط دم الأمه العربيه و نضوب قوه الطبقه العليا فيها، التی كانت بيدها القياده، و بروز الشعوب الشرقيه القديمه التی كانت تتألف من أجناس مختلطه،كل هذه تتجلی أوضح ما تكون فی الأدب. فمنذ حوالی عام ۲۰۰ه ۸۰۰ م بدأ الأدب يتحرك بحركات جديده، و أصبحت القصيده التی جرت عاده شعراء العرب القدماء أن يسيروا عليها فی التغنی بأسمی ما فی حياه البداوه من مشاعر شيئاً طويلا علی الجيل الجديد، و بدت مسرفه فی تصوير الشعور، و أخذت تفقد ما كانت تتمتع به من تفرد بالسياده. و عمل أهل المدن، بعد أن صاروا هم الطبقه الممتازه، علی تأخير القصائد و ما كانت تتضمنه من ماده شعر البطوله و كذلك علی تأخير اللغه القويه البارعه التی تفيض بالحياه و البطوله إلی المحل الثانی شيئاً فشيئاً، و أخذت الأساليب البدويه الخشنه تفسح المجال للعبارات اللينه، و مال الناس إلی الأوزان القصيره ميلاً نندهش له.

و أصبح ميل الشعراء إلی أن يبعثوا فی النفوس ما يرفعها إلی آفاق الحياه القويه أقلّ من ميلهم إلی أخذ ألباب الناس بماده جديده للأدب، و بمعان دقيقه و عبارات و أخيله جميله. و تيقظ فی الناس ميلٌ إلی الطرائف المستحدثه – وهو أخطر

شیء علی شعر البطوله بجمیع أنواعه ج وعاد الأدب مره أخری إلی کشف ما یحیط بالإنسان فی حاضره، و أصبح یلذ له البحث فیما حوله من حیاه متشعبه النواحی، و إن لم تکن حیاه بطوله و روح سامیه و بدأ العامه ج و خصوصاً عامه المدن غیر المتعلمین ج یدخلون فی الأدب العربی، و هم لم یقتصروا علی تعلم القصائد و الحُکم علیها بنظرهم الخاص و علی التغنی بها علی أوزانهم الشعبیه، بل إن الکلام المرسل أیضاً أصبح عندهم یستعمل فی التعبیر عن کل ما جدّ فی الحیاه من نواح متنوعه. و هکذا نشأ النثر فی الأدب، بعد أن کان حتی ذلک الحین مقصوراً علی العلماء و أهل الدین، أو علی الأکثر علی کتب شعبیه قلیله نقلت عن الفارسیه. و یحکی عن قوم حوالی عام ۲۵۰ه ۸۶۴ م أنهم فضّلوا الکلام المنثور علی المنظوم(۱).

۱ النثر

کان التقدیر و الإجلال للکلام المنثور، إلی جانب تقدیر الشعر، ذلک التقدیر الذی هو مبدأ کل نثر جید، أکبر فضیله للعرب القدماء؛ و هم قد فاقوا فی ذلک جمیع الشعوب، فکان فی کل قبیله خطباء إلی جانب الشعراء یساوونهم فی المکانه، و کانت ملکه الخطابه تعتبر أشبه بملکه خارقه، حتی نشأ الاعتقاد فی بعض القبائل أنه لا ینشأ فیها خطیب قط إلا مات من قبله(۲).

و کانت ملکه الخطابه تعتبر شیئاً آخر مخالفاً للملکه الشعریه إلی درجه أن الموءرخین یذکرون بالإعجاب من یکون إلی جانب الإحسان فی الشعر مُجیداً

۱- مروج الذهب للمسعودی ج ۷ ص ۳۴۷ ج ۳۴۸ .

۲- الأغانی ج ۱۸ ص ۱۷۳ .

فی الرسائل و الخطب(۱).

و قد بلغ من شده تقدیر الناس للفظ الحسن أنه أصاب أهل مکه سنه ۲۰۸ه ۸۲۳ م سیلٌ مات بسببه خلق کثیر، فکب والی المدینه إلی الخلیفه المأمون طالباً عطفه و معونته لمن جرف السیل أموالهم و هدم نباتهم؛ فأنقذ إلی أهل مکه أموالا کثیره، و کتب مع ذلک کتاباً حسن العباره، فکان کتابه « أسرَّ إلی أهل مکه من الأموال التی أنفذها أليهم»(۲).

و أول صوره تجلی فیها اهتمام الأدباء بما یحیط بهم إقبالهم علی دراسه أخلاق العامه، فمثلاً حوالی ذلک الوقت ألف أبو عقال الکاتب کتاباً فی أخلاق العوام، وصف فیه أخلاقهم و شیمهم و مخاطباتهم و سماء الملهی(۳)؛ و کذلک ألف القاضی محمد بن إسحاق الصیمری، قاضی صیمر (المتوفی عام ۲۷۵ه ۸۸۸ م)، کتاب مساوی العوام و أخبار السفله و الأغتام(۴).

و کذلک کان وصف حیاه المدن من الموضوعات التی أحب الجاحظ معالجتها(۵) و هذا الأدیب (المتوفی عام ۲۵۵ه ۸۶۹ م) و الذی یحکی الکثیر من الحکایات الطریقه عن دمامه خلقته ج کانت عیناه جاحظتین، و کان جدّه أسود(۶) هو أبو النثر العربی الجدید و یعتبره الثعالبی

۱- نفس المصدر ج ۲۰ ص ۳۵؛ و کتاب الشعر و الشعراء لابن قتیبه، طبعه بروکلمان ص ۵۴۹ .

۲- کتاب المحاسن و المساوی البیهقی ص ۴۷۵ ج ۴۷۶ .

۳- مروج الذهب ج ۵ ص ۸۸ .

۴- الإرشاد لیاقوت ج ۶ ص ۴۰۱ ج ۴۰۳ .

۵- طراز المجالس لشهاب الدین الخفاجی طبعه مصر ۱۲۸۴ه ص ۶۷ و ما بعدها .

۶- الإرشاد ج ۶ ص ۵۶ .

أوّل كتّاب النثر(١).

و كان من عاده الوزير ابن العميد أكبر كتّاب الرسائل الديوانيه إذا ورد حضرته أحد من منتحلى العلم و أراد امتحان عقله سأله عن بغداد و عن الجاحظ(٢)؛ و لذلك دُعى ابن العميد الجاحظ الأخير(٣).

و يحكى عن ثابت بن قره العالم المشهور أنه قال : ما أحمد هذه الأمه (الإسلاميه) إلا على ثلاثه أنفس : أولهم عمر بن الخطاب، و الثانى الحسن البصرى، و الثالث أبو عثمان الجاحظ(۴).

وقد صنف أبو حيان التوحيدى ج الذى ربما كان أعظم كتّاب النثر العربى على الإطلاق ج كتابا فى تقريظ الجاحظ؛ و بلغ من مزيد اهتمامه بذلك أنه ذكر العلماء الذين كانوا يقضلون الجاحظ و بين عِظم مكانتهم(۵).

و بلغ من تقديره للجاحظ أنه كان يملك مسلكه فى تصانيفه، و يشتهى أن ينتظم فى سلكه(۶).

و قد كتب الجاحظ فى كل شىء، من الكتابه فى المعلمين(٧) إلى الكلام عن

١- يتيمه الدهر ج ٣ ص ٢٣٨، و قد سمى الباخرزى للثعالبى نفسه بأنه جاحظ نيسابور؛ انظر مقدمه كتاب الإعجاز و الإيجاز للثعالبى طبعه القاهره ١٨٩٧ م ص ۵ .

٢- لطائف المعارف للثعالبى طبعه أوربا ص ١٠۵، و الإرشاد لياقوت ج ١ ص ۶٨۶(٩) .

٣- يتيمه الدهر ج ٣ ص ٣ .

۴- الأرشاد ج ۶ ص ۶٩ ج ٧٠ .

۵- نفس المصدر ج ۵ ص ٢٨٢ .

۶- نفس المصدر ص ٣٨٠ .

٧- المستطرف ج ٢ ص ٢٧٨ ج ٢٧٩ طبعه مصر ١٣٠٢ه. أما مقدار تأثر الجاحظ فيما كتبه من السخريه بالمعلمين بكتب اليونان الهزليه التى كانت شخصيه للعلم من أكبر صورها فهو موضوع البحث، انظر Reich, Mimus, ١, ۴۴٣.

بنی هاشم(۱)؛ و من ذکر اللصوص(۲) إلی الکلام عن الضباب؛ و من الکلام فی صفات اللّه إلی الکلام فی قبائح ما یحکی من کید النساء.

و کان أسلوب الجاحظ مستحدثاً لم یستحکم فی التجربه، و کثیراً ما یشوب طریقته فی الکتابه الثرثره و الاستطراد إلی حد الإملال، و لکن هذا بعینه هو ما کان موضع لذه المعجبین بالجاحظ؛ و کانوا یشعرون بأنه إنقاذ لهم من طریقه العماء السائده إلی ذلک الحین و التی کات ثقیله لکثره ما فیها من الجد و إظهار العلم؛ و کان المعجبون بالجاحظ یعتبرون الثرثره الطبیعیه الجمیله فنا تعمّد الجاحظ أن یعالجه. وقد قدر المسعودی حوالی عام ۳۳۲ه ۹۴۳ م قدره الجاحظ علی التنسیق و مدَحَ متانه بناء ت آلیفه بقوله :« و کان إذا تخوّف مَللَ القارئ و س آمه السامع خرج من جدّ إلی هزل، و من حکمه بلیغه إلی نادره ظریفه». و یذکر المسعودی کتب الجاحظ فیبدأ بالبیان و التبیین، و یقول إنه أشرف کتب الجاحظ « لأنه جمع فیه من المنثور و المنظوم، و غرر الأشعار، و مُستحسن الأخبار، و بلیغ الخطب، مالو اقتصر علیه مقتصر لا کتفی به(۳).» و یشبه المسعودی المصنف المجید بأنه حاطب لیل، لأنه یذکر فی تصنیفه من کل نوع(۴).

۱- زهر الآداب للحصری علی هامش العقد الفرید ج ۱ ص ۵۶ و ما بعدها .

۲- ذکر التنوخی فی الفرج بعد الشده (ج ۲ ص ۱۰۶) کتاباً الجاحظ یسمی کتاب اللصوص .

۳- المسعودی فی المروج الذهب ج ۸ ص ۳۴؛ وقد ظل هذا التنویع بین الجد و الهزل منسویاً للجاحظ عند موءرخی الأدب؛ وقد ذکره کثیر من الأدباء. انظر مثلا رسائل الخوارزمی ص ۱۸۳ .

۴- مروج الذهب مثلا ج ۴ ص ۲۵ .

ثم إن التصوف الـذى جاء حوالى أوائل القرن الثالث الهجرى على أثر اضـمحلال الروح العربيه و نضوب قوتها ساعـد كثيراً على نشـر الأدب و جعله شـعبياً و على نشـر الكتب بين الجماهير، و صـبغها بصـبغتهم، و ساعـد مساعـدات كبيره على تقويه المـذهب الواقعى الطبيعى ج كما فعل ذلك أيضاً فى الآداب الأخرى ج هـذا إلى أن أهل التصوف كانوا يشـنعون على العلماء و علمهم، و يعتمـدون فى الغالب على عامه الناس؛ و كان هـذا التصوف يتجه إلى وعظ العامه و تحليل حياتهم و العنايه بحاجاتهم، وقـد تأثر بكلامهم و أساليهم. و أخيراً فإنه يتضح لنا أنه لولا اضـمحلال الطريقه و الروح العربيه القديمه لما دخل السجع فى البلاغه العربيه فى ذلك المصر.

و كـان لا ـيزال فى مـأثور العرب قليـلٌ من النثر الوثنى المسـجوع؛ و كان المسـلمون ينفرون من هـذا السـجع نفورَ المسـيحين فى الإـمبراطوريه الرومـانيه من الإـوزان القـديمه البـاقيه عن اليونـان و الرومان. و يبين لنا الجاحظ (المتوفى عام ۲۵۵ه ۸۶۸ م) عله كراهيه الأسجاع، فيقول : « و كان الذى كرّه الأسجاع بعينها، و إن كانت دون الشعر فى التكلف و الصنعه أن كُهان العرب الذين كـان أكثر أهل الجاهليه يتحاكمون إليهم، و كانوا يـدعون الكهانه، كانوا يتكهنون، و يحكمون بالأسـجاع .. قالوا فوقع النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهليه و لبقيتها فيهم و فى صدور كثير منهم، فلما زالت العله زال التحريم(۱)».

على أن المسيحيين الذين دخلوا فى الإسلام و كان لهم الشأن الأكبر فى ذلك العهد كانوا قد ألفوا استعمال السجع فى مواعظهم الدينيه؛ و كذلك يظهر أنه

۱- كتاب البيان و التبيين ج ۱ ص ۱۱۳ .

« حوالی منتصف القرن الثالث الهجری دخل السجع عند المسلمین فی الخطب الرسمیه، و نجد کثیراً منه فی کتاب وجّهه الخلیفه للمسلمین، و إن لم یکن کله مسجوعا(۱).»

و کانت طریقه کتابه الرسائل مجالا للتمرین علی إظهار صور البلاغه و أسالیها؛ ولم یعدَم قط بین الأدباء من لم یأبه للاعتبارات الدینیه فی کراهیه السجع، فکان یکتب سجعاً کالسجع العربی القدیم الذی کان لا یزال موضع إعجاب : و یحدثنا الجاحظ أن عامه أهل بغداد کانوا یحفظون رساله إبراهیم ابن سیابه إلی یحیی بن خالد البرمکی(۲)؛ و کان فی هذه الرساله شیء من السجع.

علی أن الرسائل الدیوانیه کانت هی مقیاس العرف اللغوی العام؛ و نجد وزیر الخلیفه المأمون حوالی عام ۲۰۰ه یکتب کتابه مرسله لاسجع فیها(۳)؛ وقد انتهی إلینا لالن ثوابه الکاتب (المتوفی عام ۲۷۷ه ۸۹۰ م) رساله فیها بعض السجع؛ و کان هذا الکاتب معرفاً بالتکف فی کتابته(۴)؛ و کذلک نجد الکتاب الذی أنشئ للعن الأمویین، و کان یراد قراءته علی جمیع المنابر ببغداد سنه ۲۸۴ه ۸۹۷ م، نثراً مرسلا، و إن کان لایخلو من أثر طفیف السجع(۵).

۱- Goidziher, Abhandlungen Philologle, ۱, S. ۶۵ f.

۲- البیان و التبیین ج ۲ ص ۱۱۴ .

۳- الکندی ص ۴۴۵ ج ۴۴۵۶، و فی مواضع کثیره من کتاب بغداد لطیفور، و یجد القارئ کتاباً من المعتصم إلی عبداللّه بن طاهر، و هو نثر مرسل لاسجع فیه ج انظر رساله فی الصداقه للتوحیدی ص ۵۴ ج ۵۵ من طبعه قسطنطنیه .

۴- الإرشاد ج ۲ ص ۳۷ .

۵- الطبری ج ۳ ص ۲۱۶۶ و ما بعدها .

و حوالی هذا الوقت کتب أحد المنشئین فی الدیوان من غیر سجع(۱).

علی أن السجع قد أصبح حوالی عام ۳۰۰ه هو الطریقه الجدیده المستحدثه عند کبراء بغداد، فنجد الخلیفه المقتدر یکتب إلی عمال البلاد سجعاً(۲)؛ و کذلک کان الوزیر علی بن عیسی یحلی کتبه بالسجع الکثیر(۳)؛ ولکن أمر السجع لم یصل فی سائر أجزاء المملکه إلی ما وصل إلیه ببغداد؛ فکانت رسائل الوزیر ابن خاقان المسجوعه تقع لدی عمال الولایات موقع الشیء الغریب(۴)، و کان أصحاب الدواوین فی البلاد یکتبون علی الطریقه القدیمه من غیر سجع(۵)؛ ثم انتشر السجع. قال ابن خفاجه «من کتّاب المحدثین من کان یستعمل السجع و لا یکاد یخلّ به، و هو أبو إسحاق إبراهیم بن هلال الصابی و أبو الفرج المعروف بالببَّغاء؛ و منهم من کان یترکه و یتجنبه، و هو أبوالفضل محمد بن الحسین العمید؛ و طریقه غیر هوءلاء استعماله مره و رفضه أخری، بحسب ما یوجد من السهوله و التیسیر والإکراه و التکلف(۶).»

و یحکی عن الوزیر ابن عباد، وزیر البویهیین، أنه کان ولوعا بالسجع إلی

۱- الإرشاد لیاقوت ج ۶ ص ۴۶۳. ولکن الرساله التی یشیر إلیها الموءلف هنا فیها سجع، و کاتبها ابن ثوابه نفسه، و العیب هنا أن الموءلف یعتمد علی أمر جزئی یبنی علیه قاعده؛ وقد فعل هذا کثیراً فی أثناء کتابه. و مما یدل علی الاضطراب فی استنتجاته أن ابن ثوابه کان منشئاً فی دیوان المقتدر، و یقول الموءلف إن المقتدر کان یکتب إلی عماله سجعاً. (المترجم) .

۲- کتاب الوزراء ص ۳۳۷ و ما بعدها .

۳- الإرشاد ج ۶ ص ۲۸۰، و کتاب الوزراء ص ۲۷۷ .

۴- انظر مثلا من سجعه فی کتاب الوزراء ص ۲۷۷ .

۵- انظر مثلا کتاب صاحب الأخبار إلی بغداد من بلده الدینور ج عریب ص ۳۹ ج ۴۰ .

۶- ابن خفاجه فی مقدمه کتاب الخطب لابن نباته ص ۱۶ .

حـد الإفراط فيه؛ و يقول التوحيـدى عن هذا الوزير : « وكان كلفه بالسـجع فى الكلام و القلم عند الجد و الهزل يزيد على كلف كل من رأيناه فى هذه البلاد.

قلت لابن المسيبى. أين يبلغ ابن عبـاد فى عشـقه للسـجع؟ قـال : يبلغ به ذلک لو أنه رأى سـجعه تنحلّ بموقعها عروه الملک، و يضـطرب بهـا حبـل الـدوله، و يحتـاج من أجلهـا إلى غرم ثقيـل و كلفه صـبعه .. لمـا كـان يخف عليه أن يخليهـا، بل يأتى بها و يستعملها(۱).» و يقول نقلا عن ابن العميد إن الصاحب خرج من الرى متوجهاً إلى أصـفهان، فجاوز فى طريقه قريه كالمدينه إلى قريه غامره و ماء ملح، لا لشـىء إلا ليكتب قائلا : كتابى هذا من النوبهار، يوم السـبت نصف النهار(۲)؛ و هذا ماحكاه التوحيدى، و كان أثلب أهل زمانه؛ و هو الـذى يقول عن ابن عباد أيضاً أنه كان عنـده أبوطالب العلوى، فلحقه غشـى بسـبب كلام ابن عباد المسجوع، فرش على وجهه ماء الورد(۳).

و هذا هو شأن السجع إلى اليوم(۴).

و رسائـل القرن الرابع الهجرى هى أدق آيه من ازدهار الفن الإسـلامى؛ ومادتها هى أنفس ما عالجته يـد الفنان، و هى اللغه؛ ولو لم تصـل إلينـا آيـات الفن الجميله التى صـنعتها أيـدى الفنانين فى ذلک العهـد من الزجاج و المعادن السـتطعنا أن نرى فى هـذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقه الرقيقه، و امتلاكهم لناصيه البيان

۱- الإرشاد ج ۲ ص ۲۹۱ .

۲- نفس المصدر ج ۲ ص ۲۹۸ .

۳- الإرشاد ج ۲ ص ۳۰۴ .

۴- مع شواذ قليله جـداً، فقد كان وزير مشـهور من وزراء المرابطين الأولين يتجنب السـجع، « و كان على طريقه قدماء الكتاب »؛ انظر المعجب فى أخبار المغرب للمراكشى طبعه مصر ص ۱۰۴ .

فی صورته الصعبه، و تلاعبهم بذلک تلاعباً؛ و لیس من محض الاتفاق أن کثیراً من الوزراء فی ذلک العهد کانوا من أساتذه البیان و أعلامه، ولذلک استطاعت رسائلهم أن تنال من التقدیر ما جعلها خلیفه أن تنشر کتباً للناس.

وکان من أولئک الوزاء : الخصیبی، و ابن مقله(۱)، و المهلبی(۲)، و ابن العمید، و الصاحب بن عباد، و الإسکانی وزیر السامانیین. و یحکی أن الإسکانی کان أکتب الناس فی السلطانیات، فإذا تعاطی الإخوانیات کان قصیر الباع(۳).

و هذا یدل علی التمییز الدقیق بین نوعی الرسائل. و کانت الرسائل الهامه مثل کتب تولیه العمال و نحوها تکتب فی دیوان خاص یسمی دیوان الرسائل، و هود دیوان لم تخلُ منه حکومه ما. وقد بلغ من العنایه بهذا الدیوان أنه قلد ببغداد لإبراهیم بن هلال الصابی (المتوفی عام ۳۸۴ه ۹۹۴ م)، و کان أکبر المنشئین فی النصف الثانی من القرن الرابع الهجری؛ مع أن الصابی ظل طول حیاته یعتنق دین الصابئه، و یصر علیه؛ و قد عرضت علیه الوزاره، إن أسلم، فأبی(۴).

ولما مات ألف نقیب العلویین، مع علو منزلته فی الدین، قصیده فی رثاء هذا الذی رفض الإسلام؛ و هذا یدل علی أن قیمه الإنشاء الجید کانت فی نظرهم أعظم من قیمه صحه العقیده. و کان الصابی یعرف قدر نفسه، و هو یقول مفتخراً :

۱- رسائل الخوارزمی ص ۳۵ .

۲- الفهرست ص ۱۳۴ .

۳- یتیمه الدهر ج ۳ ص ۱۱۹، ج ۴ ص ۳۱، و کتاب الإرشاد ج ۵ ص ۳۳۱ .

۴- الإرشاد ج ۱ ص ۳۲۴ .

و قد عَلِمَ السلطان أنی أمینُه *** و کاتبُه الکافی السدیدُ الموفّقُ

فیمنای یمناه، و لفظی لفظه، *** وعینی له عین، بها الدهر یرمُق

ولی فقرٌ تضحی الملوک فقیره *** إلیها لدی أحداثها حین تطرق(۱).

و تنقسم رسائله کلها قسمین : فی الجزء الأول إجمال للخطاب الذی تراد الإجابه عنه، و هذا القسم کان یتیح المجال لإظهار الأدب فی الثناء علی المُرسِل و امتداحه و الدعاء له؛ فمثلا کتب الصابی عن الوزیر ابن بقیه إلی قاضی القضاه، فقال فی أول الکتاب : « وصل کتاب قاضی القضاه بالألفاظ التی لو مازجت البحر لأعذبته، و المعانی التی لو واجهت دجی اللیل لأزاحته و أذهبته(۲)»؛ ثم یمضی فی الإجابه عن الکتاب مبتدئاً بقوله : و فهمته .. و لا تزال رسائل الصابی تقرأ إلی الیوم مع لذه یحس بها القارئ و إعجاب بامتلاکه عنان البیان : و هی تلبس موضوعها ثوباً من جمال الإنشاء القشیب؛ و حتی لو کان الکتاب یتناول أخباراً علمیه رسمیه لیس من شأنها أن تناسب ملکه البیان. و کان الصابی یدبج رسائله بعبارات جمیله مسهبه مسجوعه فی أولها و آخرها، ملیئه بضروب المجازات و الاستعارات و أنواع الجناس؛ و مع هذا لا یختفی المعنی بین ضغط الألفاظ، و لا یغطی علیه جمال الألفاظ و موسیقی السجع، بحیث یستطیع القارئ أن یفهم المراد من غیر تلک المشقه التی یعانیها الإنسان فی فهم رسائل من جاء بعده. و حتی لو ترجمت هذه الرسائل، و جُرِّدت من کل ما تتحلی به، و عُرضت علی صوره تفقدُها الکثیر من جمالها، فإنها لا تزال خلیقه

۱- رسائل الصابی طبعه بعبدا بلبنان ۱۸۹۸ م ص ۸ .

۲- یتیمه الدهر ج ۲ ص ۲۷۷ .

بالقراءه. و لنـذكر من أمثله الرسائل الـديوانيه التى كتبها الصابى كتاباً عن عز الـدوله إلى ابن عمه عضـد الـدوله جواباً عن كتاب عضد الدوله الذى أخبره فيه بفتح جبال القفص و البلوص سنه ۳۵۷ه ۹۶۸ م :

« .. وصل كتاب سيدى الأمير عضـد الـدوله أدام اللّه غزه! بما سـهل اللّه على يـده و يسّـره بيمنه و بركته من فتح جبال القفص و البلوص، و ما بلغه، أدام اللّه علوَّه ! من أهلها المعادين كانوا للمله، العادلين عن سبيل اللّه، حتى استنزلهم عن مَعقِل بعـد معقل، و استبحاهم فى موبل بعد موبل، و قتل حُماتهم، و أفنى كماتهم، وأباد خضراءهم و غبراءهم، و عفى معالمهم و آثارهم، و ألجأهم إلى الإذعـان و طلب الأمـان، و تسليم الرهـائن، و الإفراج عـن الـذخائر، و الاسـتقامه على سـواء الـدين، و الـدخول فى عصـمه المسـلمين؛ و فهيمته و حمـدت اللّه على مـا منـح الأـميرَ عضـد الـدوله، حمـدَ المتحقق بمـا أفـاء اللّه عليه، المغتبـط بما أزله إليه، المشـارك له فيمـا يخصه، المسـاهم له فيما يمسُّه؛ و وجـدتُ الأثر فيه كبيراً موءثره، و التـدبير جليلا كـدبِّره؛ و تلك عاده الأمير، أيده اللّه ! فى الصـمد للفاسد حتى يصلح، و للمعتاص حتى يسمح، و عاده اللّه عنده فى المعونه الضامنه للنجاح، الكافله بالفلاح؛ فمـا تردُ على من جهته بشـرى إلاـ كنت متوقعاً لتـاليه لهـا أخرى، ولاـ أسـتقل منها بشـكر ماض سالفٍ إلا ارتهننى بترقب حادثٍ مُسـتأنف، و اللّه أسـأل أن يهنئه نعمته، و يملأـه موهبته، و يبلغه فى الـدين و الـدنيا آمـاله؛ و يجمـل فيهمـا أحواله، و يجعل رايته منصوره على أعـدائه، صـغروا أم كبروا، و كلمته العليا عليهم، قلوا أم كثروا، و يمكنه من نواصـيهم، سالموا أم حاربوا، و يقودهم إلى التسليم له، رضوا أم كرهوا؛ ولا أعدَمَه فيما اختصه به من حباء و كرامه، و ظاهَرَه عنده من إعلاء

و أنافه، مزيداً تتصل مدّته إليه، و تحل عائدته عليه بحوله و طوله؛ و الأمير عضد الدوله أطال اللّه بقاءه ولى مواصلتى بما يبهجنى من أخباره، و يغبطنى من آثاره، و يسرنى من عافيته، و يوءنسنى من سلامته، و امتثله من أمره و نهيه، و أقف عنده من حده و رسمه، إن شاء اللّه(۱)».

ثم انتقل استعمال الأساليب المُحلاه بالسجع من الرسائل السلطانيه إلى الرسائل الإخوانيه؛ على أنه فى القرن الثالث الهجرى كتب الأمير الشاعر ابن المعتز إلى الأمير الشاعر عبيداللّه بن عبداللّه بن طاهر رساله تعزيه عن وفاه زوجته، وقد ردَّ عبيداللّه على ابن المعتز شاكراً، و كلا الرسالتين نثر مرسل، و لا سجع فيهما(۲).

أما فى القرن الرابع فكان لا يخطر على البال أن تكتب مثل هذه الرسائل من غير أن يكون فيها سجع؛ و قد عظم شأن هذا الفن، فن كتابه الرسائل الجيده، فى أواخر القرن الرابع حتى كان الناس يستطيعون أن يعيشوا من هذه الصناعه، كما عاش الشعراء قديماً من التكسب بالشعر. و كان أبوبكر الخوارزمى، (المتوفى عام ۳۸۳ه ۹۹۳ م)، أشهر كتاب الرسائل الإخوانيه؛ و قد ظل زماناً طويلا أكبر كتاب العرب.

كان أصل الخوارزمى من طبرستان، و مولده و منشوءه بخوارزم؛ وقد تقلب فى البلاد، و شرَّق و غرَّب، و اتصل بجميع الأمراء تقريباً فى شرق المملكه الإسلاميه. فورد بخارى و نيسابور، و هراه، و أصفهان، و شيراز، وغيرها(۳).

۱- رسائل الصابى ص ۵۶ ج ۵۸ .
۲- كتاب الديارات للشابشتى ص ۴۶ و ما بعدها .
۳- يتيمه الدهر ج ۴ ص ۱۲۳ و الصفحات التاليه .

و کـانت رسـائله توجَّه إلی الأمراء و الوزراء و القضاه و العمال و العلماء و اللغويين، و کان موضوعها ما يرد فی الرسائل عاده من التهنئه بالأعيـاد، و بارتفـاع المنصب، و بالنجاه من الشـر، و التعزيه بالوفاه، و الکتابه بعـد نکبه أو محنه أو خلع، و الکتابه بمناسـبه المرض، أو الخروج لحرب، أو للشکر علی هديه. و من رسائله رساله کتبها إلی صاحب ديوان الخراج جاء فيها: «

حيث صـرت ألزمُ خراجـاً التزم بنو المـدبِّر أضـعافه للبحتری، أضـايق فی ضـيعهٍ وهب أمثالهـا محمـد بن الهيثم الغنوی لأبی تمام الطائی . و قـد عرف الشـيخ أنی لا أقيم علی الخسف، و لا أحِلُّ إلا خطه النصف، فإن رأی ألا يفجع خراسان بلسانها، ولا يخليها من سيفها و سنانها، فعل»، فوَضَع صاحب الخراج عنه خراجَ سنه(۱).

و يظهر أن صـيت الخوارزمی جـذب إليه کثيراً من التلاميـذ، و خصوصاً من الفقهاء؛ و نجد فی رسائله الکثيرَ موجَّها إلی تلاميذه الجدد أو القدماء؛ و منها رساله شکر فيها رجلا علی اصطناعه فقيهاً من تلاميذه(۲).

و من أمثله ما کتبه لبعض تلاميـذه : « کتبک، يا ولدی، عندی تحَفٌ و شـمامات و أنوارٌ و با کورات، أفرَحُ بأولها، و أنتظر ورود ثانيها، و أشکرک علی ماضيها، و أعدُّ الأيام و الليالی علی باقيها، فکثر علی سوادَها، و وفر علی أعدادها، و اعلم أنی أحبک حباً مستکناَ و باديا.

أحبَّک ما لو کان بين معاشر من الناس أعداع لجرّ التصافيا

و أنی آنس بک حاضراً، و أشتاق إليک غائباً، شوقاً لو عرفته لتکبرت علی

۱- رسائل الخوارزمی ص ۸۱ .

۲- رسائل الخوارزمی ص ۱۱۹ .

الوری، ولم تقِم وزناً لأهل الدنیا، و کنتَ لا تنظر إلیهم إلا بموءخر عینک، و لا تکلمهم إلا ببعض شفتیک(۱).»

ولو قارنـا بین رسائـل الخوارزمی و رسائل الصابی لوجـدنا هـذه أکثر اتزاناً، و أقل مبالغه، و أقرب إلی الواقع؛ و کان أهم ما عند الخوارزمی المحسِّنـات البـدیعیه و السـلاسه؛ أمـا موضوع الرسـاله فهو بمثابه خیط ینسـج الفنان حوله ثمرات خیاله و بلاغته، کما یلتف النبات المسـتلق حول الخیط الذی ینصب له؛ و بین هذا الأسـلوب و بین الأسـلوب العربی القدیم کثیرٌ من وجوه الشـبه، من شغف بالألفاظ الجزله ذات الجرس، و التشبیهات الحسـنه، و قلق نفس الکتاب؛ غیر أن ما کانت تنطوی علیه الفروسـیه قدیماً من نبل العاطفه و قوتها قد تغیر و صار موضع سخریه؛ و هذه هی الصوره الوحیده التی أتیحت له فی مجتمعات المدن.

أما الصـفات الرئیسیه التی اتصف بها أسلوب الخوارزمی، فهی أیضاً صفات الأسلوب الساخر : و هی المبالغه و التکرار و الحشو؛ و هو یعمـد إلیهـا باعتبارها طریقه فنیه فی الکتابه؛ فمن ذلک فی إحـدی رسائله : « فلان أبطأ علی، فلیت شـعری الریـح قلعته، أم الأرض ابتلعته، أم الأفعی نهشـته، أم السـبا افترسـته، أم الغول أغوته، أم الشـیاطین استهوته، أم أصابته بائقه، أم أحرقته صاعقه، أم رفسته الجمال، أم اغتاله الجمّال، أم انتکس علی ظهر جمل، أم تدحرج من رأس جبل، أم وقع فی بیر، أم انهار علیه جرف شفیر، أم جفت یداه، أم قعدت رجلاه، أم ضرَّ به الجذام، أم أصابه البرسام، أم جمس غلاماً فقتله، أم تاه فی البر، أم أغرق فی البحر، أم مات من الحرّ، أم سال به سیل زاعب، أم وقع فیه سهم من سهام الآجال

۱- رسائل الخوارزمی ص ۷۶ .

صائب، أم عَمِل عَمَل أهل لوط، فأرسلت عليه حجاره من طين منضود مسوّمه عند ربک، و ما هی من الظالمین ببعید!»(۱).

و کتب إلی رجل طلب نسخه من رسائله :« .. و لو قدرت لجعلت الورق من جلدی، بل من صحن خدی، و القلم من بنانی، و المداد من أجفانی»(۲).

وقد توءتینا مبالغته فی کثیر من الأحیان مجموعه قیمه من الأحوال المتعارضه التی قد تعرض فی حیاه ذلک العصر، کالذی کتبه الخوارزمی إلی أبی علی البلعمی لما فارق الحضره وورد نیسابور؛ و مما قاله فی وصف حاله : « .. حتی لقد رکبت غیر دابتی، و أکلت غیر نفقتی، و نزلت بیتاً بکراً، و أکلت خبزاً بسراً، و حرمت العینی، و شربت الزبیبی، و لبست الصوف فی المصیف، و البردی فی الخریف، و کوتبت مواجهه، و خوطبت بالکاف مشاهفه، و أجلست فی صف النعال، أعنی أخریات الرجال، و ناظرنی من کان یدرس علی،و خالفنی من کان یختلف إلی، و حتی لقد نشزت علی جاریتی، و حزنت دابتی، و تقدمنی فی المسیر رفیقی الذی جمعنی و إیاه طریقی، و حتی إنی أخذت الدرهم الجید، فصار فی یدی ستوقاً، و قطعت الثوب المشتری فصار علی بدنی مسروقاً، و غسلت ثیالی فی تموز، فغابت الشمس و طلع السحاب، و سافرت فی حُزیران، فعصفت الریحُ و سد الأفق الضبابُ، وفقدت کل شیء ملکته، غیر عرضی الذی عهده الشیخ معی و صبری الذی عرفه منی»(۳) وقد یصل باستعمال الحشو و التکرار إلی ملاطفه من یوجه إلیه الخطاب و تملقه، و یذکر لنا مع ذلک

۱- رسائل الخوارزمی ص ۸۸ .

۲- نفس المصدر ص ۱۰۶ . انظر أیضاً ص ۶۸ .

۳- رسائل الخوارزمی ص ۳۰ .

مجموعه من الكتب التى يستطيع الإنسان أن يرجع إليها حينما يريد أن يكتب خطاباً من السجع الحسن؛ فقد جاء فى إحدى رسائله : « ذكر السيد أنه كتب جواب كتابى من الظهر إلى العصر؛ و لقد استبطأته على ما أعرفه من بُعد غوره، و غزاره بحره، و لكنى أغلقت لهذا الجواب بابى، و أرخيت له حجابى، و ضممت إلى نشر كتب آدابى، و جلست من الدواوين بين آل الجراح و آل بويه و بنى الخصيب و بنى مقله؛ و نشرت من المقابر آل يزداد و آل شداد، و حشرت من الآخره ابن المقفع البصرى، و سهل بن هارون الفارسى، و ابن عبدان المصرى، و الحسن بن وهب الحارثى، و أحمد بن يوسف المأمونى، و وضعت عن يمينى عهد أردشير بن بابكان، و عن يسارى كتاب البيان و التبيين، و بين يدى فصول بزرجمهر بن البختكان، و قبل ذلك رسائل مولانا الصاحب، عين الزمان، وزين الشيب و الشبان؛ فما زلت أسرق من هذا كلمه، و أنظر من ذاك فقره، و أستعير من هناك نادره وثيقه، أغصب الأحياء على بيانهم، و أنبش الموتى من أكفانهم، و أنا فى أثناء ذلك رَطبُ اللسان بالدعاء، رطب العين بالبكاء، أدعو اللّه بالتوفيق و اتسديد، و بالعصمه و التأييد»(۱).

على أن الخوارزمى كان فى نظر معاصره الهمذانى (و كان هذا أصغر سنا من الأول) لا يحسن من الكتابه « إلا هذه الطريقه الساذجه و هذا النوع الواحد المتداول بكل قلم، المتناول لكلّ يدوفم»(۲).

و كان أبوالفضل الهمذانى هو زعيم الطريقه الجديده و المحامى لها؛ فارق

۱- نفس المصدر ص ۳۵ .

۲- رسائل الهذانى طبعه بيروت ص ۷۶ .

همذان سنه ۳۸۰ه و هو مُقتبلُ الشبيبه، غضُّ الحداثه (كان يناهز الثانيه و العشرين)؛ وورد حضره الصاحب فتزوّد من ثمارها؛ ثم ورد جرجان، و أقام بها مده، و وافى نيسابور سنه ۳۹۲ه(۱) ، أى بعد أن فارق وطنه باثنى عشر عاماً؛ ثم شجر بينه و بين أبى بكر الخوارزمى ما كان سبباً فى عُلوِّ أمره، و بُعدِ صيته، إذ لم يكن فى الحسبان أن ينبرى للخوارزمى أحدٌ؛ فلما تصدى الهمذانى لمساجلته، و جرت بينهما مكاتبات و مناظرات و مناضلات، و غلب هذا قومٌ و ذاك آخرون، و جرى من الترجيح بينهما ما يجرى بين الخصمين المتصاولين، طار ذكر الهمذانى فى الآفاق، و ارتفع مقداره عند الملوك و الروءساء؛ ثم أجاب الخوارزمى داعى ربه، فخلا الجو للمهذانى، و تصرّفت به أحوالٌ جميله، و أسفارٌ كثيره، ولم يبق من بلاد خراسان و سجستان و غزنه بلد إلا دخلها، و استفاد خيرها؛ و ألقى عصاه بهراه، ثم صاهر أبا على الحسين بن محمد الخشنامى، و هو الفاضل الكريم الأصل، فانتظمت أحوال أبى الفضل بهذه المصاهره، واقتنى بمعونه صهره و مشورته ضياعاً فاخره، و عاش عيشه راضيه، و حين بلغ أشده و أربى على الأربعين سنه ناداه ربه فلباه فى سنه ۳۹۸ه ، « فقامت عليه نوادب الأدب و انثلم حدُّ القلم»(۲).

كان أبوالفضل مشهوراً بذكاء القريحه و قوه الحفظ؛ و كان ينشدُ القصيده التى

۱- هذا هو الصوب كما فى الإرشاد لياقوت (ج ۱ ص ۹۶)، لا ۳۸۲ه كما فى يتيمه الدهر للثعالبى (ج ۴ ص ۱۶۸) .

۲- يتيمه الدهر ج ۴ ص ۱۶۷ ج ۱۶۸ . ويذكر ابن خلكان (ج ۱ ص ۶۸ ج ۶۹ من طبعه فستنفلد) أن بديع الزمان مات من السكته، و عجل بدفنه، فأفاق فى قبره، و سمع صوته بالليل، فنبشوا عنه فوجدوه قد مات من هول القبر .

لم يسمعها قط، و هى أكثر من خمسين بيتاً، فيحفظها كلها، و يوءديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفاً، و لا يخِلّ بمعنى(۱).

و كـان من العجـائب التى يقـدر عليها، و يعجز عنها الخوارزمى أنه كان يسـتطيع أن يكتب كتاباً يقرأ فيه جوابه، أو كتاباً يقرأ من آخره إلى أوله، أو كتابـاً إذا قرئ من أوله إلى آخره كـان كتابـاً، فـإن عكست سـطوره مخـالفه كـان جواباً، أو كتاباً لايوجـد فيه حرف منفصـل، من راء يتقـدم الكلمه أو دال ينفصـل عنها، أو خالياً من الألف و اللام، أو من الحروف العوامل، أو أول سـطوره كلها ميم و آخرها ميم، أو كتاباً إذا قرئ معرجاً و سُـِرد معوّجاً كان شـعراً، أو إذا فسـر على وجه كان مدحاً، و إذا فسر على وجه كان قدحاً(۲).

و كان هذا و أشباهه يعتبر أعلى درجات القدره على الإنشاء فى ذلك العصر.

و كـذلك يعيب الهمـذانى الجاحـظ بـأن كلامـه سـهلٌ، قليـلُ الاسـتعارات، قريب العبـارات، و أن الجاحظ « مُنقادٌ لعُريان الكلام يستعمله، نفورٌ من معتاصه يهمِلهُ(۳).»

غير أن رسائل الهمذانى التى انتهت إلينا ليس فيها لحسن الحظ مثل هذه الإشارات المعتاصه، فهى قد كفتنا مشـقه ذلك، ولكنها أكثر التواء و تكلفاً من رسائل الخوارزمى و أحفل بالتشبيهات البعيده المطلب و بأنواع الجناس.

و قد ظهر شـىء جديد تجاوز أسلوب الرسائل، و هو الميل إلى القصص و الحكايه؛ فنجد الأدباء يذكرون فى سياق رسائلهم بين حين و آخر حكاياتٍ

۱- يتيمه الدهر ج ۴ ص ۱۶۷ .

۲- رسائل الهمذانى ص ۷۴ .

۳- مقامات الهمذانى طبعه بيروت ۱۸۸۹ ص ۷۲ .

طویله أو قصیره علی سبیل التمثیل؛ فمثلا یشبِّه الهمذانی فی إحدی رسائله حال الطامع الذی یذهب به الأمل و الطمع بعیداً، و الخیرُ منه قریب، بحال الرجل البخاری الذی ضاع حمارُه. یقول الهمذانی : « .. ثم لم یکن مَثلی معه إلا مثل البخاری الذی ضاع حماره، و خرج فی طلبه، حتی عبر جیحون بسببه، یطلبُه فی کل مَنهَله، و ینشده فی کل مرحله، و هو لا یجده، حتی جاوز خراسان، و انتهی إلی طبرستان، و أتی العراق، و طاف الأسواق؛ فلما لم یجده، و أیس، عاد، وقد طالت أسفاره، ولم یحصُل حماره، حتی إذا حصل فی بلده، بین أهله و ولده، أحبّ اللّه أن یلطف به لطفاً لیعتبر به، فنظر ذات یوم إلی اصطبله فإذا الحمار بسرجه و لجامه و ثغره و حزامه قائماً علی المعلف ینشّ .. »(۱).

و هو یقول مدللا علی أن الأنسان یظل هواه دائماً مع وطنه : « إن الإبل علی غلظ أکبادها لتحنّ إلی بلادها، و إن الطیر لتقطع عرض البحر إلی مظانها».

و یحکِی عن ذی الیمینین طاهر بن الحسین أنه « لما وَلِی مصر وافاها مضروبه قبابُها، مفروشه أرضها، مزخرفه جدرانها، و الناس رکباناً و رجالاً و النّثار یمینا و شمالا؛ فأطرق لا ینطق حرفاً، و لا یرفع طرفاً، ولا یهشّ إلی أحد، فقیل له فی ذلک، فقال : ما أصنع بهذا، و لیس فی النظاره عجائز بوشنج (و هی بلده)!؟»(۲).

و کذلک یحکی الهمذانی حکایه التاجر مع ولده و یتمثل بها؛ و کان التاجر قد جهز ولده بمال للتجاره، و أوصاه عند ما خرج من بلده بأن یحذر النفس

۱- رسائل الهمذانی ص ۱۷۴ ج ۱۷۵ .

۲- نفس المصدر ص ۳۷۰ .

و سلطانها. و كان مما قاله له ستحدثك النفس بمعنى اسمه القرَم، و يخبرك السفهاء عن شیء يقال له الكرَم؛ وقد جرّبتُ الأول فوجدته أسرع فی المال من السوس، و نظرت إلی الثانی فوجدته أشأم من البسوس؛ و دعنی من قولهم: أليس اللّه كريماً؟ بلی، و لكن كرمه يزيدنا ولا ينقصه، و ينفعنا ولا يضره؛ فأما كرم لا يزيدك حتی ينقصنی، ولا يريشك حتی يبرينی، فهو خذلان؛ فلما فصلت العير لجّت بالفتی همه العلم، فأنفق ما معه من المال فی طلبه، « فلما انسلخ من طارفه و تالده رجع بالقرآن و تفاسيره إلی والده، فقيراً لا يملك نقيراً، و قال : يا أبتِ جئتك بسلطان الدهر، و عزّ الأبد، و حياه الخلد؛ جئتك بالقرآن و تفاسيره، و الحديث بأسانيده، و الفقه بأبازيره، والكلام بأقانينه، و الشعر بغريبه، والنحو بتصاريفه و اللغه بأصولها، فاجن العلم نوراً ونوراً و الآداب حُرّا و حُوراً؛ فأتی به إلی السوق و قدّمه للصراف و البزاز و العطار و الخباز و القصاب، و انتهی إلی البقال؛ فساومه عن باقه بقل، و قال : انتق تفسير أی سوره شئت، فتنحی البقال، و قال: إنما نبيع بالكسره المكسَّره لا بالسوره المفسَّره، فأخذ الوالدُ ترابا بيده، و وضعه علی رأس ولده، وقال: يا ابن المشئومه، ذهبتَ بقناطير، و جئت بأساطير، لا يبيع بها ذو عقل باقه بقل(۱)».

و إذا كنا نجد عند الهمذانی ميلا إلی القصص و الحكايه، فقد كان يقابل ذلک عند الصاحب بن عبَّاد و من يتصل به اهتمامٌ خاص شديد بالجوّالين المكدّين و حكاياتهم و مخاطراتهم و لغتهم. و كان الصاحب بن عباد نفسه يحفظ « مُناكاه بنی ساسان » حفظا عجيباً؛ و يعجبه من أبی دُلف الخزرجی الشاعر وفورُ

۱- رسائل الهمذانی ص ۳۹۳ و ما بعدها .

حظه منها؛ وكانا يتجاذبان أهـدابها؛ و كان أبودلف هـذا شاعراً كثير المُلح و الطرف « أخلق التسعين فى الأطراف و الاغتراب، و ركوب الأسفار الصعاب، و ضرب صفحه المجراب بـالجراب فى خـدمه العلوم و الآداب»، و قـد دوّخ البلاد، فطاف بالهنـد و الصين، « و كان ينتاب حضره الصاحب بن عبّاد، و يكثر المقام عنده .. و يتزود كتبه فى أسفاره، فتجرى مجرى السفاتج فى قضاء أوطاره»(۱).

ولم تقتصر دقه ملاحظته بـالعين و الأذن على أحوال البلاد الأجنبيه، بـل شملت أحط طبقات أمته، و هى الطبقه التى يجهلها المثقفون فى العاده جهلهم لما ليس فى بلادهم؛ و كان الجاحظ أيضاً هو أول من كشف عن هـذه الناحيه؛ فقـد تكلم قبل ذلك العهد بمائه و خمسين سنه عن المُكدِّين، و أسمائهم، و ما يمتازون به، و يحتالون به(۲)؛ ثم جاء البيهقى فى أوائل القرن الرابع فنقل عن الجاحظ، و توسَّع فى الكلام عن أصناف المُكدين و أفعالهم و نوادرهم(۳).

أما أبودلف فإنه ألف قصيده طويله فى أصناف المكدين و شرحها شرحاً وافياً كافياً و تقدم كثيراً على كل من الجاحظ و البيهقى(۴).

و يرجع الفضل فى حفزه على ذلك إلى الأحنف العكبرى الشاعر؛ فقد كان الأحنف أيضاً جوّالا، طاف البلاد، و تغنى تغنياً موءثراً بحرمانه من وطن يأوى إليه؛ و لكنه التزم طريقه الشعراء الحقيقيين، فلم يحاول أن يذكر فى شعر، كل الألفاظ الصعلوكيه التى تبين أصناف المُكدّين و ألفاظهم؛ و إنما ترك بعض ذلك

۱- يتيمه الدهر ج ۳ ص ۱۷۴ ج ۱۷۵ .

۲- كتاب البخلاء للجاحظ، طبعه فان فلوتن ص ۴۷ و ما بعدها .

۳- المحاسن و المساوئ ص ۶۲۲ ج ۶۲۷ .

۴- يتيمه الدهر ج ۳ ص ۱۷۵ و ما بعدها .

لأبی دُلف(۱).

أما الهمذانی فقد ظهر فی هذا المیدان متمیزاً بنزعه خاصه إلی الحکایات القصصیه التمثیلیه القصیره التی تغلب علیها الصبغه البلاغیه؛ و کانت ثمره ذلک مجموعه من المقامات، منها واحده تسمی الرصافیه، و هی معرض تجتمع فیه الاصطلاحات المتعلقه بالمکدّین، کما هو الحال فی قصیده أبی دلف(۲).

و الهمذانی نفسه یشیر إلی تأثره فی مقاماته بأبی دلف؛ و ذلک بأن أخذ من قصیدته الأبیات التی ذکرها فی المقامه الأولی(۳)

وقد قدح الخوارزمی فی الهمذانی بأنه لم یحسن سوی هذه المقامات؛ فثارت لهذه التهمه ثائره الهمذانی(۴) و من أسف أننا لانعرف الناحیه التی أعجبت الخوارزمی فی هذه المقامات.

أما عندنا فالتقدم الکبیر الذی نلاحظه هو أن جمیع المقامات تدور کلها حول رجل واحد هو أبوالفتح الأسکندری؛ و بذلک تقوم الحکایات المختلقه الأشکال

۱- نفس المصدر ص ۱۷۵ . علی أنه یقال فی هذا النص إنه کان للعکبری قصیده دالیه فی المناکاه و ذکر المکدین. (المترجم).

۲- یفتخر الهمذانی (رسائل ص ۳۸۹ ج ۵۱۶،۳۹۰) بأنه أملی فی الکندیه أربعمائه مقامه لا مناسبه بین المقامتین لا لفظاً و لا معنی؛ و لکن لم یصل إلینا إلا ـ نحو من خمسین مقامه منها؛ و ینبغی ألا نعتبر الأربعمائه رقماً دقیقاً، فإن الهمذانی یوءکد فی رسائله (ص ۷۴) أنه یقدر علی أربعمائه صنف من الترسل .

۳- الیتیمه ج ۳ ص ۱۷۶ . علی أن المقامات لم یذکر تاریخ تألیفها، فیقول الحصری (علی هامش العقد الفرید ج ۱ ص ۲۸۰) إن المقامه الحمدانیه (ص ۱۵۰ و ما بعدها من طبعه بیروت) أملیت سنه ۳۸۵ه ۹۹۵ م .

۴- رسائل الهمذانی ص ۳۸۹ ج ۳۹۰ .

على أساس واحد، و هذا تمهيد للكتابه الروائيه على صوره أكبر؛ ولم يكن قد بقى على الهمذانى إلا خطوه واحده ليأتى لنا بقصص المحتالين و اللصوص من أخف و ألطف نوع لم يصل إليه أحد إلى اليوم. ولكن هذه الخطوه لم تتم مع الأسف؛ و لم يكن ذلك لنقص أو قصور فى القدره على نسج القصص و ربط أجزائها؛ فهذه القدره كانت موجوده، و نحن نلاحظها فى القصص الشعبيه؛ و لكن السبب هو أن المقامات كانت ولا تزال أدباً يوءلف للبلغاء، و هوءلاء لايعنون بربط أجزاء القصه بعضها ببعض، و إنما يعنون بالألفاظ و الأساليب البليغه. وقد أوجدت هذه المقامات ميلا إلى الخطب ذات الأساليب الوضاءه التى تشبه « السواريخ» التى تنطلق لامعه، ثم تفنى و لا تترك أثراً؛ و كذلك أساليب البلغاء لم يكن لها، رغم جمالها، أثر فى وضع قصه طويله متماسكه الأجزاء.

على أنه قد جُمعت أشعار الهمذانى أيضا(۱)؛ و هى قصائد تدل على أن صاحبها كان بفطرته كاتباً موهوباً، ولم يكن شاعراً؛ فهى أساليب بلاغيه محضه مجرده من كل عاطفه شعريه، و فيها فرط تكلف فى الألفاظ و المعانى، فمثلاً يقول الهمذانى:

إذا سجع القمرى راسلتُ لحنه *** بإيقاع دمع للغناء موافق(۲).

و هو بتلاعب فى شعره بعلم اللسان فيكتب قصيده معرّاه من الواو، و هو ما لم يستطع الصاحب بن عباد أن يفعله، مع أنه استطاع عمل قصائد كل واحده منها

۱- طبع ديوانه بمصر عام ۱۳۲۱ه ، و مخطوط باريس (۲۱۴۷) أدق و أوفى .

۲- الديوان ص ۵۹، و الظاهر أن الموءلف لايعجبه تشبيه الدمع بالإيقاع الموسيقى. (المترجم) .

خاليه من حرف من حروف الهجاء(۱).

و تدل عنايه الحصرى(۲) (المتوفى عام ۴۵۳ﻫ ۱۰۶۱ م) برسائل الهمذانى على أن الهمذانى قد غلب على من تقدمه؛ فالحصرى يذكر أجزاء طويله من رسائل الهمذانى؛ أما الخوارزمى فلا يذكره أصلاً.

و كان أبوالعلاء المعرِّى (۳۶۳ ج ۴۴۹ﻫ ۹۷۳ ج ۱۰۵۷ م) أكبر كتاب النثر فى عصر الحصرى. و يقول ناصر خسرو الرحاله الفارسى الذى ورد المعرَّه سنه ۴۲۸ﻫ ۱۰۳۷ م « إن فضلاء الشام و المغرب و العراق يقرّون أنه لا ـ نظير له فى هذا العصر، ولن يكون له نظير»، وقد أشاد الرحاله الفارسى إشاده خاصه بوصف كتاب لأبى العلاء « جاء فيه بكلمات مرموزه و أمثله بألفاظ فصيحه و عجيبه، بحيث لايقف عليه الناس إلا قليل منهم، و هوءلاء يقروءونه عليه أيضا»(۳).

و كان ذلك هو المثل الأعلى للنثر الجيد فى ذلك العصر؛ وقد ادّخر أبوالعلاء التعبيرات العويصه لقصائده، و لكنا نجد الأسجاع قد صارت فى رسائله أقصر بما نجده عند الهمذانى، كما أننا نجد تشبيهاته أكثر تكلفاً؛ و كثيراً ما تطغى الساعه و التكلف اللفظيان على الغرض من الرساله، حتى يجد القارئ مشقه فى الوصول إلى معرفته؛ و كثيراً ما نجد فى رسائله تشبيهات متكلفه مطوّله كثيراً بالنسبه لما عرف من قبل، فمن ذلك قوله : « و أسفى لفراق سيدى الشيخ، أقام اللّه عزه، أسف ساق حرّ، ساقه الطرب إلى الحر، توارى بالوريقه، من حر الوديقه،

۱- يتيمه الدهر ج ۳ ص ۲۲۳؛ و الديوان مخطوط باريس ص ۵۴ ج ب .

۲- زهر الآداب المطبوع بمصر على هامش العقد الفريد .

۳- ناصر خسرو ص ۱۱ من طبعه شيفر . و هذا النص نقلته إلى العربيه عن كتاب سفرنامه ص ۱۶ من طبعه كاويانى ببرلين ج المترجم .

كأنه قينه وراء ستر، أو كبير حجب من الهتر، فى عنقه طرق، كرب يفصه الشوق، لو قدر لانتزعه باليد، من المقلد أسفاً على إلفٍ، غـادره للكمـد، أى حِلف، أرسـله،فيلـك، نوح، فالحمـائم عليه تنوح، يسـمعك بالغنـاء أصـناف الغناء، و يظهر فى الغصون خبى الوجد المصون»، و هلم جرًّا(۱).

و نجد الكلام تلمع من ثناياه الإشارات اللطيفه و أنواع الجناس اللفظى، و نكاد نجد فى كل جمله صدى من ذلك قليلا أو كثيراً.

و هـذا التعبير عن الشوق للمرسل إليه هو الموضوع الـذى تبـدأ به الرسائل عاده. على أننا نجـد الهمذانى قد عبر عن شوقه بما هو أبسـط من ذلـك، مثال ذلك قوله : « معاذ اللّه أن أشـتاق إلى حضـرته، لكنى أفتقر إليها افتقار الجسـد إلى الحياه، و الحوت إلى الفرات»(۲).

أما بعد ذلك فنجد الكتاب يعبِّرون عن الشوق، و يبالغون فى النمثل بالحمام أو نحوه مما لم تجربه عاده.

فمثلا يقول أبوالعلاء:« و شوقى إليه و إلى الجماعه الـذين عرفتهم بمـدينه السـلام كالنسـيم لا يجمـد، و نار فارس ليس تخمد؛ و فقرى إلى لقائه و لقائهم فقرُ الذى أملق إلى الصله، و بيت الشعرإلى القافيه المتصله».

و يقول أيضاً : « شوقى إلى مولاى الشـيخ المناسب طول الدهر لاينفد بسـنه وشـهر، و كلما ذهب زمان صادف، أعقبه من الأزمنه رادف».

و يقول : « شوقى إلى سيدى الشيخ شوق البلاد الممحله، إلى السحابه

۱- رسائل أبى العلاء نشره مرجيلوث ص ۴۶ ج ۴۷، ص ۵۲ .

۲- رسائل الهمذانى ص ۸ .

المنسحله، و انتظاری لقدومه انتظار تاجر مکه وفد الأعاجم».

و یقول أیضاً : « و أنا و الجماعه نبعث إلی سیدی الشیخ مع راکب الطریق و نسیم الریح الخریق، و العقیق المومض، و الخیال المتعرض، سلاما تأرّجُ رحالٌ الرفقه إذا استودعته، و تبتهج قلوب النفر إن الآذان منهم سمعته(۱)».

أو نجد فی بعض الرسائل مبالغه فی المجامله و الملاطفه لا حد لها؛ فمن ذلک أن أحد الأدباء أهدی إلی أحد الأسراء مختصراً لکتاب مشهور فی النحو، فعبّر المعری عن إعجابه بالمختصر بأن شبّهه فی دقته و إحاطته بما فی الأصل بالفرات، جری من سمّ الخیاط؛ و أول ما نجده فی رسائله رسالته التی بعث بها إلی رجل بمصر، و فی أولها یقول :« إن کان للآداب، أطال اللّه بقاء سیدنا، نسیمٌ یتضوَّع، وللذکاء نار تشرق و تلمع، فقد فغمنا علی بعد الدار أرجُ أدبه، و محااللیلَ عنا ذکاوءُه بتلهُّبه، و خوَّل الأسماع شنوفا غیر ذاهبه، و أطلع فی سویداوات القلوب کواکب لیست بغاربه؛ و ذلک أنا معشر أهل هذه البلده وهب لنا شرف عظیم، و ألقی إلینا کتاب کریم، صدر عن حضره السید الحبر، و مالک أعنه النظم و النثر، قراءته نسکٌ، و ختامُه، بل سائره، مسک؛ و فی ذلک فلیتنافس المتنافسون؛ أجلَّ عن التقبیل، فظلاله المقبَّله، و نزه أن یبتذل، فنسخه المبتذله؛ و إنه عندنا لکتاب عزیز .. و إنما المنازل التی ینزلها السید کالشهب الش آمیه الموفیه علی العشرین بثمانیه، نزل بها الزبرقان فتشهرت، و نسبت العرب إلیها کلَّ سحابه أمطرت(۲)».

۱- رسائل أبی العلاء ص ۳۶، ۴۵، ۵۴، ۸۸ .

۲- رسائل أبی العلاء ص ۳ و ما بعدها .

و کتب أبوالعلاء إلی رجل أخبره بأنه سیزور بلدته المعرَّه، فوصفها له بقوله : « مثله بقدوم هذه الناحیه مثل النسر الذی هو من ملوک الطیر و عظمائها، تتصل من أوصاله رائحه المسک، یهبط علی نبیله جد و بیله، و هذه جمل من صفه المعرّه: هی ضد ما قال اللّه عزوجلّ : (مثل الجنه التی وُعد المتقون فیها أنهار من ماء غیر آسن ..) اسمها طِیره، و عند اللّه ترجی الخیره؛ المورد بها محتبس، و ظاهر ترابها فی الصیف یبس؛ لیس لها ماء جار، و لا تغرس بها غرائب الأشجار، و إذا أبرز لأهلها ذِبحٌ، یوءمّل به الریح، تحسبه صبغ بخطر، فکأنما یرمق به هلال الفطر؛ وقد یجیئها وقت یکون إلیها جدی المعز فی العزه کجدی الفرقد، و مثل حمل الکواکب حمل النقد، و یکبر فقیرها علی الهدایه قبل أبی الفرخین ابن دأیه، حتی یقف ببائع الرسل، فکأنما وقف برضوان یستوهبه ماء الحیوان(۱)».

و الفن العظیم الذی یتجلی فی هذه الطریقه بما فیها من زخارف کثیره تشبه « السواریخ ». جعل اللغه سلسله القیاد إلی درجه نادره، قویه التعبیر برغم الختصار، و هو الطریقه التی استند إلیها کل الذین کانوا یریدون اتعبیر عما فی نفوسهم مراعین فی ذلک غایه ما أرادوا من الإیجاز و القوه و الحریه فی التعبیر.

وقد بلغ أبو حیان التوحیدی (المتوفی حوالی عام۴۰۰ه ۱۰۰۹ م) مرتبه الأستاذ لهذه الطریقه، و کان علی ذروه من ذراها. و أول ما نلاحظه أنه کان عالماً بدقائق الأسلوب الرائع؛ وقادراً علیه؛ غیر أننا نکاد لا نلاحظ فی أسلوبه ذلک التکلف الذی نجده عند غیره من الأدباء. ولم یکتب فی النثر العربی بعد أبی حیان ما هو أبسط و أقوی و أشد تعبیراً عن مزاج صاحبه مما کتب أبو حیان؛

۱- نفس المصدر ص ۵۵ .

و لكن الجمهور كـان يميـل إلى طريقه الآـخرين فى البـديع، فيجرى عليها و يعظم أصـحابها؛ و لقـد كان أبوحيان فناناً غريباً بين أهل عصـره، و كان يعانى وحشه من يرتفع عن أهل زمانه، و يتقـدّم عليهم؛ و هو يقول : « فقدت كل موءنس و صاحب، و مرفق و مشـفق؛ و اللّه لر بما صليت فى المسجد، فلا أرى إلى جنبى من يصلى معى؛ فإن اتفق فيقالٌ، أو عصَّار، أو ندَّاف، أو قصَّاب، و مـن إذا وقـف إلى جـانبى أسـدرنى بصـنانه، و أسـكرنى بنتنِـه؛ فقـد أمسـيت غريب الحـال غريب النحله، غريب الخلـق، مستأنسـاً بـالوحشه، قانعـاً بالوحـده، معتـاداً للصـمت، ملازمـاً للحيره، و محتملاًـ للأذى، يائساً من جميع من ترى، متوقعاً مالابـد من حلوله؛ فشمس العمر على شفا، و ماء الحياه إلى نضوب، و نجم العيش إلى أفول(١)».

و فى آخر حيـاته أحرق كتبه، فلمـا عُـذل فى ذلـك قال : « إنى فقـدتُ ولـداً نجيبا، و صـديقاً حبيباً، و صاحباً قريباً، و تابعاً أديباً، ورئيساً منيباً؛ فشقّ على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، و يدنّسون عرضـى إذا نظروا فيها .. و كيف أتركها لأناس جاورتهم عشـرين سنه، فما صح لى من أحدهم ودادٌ، ولا ظهر لى من إنسان منهم حِفاظ؛ ولقد اضـطررت بينهم، بعد الشـهره و المعرفه، فى أوقات كثيره إلى أكل الخضر فى الصحراء، و إلى التكفُّف الفاضح عند الخاصه و العامه، و إلى بيع الدين و المروءه(٢)».

و كتـابه فى ذم الوزيرين مشـحون بالثلب المقـذع، وقـد ظل الناس زمانا طويلا يعتقـدون أن هـذا الكتاب يجلب النحس على من يقتنيه.

١- رساله فى الصداقه و الصديق طبع القسـطنطينيه ١٣٠١ه ص ۵ ج ۶ . ويقول أبو حيان إنه كتب هذه الرساله « لما بلغت شمسـه رأس الحائط » (ص ۱۹۹) .

٢- الأرشاد لياقوت ج ۵ ص ۳۸۷ ج ۳۸۸ .

و آخر مظهر لضعف الذوق العربی الأصیل أنه منذ القرن الثالث الهجری بدأت قصص السمر الأجنبیه تحتل مکاناً کبیراً فی الأدب العربی(۱).

وکانت الإسرائیلیات و قصص البحریین تقوم، حتی ذلک الحین، بحاجه من یرید التسلیه، أما منذ القرن الثالث فقد أضیف إلی ذلک ما ترجم من قصص الهند و الفرس، و کان أهمها فی ذلک العصر حکایات ألف لیله و لیله أو « هزار أفسان »، (ألف حکایت)، و هو اسمها الفارسی، و إن کانت هذه الحکایات دون المائتی مسر موزعه علی ألف لیله(۲).

غیر أن هذه الحکایات لم تکن تروق الأدباء الذین یوءثرون قراءه النثر الفنی، الذی یهز أرجاع النفس و الذی لا یخلو إلی جانب ذلک من زخرفه؛ فکانوا یرون أنها « کتابٌ غثّ بارد الحدیث(۳) »؛ و کذلک نجد أبا العلاء، الفنان الکبیر، یتکلم عن کتاب کلیله و دمنه کلام من لم یتحمس له؛ فیقول إنه لم یقتن هذا الکتاب، و لم یتمکک علمه بما فیه، ولم یستکمله سماعا(۴).

۱- جاء فی أخبار العرب أن أحسن الناس جواباً و أحضرهم قریش ثم العرب، و و ان الموالی أجوبتها بعد فکره و رویه (أمالی المرتضی ج ۱ ص ۱۹۷ طبعه القاهره ۱۱۳۰ م) .

۲- هل کانت قصص السندباد ضمن حکایات ألف لیله و لیله؟ کانت تلک القصص موجوده قائمه بذاتها، علی تفاوت فی طولها؛ و کذلک کان یعرف أنها من کتب الهند (مروج الذهب للمسعودی ج ۴ ص ۹۰، و الفهرست لابن الندیم ص ۳۰۵). وقد ذکر الصولی فی الأوراق (مخطوط باریس ص ۹) و ابن الحجاج الشاعر (دیوان ابن الحجاج المتوفی عام ۳۹۰ه ۱۰۰۰ م) مخطوط مدینه جوتا ص ۱۱) أن هذا الکتاب، کتاب السندباد من کتب الحکایات المحبوبه، التی یمیل إلیها الناس میلا خاصا. و یقال إن موءلفه طبیب هندسی یسمی سندباد، و هو یحتوی علی کتاب الوزراء السبعه و المعلم و الغلام و امرأه الملک (مروج الذهب ج ۱ ص ۱۶۲) .

۳- الفهرست لابن الندیم ص ۳۰۴ .

۴- رسائل أبی العلاء المعری طبعه مرجیلوث ص ۱۰۲ .

و لكن روح ذلك العصر الجديده التى خرجت عن النزعه العربيه الأولى كانت تتجه إلى ما هو أجنبى، و سرعان ما وجدنا حتى من العلماء و المعتبرين من الأدباء من لم يجد غضاضه على مكانته أن يوءلف أسماراً من النثر السهل، غيتها مجرد التسليه؛ فمثلا ابتدأ أبوعبداللّه محمدبن عبدوس الجهشيارى، صاحب تاريخ الوزراء، بتأليف كتاب على نسق كتاب ألف ليله و ليله، فاختار ألف سمر من أسمار العرب و غيرهم، و كتب منها أربعمائه و ثمانين سمراً، ولكن المنيه عاجلته قبل تتميمه الألف. و مما يجب ملاحظته أن الجهشيارى لم يهتم لوصل قصصه بعضها ببعض؛ ولهذا الوصل سحره و تأثيره الخاص فينا، لأنه يحببنا فى مواصله القراءه بل جعل الجهشيارى كل سمر قائماً بذاته، و يكفى لليله واحده(١).

و من هذا النوع الكتبُ المسليه التى ألفها القاضى التنوخى (المتوفى عام ٣٨۴ ه - ٩٩۴ م). و أخيراً جاء الموءرّخ الكبير مسكويه (المتوفى حوالى عام ۴٢٠ه ١٠٢٩ م)، و كان أكبر موءرخى القرن الرابع، فألف كتاب « أنس الفريد»، « وهو أحسن كتاب صُنِّف فى الحكايات القصار و الفوائد اللطاف(٢)».

و هذه القصص الجديده هى من نوع يغير كل المغايره القصصَ القديمه التى ألفها ابن قتيبه و صاحب العقد؛ ففيها نجد لأول مره تمام الأسلوب القصص الإسلامى، أعنى طريقه القصص التى ليست عربيه خالصه: و إلى جانبها انتشرت كتبٌ شعبيه كثيره لايعرَف موءلفوها؛ منها قصص فى الفروسيه كالتى تحكى عن

١- الفرست ص ٣٠۴ .

٢- تاريخ الحكماء للفقطى ص ٣٣١ ج ٣٣٢ من الطبعه الأوروبيه .

عروه بـن عبــداللّه، و أبی عمر الأعرج، و کتبٌ فی النـوادر و الحکایـات مثـل حکایـات جحـا و حکایـات ابـن المعـالی المغنی المشـهور، و کتبٌ هزلیه مثل قصه عاشق البقره، و السـنور و الفأر(۱)، وخرء الطـائر، و کتـاب ذات الطیب، ثم مجموعه کبیره من القصـص الغرامیه و خصوصاً حکایات الشعراء المشهورین و أهل الدهاء من النساء العاشقات. و کذلک شغلت قصص الحب بین الآدمیین و بین الجن مکاناً کبیراً(۲)؛ وقد ذکر المورخ حمزه الأصـفهانی حوالی عام ۳۵۰ه‍ ۹۶۱ م أنه کان فی عصـره من کتب السمر التی تتداولها الأیدی ما یقرب من سبعین کتاباً(۳).

و کان من بین هـذه الکتب القصـصُ التی کان یوءثرها أهل الطبقه الراقیه و التی یغلب علیها الوَلهُ واللـذه بسـفح الـدموع؛ و کان یثیر تولهَ العشاق ما روی عن بنی عذره من أن أحدهم « کان یموت إذا عشق »، و عن أبطال القصـص الغرامیه الذین یموتون من شده الفقد، و تتضعضع أعضاوءهم من شده الوجد(۴).

و إلی هنا وقف النثر العربی إلی الیوم.

۲ الشعر

کانت مدن العراق الکبری مهداً لشعر المُحدَثین؛ أما قائدهم فیعتبر بشّار بن

۱- الأوراق للصولی ص ۹ .

۲- الفهرست ص ۳۰۸ .

۳- کتاب تاریخ سنی ملوک الأرض و الأنبیاء علیهم الصلاه و السلام تألیف حمزه بن حسن الأصفهانی طبعه جوثقالد ص ۴۱ ج ۴۲ .

۴- الموشّی للوشّاء، طبعه لیدن ۱۳۰۲ه‍ ص ۶۴ و ما بعدها .

برد الذی نشأ بالبصره، و توفی عام ۱۶۸ه ۷۸۴ م(۱). (فی التاریخ اشتباه).

و کان أبوه طیاناً یضرب اللبن(۲).

وقد وُلد بشار أعمی، و کان ضخما طویلا عظیم اخلق و الوجه؛ وقد سخر منه رجل بأن قال له کأنک فیل عرضک أثقل من طولک؛ و ذلک عند ما رُوی له قولُ بشار:

فی حُلتی جسمُ فتی ناحل *** لو هبّت الریحُ به طاحا(۳)

و کان بشار إذا أراد أن ینشد شعراً صفق بیدیه، و تنحنح، و بصدق عن یمینه و شماله، ثم ینشد، فیأتی بالعجیب(۴).

۱- ألف المرزبانی (المتوفی عام ۳۷۸ه) کتابا کبیراً فی أخبار الشعراء المحدثنی و جعل أولهم بشار بن برد و آخرهم ابن المعتز (الفهرست ص ۱۳۲). ویقول ابن خلاد الشاعر فی شطر بیت له : والآخروی یقودهم بشار(یتیمه الدهر ج ۳ ص ۲۳۵)؛ و هو یسمی قائد المحدثین (حمزه الأصفهانی فی دیوان أبی نواس طبعه القاهره ۱۸۹۸ م، ص ۱۰ ج ۱۱، و الحصری علی هامش العقد ج ۲ ص ۲۱) .

۲- الأغانی ج ۳ ص ۲۰ .

۳- نفس المصدر ص ۲۲ و ۶۵. و یحکی عن رجل أنه قال: مررت ببشار، وهو منبطح فی دهلیزه کأنه جاموس (نفس المصدر ص ۵۶) .

۴- نفس المصدر ص ۲۲. و کذلک کان البحتری من أبغض الناس إنشاداً، فکان یتشدق و یزاور فی مشیه مره جانباًً و مره الفهقری، و یهزرأسه مره و منکبه أخری، و یشیر بکمه و یقول : أحسنتُ واللّه؛ ثم یقبل علی المستمعین فیقول: ما لکم لا تقولون: أحسنت، هذا و اللّه ما لا یحسن أحد أن یقول مثله (الإرشاد لیاقوت ج ۶ ص ۴۰۴). و کان فی بعض البلاد فی أثناء القرن الرابع الهجری شعراء یظهرون شذوذ الشعراء کما کان الحال فی العصور المنقدمه؛ و یحکی عن أحدهم أنه دخل علی بعض الولاه، وقد طین وجهه بطین أحمر، و لبس لبادا أحمر و عمامه حمراء، و أمسک عکازا أحمر، و لبس فی رجلیه خفین أحمرین (کتاب الدیارات ص ۸۶ب) .

ویحکی عن رجل أنه قال : « عهدی بالبصره و لیس فیها غزلٌ ولا غزله إلا یروی من شعری بشار؛ ولا نائحه»، ولا مغنیه إلا تتکسّب به، ولا ذو شرف إلا و هو یهابه و یخشی معرّه لسانه(۱)». علی أن بشاراً قصد بغداد و أنشد قصائده أمام الخلیفه المهدی؛ و یقال: إنه ألف اثنی عشر ألف قصیده من الشعر، و هو من أحسن ما یوءثر(۲).

و کانت لغه شعر بشار هی لغه کل الشعراء القدماء؛ و یذکر أنه کان ینزل بظاهر البصره قومٌ من أعراب قیس عیلان؛ و کان فیهم بیان و فصاحه، فکان بشار یأتیهم و ینشدهم أشعاره(۳)؛ و کان بشار علیما بأسرار اللغه حتی اعتبره اللغویون حجه. و لکن هذا کله کان علی الطریقه القدیمه، فلم یبتکر الشعراء المحدثون صوراً جدیده، ولا هم اکتشفوا ماده جدیده إلا نادراً، وإن کانوا قد افتتحوا قصائدهم بذکر الورد و النیلوفر و ما أشبههما من أزهار الریاض و البساتین، علی حین کان أهل البادیه یفتتحون قصائدهم بذکر الخزامی و البهار و العرار و نحوها من زهر البریه(۴)، و إن کانوا أیضاً ترکوا وصفَ حمار الوحش إلی وصف البهائم، کما فعل

۱- الأغانی ج ۳ ص ۲۶ .

۲- و قد قتل بشار، و هو یناهز الستین أو نیف علی السبعین؛ وقد نکبه الدهر بفقد جمیع أصدقائه قبل ذلک. وقد قال فی أشعاره إنه لم یبق إلا الناس الذین لا یعرفون ما هو الکلام؛ وقد ذم المهدی، فسُعِی به إلیه، و قیل له إنه زندیق؛ فأمر بضربه ضرب التلف حتی مات؛ فألقیت حثته بالبطیحه، فحمله الماء إلی دجله البصره؛ فأخذ و دفن، و أخرجت جنازته فما تبعها أحد إلا أمه له سواد سندیه عجماه ما تفصح؛ رُوءیت تسیر خلف جنازته و تصیح: وا سیداه وا سیداه ! (الأغانی ج ۳ ص ۷۱ ج ۷۲) .

۳- کتاب الأغانی ج ۳ ص ۵۲ .

۴- العمده لابن رشیق ص ۱۵۰ طبعه مصر ۱۳۲۵ه ۱۹۰۷ م .

القاسم بن يوسف أخو أحمد بن يوسف الكاتب الذى كان يتولى ديوان الرسائل المأمون(١)، أو إلى وصف القطط المنزليه، كما فعل ابن العلاف (المتوفى عام ٣١٨ه‍ ٩٣٠ م)(٢).

أمَّا الجديد فكان و هو البحث عن الطرائف البديعه التى تخالف المألوف و التى تسمَّى الطيبه(٣)، و هو أثر من آثار تدهور الحضاره التى دخلت فى الشعر العربى حينما آلت القياده إلى الأخلاط الذين سكنوا المدن.

وحدث فى الشعر ما حدث فى النثر؛ ذلك أن الميل إلى الطرائف و للسليات قتل فى الناس الميل إلى شعر البطوله القديم؛ وقد امتدح الجاحظ، لأنه كان موءسس الطريقه الجديده التى تحمع بين الجد و الهزل؛ و كذلك نال بشارٌ ج زعيم الشعراء المحدثين ج إعجابَ أبى زيد اللغوى و الأصمعى و أول ما أعجبهما فيه أنه كان يجدّ و يهزل، على حين أن منافسيه من المتمسكين بمذهب الأوائل لم يكونوا يحسنون إلا واحداً من هذين(٤).

١- الأغانى ج ٢٠ ص ٥٦ .

٢- الدميرى ج ٢ ص ٣٢١. لابن العلاف قصيده طويله رثى بها هراً. وقد اختلف فى سبب عملها، فقيل : كان له قط حقيقه؛ فقتله الجيران، فرثاه. وقيل: بل رثى بها صديقه ابن المعتز، لم يصرح بذكره خوفا من المقتدر، فورى بالقط . وقيل: بل هويت جاريه لعلى ابن عيسى لوزير غلاما لابن العلاف؛ ففطن بهما على بن عيسى، فقتلهما جميعا. فرثى ابن العلاف غلامه و كنى بالهر (تاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ٣٦١ ج ٣٦٢ تحت عام ٣١٨)، وقد كتب الصاحب بن عباد مرثيه لقط عارض فيها ابن العلاف (يتيمه الدهر ج ٣ ص ٢٣) .

٣- أخذت كلمه« طيب » تظهر فى صفه ذلك، و هى من الكلمات المحبوبه ند الجاحظ؛ انظر Vloten, Livre des Avares, S. ١١١.

٤- الأغانى ج ٣ ص ٢٥ .

و كذلك أعجب الأصمعى فى بشار أنه كان أكثر تصرفاً فى فنون الشعر، و أغزر و أوسع بديعاً من غيره(١).

أما إسحاق الموصلى الذى كان يتحمس لمذهب القدماء فقد كان لا يعتدّ بشعر بشار، و يقول: هو كثير التخليط فى شعره، و أشعاره مختلفه لا يشبه بعضها بعضاً، فمنها المتناهى فى الجوده و منها غير الجيد؛ و هود يذكر لبشار هذين البيتين.

إنما عظم سليمى حبَّتى *** قصب السكر لا عظم الجمل

و إذا أدنيت منها بصلا *** غلب المسكُ على ريح البصل

و يقول إن هذا يزرى بشعره، مهما كان فيه من الجيد(٢).

و كان «طيب » ، و هو البديع المستطرف، فى نظر الشعراء القدماء، شيئاً زائقاً، لا حقيقه واره؛ و لكنه انتشر عند المحدثين، و كانت الكلمه الجاريه فى وصف الشعر الحسن فى القرن الثالث هى « البديع »، أى الطريف المستحدث(٣).

وقد كتب ابن المعتز (المتوفى عام ٣٩٦ه‍ ٩٠٩ م) ج و هو من أكبر الشعراء ج كتاباً خاصاً بهذا المعنى.

وقد تبوأت المعانى المقام الأول، كما هو الحال فى كل شعر غايته الجرى وراء المستطرفات و كان الشعراء يتلمسون العباراتِ ذات المعانى الرائقه و التنويع فى تأليف الأبيات الشعريه و فيما تتضمنه من تشبيهات و تصورات. و من هنا جاءت المعانى التى زادها بشار بن برد و أصحابه، فإنهم أتوا « بمعان ما مرت قط

١- الأغانى ج ٣ ص ٢٤ .

٢- النفس المصدر ص ٢٨ .

٣- بل تتصل كلمه « بديع » من حيث الاشتقاق بمعنى ما هو فريد فى بابه أو غريب أو مستحدث .

بخاطر جاعلى و لا مخضرم و لا إسلامى»[(١)].

وقيـل لبشـار: بِمَ فقتَ أهل عصـرك فى حسن معانى العشـر و تهـذيب ألفاظه؟ قال : « لأنى لم أقبل كل ما تورده على قريحتى و ينـاجينى به طبعى ، و يبعث به فكرى؛ و نظرت إلى مغـارس الفطن، و معـادن الحقـائق، و لطـائف التشبيهـات؛ فسـرت إليها بفكر جيد، و غريزه قويه؛ فأحكمتُ سَيرَها، وانتقيتُ حُرَّها، و كشفتُ عن حقائقها، و احترزتّ عن متكلفها»[(٢)].

ومن شعر بشار الذى يعتبر «مستحدثاً» و مثالا المعانى المبتكره و الشعر الجيد قوله فى وصف حُبّه، و هو المكفوف البصر، لصوت امرأه تكلمت معه:

يا قوم ! أذنى لبعض الحى عاشقه *** والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لا ترى تهذى، فقلت لهم: *** الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

و هو يزيد هذا المعنى بساطه ودقه فى صوره أخرى له، حيث يقول:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها *** قلبى، وأمسى به من حبها أثرُ:

أنيى، ولم ترها، تهذى! فقلت لهم: *** إن الفوءاد يرى ما لا يرى البصر[(٣)]

١- العمده ج ٢ ص ١٨٥ .

٢- نفس المصدر .

٣- العمـده ج ٢ ص ١٨٨؛ و تجـد صوره أخرى لهـذه الأبيات فى الأغانى ج ٣ ص ٦٧، وقـد كان عمربن أبى ربيعه هو صاحب طريقه قالوا و قلت فى شعر الغزل .

و كانت عاده الشعراء، فيما سلف، أنهم كانوا يشهون الخدود بالورد؛ أما اليوم فإن الورد يشبّه بالخدود يضاف بعضها إلى بعض.

وقد أنشد أحد الشعراء أمام رجل هذا البيت:

عشيه حيانى بورد كأنه *** خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

فأعجب السامع حتى زحف إلى المنشد و طلب الزياده(١).

وقد نال أعظمَ الإعجاب، و اعتبر من « البديع » قولُ ابن الرومى (المتوفى عام ٢٨٠ه ٨٩٣ م) :

يجذب من نقرته طره *** إلى مدى يقصر عن نيله

فوَجهه يأخذ من رأسه *** أخذ نها الصيف من ليله

وهو يشير بالليل و النهار إلى لون الشاعر الأسود و جمال بياض جلد الرأس(٢).

وكان ابن الرومى هذا متطرفاً فى حكمه على الشعراء المحدثين، حتى كان يزعم أن بشاراً أشعر الناس جميعا ممن تقدم و تأخر(٣)، و هو حكم كأن يقفّ له شعر الأدباء و اللغويين فى ذلك العصر.

على أن ابن رشيق، ناقد الشعر المعروف (المتوفى عام ٤٦٣ه ١٠٧١ م) ، قرر بعد ذلك بمائتى عام أن ابن الرومى نفسه أكبر الشعراء المحدثين. وهو يروى له البيت المتقدم و يقدّمه بقوله: فقال ابن الرومى، و أحسن ما شاء(٤).

١- كتاب الديارات ص ۵ ب .

٢- العمده ج ٢ ص ١٨٨ .

٣- حمزه الأصفهانى فى ديوان أبى نواس طبعه القاهره ١٨٩٨ ص ١٠ .

۴- العمده ج ٢ ص ١٨٨، ١٩۴ (؟) .

وهـذه الطريقه الجديـده قـوّت مـا عنـد الشـعراء الموهـوبين من ميـل طـبيعى إلى الاسـتقلال فى روءيه الأشـياء بعيونهم لاـ بعيون المتقـدمين و إلى الابتكـار فى عبـارتهم، تقويه كبيره، و أصـبح لا يحمـد لهم أن يسـيروا على المناهـج السـهله المطروقه. ولهـذه الطريقه الجديـده يرجع الفضل فى هـذه الملاحه الطبيعيه التى تشـبه الكحَل من غير تكحُّل و التى نجـدها مثلا فى رثاء بشار لبُنيهٍ صغيره له(١):

يا بنتَ من لم يكُ يهوى بنتا *** ما كنت إلا خمسه أو ستا

حتى حللت فى الحشى و حتى *** فتنت قلبى من جوى فانفتا

لأنتِ خيرٌ من غلام بتا *** يصبح سكران و يمسى بهتا

أو ما قيل فى وداع جاريه(٢):

تقول غداه البين إحدى نسائهم: *** لِى الكبدُ الحرّى، فسِرا! ولك الصبر

وقد خنقتها عبره، فدموعها *** على خدها بيضٌ وفى نحرها صفر

أو فى أنواع التصوير القويه الـتى نجـدها عنـد أبى نواس(٣) (المتوفى حوالى عـام ١٩٥ه ٨١٠ م) و التى تـذكرنا بمـا فى أغانينا الشعبيه من نحو تشبيهه فعل الحب بالقلب يفعل القط بالفأر(۴).

أو فى التمثيل الرفيع الذى نجده عند ابن المعتز (المتوفى عام ٢٩٦ه ٩٠٩

١- الأغانى ج ٣ ص ٦٣ .

٢- حلبه السكميت ص ١٩١ .

٣- نشأ أبو نواس فى البصره، و كثيراً مـا كـان يتبع بشـاراً و يصب على قوالب معـانيه، كما يقول حمزه الأصـفهانى (ديوان أبى نواس ص ١٠). و يحكى عن الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ه ٨٦٩ م أنه قال: لا أعرف بعد بشار مولَّدا أشـعر من أبى نواس (ديوان أبى نواس ص ٩) .

۴- ديوان أبى نواس، مخطوط فينا رقم ٧٣۴ ص ١٦٧ ب (؟) .

م) في قوله(١):

و جلجل رعد من بعيد كأنه *** أميرٌ على رأس اليفاع خطيب

أو قوله(٢):

رددتُ إلى التقى نفسى، فقرّت، *** كما رُدَّ الحسامُ إلى القراب

أو قوله في أحدى الخمريات(٣):

فانظر إلى دنيا ربيع! أقبلت *** مثلَ النساء تبرّجت لزناه

و الكمأه الصفراء بادٍ حجمُها، *** فبكلِّ أرض موسمٌ لحياه

أو قوله(٤):

زارنى، و الدجى أصمّ الحواشى، *** والثريا فى الغرب كالعنقود

و هلال السماء طوق عروس *** بات يجلى على غلائل سود

أو قوله(٥):

أطال الدهرُ فى بغداد همِّى *** وقد يشقى المسافر أو يفوز

ظللت بها على كرهٍ مقيمًا *** كعنين تعانقه عجوز

و كثيراً ما يكون فى شعر هوءلاء الشعراء ابتكارٌ كبير فمن ذلك قول أبى نواسن:

١- ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٥. و كذلك يقول أبو تمام (فى الديوان طبعه بيروت ١٨٨٩م، ص ٣٧٠): فقام فيها الرعد كالخطيب و هنت الريح حنين النوب .

٢- ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٦ .

٣- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٣۴ .

۴- نفس المصدر ج ٢ ص ١١٠ .

۵- نفس المصدر ص ١٢٢ .

تقول غداه البین إحدی نسائهم *** لِی الکبدُ الحرّی فسِر! ولک الصبر

وقد خضبتها عبره، فلد معها *** علی خدّها خدُ وفی نحرها نحر(۱)

أو قول ابن المعتز(۲):

انظر إلی حُسن هلال بدا *** یهتک من أنواره الحِندسا

کمِنجَلٍ قد صیغ من فضه *** یحصد من زهر الدجی نرجسا

أو قول ابن الرومی(۳):

وقد نشرت أیدی السحاب مطارقا *** علی الدرض دُکناً و هی خضرٌ علی الأرض

یطرّزها قوسُ الغمام بأصفر *** علی أحمر فی أخضر وسط مُبیضّ

کأذیال خود أقبلت فی غلائل *** مصبَّغه، و اللعضِ أقصَرُ من بعض

ونجد هذا الجری وراء ما هو غیر مألوف من المعانی الجدیده یتعشـی فی الشـعر العربی طول القرن الرابع الهجری؛ وهوا قد أیقظ جمیع حواس الشاعر و نبّهها تنبیها کبیراً، لیتخرج أعمق ما فی باطن الأشـیاء من أسرار، و لیکشف عن أغرب خصائصها. و أول ما نلاحظه أن الشعر لم یکن له بدّ من أن یقوم مقام الفن

۱- دیوان أبی نواس ص ۸.

۲- الدیوان ج ۲ ص ۱۲۲ .

۳- العمده ج ۲ ص ۱۸۴ .

التصویری؛ فالکثیر مما یعبر عنه الشعر ما هو إلا تصویر و رسم لما تجیش به نفس الشاعر و یضطر إلی إبرازه فی صوره من الألفاظ. وقد قویت فی الشعراء رغبه عظیمه للنظر بأعینهم، و قامت فی نفوسهم حاجه إلی النظر فی الأشیاء نظره فنیه، وإلی الإبانه عنها إبانه توضحها لهم. و هذا ما لم یعرفه العرب الأولون؛ فقد کان فنهم فنا لغویاً أداته الألفاظ. وقد اتصل العرب بشعوب أخری تختلف عنهم اختلافا تاما؛ وقد کان لهذه الشعوب فنونٌ غیر الفنون الکلامیه، ولکن العرب لما غلبوا علیهم علموهم الکلام لا التصویر، أی أنهم وضعوا فی أیدیهم القلم بدلا من ریشه الرسام المصوِّر؛ ولما آل الأمر إلی هذه الشعوب و أصبحت هی القابضه علی زمام الفن الأدی، زاد الشعر التصویری زیاده کبیره، بعد أن لم یجد أبو تمام ما یصلح للاختیار فی باب الأوصاف حتی یذکره فی دیوان الحماسه إلا بضعه عشر بیتاً. و کان شعراء العرب القدماء قد اختصروا دائماً فی وصف الطبیعه المحیطه به مبنوع خاص، وکانوا منذ القدم یذکرون شیئاً من وصفها فی شعر الشراب، و خصوصا فی وصف الأیام امطره المُدجنه التی کان یحلو لهم فیها اشراب عاده؛ أما الشعراء المتأخرون فقد جاءوا فی هذا الباب بأدق التشبیهات؛ فیقول ابن الرومی مثلا(۱):

یومُنا للندیم یومُ سرور *** والتذاذ و نعمه و ابتهاجُ

ذو سماء کأد کن الخز قد *** غیبت و أرض کأخضر الدیباج

و یقول الوزیر أبو محمد المهلبی(۲):

۱- یتیمه الدهر ج ۲ ص ۲۰ .

۲- یتیمه الدهر ج ۲ ص ۲۰ .

يوم كأن سماءَه *** شبهُ الحصان الأبرش

و كأن زهره روضه *** فرشت بأحسن مفرش

فسماوءه دكن الخزوز *** و أرضه حصر الوشى

وكان القدماء يفضلون الشراب فى الليل أو عند طلوع الفجر الأول، فى الوقت الذى قال فيه ابن المعتز(١):

حان ركوع أبريق لكأس *** و نادى الديک حى على الصبوح

و كذلک قال أبو نواس فى قصيدتين له شيئاً من هذا، فمن ذلک(٢).

قد هتک الصبحُ ستورَ الدجى *** فانحسرت أثوابه الجون

فأصبح نداماک سخاميه *** أتى لها فى دَنِّها حين

و بعد ذلک بنحو قرن نجد ابن المعتز قد جاء فى هذا بالكثير المتنوع فمن ذلک قوله(٣):

قم يا نديمى نصطبح بسواد *** قد كاد يبدو الصبح أو هو باد

وأرى الثريا فى السماء كأنها *** قدم تبدت فى ثياب حداد

١- الديوان ج ٢ ص ٣٦.

٢- ديوان أبى نواس ص ٣٤٩؛ وقد افتتح أبو نواس إحدى خمرياته بما هو أكثر تواضعاً: . طاب الزمان و أورق الأشجار و مضى الشتاء وقد أتى آذار . وكسى الربيع الأرض من أنواره وشيا تحار لحسنه الأبصار(ص ٢٩٠) . أما كلامه بعد ذلک عن الجنان الخضراء و غناء الأطيار فلا يتمشى مع بقيه القصيده، ولعله من وضع المتأخرين؛ و من هذا القبيل ما نسبه المسعودى(مروج الذهب ج ٨ ص ٤٠٧ ج ٤٠٩) لأبى نواس من قتال بين الأزهار فى قصيده له؛ فهو لا يوجد فى الديوان، و أصله يرجع إلى المتأخرين .

٣- ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٣٧.

وقوله(۱):

قد بدت فوق الهلال کرته *** کهامه الأسود شابت لحیته

علی أنه فی عصر ابن المعتز نفسه بدأ الناس ینصرفون عن الشراب فی هذا الوقت الغریب، و ابن المعتز یصفه أحیانا بعدم الملامه، فمن ذلک قوله(۲):

إذا أردت الشرب عند الفجر *** والنجم فی لجه لیل یسری

وکان برد بالنسیم یرتعد *** وریقه علی الثنایا قد جمد

وللغلام ضجره و همهمه *** وشتمه فی صدره مجمجمه

یمشی بلا رجل من النعاس *** ویدفق الکاس علی الجلاس

أعجل من مسواکه وزینته *** و هیئه تنظر حسن صورته

فجاءهم بفسوه اللحاف *** محموله فی الثوب و الأعطاف

فأی فضل للصبوح یعرف *** علی الغبوق و الظلام مسرف

وعند ابن المعتز نفسه نجد الشعور بجمال الطبیعه و التمتع به یظهر قویاً فی الخمریات؛ فقد بدأ أصحاب الشراب یتمتعون بجمال الجنان و الأشجار، و یشربون بین الورد و النرجس و الجلنار و الأقحوان و غناء الطیور، وذلک کله فی الربیع « و موسم الحیاه »(۳).

و فی النصف الأول من القرن الرابع الهجری نبغ شاعران شامیان، و کانا صدیقین؛ فأنش آ قصائد تغنّیا فیها بالبساتین و ما لها من جمال دانی القطوف متنوع النواحی یخلب الألباب، و بلغا بذلک الشعر إلی الذروه.

۱- دیوان ابن المعتز ج ۲ ص ۱۱۰ .

۲- دیوان ابن المعتز ج ۲ ص ۱۱۳ .

۳- دیوان ابن المعتز ج ۲ ص ۳۴، ۵۱، ۱۱۰ ج ۱۱۱ .

أما أولهما أبوبكر محمد بن أحم الصنوبری(۱). ولد هذا الشاعر بأنطاکیه؛ و کان أمیناً علی خزانه کتب سیف الدوله(۲).

و یدل لقبه، «الصنوبری»؛ علی أنه هو أو أباه کان یتجر فی خشب الصنوبر(۳).

ولما کان المخروط الشکل یسمی الصنوبی تشبیهاً له مجمل شجره الصنوبر(۴)، فقد یجوز أن یکون هذا الشاعر لقب بهذا اللقب علی سبیل الإشاره إلی صفته و صورته. وله لقب آخر هو «الصینی»، ولیس فی هذا ما یدعونا إلی الظن بأنه ذهب إلی الصین؛ فقد کان بالکوفه مثلا رجلٌ یسمی الصینی، لأنه کان یتجر إلی الصین، فنسب إلیها(۵). وقد مات الصنوبی فی عام ۳۳۴ه‍ ۹۴۵ م(۶)، و هو یناهز الخمسین علی الأقل(۷). و نعرف من حیاته أنه کان صدیقاً

۱- هکذا فی الفهرست ص ۱۶۸، و عند أبی المحاسن(ج ۲ ص ۳۱۲ تحت عام ۳۳۴): أحمد بن محمد بن الحسن الضبی الحلبی؛ و عند یاقوت (ج ۲ ص ۳۱۱): محمد بن مرار، و عند الکتبی (ج ۱ ص ۶۱): أحمد بن محمد .

۲- مطالع البدور للغزولی ج ۲ ص ۱۷۶ .

۳- یذکر ابن حوقل (ص ۱۲۱) أنه کان علی شط البحر مکان یعرف یحصن التینات فیه مقطع لخشب الصنوبر الذی کان ینقل إلی مصر و الشام و الثغور. و یقول الشریف الإدریسی(نزهه المشتاق فی اختراق الآفاق طبعه براندل ص ۲۳) إنه کان لبیروت غیضه أشجار صنوب مما یلی جنوبیها تتصل إلی جبل لبنان، و تکسیر هذه الغیضه اثنا عشر میلا فی مثلها .

۴- مفاتیح العلوم للخوارزمی ص ۲۰۷ .

۵- معجم البلدان لیاقوت ج ۳ ص ۴۴۴ .

۶- أبو المحاسن ج ۲ ص ۳۱۲ .

۷- معجم البلدان لیاقوت ج ۲ ص ۶۶۵ .

للشـاعر کشـاجم، و أن کشاجم وصـفه بأنه«بحرٌ ماله شـط(۱)»، و أنـه طلـب یـد ابنته(۲)، و عزاه عـن فقـد ابنـه أخری له تـوفیت بکراً(۳).

وقد تغنی کثیراً بذکر حلب والرقه، وهما أکبر بلدین کانا مقرّا لسـیف الدوله. علی أنه سکن الرُّها، و کان یجتمع فی دکان ورّاق یقال له سعد بکثیر من أدباء الشام و مصر و العراق(۴).

و کانت له بمدینه حلب حدیقه بها قصر فخم حوله الغروس و الریاحین و شجر النارنج(۵)، ولذلک یسمی الحلبی.

وکان الصـنوبی صـغیراً فلم ینل مکانا فی کتاب الأغانی، و کان مسـنًّا فلم ینل مکانا فی یتیمه الـدهر؛ ولـذلک بقی دیوانه مفرقا، ولم یوجـد منه إلاـ أجزاء صـغیره؛ و إن کـان الصولی قـد رتبه علی حروف الهجاء، و جمعه فی مائتی ورقه(۶)؛ فلا بـد أن تجمع بقایاه من کل ناحیه. یقول الصنوبری فی وصف سریر من الشقیق أحاط به ورد أبیض(۷).

قد أحدق الورد بالشقیق *** خلال بستانک الأنیق

کأن حوله وجوه *** مستشرفات إلی حریق

ویقول(۸):

۱- دیوان کشاجم طبعه بیروت ۱۲۱۳ه ، ص ۱۱۶ .

۲- نفس المصدر ص ۷۴ و ما بعدها .

۳- نفس المصدر ص ۷۱ و ما بعدها .

۴- الإرشاد لیاقوت ج ۲ ص ۲۳ .

۵- دیوان کشاجم ص ۷۴ .

۶- الفهرست ص ۱۶۸ .

۷- کتاب الدیارات ص ۹۷ .

۸- ریحانه الألباب للخفاجی ص ۲۵۶ .

وكأن مُجمَر الشقيق *** إذا تصوَّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشرن *** على بساط من زبرجد

و يقول(١):

ياريم قومى الآن، و يحك! فانظرى *** ما للرُب قد أظهرت إعجابها

كانت محاسن وجهها محجوبه *** فالآن قد كشف الربيع حجابها

وَردٌ بدا يحكى الخدود و نرجس *** يحكى العيون إذا رأت أحبابها

وثياب باقلاء يشبه نوره *** بلق الحمام مُشيله أذنابها

و السرو تحسبه العيون غوانيا *** قد شمرت عن سوقها أثوابها

و كأن إحداهن من نفح الصبا *** خودٌ تلاعب موهنا أنرابها

وكنتُ أملك للرياض صيانه *** يوما لما وطئ اللئام ترابها

و يعتبر الصنوبرى النرجسَ ملكا للأزهار، فمن قوله فى النرجس(٢).

١- فوات الوفيات للكتبى ج ١ ص ٦١؛ و كتاب من غاب عنه المطرب للثعالبى، طبعه بيروت ١٣٠٩ه ، ص ٢٥ .

٢- فوات الوفيات للكتبى ج ١ ص ٦١ طبعه القاهره ١٢٩٩ه .

أرأيت أحسن من عيون النرجس *** أم من تلاحُظِهِن وسط المجلس

درر تشقق عن يواقيت على *** قضب الزمرد فوق بسط السندس

أجفان كافور حففن بأعين *** من زعفران ناعمات المامس

فكأنها أقمار ليل أحدقت *** بشموس أفق فوق غصن أملس

و النرجس هو أعظم أزهار الشام، وهو الذى يجعل مراعيها بيضاء ناصعه(۱).

و كذلك وصف هذا الشاعر معركه بين الأزهار فقال(۲):

خجل الوردُ حين لاحظه النر *** جسُ من حسنه و غار البهار

فعَلت ذلك حمره و علت ذا *** صفره واعترى البهارَ اصفرارُ

وغدا الأقحوان يضحك عجباً *** عن ثنايا لثامهن نضار

ثم ثم النمام و استمع السو *** سن لما أذيعت الأسرار

عندها أبرز الشقيق خدودا *** صار فيها من لطمه آثار

سكبت فوقها دموع من الطل *** كما تسكب الدموع الغزار

فاكتسى البنفسج الغض أثوا *** ب حدا دخانها الصطبار

و أضرَّ السقام بالياسمين الغض *** حتى آذى به الإضرار

ثم نادى الخيرى فى سائر الزهر *** فوافاه جحفل جرّار

۱- رحله ناصر خسرو (سفر نامه) ص ۳۹ من ترجمه شيفر (Scheefer). بعد ذلک يذکرنا ناصر خسرو بجزيره النرجس التى فى طرابلس الشام .

۲- فوات الوفيات ج ۱ ص ۶۱؛ و ينسب المسعودى (ج ۸ ص ۴۰۷) لأبى نواس قصيده يصف فيها قتالا بين الزهور حيث نجد الزهور، الحمراء مثل الورد و الجلنار و تفاح لبنان تحارب الأزهار الصفراء مثل النرجس و البهار و الأترج. و هذه النسبه لا يمكن أن تكون صحيحه لأسباب يقتضيها النقد الداخلى. ولا نجد هذه القصيده فى نسخه الديوان التى طبعت ببيروت، ولا يمكن أن تكون هذه القصيده من قول الصنوبرى لذکر باطرنجى فيها، و لأن الورد فيها يفضل على النرجس .

فاستجاشوا على محاربه النر *** جس بالجحفل الذى لا يبار

فأتوا فى جواشن سابغات *** تحت سجف من العجاج يثار

ثم لما رأيت ذا النرجس الغ *** ض ضعيفاً ما إن لديه انتصار

لم أزل أعمل التلطف للور *** د حذاراً أن يغلب النوَّار

فجمعناهمو لدى مجلس فى *** ه تغنى الأطيار و الأوتار

لو نرى ذا وذا لقلت خدود *** تدمن اللحظ حولها الأبصار

و فى القرن الثالث وصف البحترى برکه فى دار الخلافه فقال:

تتصبّ فيها وفود الماء مُعجَله *** کالخيل خالرجه من حبل مجريها

کأنما الفضه البيضاء سائله *** من السبائک تجرى فى مجاريها

إذا النجوم تراءت فى جوانها *** ليلا حسبت سماء رکبت فيها

لا يبلغ السمک المحصور غايتها *** لِبُعد ما بين قاصيها و دانيها

يعمن فيها بأوساط مجنحه *** کالطير تنقضّ فى جو خوافيها(۱)

والآن تجد الصنوبرى يشبّه برکه بموضع يصفه، تشبيها لايخلو من تطرف و مبالغه، فيقول(۲):

هى الجو من وقه غير أن *** مکان الطيور يطير السمک

ولکن لما کان الصنوبرى شاعراً وصَّافاً للجنان فهو يقول فى تلک القصيده:

وقد نظم الزهرُ نظم النجوم *** فمفترق النظم أو مشتبک

وکان الصنوبرى، وهو أول شاعر للطبيعه فى الأدب العربى، يجمع إلى ذلک

۱- ديوان البحترى ج ۱ ص ۱۷ .

۲- الحصرى على هامش العقد ج ۱ ص ۱۸۳ .

ولوعاً شدیداً بالسماء و الضیاء والهواء مع التطلع إلی أسرارها الجمیله، فهوا یقول فی إحدی أغانی الربیع(۱):

إن کان فی الصیف ریحانٌ و فاکهه *** والأرض مستوقد و الجو تُنّور

و إن یکن فی الخریف النخل مخترقاً *** فالأرض عریانه و الجو مقرور

و إن یکن فی الشتاء الغیث متصلا *** فالأرض محصوره و الجو مأسور

ما الدهر إلا الربیع المستنیر إذا *** جاء الربیع أتاک النور و النَّور

والأرض یاقوته والجو لوءلوءه *** والنبت فیروزج والماء بلّور

تبارک اللّه! ما أحلی الربیع! فلا *** تغرر فقایسه بالصیف مغرور

من شم طیب جنیات الربیع یقل *** لا المسک مسک ولا الکافور کافور

وکان أول من تغنی بالقصائد الثلجیات، و من ذلک قوله(۲):

ذهِّب موءوسک یا غلا *** م فإنه یوم مفضّض

۱- قارن فوات الوفیات للکتبی ج ۱ ص ۶۱، و نثر النظم ص ۱۴۵ .

۲- نثر النظم للثعالبی طبعه دمشق ۱۳۰۰ه ، ص ۱۳۷ .

والجو یجلی فی البیا *** ض وفی حلّی الحدرّ یعرض

أتظن ذا ثلجاً وذا *** ورد علی الأغصان ینفض

ورد الربیع ملون *** والورد فی کانون أبیض

وقد ترک الصنوبری آثاراً قویه فی الأدب العربی، وقد ظهر أول أثر له عند کشاجم(۱) شریکه فی الوطن و صدیقه الحمیم؛ وقد عبّر کشاجم عن هذه الصداقه بقوله(۲):

أتنسی زمنًا کنا *** به کالماسء فی الخمر

ألیفین حلیفین *** علی الإیسار و العسر

مکبّین علی اللذا *** ت فی الصحو و فی السکر

تری فی فلک الآدا *** ب کالشمس و کالبدر

وقد سار کشاجم فی شعره علی الطریق الذی رسمه صدیقه الصنوبری، فاقتدی به، فی التغنی بملذات العین، فمن ذلک قول کشاجم(۳):

أقبلت فی غلاله زرقاء *** زرقه لقیت یجری الماء

قتأملت فی الغلاله نهبًا *** جسد النور فی قمیص الهواء

هی بدر، و إنّ أحسن لون *** ظهر البدر فیه لون السماء

و هو یصف ملیحه فی لباس حداد بقوله:

فی حداد کأنها *** ورده فی بنفسج

۱- کان کشاجم شاعرا کاتباً؛ وإلی جانب ذلک کان منجما و صاحب مطبخ لسیف الدوله، (انظر دیوانه و یتیمه الدهر ج ۴ ص ۱۵۷) .

۲- دیوان کشاجم ص ۷۴ .

۳- دیوان کشاجم ص ۶ .

و يقول فی غلام:

كلف الفوءاد بشادن أبصرته *** فی مأتم يبكی بطرف أدعج

ما زال يخمش خده ببنانه *** حتی تنقب ورده ببنفسج(۱)

وقال يتغزّل فی نهر قويق بحلب(۲):

والأرض تكسی بزهرالر *** ياض وشيا معمد

كأنّ خرّد عِينا *** بها يضاحكن خرّد

. . .

وحمره فی شقيق *** و خضره فی زبرجد

وأقحوان كعقد *** من لوءلوء قد تبدّد

والنرجس الغض يرنو *** إلی البهار النضّد

كما أشار حبيب *** إلی حبيب بموعد

والنهر بين اعتدال *** من سيره و تأوّد

كأفعوان تلوَّی *** ثم الستوی و تمدد

كأن فيه سيوفاً *** مهنّدات تجرّد

فتاره هی تنضی *** وتاره هی تغمد

كأن لنيلوفر النه *** ر فيه سراج توقد

طوراً تضیء و طوراً *** بشده الريح تخمد

وهو يقول فی وصف نيل مصر(۳):

۱- نفس المصدر ص ۲۱، ۲۲.

٢- نفس المصدر ص ٤٨ و ما بعدها .

٣- كتاب الديارات ص ١١٥ .

كأن النيل حين أتى بمصر *** وفاض بها و كسرت التراع

و أحدق بالقرى من كل وجه *** سماوات كواكبها ضياع

و كذلك نظم قصائد فی وصف الثلج منها قصديه أولها:

الثلج يسقط أم لجين يسبك *** أم ذا حصا الكافور ظل يفركُ

على أنه فی هذه القصيده قال ما يدل على عدم انصقال الذوق، و من ذلك قوله فی وصف الثلج:

راحت به الأرض الفضاء كأنها *** من كل ناحيه بثغر تضحك(۱)

وكان لكشاجم كثير من المعجبين، وقد قال أحدهم:

يابوءس من يمنى بدمع ساجم *** يهمى على حجب الفوءاد الواجم

لولا تعلله بكأس مدامه *** ورسائل الصابى و شعر كشاجم(۲)

و كان كشاجم يلقب فی منتصف القرن الرابع الهجری « ريحانه أهل الأدب » فی بلاد الموصل؛ و كان الخالديان: أبوبكر محمد و أبوعثمان سعيد ابنا هاشم شاعر بن كبيرين فی الموصل؛ و كان بهذه المدينه من الشعراء السری بن أحمد الكندی المعروف بالرفّاء. و كلهم ج رغم ما كان بينهم من تنابز و عداوه و كيد ج كانوا يسيرون فی طريق كشاجم، و ينهجون منهجه. و كان السری يشنع على الخالديين يغض منهما؛ فكان ينسج ديوان كشاجم،و يدسّ فيه أحسن شعر الخالديين، ليزيد فی حجم ما ينسخه من شعر كشاجم، و يظهر صدق ما يدعيه على الخالديين من سرقه شعره، ولذلك يقول الثعالبی : « فمن هذه الجهه وقعت

۱- ديوان كشاجم ص ۱۴۰ .

۲- يتيمه الدهر ج ۲ ص ۲۴ .

فی بعض النسخ من دیوان کشاجم أشعارٌ لیست فی الأصول مشهوره منها، وقد وجدتها کلها للخالدیین»(١).

و کان أبوالحسن محمد بن عبداللّه السلامی (المتوفی عام ٣٩۴ه ١٠٠۴ م) من أشعر أهل العراق؛ وورد الموصل صبیاً، فوجد بها أبا عثمان الخالدی و شیوخ الشعراء، فعجبوا منه، و اتهموه بأن الشعر لیس له، فاتخذ الخالدی دعوه، و جمع الشعراء، و حضر السلامی معهم؛ فلما توسّطوا الشراب أخذوا فی مُلاحاته و التفتیش علی قدر بضاعته، فلم یلبثوا حتی جاء مطر شدید و بَرَدٌ ستر الأرض، فألقی أبو عثاما نارنجاً کان بین أیدیهم علی ذلک البَرَد، و قال: یا أصحابنا هل لکم فی أن نصف هذا، فقال السلامی ارتجالا(٢).

للّه درّ الخالدی *** الأوحد النَدب الخطیر

أهدی لماء المزن عن *** د جموده نار السعیر

حتی إذا صدر العتا *** ب إلیه عن حنق الصدور

بعثت إلیه بعذره *** من خاطری أبدی السرور

لا تعذلوه فإنه *** أهدی الخدود إلی الثغور

١- الیتیمه ج ١ ص ۴۵٠ ج ۴۵١ . و من رسائل الصابی رساله بعث بها إلی الخادیین برّأ فیها نفسه مما ظناه به من مساعده السری علی عداوتهما و الرضا بطعنه علیهما. وقال فیها أیضاً إن السری سأله استماع شعر مدخه به، فلم یجبه إلی ذلک إلا بعد أن شرط علیه إلا یعرض فی ذلک ذکر للخادین بسوء و لا غمز. و یذکر الصابی أیضاً أن السری أحضر نفسه من شعره فیها أشعار للخادیین، فأخرج ما عنده من نسخ لشعرهما، و ناظر السری علیها لیثبت أنها لیست له : انظر رسائل الصابی مخطوط لیدن ص ٣۴ ج ٣۵ ب .

٢- یتیمه الدهر ج ٢ ص ١۵٧ ج ١۵٨ .

وقال أحد الخالديين فی وصف الفجر(۱):

أرعى النجوم كأنها فی أفقها *** زهر الأقاحی فی رياض بنفسج

والمشتری وسط السماء تخاله *** و سناه مثل الزئبق المترجرج

مسما تبر أصف ركبته *** فی فص خاتم فضه فيروزج

و تمايل الجوزاء يحكی فی الدجی *** ميلان شارب قهوه لم تمزج

و تنقبت بخفيف غيم أبيض *** هی فيه بين تحفز و تبرج

كتنفس الحسناء فی المرآه إذ *** كملت محاسنها و لم تتزوج

و يقول أيضاً(۲):

و مدامه صفراء فی قاروره *** زرقاء تحملها يد بيضاء

فالراح شمس و الحباب كواكب *** و الكف قطب و الإناء سماء

و كان الوزير المهلبی شاعراً فی مرتبه أرقی من مرتبه الطبقه الوسطی من الشعراء؛ وقد أنشأ مجلساً حافلا للأدباء، و كان يحب الطبيعه و الشراب، فنشر طريقه الصنوبری ببغداد. و يحدّثنا الصاحب بن عباد فی كتاب الروزنامجه، و هو يوميات رحلته إلی بغداد، أن الوزير المهلبی كان كثير الإنشاد لشعر الصنوبری(۳)؛ بل المهلبی ينسج علی منوال أستاذه، فيصف الثلج، وهو من الأعاجيب ببغداد، و من ذلك قوله(۴):

الورد بين مضمَّخ و مضرَّج *** والزهر بين مكلل و متوَّج

۱- نفس المصدر ج ۱ ص ۵۱۴ .
۲- نفس المصدر ص ۵۱۹ .
۳- يتيمه الدهر ج ۲ ص ۱۲ .
۴- نفس المصدر ج ۲ ص ۲۰؛ و تجد قصيده أخری للمهلبی فی كتاب من غاب عنه المطرب للثعالبی، طبعه بيروت ۱۳۰۹ه ، ص ۴۸ .

والثلج يهبط كالنثار، فقم بنا! *** نلتذّ بابنه كرمه لم تمزج

و كذلك يقول القاضـی التنوخی ج و كان من ندماء المهلبی ج متأثراً بطريقه الصنوبری فی وصف امرأه مسها خجل، وقد بدت فی رداء مُعَصفر(۱).

لم أنسَ شمس الضحی تطالعنی *** و نحن من رقبه علی فرق

و جفن عينی بدمعه شرق *** لما بدت فی معصفر شرق

كأنه أمعی ووجنتها *** لما رمتنا الوشاه بالحدق

ثم تغطت بكمها خجلا *** كالشمس غابت فی حمره الشفق

و يقول(۲):

لم أنس دجله و الدجی متصوّب *** والبدر فی أفق السماء مغرب

فكأنها فيه بساط أزرق *** و كأنه فيها طراز مُذهب

وإذا وجدنا سـيف الدوله صاحب حلب يشبه نار الكانون و الرماد بوجنه عذراء مسـها خجل فاسـتترت بحجاب أشهب، فهو يری ذلک بعين الصنوبری(۳).

و كذلك الواثقی يتأثر بالصنوبری حين يصف نار فحم الغضا بقوله(۴):

وليله شاب بها المفرق *** قد جمد الناظر و المنطق

كأنّما فحم الغضا بيننا *** و النار فيه ذهب محرق

۱- الإرشاد لياقوت ج ۵ ص ۳۳۸ .

۲- يتيمه الدهر ج ۲ ص ۱۰۹ و الإرشاد ج ۵ ص ۳۳۵ .

۳- يتيمه الـدهر ج ۱ ص ۲۱ : كأنمـا النار و الرماد معا و ضووءها فی ظلامه يحجب . و جنه عـذراء مسـها خجل فاسـتترت تحت عنبر أشهب .

۴- اليتيمه ج ۴ ص ۱۱۳ .

أو سبج فی ذهب أحمر *** بينها نيلوفر أزرق

ولما قال الصاحب بن عبّاد بخراسان أواخر القرن الرابع فی الثلج:

هات المدامه يا غلام معجلا *** فالنفس فی قيد الهوی مأثوره (١)

أو ما تری كانون ينثر ورده *** و كأنّما الدنيا به كافوره

لا حظ أبوبكرالخوارزمی أن هذه و أمثالها من الثلجيات كلها عيال علی قول الصنوبری(٢).

و كان الشريف أبو الحسن العقيلی بمصر حوالی عام ۴٠٠ه تمثل طريقه الصنوبری فی الوصف، وكان من أكبر المبرزين فی هذا الباب، « وكان له متنزهات بجزيره الفسطاط، ولم يكن يشتغل بخدمه سلطان ولا يمدح أحداً»(٣)، ومن شعره(۴):

و نهر من الأنهار ألقت يد الصبا *** عليه شقيقاً ناره تتضرّم

كأن ابيضاض الماء تحت احمراره *** صفيحه سيف قد جری فوقها الدم

وقد أهمل وصف المسموعات إهمالا شديداً؛ فمثلا وصف السلامی الشاعر (المتوفی عام ١٠٠۴٣٩۴ م) السِتكر المبنی بشيراز من غير أن

١- الظاهر ان الصحيح (مأسوره).

٢- نفس المصدر ج ٣ ص ٩۵ .

٣- المغرب لابن سعيد ص ۵٢ .

۴- نفس المصدر ٧٨ .

یذکر شیئاً عن خریر المیاه أو صوتها(۱)؛ ولم أجد من هذا القبیل إلا مثالا فی شعر للأمیر البویهی عز الدوله، و هو قوله فی سیاق قصیده له(۲)، وصفه فیها مجلساً علی شاطئ الدجله:

والماء ما بین الغصون مصفق *** مثل القیان و قصن حول الزامر

وفی أواخر القرن الرابع الهجری أولع الأدباء بوصف جمع الأشیاء علی اختلافها، فنجد وصف المیزاب إلی جانب وصف الشاعر سورته فی المرآه(۳)، وذلک إرضاء لرغبه الناس فی المستحدث. وقد وصف المأمونی الشاعر ببخاری جمیع أصناف الأطعمه من جبن و زیتون و السمک المشوی و ماء الخردل و البیض المفلق و الفالوذج و الهریسه و غیرها کثیر(۴).

وقال أبو العباس الفضل بن علی الأسفرایینی من کور نیسابور فی وصف شمعه نصبت فی برکه:

و شمعه وسط أیمن البرک *** تمیس فی الماء میس مرتبک

کأنها البدر فی السماء سری *** فحار فی أوجه الفلک

وقال فی فوَّاره أفلت تفاحه:

وفواره سائل ماوءها *** بتفاحه مثل خد العشیق

۱- یتیمه الدهر ج ۲ ص ۱۷۸ ج ۱۷۹ .

۲- نفس المصدر ج ۲ ص ۵ .

۳- کما فعل القصار الشاعر المعروف بصریع الدلاء المتوفی عام ۴۱۰ه . انظر تتمه الیتیمه للثعالبی مخطوط فینا رقم ۶۶۸ ص ۲۸ ب (؟) .

۴- یتیمه الدهر ج ۴ ص ۹۴ ج ۱۱۲ .

كمنفخه من رقيق الزجا *** ج تدار بها كره من عقيق(۱).

وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر الحاجب الشاعر المصرى (المتوفى عام ۳۸۷ه ج ۹۹۷ م) فی وصف الهرمين(۲):

أنظر إلى الهرمين إذ برزا *** للعين فى علو وفى صعد

و كأنما الأرض العريضه قد *** ظمئت لطول حراره الكبد

حسرت عن الثديين بارزه *** تدعو الإله لفرقه الولد

فأجابها بالنيل يشبعها *** ريا و ينقذها من الكمد

و مما هو عظيم الـدلاله أننا لا نجد فی الشـعر العربی مكانا للمكدّين الطوّافين قبل القرن الرابع، فمن ذلك قول الأحنف العكبرى مفتخرا(۳).

على أنی بحمد اللّه *** فی بيت من المجد

بإخوانی بنی ساسان *** أهل الجد و الجد

لهم أرض خراسان *** فقاشان إلى الهند

إلى الروم إلى الزبج *** إلى اللبغار و السند

إذ ما أعوز الطرق *** على الطراق و الجند

حذاراً من أعاديهم *** من الأعراب والكرد

قطعنا ذلك النهج *** بلا سيف ولا غمد

و من خاف أعاديه *** بنا فی الروع يستعدى

وقد دخل فی الأدب على أيدی المكدّين شعر حرمزهر ترنموا به، كما دخل

۱- نفس المصدر ص ۳۱۶ .

۲- الخطط للمقريزى ج ۱ ص ۱۲۱ .

۳- يتيمه الدهر ج ۲ ص ۲۸۵ ج ۲۸۶ .

الشعر العاطفی الغنائی المرح الذی لا تکلف فیه. و أکبر شعراء المکدین و ظریفهم هو الأحنف العکبری، من مدینه عکبری بالعراق؛ و هو لم یعبأ فی خمر یاته بوصف شیء من جمال الطبیعه الذی یلتذ منه الشعرء، فمن قوله(۱):

شربت بماخور *** علی دفّ و طنبور

وصوت الطبل کردم *** وصوت النای طلیر

فصرنا من حمی البیت *** کأنا وسط تنور

وصرنا من أذی الصفع *** کمثل العمی و العور

لقد أصبحت مخموراً *** ولکن أی مخمور

وقال یصف آلام المکدّین(۲):

عشت فی ذله و قله مال *** واغتراب فی معشر أنذال

بالأمانی أقول لا بالمعانی *** فغذائی حلاوه الآمال

لی رزق یقول بالوقف فی ال***رأی و رجل تقول بالاعتزال

و قال:

العنکبوت بنت بیتً علی وهن *** تأوی إلیه و مالی مثله وطن

و الخنفساء لها من جنسها سکن *** و لیس لی مثلها إلف و لا سکن

ولا نجد فی هذا الشعر صناعه لفظیه ولا زخرفه ولا عبارات من التی تجری

۱- نفس المصدر ج ۲ ص ۲۸۷، و یروی عن الخلیفه المعتمد أنه قال: . ویمضی الأمیر أبو أحمد *** و یضرب بالطبل کردم کدم . (انظر کتاب الدیارات ص ۴۲ ب) .

۲- الیتیمه ج ۲ ص ۲۸۶، و کتاب الإعجاز للثعالبی ص ۲۳۶، و کتاب ثمار القلوب فی المضاف و المنسوب للموءلف نفسه ص ۳۴۲ .

مجری الأمثال أو الحکم. هـذا هـوا الأسـلوب الـذی جری علیـه الأدب الفرنسـی مـن عهـد فیلون Villion إلی عهـد فرلین Verlaine. وقد جری علی هذه الطریقه الشاعر محمد بن عبدالعزیز السوسی، أحد شیاطین الإنس؛ فقد قال قصیده تربی علی أربعمائه بیت، وصف فیها حاله و تنقله فی الأدیان و المذاهب و الصناعات و قد افتتحها بقوله:

الحمدللّه! لیس لی بختُ *** ولا ثیابٌ یضّمها تخت(۱)

و إلی جانب هذا الشاعر نجد الشعراء الشعبیین الذین ظهروا فی مدن العراق الکبری مثل أبی الحسن محمد بن لنکک البصری، « و ما أشبه شعره فی الملاحه و قله مجاوزه البیتین و الثلاثه إلا بشعر کنیه أبی الحسن بن فارس .. إذا قال البیت و البیتین و الثلاثه أغرب بما جلب و أبـدع فیما صنع؛ فأما إذا ثصد القصـید فقلما یفلح و ینجح(۲)»؛ و بان سـکره الـذی کان شاعراً متّسع الباع، إذ یقال إن دیوانه یربی علی خمسین ألف بیت، منها أکثر من عشره آلاف بیت قالها فی قینه سوداء یقال لها خمره(۳).

۱- تجد القصیده کامله فی الیتیمه ج ۳ ص ۲۳۷ .
۲- الیـتیمه ج ۲ ص ۱۱۶ ج ۱۱۷؛ وقـد جمع ابن لنکک دیوان نصـر بن أحمد الخبزارزی البصـری الشاعر المتوفی عام ۳۳۰ه ج ۹۴۱ م (المنتظم لابن الجوزی ص ۷۰ ب)؛ و کانت أشـعار الخبزأرزی قصائد قصیره فی الغزل، وکانت حرفته خبز الأرز، فکان یخبز و ینشـد أشـعاره و النـاس یزدحمون علیه لیسـمعوها؛ و کـان معظمهـا فی الغلمان، و کان أحـداث البصـره یتنافسون فی میله إلیهم و ذکره لهم، و یحفظون کلامه لقرب مأخذه و سهولته (یتیمه الدهر ج ۲ ص ۱۳۲). و یقول المسعودی عام ۳۳۳ه ج ۹۴۴ م. (المروج ج ۸ ص ۳۷۴) « وأکثر الغناء المحدث فی وقتنا من شعره». و کان الخبز أرزی محبوباً حتب بعد موته .
۳- الیتیمه ج ۲ ص ۱۸۸ .

و کان أکبر هوءلاء الشعرء الشعبیین غیر مدافع ابن الحجاج الذی کان ببغداد، و توفی عام ۳۹۱هج ۱۰۰۱ م(۱).

و کان نحیفاً ولذلک یقول(۲):

لا تخافی علی دقه کشحی *** لا تکال الرجال بالقفزان

وقد قال مدافعاً عن نفسه، لما خرج هارباً من غرَمائه(۳):

هربت من وطنی إلی بلد *** قد صفر الجوع فیه منقاری

یقول قوم: فرّ الخسیس، ولو *** کان فتی کان غیر فرار

لا عیب لا عیب فی الفرار فقد *** فرَّ نبی الهدی إلی الغار

و یظهر أنه قال فی ذلک الوقت العصیب هذین البیتین الآتیین مفتخراً(۴):

قد قلت لما غدا مدحی، فما شکروا *** وراح ذمی، فما بالوا و لا شعروا

علی نحت القوافی من معادنها وما علی إذا لم تفهم البقر

و کان ابن الحجاج لسخفه ورداءه لسانه مخشی الجانب، مقضی الحاجه،

۱- هو أبوعبدالله الحسین بن أحمد؛ توفی فی طریق النیل بالعراق، و هو عائد منها، فی ۲۷ جمادی الآخره (وفی کتاب الوزراء ص ۴۳۰ لسبع بقین من سنه ۳۹۱ه)، و دفن إلی جانب قبر جعفر الصادق محبه منه للشیعه؛ وقد أصر أن یکتب علی قبره: و کلبهم باسط ذراعیه بالوصید (سوره الکهف آیه ۱۷). انظر الهمذانی مخطوط باریس ص ۳۴۰ ب (؟). و کان یسکن سوق یحیی، وقد تغنی بها فی شعره(انظر معجم البلدان لیاقوت ج ۳ ص ۱۹۵) .

۲- الیتیمه ج ۲ ص ۲۴۲ .

۳- نفس المصدر ص ۲۲۸ .

۴- نفس المصدر ص ۲۶۰ .

مقبول الشفاعه؛ ولم يزل أمره يتزايد حتى حصَّل الأموال، و صار من أهل الجاه؛ وقد قال ابن الحجاج نفسه لبعض الروءساء، حين كتب إليه يذكر أن سخفه جاوز التناهى:

سيدى! سخفى الذى قد *** صار يأتى بالدواهى

أنت تدرى أنه يد *** فع عن مالى و جاهى(۱).

وقد كان ابن الحجاج من أولاد العمال، و اشتغل بالكتابه فى أول أمره، ثم ضمن فرائض الصدقات بسقى الفرات، و صار أخيراً محتسباً على مدينه بغداد.ولشدّ ما حسده ابن سكره، زميله فى المذهب الشعرى، لأنه كان أقل نجاحاً من ابن الحجاج(۲).

و كان ابن الحجاج فى قصائده يستعمل عبارات المكدّين و أهل الشطاره(۳).

وقد أناح هو أمثاله فرصه لظهور الفحش المستبشع فى المدن الشرقيه، فرفع هذا الفحش رأسه بعد أن كانت قد أخمدته الروح العربيه و أخرجيته من الأدب العربى؛ لأن الذى كان يسيطر على النزعه الأدبيه هم البدو الذين هم أكثر عفه و اعتدالا(۴).

و ما أشبه ابن الحجاج برجل كانت تقيده سلطه خارجيه، فتحرر منها و انطلق

۱- نفس المصدر ص ۲۱۱؛ و ديوان ابن الحجاج مخطوط بغداد (مرغائه) نسخه الموءلف ص ۲۵۸ من ج ۱۰ .

۲- ديوان ابن الحجاج ج ۱۰ ص ۲۴۰، و كتاب الوزراء ص ۴۳۰ و اليتيمه ج ۲ ص ۲۱۹ .

۳- اليتيمه ج ۲ ص ۲۱۱ .

۴- ولو أراد الإنسان أن يفحص عن أصل هوءلاء المجان الذين يجاهرون بالفحش لوجد أكثرهم يقال عنه مثل ما قيل عن ابن الراوندى (المتوفى عام ۲۹۸ هج ۹۱۱ م): الماجن المنسوب إلى الهزل و الزندقه، و كان أبوه يهوديا فأسلم (أبو المحاسن ج ۲ ص ۱۸۴ من طبعه ليدن) .

فی السخف. و کان أساس مبالغته فی ذلک أنه أراد أن یتخذ من الإسراف فی الفحش طریقاًّ لمعارضه الشعرا الآخرین الذین کانوا یعالجون فی شعرهم الموضوعات الحسنه؛ و هو یقول(۱):

وشعری سخفه لابد منها *** فقد طبنا و زال الاحتشام

و هل دار تکون بلا کنیف *** فیمکن عاقلا فیها المقام

و هو یقول :

ترانی ساکناً حانوت عطر *** فإن أنشدتُ ثار لک الکنیف

و من قوله:

و من کل یحوی العطرَ دکان شعره *** فإنی کنّاس و شعری مخرج

ولهذا جاء فی کتاب فی الحسبه لموءلف متأخر ما یقضی بمنع الصبیان من حفظ أشعار ابن الحجاج و انظر فیها و بضربهم علی ذلک(۲).

ولکن یظهر أن ابن الحجاج لم یلحقه عند معاصر به ضرر بسبب ذکره للمقاذر و إفصاحه عن السخف و الفحش و المجون. فمثلاـ کان الشریف الرضی نقیب العلویین و أکبر أصحاب المکانه فی الدوله العباسیه من أکبر المعجبین بابن الحجاج و المتعصبین له؛ وقد رثاه بقصیده، و اختار من شعره السلیم أشیاء کثیره. وقد حمل إلیه الخلیفه الفاطمی، صاحبُ مصر عن مدیح مدحه به ألف دینار مغربیه علی سبیل الصله(۳).

و یحکی أنه کثیراًّ ما بیع دیوان شعره بخمسین دیناراً إلی سبعین. وقد سأل

۱- الیتیمه ج ۲ ص ۲۱۴ .

۲- مجله المشرق السنه العاشره ص ۱۰۸۵ .

۳- کتاب الوزراء ص ۴۳۰، و دیوان ابن الحجاج ج ۱۰ ص ۲۳۷ .

الهنکری مُغنّی سیف الدوله ابن الحجاج أن یصنع شعراً لیننّی به بین یدی سیده، فألف له شیئاً(۱).

ویقول ابن الحجاج نفسه(۲).

لو جدّ شعری رأیتَ فیه *** کواکب اللیل کیف تسری

و إنما هزله مجون *** یمشون به فی المعاش أمری

وکان ابن الحجاج لا یبنی جُلَّ أقواله إلا علی سخف، «ولم یرَ کاقتداره علی ما یریده من المعانی مع سلامه الألفاظ و عذوبتها»؛ و کان لا یبالی بالوزن و القافیه؛ وقد حوی دیوانه کثیراً من الکلمات غیر المعروفه أخذها من لغه العامه ببغداد فی القرن الرابع الهجری(۳).

و کان یعرف النماذج الشعریه المأثوره، غیر أنه یتجاهلها و یعارضها معارضه سخریه و هزل، فما قاله عند موت سبکتکین.

واستی تبکی بفرد عین *** لفقد عینی سبکتکین

إلی أن قال:

ما لکنیف دفنت فیه *** لا زال یسقی غیث البطون(۴)

ولکنا نری بین حین و آخر من خلال هذا الضباب الذی یتکون من السخف

۱- یتیمه الدهر ج ۲ ص ۲۱۵، ۲۲۶ .

۲- نفس المصدر ص ۲۱۳ .

۳- و من أسف أنها لم تشرح إلا شرحاً جزئیاً و ذلک فی نسخه الدیوان المحفوظه بالمتحف البریطانی .

۴- دیوان ابن الحجاج مخطوط بغداد ص ۸۰؛ و مخطوط دار الکتب المصریه رقم ۷۳۴۲ ص ۶۱ ج ۶۲ .

و المجون معانی و ألفاظاً مثل کواکب اللیل، و نستطیع أن ندرک لماذا کان معاصر و هذا الماجن یعدونه شاعراً کبیراً.

أمّا المتنبی الذی یرجع أصله إلی العراق أیضاً، والذی نشأ فی الشام، فنجده یتمسک بطریقه العرب القدماء، خلافاً لهوءلاء الشعراء(١) المحدثین.

کان أولئک الشعراء واقعیین فی نزعتهم الشعریه، فکانوا یتغنون بما یرونه و یحسونه و یشاهدونه؛ أما المتنبی فهو مثال للأستاذ العالم الذی یستهویه المعنی الکلی؛ فمن ذلک أن رجلا خرج للصید مره، و کان معه کلب فطرد به ظبیاً، ولم یکن معه صقر، فاستحسن صید الکلب؛ وقال للمتنبی. وَدِدنا یا أبا الطیب لو کنت معنا! فقال له: أنا قلیل الرغیه فی مثل هذا؛ فقال له الرجل. إنما اشتهیت أن تراه، فتستحسنه، و تقول فیه شیئاً؛ فأجاب المتنبی إنه یستطیع أن یفعل ذلک من غیر أن یحضر الصید أو یری الکلب؛ وقال قصیده وصف بها الکلب و سرعته، علی الطریقه المأثوره(٢).

١- و کذلک کان الشاعران الشامیان أبو تمام (المتوفی عام ٢٣٠ه ج ٨٤٥ م) و البحتری (المتوفی عام ٢٨٤ هج ٨٩٧ م) محافظین، وقد نهجا طریق أسلافهما من شعراء دمشق و هم الفرزدق و جریر و الأخطل. علی أنه قد بلغ من الحس الشعری عند البستری أنه قال: إن أبا نواس أشعر من مسلم بن لولید، لأنه یتصرف فی کل طریق، إن شاء جد وإن شاء هرل. و مسلم یلزم طریقاً لا یتعداه؛ فقیل له إن ثعلباً لا یوافقه فقال: لیس هذا من علم ثعلب و أضرابه ممن یحفظ الشعر و لا یقوله، و إنما یعرف الشعر من دفع إلی مضایقه؛ (انظر: Goldziher, Abhandlungen Zur arabischen Philologie S, ١۶۴, Anm,
۴) علی أنه کان بالشام شاعر مشهور هو أبو حام أحمد بن محمد الأنطاکی المعرفو بابن الرقعمق المتوفی عام ٣٩۶ه. وقد تصرف بالشعر الحزل فی أواع الجد و الهزل، و کان بالشام کابن الحجاج فی العراق (یتیمه الدهر ج ١ ص ٢٣٨ ج ٢۶١)؛ انظر للاستزاده من أحباره معاهد النتصیص مخطوط برلین رقم ٧٢٢۴ ص ١۵۶ .
٢- دیوان المتنبی طبعه القاهره ١٣١۵ه ج ١٨٩٨ م ص ٩٧ ج ٩٨ .

و کان المتنبی کثیر الأخذ من ابن المعتز علی ترکه الإقرار بالنظر فی شعر المحدثین(۱).

وقد عاداه شعراء العراق کابن سکره و ابن لنکک(۲)، و ابن الحجاج(۳)، و عملوا علی ثلبه و التماجن به و التنادر علیه؛ وقد انتهی إلینا وصف محاوره جرت بینه و بین أحد الشعراء لما ورد المتنبی مدینه السلام. و تدل هذه المحاوره علی سوء ما وقع بین المتنبی شاعر الملوک و بین أدباء بغداد؛ ذلک أن المتنبی قدم إلی مدینه السلام، وقد التحف رداء الکبر، و صعَّر خده؛ فذهب إلیه الحاتمی الشاعر، فوجده یلبس سبعه أقبیه، کل قباء منهالون، مع أن الوقت کان أحرّ أیام الصیف و أخلقها بتخفیف اللبس؛ فأعرض المتنبی عنه، و تجاهله، ولم یسأله عن قصده، ثم کلمه الحاتمی و أغلظ له القول(۴)

و کذلک کان أبو فراس الشاعر الشمی (المتوفی عام ۳۵۷ه ج ۹۹۸ م) ینسج علی منوال القدماء، لم یحد عن ذلک قط . و أغرب ما نراه فیه قله تعرضه فی قصائده، أو بالأخری أنه لم یرد أن یتعرض فی قصائده، لذکر الحروب الشعراء التی کانت ناشبه فی غرب المملکه الإسلامیه؛ و نظراً لأنه کان ابن خال

۱- الیتیمه ج ۱ ص ۹۸ .

۲- نفس المصدر ج ۱ ص ۸۵ ج ۸۶ .

۳- دیوان ابن الحجاج مخطوط بغداد ص ۲۷۰ .

۴- الإرشاد لیاقوت ج ۶ ص ۵۰۵ و ما بعدها؛ و طراز المجالس للخفاجی طبعه مصر ۱۸۹۴ م، ج ۲ ص ۶۵ و ما بعدها و الیتیمه ج ۱ ص ۸۵؛ وقد ترک أبوا لعلاء الشاعر الشامی مدینه بغداد فی عام ۴۰۰ه، وذلک لأن الرضی طعن فی المتنبی و مدحه أبو العلاء، فأخرجه الرضی من الغرفه (انظر مقدمه مرجلیوث لرسائل أبی العلاء ص ۲۸، وقد ألف أبو العلاء شرحا کبیراً لأشعار المتنبی سماه کتاب العلائق و الغصون انظر: Kremer, SWA, ۱۱۷, S. ۸۹.

سیف الدوله الأمیر الحمدانی، فلابد أن یکون قد ذاق الکثیر من أثر حوادث ذلک العصر، و إن کان الکثیر من شعره فی الفخر لیس إلاـ خیالاـ لاـ حقیقه وارءه. وقد یستحیل علی من لم یکن ملما بحوادث ذلک العصر أن یستنبط من قصائده أن الروم و المسلمین و النصاری کانوا یتحاربون بجیوش جرّاره مسلحین بأکمل سلاح حربی عرفه ذلک العصر؛ ولا یزید وصفه لهذه الحروب الکبیره فی شعره عما یمکن أن یقال فی وصف قتال بین قبیلتین من البدو. ولا أری فی القصائد التی قالها فی سجنه ببلاد الروم إلا أنها نثر مسجوع؛ و إذا وجدنا من یبالغ فی امتداحها من الموءلفین کالصاحب و الثعالبی فهذا برهان جدیر علی ضعف الفارق بین الکاتب و الشاعر.

وقد ولد الشریف الرضی عام ۳۶۱ه ج ۹۷۰ م ببغداد؛ و کان فی الثلاثین من عمره، لما مات ابن الحجاج؛ و کان الرضی شاعراً عظیما، وقد اختار من شعرابن الحجاج کتاباً سماه الحسن من شعر الحسین(۱).

وکان الشریف الرضی سیداً کبیراً انحدر من شجره عظیمه عریقه النسب، فلم یستطع مخالفه التقالید و النزول إلی ما نزل إلیه ابن الحجاج من إسقاف و معالجه لنواحی الحیاه التی لا تلیق بالرضی؛ فقد کان أبوه نقیباً للعلویین جمیعاً، فلما مات فی سنه ۴۰۰هج ۱۰۰۹ م تولی الرضی منصب أبیه و جمیع ما کان یتقلده و یعهد به إلیه، و إن لم یکن الشریف أکبر إخوته. و کانت داره مثال الأبهه فی المظهر، وقد اتخذ داراً لطلبه العلم سماها دار العلم، و هیأ لهم فیها ما یحتاجون

۱- دیوان الرضی طبعه بیروت ۱۳۰۷ه، ص ۲ .

إليه(١).

وكان الرضى مشهوراً بأنه لا يقبل من أحد شيئاً، وقد رفض مره هديه من وزير(٢)؛ و كان فخوراً بأنه قاضٍ على من تحت أمره من العلويين؛ و كان ينسب إلى الإفراط فى معاقبه الجانى منهم، وله فى ذلك حكايات مشهوره؛ منها أن امرأه علويه شكت إليه زوجها، و أنه يقامر بما يتحصل له من حرفه يعانيها، و أن له أطفالا، و هو ذو عيله و حاجه؛ و شهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت؛ فاستحضر الرجل، و أمر به فبُطح، وأمر بضربه؛ فما زال يضربه، و المرأه تنتظر أن يكف، و الأمر يزيد، حتى بلغ ضربه مائه خشبه، فصاحت المرأه: و ايتمَ أولادى ! كيف تكون صورتنا إذا مات ! فكلهما الشريف بكالم فظ، و قال : ظننتِ أنك تشكينه إلى المعلم(٣)؟ و كان الشريف الرضى أول عظيم من عظماء العلويين ألقى سلاح النضل و غير لباس السواد بلباس البياض على الرسم العباسى للعمال و رجال الخلافه تاركا الشعار الذى كان يلبسه آوءه بكبرياء يوازى ما كانوا يشعرون به من حزن. و هو يشير فى بعض شعره إلى أن حذره راجع إلى شيء من الكك آبه و الهم التى انطوت عليه نفسه؛ فهو يقول مثلا(٤):

أروم النتصافى من رجال أباعد *** ونفسى أعدى لى من الناس أجمع

١- نفس المصدر ص ٣ .

٢- نفس المصدر ص ٢، ٣ .

٣- ديوان الشريف الرضى ص ٣ و ص ٩٢٩ .

٤- نفس المصدر ص ٥٠٥، ٥٠٦، و كان الشريف لا ينشد شعره إلا للخلفاء، حتى قال أعداوءه لبهاء الدوله إنه يتكبر عليه بترك الإنشاد بين يديه (الديوان ص ٩٥۴). و مما يجب أن يلاحظ من أسباب ك آبته أنه ولد لأبيه و هو فى الخامسه و الستين من العمر .

و يقول:

إذا لم تكن نَفسُ الفتى من صديقه *** فلا يحدثن فى خله الغير مطلبا

و يقول:

و قالوا: تعلل ! إنما العيش نومه *** تقضى، و يمضى طارقُ الهم أجمع

ولو كان نوماً ساكناً لحمدته *** و لكنه نوم مروع مُفزَّع

ولم يكن يخرج من فم هـذا الرجـل النبيـل حقيقه كلمه واحـده من الكلمـات القبيحه التى يتلفظ بها العامه، و التى نرى مثلها عند إبراهيم الصـابى صـاحب ديوان الرسائل و عنـد الوزير المهلبى، و عنـد الوزير ابن عياد. و إذا كان غيره من الشـعراء قـد اسـتباحوا لأنفسهم فى الذم كل قبسح فإننا لا نجد للشريف الرضى فى باب الهجاء أقوى من ذمه لمغنّ بارد قبيح الوجه، و هو(١):

تغفى منظره العيون إذا بدا *** و تقىء عند غنائه الأسماع

. . . .

أشهى الينا من غنائك مسمعاً *** زجل الضراغم بينهم قراع

و إذا كنا نجـد رجلا كالشـريف الرضـى قـد كلف نفسه مشـقه قراءه ديوان ابن الحجاج و انتخاب أشـعاره الخاليه من السـخف و المجون، ثم ألف مرثيه لهذا الشاعر(٢) فإن فى ذلك شـرفاً لهذين الرجلين معاً. على أن الرضـى كان أكثر ميلا إلى المتنبى، لأن ابن جنى صاحب الشـرح لـديوان المتنبى كان أسـتاذه؛ و هو يقول الشـعر فى كل ما كان يقرض الشـعرَ فيه الشـعراء المتمسـكون بمذهب القدماء فى

١- ديوان الرضى ص ۵۰۴ .

٢- الديوان ص ۸۶۲ ج ۸۶۴ .

ذلک العصر کالتهنئه بالنیروز، و عید الفصح، و بشهر رمضان، و بانتهاه شهر الصوم، و با لمهرجان، و بالتهنئه بمولد بنت أو ولد، و بمدح الخلفاء و السلاطین و الوزراء، و برثاء من یموت من العظماء أو من المقربین إلیه، و خصوصاً برثاء الحسین فی عید وفاته، و هو یوم عاشوراء. و هو یفتخر بأهل بیته و بالأشراف، و یشکو الزمان و الشیب. وقد شکی المشیب و هو شغیر، کما جری عرف الشعراء؛ ولحسن الحظ حلق الشریف مقدّم رأسه مره وفاء بیمین، فوجد شعراً أبیض، وکان إذ ذاک فی العشرین من العمر، فکان هذا علی الأقل سبب شخصی یبرر له أن یبدأ الکلام فی المشیب(١).

و یعتبر الشریف الرضی فی تاریخ الأدب العربی سید أصحاب المراثی(٢)، و هو یفعل ذلک متبعاً للطریقه المأثوره تماماً من غیر تعرض لشخص المرثی، و هذا غریب و مما لا یکاد یصدق.

وفی سنه ٣٩٢ه ج ١٠٠٢ م فقد الشریف الرضی أستاذه و صدیقه ابن جنی اللغوی المشهور وقد بدأ رثاءه له بالشکوی من الفناء، و هو یقول(٣):

کأنا قذی یرمی به السیل کلما *** تطارح ما بین الربی و الأبارق

١- ویروی مثل هذا عن أبی فراس الأمیر الشامی الشاعر، وقد لو حظ أنه أخذ ذلک من أبی نواس. أما أبیات أبی فراس فهی : (نقلاـعن کتاب :Dvorak: Abu Firas ١٨٩۵, S. ١۴١): عذیری من طوالع فی عذاری ومن رد الشباب المستعار . وثوب کنت ألبسه أنیق أجرر ذیله بین الجواری . و ما زادت علی العشرین سنی فما عذری المشیب إلی عذاری .

٢- الیتیمه ج ٢ ص ٣٠٨ .

٣- دیوان الشریف الرضی ص ۵۶۴ .

ثم يمضى مكثراً من تساوءله أين؟ مثل قوله:

فأين الملوك الأقدمون تساندوا *** إلى جذم أحساب كرام المعارق

. . . .

وبعد هذا يذكر ما امتاز به الفقيد من المواهب فيقول:

فمن لأوابى القول يبلو عراكها *** و يحذفها حذف النبال الموارق

إذا صاح فى أعقابها اضطردت له *** ثوانى بأعناق طرد الوسايق

وسوّمها مُلس المتون كأنها *** نزائع من آل الوجيه ولا حق

تغلغل فى أعقابهن وسومه *** بأبقى بقاء من وسوم الأيانق

ومن للمعانى فى الأكمه ألقيت *** إلى باقر غيب المعانى وفاتق

يطوح فى أثنائها بضميره *** مرير القوى ولاج تلك المضايق

تسنم أعلى طودها غير عاثر *** و جاوز أقصى ضحضها غير زالق

وهنا ينتهى كلام الشريف الرضى عن صفات المرثى؛ أما بقيه القصيده فهو مما يصلح أن يقال فى كل رثاء.

وزعم أن الشريف الرضى كان يقيم ببغداد عاصمه المملكه، و كان عالما هدئاً، فإنه تجاوز حياه المدن، و مضى فى شعر الفروسيه الخيالى من كلام فى الحرب و الصحراء و الجمال و كرام الخيل.

على أن الكثير من شعره ثمره لتجربته الخاصه أحس به إحساساً عميقاً،و عبر عنه تعبيراً خاصا به، بحيث نستطيع أن نستشف من وراء هذه الأشعار التى تجرى على نسق واحد أنه تلميذ لابن الحجاج. و من غرر قصائد الشريف الرضى القصيده التى ألقاها فى مجلس الخليفه القادر، حينما جلس يحتفل بالحجيج من

أهل خراسان و مطلعها(۱):

لمن الحدوج تهزّهن الأينق *** والركب يطفو فی السراب و یغرق

يقطعن أعراض العقيق فمشئمٌ *** يحدو ركائبه الغرام و مُعرق

أبقوا أسيراً بعدهم لا يفتدی *** مما يجن و طالباً لا يلحق

يهفو الولوع به فيطرف طرفه *** و يزيد جولان الدموع فيطرق

و من أروع قصائده قوله فی النسيب(۲) بامرأظ جميله فی قافله تسير ليلا:

طلعت و الليل مشتمل *** سابغ الأذيال و الأزر

من خصاصات الغبيط، وقد *** غرّد الحادی على أقر

ورقاب القوم مائله *** من بقايا نشوه السهر

فاستقاموا فی رحالهم ** يتبعون الضوء بالنظر

فامترينا، ثم قلت لهم: *** ليس هذا مطلع القمر

و هكذا نجد الصنوبری و المتنبی و ابن الحجاج و الشريف الرضی يقفون جنباً لجنب فی القرن الرابع الهجری، و كل واحد منهم يشبه فی الناحيه التی نبغ فيها قمّه تشرف على كل القرون التاليه للأدب العربی.

تم الجزء الأول

۱- ديوان الشريف الرضی ص ۵۴۱ .

۲- نفس المصدر المتقدم ص ۳۹۴ .

تعلیقات الفصل السابع عشر

[*۱] سبقت ترجمته فی تعلیقات الفصل الثالث عشر (۸۹).

[*۲] تأتی ترجمته (الرقم ۱۱۰).

[*۳] قال فی الشذرات $شذرات الذهب ج۲ ص۱۹۶-۱۹۷.$ فیها أی سنه ۲۸۸ مات ثابت بن قره بن هرون و یقال: ابن هرون الحاسب الحکیم الحرانی، قال ابن خلکان کان صابئی النحله و له تآلیف کثیره فی فنون من العلم مقدار ۲۰ تألیفاً.

[*۴] لقد اشتبه و أخطأ کبیراً، فان امه فیها أمیرالمؤمنین علیه السلام و أولاده المعصومین علیهم السلام لا مجال لحسد أمثال من ذکر بل هو علیه السلام النبراس و المقیاس فانه علیه السلام جمع بین الأضداد من الخصال، و لقد أجاد ابن أبی الحدید فیما یقول:

فیک یا اعجوبه الکون غداً الفکر کلیلاً *** أنت حیرت ذوی اللب و بلبلت العقولا

[*۵] تأتی ترجمته فی التعلیق (۳۷).

[*۶] فمنه ما حکی عن سطیح $تاریخ الیعقوبی ج۲ ص۵.$ الکاهن حین توجه إلیه عبدالمسیح رسول کسری فی حوادث وقعت لمولد رسول الله صلی الله علیه و آله منها رؤیا المؤبدان، کان ابلاً عرباً تقود خیلاً صعاباً حتی قطعت دجله و انتشرت فی البلاد، فوجده فی آخر رمق فنادی فی اذنه باعلی صوته، إلی، فقال عبدالمسیح علی جمل مشیح نحو سطیح حین اشفی علی ضریح، بعثک ملک بنی ساسان، بهدم الایوان، و خود النیران، و رؤیا المؤبدان، رأی ابلاً عرباً تقود خلیلاً صعاباً حتی قطعت دجله و انتشرت فی البلاد، یابن ذی یزن تکون هنه

و هنات و یموت ملک و ملکات بعدد الشرافات، اذا غاصت بحیره ساوه، و ظهرت التلاوه، بأرض تهامه، و ظهر صاحب الهراوه فلیست الشام لسطیح شاماً ثم فاضت نفسه.

[*۷] بالله جعفر بن أحمد، بویع لثلاث عشره لیله خلت من ذی العقده سنه ۲۹۵ و یکنی بأبی الفضل و قتل ببغداد بعد صلاه العصر لثلاث بقین من شوال سنه ۳۲۰ فکانت خلافته ۲۴ سنه و أحد عشر شهراً و ۱۶ یوماً و بلغ من السن ۳۸ و ۱۵ یوماً.

[*۸] عبر عنه فی الشذرات $شذرات الذهب ج۲ ص۳۳۶.$ بالوزیر العادل أبی الحسن علی بن عیسی بن داود بن الجراح البغدادی الکاتب، وزر مرات لمقتدر، ثم القاهر و کان محدثاً عالماً دیناً خیراً کبیر الشأن علی الاسناد، قال و عاش ۹۰ سنه و کان فی الوزراء کعمر بن عبدالعزیز فی الخلفاء و نقل عنه کسبت ۷۰۰ الف دینار أخرجت منها فی وجوه البر ۶۰۰ الف دینار.

أرخ وفاته سنه ۳۳۴.

[*۹] تأتی ترجمته (الرقم ۱۷).

[*۱۰] الببغاء $نقس المصدر ج۳ ص۱۵۲$ الشاعر المشهور أبوالفرج عبدالواحد بن نصر المخزومی النصیبینی، مات سنه ۳۹۸ لقبوه بالببغاء لفصاحته و قیل للثغه فی لسانه.

[*۱۱] ارخ وفاته فی الشذرات $شذرات الذهب ج۳ ص۳۱ و ما بعده.$ سنه ۳۶۰ و وصفه بالوزیر العلامه، و هو أبوالفضل محمد بن الحسین بن محمد الکاتب وزیر رکن الدوله الحسن بن بویه صاحب الری، کان آیه فی الترسل و الانشاء فیلسوفاً متهماً برأی الحکماء، و کان یقال بدأت الکتابه بعید الحمید و ختمت بابن العمید، قال و کان الصاحب بن عباد تلمیذه و ذکر له قصه طویله مع ابن

نباته حریه بالنظر.

[*۱۲] هو أبوالقاسم $شذرات الذهب ج۳ ص ۱۱۳-۱۱۴-۱۱۵، ریاض العلماء ج۱ ص۸۴-۹۱، معجم رجال الحدیث ج۳ ص۱۰۰-۱۰۳، تنقیح المقال ج۱ ص۱۳۵، روضات الجنات ج۲ ص۱۹-۴۳، الکامل فی التاریخ ج۱۰ ص ۵۱۰، عمده الطالب ص۱۹۵.$ الصاحب بن عباد اسماعیل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن ادریس الطالقانی وزیر مؤید الدوله أبی منصور بن بویه و فخر الدوله و صحب أبالفضل الوزیر ابن العمید، قال: و کان من رجال الدهر حزماً و عزماً و سودداً و نبلًا و سخاوه و حشمه و افضالاً ـ و عدلاً، و أطال فی وصفه صاحب الشذرات، و انه کان شیعیاً، و ذکر عن أبی الحسین محمد بن الحسین الفارسی النحوی، ان نوح بن منصور أحد ملوک (بنی سامان) کت إلیه ورقه فی السر یستدعیه لیفوض إلیه وزارته و تدبیر مملکته و کان من جمله اعذاره الیه، انه یحتاج فی نقل کتبه خاصه الی ۴۰۰ جمل فما الظن بما یلیق بها من التجمل ذکر وفاته ۱۴ صفر بالری ثم نقل الی اصفهان و لما توفی اغلقت له مدینه الری و اجتمع الناس علی باب الفصر ینتظرونن خروج جنازته و حضر مخدومه فخر الدوله و سایر القواد و قد غیروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاحب الناس بأجمعهم صیحه واحده و قبلوا الأرض، و مشی فخر الدوله امام الجنازه مع الناس، و له ترجمه فی کل من الریاض والمعجم و التنقیح والروضات والکامل و فی الریاض نقلاً عن عمده الطالب: ان کتبه تحتاج إلی ۷۰۰ بعیر و حکی الشیخ الرافعی انها کانت مأه ألف و أربعه عشر ألفاً و فی غیر واحد ان الصدوق قدس سره ألف لأجله عیون الأخبار.

و فی الروضات $روضات الجنات ج۲ ص۲۲.$ و سفینه البحار $سفینه البحار ج۲ ص۱۴.$، لا یدخل علیه فی شهر رمضان بعد العصر أحد کایناً

من کان فیخرج من داره الا بعد الافطار عنده و کانت داره لا تخلو فی کل لیله من لیالی شهر رمضان من ألف نفس مفطره فیها و کانت صلاته و صدقاته و قراته فی مقدار الشهر تبلغ ما یطلق منها فی جمیع شهور السنه.

[*۱۳] هو العدوله و لا یقبل شهادته علیه شرعاً و عرفاً مع وضوح مبالغته فیما ذکره و ما سبق عنه نقله انه کذاب.

[*۱۴] استوزر (۱) المنتصر أحمد بن الخصیب و ندم علی ذلک، رکب أحمد ذات یوم فتظلم إلیه متظلم بقصته، فاخرج رجله من الرکاب، فزج بها فی صدر المتظلم فقتله، و ذکر عنه انه قلیل الخیر کثیر الشر شدید الجهل، کناه فی الشذرات بأبی العباس و انه وزر للمنتصر والمستعین، ثم نفاه لی المغرب و ذکر وفاته سنه ۲۶۵.

[*۱۵] هو (۲) أبو علی محمد بن علی بن حسن بن مقله الکاتب، صاحب الخط المنسوب، و قد وزر للخلفاء غیر مره ثم قطع یده و لسانه و سجن حتی هلک (عن العبر) و عن غیره انه أشار علی الراضی بمسک ابن رائق فبلغ ابن رائق، فحبس ابن مقله، ثم أخرج و قطعت یده فکان یشد القلم علیها و یکتب و یتطلب الوزاره أیضاً، و یقول ان قطع یده لم یکن فی حد و لم یعقه عن عمله، ثم بلغ ان رائق دعاؤه علیه و علی الراضی، فقطع لسانه و حبس إلی أن مات فی أسوء حال، و دفن مکانه، ثم نبشه أهله فدفنوه فی مکان آخر، ثم نبش و دفن فی موضع آخر، و ذکر انه ولی الوزاره ثلاث مرات لثلاث خلفاء المقتدر والطاهر والراضی، و سافر ثلاث مرات و دفن ثلاث مرات، أرخ وفاته سنه ۳۲۸.

[*۱۶] هو أبو محمد (۳) الحسن بن محمد الأزدی من ذریه المهلب بن أبی صفره وزیر معز

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۱۴۹، مروج الذهب ج۴ ص۱۳۲-۱۳۵.

۲- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۱۰-۳۱۱، الکامل فی التاریخ ج۹ ص ۲۰۰-۲۰۱.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۹-۱۰.

الـدوله بن بويه، و كان من رجال الدهر حزماً و عزماً و سؤدداً و عقلاً و شـهامه ورأياً، و عن ابن خلكان، كان الوزير المهلبى قبل اتصاله بمعز الدوله فى شده عظيمه من الضـروره و الضائقه، و كان قد سافر مره لقى فى سـفره مشـقه صـعبه، و اشـتهى اللحم فلم يقـدر عليه، ثم ذكر له قصه لطيفه، أرخ وفـاته سـنه ۳۵۲، و كانت (۱) مده وزارته ثلاث عشـره سـنه و ثلاثه أشـهر و كان كريماً فاضلاً ذا عقل و مروه فمات بموته الكرم.

[*۱۷] هو (۲) أبوبكر محمد بن محمد بن أحمد بن مالك، له جزء مشهور، وفاته سنه ۳۵۲.

[*۱۸] هو أبو اسحق (۳) ابراهيم بن هلال الصابئى المشـرك الحرانى الأديب، صاحب الترسل و كاتب الانشاء للملك عز الدوله بختيرا، الـح عليه عز الـدين أن يسـلم فـامتنع و كـان يصوم رمضـان و يحفـظ القرآن، و لمـا مـات عضـد الـدوله هم بقتله لأـجل المكاتبـات الفجه التى كـانت يرسـلها عز الـدوله بانشـائه إلى عضـد الـدوله، ثم تركه لشـفاعه، و أمره أن يضع له كتاباً فى أخبار الـدوله الديلميه فعمل الكتاب التاجى، فقيل لعضد الدوله ان صديقاً للصابى دخل عليه فرآه فى شـغل شاغل من التعليق والتسويد و التبييض، فسـأله عمـا يعمـل؟ فقال: أبا طيل آنمقها و أكاذيب الفقها فحركت ساكنه و هاجت حقـده و لم يزل مبعـداً فى أيامه، أرخ وفاته سنه ۳۸۴، و كذا فى الكامل (۴) و قيل ۳۸۰، أقول: الظاهر ان الذى مات هو عز الدوله و هم عضد الدوله بقتله.

[*۱۹] هو السيد الرضى (۵) كما فى الشذرات بقصيدته الداليه المشهوره أولها:

۱- الكامل فى التاريخ ج۹ ص ۳۳۰.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۱.

۳- شذرات الذهب جص ص۱۰۶-۱۰۷.

۴- الكامل فى التاريخ ج ۱۰ ص۵۰۸.

۵- شذرات الذهب ج۳ ص۱۰۷.

أرأيت من حملوا على الأعواد *** أرأيت كيف خبا ضياء النادی

و عابته الناس لكونه شريفاً يرثی صابئياً، فقال انما رثيت فضله.

[*۲۰] أبو طاهر (۱) الوزير نصير الدوله محمد بن محمد بن بقيه بن علی، أحد الرؤساء الأجواد تنقلت به الأحوال و وزر لمعز الدوله بختيار، و قد كان أبوه فلاحاً، ثم عزل و سمل، و لما تملک عضد الدوله قتله وصلبه فی شوال سنه ۳۶۷ و لم يزل مصلوباً إلی أن توفی عضدالدوله فأنزل عن الخشبه و دفن فی موضعه، و له و لراثيه قصه ذكرها فی الشذرات.

[*۲۱] هو أبو منصور (۲) بختيرا، الملقب بعز الدوله ابن الملک معز الدوله أحمد بن بويه الديلمی، تزوج الطائع ابنته شاه زمان علی صداق مبلغه مأه ألف دينار، و كان عز الدوله ملكاً سرياً شديد القوی يمسک الثور العظيم بقرنيه قيصرعه، التقی مع ابن عمه عضد الدوله فقتل فی المصاف و حمل رأسه فی دست وضع بين يدی عضدالدوله فلما راه، وضع منديله علی عينيه وبكی، قاله ابن خلكان، ارخ ذلک سنه ۳۶۷.

و فی الكامل (۳) ذكر اسره واحضر عند عضدالدوله فلم يأذن بادخله إليه و أمر بقتله فقتل.

[*۲۲] أبوالعباس (۴) عبدالله، شاعر، أديب، راوی، نقاد الشعر والأدب العربی الكبير فی إلی مكه و لما ان صارت الخلافه بعد سنه إلی المعتمد أرجعهم إلی سامراء و آخر الأمر أضجعوه علی الثلج و ملاؤا جوانبه منه ذلی أن مات سنظ ۲۹۶، و عن ابن خلكان أخذه

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۶۳-۶۴.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص۵۹.

۳- الكامل فی التاريخ ج ۱۰ ص۴۲۸.

۴- دائره المعارف الاسلامی الكبيره ج۴ ص۶۳۲-۶۳۵ و شذرات الذهب ج۲ ص۲۲۲.

المقتدر (و کان مختفیاً بعد أن بایعوه بالخلافه متلقباً بالمرتضی بالله أو المنصف بالله، أو الغالب بالله، أو الراضی بالله، و أقام یوماً و لیله) و سلمه إلی مونس الخادم الخازن، فقتله و سلمه إلی أهله ملفوفاً فی کساء.

و فی الکامل (۱) انه عصرت خصیتاه حتی مات، و ذکر له تصانیف.

[*۲۳] ذکره المسعودی (۲) فی قضیه خلع المستعین و البیعه للمعتز (زبیر بن جعفر المتوکل) سنه ۲۵۲ و انه قدم علی المعتز عبدالله بن عبدالله بن طاهر، و هو أخو محد بن عبدالله بالبرد و القضیب والسیف و بجوهر الخلافه و معه شاهک الخادم.

[*۲۴] هو (۳) محمد بن العباس الخوارزمی الشاعر المشهور، و یقال له الطبرخی لأن أباه کان من خوارزم و امه من طبرسان، فرکب له من الاسمین نسبه و هو ابن اخت أبی جعفر محمد بن جریر الطبری صاحب التاریخ.

[*۲۵] عنونه فی دائره المعارف (۴) بمحمد بن محمد (جمادی الاخره @@) یعنی موته و قال وزیر مشهور.

[*۲۶] ذکر ابن أبی الحدید (۵) اجتماعه بالخلیل بن أحمد وسمع کل منهما کلام الآخر، فسئل الخلیل عنه، فقال وجدت علمه أکثر من عقله، و هکذا کان، و یظهر من کلامه انه کان کاتب عمی المنصور عیسی و سلیمان ابنی علی بالبصره، و ان المنصور أمر بقتله عامله بالبصره سفیان بن معاویه، و انه قطع أعضائه عضواً عضواً و ألقاها الی النار و هو

۱- الکامل فی التاریخ ج۹ ص۷.

۲- مروج الذهب ج۴ ص۱۶۴.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص۲۰۵.

۴- دائره المعارف ج۱۲ ص ۲۷۹.

۵- شرح النهج الحدیدی ج۱۸ ص۲۶۹-۲۷۰.

ینظر إلیها حتی أتی علی جمیع جسده، ثم اطبق التنور علیه، الی، و ذهب دمه هدراً، و ولادته (۱) و قتله کما یظهر من دائره المعارف کان ۱۰۶-۱۴۲ و له ترجمه ضافیه فی هذا الکتاب و لقتله عامل مؤثر و سماه عبدالله.

[۲۷] ذکر المسعودی (۲) خروج أبی تمام حبیب بن اوس الطائی الجاسمی فی أیام الواثق الی سر من رأی، فلما قرب منها لقیه اعرابی، قال فأردت أن أعلم خبر العسکر منه و ذکر انه سئل عن اخی سلیمان بن وهب، و بعد أن أجابه، قال قلت: فما تقول فی أخیه الحسن؟ قال عود نضیر، غرس فی منابت الکرم حتی اذا اهتز لهم حصدوه.

و فی موضع آخر (۳) وصفه بالکاتب قال و کان شاعراً ظریفاً له حظ فی المنثور و المنظوم و ذکر له قصیده و أشعاراً.

[*۲۸] کاتب (۴) و شاعر فی زمن العباسیین، عد من البلغاء العشره، له ارتباط وثیق مع المأمون عد ندیماً له و آخر الأمر قیل حبس فی بیته إلی أن مات سنه ۲۱۲.

[*۲۹] هو أول (۵) ملوک ساسان و لا خلاف بینهم فی انه من ولد منوشهر و صار الملک الیه بعد الطوائف.

[*۳۰] ابن بختک (۶) وزیر حکیم فی زمن خسروا الأول انوشیروان الساسانی ۵۳۱-۵۷۹ من المیلاد کان مدرس العلم بکتاب بمرو، و سبب تعلیه انه عبر رؤیا لا نوشیروان،

۱- دائره المعارف الاسلامی الکبیره ج۴ ص۶۶۲-۶۶۴.

۲- مروج الذهب ج۴ ص۶۶-۶۷.

۳- مروج الذهب ج۴ ص۷۵-۷۶.

۴- دائره المعارف الکبیره ج۷ ص۱۷-۱۸.

۵- مروج الذهب ج۱ ص۲۷۷.

۶- دائره المعارف ۱۲ ص ۸۵-۸۸.

و صار أكرم وزرائه، له ترجمه مفصله فی دائره المعارف.

و قال المسعودی (۱) فی كلام له، انه غضب ابرويز و أمر به (بزرجمهر) فضرب عنقه.

و نقل عنه (۲) انه قال لانوشيروان حين جلوسه يوماً للحكماء ليأخذ من آدابهم، سألهم عن حكمه فيها منفعه لخاصه نفسه و عامه رعيته ۱۲ كلمه و أمر انوشيروان أن تكتب بالذهب.

[*۳۱] البديع الهمدانی (۳) أبوالفضل أحمد بن الحسين بن يحيی بن سعيد الحافظ المعروف ببديع الزمان، ذكر عن الحاكم أبی سعيد، جامع رسائل البديع عن الثقات، انه مات من السكته و عجل دفنه فأفاق فی قبره و سمع صوته بالليل و نبش عنه فوجدوه قد قبض علی لحيته و مات من هول القبر.

[*۳۲] و أعجب من هذا ما فعله العلامه الجليل الشيخ ميرزا جمال الدين محمد بن غلامرضا الشريف الكرمان فانه قد ألف كتاباً فی الاصول من الحروف المهمله غير دوات النقطه اسمه، اسس الاصول، يقول عنه البحاثه العلامه الكبير الحاج (۴) آقا بزرگ الطهرانی قدس سره أبدع فيه المؤلف ببيان الدفائق العلميه باستعمال اقل الحروف الهجائيه (الثلاثه عشر) الخاليه عن كلفه الاعجام، مع ان الكتب المتسعان فيها بجميع الحروف الثمانيه و العشرين قد تقصر عن بيان بعض النكات و الدقائق.

و أبدع منه عدم استعماله حرف الألف أيضاً فی الخطبه الموسومه بالاثنی عشريه لاكتفائه فيها باثنی عشر حرفاً من الثلاث عشره المهمله الی فلايقاس بما أنشأه

۱- مروج الذهب ج۱ ص۲۶۸-۲۶۹.

۲- مروج الذهب ج۱ ص ۲۳۰-۲۴۳.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۵۰-۱۵۱.

۴- الذريعه ج۲ ص۵۷-۵۸.

أميرالمؤمنين عليه السلام من الخطبه الخاليه (۱) عن الألف ارتجالاً التى هى غايه فى فصاحه و حسن الانتظام.

أقول له عليه السلام من الجناس (۲) الخطى ما ذكره الجاحظ فى كتاب الغره، كتب على عليه السلام الى معاويه غرك عزك فصار قصار ذلک ذلک فاخش فاحش فعلک فعلک تهدا بهذا.

و كلامه عليه السلام ككلام رسول الله صلى الله عليه و آله فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق.

قال ابن أبى الحديد (۳) طى شرح بعض كلامه عليه السلام و اقسم بمن تقسم الامم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبه منذ خمسين سنه والى الآن أكثر من ألف مره و ما قرائها إلا واحدث عندى روعه و خوفاً وعظه و اثرت فى قلبى وجيباً و فى أعضائى رعده إلى آخره.

و قال و ينبغى لو اجتمع فصحاء العرب قاطبه فى مجلس و تلى عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع.

قلم أصاب من الدواه مدادها، فلما قيل لهم فى ذلک قالوا نعرف مواضع السجود فى الشعر كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن.

[*۳۳] كان (۴) مقيماً بالرى من ناحيه المأمون و سمى ذا اليمينين لضربته بيديه جميعاً للعباس بن الليث فى حرب بينه و بين عساكر على بن عيسى الذى سيره الأمين بعد خلعه أخاه المأمون إلى خراسان، فالتقى بعساكر طاهر، و قتل على بن عيسى، و جاء طاهر إلى أن ذبحوا محمداً الأمين من قفاه و أخذوا برأسه و مضوا به الى طاهر، و حمل الرأس إلى خراسان إلى المأمون فى منديل، و القطن عليه و الاطليه، فأمر المأمون بنصب

۱- بحارالأنوار ج ۴۰ ص۱۶۳.

۲- بحارالأنوار ج ۴۰ ص۱۶۳

۳- شرح النهج الحديدى ج ۱۱ ص۱۵۳.

۴- مروج الذهب ج۳ ص۳۹۸-۴۰۰-۴۲۲-۴۲۳.

الرأس فی ضمن الدار علی خشبه واعطی الجند، و أمر کل من قبض رزقه أن یلعنه فکان الرجل یقبض و یلعن الرأس.

ذکر وفاته سنه ۲۰۷.

[*۳۴] ذکره فی الشــذرات (۱) و وصــفه بالأـمیر و سـماه قـاسم بـن عیسـی العجلی صـاحب الکرخ أحـد الأبطـال المـذکورین الممدوحین والأجواد المشـهورین و الشعراء المجیدین، و قد ولی دمره دمش للمعتصم، یحکی عنه انه قال یوماً من لم یکن غالباً فی التشـیع، فهو ولـد زنـا فقـال له ولـده یـا أبت لست علی مـذهبک، فقـال له أبوه لمـا و طئت أمـک و علقت بک ما کنت بعد اسـتبریتها فهـذا من ذاک، و قـال: کـان لکثره عطائه رکبته الـدیون فلما مات راه ابنه دلف جالساً عریاناً علی أسوء حال و أنشـده ابیاتاً. ارخ وفاته سنظ ۲۲۵.

أقول و فی دعوی ولاـده الزنا ذکر المسـعودی (۲) عن عیسـی بن أبی دلف أن أخـاه دلف کـان ینتقص علی بن أبی طالب علیه السـلام و یضع منه و من شـیعته و ینسـبهم إلی الجهل و انه قال یوماً (و هو فی مجلس أبیه) و لم یکن أبوه حاضراً، انهم یزعمون أن لاـ ینتقص علیاً أحـد إلا کان لغیر رشـده، و أنتم تعلمون غیره الأمیر، یعنی أباه، و انه لا یتهبأ الطعن علی أحـد من حرمه و انا أبغض علیاً، قال: فما کان بأوشک من أن خرج أبودلف، فلما رأیناه قمنا له، فقال: قد سمعت ما قاله دلف، و الحدیث لا یکذب، والخبر الوارد فی هـذا المعنی لاـ یختلف و هو والله لزنیه و حیضه، و ذلـک انی کنت علیلاًـ فبعثت إلی اختی جاریه لها کنت بها معجباً فلم أتمالک ان وقعت علیها و کانت حائضاً فعلقت به فلما ظهر حملها و هبتها لی.

[*۳۵] یطلق (۳) علی ابراهیم بن محمد صاحب کتاب المحاسن و المساوی، کان فی زمن

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۵۷.

۲- مروج الذهب ج۴ ص۶۲.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص۱۶، دائره المعارف بزرگ اسلامی ج۱۳ ص۴۷۶.

ابن المعتز، و علی أبی بکر (۱) أحمد بن حسین بن علی الخسروجردی ۳۸۴-۴۵۸ من محدثی أهل السنه صاحب السنن الکبری والصغری و غیرها.

و قال فی الشذرات بلغت تصانیفه ألف جزء و وصفه بالامام العلم و أرخ وفاته سنه ۴۵۸ و علی أبی جعفر (۲) أحمد بن علی بن محمد المعروف ببوجعفرک من علماء اللغه و النحو والقرائه والتفسیر، له کتاب تاج المصادر و المحیط بلغات القرآن.

و علی أبی الحسن (۳) علی بن زید بن محمد (۴۹۰-۵۶۵) حجه الدین، ظهیر الدین فرید خراسان، ینتهی نسبه الی خزیمه ذی الشهادتین، و عد فی کلمات غیر واحد من کبراء الشیعه، له کتاب مشارب التجارب، وعد لنفسه أزید من سبعین أثراً، و علی محمد بن حسین أبی الفضل (۴) (۳۸۵-۴۷۱) و عد من الکتاب والشعراء، له کتاب التاریخ المسعودی المعروف بتاریخ البیهقی.

و علی أحمد بن حسین (۵) المحدث الفیه شافعی المذهب (قرن ۵) و علی أبی علی محمد بن سعدویه (۶) من علماء و محدثی الشیعه (قرن ۴) و علی أبی الحسن (۷) عبیدالله بن محمد العالم المحدث شیعی المذهب (قرن ۶) و علی أبی ابراهیم (۸) جعفر بن محمد

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۳۰۴-۳۰۵، دائره المعارف بزرگ اسلامی ج۱۳ ص۴۷۶.

۲- دائره المعارف ج۱۳ ص ۴۸۱-۴۸۴.

۳- دائره المعارف ج۱۳ ص۴۸۲.

۴- دائره المعارف ج۱۳ ص ۴۸۲.

۵- دائره المعارف بزرگ اسلامی ج۱۳ ص۴۷۵

۶- دائره المعارف بزرگ سلامی ج۱۳ ص۴۷۵-۴۷۶.

۷- دائره المعارف الاسلامی الکبیره ج۱۳ ص۴۷۵.

۸- دائره المعارف الاسلامی الکبیره ج۱۳ ص۴۷۵.

العلوی الحسینی المحدث و الفقیه الشیعی (قرن ۵) و علی الشیخ أبی الحسین (۱) زید بن حسن من محدثی الامامیه (قرن ۶) من أشـهر تلامیـذ منتجب الـدین الرازی من علماء الامامیه والمذکور فی المتن ینطبق قویاً علی الأول، کان یعیش فی القرن الثالث و علی محمد بن حسین.

[*۳۶] هـو أحمـد بن عبـدالله بن سـلیمان التنوخی (۲) اللغوی الشـاعر، صاحب التصانیف المشـهوره و الزنـدقه المأثوره والـذکاء المفرط والزهد الفلسـفی ذهب بصره و هو ابن ثلاث سنین و عن العبر لعله مات علی الاسلام و تا من کفریاته و زال عنه الشک، و عنه انه سـمی نفسه رهین الحبسـین للزومه منزله و ذهاب عینیه، و مکث مـده ۴۵ سـنه لا یأکل اللحم تـدیناً و قیل و لد أعمی و ترک أکل البیض واللبن واللحم، و أوصی أن یکتب علی قبره.

و هذا جناه أبی علی *** و ما جنیت علی أحد

ارخ وفاته سنه ۴۴۹.

[*۳۷] هو علی بن محمد بن عباس (۳)، أدیب و فیلسوف، واختلفوا فی انه شـیرازی أو نیشابوری أو کان واسطیاً أم بغدادیاً، قیل فی وصـفه بالتوحیـدی ان أباه کان یبیع قسـماً من التمر یسـمی بالتوحید، و قیل الی التوحید الذی هو الدین، واختلف فی عقیدته بین من یراه صـحیح العقیـده و بین من حکم بزندقته، بل عن ابن الجوزی فی تاریخه عده أحد الزنادقه الثلاثه و جعله أشـرهم، و عد فی الروضات (۴) عده من مصنفاته، و قال مات فی

۱- دائره المعارف الاسلامی الکبیره ج۱۳ ص۴۷۵.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص۲۸۰-۲۸۲.

۳- دائره المعارف الاسلامی الکبیرظ ج۵ ص۴۱۰-۴۱۲.

۴- روضات الجنات ج۸ ص۹۲-۹۳.

حدود سنه الثمانین و الثلاثمأه (عن یاقوت الحمودی) ولکن فی دائره المعارف سنه ۴۰۰ و قیل ۴۰۴.

[*۳۸] ذکر فی الکامل (۱) فی حوادث سنه ۳۲۴ ان فیها قبض علی أبی عبدالله بن عبدوس الجهشیاری و صودر علی مأتی ألف دینار.

[*۳۹] هو أحمد (۲) بن محمد الرازی، أحمد بن محمد مسکویه، أحمد بن یعقوب مسکویه، أبو علی أحمد بن محمد بن یعقوب بن مسکویه الخازن الحکیم الماهر الرزی الأصل الاصفهانی المسکن و الخاتمه، کان من أعیان العلماء و أرکان الحکماء، قد صحب الوزیر أبا محدم المهلبی أیام شبانه و کان خصیصاً به الی أن اتصل لخدمه الملک عضد الدوله، ثم اختص بالوزیر ابن العمید و ابنه أبی الفتح فی خدمه الملک صمصام الدوله، ذکره فی الروضات و قال کان فی عالی درجه من المعرفه بحث أهل البیت علیهم السلام والاعتقاد لفرض طاعتهم و لزوم محبتهم و تعرض لقضیه بینه و بین الشیخ الرئیس حینما دخل علیه فی مجلس التدریس، و ذکر کثیراً من تألیفاته و له ترجمه ضافیه فی دائره المعارف (۳).

[*۴۰] فی الشذرات (۴) فیها (أی سنه ۱۶۷) قتل فی الزندقه بشار بن برد البصری الاعمی شاعر العصر، و عن ابن الاهدل، قیل و کان یفضل النار علی الطین و یصوب رأی ابلیس فی امتناعه من السجود لآدم علیه السلام، و عن ابن قاضی شهبه زنادقه الدنیا أربعه، بشار بن برد و ابن الراوندی و أبو حیان التوحیدی و أبو العلاء المعری.

۱- الکامل فی التاریخ ج۹ ص۱۸۹.

۲- روضات الجنات ج۱ ص۲۵۴-۲۵۷.

۳- دائره المعارف الاسلامیه الکبری ج۶ ص۵۶-۶۲.

۴- شذرات الذهب ج۱ ص۲۶۴-۲۶۵.

[*۴۱] هو أبوبکر (۱) الحسن بن علی بن بشار بن العلاف البغدادی المقری صاحب الدوری و کان أدیباً ظریفاً ندیماً للمعتضد ثم شاخ و عمی، ابن خلکان کان له هر یأنس به و کان یدخل ابراج الحمام التی لجیرانه و یأکل أفراخها و کثر ذلک منه، فأمسکه أربابها و ذبحوه، فرثاه بهذه القصیده أولها:

یا هرنا فارقتنا و لم تعد، و قد قیل رثی بها عبدالله بن المعتز و خشی من الامام المقتدر أن یتظاهر بها لأنه هو الذی قتله فنسبها الی الهر الخ.

[*۴۲] أبی زید اللغوی (۲) ینطبق ظاهراً علی أبی زید الأنصاری سعید بن اوس بن ثابت الخزرجی الأنصاری اللغوی الراوی النحوی، أقام مده بین البدو لجمع الأشعار و الأخبار و نوادر العرب، و عدوه من مشاهر العلماء الذین اهتموا بجمع اللغات واللهجات الشاذه. له آثار لم یعثر علیها.

[*۴۳] وصفه فی الشذرات (۳) بالعلامه أبی سعید عبدالملک بن قریب الباهلی البصری الأصمعی اللغوی الأخباری، قال: و کان الخلفاء تجالسه و تحب منادمته، روی عنه انه قال احفظ أربعه عشر ألف ارجوزه، منها المائه والمائتان، و ذکر وفاته لسنه ۲۱۶ و فی الروضات (۴) انه حصل فی لیله واحده علی ۵۹ ألف درهم و استغنی عن الخلق (حیث دخل علی ارشید و سامره الی الصباح ثم ذهب الی منزل الوزیر یحیی أو ولده جعفر البرمکی).

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۷۷-۲۷۸.

۲- دائره المعارف الاسلامی الکبری ج۵ ص ۵۰۰-۵۰۲.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص۳۶-۳۷.

۴- روضات الجنات ج۵ ص۱۴۹.

و ذکر عن ابن خلکان (۱) بیتین عن أبی قلابه حبیش بن عبدالرحمن الجرمی الشاعر فی جنازه الأصمعی:

لعن الله أعظماً حملوها *** نحو دار البلی علی خشبات

أعظماً تبغض النبی و أهل ال *** بیت والطیبین و الطیبات

و قال: کان جده علی بن أصمع سرق بسفوان (کصفوان اسم موضع بین البصره والبحرین) فأتوا به علی بن أبی طالب علیه السلام فقال علیه السلام جیئونی بمن یشهد انه أخرجها من الرحل، قال فشهد بذلک عبده فأمر بقطع یده من اشاجعه فقیل له یا أمیرالمؤمنین، ألا قطعته من زنده؟ فقال: یا سبحان الله کیف یتوکأ، کیف یصلی، کیف یأکل؟

[*۴۴] فی الشذرات (۲) فیها (أی سنه ۲۳۵) توفی اسحاق بن ابراهیم الموصلی الندیم، أبو محمد، کان رأساً فی صناعه الطرب والموسیقا أدیباً عالماً اخباریاً شاعراً محسناً کثیر الفضائل، و ذکر عن ابن الاهدل انه کان المأمون یقول لولا ما سبق لاسحاق من الشهره بالغناء لولیته القضاء، فانه أولی و أعف و أصدق و أکثر دیناً و امانه من هؤلاء القضاه.

[*۴۵] أبوالعباس عبدالله، شاعر، أدیب، راوی، نقاد الشعر والأدب العربی.

[*۴۶] هو أبوالحسن (۳) علی بن العباس بن جریح، و قیل ابن جرجیس المعروف بابن الرومی مولی عبدالله بن عیسی بن جعفر المنصور، صاحب النظم العجیب والتولید الغریب، و سبب موته ان الوزیر أبالحسن بن عبدالله وزیر المعتضد کان یخاف من هجوه و فلتات لسانه، فدش علیه مأکلاً مسموماً فی مجلسه، فلما أحس بالسم، قام، فقال له الوزیر أین تذهب؟ قال: الی الموضع الذی بعثتنی إلیه، فقال سلم علی والدی، فقال ما

۱- روضات الجنات ج۵ ص۱۵۸-۱۵۹.

۲- شذرات الذهب ج۲ ص۸۲.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص۱۸۸-۱۸۹.

طریقی إلی النار، و خرج إلی منزله فأقام أیاماً و مات و الصحیح موته سنه ۲۸۳.

[*۴۷] هو أبو علی الحسن بن رشیق (۱) (القیر وانی) أحد الأفاضل البلغاء له التصانیف الحسنه، قال ابن بسام فی کتاب الذخیره انه ولد بالمسیله، و تأدب بها قلیلاً، ثم ارتحل الی القیر و ان، و ذکر وفاته فی جزیره صقلیه سنه ۴۶۳ و وفات (۲) الحسن بن رشیق العسکری أبی محمد المصری سنه ۳۷۰ و عن یحیی بن الطحان ما رأیت عالماً أکثر حدیثاً منه.

[*۴۸] سبق ذکره و ترجمته.

[*۴۹] هو الحسن بن هانئ الحکمی (۳) الأدیب شاعر العراق، قال ابن عیینه هو أشعر الناس و قال الجاحظ، ما رأیت أعلم باللغه منه و کنی بأبی نواس لذؤابتین کانتا علی عاتقه تنوسان، و عن ابن الفرات وصفه مولی الحکم بن سعد العشیره، سمی سعد العشیره لأنه لم یمت حتی رکت معه من ولده وولد ولده مأه رجل و هو أحد المطبوعین و کان کثیر المجون وفاته سنه ۱۹۶.

[*۵۰] أحد فحول (۴) الشعراء و اسمه محمود بن حسین، کان من الشعراء المجیدین والفضلاء المبرزین حتی قیل: ان لقبه هذا منحوت من عده علوم کان یتقنها، فالکاف للکتابه والشین من الشعر والألف من الانشاء والجیم من الجدل والمیم من المنطق، و کان یضرب بملحه المثل، و عن بعضهم هو أبو الحسین و أبو الفتح بن السندی الکاتب المعروف بکشاجم من أهل الرمله من نواحی فلسطین، و عنه ان الألف من أدیب والجیم

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۲۹۷-۲۹۸.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص ۷۱.

۳- شذرات الذهب ج۱ ص ۳۴۵-۳۴۶.

۴- شذرات الذهب ج۳ ص۳۷-۳۸.

من جواد والميم من منجم، و عن بعضهم طلب علم الطب حتی مهر فیه و صار أکبر علمه فزید فی اسمه طاء من طبیب فقیل طکشاجم ولکنه لم یشتهر، وفاته سنه ۳۶۰.

[*۵۱] هو أبو عباده (۱) ولید بن عبید، ولادته حسب الاحتمال ۲۰۶ و عن ابن خلکان انه من کبراء شعراء العرب، وصف بالطائی المنبجی امیر شعراء العصر و حامل لواء القریض، وفاته سنه ۲۸۴.

[۵۲] هو (۲) أبوالحسن محمد بن عبیدالله بن الحارث بن محمد بن یحیی، الی، القرشی المخزومی الشاعر المشهور،، ذکره فی نسمه السحر فی ذکر من تشیع و شعر، قال و امتدح السلامی، الصاحب بن عباد کافی الکفاه و کان علی معتقده الی، و انه هو الذی أرسله الی عضد الدوله، و کان عضد الدوله یقول اذا رأیت السلامی فی مجلسی ظننت ان عطارد قد نزل من الفلک الی و وقف بین یدی، وفاته سنه ۳۹۳، ذکر السید الصدر رحمه الله له ترجمه طویله حسنه فی تاریخ ابن خلکان و هو من شعراء الیتیمه.

[*۵۳] تقدمت ترجمته (۱۶).

[*۵۴] تقدمت ترجمته فی تعلیقات الفصل الثانی عشر (۳۶).

[*۵۵] هو (۳) علی بن عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبی الجزری صاحب الشام، مات بحلب سنه ۳۵۶ و له بضع و خمسون سنه، و کان بطلاً شجاعاً کثیر الجهاد جید الرأی، عارفاً بالأدب والشعر، جواداً ممدوحاً، مات بالفالج، و قیل بعسر البول، و أوصی أن یوضع خده اذا دفن علی ما جمع من الغبار الذی أصابه فی الغزوات، ما جاء منه لبنه بقدر الکف و سبق له ذکر فی تعلیقات الفصل الثانی عشر (۵۱).

۱- دائره المعارف الکبری ج ۱۱ ص ۳۷۴.

۲- تأسیس الشیعه ص ۲۲۱.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۲۰.

[*۵۶] سبق ذکره.

[*۵۷] سبق ذکره (۲۱).

[*۵۸] یمکن (۱) کونه اباطالب عبدالسلام بن الحسن المأمونی من اولاد المأمون، کان فاضلاً حسن العشر ارخ وفاته ابن الأثیر سنه ۳۸۳.

[*۵۹] فی الشذرات (۲) وصفه بالشاعر، قال کان ظریفاً له منظر حسن ورث من أبیه مالاً جزیلاً فأنفقه فی اللهو و افتقر، فعمل قصیدته المعروفه بالسوسیه التی أولها

الحمد لله لیس له (لی بخت) *** ولا ثیاب یضمها تخت

ذکر وفاته سنه ۵۳۹.

[*۶۰] هو أبوالحسن البصری (۳) اللغوی النحوی، الشاعر الامامی المشهور ذکر محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فوقه الکوفی فی کتاب تاریخ کوفه المعروف بتاریخ ابن النجار، انه من النحاه الفضلاء والأدباء، النبلاء، و عن الثعالبی فی الیتیمه انه فرد البصره و صدر ادبائها و بدر ظرفائها فی زمانه، و عن الثعالبی فی الیتیمه انه فرد البصره و صدر ادبائها و بدر ظرفائها فی زمانه، و عده السید الصدر من شعراء الصاحب بن عباد.

[*۶۱] ابو علی حسین (۴) بن محمد بن فیره بن حیون الصدفی، محدث، فقیه، مالکی، اندلسی، تقلد القضاء بدعوه أهل مرسیه، شرق الأندلس، و بعد مده استعفی فلم یقبل منه، فاختفی، و ثانیاً حملوه قضاء فاختفی، نقل انه خلف کتباً نفیسه، قتل فی حرب الافرنج سنه ۵۱۴.

و فی الشذرات (۵) عن ابن ناصر الدین هو حافظ متقن، کبیر، ثقه مأمون، و تعرض لاکراهه

۱- الکامل فی التاریخ ج ۱۱ ص۵۰۴.

۲- شذرات الذهب ج ۴ ص۱۲۵.

۳- تأسیس الشیعه ص۱۱۳.

۴- دائره المعارف الاسلامی الکبری ج۶ ص۲۸-۲۹.

۵- شذرات الذهب ج۳ ص۱۳۶-۱۳۷.

علی القضاء فولیه، ثم اختفی حتی اغفی.

[*۶۲] هو کما فی الشذرات (۱) الأدیب أبوعبدالله الحسین بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الحجاج البغدادی الشیعی المحتسب، الشاعر المشهور، ذوالمجون والخلاعه والسخف فی شعره، کان فرد زمانه فی فنه فانه لم یسبق إلی تلک الطریقه مع عذوبه ألفاظه و سلامه شرعه من التکلف، و یقال انه فی الشعر فی درجه امرء القیس، و انه لم یکن بینهما مثلهما الی، و کان شیعیاً غالیاً، توفی سابع عشر من جمادی الاخره بالنیل (سنه ۳۹۱) و حمل الی بغداد و دفن عند مشهد موسی بن جعفر علیه السلام و کان أوصی أن یدفن عند رجلیه و یکتب علی قبره (و کلبهم باسط ذراعیه بالوصی)، و ما فی الهامش من دفنه الی جانب قبر الصادق علیه السلام اشتباه فانه دفن عند مشهد موسی بن جعفر علیهماالسلام.

وصفه الخوانساری (۲) بالشاعر الماهر، الکاتب المحتسب، الشیعی الامامی النیلی البغدادی المتصنع المشهور، و کان من شعراء أهل البیت المتجاهرین، و عن أمل الآمل یظهر من شعره انه من أولاد الحجاج بن یوسف الثقفی، و ذکر (۳) عن السید الجلیل الفاضل زین الدین علی بن عبدالحمید النجفی الحسینی صاحب کتاب الأنوار المضیئه و کتاب الغیبه و غیرهما فی کتابه (الدر النضید فی تعازی الامام الشهید) انه کان فی زمان ابن الحجاج رجلان صالحان یزدریان بشعره کثیراً، و هما محمد بن قارون السیبی و علی بن الزرزور السورائی، فرأی الأخیر منهما لیله فی الواقعه کان أتی الی روضه الحسین علیه السلام و کانت فاطمه الزهراء علیهاالسلام حاضره هناک مستنده ظهرها إلی رکن الباب الذی هو علی یسار الداخل و سایر الأئمه الی مولانا الصادق علیهم السلام أیضاً جلوس فی

۱- شذرات الذهب ج۴ ص۴۳.

۲- روضات الجنات ج۳ ص۱۵۸.

۳- روضات الجنات ج۳ ص ۱۶۰.

مقابلها فی الزاویه التی بین ضریحی الحسین علیه السلام و ولده علی الأکبر الشهید متحدثین بما لا یفهم، و محمد بن قارون المقدم قائم بین أیدیهم، قال السورائی و کنت أنا أیضاً غیر بعید عنهم، فرأیت ابن الحجاج ماراً فی الحضره المقدسه، فقلت لمحمد بن قارون الا تنظر الی الرجل کیف یمر فی الحضره، فقال و أنا لا احبه حتی انظر الیه، قال: سمعت الزهراء علیها السلام بذلک، فقالت له مثل المغضبه أما تحب أبا عبدالله؟ احبوه فانه من لا یحبه لیس من شیعتنا، قم خرج الکلام بین الأئمه علیهم السلام بأن من لا یحب أبا عبدالله فلیس بمؤمن.

وزاد فی الریاض (۱) قال الشیخ محمد بن قارون و لم أرس من قاله منهم، ثم انتبه فزعاً مرعوباً لما فرط منه فی حق أبی عبدالله من قبل ذلک، ثم تعرض للقائه مع جماعه من أصحابه فی طریق زیاره الحسین علیه السلام مع علی بن الزرزور و حکایه منامه له و حکایه علی بن الزرزور دلک المنام بعینه، الی، ثم اتفقا علی مدحه و ایراد أشعاره و له قصه (۲) اخری فی العتبه العلویه علی مشرفها التحیه والسلام مع السید المرتضی حین ایراد قصیدته الغراء التی أولها:

یا صاحب القبه البیضاء فی النجف *** من زار قبرک واستشفی لدیک شفی

عند السلطان مسعود بن بویه الدیلمی، لما فرغ من تعمیر القبه الزاکیه و جلس فی الحضره الشریفه علی حسن الأدب، فلما وصل الی الهجاء الذی فیها قل لابن سکره ... الی.

یابن البغایا الزوانی العاهرات و من *** سلقلقیاتهم قد حضن من خلف

اغلظ له السید و نهاه ان ینشد ذلک فی حضره الامام علیه السلام فانقطع عن الایراد... الی أن رأی

۱- ریاض العلماء ج۲ ص۱۲-۱۳.

۲- روضات الجنات ج۳ ص۱۶۱-۱۶۴، ریاض العلماء ج۲ ص۱۳-۱۷.

الشـاعر فی المنـام أمیرالمؤمنین علیه السـلام و هو یقول لا ینکسـر خاطرک، فقـد بعثنا المرتضـی علم الهـدی یعتـذر إلیک، و لا تخرج الیه، فقـد أمرناه أن یأتی دارک فیدخل علیک ثم رأی السـید تلک اللیله النبی صـلی الله علیه و آله والأئمه جلوس حوله، فوقف بین أیـدیهم، فسـلم علیهم فلم یقبلوا الیه فعظم ذلک عنـده فقال: یا موالی أنا عبدکم و ولدکم و مولاکم، فبما اسـتحققت هـذا منکم؟ فقالوا بما کسـرت خاطر شاعرنا أبی عبـدالله بن الحجاج، فتمضـی الی منزله و تعتـذر الیه و تمضـی به الی ابن بویه و تعرفه عنایتنـا به، فقام المرتضـی من ساعته و مضـی إلیه، فقرع علیه باب حجرته، فقال: یا سـیدی، الـذی بعثک إلی، أمرنی أن لا أخرج إلیـک، و قـال کـذا فقـال: نعم سـمعاً و طـاعه، و دخل علیه معتـذراً، و مضـی به إلی السـلطان و قص القصه علیه کما رأیا فکرمه و أنعم علیه و أمره بالنشاد القصیده فی تلک الحال.

أقول: القصیده مذکوره بتمامها فی الکتابین و هی تبلغ ۶۴ بیتاً و من غرر القصائد.

[*۶۳] المراد به (۱) أحد ملوک الدوله العلویه بافریقیه بدأت دولتهم سنه ۲۹۶ وانقرضت بمصر سنه ۵۶۷، أولهم أبو محمد عبید الله و آخرهم العاضد لدین الله أبو محمد عبدالله بن یوسف بن الحافظ لدین الله ابی المیمون عبدالمجید بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاکم العبیدی المصـری الرافضـی خاتمه الخلفاء الباطنیه، و ذکر فی الکامل (۲) من خطب لهم بالخلافه و جمیع مده ملکهم من حین ظهر المهدی یسجلماسه سنه ۲۹۹ الی أن توفی العاضد ۲۷۲ سنه و شهر تقریباً.

[*۶۴] الشیـخ أبو الطیب (۳) أحمـد بن الحسـین بن الحسن بن عبدالصـمد الجعفی الکندی الکوفی المعروف بالمتنبی، کان من الشعراء المشاهر و الأدباء النحاریر و له دیوان شعر

۱- الکامل فی التاریخ ج۹ ص۱۱، شذرات الذهب ج۲۲۲-۲۲۳.

۲- الکامل فی التاریخ ج۱۳ ص۲۱۹.

۳- روضات الجنات ج۱ ص۲۲۱-۲۳۰.

مشهور کبیر شرحوه أکثر من ۴۰ شرحاً، و سمی بالمتنبی لأنه خرج الی بنی کلب و ادعی انه علوی حسینی، ثم ادعی النبوه، و ذلک ببادیه السماوه، فتبعه خلق کثیر من بنی الکلب و غیرهم، فخرج إلیه لؤلؤ امیر حمص نائب الاخشیدیه فقاتله، فرق أصحابه واسره و حبسه بالشام طویلاً ثم استتابه، واطلقه بعد ما أشرف علی الموت، فالتحق بالأمیر سیف الدوله بن حمدان، ثم فارقه و دخل مصر و مدح کافوراً الأخشیدی، و لما لم یرضه هجاه، وفارقه و قصد بلاد فارس، و مدح عضد الدوله بن بویه الدیلمی و لما رجع من عنده عرض له فاتک ابن أبی الجهل فی عده من أصحابه و کان مع المتنبی أیضاً جماعه من أصحابه و قاتلوهم، فقتل المتنبی و ابنه محمد و غلامه مفلح بالقرب من نعمانیه بغداد سنه ۳۵۴، و ذکر عن الخطیب التبریزی دعواه النبوه والرساله فی اللاذقیه عند ما قدمها و خلا به أبو عبدالله معاذ بن اسماعیل اللاذقی فی قصه ذکرها، لکن فی الشذرات (۱) عن العبر ذکر وفاته بین شیراز و العراق، و نقل فراره و انه بانشاد غلامه بیت شعر منه رجل فقتل و قال فی سبب وصفه بالکندی کون مولده بالکوفه فی محله کنده و لیس من قبیله کنده.

[*۶۵] حارث (۲) بن سعید بن حمدان شاعر شیعی ابن عم سیف الدوله الحمدانی، قتل أبوه فی ثالث سنوات عمره و تربی فی حجر دمه (امه رومیه) و ما قصرت فی تربیته، لکنها ماتت فی زمن اسر أبی فراس بید الروم، و بعد مده نجا من الأسر والقتل بعد موت سیف الدوله ابن عمه سنظ ۳۵۶، من أشهر قصائده ما انشاءها فی جواب ابن سکره و ابن المعتز و هی المعروفه بالشافیه اعترض علی حکومه الامویین والعباسیین و یصرح بعلو شأن

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۱۳-۱۵.

۲- دائره المعارف الاسلامیه الکبری ج۶ ص ۱۲۰-۱۲۴.

الامامین الکاظم و علی بن موسی الرضا علیهما السلام.

و فی الشذرات (۱) أرخ وفاته سنه ۳۵۷ و ذکر عن تاریخ ثابت بن سنان الصابی انه قتل فی حرب بینه و بین أبی المعالی ابن سیف الدوله، قتله و أخذ رأسه و بقیت جنته مطروحه فی البریه، إلی أن جاء بعض الأعراب فکفنه و دفنه.

[*۶۶] تقدمت ترجمته قریباً (۵۵) و فی تعلیقات الفصل الثانی عشر (۵۱).

[*۶۷] الامام (۲) المتبحر المشهور أبو منصور عبدالملک بن محمد بن اسماعیل الثعالبی الفراء النیسابوری الأدیب اللغوی، صاحب التصانیف الفاخره السائره الدائره مثل کتاب یتیمه الدهر و کتاب فقه اللغه، و الثعالبی منسوب لخیاطه جلود الثعالب و عملها لأنه کانه فراء.

أرخ وفاته سنه ۴۲۹-۴۳۰ و فی الشذرات (۳) سنه ۴۳۰ و ذکر غیر واحد من تألیفاته.

و فی یتیمه الدهر هو أکبر کتبه و أحسنها و أجمعها.

[*۶۸] تعرض لذلک فی الفصل العاشر المختص بالاشراف، و ذکرنا من تلبس قبله منهم عن العمده.

[*۶۹] لیس مرداه بالعید ما هو المعروف فی زماننا (یوم الفرح و السرور) بل ما یعاد فیه ذکریات ما سبق فرحاً کان أو حزناً.

تنبیه هام و تکمیل

أهمل المصنف ذکر عده کثیره من رجال الشیعه أنار الله براهینهم فی القرن الرابع فی

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۲۴-۲۵.

۲- روضات الجنات ج۵ ص۱۶۲-۱۶۳.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص۲۴۶-۲۴۷.

مجالات الفنون المختلفه من الکلام و التفسیر والفقه والأدب و .. إما جهلاً أو غفله أو تغافلاً، فمن الشعراء المشهورین ما ذکرهم العلامه الامینی قدس سره فی کتابه القیم شعراء الغدیر (۱) ۱. أبوالحسن ابن طباطبا الاصفهانی (المتوفی سنه ۳۲۲)، ۲. أبوجعفر أحمد بن علویه الاصفهانی (۳۲۰)، ۳. أبو عبدالله محمد المفجع البصری نیف و ۳۲۷، ۴. أبوالقاسم أحمد بن محمد الصنوبری (۳۳۴)، ۵. أبوالقاسم علی بن محمد التنوخی (۳۴۲)، ۶. أبوالقاسم علی بن اسحاق الزاهی (۳۵۲)، ۷. الناشی الصغیر (۳۶۵)، ۸. أبو عبدالله الحسین البشنوی (بعد ۳۸۰)، ۹. الجوهری الجرجانی (۳۸۰)، ۱۰. أبوالعباس الوزیر أحمد الصبی، ۱۱. أبو حامد أحمد بن محمد الانطاکی، ۱۲. أبوالعلاء السروی، ۱۳. أبومحمد العونی (القرن الرابع)، ۱۴. ابن حماد العبدی (القرن الرابع)، ۱۵. أبوالفرج الرازی، ۱۶. أبوالنجیب شداد الظاهر الجزری.

و قال فی وصف (۲) أبی الحسن ابن طباطبا عالم ضلیع و شاعر مفلق و شیخ من شیوخ الأدب و عد بعض تألیفه عن أصحاب المعاجم، و قال (۳) توجد ترجمته والثناء علیه فی غایه الاختصار فی نسمه السحر فیمن تشیع و شعر.

و فی وصف الثانی (۴) أحمد بن علویه الاصبهانی الکرمانی الشهیر بأبی الأسود، هو أحد مؤلفی الامامیه المطرد ذکر هم فی المعاجم، و ذکر له کتباً، و قال من أئمه الحدیث و من صدور حملته، أخذ عنه مشایخ علماء الامامیه و اعتمودا علیه، وعد عده منهم، و ان أخباره مبثوثه فی مثل الفقیه و التهذیب و الکامل و أمالی الصدوق و مجالس المفید

۱- الغدیر ج۳ ص۳۳۹.

۲- الغدیر ج۳ ص۳۳۹- ۳۴۰.

۳- الغدیر ج۳ ص۳۴۵.

۴- الغدیر ج۳ ص۳۴۸.

و أمثالها.

و فی الثالث (۱) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله الکاتب النحوی المصری الملقب بالمفجع، أوحدی من رجالات العلم والحدیث الی، و من المعدودین من أصحابنا الامامیه.

و أورد (۲) من قصیدته فی مدح علی علیه السلام ۱۶۰ بیتاً، أبیاتاً.

و فی الرابع (۳) أبوالقاسم و أبوبکر و أبوالفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الجزری الرقی الضبی الحلبی الشهیر بالصنوبری شاعر شیعی مجید.

و ذکر (۴) له قسماً من قصیده یمدح فیها علیاً علیه السلام، استدل به علی مذهبه ورثاء له والامام السبط الشهید علیهماالسلام.

و فی الخامس (۵) أبوالقاسم التنوخی علی بن محمد بن أبی الفهم، داود بن ابراهیم الی الحارث بن عمرو (ملک تنوخ) ابن فهم من تیم الله (و هو تنوخ) ابن أسد، الی قضاعه ملک من حمیر بن سبا الی سام بن نوح النبی علیه السلام، وصفه بأنه من آغزر عیالم العلم و ملتقی الفضائل و مجتمع الفنون المتنوعه مشارکاً فی علوم کثیره مقدماً فی الکلام، متضعلاً فی القفه و الفرائض، حافظاً فی الحدیث، قدوه فی الشعر والأدب، بصیر بعلم النجوم والهیئه الخ.

۱- الغدیر ج۳ ص ۳۶۱.

۲- الغدیر ج۳ ص۳۵۳.

۳- الغدیر ج۳ ص۳۶۹.

۴- الغدیر ج۳ ص ۳۷۱.

۵- الغدیر ج۳ ص ۳۸۰.

و رجح (۱) فی مذهبه انه زیدی و ان قصیدته البائیه ترجح کفه التشیع فی میزانه.

و فی السادس (۲) أبوالقاسم علی بن اسحاق بن خلف القطان البغدادی النازل بالکرخ فی قطیعه الربیع، الشهیر بالزاهی شاعر عبقری تحیز فی شعره الی أهل بیت الوحی و دان بمذهبهم، و أدی بمودتهم أجر الرساله فکان أکثر شعره الواقع فی أربعه أجزاء فیهم مدحاً و رثاء بحیث عد فی معالم العلماء فی طبقه المجاهدین من شعرائهم وصافاً الخ.

و أرخ وفاته سنه ۳۵۲ فی روایه عمید الدوله أو بعد سنه ۳۶۰ فیما قاله الخطیب عن التنوخی.

و ذکر من شعره (۳) فی مدح أمیرالمؤمنین و أهل البیت علیهم السلام و رثائهم أبیاتاً کثیره فسر بعض ما ورد فیها مشفوعاً بالروایات.

و فی السابع (۴) أبوالحسن علی بن عبدالله بن الوصیف الناشی (الصغیر) الأصغر البغدادی من باب الطاق نزیل مصر المعروف بالحلاء، کان أبو یعمل حلیه السیوف فسمی حلاءً و یقال له الناشی، لان الناشی یقال لمن نشأ فی فن من فنون الشعر کما قال السمعانی فی الأنساب، وصفه بأنه کان أحد من تضلع فی النظر فی علم الکلام و برع فی الفقه و نبغ فی الحدیث و تقدم فی الأدب، الی، و فی الطلیعه فی علماء الشیعه و متکلمیها و محدثیها و فقهائها و شعرائها.

و فی رجال النجاشی (۵) انه له کتاباً فی الامامه.

۱- الغدیر ج۳ ص۳۸۵.

۲- الغدیر ج۳ ص۳۹۱.

۳- الغدیر ج۳ ص ۳۸۹-۳۹۲.

۴- الغدیر ج۴ ص۲۸.

۵- الغدیر ج۴ ص۲۹.

والشیخ (۱) ذکر له کتباً فی الفهرست و آل آخر أمره الی ما استظهره (۲) الأمینی قدس سره ان استشهد حرقاً و قال قبل ذلک هو ممن نبش قبره فی واقعه سنه ۴۴۳ واحرقت تربته.

و فی الثامن (۳) أبو عبدالله الحسین بن داود الکردی البشنوی، وصفه بأنه من الشعراء المجاهرین فی مدائح العتره الظاهره علیهم السلام کما عده ابن شهر آشوب فی معالم العلماء، قال وینهم عن مذهبه قوله:

الیه ربی بالهدی متمسکاً *** باثنی عشر بعد النبی مراقبا

أبقی علی البیت المطهر اهله *** بیوت قریش للدیانه طالباً

الی شواهد اخر من أشعاره.

و ذکر له کتاب الدلائل (۴) والرساله البشنویه (عن معالم العلماء) و عن ابن الأثیر، له (دیوان مشهور) و فی التاسع أبوالحسن (۵) علی بن أحمد الجرجانی و یعرف بالجوهری، وصفه بأنه مقیاس من مقاییس الأدب واحد أعضاء العربیه و من المفلقین فی صناعه القریض.

أورد له أشعاراً (۶) فی مدح أمیرالمؤمنین علیه السلام (فی قضیه الغدیر) و فی رثاء السبط الشهید.

و أرخ (۷) وفاته بجرجان بعد سنه ۳۷۷ و رجح کونه حدود ۳۸۰.

و فی العاشر (۸) أبوالعباس الضبی، وصفه بالکافی الاوحد أبوالعباس أحمد بن ابراهیم

۱- الغدیر ج ۴ ص ۲۹.

۲- الغدیر ج ۴ ص ۳۲.

۳- الغدیر ج ۶ ص ۳۵.

۴- الغدیر ج ۴ ص ۳۶.

۵- الغدیر ج ۴ ص ۸۲.

۶- الغدیر ج ۴ ص ۸۲-۸۴-۸۶.

۷- الغدیر ج ۴ ص ۸۷.

۸- الغدیر ج ۴ ص ۱۰۱.

الضبی الوزیر الملقب بالرئیس أحد من ملک ازمه السیاسه و الأدب بعد الصاحب بن عباد، أورد من أشعاره فی الغدیر (۱) (من معانی مختلفه) أرخ وفاته لسنه ۳۹۸.

و فی الحادی عشر (۲) أبو حامد، أحمد بن محمد الانطاکی نزیل مصر المعروف بأبی الرقعمق أحد الشعراء المشاهر المتصرفین فی فنون الشعر قال: و یستشهد (۳) بشعره فی الأدب کقوله:

قالوا اقترح شیئاً نجد له طبخه *** قلت اطبخوا لی جبه و قمیصاً

و ذکر عن الثعالبی (۴) انه نادره الزمان و جمله الاحسان الی، و هو بالشام کابن الحجاج بالعراق، و أورد من شعره فی الیتیمه ۴۹۴ بیتاً، قال الامینی قدس سره و لعل کونه کابن الحجاج (ینم عن تشیعه) فان ذلک أظهر أوصاف ابن الحجاج و أجل ما یؤثر عنه.

و زاد ان صاحب نسمه السحر عده ممن تشیع و شعر ثم استدرک و لم یستبعد جداً أن یکون مرمی کلام الثعالبی تغلب المجون علی شعره.

أرخ وفاته سنه ۳۹۹.

و فی الثانی عشر (۵) أبوالعلاء محمد بن ابراهیم السروی، وصفه بأنه شاعر طبرستان الأوحد و علم الفضیله المفرد. قال و له شعر رائع و ملح کثیره ذکرت فی الیتیمه، و أورد له فی مدح أهل البیت علیهم السلام قصیده عن ابن شهر آشوب و عده من شعراء القرن الرابع.

۱- الغدیر ج۴ ص ۱۸۰-۱۰۹.

۲- الغدیر ج۴ ص۱۱۲.

۳- الغدیر ج۴ ص۱۱۳.

۴- الغدیر ج۴ ص۱۱۴.

۵- الغدیر ج۴ ص۱۱۸.

و قال فی الثالث عشر (۱) أبو محمد طلحه بن عبیدالله بن أبی عون الغسانی العونی، و قال لعل فی شهره العونی و شعره السائر و طرفه المدونه فی الکتب غنی عن تعریف و ذکر عبقریته الی، و ما یؤثر عنه من جمل الشعر و مفصلاته کفایه للباحث عن أدلاء الحجه علی تشیعه و تفانیه فی ولاء سادته و أئمه دینه صلوات الله علیهم.

و قال: فتشیع (۲) العونی کان مشهوراً فی العصور المتقدمه علی عهده و بعد وفاته، حتی انه لما وقعت الفتنه بین الشیعه و السنه فی بغداد سنه ۴۴۳ واحتدم بینهما القتال، فکانت مما جائت به یدالجور من الفظایع، انهم نبشوا قبور جماعه من الشیعه و طرحوا النیران فی ترابهم و منهم العونی (المترجم) والناشی علی بن وصیف الآنف ذکره الشاعر المعروف بالجذوعی.

أرود من أشعاره (۳) قصیدته المعروفه بالمذهبه رتبها العلامه السماوی فی ما رتبه من شعره و مدائح (۴) أهل البیت علیهم السلام و مراثی، عده من شعراء (۵) القرن الرابع.

و فی الرابع عشر (۶) أبوالحسن علی بن حماد بن عبیدالله بن حماد العدوی العبدی البصری وصفه بأنه علم من أعلام الشیعه و فذ من علمائها و من صدور شعرائها و من حفظه الحدیث المعاصرین للشیخ الصدوق و نظرائه، الی، فهو من مشایخ هذا الشیخ المعظم (أبی عبدالله الحسین بن عبیدالله الغضائری المتوفی سنه ۴۱۱) الواقعین فی سلسله

۱- الغدیر ج۴ ص۱۲۸.

۲- الغدیر ج۴ ص۱۲۹، شذرات الذهب ج۳ ص ۲۷۰.

۳- الغدیر ج۴ ص ۱۳۰-۱۳۷.

۴- الغدیر ج۴ ص۱۳۷- ۱۴۰.

۵- الغدیر ج۴ ص۱۲۴.

۶- الغدیر ج۴ ص۱۵۳.

الاجازات والعـدودين من مشايـخ الرواه و اساتـذه حمله الحـديث، قال: و هو من المكثرين فى أهل البيت عليهم السـلام مدحاً و رثاء، و جمع شعره فيهم صلوات الله عليهم مدحاً ورثاء العلامه المساوى فى ديوان يربو على ۲۲۰۰ بيتاً.

و ذكر (۱) من شعره عن العمرى (فى المجدى) ضمن أشعار:

قلت النصوص على الأئمه جائنا *** حباً من الله العلى الأكبر

ان الأئمه تسعه و ثلاثه *** نقلًا عن الهادى البشير المنذر

و ذكر له قصائد (۲) متعدده فى الغدير و فى مدح الأمير ورثاء السبط الشهيد سلام الله عليهما.

و حدس (۳) تاريخ وفاته اواخر القرن الرابع.

و فى الخامس عشر (۴) أبوالفرج محمد بن هند و الرازى.

قال آل هند و من اسـر الاماميه الناهضين بنشر العلم والأدب، و فيهم جمع تحلوا بفنون الفضائل، و لهم فى الكتابه و القريض فدم و قدم، طفحت بذكرهم المعاجم، منهم أبوالفرج محمد بن هند و مؤسـس شرف بيتهم، تعرض لشعره فى الغدير وعده من شعراء القرن الرابع.

و فى السادس عشـر أبو النجيب (۵) الطاهر أبو النجيب شداد بن ابراهيم بن حسن الملقب بالطاهر الجزرى وصـفه بأنه من شـعراء أهل البيت عليهم السـلام، نظم فى فنون الشعر و غرد على افانينه، الى، له ديوان شعر، عده ابن شهر آشوب فى معالم العلماء عداد المجاهرين من

۱- الغدير ج۴ ص۱۵۴.

۲- الغدير ج۴ ص ۱۴۱-۱۷۱.

۳- الغدير ج۴ ص۱۵۵.

۴- الغدير ج۴ ص۱۷۲.

۵- الغدير ج۴ ص۱۷۷.

شعراء أهل البیت علیهم السلام. أرخ وفاته سنه ۴۰۱..

و هناک من عاش ردحاً من الزمن فی القرن الرابع و توفی قبل نصف القرن والخامس من الشعراء المجاهرین الموالین لأهل البیت، ذکرهم صاحب الغدیر رحمه الله علیه فی عداد شعراء الغدیر کالذین تقدم ذکرهم، منهم أبو محمد (۱) الصوری المولود (۳۳۹) المتوفی ۴۱۹ أبو محمد عبدالمحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوری، عده من حسنات القرن الرابع و نوابغ رجالاته، قال و دیوان شعره المحتوی علی ۵۰۰۰ بیت تقریباً الحافل بالرقائق والحقائق یتکفل البرهنه علی هذه الدعاوی، و هو نص فی تشیعه کما عده ابن شهر آشوب من شعراء أهل البیت المجاهرین، و ذکر له فی أهل البیت قصیدتین (۲) و شیئاً من ثالثه لیوم عاشوراء (۳).

و منهم مهیار الدیلمی، أبوالحسن (۴) مهیار بن مرزویه الدیلمی البغدادی نزیل درب ریاح بالکرخ، وصفه بأنه ارفع رایه للأدب العربی منشوره بین المشرق و المغرب و انفس کنز من کنوز الفضیله و فی الرعیل الأول من ناشری لغه الضاد و موطدی أسسها و رافعی علالیها و قال: اسلم علی ید سیدنا الشریف الرضی سنه ۳۹۴ و تخرج علیه فی الأدب والشعر توفی لیله الأحد لخمس خلن من جمادی الثانیه سنه ۴۲۸ و ذکر له قصائد غدیریه و رثائیه و مادحه.

و منهم أبو علی البصیر (۵) (الضریر) الحسن بن المظهر النیسابوری المحتد الخوارزمی

۱- الغدیر ج۴ ص۲۲۵.

۲- الغدیر ج۴ ص۲۲۶-۲۲۸.

۳- الغدیر ج۴ ص۲۲۸-۲۲۹.

۴- الغدیر ج۴ ص۲۳۸-۲۳۳-۲۶۱.

۵- الغدیر ج۴ ص ۳۰۰-۳۰۱.

المولد، قال الأمینی ذکره ابن شهر آشوب من المتقین من شعراء أهل البیت علیهم السلام و ذکر له عن بعضهم کتباً عده و شیئاً من شعره غدیری و غیره و أرخ وفاته سنه ۴۲۲.

و من العلماء المتقدمین فی الشیعه من ذکر هم السید حسن الصدر أعلی الله مقامه فی کتابه النفیس (تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام) لبیان کونهم هم المتقدمین فی کل فن من فنون الاسلام و علومه و تعرض لمشاهیرهم من أهل المائه الاولی الی السابعه لنکته ذکرها قدس سره و نحن نقتصر علی ذکر من عاش فی القرن الرابع أو مات فی العشر الثانی منه أو فی القرن الخامس، و الأحسن سرد أسمائهم علی ترتیب حروف الهجاء و هذه هی الأسماء وان سبق ترجمه بعضهم:

۱. ابراهیم بن جعفر بن أحمد بن ابراهیم بن نوبخت (۱) وصفه بأنه عالم متکلم فقیه و انه فی طبقه ابن عمه الشیخ أبی نصر هبه الله بن محمد بن بنت ام کلثوم بنت أبی جعفر العمری و هما ممند رویا عن مولانا الشیخ أبی القاسم الحسین بن روح النوبختی المتوفی سنه ۳۲۶، قال: فالشیخ ابراهیم فی طبقه الشیخ أبی جعفر محمد بن یعقوب الکلینی المتوفی سنه ۳۲۸ و هما من أهل القرن الرابع.

۲. ابراهیم بن سعد بن الطیب (۲)، أبوالحسن اسحاق الرفاعی النحوی، قال یاقوت کان ضریراً، قدم واسط فتلقی القرآن من عبدالغفار الحصنی، ثم أتی بغداد فصحب السیرافی و قرأ علیه شرحه علی الکتاب و سمع منه کتب اللغه والدواوین و عاد إلی واسط فجلس بالجامع صدراً یقرء الناس، ثم نزل الزیدیه و هناک تکون الرافضه و العلویون فنسب إلی مذهبهم و مقت و جفاه الناس و مات سنه ۴۱۱ و لم یخرج فی جنازته الا رجلان مع

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۷۴.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۱۰۲.

غروب الشمس، الی، والعجب من هذا الرجل مع ما علیه من الفضل کانت هذه حاله، و مات بعد وفاته بیوم رجل من حشو العامه فاغلق البلد لأجله و لم یوصل إلی جنازته من کثره الزحام. انتهی.

قال السید الصدر رحمه الله: لا مورد للتعجب من ذلک، نعوذ بالله من الجهل.

۳. أبوالحسن القنانی (۱) الکاتب، وصفه بأنه امام أهل اللغه والنحو والأدب، ذکره النجاشی فی مصنفی الامامیه، مات سنه ۴۱۳.

۴. أبوالحسن بن کثیر النوبختی (۲)، کان من علماء آل نوبخت، متکلم، فقه، کثیر الحدیث، کان فی طبقه الشیخ أبی القاسم بن روح النوبختی، شیخ الشیعه، المتوفی سنه ۳۲۰.

۵. أحمد بن ابراهیم السیاری (۳) أبوالحسن خال أبی عمرو الزاهد، وصفه بأنه کان من أئمه علماء النحو واللغه، و ذکر عن أبی بکر بن حمید، قال: قلت لأبی عمرو الزاهد من هو السیاری؟ قال: خال خالی، کان رافضیاً، مکث أربعین سنه یدعونی الی الرفض فلم أستجب له، و مکثت أربعین سنه أدعوه الی السنه فلم یستجب لی، حکاه السیوطی فی الطبقات و یاقوت فی معجم الأدباء، قال: مات (السیاری) قبله (أی قبل أبی عمرو الذی مات سنه ۳۴۵).

۶. أبو بشر، أحمد بن ابراهیم بن أحمد القمی (۴)، ذکره ابن الندیم فی متکلمی الشیعه و هو ممن جمع الفقه والکلام وصنف فیهما، توفی بعد ۳۵۰.

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۱۶۳.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۷۳.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۹۰.

۴- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۸۰.

۷. ابن عماد أبوالعباس (۱) أحـدم بن عبدالله بن محمد بن عماد الثقفی الکاتب، ذکر عن ابن الندیم فی کتاب الفهرست انه کان یتوکل للقاسم بن عبیـدالله ولولـده، توفی سـنه ۳۱۰ و ذکر فی کتبـه رسـالته فی تفضـیل بنی هـاشم و أولیـائهم و ذم بنی امیـه و أتباعهم.

۸. أحمـد بن علویه (۲) المعروف بأبی الدسود الکاتب الکرانی الاصـفهانی الامامی الشـیعی، ذکره الشـیخ أبو جعفر الطوسی فی فهرس مصـنفات الشیعه، و قال النجاشـی کان یروی کل مصنفات ابراهیم الثقفی، و ذکر عن یاقوت ان له قصیده علی ألف قافیه شیعیه عرضت علی أبی حاتم السجستانی فأعجب بها، و قال یا أهل البصره غلبکم أهل اصفهان، و عن حمزه انه أنشدنی فی سنه ۳۱۰ و له ۹۸ سنه و ذکره شعره.

۹. أحمد بن علی بن قدامه (۳) أبوالمعانی النحوی قاضـی الأنبار، قال یاقولت، أحد العلماء بهذا الشأن المعروفین المشهورین به، صنف کتاباً فی نحو و آخر فی القوافی، و ذکر عده فی ریاض العلماء من علماء الشیعه و وصفه بالفضل والعلم و انه تلمیذ السید المرتضی و السید الرضی، أرخ وفاته فی التأسیس لشوال سنه ۴۳۶.

۱۰. الشـیخ الأفضل أحمد بن علی الماهابادی (۴)، فاضل، متبحر، ذکر له کتباً، و انه من طبقه السـید المرتضی والشیخ أبی جعفر الطوسی و روی عنهما.

۱۱. أحمـد بن محمد بن دول (۵) القمی، مأه کتاب، منها کتاب التفسیر، ترجمته فی فهرست أسـماء الشـیعه للنجاشی، مات سنه ۳۵۰.

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۲۵۲.

۲- نفس المصدر ص۷۸.

۳- نفس المصدر ص۱۰۹.

۴- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۱۱۶.

۵- نفس المصدر ص۳۳۲.

۱۲.الشیخ أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله بن الحسین بن عیاش بن ابراهیم بن أیوب الجوهری (۱) الامام فی الأدب والتواریخ و علوم الحدیث، ذکر عن النجاشی له کتباً، منها کتاب أخبار الوکلاء للأئمه علیهم السلام، کتاب ما نزل من القرآن فی صاحب الزمان، کتاب مقتضب الأثر فی امامه الأئمه الاثنی عشر.

۱۳. أبو علی أحمد بن محمد بن الحسن الاصفهانی (۲) المعروف بالامام المرزوقی، کان فاضلاً کاملاً أدیباً ماهراً شاعراً مجیداً، عده ابن شهر آشوب و الشیخ الحر من شعراء أهل البیت، عدله کتباً و قال مات فی ذی الحجه سنه ۴۲۱.

۱۴. أبو العباس أحمد بن محمد بن نوح السیرافی البصری (۳) الامامی الثقه فی روایته، صنف کتاب الرجال الذین رووا عن أبی عبدالله الصادق علیه السلام، مات فی حیاه الشیخ أبی جعفر الطوسی بالبصره فی المأه الرابعه.

۱۵. اسحاق بن نوبخت (۴) الکاتب الذی شاهد الحجه بن الحسن علیه و علی آبائه أفضل الصلاه والسلام، قال: و لعله ابن اسماعیل بن اسحاق بن نوبخت الذی عده الشیخ أبو جعفر الطوسی فی کتاب الرجال فی أصحاب أبی الحسن الهادی علی بن محمد بن الرضا علیهم السلام و هو ابن صاحب کتاب الیاقوت فی الکلام.

۱۶. الشیخ المعز (۵) اسماعیل بن علی بن الحسین السمان المعاصر للشیخ الطوسی من أهل القرن الرابع و توفی بعده، صنف البستان فی تفسیر القرآن فی عشر مجلدات و فی موضع

۱- نفس المصدر ص ۲۶۸-۲۶۹.

۲- معالم العلماء ص ۱۳۹، تأسیس الشیعه ص۲۱۵.

۳- تأسیس الشیعه ص ۲۶۵.

۴- نفس المصدر ص۳۷۱.

۵- نفس المصدر ص۳۴۰.

آخر (۱) قال عالم فی العلوم العقلیه و النقلیه واحد فی التفسیر والعربیه و عد من کتبه کتاب المدخل فی النحو.

۱۷. أبو ابراهیم (۲) جعفر بن أحمد بن ابراهیم بن نوبخت، کان من وجوه المتکلمین، و هو المعنی فی قول أبی نصر هبه الله بن محمد، حدثنی خالی، فان ام أبی نصر بنت أحمد بن ابراهیم بن نوبخت، بنت ام کلثوم بنت أبی جعفر العمری رضی الله عنه، کان أبو ابراهیم معاصراً للشیخ أبی القاسم بن روح المتوفی سنه ۳۲۶.

۱۸. ابن قولویه (۳) جعفر بن محمد بن موسی بن قولویه، أبوالقاسم شیخ الشیعه رضی الله عنه، له تاریخ الشهور والحوادث، و هو صاحب فهرست ما یرویه من الکتب والاصول و کامل الزیارات و هو شیخ شیخنا أبی عبدالله المفید و مات سنه ۳۶۸.

۱۹. حسن بن أحمد بن یعقوب بن یوسف بن داود الهمدانی الیمانی الصنعانی (۴) مولداً و منشأ، ذکر عن السیوطی عن الخزرجی، هو الأوحد فی عصره والفاضل علی من سبقه المبرز علی من لحقه، لم یولد للیمن مثله علماً و فهماً و لساناً و شعراً و ریوایه و فکراً، الی ولد بصنعاء و نشأ بها ثم ارتحل و جاور مکه، و عاد فنزل صعده، قال وهاجی شعرائها فنسبوه الی انه هجا النبی صلی الله علیه و آله فسجن، و انما تعصبوا علیه لتشیعه، و له تصانیف فی علوم و ذکر عن کشف الظنون قصیدته الدامغه فی اللغه و شرحها فی مجلدین، قال للحسن بن أحمد اللغوی الهمدانی المتوفی سنه ۴۳۴.

۲۰. الحسن بن حمزه بن علی بن عبدالله بن محمد بن الحسن بن الحسین بن علی بن

۱- نفس المصدر ص۱۱۵.

۲- نفس المصدر ص۳۷۲.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۲۵۶.

۴- نفس المصدر ص۱۰۸-۱۰۹.

الحسین بن علی بن أبی طالب علیه السلام (۱) أبو محمد الطبری یعرف بالمرعشی من أجلاء هذه الطائفه و فقهائها، کان فاضلاً دیناً عارفاً فقهاً زاهداً ورعاً کثیر المحاسن، أدیباً نحویاً لغویاً کثیر التصنیف، روی عن التلعکبری و کان سماعه من أولاً لسنه ۲۳۸ و له منه اجازه بجمیع کتبه و روایاته، و حکی الشیخ أبو جعفر الطوسی ان مشایخه الأربع سمعوا منه سنظ ۳۶۴، و قال النجاشی مات سنه ۳۵۸ و هذا لا یجامع قول الشیخ الطوسی رحمه الله.

۲۱. الشیخ أبو علی (۲) الفارسی، فی ریاض العلماء، الشیخ أبو علی الفارسی، الحسن بن علی بن أحمد بن عبدالغفار بن محمد بن سلیمان بن أبان الفارسی الفسوی النحوی الأدیب المعروف بأبی علی الفارسی المعاصر للمعتنبی الشاعر، و کانت ولاده أبی علی سنه ۲۸۸ و توفی سنه ۳۷۷ و بالبال انه قرء علیه الرضی فی النحو فی أوائل حال السید الرضی و أواخر حال أبی علی قال: بل أبو علی لعله استاذ السید المرتضی أیضاً، و علی أی حال فأبو علی معاصر للمفید من علمائنا البته، و کذا للمرتضی و الشیخ الطوسی أیضاً، و السید الرضی فی تفسیره (الموسوم بحقائق التنزیل) مدحه و تعصب له، و من تلامذه أبی علی هذا، الشیخ ابن جنی النحوی المشهور، و ذکر عن ابن خلکان انه کان متهماً بالاعتزال، و کذا عن الذهبی فی میزان الاعتدال، و عن السیوطی فی الطبقات، و کان مولده سنه ۲۸۸ و توفی یوم الأحد سنه ۳۷۷ ثم استظهر کون المراد بالاعتزال، التشیع، اذ قد اشتهر کون أبی علی من الامامیه و العامه لا تفرق بین الخاصه والمعتزله، و ذکر عن السیوطی، قال کثیر من تلامذته انه اعلم من المبرد، و برع من طلبته جماعه

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۱۳۷.

۲- نفس المصدر ص۷۹-۸۱.

كان جنى و و على بن عيسى الربعى و تعرض لتصانيفه، و فى الشذرات (۱) فيها (أى توفى سنه ۳۷۷) أبو على الفارسى الحسن بن محمد بن عبدالغفار النحوى صاحب التصانيف ببغداد فى ربيع الأول و له ۸۹ سنه و كان متهماً بالاعتزال، و قد فضله بعضهم على المبرد، و كان عديم المثل، قاله فى العبر، قال: و قال ابن خلكان كان امام وقته فى علم النحو و ذكر كتباً من تصانيفه، قال و كان مولده ۲۸۸.

۲۲۰ الشيخ أبو محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبه الحرانى رضى الله عنه (۲)، شيخنا الأقدم و امامنا الأعظم، له كتاب تحف العقول فى ما جاء فى الحكم والمواعظ عن آل الرسول كتاب جليل لم يصنف مثله، و ختمه بما وعظ الله به موسى و عيسى عليهما السلام، و باب فى مواعظ المسيح عليه السلام، قال و غير خفى على الخبير ان ابن همام (أبو على محمد بن همام) مات سنه ۳۳۲ من عمر طويل، فالحسن ابن شعبه من أهل طبقته.

۲۳. ابن اشناس أبو على (۳) الحسن بن محمد بن اسماعيل نب اشناس و يعرف بابن الحمامى البزاز مولى جعفر المتوكل، قال الشيخ محمد بن الحسن الحر فى الأمل، فاضل جليل عده العلامه فى اجازته من مشايخ الشيخ الطوسى من رجال الخاصه، و ذكره أبوبكر الخطيب، و قال كتبت عنه شيئاً يسيراً الا انه كان رافضياً خبيث المذهب، و كان سماعى له بمجلس فى داره بالكرخ و يحضره الشيعه و يقرء عليهم مثالب الصحابه والطعن على السلف، سألته عن مولده فقال فى شوال سنه ۳۵۹ و مات فى الثالث من ذى القعده سنه ۴۳۹.

و اشناس بفتح الألف و سكون الشيخ المعجمه و فتح النون و فى آخرها السين المهمله اسم

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۸۸-۸۹.

۲- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ۴۱۳، ۴۱۴.

۳- نفس المصدر ص ۸۹.

غلام كان للمتوكل. انتهى من أنساب السمعانى ملخصاً.

۲۴. الشيخ (۱) أبو محمد الحسن بن محمد بن جعفر التميمى النحوى من كبار مشايخ المفيد (كما يظهر من الارشاد) قال و هو من علماء المائه الرابعه و قبلها.

۲۵. الوزير المهلبى أبو محمد (۲) حسن بن محمد بن هارون من ولد قبيصه بن المهلب الأزدى كان من أحسن الناس أخلاقاً و فضلًا و آدباً و شعراً و من أكملهم عقلًا و سياسه وزير لمعز الدوله أبى الحسين أحمد بن بويه الديلمى، له ترجمه طويله و كانت وفاته فى سنه ۳۵۲ فى طريق واسط.

و فى الشذرات (۳) فيها (فى سنه ۳۵۲) توفى الوزير المهلبى أبو محمد الحسن بن محمد الأزدى من ذريه المهلب بن أبى صفره، وزير معز الدوله بن بويه، كان من رجال الدهر حزماً و عزماً و سؤدداً و عقلًا و شهامه و راياً، قال و كان فاضلًا شاعراً فصيحاً حليماً جواداً و قد سبق حكايه فقره و شده حاله فى ما سبق.

۲۶. ابن خالويه (۴) أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمدانى، سكن حلب و كان من الشيعه الاماميه، قال النجاشى كان عارفاض بمذهبنا مع علمه بعلوم العربيه و اللغه و الشعر و له كتب، منها كتاب الآل، ذكر فيه امامه أميرالمؤمنين و الأحد عشر من أولاده و كتاب مستحسن القراءات والشواذ، و زاد فى مرآت الجنان بعد ذكر الأئمه الاثنى عشر من آل محمد عليهم السلام (و تاريخ مواليدهم و وفاتهم و آبائهم و امهاتهم) و ذكر عن الحافظ السيوطى فى الطبقات، كان اما اللغه والعربيه و غيرهما من العلوم الأدبيه الى

۱- تأسيس الشيعظ لعلوم الاسلام ص ۲۷۱.

۲- نفس المصدر ص ۲۱۰.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص۹-۱۰.

۴- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ۸۶.

و كان أحـد أفراد الـدهر فى كل قسم من أقسام العلم و الأدب، و كانت الرحلظ اليه من الآفاق، توفى بحلب سـنه ۳۷۱ و ذكر له كتباً عديده، و ذكر السـيوطى فى الدانى انه شافعى، ورده فى التأسيس، فان الرجل من مشاهير الشيعه كما فى فهرست النجاشى و الشيخ أبى جعفر الطوسى و خلاصه العلامه الحلى و سائر كتب الشيعه فى الرجال والفهارس، و فى الشذرات (۱) فيها (توفى فيها أى سنه ۳۷۰) ابن خالويه الاستاد أبو عبدالله الحسين بن أحمد الهمدانى النحوى اللغوى صاحب التصانيف و شيخ أهل حلب.

۲۷. الحسين بن على بن الحسين بن محمد بن يوسف (۲) الوزير أبوالقاسم المغربى من ولد بلاس بن بهرام جور. كان من أوحد أهل زمانه فى العلوم الأدبيه، ترجمه النجاشـى فى أسـماء مصـنفى الشيعه و ذكر له كتاب خصائص علم القرآن و كتباً آخر، قال: توفى رحمه الله يوم النصف من شهر رمضان سنه ۴۱۸.

و فى الشذرات (۳) و فيها (أى توفى فى سنه ۴۱۸) أبوالقاسم بن المغربى الوزير، اسمه حسين بن على الشيعى، قال و له شعر رائق وعده تآليف، عاش ۴۸ سنه و كان من أدهى البشر و أذكاهم.

۲۹. الخالع النحوى (۴) الحسـين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسـين الرافعى، قال الصـفدى كان من كبار النجاه، أخذ عن الفارسى و السيرافى و يقال انه من ذريه معاويه.

قال السيد الصدر: ترجمه النجاشى فى كتاب فهرست أسماء مصنفى الشيعه، و قال كان موجوداً فى عشر الثمانين و الثلثمائه.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۷۱.

۲- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص۱۰۲-۱۰۳.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص۲۱۰.

۴- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص۹۰.

۲۹. الحسین بن محمد (۱) الأزدی أبو عبدالله النحوی، قال النجاشی ثقه من أصحابنا کوفی، کان الغالب علیه علم السیر والآداب والشعر، و ذکر له کتباً، قال السید الصدر رحمه الله و هو فی طبقه الکلینی المتوفی سنه ۳۲۹.

۳۰. أبو یعلی (۲) العلوی حمزه بن القاسم بن علی بن حمزه بن الحسن بن عبیدالله بن العباس بن علی بن أبی طالب علیه السلام، ثقه جلیل القدر من أصحابنا له کتب، قال و هو فی طبقه ثقه الاسلام الکلینی.

۳۱. أبوالقاسم الکوفی (۳) حمید بن زیاد بن حماد بن زیاد هوار الدهنان، قال الشیخ أبو جعفر الطوسی فی کتاب الرجال، عالم جلیل واسع العلم کثیر التصانیف، و نص فی الفهرست علی ثقته، و قال النجاشی و کان ثقه واقفاً وجهاً فیهم، مات سنه ۳۱۰.

۳۲. ذوبی بن أعین (۴) العالم المتکلم، قال ابن شهر آشوب، انه من غلمان السید المرتضی رضی الله عنه له عیون الأدله اثنا عشر جزءاً فی الکلام، قال السید الصدر و لا أعرف کتاباً أبسط منه فی علم الکلام.

۳۳. عبد السلام (۵) بن الحسین أبو أحمد البصری النحوی شیخ الأدب بالبصره من مشایخ النجاشی ذکره فی فهرست أسماء و مصنفی الامامیه، الی، و ناهیک أن یصف مثل النجاشی أحداً بشیخ الأدب بالکوفه فی ذلک العصر (أعنی المأه الرابعه). أقول: لکن فی ما نقله صدر الکلام شیخ الأدب بالبصره.

۱- نفس المصدر ص۹۷.
۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۲۵۶.
۳- نفس المصدر ص۲۵۷.
۴- نفس المصدر ص ۳۹۳ لکن فی معالم العلماء ص ۱۳۱ (ابن أعین زربی).
۵- نفس المصدر ص۱۰۲.

۳۴. الجلودی (۱) أبو أحمـد عبـدالعزیز بن یحیی بن أحمد بن عیسـی الجلودی. قال ابن الندیم: کان من أکابر الشـیعه الامامیه و الرواه للآثار والسیر، و قال الشیخ أبو جعفر الطوسی فی الفهرست: امامی المذهب، له کتب فی السیر والأخبار و له کتب فی الفقه و ذکر السـید الصدر کلام النجاشـی و العلامه و صـرح الثانی فی الخلاصه بوثاقته و انه امامی المذهـب. وعد النجاشی عده وافره من کتبه ربمـا تقرب من مـأتین. قال السـید انه فی طبقه الکلینی و فی طبقه مشایـخ المفیـد قـدس سـره ممن کان فی مأه الثالثه و بعدها بقلیل و ذکره العلامه الخوئی قدس سـره فی المعجم (۲)و أورد کلام النجاشـی فی تجرمته و ذکر کتبه و ذکر کلام الشیخ و تو ثیقه منه فی رجاله و موته عن ابن الندیم بعد ۳۳۰.

۳۵. أبو محمـد عبیدالله بن أحمد بن معروف (۳) القاضـی البغدادی امام فی علم الأدب و الشـعر والکلام والفقه والحدیث، ذکر عن الخطیب فی تاریخ بغداد انه ولی القضاء ببغداد بعد أبی بشـر عمر بن اکتم، الی، و کان عفیفاً نزهاً فی القضاء، لم یر مثله فی نزاهته و عفته، و مات یوم السبت لسبـع خلون من صفر سنه ۳۳۱ الی، و وقع لی انه کان متشـیعاً. حکی کلام الخطیب فی نسـمه السـحر. و فی الشـذرات (۴) فیهـا (أی سـنه ۳۸۱) أی مـات أبو محمـد بن معروف قاضـی القضـاه عبـدالله بن أحمـد بن معروف البغدادی، و ذکر عن الخطیب انه کان من اجلاء الرجال و البائهم الی، قال فی العبر قلت، ولد سنه ۳۰۶ الی و توفی فی صفر.

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۲۴۴-۲۴۷.

۲- معجم رجال الحدیث ج۱۰ ص ۳۹-۴۳.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۹۴.

۴- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۰۱.

۳۶. أبو محمـد عبدالله (۱) بن محمد الكاتب الاصـفهانی الشاعر الشـهیر بالخازن، الشاعر المشـهور، ذكره فی نسـمه السحر فیمن تشیع و شـعر، قـال: فاضـل ینظم اللؤلؤ والیـاقوت من سـجعه الی و انمـا عرف بالخـازن لأـنه كـان خازنـاً للصـاحب كافی الكفاه اسماعیل بن عباد، و كاتباً له، و كان شاعراً مجیداً.

۳۷. أبو الفتح (۲) عثمان بن جنی بسكون الیاء معرب كنی، ذكر عن ابن الندیم مولده قبل ۳۳۰ و توفی لیله الجمعه من صفر سنه ۳۹۲.

قال السـید الصدر رحمه الله: كان ابن جنی أحد شـیوخ السـید الرضـی و أكثر من النقل عنه فی مصـنفاته، الی و كان من خواص السـیدین المرتضـی والرضـی أیام مقامه ببغداد، و ذكره القاضـی المرعشـی فی طبقات الشـیعه و ترجمه، و عقد السید بحرالعلوم المهـدی طـاب ثراه ترجمـظ لابن جنی فی كتابه الفوائـد الرجالیه المبنیه علی ما أغفله الرجالیون الامامیه، من الامامیه و ذكر عن ابن الندیم عده من مؤلفاته، و أفاد الصدر انه فات الباخزری و السیوطی جمله من مصنفاته كما فات ابن الندیم بعضها.

و فی الشذرات (۳) فیها (سنه ۳۹۲) أی مات أبوالفتح بن جنی، عثمان بن جنی الموصلی النحوی صاحب التصانیف، و كان أبوه مملوكاً رومیاً لسـلیمان بن فهـد بن أحمـد الأزدی الموصـلی، قال و له تصانیف مفیده ذكر بعضـها و عن ابن خلكان جنی بكسـر الجیم و تشدید النون و بعدها یاء.

۳۸. علی بن أحمد (۴) الكوفی، أبوالقاسم العلامه صاحب كتاب الفقه علی ترتیب المزنی

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۲۲۳.

۲- نفس المصدر ص ۱۴۳.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص ۱۴۰-۱۴۱.

۴- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۰۱.

و ذکر عن النجاشی انه یقول انه من آل أبی طالب، و غلافی آخر عمره، و صنف کتباً کثیره تبلغ ۵۰ و قال: توفی بموضع یقال له کرمی من ناحیه فساو ذکر وفاته فی جمادی الاولی ۳۵۲ و قبره بکرمی. انتهی ما عن النجاشی باقتضاب.

۳۹. العقیقی (۱) الرجالی و هما اثنان، الابن، هو أبوالحسن علی بن أحمد صاحب کتاب الرجال و هو المراد عند الاطلاق فی لسان أهل الرجال، والثانی عند المحدثین، و هو أحمد بن علی بن محمد بن جعفر بن عبدالله بن الحسین بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب علیهم السلام، کان أحد أئمه علم الرجال والتاریخ فی الشیعه، قال النجاشی کان مقیماً بمکه و سمع أصحابنا الکوفیین و أکثر منهم، و صنف کتباً وقع إلینا کتاب المعرفه، کتاب فضل المؤمن، کتاب تاریخ الرجال، قال السید الصدر رحمه الله: و أکثر علماؤنا فی کتب الرجال من النقل عنه واعتمدوا علی روایته و جرحه و تعدیله و کان یکنی بأبی طالب العلوی و یعرف بالعقیقی الخ.

۴۰. أبوالحسن (۲) علی بن أحمد بن نوبخت، الشاعر المشهور، قال ترجمه ابن خلکان ترجمه حسنه فی وفیات الأعیان، توفی سنه ۴۱۶ و ذکر عن کشف الظنون (۳) ان له دیوان شعر کبیر و آخر صغیر.

۴۱. علی بن أحمد (۴) المهلبی، أبو الحسین النحوی نزیل مصر أیام الخلفاء الفاطمیین، و ذکر عن السیوطی فی بغیه الوعاه انه کان اماماً فی النحو واللغه و روایه الأخبار و تفسیر الأشعار، و قال مات بمصر سنه ۳۸۵.

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۴۳-۲۴۴.

۲- نفس المصدر ص۲۱۵.

۳- نفس المصدر ص ۳۷۱.

۴- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۹۶.

۴۲. أبوالقـاسم التنوخی (۱) علی بن محمـد بن أبی الفهم التنوخی الکبیر الانطـاکی، ذکر عن ابن خلکان انه تقلـد قضاء البصـره والأهواز بضع سـنین، قال و کان معتزلیاً، و الصـحیح انه کان شـیعیاً، و ذکر عن ضـیاء الدین فی نسمه السحر عند ذکره له، و قال أبوالفضل بن جبرون، قیل کان رأیه الرفض والاعتزال، و قال شـجاع الهندی، کان یتشیع و یذهب إلی الاعتزال، و عن أحمد بن سعد الدین المسعودی الیمنی، و کان التشیع دینه و دین أبیه و جده علی بن محمد، معتزلی الاصول متشیع جداً.

و عن ابن شهر اشوب (۲) عده فی جمله الشعراء المجاهرین بالشعر فی مدح أهل البیت.

۴۳. المسعودی صاحب مروج الذهب (۳) أبوالحسن علی بن الحسـین المسعودی من ذریه عبدالله بن مسعود الصحابی رضی الله عنه، ذکر عن أبی علی فی منتهی المقال فی أحوال الرجال: المسـعودی هذا من أجلاء العلماء الامامیه، من قدماء الفضلاء الاثنی عشـریه، قـال: و ممن صـرح بـذلک أیضاً السـید بن طاوس فی کتاب النجوم عنـد ذکر العلماء القائـدین (القائلین) بالنجوم، منهم الشـیخ الفاضل الشیعی، علی بنالحسین المسعودی مصنف کتاب مروج الذهب، قال و لم أقف إلی الآن علی من توقف فی تشیع هذا الشیخ و ذکر عن غیر واحد من علمائنا تشیعه، منهم النجاشی و ذکر کتبه و منها رساله اثبات الوصیه لعلی بن أبی طالب علیه السلام، مات سنه ۳۴۶. (أنا أقول: بخاطری فی بعض کتب الشـیعه عـده شافعی المذهب) و ذکر السـید الصدر رحمه الله انه أخذ العلم من شـیوخها الأعلام (الماءه الثالثه) عد منهم الحمیری صاحب قرب الاسـناد من أصـحاب الامام العسـکری أبی محمد علیه السلام، و علان (الکلینی) شیخ صاحب الکافی والعباس بن محمد بن الحسین

۱- نفس المصدر ص ۹۰ و ما بعدها.

۲- معالم العلماء ص ۱۳۷ لکن فیه القاضی أبوالقاسم محمد التنوخی.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۵۳- ۲۵۴.

و محمد بن عمر الکاتب شیخ الشیعه، و أبی الحسین محمد بن جعفر الأسدی الرازی أحد الأبواب، و حمزه بن نصر غلام الامام أبی الحسن الهادی علیه السلام و الحسن بن محمد بن جمهور عن أبیه محمد بن جمهور القمی الراوی عن الرضا علیه السلام. و قال بعد ذکر تاریخ و فاته و کان یتستر بالشافعیه فی المذهب مده اقامته بمصر و الشام، ذکره فی الشذرات (۱) و أرخ وفاته سنه ۳۴۵ و قال: رحل و طوف فی البلاد و حقق فی التاریخ ما لم یحققه غیره، و صنف فی اصول الدین و غیرها من الفنون، قال و هو غیر المسعودی الفقیه الشافعی و غیر شارح مقامات الحریری، قاله ابن الدهدل.

۴۴. أبو الحسن الربعی (۲) النحوی علی بن عیسی بن الفرج بن صالح الربعی النحوی، قال ابن کثیر الشامی: قرء فی ابتداء أمره فی السیرافی علوم العربیه ثم علی أبی علی السیرافی (الفارسی) و لازمه ملازمه تامه عشرین سنه حتی برع فی العلم و حاز قصب السبق، قال: و کان یتمشی علی شاطئ دجله ذات یوم و الشریفین (والشریفان) المرتضی والرضی فی زورق فی دجله و معهما عثمان بن جنی أبوالفتح، فقال لهما علی بن عیسی: من أعجب الأعاجیب ان عثمان معکما و علی بعید عنکما یسیر فی شاطئ دجله. مات سنه ۴۲۰، ذکره فی الشذرات (۳)، و قال: و فیها (أی مات سنه ۴۲۰) علی بن عیسی البغدادی شیخ النحو ببغداد. أخذ عن أبی سعید السیرافی و أبی علی الفارسی، الی و قیل: ان أبا علی قال: قولوا لعلی البغدادی لو سرت من المشرق إلی المغرب لم تجد أحداً أنحی منک.

۱- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۷۱.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۱۰۱-۱۰۲.

۳- شذرات الذهب ج۳ ص۲۱۶.

۴۵. أبوالحسن علی بن محمـد السـمیساطی (۱) العـدوی من عـدی تغلب، عـدی بن عمرو بن عثمان بن تغلب، قال النجاشـی فی کتاب أسـماء مصـنفی الشـیعه کان شیخ الجزیره و فاضل زمانه و أدیبهم، له کتب کثیره و عد منها قسماً و افراً، قال السید الصدر رحمه الله آخر ترجمته، فصاحب الترجمه من علماء المأه الرابعه.

۴۶. علی بن محمد بن عبید بن الزبیر الأسدی (۲) الامامی المعروف بابن الکوفی من أئمه العربیه. قال السیوطی فی الطبقات کان نحویاً من أجل أصـحاب تغلب وله الخط المشـهور بالصـحه والضبط و کان جماعاً للکت، ثقه، صادق، حسن الروایه، ثم ذکر له ثلاث مصـنفات. أرخ موته بذی القعده سـنه ۳۴۸. ذکره یـاقوت فی معجم الأدبـاء والنجاشـی و السـید بحر العلوم الطباطبائی فی الفوائـد الرجـالیه، و ذکر انه من أعلام الشـیعه بالکوفه، و فی موضع آخر کناه بأبی الحسن (۳) و لقبه بالقرشـی. شیخ الشیوخ فی الاقراء، راو للاصول الـخ. و عبر عنه فی الشذرات (۴) بعلی بن محمد بن الزبیر القرشـی الکوفی المحدث أبوالحسن و قال و ثقه الخطیب و مات فی ذی القعده (أی سنه ۳۴۸) و له أربع و تسعون سنه.

۴۷. علی بن محمد العدوی (۵) من عدی تغلب، أبوالحسن الشـمشاطی النحوی الشاعر المشـهور، کان واحد أهل عصره فی کل فنون الأدب و العربیه، نحویاً لغویاً شاعراً، علامه بأخبار الناس، متوحداً بالفضل، متبحراً فی العلم، و ذکر له کتباً کثیره فی فنون

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۴۷-۲۴۹.

۲- نفس المصدر ص۸۲-۸۳.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۴۵.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص۳۷۹.

۵- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۹۸-۹۹.

مختلفه و جعله من علماء القرن الثالث و فی طبقه الکلینی صابح الکافی.

۴۸. السلطان عضدالدوله (۱) فناخسرو بن الحسن بن بویه. قال السیوطی: هو أحد العلماء بالعربیه والأدب. و قال: و کان فاضلًا نحویاً شیعیاً، و له مشارکه فی عده فنون و أرخ وفاته سنه ۳۷۳ و حکی فی نسمه السحر عن ابن الجوزی فی شذور العقود انه کان من کبار الشیعه، و أخذ عن الشیخ المفید ابن النعمان فقیه الامامیه و کان یزوره فی موکبه العظیم.

و فی الشذرات (۲) أرخ وفاته فی شوال سنه ۳۷۲، و أظهرت وفاته فی المحرم، و کانت اخفیت حتی أحضروا ولده صمصام الدوله، وقال هو أول من خوطب بشاه شاه (شاهنشاه) فی السلام، و أول من خطب له علی المنابر ببغداد بعد الخلیفه. قال: و هو الذی أظهر قبل الامام علی کرم الله وجهه بالکوفه و بنی علیه المشهدی الذی هناک، الی، کان غالیاً فی التشیع الی، و دفن فی دار المملکه و کتم ذلک ثم حمل بعد ذلک إلی مشهد علی بن أبی طالب رضی الله عنه (علیه السلام).

۴۹. محمد بن أحمد بن طرخان بن اوزلغ (۳) أبو نصر الفارابی أول حکیم نشأ فی الاسلام و بلغ فیها مبلغ التعلیم حتی عرف بالمعلم الثانی، و هذا لا ـ یکون الا ـ للمتقن المبانی، و لولاه لم یکن ابن سینا الشیخ الرئیس فیها، الی، و کان لا یتصل الا بأهل الفضل من الشیعه لجامعیه العقیده فی المذهب و ذکر له تألیفات کثیره، کما ذکر اتصاله بالصاحب بن عباد والشیعه لما کان فی بغداد، و ذکر انه کان أزهد الناس بالدنیا لا یحتفل بأمر مکسب ولا مسکن واقتصر علیها لا غیر (کل یوم أربعه دراهم اجری علیه سیف الدوله)

۱- نفس المصدر ص۸۹.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص۷۸-۷۹.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۸۳-۳۸۵.

توفی سنه ۳۳۹ بدمشق، و صلی علیه سیف الدوله فی أربعه من خواصه، و قال القاضی نور الدین المرعشی فی طبقات الشیعه لم یرد سیف الدوله بذلک إلا ایقاع الصلاه علی طریقه الشیعه الامامیه و ما کان یمکنه بهذا الوجه الا فی مقام الخلوه، ذکره فی الشذرات (۱) بعنوان (أبو نصر الفارابی) صاحب الفلسفه، محمد بن محمد بن طرخان الترکی ذو المصنفات المشهوره فی الحکمه والمنطق والموسیقی التی من ابتغی الهدی فیها أضله الله و کان مفرط الذکاء، و ذکر عن ابن الاهدل، قیل هو أکبر فلاسفه المسلمین لم یکن فیهم من بلغ رتبته، و به أی بتألیفه تخرج أبو علی سیناء و بعد ترجمه طویله، ذکر عن الامام الغزالی تکفیره و ابن سینا، و الیه یمیل صابح الشذرات، لکن السید الصدر رحمه الله (۲) دافع عنه بأن ما وجد فی کتبه ما یدل فی قدم العالم و انکار المعاد و أمثال ذلک، ترجمه لکتب الفلاسفه بالعربی لا أنه عقیده له.

۵۰. محمد بن آدم بن کمال أبوالمظفر (۳) الهروی النحوی النیسابوری المتکلم الامامی، کان متبحراً فی جمله من العلوم، قرأ علی أدیب الشیعه الاستاذ أبی بکر الخوارزمی و تصدر لاقراء النحو و الصرف والتفسیر و ذکر له شروحاً، قال توفی سنه ۴۲۴.

۵۱. الشیخ أبوالحسن محمد بن أحمد بن داود بن علی القمی (۴)، کان شیخ القمیین فی وقته و فقیههم، له کتب، مات سنه ۳۶۸ و دفن فی مقابر قریش فی جوار الامامین موسی والجواد علیهما السلام، وفی موضع آخر (۵) ذکر له کتاباً فی مسائل اصول الفقه.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۳۵۰-۳۵۴.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۸۵.

۳- نفس المصدر ص ۱۰۸.

۴- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۶۱.

۵- نفس المصدر ص۳۱۲.

۵۲. محد بن أحمد (۱) الوزير، ابن محمـد الوزير، أحد أومه النحو واللغه، ذكره الشيخ منتجب الدين ابن بابويهفى فهرس علماء الاماميه المعاصرين للشيخ أبی جعفر الطوسی والمتأخرين عنه، و قال محمـد بن أحمد بن محمد أبو سعد العميدی، قال ياقول نحوی لغوی أديب مصنف سكن مصر و ذكر له بعض التصنيفات، و قال مات يوم الجمعه ۵ جمادی الآخره سنظ ۴۳۳ و عن الكشف ۴۲۳.

۵۳. الشريف أبو ابراهيم محمد بن أحمد (۲) المعروف بالحرانی، ذكر عن السيد علی بن صدر الدين فی الدرجات الرفيعه، كان علماً فاضلًا أديباً لبيباً عاقلًا شجاعاً مقدماً، و ذكر قصيدته التی أرسلها الی أبی العلاء المعری و أجاب عنها أبو العلاء.

۵۴. الشريف أبوالحسن (۳) محمـد بـن أحمـد بن محمـد بن أحمـد بن ابراهيم طباطبا ابن اسماعيل الـديباج ابن ابراهيم الشبه (الظاهر الغمر) بن الحسن المثنی ابن الحسن بن علی بن أبی طالب عليهم السلام، ذكره صاحب نسمه السحر فی ذكر من تشيع و شعر، فقال: فاضل لا يعتری مين فی فضله الباره و نظمه الذی اعترف به من اغترف من معينه كل وارد بالمعين، الی، قال السيد العباسی فی معاهد التنصيص هو شاعر مفلق و عالم محقق، و ذكر بعض مؤلفاته و ولادته سنه ۳۲۲.

۵۵. محمـد بن جعفر بن محمـد بن هـارون بن فوقه (۴) يكنی بـأبی الحسين التميمی النحوی و يعرف بـابن النجار الكوفی. قال ياقوت: قدم بغداد و حدث عن ابن دريد و نفطويه و كان ثقه من مجودی القرآن، و ذكره النجاشی فی فهرس أسماء مصنفی الشيعه، و أثنی عليه،

۱- نفس المصدر ص ۱۰۳.

۲- نفس المصدر ص ۱۲۳.

۳- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ۱۸۰.

۴- نفس المصدر ص ۱۰۰-۱۰۱.

و نص على انه من أصحابنا و انه شيخه و أكثر من الروايه عنه فى كتاب الرجل، و ذكر السيد الصدر رحمه الله له مصنفات، و عن الأفندى فى رياض العلماء انه يطلق على رجلين أحدهما من الخاصه و الآخر من العامه.

و فى الشذرات (۱) أرخ وفاته سنه ۴۰۲ و عبر عنه بالكوفى النحوى المقرى آخر من حدث فى الدنيا عن محمد بن الحسين الاشنانى وابن دريد و عن العتيقى هو ثقه.

۵۶. أبوالفتح (۲) محمد بن جعفر بن محمد الهمدانى المراغى النحوى، قال ياقوت: كان حافظاً نحوياً بليغاً. و قال التوحيدى: كان قدوه فى النحو و الأدب مع حدوثه سنه و لم أر مثله. و ذكره النجاشى فى فهرست أسماء مصنفى الشيعه بعنوان محمد بن جعفر بن محمد أبوالفتح الهمدانى الوارعى المعروف بالمراغى، و قال كان وجهاً فى النحو و اللغه ببغداد، حسن الحفظ، صحيح الروايه فيما ينقله، و ذكر له كتباً و أرخ وفاته سنه ۳۷۱.

۵۷. أبو عبدالله (۳) محمد بن جعفر التيمى القيروانى الفزاز، أحد أئمه اللغه والنحو و ساير علوم العربيه، ذكره صاحب نسمه السحر فى من تشيع و شعر، و نصر على انه من الاماميه و حكى عن ابن خلكان انه أثنى عليه و قال صاحب النسمه توفى بمدينه القيروان سنه ۴۱۲.

۵۸. الشيخ محدم بن الحسن بن أحمد بن الوليد (۴) أبو جعفر شيخ الشيخ الصدوق، بل شيخ كل الشيعه فى عصره، كان بقم و اليه الرحله من أطراف الدنيا، كثير التصنيف، له كتاب تفسير القرآن، مات سنه ۳۴۳.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۱۶۴.

۲- تأسيس الشيعه لعلوم الاسلام ص ۹۵-۹۶.

۳- نفس المصدر ص ۱۶۵.

۴- نفس المصدر ص ۳۳۲.

۵۹. أبوبکر بن درید (۱) محمد بن الحسن بن دریدی الأزدی، عرفه فی ریاض العلماء (۲) بالأدیب اللغوی صاحب الجمهره فی اللغه و غیره. و عده ابن شهر آشوب (۳) فی طبقه الشعراء المجاهرین فی أهل البیت علیهم السلام، قال السید الصدر رحمه الله ولد فی البصره سنه ۲۲۳ و نشأ فیها و لما فتحها الزنج هرب مع عمه الحسن إلی عمان و أقام هناک ۱۲ سنه، ثم رجع إلی وطنه و أقام بها مده، ثم الی أرض فارس الی امراء الشیعه بنی میکال و لم یکن للمال قیمه عنده فکان یصرف ما یرزق من الخیر و یکرم و یحسن، الی، و عمر ۹۸ سنه حتی مات فی شعبان سنه ۳۲۱. و فی الریاض (۴) مات (أبوهاشم الجبائی المتکلم) وابن درید فی یوم واحد ببغداد، فقال الناس الیوم مات علم اللغه و الکلام بموت ابن درید و أبی هاشم، و ذکر له مصنفات متعدده و له فی الشذرات (۵) ترجمه ضافیه، عبر عنه بالعلامه صاحب التصانیف، و ذکر عن أحمد بن یوسف الأزرق، ما رأیت أحفظ من ابن درید، و ذکر الثناء علیه من ابن خلکان و المسعودی فی مروج الذهب، و ذکر عن بعضهم علیه اتهامات، منهاما عن الدار قطنی حین سئل عنه أثقه هو أم لا؟ فقال: تکلموا فیه، والجواب ما عن الامل حیث استظهر انهم تکلموا فیه بالتشیع.

۶۰. الشیخ أبوبکر الخوارزمی شیخ الأدب و علامه عسره فی علوم العرب، محمد بن العباس، ذکر عن السیوطی عن الحاکم انه کان واحد عصره فی حفظ اللغه و الشعر

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۱۵۷-۱۵۸.

۲- ریاض العلماء ج۵ ص۵۵.

۳- معالم العلماء ص۱۳۶.

۴- ریاض العلماء، ج۵ ص۵۷.

۵- شذرات الذهب ج۲ ص۲۸۹-۲۹۰.

و کـانت قریحته تقصـر عن حفظه، و ذکر عن ابن خلکـان کـان اماماً فی اللغه والأنساب، و عن الثعالبی فی الیتیمه نابغه الـدهر و بحر الأدب و علم النظر و النثر.

قال السـید الصدر رحمه توفی فی رمضان سنه ۳۸۳، و کان من شـیوخ الشیعه الذین یسمیهم الناس رافضه وله رساله مطوله، ذکر فیها شیئاً من المحن التی ابتلی بها أهل البیت صلوات الله علیهم، و تعرض لترجمته فی الشذرات (۱) و قال: یقال له الطبرخی لأن أبـاه کان من خوارزم و امه من طبرسـتان فرکب له من الاسـمین نسـبه و هو ابن اخت أبی جعفر محمـد بن حریر الطبری صاحب التاریـخ، و عـده أحـد الشـعراء المجیدین الکبار المشاهر کان اماماً فی اللغه والأنساب و ذکر عن الاثیر (۲) موته فی سنه ۹۳ أی ۳۹۳.

۶۱. محمـد بن العباس (۳) بن الولیـد أبوالحسـین النحوی ذکره الشـیخ الطوسـی فی بـاب من لم یرو فی کتاب الرجال. روی عنه التلعکبری وعده من علماء المأه الرابعه.

۶۲. محمد بن عبدالله(۴) المفجع (۵) وقیل محمد بن أحمد الکاتب البصری النحوی المشهور، ذکر عن ابن الندیم فی الفهرست، انه لقی ثعلب و أخذ عنه و عن غیره، و کان شاعراً شـیعیاً و له قصـیده بالاشباه یمدح فیها علیاً علیه السلام. قال السید الصدر: قال یاقوت کان من کبار النحاه شاعراً مفلقاً شـیعیاً، و ذکره النجاشـی و کان صـحیح المـذهب حسن الاعتقاد و له شـعر کثیر فی أهل البیت یذکر فیه أسماء الأئمه و یتفجع علی قتلهم حتی سمی المفجع و ذکر له کتباً کثیره و أرخ وفاته سنه ۳۰۲.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۱۰۵-۱۰۶.

۲- الکامل فی التاریخ ج ۱۰ ص۵۵۷.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۸۹.

۴- نفس المصدر ص ۸۴-۸۵.

۵- قد سبق ذکره عن الغدیر.

۶۳. أبو عمرو الزاهد (۱) محمد بن عبدالواحد الزاهد الطبری اللغوی النحوی غلام ثعلب اللغوی، ذکر السید الصدر رحمه الله عن صاحب الریاض (۲) انه من الامامیه، و له کتاب المناقب و ینقل عن کتابه ابن طاوس فی کتبه کثیراً من الأخبار، قال السید الصدر، له کتاب الشوری کما فی کشف الظنون، و هذا الکتاب أدل علی تشیعه من غیره و عن التنوخی لم أر أحفظ منه، املی من حفظه ثلاثین ألف ورقه و له مصنفات، و عن السیوطی أرخ موته سنه ۳۴۵ ببغداد، و ذکره فی الشذرات (۳) و سماه محمد بن عبدالواحد المطرز البغداد اللغوی، قال: قیل انه أملی ۳۰ ألف ورقه فی اللغه من حفظه، و کان ثقه اماماً آیه فی الحفظ و الذکاء، و عن ابن الاهدل مصنفاته تزید علی العشرین و کان سعه حفظه تکذبه أدباء وقته و وثقه المحدثون فی الروایه الخ.

۶۴. محمد بن عمران المرزبانی (۴) الکاتب البغدادی المولد الخراسانی الأصل، عن الیافعی فی تاریخه: أخذ عن ابن درید و ابن الأنباری العلوم العربیه، و هو صاحب التصانیف المشهوره والمجامع الغریبه و روایه الأدب و صاحب التألیفات الکثیره، ثقه فی الحدیث قائل بمذهب التشیع و شعره قلیل و لکنه من الجید، و ذکر السید الصدر رحمه الله ابن خلکان ذکره بمثل ما ذکره الیافعی بلا تفاوت حتی فی التشی، و وصفه فی کشف الظنون بالعلامه و ذکره الشیخ الحر فی الأمل و ابن شهر آشوب فی معالم العلماء و أثنی علیه، و کذلک علم الهدی السید الشریف المرتضی أکثر فی الغرر والدرر من الروایه عنه بلا واسطه، و أرخ وفاته ۳۸۴ و قیل ۳۷۸ ببغداد فی الجانب الشرقی و صلی علیه فاضل

۱- نفس المصدر ۱۵۸-۱۵۹.

۲- ریاض العلماء ج۵ ص ۴۷۹.

۳- شذرات الذهب ج۲ ص ۳۷۰-۳۷۱.

۴- تأسیس الشیعه لعلوم السلام ص ۹۴-۹۵.

الشیعه أبوبکر الخوارزمی رحمه الله علیهما، و عنونه السید الصدر (۱) فی موضع آخر بعنوان الامام المرزبانی (فی الفصل الرابع فی ما یرتبط بعلم المعانی والبیان والبدیع) وانه صنف کتاب المفضل فی علم البیان والفصاحه، و خطأ الجلال السیوطی فی کتاب الأوائل حیث قال: أول من صنف فیه عبدالقاهر الجرجانی لأنه توفی سنه ۴۴۴، اللهم الا أن یرید بذلک الأول من علماء السنه والجماعه، لأن المرزبانی المذکور من الشیعه الامامیه، ثم ذکر تقدم محمد بن أحمد العمیدی المتوفی سنه ۴۲۳ علی الشیخ عبدالقاهر فی ذلک، صنف تنقیح البلاغه کما فی کشف الظنون، و للسید الصدر رحمه الله کلام فی قدامه بن جعفر الکاتب الشیعی حیث صنف کتاب نقد الشعر المعروف بنقد قدامه و هو معاصر عبدالله بن المعتز مؤلف کتاب البدیع و انه لیس لان المعتز الا التسمیه بالبدیع حری بالمراجعه، و ذکره فی الشذرات (۲) و وصفه بالکاتب الأخباری العلامه المعتزلی، و انه صنف أخبار المعتزله و أخبار الشعراء و یر ذلک، و أرخ وفاته سنه ۳۸۴، و ذکر عن ابن خلکان انه کان ثقه فی الحدیث و مائلاً الی التشیع فی المذهب، و هو أول من جمع دیوان یزید بن معاویه بن أبی سفیان الأموی (لعنهم الله) و اعتنی به، و نقل عن ابن الاهدل انه ثقه فی الروایه.

أقول: بعد ما سبق من السید الصدر ذکر شواهد تشیعه لا مجال لما فی الشذرات عن الذهبی فی العبر انه کان معتزلیاً.

۶۵. الحافظ القاضی (۳) محمد بن عمر بن محمد بن سالم، الی، التمیمی یعرف بأبی بکر الجعابی کان من حفاظ الحدیث و أجلاء أهل العلم عن النجاشی، و عن ابن الندیم فی

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۱۶۸-۱۶۹.

۲- شذرات الذهب ج۳ ص۱۱۱-۱۱۲.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۶۲-۲۶۳.

الفهرست کان من أفاضل الشیعه، و عن النجاشی ان له کتباً کثیره سمی بعضها.

أقول: و لما ذکر من مدح ابن الندیم له و ما ذکر النجاشی من انه روی عنه شیخنا أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفید و أکثر من الروایه عنه فی أمالیه خصوصاً من مناقل الائمه الهادین علیهم سلام الله و ملائکته أجمعین.

و ما ذکره فی الشذرات (۱) من قول القاضی أبی عمر الهاشمی سمعت الجعابی یقول احفظ أربعمائه ألف حدیث و اذاکر ۶۰۰ ألف حدیث. اتهموه.

قال الدار قطنی و هو شیعی، قیل کان یترک الصلاه، و عن ابن ناصر الدین کان شیعیاً رمی بالشرب و غیره، و عن ابن بردس کان حافظاً مکثراً غیر انه اتهم بقله الدین من ترک الصلاه و عن المغنی مشهور محقق لکنه رقیق الدین تالف، إذ لیس الذنب الا تشیعه فصبت علیه أنواع التهم و الا فکیف له المام بالحدیث ملیون حفظاً و مذاکره و یروی عنه رئیس الشیعه و عاملها العیلم شیخنا المفید قدس سره و هو یترک الصلاه أو یشرب، نعوذ بالله من الحماقه والحسد.

أرخ وفاته سنه ۳۵۵.

۶۶. محمد بن القاسم (۲) أبوبکر البغدادی کان من مشاهر المتکلمین من أصحابنا، ذکره الشیوخ فی الفهارس، و ذکروا انه کان معاصراً لابن همام المتوفی سنه ۳۳۲.

۶۷. محمد بن یزید (۳) بن محمود بن أبی الأزهر النوشجی النحوی، ذکره الشیخ أبو جعفر الطوسی فی رجال الامامیه و ذکره السید فی النقد. روی عن یعقوب بن یزید بن حماد الأنباری السلمی أبی یوسف من کتاب المنتصر و أصحاب الامام الرضا والجواد

۱- شذرات الذهب ج۳ ص۱۷.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۸۰.

۳- نفس المصدر ص۸۳-۸۴.

والهادی علیهم السلام. وروی عه أبوالفضل ذکره السیوطی فی الطبقات، و عن الخطیب فی تاریخ بغداد، حدث عن المبرد و کان مستملیه و الزبیر بن بکار و جماعه و روی عنه أبوالفرج الاصفهانی والمعافا بن زکریا و أبوبکر بن شاذان والدار قطنی و قال: کان ضعیفاً یروی المناکیر و قال غیره کان کذباً قبیح الکذب، و أرخ موته سنه ۳۲۵ عن نیف و تسعین سنه.

أقول: تضعیفه و روایه المناکیر و کنه کذاباً (شنشنه أعرفها من أخزم) لیس الا لتشیعه و الا فما هو الروایه التی هی ضعیفه رواها و أین نموذج من کذبه حتی یکون قبیحاً.

۶۸. العیاشی (۱) محمد بن مسعود بن محمد السلمی السمرقندی أبو نصر المعروف بالعیاشی، عین من عیون أصحابنا المکثرین فی التصنیف، و ذکر له من کتبه کتاب مکه والحرم وکتباً اخری، و فی موضع آخر ذکر کتابه فی التفسیر یعرف بتفسیر العیاشی فی مجلدین کبیرین والموجود منه جزء واحد نصف التفسیر.

و قال لهذا الشیخ ما یقرب من ۲۰۰ مصنف کلها جیده حسنه، کان فی طبقه الکلینی من علماء المأه الثالثه.

۶۹. محمد بن هانی الاندلسی (۲) یکنی أباالقاسم المغربی کان أشعر شعراء عصره و أفصح أدباء دهره، و قال الشیخ محمد بن الحسن الحر العاملی فی أمل الآمل: فاضل، شاعر، أدیب صحیح الاعتقاد، توفی سنظ ۳۶۲ و له شعر کثیر فی مدح أمیرالمؤمنین علیه السلام، و عده ابن شهر آشوب (۳) من شعراء أهل البیت ثم نقل قطعه من شعره الداله علی تشیعه و حسن عقیدته.

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۶۰-۳۳۲.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۲۰۶-۲۰۷.

۳- لم نره فی معالم العلماء و لعله فی مناقبه.

و ذکره ابن خلکان و ذکر دیوانه و قال انه کبیر، ولو لا ما فیه من الغلو فی المدح والافراط المفضی الی الکفر لکان من أحسن الدواوین، و أجابه السید الصدر رحمه الله وقالک هو بریء من کل سوء و غلو، نعم هو رجل شیعی مجاهر بالتشیع مبغض لخصوم علی علیه السلام.

ثم ذکر أربعه من أشعاره أولها:

باسیاف ذاکل البغی أول سلها *** أصیب علی لا بسیف ابن ملجم

قال: حتی قتل علی التشیع فی یوم الأربعاء لسبع لیال بقین من رجب سنه ۳۶۲ و عمره ۳۶ أو ۴۲ سنه و قال: والحق انه من الآیات الباهره والنوادر النادره.

و ذکره فی الشذرات [(۱)] و انه توفی سنه ۳۶۲ ووصفه بحامل لواء الشعر بالاندلس و قال: قیل انه من ولد یزید بن حاتم، و ذکر انه ولد بمدینه اشبیلیه و نشأبها و اشتغل و حصل له حظ وافر من الأدب و عمل الشعر فبهر فیه، و کان حافظاً لأشعار العرب و أخبارهم، واتصل بصاحب اشبیلیه و حظی عنده و کان کثیر الانهماک فی الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفه (اتهم الملک) بمذهبه، فأشار علیه بالغیبه عن البلد مده ینسی فیها خبره، فانفصل عنها و عمره یومئذ ۲۷ سنه و یقل، عربدوا علیه (فی مجلس الانس فی برقه) فقتلوه، و قیل خرج من تلک الدار و هو سکران فنام علی الطریق فأسبح میتاً و لم یعلم سبب موته، و قیل وجد فی سانیه من سوانی برقه مخنوقاً بتکه سراویله، و ذکر عن العبر کان منغمساً فی اللذات و المحرمات متهماً بدین الفلاسفه، شرب لیله عند ناس فأصبح مخنوقاً و هو فی عشر الخمسین.

أقول: قد عرفت الجواب و ان قتله کان علی التشیع.

۱- شذرات الذهب ج۳ ص ۴۱-۴۲.

۷۰. أبوبكر الصولی (۱) قال المولی عبدالله (۲) الاصفهانی المعروف بالأفندی فی ریاض العلماء أبوبکر محمد بن یحیی بن عبدالله بن العباس الکاتب الصولی المعروف بأبی بکر الصولی، یروی عن أبی العباس المبرد و قد کان من القدماء، و قد عده بان شهر آشوب(۳) من طبقه الشعراء المتقین فی شعرهم لأهل البیت علیهم السلم و استظهر کونه هو الصولی المشهور الامامی المشهور بلعب الشطرنج، و قال عن ابن خلکان توفی سنه ۵ و قیل ۳۳۶ بالبصره مستتراً لأنه روی خبراً فی حق علی بن أبی طالب رضی الله عنه (علیه السلام) فطلبه الخاصه والعامه لتقتله فلم تقدر علیه.

و ذکره فی الشذرات (۴) بعنوان الصولی أبی بکر محمد بن یحیی البغدادی الأدیب الأخباری العلامه صاحب التصانیف، قال أخذ الأدب عن المبرد و ثعلب، و روی عن أبی داود السجستانی و طائفه و روی عنه الدار قطنی و غیره، و قال جده الأعلی هو صول ملک جرجان، و کان الصولی حسن الاعتقاد جمیل الطریقه، یضرب به المثل فی لعب الشطرنج و یعتقد کثیرون انه الذی وضعه و انما وضعه صصه ابن داهر، و قیل ابن یلهب، و قیل ابن قاسم، وضعه لملک الهند شهرام (شیرامر) واسمه بلهیث و قیل ماهیت و اردشیر بن بابک أول ملوک الفرس الأخیره قد وضع النرد، و لذلک قیل نردشیر، و قال بعد کلام طویل فی سعه الأرض، صنف الصولی المصنفات الحسان عد جمعاً منها، و أشار الی ما ذکرنا عن ابن خلکان فی روایته و طلبه الخاصه و العامه، و انه توفی مستتراً بالبصره، قال: و کان قد خرج من بغداد لضائقه لحقته.

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۷۷.

۲- ریاض العلماء ج۵ ص۴۲۵.

۳- معالم العلماء ص۱۴۱.

۴- شذرات الذهب ج۲ ص۳۳۹-۳۴۲.

۷۱. ثقه الاسلام شیخ الشیعه (۱) محمـد بن یعقوب الکلینی، صاحب الکافی فی الحدیث عن طریق أهل البیت، له کتاب الرجال و کتاب ما قیل فی الأئمه الاثنی عشـر من الشـعر و أرخ وفاته سـنه ۳۲۹ و فی موضع (۲) آخر ۳۲۸ و ذکر انه أخرج فی الکـافی ۱۶۰۹۹ حدیثاً مسـنده من طریق أهل البیت، قال: و هو یزید علی ما فی الصـحاح الست، لأن أحادیث الصـحیحین سـبعه آلاف و کسر بنص ابن تیمیه فی الجزء الرابع من منهاج السنه ص ۵۹ و باقی الصحاح لا تبلغ المتون غیر المتکرره منها تسعه آلاف و أنما کثروا عددها باعتبار تعدد الطرق للمتن الواحد کما نص علیه أبوالفرج ابن الجوزی.

قال: ان المراد بهذا العدد الطرق لا المتون. انتهی.

۷۲. الشـیخ العـدل المحسن (۳) بن الحسـین بن أحمـد النیسـابوری الخزاعی الامامی عم الشـیخ المفیـد عبـدالرحمن النیسابوری، عالم، فاضل، محـدث، فقیه، نحوی، لغوی، أدیب، متبحر فی العلوم العربیه، له کتاب اعجاز القرآن، کتاب الأمالی فی الأحادیث، کتاب السـیر کتاب بیان حـدیث من کنت مولاه فعلی مولاه، و یروی عنه والد الشـیخ أبی الفتوح الخزاعی والشـیخ أبوالفتوح عن والده عنه، و هو فی طبقه السید المرتضی و الشیخ أبی جعفر الطوسی.

۷۳. أبوالقاسم (۴) المنذر بن محمد بن المنذر بن سعید بن أبی الجهم القابوسی من ولد قابوس بن النعمان بن المنذر.

قال النجاشی: ثقه من أصحابنا من بیت جلیل، وعد له کتباً، قال: و هو فی طبقه ثقه الاسلام

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۶۰.

۲- نفس المصدر ص۲۸۸.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۱۱۸-۱۱۹.

۴- نفس المصدر ص ۲۶۴.

محمد بن یعقوب الکلینی من علماء المأه الثالثه.

۷۴. أبوالقاسم (۱) نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصری الخبزارزی الشاعر المشهور ذکره صاحب نسمه السحر فی ذکر من تشیع و شعر، قال فاضل اوتی المعجز و هو امی و فاز من المجد فی القریض بما لم یدرکه عکاشه العمی، فهو نقی المعانی و ان کان خباز ارز، ادرک من لو زنج حلاوه الأدب ما لم یدرکه الجزار والبلدی و لم یحزه فهو عدیم النظیر، نضیج خمیر المعانی و شعر غیره فطیر، و ذکره ابن خلکان، و قال کان یخبز بمربد البصره فی دکان و کان ینظم الشعر البدیع مع أنه کان امیاً لا یقرء و لا یکتب، و کا ینشد الأشعار الغزلیه والناس یزدحمون علیه و یتظرفون باستماع شعره و یتعجبون من حاله و أمره، و کان أبوالحسن محمد بن محمد المعروف بابن لنکک البصری الشاعر المشهور مع علو قدره عندهم ینتاب دکانه لیستمع شعره.

قال السید الصدر رحمه الله: و ذکره الثعالبی فی الیتیمه و أورد له شعراً کثیراً، ثم قال: و کان شیعیاً و ن ابن خلکان: انه توفی سنه ۳۱۷ بالبصره، و ذکر المسعودی فی مروج الذهب انه خاف من أمیر البصره الیزیدی فهرب الی أبی طاهر الجنابی القرمطی الی البحرین، و علی حفظی انه ذکر انه مات بهکذا فی نسمه السحر، واقتصر فی الشذرات (۲) علی ذکر تاریخ وفاته و قال وکان امیاً و له الأشعار الفائقه ثم ذکر ثلاثه منها.

۷۵. القاضی نعمان (۳) المصری أبو حنیفه ابن أبی عبدالله محمد بن منصور بن أحمد بن حیران صاحب دعائم الاسلام، له الاقتصار فی الفروع، ذکره فی کشف الظنون و نص علی تشیعه و کان فی عصر الخلیفه العلوی بمصر، و هو ممن رجع الی الامامیه و صنف

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۲۲۰.

۲- شذرات الذهب ج۲ ص۲۷۶.

۳- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص۳۰۳.

و اكثر، له ترجمه طويله و أرخ وفاته سنه ۳۶۷.

و انى لأعجب من صاحب الشـذرات (۱) و ليس عجباً ممن أعمى الله قلبه حيث يتعرض للقاضـى نعمان هـذا و يصـفه بالقيروانى القاضـى أبى حنيفه الشـيعى ظاهراً، الزنديق باطناً قاضى قضاه الدوله العبيديه، صنف كتاب ابتداء الدعوه، و كتاباً فى فقه الشيعه و كتباً كثيره تدل على انسلاخه من الدين، يبدل فيها معانى القرآن و يحرفها... لا ينساق قلم صاحل الشذرات الى ذكر شيخ الشيعه و محدثها الأكبر محمد بن يعقوب الكلينى أعلى الله مقام الذى عده بعضـهم مجدد المذهب على رأس المأه الثالثه كأنه لم يخلق أو ليس من أهل العلم ولا حدث حديثاً واحداً و لا عجب ممن يعتقد رؤيه الله فى المنام.(۲)

انظر الى نهايه الحماقه والجهل من هـذا و فريقه و يتهم القاضـى بانسـلاخه من الـدين، كان الـدين انكار ولايه أميرالمؤمنين عليه السـلام و تقـديم الخلفـاء الثلاـثه عليه و انكار كون معاويه باغياً و ظالماً على أميرالمؤمنين عليه السـلام، و يقيم الشواهـد على ان البغى بمعنى الطلب حيث ان معاويه طلب دم عثمان، كانه لم يقرء التاريخ و لم يسمع

۱- شذرات الذهب ج۲ ص۴۷.

۲- قال طى ترجمه عالم همـدان [شذرات الذهب ج۳ ص۲۵۱] عبدالله بن عبدان، حكى عنه شـيرويه فى كتاب المنامات، انه قال رأيت الحق فى النوم، فقال ما يـدل على انه يخاف على الاعجاب، قاله ابن الأهدل أيضاً فانظر إلى هذا و أضـعافه مما وقع لكبراء الاـمه كالامام الأعظم والامام أحمـد والامام الشـقيرى و صاحب هـذه التجرمه و أضـعافهم من أخبارهم برؤيته تعالى فى المنام و قول المتكلمين بجوازهـا حتى قال اللقانى فى شـرح الجوهره، و أما رؤيته تعالى فى مناماً فجائزه اتفاقاً و هى حق، فان الشـيطان لا يتمثـل به تعـالى كمـا لاـ يتمثـل بالأنبيـاء والى قول بعض الحنيفه رضـى الله عنهم و يكفر من قال رأيت الله فى المنام. انتهى قال: ولكن لا ينبغى اطلاق اللسان فى التكفير فى مثل هذا إلى آخر كلامه.

اذناه ما ورد فی عمار من انه یقتله الفئه الباغیه(۱)، أو لم یقرع سمعه ما عن ابن

۱- و تبع هذا المؤلف عمروبن العاص الشانی و معاویه بن أبی سفیان اذ جعلا- شهاده عمار ظلماً و بغیاً علی عاتق جیش أمیرالمؤمنین علیه السلام تمویهاً علی البسطاء ضعفاء العقول، فنعم الحمک الله والخصیم محمد صلی الله علیه و آله والموعد القیامه و سیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون. یذکر النجاد [شذرات الذهب ج۳ ص ۳۶-۳۷] الصغیر الحسین بن عبدالله البغدادی الحنبلی قال النجاد (القائل صاحب الشذرات أو ابن أبی لیلی فی طبقاته) جاء فی رجل و قد کنت حذرت منه انه رافضی فإخذ یتقرب الی ثم قال: لا نسب أبابکر و عمر، بل معاویه و عمرو بن العاص، فقلت: و ما لمعاویه؟ قال لأنه قاتل علیاً، قلت له: ان قوماً یقولون انه لم یقاتل علیاً و انما قاتل قتله عثمان، قال: فقول النبی صلی الله علیه و آله فعمار تقتلک الفئه الباغیه، قلت: ان أنا قلت لم یصح و قعت منازعه، ولکن قوله علیه السالم تقتلک الفئه الباغیه یعنی به الطالبه لا اظطالمه لأن أهل اللغه تسمی الطالب باغیاً و منه بغیت الشیء أی طلبته و منه قوله تعالی: « یا أبانا ما نبغی» و قوله عزوجل: «وابتغوا من فضل الله» و مثل ذلک کثیر فانما یعنی بذلک الطالبه لقتله عثمان رضوان ... علیه. أقول فما معنی قوله تعالی: فان بغت احدیهما علی الاخری فقاتلوا التی تبغی حتی تفیء إلی أمر الله؟ لعن الله العناد و الحماقه، والشربوا حب العجل فی قلوبهم. تنبیه: تراه یذکر [شذرا الذهب ج۲ ص۶] فی ترجمه علی بن موسی الرضا علیه السلام عن المغنی قال ابن طاهر یأتی عن آبائه بعجائب، قلت الشأن فی صحه الاسناد الیه فانه کذب علیه و علی جده الخ لکن لما وصل الی ترجمه عبدالله [شذرات الذهب ج۲ ص۲۰۴] بن أحمد بن حنبل، یذکر طی کلامه کرامه لأبی ابراهیم السائح حیث یحتمله السبع الی الدیر فاسلم من هذا ۴۰۰ راهب و ینقل عن أحمد انه یری قبل الحج بخمس لیال أو أربع لیال النبی صلی الله علیه و آله فی المنام، و یقول له یا أحمد، حج فینتبه ثم یأخذه النوم فیقول النبی صلی الله علیه و آله یا أحمد حج فیقصد السفر، فیقصد الکوفه، فلما انقضی بعض النهار، فاذا هو بالکوفه، الی، أن یلتقی برجل یرید الحج و شاب فلم یزالو یسیرون، فقال الذی معه رحمک الله ان رأیت أن ترفق بنا، فقال له الشاب: ان کان معنا أحمد بن حنبل فسوف یرفق بنا، فوقع فی نفسی انه الخضر، الی، ولما أصبنا من الطعام غاب الشاب من بین أیدینا ثم رجع بعد فراغنا فلما کان بعد ثلاث اذا نحن بمکه. أقول: تلک اذا قسمه ضیزی، کما ینقل قضیه [شذرات الذهب ج۲ ص۲۱۱-۲۱۳] المراءه التی لم تأکل و لم تشرب منذ سنوات متعدده لما رأت روجها القتیل فی المنام، فناولها کسره خبز باذن أصحابه تأکلها أشد بیاضاً من الثلج واللبن و أحلی من العسل و السکر و ألین من الزبد والسمن فأکلتها و قضیه دمرأه غیرها و أمثال ذلک من المناکیر فی کتابه کثیر.

خلکان [۱] من عده من الفضـلاء المشاهر الیهم و ذکره الأمیر المختار المسیحی فی تاریخه فقال کان من العلم والفقه والدین و النبـل علی مـا لاـ مزیـد فیه وله عـده تصـانیف منهـا کتـاب اختلاـف اصول المـذهب قال صاحب کشف الظنون اختلاف اصول المـذاهب لأبی حنیفه نعمان بن أبی عبـدالله الامامی ألفه نصـره لمـذهبه، قال السـید الصدر رحمه الله و ترجمه الیافعی فی مرآت الجنان بأحسن ما یکون، و نصل علی ما ذکره ابن خلکان و کان مالکی المـذهب ثم انتقل الی مذهب الامامیه، و قال ابن ذولاق فی ترجمه ولـده علی بن النعمـان، کان أبوه النعمان ابن محمـد القاضـی فی غایه الفضل من أهل القرآن و العلم بمعانیه، و عالماً بوجوه الفقه و اختلاـف الفقهـاء واللغه والشـعر و المعرفه بأیـام النـاس مع عقـل و انصـاف، و ألف لأهـل البیت من الکتب آلاف أوراق بـأحسن تـألیف و أملـح سـجع، و عمل فی المناقب و المثالب کتاباً حسـناً، و له ردود علی المخالفین له، و له رد علی أبی حنیفه و علی مالک و الشافعی و علی بن شـریح و کتاب اختلاف ینصـر فیه لأهل البیت الی آخر ما فی وفیات الأعیان قال السید الصـدر رحمه الله و نص علی تشیعه العلامه فی بحار الأنوار و السـید بحر العلوم الطباطبائی فی الفوائـد الرجالیه و العلامه النوری فی فوائد المستدرک. أرخ وفاته سنه ۳۶۷.

۷۶. الشیخ الشریف هبه الله [۲] بن أحمد بن محمد الکاتب أبو نصر المعروف بابن برنیه (بالباء المنقطه تحتها نقطه والراء والنون المکسوره بعـدها و الیاء المنقطه تحتها نقطتان المشـدده) کانت امه ام السـیده ام کلثوم بنت أبی جعفر محمد بن عثمان العمری، کان

۱- تأسیس الشیعه ص ۳۸۲-۳۸۳.

۲- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۳۸۰.

متكلماً ماهراً و له كتاب فى الامامه و كتاب فى أخبار أبى عمرو و أبى جعفر العمريين.

قال النجاشى و سمع الحديث كثيراً و كان أبوالعباس بن نوح يعول عليه فى أخبار الوكلاء قال و كان هذا الرجل كثير الزيارات و آخر زياره حضرها معنا يوم الغدير سنظ ۴۰۰ بمشهد أميرالمؤمنين عليه السلام.

۷۷. هبظ الله (۱) بن الحسن، أبوالحسين الحاجب النحوى الامامى الفاضل العالم الأديب الشاعر اللغوى، ذكره ابن بابويه منتجب الدين فى الفهرست و وصفه بما ذكرنا، و قال ياقوت ذكره الكمال ابن الأنبارى فى النحويين و كان من أفاضل أهل الأدب شاعراً مليح الشعر، مات فجأه سنه ۴۲۸.

۷۸. الشيخ أبو محمد يحيى (۲) بن محمد الأرزنى اللغوى كان من أكابر قدماء الأدباء مات سنه ۴۱۵ فى خلافه المقتدر، قال الملا عبدالله (۳) الأفندى انه من الخاصه، قال السيد الصدر رحمه الله قال السيوطى فى الطبقات يحيى بن محمد الارزنى أبو محمد النحوى اللغوى، قال ياقوت امام فى العربيه.

فهرس تفصيلى بمحتويات هذا الكتاب

صفحه

لم يكن من السهل عمل فهرس أعلام و أماكن لهذا الكتاب الطويل وقد اكتفينا بهذا الفهرس التفصيلى لمحتوياته و على من يريد النتفاع به أن يقرأه كله لما فى ذلك من الفائده الأكيده.

---

(٣٦٥)

استدراكات

ص ۳۸۸ س ۵ كان بدل كان

ص ۴۰۸ س ۱۴ الشهود بدل القود

ص ۴۱۰ س ۱۵ المستصرخين بدل الستصرخين

ص ۴۲۹ س ۱۳ الوزراء بدل الوزراء

(۳۷۳)

۱- تأسیس الشیعه لعلوم الاسلام ص ۱۰۷.

۲- نفس المصدر ص۱۶۶.

۳- ریاض العلماء ج۵ ص۳۷۱.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتناب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونیة والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقیة والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.